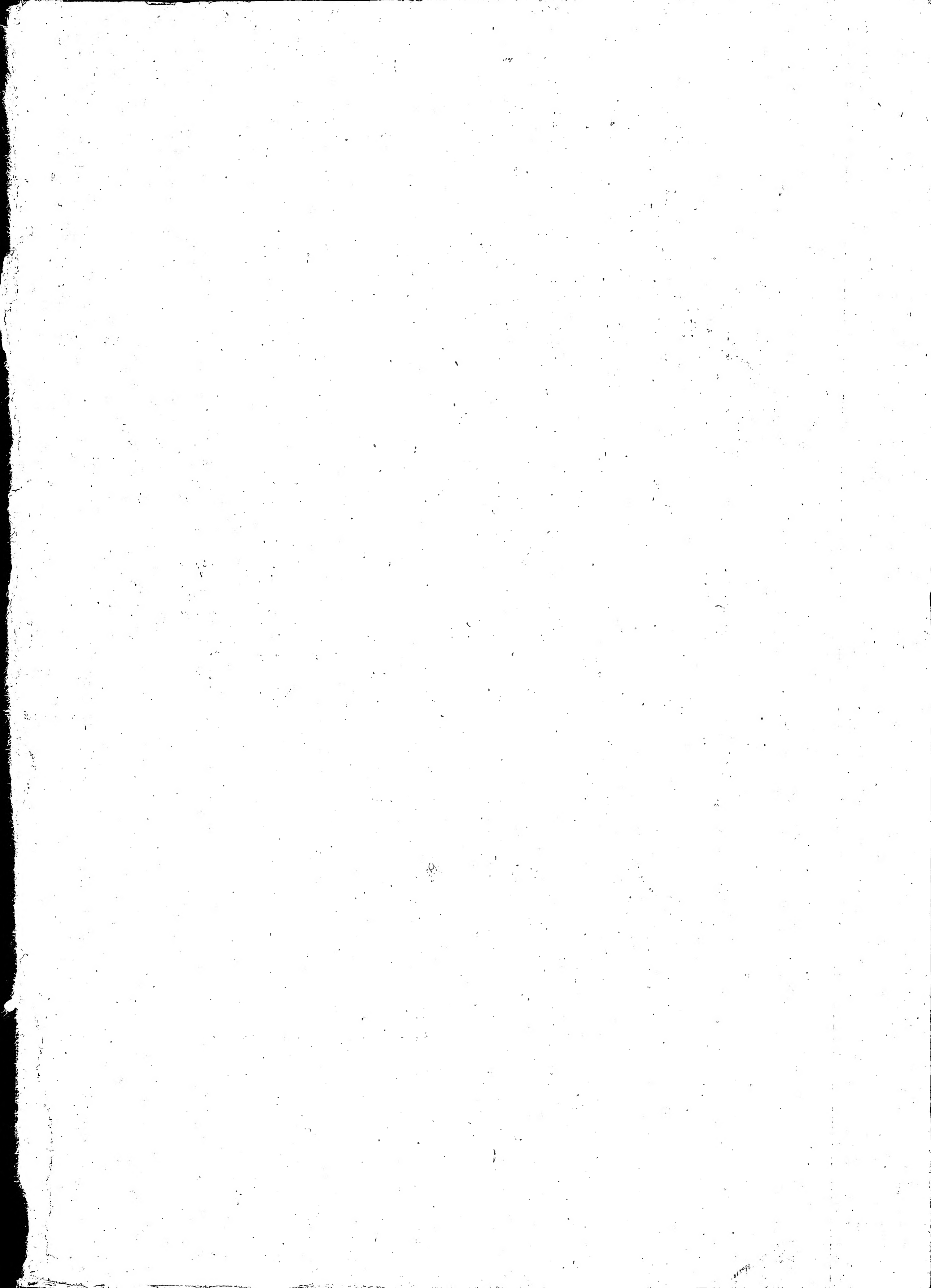
د. رفعت السعيد

٣

# تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

من
١٩٤٠
إلى
١٩٥٠

المجلد الثالث



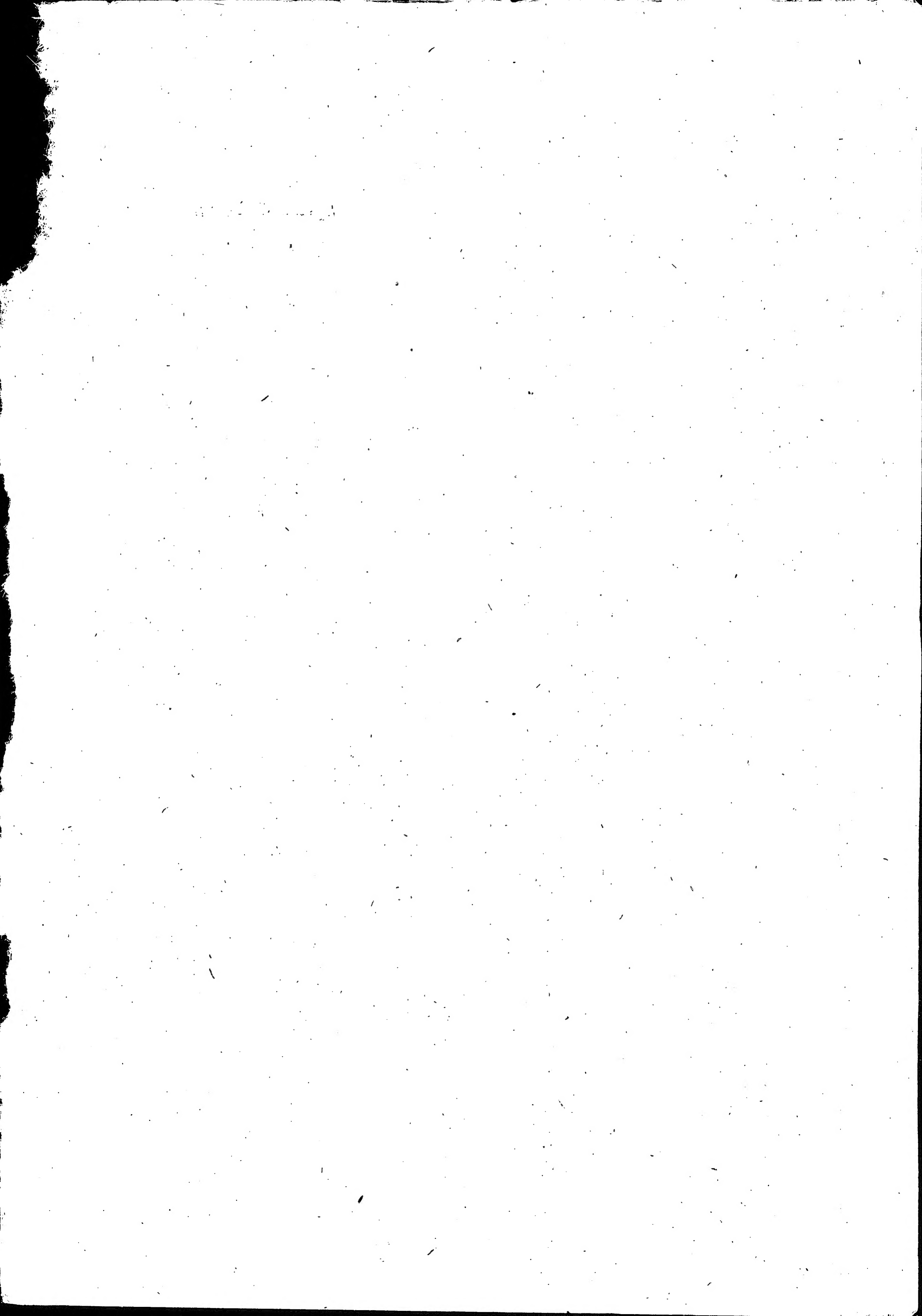
د. رفعت السعيد

# تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

## المجلد الثالث

من ١٩٤٠

الى ١٩٥٠



د. رفعت السعيد

# تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

## المجلد الثالث

## ١٩٤٠ - ١٩٥٠

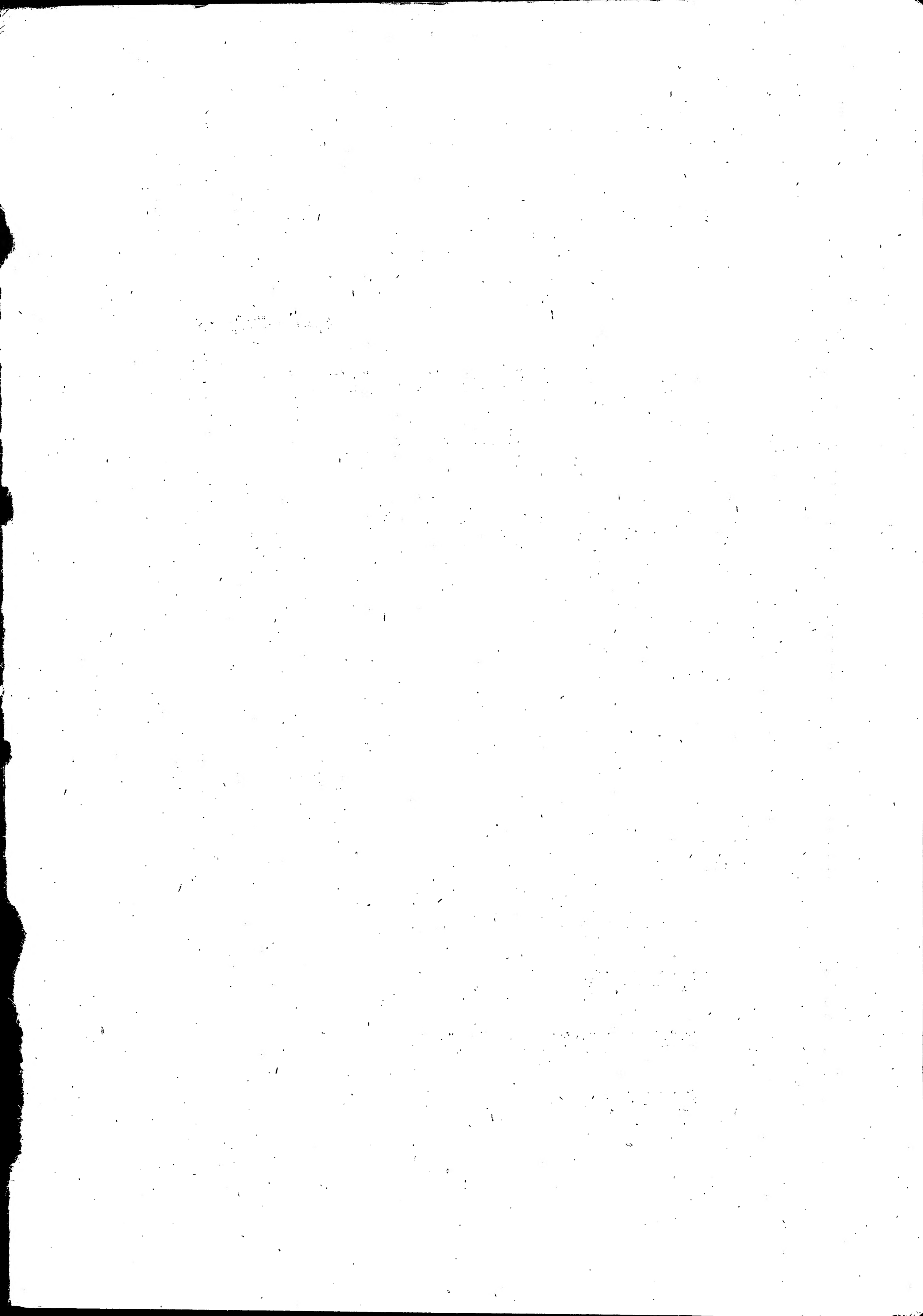
يضم هذا المجلد كتابين :

- تاريخ المنظمات اليسارية المصرية

الطبعة الثانية

- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

الطبعة الثانية



مقـدمة المجلد الثالث :

وتتواصل المحاولة ..

فكما كان الامر منذ أكثر من عشرين عاما ، عندما فرضت هذه الدراسة نفسها ، وفرضت تكاملهـا ، بحيث أثبتت أنه يصعب اكتسابها قيمة حقيقية دون أن نبحث عن كل ما هو ممكن لتكاملهـا زمانا وموضوعا ..

كما كان الأمر فى المحـاولة الأولى .. يكون الآن .

فحيث بدأت فى اعادة النظر فيما كتبت من أجزاء هذه الدراسة ، مضيفا اليهـا كل ما تجمع من اضافات ، ومصححا ما ورد من أخطاء ، واضعا فى الاعتبار كل نقـد موضوعى ، وكل اسهام يمكنه أن يصبح اضافة حقيقية ، حيث بدأت .. وجدت نفسى مضطرا أن أواصل عبر كل أجزاء الدراسة .

ولعله من حقى أن أقرر أن اصدار المجلدين الاول والثانى كان أسـهل بكثير .

فالمجلـد الأول ( ١٩٠٠ ـ ١٩٤٠ ) والثانى ( الصحافة العلنية ) .. امتلكا اضافات عديدة وهامة لكن اعادة صياغتهما لم تتوقف أمامهـا صخور الانتقاد الجاد ، فى بعضه ، وغير الجاد فى بعضه الاخر ، الموضوعى أو الشخصى ، العلمى أو الخـالى من الفطنة .. كتلك التى توقفت أمام مسيرة اعادة صياغة هذا المجلد .

فهنا نتحـدث عن فترة صعبة وحرجة وتمس جراحا شخصية ، ومفاهيم وتوجهات ذاتية ، وهنا تقحم السياسة نفسها فالبعض يعلو صوته الآن متصورا أن بامكـانه اضافة بعض (( الرتوش )) الى صورة أحداث وقعت فى المـاضى ؟ والبعض يحاول أن يقنعك أو أن يفرض عليك أن تقتنع انه كان فى هذه المرحلة ـ موضوع الدراسة ـ محور كل حـدث وكل حديث ، بينما تحليلك الاكاديمى ينفى ذلك ..

والبعض ، من الخصوم السياسيين لليسار ـ اتخذ من هذه الدراسات ومن انتقـادها بل والتشهير بهـا مادة للدعاية المضـادة لليسار ، بل ومادة للدعاية

المضـــادة لشخصى معلنـــا اننى أستهدف مجرد تمجيد من لا يستحقون ، واضفاء صفات البطولة على من لا يمتلكون منهـــا أقل قدر ٠٠ بل ويصل الهجوم الى حد غير لائق لا علميـــا ولا سياسيا(*) ٠

٠٠ والبعض من مدعى اليسار وخاصة تلك العناصر المستحدثة والفردية وبعض الهوامش التروتسكية شنت على هذه الدراسة جام غضبها بادعاء انها استهدفت تحليل الحرام ، وتحريم الحلال أى اثبات صحة ما كان خاطئا ٠٠ والعكس ٠٠ وهم بهذا الهجوم يحـــاولون اثبات « فرضيات حاضرة » هى ضعيفة ومبتذلة أحيانا ، بمحاولة تبييض صفحات من المـــاضى كانت سوداء برغم كل ادعاء حالى ٠٠ أو الحاح غير مجد (**)

٠٠ غير ان ذلك كله لا يعنى أننى أترفع بما كتبت وبما أكتب عن النقـــد أو التصحيح أو الاضافة أو الحذف ٠٠ فلقـــد تقبلت بامتنان بالغ تصحيحات وانتقـــادات من العـــديد من « شهود » و « صناع » هذه المرحلة ٠٠ ولأنهم كانوا مناضلين فعـــلا ٠٠ وليسوا مجرد « هواة ثرثرة » ، ولانهم كانوا جادين فى نقـــدهم وانتقـــادهم فقـــد أتت ملاحظاتهم موضوعية ٠٠ واحتلت مكانها فى هذا المجلد ٠٠

٠٠ وبغض النظر عن كل شيء فان ما كتبت وما أكتب عن تاريخ الحركـــة الشيوعية المصرية لم يزل وسيظل مطروحـــا لكل نقـــد موضوعى واضـــافة جادة ٠٠ فان كان ما كتبت هو جهـــدى ، فان ما كتبت عنه هو تاريخ جيـــل كامل من المناضلين ، يسمو فوق كل ذات ، وفوق كل رؤية شخصية ، ويفرض علينـــا جميعـــا أن نسعى لاستكماله ٠٠ كى يكون ولو بأقـــل قـــدر لائقـــا بفرســـان المـــاضى ٠٠ وقـــادرا على الهام رجال الحاضر ٠٠ والمستقبل ٠

***

---

(*) مثل مقالات عادل حسين فى جريدة الشعب ، التى أكـــد فيهـــا بجـــرأة نادرة ان كل ما كتب انما كان يستهدف تمجيـــد دور « الشيـــوعى والصهيونى ( فى آن واحد !! ) هنرى كورييل » – ومثل محاولات طارق البشرى فى الطبعة الجـــديدة من كتابه تاريخ الحركة السياسية ٠٠ والتى لجأ فيهـــا الى « قص » بعض الجمل معزولة عن سياقها العام ليعيـــد تجميعها واستخلاص نتائج خاطئة تماما منها ٠٠ لكنهـــا تخـــدم هدفا سياسيا استهدف القول به ٠

(**) مثل الهجوم غير العامى الذى شنه بعض الشبان غير المؤهلين سياسيا أو أكاديميا – فى نـــدوة الالتزام والموضـــوعية فى كتـــابة تـــاريخ مصر الـــحديث ( ســـبتمبر ١٩٨٧ ) والذين نعـــوا عليهـــا أنهـــا طمست حق الجماعات التروتسكية ٠ ٠ برغم اعتقادى اننى قد تحدثت عنها بأكثر من وزنها الفعلى ٠

.. وربما لا أكون مبالغا اذ أقرر ان اصدار هذا المجلد قد تطلب دراسة وجهدا يفوق ما تطلبته عملية الكتابة الأولى لمحتوياته ..

فهذا المجلد يضم كتابين :

* تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠

* اليسار المصرى والقضية الفلسطينية .

ولقد صدرا منذ فترة ليست بالقصيرة فأولهما صدر عام ١٩٧٧ وصدر الثانى عام ١٩٧٤ .

ومياه كثيرة تدفقت منذ ذلك الحين سواء فى نهر الحياة ، أو مجال البحث وتجميع المعلومات واستقصائها . ومنذ اللحظة الاولى لصدور الكتابين أحسست أن أمانتى العلمية تتطلب التأنى فى طبع أى منهما طبعة أخرى قبل تضمينهما ما تراكم من معلومات وتصحيحات واضافات فى سرعة غريبة عقب صدورهما ..

وكأن الكثيرين ممن يمكن تسميتهم (( بأوعية المعلومات )) لهذه الفترة البالغة الحساسية والاهمية - فترة الأربعينيات - لم يكونوا يثقون أو يصدقون بامكانية انجاز دراسة عن تاريخ الحركة الشيوعية فى هذه الفترة ، أو لم يكونوا يعتقدون بامكانية نشرها وانتشارها الى هذا الحد . فما أن صدرت الدراسة وما أن حظيت باهتمام ليس بالقليل سواء على مستوى الجمهور القارىء أو مستوى البحث الاكاديمى المحلى والعربى والعالمى حتى ثارت شهية الكثيرين للتحديث والتصحيح والاشارة الى مصادر جديدة للبحث أو تقديم وثائق هامة كانت فى حوزتهم ..

ومع اصرار الكاتب على أن يواصل مسيرة البحث حتى يكتمل ، فكان من الضرورى ارجاء كل هذه المواد لحين اتاحة الفرصة لاصدار طبعة أكثر تدقيقا وأكثر استيفاءا للمعلومات ..

* * *

ولقد عاصر صدور كتاب (( تاريخ المنظمات اليسارية ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠ )) وقتا صعبا • فما أن انتهيت من كتابته ـ وقبل أن أشرع بمراجعته ـ كانت انتفاضة يناير ١٩٧٧ وكان تشريفى بنسبتى اليها فكان القبض والايداع بسجن القلعة فى حملة ترويع واسعة حاولت اسكات كل صوت ، وأخافة الناس ، ومنعهم من الهمس •

ودارت ماكينة الارهاب المتنوع •• أو بالدقة الارهاب المتكامل سجون ـ معتقلات ـ ترسانة قوانين مقيدة للحريات ـ حملات اعلامية ضارية •• وماذا يملك الانسان داخل جدران سجن القلعة سوى أن يحتدل وأن يبحث عن المقاومة ولو من خلال ثقب ابرة •

واعتقدت ساعتها أن الاسراع باصدار هذا الكتاب حتى وبلا مراجعة أخيرة هو خير رد يمكن أن أوجهه الى هؤلاء الذين يحاولون ترويعى وترويع اليسار وقوى التقدم عامة ، واعتقدت أن صدور كتاب عن تاريخ الشيوعيين ونضالهم عبر مرحلة تمثل المرحلة الأم لما تلاها من أحداث يمكنه أن يكون ردا على حملات التشهير والتشويش التى غمرت كل الصحف الحكومية والتى اتخذت من اليسار عموما محط الهجوم والتشهير •

•• وبرغم موجة الارهاب الضارى فقد امتلك الباقون دون اعتقال من أبناء (( دار الثقافة الجديدة )) شجاعة الموقف ، واصرار المناضل •• فأصدروا الكتاب ، وفى زنزانتى بالقلعة زارتنى النسخة الاولى •• وأحسست ساعتها بقيمة (( الكلمة )) فى معركتنا ، وبقيمة دراسة تاريخ هذه المعركة ••

أما الكتاب الثانى (( اليسار المصرى والقضية الفلسطينية )) فلقد أحدث من الضجيج فوق ما توقعت ، وحاربه (( فرسان ! )) عديدون ولكن بسيوف خشبية عجزت عن أن تهز يقينى بصحة التوجه وبمبدئية الموقف الذى اتخذه الشيوعيون المصريون من القضية الفلسطينية • ولكن البعض يتعلم من وقائع الحياة ومن خبرة التاريخ ، بينما البعض الآخر لا يمتلك سوى معاندة الوقائع ومعاندة دروس التاريخ •

والى هؤلاء وأولئك كان من الضرورى تجميع المزيد من المعلومات فى اصدار جديد للكتاب ، خاصة وانه منذ طبع طبعته الاولى فى بيروت لم تستطع سوى نسخ قليلة منه التسلل الى القارىء المصرى ••

***

وعبر هذه السنوات حظى الكتابان باضافات عديدة ، وباعادة صياغة وبمراجعة دقيقة ، وكانت مصادر الاضافات عديدة ..

فقد حصلت على أغلب الوثائق الامريكية عن النشاط الشيوعى المصرى فى هذه الفترة ، وأشهد اننى كنت مخطئا اذ تصورت أن الوثائق البريطانية قد تضمنت المعلومات الاكثر دقة ، فبمطالعتى للوثائق الامريكية اكتشفت كيف كانت السفارة الامريكية أكثر اهتماما وأكثر دقة فى تجميع المعلومات التفصيلية عن كل صغيرة وكبيرة فى الحركة الشيوعية المصرية ..

وقد حصلت أيضا على وثائق الخارجية الفرنسية .. وقد تضمنت معلومات مهمة ، بل وتضمنت عددا من الدراسات البالغة القيمة التى أعدتها السفارة الفرنسية فى القاهرة عن الحركة الشيوعية ودورها فى ذلك الحين .

كذلك فقد تقدم العديد من الشهود ..

والبعض يتحدث لاول مرة ليضيف معلومات وتصويبات بالغة القيمة .

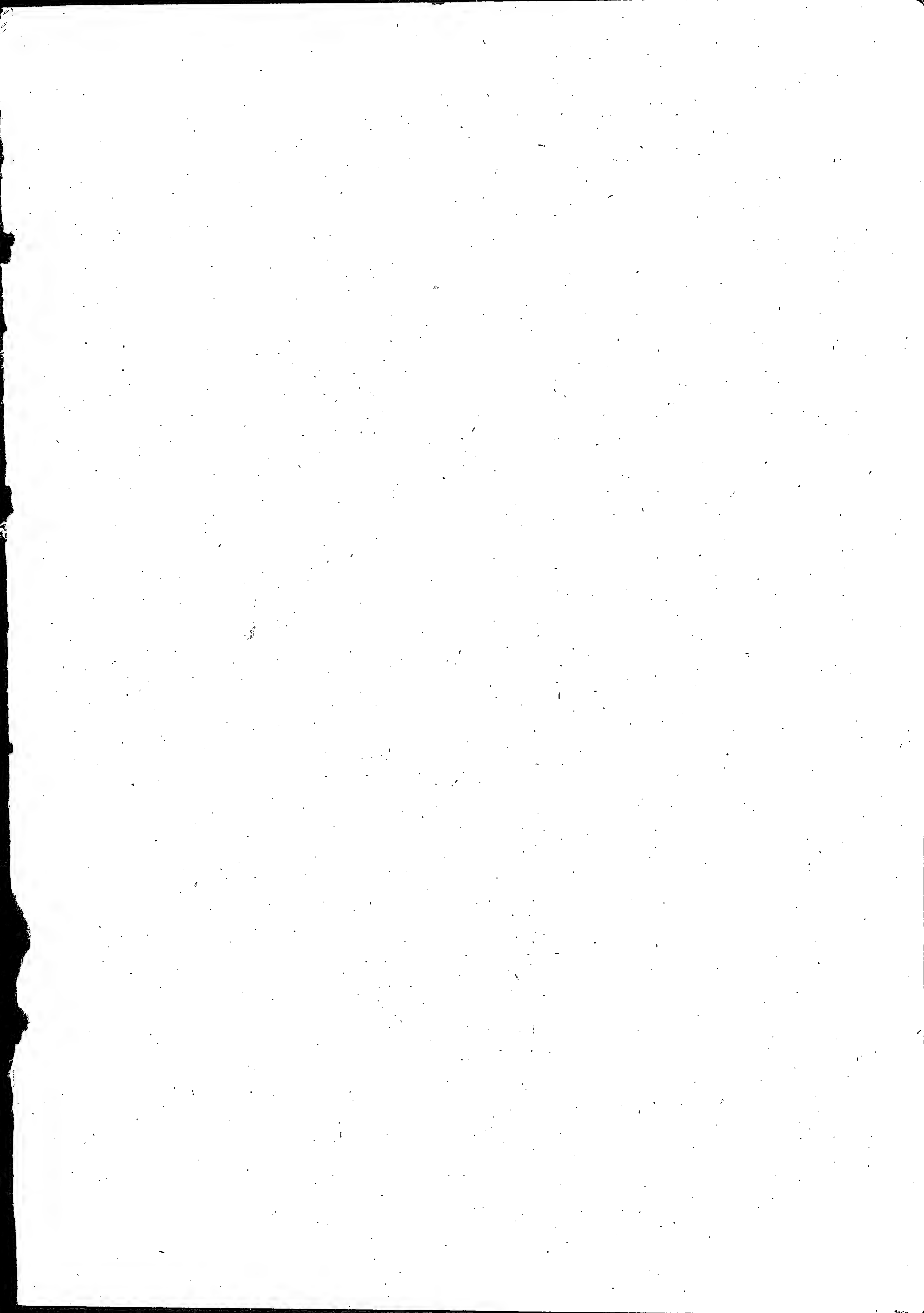
والبعض يتحدث للمرة الثانية بعد أن شحذ ذاكرته أو استفزها لتقدم معلومات اضافية أو تصحيحات لما نشر ..

ومع استمرار الانغماس فى الموضوع ككل تكاملت معلومات اضافية واكتملت صور وتصورات عديدة بحيث يمكننى أن أقرر أن القارىء يمتلك الآن بين يديه بحثا أعتقد أنه أكثر اكتمالا وتكاملا .. وان ما أدخل عليه من اضافات وتعديلات وتصويبات واعادة صياغة شاملة يكفى للاعتقاد بأننا أمام كتاب جديد تماما .. استطاع أن يستوعب الاضافات على كثرتها ، وأن يضع فى اعتباره الانتقادات دون أن يخضع لما يشوب بعضها من رؤية أحادية أو شخصية . ولأن الدراسة تمس نضالات جيل من الثوريين ، ولانها تمثل فى اعتقادى رؤية للماضى ودروسا للحاضر وأملا للمستقبل فقد تعين على ألا أسمح لأى ضغط شخصى أو ابتزاز سياسى أن يدخل اليها ما لا أعتقد بيقين تام أنه جزء من مكونات الحقيقة .

.. ولا أملك رغم كل ذلك الجرأة كى أضع نقطة انتهاء ..
فالبحث لم يزل أرحب من أى محاولة لختامه .

وتاريخ النضال الخصب والمتنوع لم يزل أوسع من أن يتضمنه كتاب أو عدة كتب مهما بذل أصحابها من جهد ..

القاهرة ١١ أكتوبر ١٩٨٧



الكتـــاب الأول

# تاريخ المنظمات اليسارية المصرية

## ١٩٤٠ ١٩٥٠

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب
عام ١٩٧٧ ـ دار الثقـافة الجديدة ـ القاهرة

الى كتيبة من الرجال الشجعان ....

* عبد الخالق محجوب
* شهدى عطية الشافعى
* د. فريد حداد
* لويس اسحق
* محمد عثمان

فى الأربعينيات .. كانوا يبذلون ما فوق الطاقة جهدا وعرقا ، وهم يصنعون أحداث هذا الكتاب .

وبعدها .. بذلوا الحياة شهداء فى سبيل المبدأ .

## ليســت مقـدمة

٠٠ بل هى ان شئنا الدقة استكمـال لتلك الرحلة الطويلة عبر تاريخ الحركة اليسارية المصرية منذ مطلع القرن العشرين ٠٠

ليست مقــدمة ، فهناك كمقــدمة ضرورية لهذه الدراسة كتب أربعة كان لا بد من انجــازها ووضعها بين يدى القــارىء حتى يمكننــا أن نصل بحديثنا الى مرحلة الأربعينات ٠

كتابان لدراسة المرحلة السابقة ٠٠ هما : « تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٢٠ــ١٩٢٥ » « واليسار المصرى ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠ » وكتابان آخران هما مجرد استكمال لهذا البحث ، فبدونهما يبدو هذا البحث ناقصا ، وكان انفصالهما عنه مجرد ضرورة فنية وهما « الصحافة اليسارية ١٩٢٥ــ١٩٤٨ » و اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » ويتعين على أن اعترف بأنه لم يكن ضمن مخططى أن أصدر كتابين منفصلين عن هذين الموضوعين فلقــد تصورت فى البداية أنه من الممكن استجماع الموضوع كله فى بحث واحــد متكــامل ، لكننى ما أن بــدأت خوض غمار التجربة حتى أقنعتنى الممارسة أن هذين الموضوعين « الصحافة » و « القضية الفلسطينية » موضوعان بالغــا الأهمية بالنسبة لتاريخ ومسار هذه الفترة بحيث يتعين ايفائهما حقهمــا من **الدراســة** التفصــيلية ، ذلك أن اختصارهما يعنى بالضرورة ابتسارهما ، **أما الافاضة** فيهما ــ وهى ضرورية ــ فسوف تشتت جهــدى وجهــد القــارىء ، وسوف تنأى بى وبالقارىء بعيدا عن المحور الاساسى وهو دراسة تاريخ المنظمات الشيوعية ، نشأتها ، وتطوراتها ، وأساليب عملهــا العلنية والسرية معــا ، دراسة منهجية تسجل ما فى الصورة من تفاصيل ضرورية ومتاحة ٠

وبهذا اضطررت الى استكمال هذين الموضوعين فى كتابين ٠٠ برغم أنهما مجرد امتداد أكاديمى للبحث الذى نوشك أنا والقــارىء أن نقتحم الآن غماره ٠٠

* * *

ليست مقدمة .. وليست نقطة تدل على الانتهاء ، فكل هذه الدراسة التى بين أيدينا ، ليست فى اعتقادى سوى « جملة اعتراضية » فى ذلك السياق الطويل من العمل الشاق الذى خاضته حركة اليسار المصرى منذ الاشراقة الأولى للقرن العشرين ، وعبر ثلاثة أرباع القرن ، وحتى يومنا هذا ..

مجرد « جملة اعتراضية » ، ليست بداية ، وليست نهاية .

لكن هذه الجملة الاعتراضية كانت بالنسبة لابطالها سنوات من العمل الشاق ، من الاقدام المعمد بالعرق والدم ، وكانت بالنسبة لى سنوات من الجهد والبحث والاستقصاء ، فالمهمة ليست فقط صعبة لكنها كادت – فى بعض الاحيان – .. أن تبدو لى وكأنها مستحيلة .

فكيف يمكن استجماع خيوط بحث كهذا .. المنظمات الشيوعية ، قياداتها ، محاولات الوحدة ، والانقسام والتكتلات ، النشاط العلنى ، والعمل الجبهوى ، المواقف السياسية ، المنطلقات الفكرية ، أساليب العمل السرى ، كل ذلك فى اطار اتفاقات واختلافات وتكتلات وانقسامات توشك أن تحتاج الى جداول اللوغاريتمات لحساب المواقف والاتجاهات والمتغيرات فيها .. كيف يمكن البحث فى هذا الخضم ، عن الحقيقة ، أو عن القسم الاكبر منها ، أو حتى عن أقرب شىء اليها .

كيف يمكن استجماع أجزاء الحقيقة ؟ وان استجمعت فكيف يمكن أن تصاغ ؟ كل هذه الاسئلة المحيرة ظلت تراودنى سنوات عدة ألوكها .. وأتمعن فى جزئياتها ، وأكاد كلما ازددت تمعنا فيها ، أن أزداد خشية من الاقتراب من الموضوع وأزداد حيرة مع كثرة ما به من تعقيدات .

أين الحقيقة ؟ أو بالدقة أين يمكن أن أجدها ؟

ذلك هو السؤال الذى حيرنى ...

انها بالقطع ليست فى ذلك الكم القليل من الكتب التى أصدرها بعض الكتاب الأجانب أمثال والترلا كور – و . آجوانى ، فهى كتب ملغومة فى أكثرها بالأكاذيب والاستنتاجات المتعجلة والاخطاء الواضحة ، وأهم ما يعيبها أنها لم تصدر بهدف التعرف على الحقيقة وانما بقصد التشهير بحركة اليسار فى مصر ، ويكفيها ذلك تماما كى تفتقد الموضوعية فى البحث ، والصدق فى الاستنتاج والتحليل ، كذلك فان أجنبية الكاتب وغربته الكاملة ليس فقط عن حركة اليسار المصرى ولا عن الصراعات السياسية والاجتماعية فى مصر وانما – وهذا هو المهم – عن مصر ذاتها ، تفقد البحث أصالته والباحث جذوره القادرة على امتصاص الحقائق من التربة العميقة للواقع ، وتحليلها وفهمها وفقا لمعطيات واقعية ..

وهكذا فليس أمامنا من خيار ...

ليس أمامنا سوى أن نعتمد على أنفسنا فى جهد ابتدائى يستهدف استكشاف مواقع وجود الحقيقة ، واستخلاص أكبر قدر منها واذا شئنا استخدام أساليب المؤرخين فى التعبير قلنا أنه ليس أمامنا سوى البحث عن المصادر الأولية ..

وهنا تبدأ الصعوبة ...

فالمصادر الأولية .. أهمها الأوراق والنشرات والمنشورات والتقارير الصادرة عن المنظمات الشيوعية ، وغالبيتها العظمى قد صدر بشكل سرى ، ثم سرعان ما تآكل ، ففى خضم المطاردات البوليسية الشرسة ، اختفت الأوراق « والأرشيفات » التى حاولت بعض المنظمات تجميعها ، كذلك أسهمت الانقسامات والتكتلات والوحدات فى اختفاء هذه الاوراق ، وبرغم ذلك وبجهد مرير وبفضل مساعدات رجال لن أنسى فضلهم أمكننى العثور على بعض هذه الأوراق ، لكن هذا البعض من النشرات والتقارير والمنشورات السرية الذى أمكننا الحصول عليه — برغم أهميته التاريخية البالغة — لا يمكنه أن يكون كافيا ، فهو أولا أقل من القليل بالنسبة للكم الهائل من الأوراق التى صدرت بالفعل على مدى أكثر من عشر سنوات من العديد من المنظمات والتكتلات كذلك فانه فى ظل السرية المطلقة والمطاردات البوليسية الشرسة لا يمكن للحقائق كلها أن تثبت فى أوراق .. ففى الأوراق قد نقرأ الموقف السياسى أو التنظيمى لكننا لن نجد « القصة الداخلية » لعملية البناء وأساليبها ومصاعبها وأسماء من قاموا بها ودور كل منهم وطبيعة العلاقات فيما بينهم ... الخ .

وثمة مصدر آخر .. هو هؤلاء الرجال أنفسهم ، صناع هذا التاريخ ، وأصحاب « القصة الداخلية » أو بالدقة « القصص الداخلية » ..

وتبدأ رحلة البحث عن رجال تبعثروا ، تبعثروا بالمعنى السياسى فالبعض منهم تراجع عن المسيرة وعن الضوء ، عدد منهم تراجع منذ الاشهر الأولى أو السنوات الأولى للتجربة وربما تصور أن أحدا لن يعيد تذكيره بهذا التاريخ المندثر ، والبعض الآخر تبعثر جغرافيا .. ليس فقط فى مختلف مدن مصر وانما أيضا فى مختلف أرجاء العالم ..

وتبدأ أغرب رحلات « صيد المعلومات » .

على مدى تسع سنوات أو أكثر قليلا ، ومن خلال محاولات مضنية للبحث عن هؤلاء الرجال ، وحثهم على الكلام ، واقناعهم بأهمية كل تلك

المعلومات التى قد يتصورون أنها قليلة القيمة ، وتنشيط ذاكرتهم ٠٠ ومن خلال تنقلات عديدة متكررة الى باريس وروما وأثينا وبرلين وبغداد وبيروت وعدن والخرطوم ، ومن خلال عمل شاق للبحث عن هذه الأسماء والتعرف عليها وعلى عناوينها أمكن استجماع أكثر من مائة محضر نقاش مع هؤلاء الرجال ٠٠٠

وتبقى أمام الكاتب مهمة استخلاص الحقيقة الحقيقية ٠ ان جاز مثل هذا التعبير - ففى خضم الذكريات القديمة قد تبرز بعض الملامح الشخصية وقد تختفى ملامح أخرى ، وقد تكون هناك بعض المبالغات ، وقد تفوت على الراوى أجزاء من الحقيقة ، وقد تختلط فى ذاكرته بعض الروايات والأسماء

لكن محاضر النقاش هذه وبرغم ما بذلت فيها من جهد لا أود أن أفيض فيه ، وبرغم ما قد يكون فيها من نواقص ، كانت بالنسبة لى ثروة حقيقية من المعرفة ليس فقط بوقائع الحركة الداخلية للعمل الشيوعى فى مصر وبأسراره وحقائقه وانما أيضا المعرفة بشخصيات هؤلاء الرجال وأنماط تفكيرهم ورؤياهم العامة لأحداث مصر فى هذه الفترة ٠

ومن خلال الروايات العديدة والتى قد يكمل بعضها بعضا وقد يتناقض بعضها مع البعض الآخر ، أقصد أنه من خلال هذا الكم من الرؤى المختلفة والآراء والتصورات المتناقضة ٠٠ تبدو الحقيقة أكثر صفاء ٠٠٠

لكن ذلك أيضا لا يكفى ٠٠

فلا بد من البحث عن مصادر أولية أخرى ٠٠

وأرشيفات البوليس زاخرة بالمعلومات والوثائق والأوراق ، لكنها على أية حال ليست متاحة على الاطلاق ، وبرغم ذلك فقد أمكن احداث ثغرة فى هذا الجدار المصمت وببعض الجهد أمكن العثور على نسخ من تقارير حكمدارية بوليس مصر والقلم المخصوص ( البوليس السياسى فى ذلك الحين ) مرفوعة الى وكيل وزارة الداخلية حول نشاط قيادات ومراكز نشاط الشيوعية فى هذه المرحلة ٠٠ كذلك أمكن العثور على بعض وثائق القصر الملكى عن هذا الموضوع وعن نشاط مخبرى السراى ضد الحركة الوطنية ٠

وهناك أيضا اطلالة ضرورية على أرشيف وزارة الخارجية البريطانية والذى سمح بالاطلاع فيه حتى كتابة هذه الأسطر على وثائق عام ١٩٤٥ ٠٠ ولا شك أن هذه الوثائق تمثل أهمية خاصة فقد كانت كل مراكز المعلومات الرسمية وغير الرسمية تصب فى السفارة البريطانية بشكل أو بآخر ومنها تعود لتصب فى شكل تقارير وبرقيات « سرية للغاية » فى وزارة الخارجية البريطانية ٠٠

لكنى أود أن أحذر القارىء والباحث معا من أخذ ما ورد فى هذه الوثائق كمسلمات فهى فقط ليست مملوءة بالأكاذيب بل هى تثبت أيضا عجز أجهزة السفارة – ومن خلفها مصادرها العديدة ومنها البوليس المصرى نفسه – عن الاستدلال على نقاط ارتكاز المنظمات الشيوعية وأساليب عملها والقائمين بها ٠

بل أن وثيقة بالغة السرية ، وبالغة الاهمية أيضا مرسلة من المعتمد البريطانى فى مصر لورد كيلرن الى وزارة خارجيته تحمغ كل هذه الأجهزة بالجهل الفاضح والغفلة التامة ٠

فاذا كنا سنكتشف فى بحثنا هذا أن موجة المنظمات اليسارية الجديدة قد تواجدت بصورة عملية وفعلية بل وفعالة – الى حد ما – منذ عام ١٩٣٩ بل وقبل ذلك أيضا ٠ فانه يصبح من الغريب أن نقرأ الأسطر التالية فى برقية مرسلة من لورد كيلرن الى وزارة خارجيته :

« الارشيف العام »

ملف ٣٧١ – رقم ٩٠٢٩/٤٦٠٠٣ ٠

نسخة خطية – لا يجوز تصويرها أو اعداد نسخ أخرى منها بدون اذن خاص ٠

السفارة البريطانية بالقاهرة رقم ٥٣٦

أبريل ١٩٤٥ ٤٥/٧/١٢٧

« سرى للغاية »

سيدى ..

بالاشارة الى برقيتى رقم ٨٠٨ والمؤرخة فى ٥ أبريل ١٩٤٥ والتى رويت لكم فيهـا ما نقله عمرو باشا لى عن مخاوف الملك فاروق من نشاط الحركـة الشيوعية فى مصر فاننى أتشرف بأن أنقـل الى سيادتكم أن السكرتير الشرقى قـد تناقش حول هذا الأمر مع مدير الأمن العـام الذى أبدى هو أيضا انزعاجه من هذا الأمر لكنه أكـد أنه ليست لديه أية معلومات محددة عن هذا النشاط » ..

وهكذا يشهر كيلرن افلاسه التام أمام رؤسائه ، وهو يعود فى نهـاية تقريره هذا ليطالب لندن بتعيين ملحق عمالى بالسفارة الانجليزية بالقـاهرة ويقـول : « ان مثل هذا الملحق العمالى سوف يكون قادرا على الاتصال بمنظمات الطبقـة العـاملة ، وأن يبقى دوما متعرفـا على نبض العمال » .

ولعل هذه البرقية كافية بذاتهـا للدلالة على مدى فشل أجهزة الأمن البريطانية والمصرية معـا وحتى أبريل ١٩٤٥ على الاقل فى التعرف على أيـة معلومات عن حركة المنظمات الشيوعية فى مصر ...

فاذا أضفنا الى ذلك أن « كيلرن » كان مصابا بما يشبه الحـالة المرضية تجـاه النشاط المحدود للغـاية للسيد عبد الرحمن سلطانوف القنصل السوفيتى فى القـاهرة بحيث تصور ـ ويا للغرابة ـ أنه خلف كل تحرك فى مصر حتى تحركات الاخوان المسلمين ومصر الفتـاة وحزب الكتلة ( كما يتضح من تقاريره الى وزارة خارجيته ) فاننـا نوشك ألا نجـد فى هذه الوثائق ـ وبرغم الجهد الذى بذلنـاه فى الحصول عليهـا ـ سوى القليل من الفـائدة .. لكنه حتى هذا القليل كان ضروريا لاستكمال الصورة العامة ..

ومن المصادر الاولية أيضا مجموعة الأوراق القضائية ( أوامر القبض ، محاضر تحقيق النيابة ، ملفات القضايا ، محاضر اطلاع النيابة على المضبوطات ، حيثيـات الاحكـام ) فى عديد من القضايا الهامة والتى أمكننـا الحصول عليها وكانت ذات فائدة جمة فى استكمال بعض جوانب بحثنـا ..

وهناك أيضا مجموعات صحف ومجلات اليسار ونشراته العلنية ونصف العلنية وقـد أفادتنـا كثيرا فى التعرف ليس فقط على اتجـاهات المنظمـات والتجمعات الشيوعية وانما أيضـا فى التعرف على الكثير من الاسماء التى سعينا للبحث عن أصحابها أملا فى اجراء حوار معهم ..

وهناك كذلك مجموعات الصحف والمجلات الاخرى التى صدرت فى هـذه الفترة .. وهى برغم كثرتهـا ـ والجهـد الكبير الذى تطلبته محاولة البحث فيهـا ـ كانت ذات فائدة جمة فى تقـديم العـديد من المعلومات والأخبـار ،

وفى ارشادنا الى عديد من تواريخ الأحداث الهامة ، كذلك فى تقديم العديد من الأسماء فيما نشرته من أخبار عن عمليات القبض على الشيوعيين والتحقيق معهم .

وفوق هذه المصادر الأولية وغيرها ظلت محاولات البحث مفتوحة طوال السنوات التسع فى مختلف الاتجاهات أملا فى العثور على أى خيط يقودنا الى أى جزء من أجزاء الحقيقة التى نبحث عنها ..

***

ولست أدعى أننى قمت بكل ما كان يجب القيام به ..

ولست أزعم أننى انتزعت من غياهب المجهول كل أجزاء الحقيقة ، أو أننى استنقذت من الضياع كل ما هو ممكن من المعلومات والأوراق ..

لكننى والتسع سنوات بذلت كل ما أستطيع .

ولم يكن ذلك سوى مجرد بداية ، فحتى بعد تجميع هذه المعلومات تبقى الحيرة الأساسية فكيف يمكن لمثلى أن يخوض تجربة الكتابة عن صراعات وخصومات كان بشكل وبآخر منحازا لأحد أطرافها .

ولست أريد أن أقرر أننى التزمت بالموضوعية التامة أو بالحياد المطلق .. فليس ثمة حياد تام فى موقف الكاتب السياسى أو حتى المؤرخ الاكاديمى .

لكننى مع ذلك حاولت قدر طاقتى أن ألتزم بأكبر قدر متاح من الموضوعية والتجرد ، فأنا لم أكتب هذا الكتاب دفاعا عن تيار بعينه أو ادانة لتيار آخر .

أنا مجرد باحث عن الحقيقة فى خضمها المتلاطم ، محاولا أن أستنقذ من الضياع أكبر قدر متاح من نشاط يسار هذه الفترة ، كل يسار هذه الفترة بمختلف اتجاهاته التى أتفق معها والتى اختلف ..

كانت هذه غايتى .. ومحور اهتمامى ..

فان وجد البعض شبهة تحيز أو انحياز فى كلمة أو سطر فهى بالضرورة أمر غير مقصود .. فأنا لم أكن أكثر من باحث عن الحقيقة ، سباع لاثباتها على الورق واستنقاذها من الضياع ..

ولقد حرصت على أن أتيح لممثلى كل المنظمات والاتجاهات فرصة تقديم أفكارهم ومعلوماتهم ووجهات نظرهم ، ولقد استخدمت ما قدمه لى الجميع استخداما أعتقد أنه متوازنا ، بمعنى أننى لم أتحيز فى اختيار ما قدم لى من معلومات ، وانما أخذت ما اعتقدت أنه أقرب الى الصحة وأكثر اقترابا من الحقيقة ،ولعلى فى يوم قادم أستطيع أن أقدم للقارىء النصوص الكاملة وكل ما قاله هؤلاء الأشخاص ومن مختلف المنظمات ..

وعلى أية حال ، فان المؤرخ أو السياسى أو كلاهما لا يمكنه أن يقف مجردا من المشاعر والأحاسيس تجاه موضوعات بحثه ، فلا بد له من أن يتعاطف ومن أن يرفض ، لا بد لمشاعره وفكره من أن يترك بصمات ولو قليلة على اختياراته وتحليلاته ، لكن المهم هو أن تتحرك المشاعر باتجاه موضوعى فتعطف على ما تعتقد مخلصة أنه صحيح بغض النظر عمن قام به ..

***

واذا كان الفضل الاكبر يعود الى هؤلاء الرجال البواسل الذين صنعوا الأحداث .. وخاضوا المعارك ولم يكن لنا تجاههم من فضل سوى السير فى طريق نحتوه فى صخر صلد ..

فاننى أود أن أشيد بفضل هؤلاء الرجال الذين فتحوا لى قلوبهم وعقولهم وذكرياتهم لنبحث فيها معا عن الحقيقة ، وقد تطلب ذلك منهم صبرا وجهدا بدونه لم أكن بقادر على أبدأ الكتابة ..

ولا بد لى أيضا أن أشعر بالعرفان لهؤلاء الذين ظلوا لاكثر من ربع قرن يحتفظون فى اصرار غريب بورقة أو قصاصة أو نشرة أو تقرير ... كانت مجرد حيازته تمثل خطرا داهما بالسجن لسنوات طويلة ، لكنهم مع ذلك تشبثوا بما فى أيديهم من أوراق ، لعله تشبث « الصوفى » بمسبحته أو المحب بتذكار عزيز لمحبوبة غالية ثم عادوا فقدموا لى ما تحفظوا عليه طواعية وعن طيب خاطر وفى سبيل البحث عن الحقيقة ..

***

وأخيرا ..

لقد قلت أن هذا البحث ليس سوى جملة اعتراضية ، ولقد استخدمت هذا التعبير مدركا ماذا يعنيه بالنسبة لى .. فهو يعنى أن أواصل البحث سعيا لاستكمال اطار الحقيقة لفترة لاحقة .

وليس أمامى - على أية حال - سوى أن أواصل المحاولة ..

**القاهرة - يونيو ١٩٧٦**

١ ـ لماذا ... ثلاث مرات ؟

١ ـ لماذا تصاعدت موجة الحركة الشيوعية فى مطلع الأربعينات ؟

٢ ـ لماذا تواجد الأجانب واليهود بكثرة فى صفوفها ؟

٣ ـ لماذا نشأت الحركة الشيوعية منقسمة ؟

ان عملية تحليل ثمرة الجـوز ،
تعنى - أولا وقبـل كل شىء -
محاولة كسرها •

هيجـل

## لماذا تصاعدت موجة الحركة

## الشيوعية فى مطلع الأربعينات ؟

فى الثلاثينيات كانت مصر تمشى فوق شوك شديد الصلابة ، وكان شعبها يعانى ، ذلك النوع من المعاناة الذى يفجر السخط ، ويتحول بالسخط الى أزمة ثورية وصراع طبقى محتدم .

كانت الأزمة الاقتصادية طاحنة .

وكانت الأزمة السياسية خانقة ..

وبدت الأمور فى أحيان كثيرة وكأن مصر عاجزة عن أن تتنفس .

لكن الأزمات الخانقة عندما تجتاح بلدا كمصر ، فانها تتركه فى حالة هى مزيج من الاحتضار المؤلم للقديم الممتزج بولادة عسرة ، وتصبح الأزمة ايذانا بميلاد جديد .

وبينما كان الجو الخانق يدفع بالكثيرين الى التشاؤم الحاد ، ويقذف بالبعض نحو نزعات جديدة هى فى ذاتها مجرد محاولة يائسة للهرب من أزمة النظام شبه المستعمر ليس باتجاه النضال الثورى والطبقى والتحررى وانما باتجاه تهويمات شبه فاشستية أو دينية ...

بينما كان اليأس يلف السياسيين من أبناء البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، كان اليسار يرى فى خلجات المعاناة ايذانا بفجر مد ثورى عازم .

يقول أفيجدور(*) « أن المد الثورى فى مصر والذى يتضمن الكثير من مقدمات التصاعد نحو أزمة ثورية ، هو كما سبق أن أوضحنا نتيجة للأزمة الاقتصادية الحادة والعميقة والتى لم يسبق لها مثيل ، والتى تعانى منها مصر منذ عدة سنوات »(١) .

---

(*) أفيجدور – اسمه الحقيقى يهيل كوسى . كان لفترة من الوقت أحد المسئولين فى قسم الشرق الاوسط بالكومنترن ، وقد أقام لفترة فى مصر . حيث قبض عليه وحوكم بالسجن ثلاث سنوات .

(١) مجلة ريفولو سيونى فوستوك ( الشرق الثورى ) مقال الأزمة والمد الثورى فى مصر – بقلم أفيجدور العدد ٢ لعام ١٩٣٢ ص ١٠٢ ( الطبعة الروسية ) .

وبينما كان الكثيرون وخاصة من أبناء البرجوازية الصغيرة يقامرون على التشكيلات الشبه فاشستية وعلى النزعات الدينية ·· كان الشيوعيون يركزون انتباههم على الطبقة العاملة ·· ويلمحون فى صفوفها بوادر وعى جديد يمكنه أن ينتقل بنضالها نحو مرحلة جديدة · ويقول أفيجدور أيضا « أن البروليتاريا المصرية التى تمرست خلال أعوام ثورة ١٩ ـ ١٩٢١ فى الاضراب السياسى قد لجأت الى هذا السلاح أكثر من مرة » ··

غير أن البروليتاريا وبرغم أنها كانت هى والفلاحين القوى الأساسية والمحركة للثورة ، الا أنها لم تستطع الانتقال الى مرحلة الهجوم الثورى المستقل « ذلك أنها كانت أسيرة لأيديولوجية البرجوازية الوطنية الاصلاحية ·· لقد أوضحت معارك مايو ١٩٣١ أن البروليتاريا المصرية ممثلة فى فصيلتها الامامية ـ عمال ورش السكك الحديدية وعمال النقل فى مدينة القاهرة ـ قد بدأت فى التحرر من هذا الأسر الايديولوجى ، لقد استطاعت بوثبة واحدة عظيمة حشدت فيها كل طاقاتها الطبقية والثورية أن تسبق وبمسافة واسعة زعماءها المفروضين عليها من معسكر الخيانة الوطنية ، والذين يبذلون أقصى جهدهم لتوجيه هذه الطاقة الهائلة الى مجرى التظاهرات السلمية ( التى ليس لها أسنان) والتى تهدف الى مجرد الدفاع عن « الدستور والديمقراطية » العزيزين على قلوب هؤلاء الزعماء ·

ان الأيام الدامية فى يوليو ١٩٣٠ ، ومايو ١٩٣١ ، لم تكن مجرد جزء من لعبة التغييرات الوزارية التى أصبحت بشكل ما عملية عادية فى الحياة السياسية فى مصر خلال الاعوام الاخيرة ، وانما كانت بداية للانتقال بكل المعركة الثورية التحررية الى مرحلة أعلى »(١) ·

وهكذا تتحدد الخطوط العامة لدراستنا هذه ··

ندرس الأزمة كمفتاح لفهم الانطلاقة الثورية ··

ونتابع الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية كسبيل لالتقاط خيط النضال البروليتارى المستقل ومتابعته خطوة خطوة حتى ينمو فى الأربعينات حركة طبقية منظمة ومتسعة الفعل والنشاط ·

***

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ ·

## أزمة اقتصادية .. بغير مخرج :

والزراعة وهي المحور الأساسي للاقتصاد القومي كانت تعيش هذا الجو المختنق بكل أبعاده فالقطن المحصول الرئيسي ، والذى كان مصدر اثراء غير محدود للمستعمرين الانجليز ، أصبح عبئا ـ غير محدود أيضا ـ على الفلاح المصرى .

كانت انتاجية الفدان من القطن تتدهور ..

(١)

| السنوات فى المتوسط | انتاجية الفدان من القطن ( بالقنطار ) |
|---|---|
| ١٨٩٥ ـ ١٩٠٠ | ٤٧ر٥ |
| ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ | ٢٦ر٤ |

وذلك برغم اضطرار الفلاح الى استخدام كميات مضاعفة من الأسمدة الكيماوية ، ففى عام ١٩٣٧ كان الفلاح « يستعمل فى المتوسط ٥٩ كيلو جراما من السماد الكيماوى لكل فدان مزروع فى حين لم يكن يستخدم فى عام ١٩٠٢ الا ١ر٠ كيلو جرام فى المتوسط »(٢) .

واذا كان ذلك يعنى ارتفاع التكلفة ، وقد ارتفعت لأسباب أخرى فان أسعار القطن كانت تتدهور فقد انتهت تلك الايام الذهبية التى كان فيها القطن مصدر ثراء وافر .

« متوسط أسعار القطن ( السكلاريدس ) »

« خلال فترة موسم القطن سبتمبر ـ يونيو »

---

(١) مريت بطرس غالى ـ سياسة الغد ـ ص ٤٦ .

(٢) المرجع السابق . ص ٤٨ .

(١)

| السنة | سعر القنطار ( بالدولار ) |
|---|---|
| ١٩ ـ ١٩٢٠ | ١٠٩ر٩٦ |
| ٢٤ ـ ١٩٢٥ | ٥٤ر٩٩ |
| ٢٥ ـ ١٩٢٦ | ٣٧ر١٢ |
| ٢٧ ـ ١٩٢٩ | ٣٥ر٢٢ |

ولم تكن اقتصاديات الفلاح تعانى فقط من هذا الهبوط المستمر فى اسعار محصوله الرئيسى ، فالمعاناة كانت تتضاعف بسبب انتشار المضاربة ( هبوطا وصعودا ) فى بورصة القطن لصالح حفنة من المضاربين معظمهم من الاجانب ٠٠

فالاسعار لم تكن ذبذبتها تحتسب بالموسم أو حتى بالشهر وانما باليوم والساعة فمثلا نجد « أنه خلال شهر واحد من ١٤ فبراير ١٩٣١ وحتى ١٢ مارس ١٩٣١ هبط سعر قنطار القطن ( ساكلاريدس ) من ١٧ر٠٦ دولار الى ١٦ر٩٠ دولار » ٠

بل لقد تدهور سعر القطن فى يناير ١٩٣١ ليصل الى رقم مخيف ١٣ر٣٠ دولار للساكلاريديس وحوالى ٩ دولارات للاشمونى(٢) ٠

وكان طبيعيا بعد ذلك أن تثقل الارض الزراعية بالديون بحيث قدر أحد الباحثين أن « غالبية الاملاك العقارية مستغرقة بالديون وقدر اجمالى الديون بعشرة ملايين جنيه ، لكن جريدة المقطم سارعت بالرد عليه معلنة أن الديون العقارية لا تقل عن ٤٠ مليونا من الجنيهات »(٣) ٠

---

(١) مقال أفيجور مجلة ريفالوسيونى فوستوك ( الشرق الثورى ) المرجع السابق ٠ ص ١٠٣ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ١٠٤

(٣) فلينى فهمى باشا ـ آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ـ مطبعة المجلة الجديدة ـ مايو ١٩٣٣ ـ ص ١٠

وثمة دراسات أخرى تقــول « أن المتأخرات التى تراكمت على المدينين قــد بلغت عام ١٩٣٣ رقما يصل الى ٦٫٢١٧٫٣٣٩ جنيه عن قروض قيمتها ٢٣٫٤٦١٫٢٧٩ جنيه ٠ وهنا اتفقت الحكومة ( مارس ١٩٣٣ ) مع البنــوك العقــارية على تجميد كل المتأخرات التى حلت فوائدها ومد آجال الديون ٠٠ وفى عام ١٩٣٥ تم الاتفــاق مع البنــك العقــارى المصرى على ألا يزيد الدين الذى يتحمله الفدان عن ٤٥ جنيه وما يزيــد عن ذلك يؤجل استهلاكه حتى نهــاية السلفة ، ٠٠٠ وفى عام ١٩٣٩ حلت مشكلة المدينين الذين تزيد التزاماتهم عن ٧٠٪ من قيمة أرضهم فخفضت هذه الالتزامات الى ٧٠٪ من قيمة العقار»(١)

ولأن المشكلة كانت تهم كبار ملاك الاراضى ـ فى الاساس ـ فقــد تفرغ لدراستها الكثيرين من المفكرين والكتاب ، بل لقــد بدأ « الباشوات » أنفسهم فى دراستها ، وأصبح من المــألوف أن يظهر لقب « باشا » على أغلفة الكتب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ٠

ويورد محمد على علوبة « باشا » الاحصاء التالى :

**قيمة الأراضى والمنازل التى نزعت ملكيتها بسبب الديون(٢)**

| | عام ١٩٣٧ | عام ١٩٣٨ | عام ١٩٣٩ |
|---|---|---|---|
| بطلب أفراد | ١٫١٥٢٫٨١٩ | ٦٨٩٫٣١٣ | ٦٤١٫٤٨٤ |
| بطلب بنوك | ٧٩٢٫٥٣٥ | ٤٧٨٫٥٢٦ | ٥٨٦٫٥٦٥ |
| بطلب الحكومة | ١٢٫٤٢٤ | ٣٫٧٠١ | ١٨٫٢٠٧ |
| المجموع | ١٫٩٥٧٫٧٨٨ | ١٫١٧١٫٥٤٠ | ١٫٣٤٦٫٢٥٦ |

وبما أن المشكلة كانت ـ كما قلنــا ـ تخص كبار الملاك قــد تحمست الحكومة لحلهــا وتحملت فى ذلك أعباء دفعت أحــد الباحثين المحايدين الى ملاحظة أن الحكومة قــد أنفقت « ١٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه لاجل تنظيم دفع الديون العقــارية ، أى لأجل انقــاذ كبــار الملاك النين لا يتجــاوز عددهم

---

(١) د٠ راشد البراوى ، محمد حمزه عليش ـ التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ٠ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة ( ١٩٤٨ ) ـ ص ٢٥٠ ٠

(٢) محمد على علوبة باشا ـ مبادىء فى السياسة المصرية ـ مطبعة دار الكتب ـ ص ٥١ ٠

١٣٫٠٠٠ ، وهذا معنـاه أن كل واحـد من هؤلاء المختازين قـد نال ١٠٠٠ جنيه دفعتها له الخزينة بحجة حماية الثروة الزراعية »(١) ٠

وما أن قامت الحرب العـالمية الثانية حتى نشأت مشكلات أخرى أكثر تعقيـدا فقـد تناقصت كميات الاسمدة المستوردة نظرا لصعوبات النقل البحرى وأجبر المستعمرون مصر على اتبـاع دورة زراعية غير ملائمة تستهدف زيـادة انتـاج القمح والحبوب قـدر الامكـان لتغطية احتياجات قوات الحلفـاء من المحاصيل الغذائية ٠

وأدى ذلك ـ بطبيعـة الحال ـ الى المزيـد من تدهور انتاجية الارض الزراعية ٠٠

انتاجية الفدان وفقـا للمحاصيل ( بالأردب )(٢)

| السـنـة | القمـح | الشـعير | الذرة الشامية |
|---|---|---|---|
| ٣٨ ـ ١٩٣٩ | ٦٫١٥ | ٧٫٥٥ | ٧٫٠٣ |
| ٤٠ ـ ١٩٤١ | ٤٫٩٩ | ٦٫٨٦ | ٦٫٠٠ |
| ٤٢ ـ ١٩٤٣ | ٤٫٤٩ | ٦٫٢٥ | ـ |

وقد أستخدم الانجليز فى سبيل ذلك أساليب عديده ، منها تحديد أسعار تعسفية للقطن المصرى تقل كثيرا عن السعر العالمى ( فى عام ١٩٤٠ كان سعر القطن الأمريكى ما يوازى ١٢٫٦٢ ريالا مصريا ثم أرتفع الى ما يوازى ٢٠٫٤٤ ريالا فى عام ١٩٤١ : وكان سعر القنطـار الهندى ١٧٥ روبية ثم قفز الى ٣٣٢ روبية ، بينما عرضت بريطانيا فى عام ١٩٤١ شراء القطن المصرى بسعر ١٤ ريالا فقط ) مضافا الى ذلك أنهـا حرمت مصر من بيع قطنها الى جميـع الأطراف المحايدة أو المحاربه(٣) ، كذلك ضغطت لانقاص المساحة المنزرعة قطنا

---

(١) الأب هنرى عيروط اليسوعى ـ الفلاحون ـ ترجمة د٠ محمد غلاب ـ الطبعـة الثانية ـ مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ـ (د٠ت) ٠ ص ١٢٦

(٢) مجلس الشيوخ ـ مجموعة مضابط دور الانعقـاد العادى السادس عشر ـ مضبطة جلسه ٨ سبتمبر ١٩٤١ خطـاب يوسف الجندى ـ ص ٨٢٢ـ٨٢٤

(٣) د٠ عبد العظيم رمضـان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٨ ـ الجزء الثانى ـ دار الوطن العربى ـ بيروت ـ ص ١٦١ ٠

وألحت فى انقاص المساحة المنزرعة قطنا الى الثلث والتوسع فى زراعة الحبوب(١) .

« وفى عام ١٩٤١ أخطرت إنجلترا الحكومة المصرية أنها غير مستعدة لشراء أكثر من نصف محصول القطن الجديد ، وبنفس أسعار العام السابق ، ولما كانت الحكومة المصرية قد قررت رفع سعر قنطار القطن بمقدار ريالين ، فأنها قد تحملت وحدها هذا الفرق عن المحصول كله ، كما كان عليها أن تمول شراء النصف الباقى من المحصول ، ولم تجد وسيلة لذلك سوى اصدار قرض قدره ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات طرحته على دفعتين »(٢) .

ومن الطريف أن الصحف البريطانية قد حاولت تبرير فرض هذا السعر المنخفض قائلة « ان رفع أسعار القطن لا يفيد سوى حفنة من الباشوات » وقد أثار ذلك قلق هؤلاء الباشوات وهاجمت جريدة الوفد المصرى هذا المنطق قائلة « لمصلحة من يريدون بذر بذور الشقاق بين هذه الطبقات ، واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلقت بال أمم كثيرة ، ومصر بقيت ناجية منها الى الآن بفضل الله »(٣) .

ورد « الباشوات » الصاع صاعين للانجليز فاتهم أحدهم الانجليز بأنهم « لا يتأثرون الا بمصلحتهم وبمصلحتهم وحدها » وأن سياستهم فى شراء القطن لا تقوم فقط على تحقيق مصالحهم الذاتية وانما « على سياسة افقار الشعوب المحكومة »(٤) .

وقد أدى انخفاض أسعار القطن ، وعدم القدرة على تصريفه ، واستحكام أزمة الانتاج الزراعى الى بروز أسلوب جديد من الاستغلال أدى الى القاء عبء الازمة على صغار المزارعين ... وهو أسلوب المضاربة بالأراضى الزراعية .

---

(١) د. يوسف نحاس ـ القطن فى خمسين عاما ـ دار النيل للطباعة (١٩٥٤) ص ٤٧٧ ـ ٤٣٨ .

(٢) د. عبد المنعم فوزى ـ مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث ـ دار المعارف (١٩٥٦) . ص ١٧٦ .

(٣) الوفد المصرى ـ ١٩٤١/٨/٢٣

(٤) مجلس الشيوخ ـ المرجع السابق ـ ص ٨٢٤

« فقد كان استئجار الاراضى الزراعية ثم اعادة تأجيرها أكثر ربحا بالنسبة لكبار ملاك الأرض فى مصر من زراعتها بالطرق الحديثة ٠ وكان تأجير الارض بوجه عام هو أربح العمليات السائدة فى البلاد »(١) ٠

وارتفع عدد المستأجرين للاراضى الزراعية الى مليونى شخص(٢) ٠ ولم يكن أمام هؤلاء المستأجرين من أمل فى الخلاص من هذا الاستغلال البشع فقد كان على « المستأجر الصغير أن يدخر حوالى ٢٣٥٠ جنيها اذا أراد أن يمتلك خمسة أفدنة ( بأسعار عام ١٩٤٧ ) وكان هذا فى حكم المستحيل نظرا لارتفاع قيمة ايجارات الأرض التى كان يستأجرها من ناحية ، وثقل الديون العقارية من ناحية أخرى » (٣) ٠

أما العامل الزراعى ، فقد كان الطريق أمامه مسدودا تماما ـ هو أيضا ـ وبصوره أكثر استحالة كى يتخلص من وضعه اللا أنسانى فقد « بلغت ضآلة أجور العمل الزراعى حدا استحال انتقال عمال الزراعة الى مصاف الملاك ، اذ كانت قيمة الفدان فى عام ١٩٤٥ مثلا تعادل أجر عمل ٣٣٣٣ يوما أى عمل عشر سنوات متصلة بفرض أن العامل يعمل طوال السنة ويدخر أجره ولا ينفق منه شيئا»(٤) ٠

وهكذا أصبحت ملكية الأرض نهبا للاغنياء وازداد تركز الملكية الزراعية فى أيدى حفنة من كبار الملاك وارتبكت خريطة الملكية الزراعية بصورة واضحة « ٢٫٣٠٨٫٩٥١ مالكا لا يملك كل منهم أكثر من فدانين ومجموع ملكياتهم ٦٢٠٫٢٣٠٫١ فدانا ، أى أن ٨٤٪ من الملاك يملكون ٢١٪ من الأرض ٠٠ بينما ١ من ٠٠٠٠٠٫١٠٠ من الملاك يملكون حوالى ١٠٪ من الارض »(٥) ٠

---

1) Ph.d. Abhel razek m. Hassan- some U.A.R economic features , Cairo, 1970, b,y.

2) Ibid. , p:6

3) Doreen warrlner- land reform and development in the middle east (1962) P.29.

(٤) د٠ جمال الدين محمد سعيد ـ التطور الاقتصادى فى مصر منذ الكساد العالمى ـ ص ١٢٨ ٠

(٥) المذكرة الايضاحية للمرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى ٠

راجع أيضا لمزيد من التفاصيل :

* سيد مرعى ـ الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى ـ ص ٣٤٨ وما بعدها ٠

وكان البؤس هو المحصلة الطبيعية لذلك كله .. ولم يكن هذا البؤس خافيا على أحد بل تحدث به حتى كبار الملاك أنفسهم ، ويورد الأب عيروط مقطعا من خطاب لعلى الشمسى باشا يقول فيه « اننا لا نعانى من كوارث عديدة يمكن حلها واحدة بعد الاخرى ، لكننا نعانى من كارثة واحدة أساسية هى تدهور مستوى معيشة الفلاحين الى درجة تدمى كل المشاعر الانسانية وتشين كرامة وطننا »(١) .

واذا كان أحد « الباشوات » قد اضطر الى الاعتراف بذلك ، فماذا بقى أمام الفلاح نفسه .. ؟ .. وعلى أية حال فان دراسات مفكرى اليسار فى هذه الفترة قد تجاوزت النظرة الجزئية أو العاطفية ولمست الجذر الحقيقى للمشكلة « ان أزمة الانتاج الزراعى فى مصر ليست أزمة طارئة أو مؤقتة ، لأنها نابعة من التركيب الاجتماعى ذاته ، ومن وضع البلاد كمستعمرة تقوم بدور المنتج الزراعى لصالح الدولة الاستعمارية الامر الذى جعل النهب المالى يتخذ طابعا « خاصا » وحادا بصورة لا يمكن تصورها ، خاصة وأن سلطة أصحاب البنوك والاقطاعيين والمرابين المكرسة لنهب الفلاحين تؤدى الى استنزاف كل الموارد الحيوية فى البلاد ، والى الافلاس الكامل ، وضرب كل الحقوق الاساسية للجماهير »(٢) .

هذا عن اقتصاديات الريف ، فماذا عن المدينة ؟ .

واذا تحدثنا عن الصناعة ، فان هناك مقولة ترددت دوما فى كتب التاريخ الحديث ، كما ترددت فى كتب الاقتصاد والسياسة والاجتماع تقول أن الصناعة المصرية قد نشأت فى غمار نضال « وطنى » شنته البرجوازية المصرية ضد معوقات الاحتلال الأجنبى .

وليس من شك فى أن هذا القول فيه بعض الصحة ، كما أن فيه ايضا بعض الخطأ .. ووجه الخطأ فيه أنه يتجاهل دور الرأسماليين الاجانب وأشباه الأجانب والمتمصرين فى عملية البناء الرأسمالى المصرى .

---

1) Henry Habib Ayrout — The Egyptian Peasant — Translated by John Alden Wiliams — Press Bostrom (1968) PP. 149.

(٢) مقال أفيجدور بمجلة « زيفولوسيونى فوستوك » ( الشرق الثورى ) — المرجع السابق — ص ١٠٤ .

فالذى لا شك فيه أن أجهزة هذا البنـاء وهى المصارف وبنوك التسليف والرهن والبورصة والمضاربات المختلفـة قـد نشأت فى أغلب الاحيـان بأيدى هذه الفئة من الاجـانب والمتمصرين ، وظلت والى أمد طويـل وربمـا حتى الأربعينات احتكـاراً أو شبه احتكـار لهم ٠٠ لقـد « كـانت البورجـوازية الكبيرة كما تبدو غداة الحرب العـالمية الثانية تنقسم الى فرعين يميز بينهمـا أصلهما التاريخى ٠٠ أما الفرع الاكثر قـدما أى فرع المتمصرين فلم يكن مصريا فى الاصل بل أوربيـا أو شرقيـا نال الجنسية المصرية فيما بعـد ( يونانيون ـ أرمن ـ يهود من مختلف الأقطـار ٠٠ الخ ) هذا الفرع الذى دخل مصر مع انفتاحها على السوق العـالمية ، ظل يسيطر فيهـا أو يكاد وحتى ثورة ١٩١٩ على أغلب مراكز النشاط الاقتصادى غير الزراعى التى أفلتت من السـيطرة المباشرة للاجـانب ( الشبكات المـالية المكملة للاطار المـالى الاوربى ، عمليات البورصة ، العمليـات التى لم تكن تجذب رأس المـال الاجنبى فى حقلى التصدير وتجارة الجملة ) ٠

وكان هذا الفرع هو النخبة المحلية من رجال الأعمال التى كانت السلطة الاستعمارية ترتكز عليها والتى لم تكن لتستطيع أن تتبع الا لهذه السلطة ، لأنها لم تكن تملك قاعدة داخلية صلبة ، وكانت مقطوعة الصلة تماما عن الأمة المصرية ، هذه النخبة قطعت الطريق اذن ، فى أول الأمـــر ، على نمو برجوازية أعمال ذات طابع وطنى تاريخيا ٠٠ وعندما أخذت هذه البورجوازية بالنمو ـ فيما بعــد ـ تمت على أرض المتمصرين « الكوزموبوليتيه » وكانت فى معظم الأحيان على احتــكاك بهم ، فلم تستعر تجربتهم فحسب ، بل استعارت أيضا ثقافتهم وأساوب حياتهم ، أما برجوازية الأعمال المصرية فعلا فهى ـ فى جملتها ـ من أصل ريفى ، ذلك أن الفـائض المصرى القـابل للتوظيف خارج الزراعة لم يكن يمكن أن يأتى فى الاصل الا من الريف ، أى من المـلاك العقـاريين الكبـار »(١) ٠

واذا شئنا المزيـد من الايضاح الرقمى لهذه الفكرة لوجدنا العديد من الاحصاءات والحقـائق ٠٠ لقـد ظل رئيس اتحـاد الصناعات وبشكل شـبه مستمر أجنبيـا أو متمصرا ، كذلك ظلت هيمنة الاجانب معترفـا بهـا من الجميع على سوق الأوراق المـالية وبورصة القطن ٠

---

(١) محمود حسين ـ الصراع الطبقى فى مصر من ١٩٤٥ الى ١٩٧٠ ـ ترجمة عباس بزى ، وأحمد واصل ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ أبريل ١٩٧١ ٠ ص ٣٩ ٠

وكان نصيب المصريين فى الشركات المشكلة من عام ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٣٩ هو ٤٧٪ ونصيب الاجانب ٥٣٪ من رءوس أموال تلك الشركات(١) فاذا أضفنا الى ذلك أن نسبة كبيرة من نصيب « المصريين » كانت فى أيدى « المتمصرين » من الاجانب أدركنا مدى هيمنة الأجانب أو أشباههم على أسلوب تفكير ومعاملات ومنطلقات الرأسمالية فى ذلك الحين ٠

واذا كان البعض قد اهتم - لأسباب سياسية - بدراسة مدى هيمنة اليهود وكانوا فى غالبيتهم الساحقة من الاجانب أو المتمصرين على الاقتصاد المصرى فى ذلك الحين فان الارقام التى تحتويها هذه الدراسات يمكنها أن تعكس - بعضا - من نفوذ فئة المتمصرين والاجانب على أبنية النظام الرأسمالى ٠

فقد قيل أن ٩٨٪ من العاملين فى البورصة المصرية كانوا من اليهود(١) وقيل أيضا « أنه فى عام ١٩٤٦ كان الرأسماليون اليهود يشاركون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ شركات هى كل الشركات الموجودة فى مصر آنذاك ٠ وفى ميدان النشاط المالى ساهم اليهود فى انشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين وأهمها البنك العقارى المصرى ، البنك الاهلى المصرى، البنك البلجيكى ، البنك التجارى المصرى ، شركة الاسكندرية للتأمين ، شركة التأمين الأهلية »(٢) ٠

كذلك فان « أسرا من أصل أجنبى مثل قطاوى ، هرارى ، موصيرى ،

---

1) Dr: Rashid Al-Brawy — Economic Development in the U.A.R (Egypt) Cairo; 1970,p.449.

ولمزيد من التفاصيل راجع :

دكتور أيغور بيليايف ، دكتور أفغينى بريماكوف - مصر فى عهد عبد الناصر - أشرف على تعريبه عبد الرحمن الخميسى - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الأولى ، آذار ( مارس ) ١٩٧٥ ٠ ص٧ وما بعدها ٠

(١) د٠ على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية - يهود البلاد العربية - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - دراسات فلسطينية - ٨ يونيو ١٩٧١ ٠ ص ٦٢ ٠

2) Murry Harris — Egypte under Egyptians - London 1952 P. 163

كوربيل ، سوارس ، وقد لعبت دورا هاما فى النشاط الزراعى والعقارى والمصرفى والصناعى(١) » •

وفى دراسة أكاديمية متخصصة نطالع التقييم التالى « يمكن القول بصفة عامة ان الرأسمالية المصرية العائلية من منطلق الحرص على مصالحها قد لعبت دورا بارزا فى تعميق التبعية للرأسمالية العالمية ولا سيما فى علاقتها مع الرأسمالية الاجنبية وقد اتضحت معالم تلك العلاقة فى الجوانب التالية :

( أ ) الارتباط الشديد بين رجال الدولة وبين العناصر الأجنبية ، اذ حرصت هذه العناصر على الاستعانة بهم من أجل انجاز مصالحها وبذلك انخرط كبار رجال الدولة فى عالم الاعمال اما لانهم من كبار الملاك الذين يديرون أعمالا ويسيطرون على السلطة بحكم ما لديهم من ثروة ، واما لأنهم قد تم استقطابهم من قبل العناصر الأجنبية والمحلية للاستفادة من سلطاتهم ونفوذهم ومن أمثلة هؤلاء اسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى ، وحسين سرى ، وأحمد زيور ، ومحمد حافظ رمضان ، ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه العناصر فى عضوية مجالس ادارة الشركات قد أثبت كيف استطاعت الرأسمالية الاجنبية ان تضم الى صفوفها كبار الاقتصاديين والمنظمين وربطتهم بعملياتها ومشروعاتها •••

---

1), Gabriel Bear-A History of Landownership in modern Egypt, 1800-1950 (London—1952) P. 130

لمزيد من التفاصيل راجع • د• رفعت السعيد ـ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية • دار الفارابى بيروت ( أيلول ١٩٧٤ ) ( الكتاب الثانى من هذا المجلد ) •

كذلك يمكن التأكد من هذه الظاهرة من مجرد مراجعة قوائم الخاضعين لقوانين الاصلاح الزراعى المتعاقبة وقوائم الذين خضعوا لقوانين التأميم ، فان هذه المراجعة تكشف عن تواجد نسبة كبيرة من الاسماء الاجنبية فى كلتا القائمتين ( المؤلف ) •

(٢) سامية سعيد امام ـ الرأسمالية المصرية ( مقال ) ـ مجلة اليقظة العربية ـ ابريل ١٩٨٧ •

(ب) المشاركة بين رجال الاعمال المصريين ورجال الاعمال الاجانب والخلط بين المال العام والمال الخاص الامر الذى عمق من تبعية الاقتصاد المصرى للاقتصاد الرأسمالى ..

وكان من الطبيعى أن تكون محصلة هذا الوضع الاجتماعى الاقتصادى السياسى الذى تتربع فيه قلة على قمة الهرم الاجتماعى المصرى مستحوذة على السلطة والثروة معا ، أن يسود نمط لتوزيع الدخل يحابى أصحاب الثروات من مصريين وأجانب ضد أولئك الذين لا يملكون » .

وباختصار ، نريد أن نقول ان نمو البرجوازية المصرية قد تسم بطابعين مميزين :

١ ـ أنها قد نمت فوق « وسادة » الأبنية المصرفية والرأسمالية الأجنبية والمتمصرة وفى علاقة وثيقة معها .

٢ ـ أنها نمت كامتداد لفئة كبار الملاك العقاريين .

وكان لا بد لهذه الوضعية من أن تنعكس على هيمنة الشخصيات الممثلة لكبار الملاك الزراعيين على مفاتيح السلطة فى المجتمع ، واستمرار هذه الهيمنة برغم التطور الرأسمالى فى البلاد ..

فاذا ما نظرنا فى تركيب مجلس الشيوخ نجد أن نسبة كبار الملاك الزراعيين فيه كانت كما يلى(١) :

| مجلس الشيوخ وتاريخه | مجموع الاعضاء | عددكبار الملاك | نسبتهم |
|---|---|---|---|
| الهيئة الأولى ٢٤ ـ ١٩٣٠ | ١٧٨ | ٨٨ | ٥٠٪ |
| الهيئة الثانية ٣١ ـ ١٩٣٤ | ١١١ | ٥٧ | ٥١ر٣٩٪ |
| الكيئة الثالثة ١٩٣٦ | ٢٩٩ | ١٥١ | ٥٠٪ |

أما فى مجلس النواب فان الامور لم تكن أفضل حالا ٠٠ فاذا أخذنا الدورات البرلمانية الخمس الأخيرة من الحياة النيابية فى مصر فيما قبل ثورة يوليو وهى الدورات من السادسة ( ٣٦ ـ ١٩٣٨ ) حتى العاشرة ( ٥٠ ـ ١٩٥٢ )(١) ٠

نجد ما يلى :

| الهيئة النيابية وتاريخها | مجموع النواب | عددكبار الملاك منهم | نسبتهم |
|---|---|---|---|
| السادسة ( ٣٦ ـ ١٩٣٨ ) | ٢٣٢ | ١١٢ | ٥ر٤٨٪ |
| السابعة ( ٣٨ ـ ١٩٤٢ ) | ٢٦٤ | ١٣١ | ٩ر٥٣٪ |
| الثامنة ( ٤٢ ـ ١٩٤٤ ) | ٢٦٤ | ٩٣ | ٣٥٪ |
| التاسعة ( ٤٥ ـ ١٩٤٩ ) | ٢٧٥ | ١٢٣ | ٥ر٤٣٪ |
| العاشرة ( ٥٠ ـ ١٩٥٢ ) | ٣١٧ | ١١٩ | ٣٧٪ |

أما الوزارات التى تشكلت فى مصر منذ وزارة حسين رشدى فى ( ٥/٤/ ١٩١٤ ) وحتى وزارة على ماهر ( ٢٤/٧/١٩٥٢ ) وعددها خمسون وزارة ، فقد كان متوسط نسبة الملاك الزراعيين فيها ٣٥ر٥٨٪(٢) ٠ وحتى فى الوزارات التى شكلها حزب الوفد نجد أن الحزب كان حريصا على منح أغلبية مقاعدها لكبار الملاك الزراعيين ، فوزارة مصطفى النحاس التى تشكلت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كانت تضم ٧ر٦٣٪ من كبار الملاك ، أما وزارته التالية والتى أعيد تشكيلها فى ٢٦/٥/١٩٤٢ فقد كانت تضم ٢ر٦٤٪ من كبار الملاك ٠٠ وحتى فى الصفوف القيادية لحزب الوفد كانت الغلبة دائما لكبار الملاك الزراعيين ٠ وعندما تكونت أول لجنة مركزية لحزب الوفد كانت نسبة كبار الملاك الزراعيين فيها

---

(١) د٠ عاصم أحمد الدسوقى ـ كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى من ١٤ ـ ١٩٥٢ ـ دار الثقافة الجديدة ٠٠ القاهرة ١٩٧٥ ٠ ص ٢١٣ ٠

وقد جرى تحديد كبار الملاك الزراعيين فى هذا الاحصاء والاحصاءات التالية على أساس ملفات الخاضعين لقانونى الاصلاح الزراعى رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، ورقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ ٠

(١) د٠ عاصم أحمد الدسوقى ـ المرجع السابق ، ص ٢١٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ ٠

٣١ر٨٣٪ ٠ وفى ديسمبر ١٩٣٢ ضم الوفد ١٢ عضوا جديدا الى قيادته كان منهم ٨ من كبار الملاك الزراعيين(١) ، وبعد أن وقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ عاد ليعزز مواقع كبار الملاك الزراعيين فى صفوف القيادة العليا فضم اليها أمثال « فؤاد سراج الدين ـ محمد سليمان الوكيل ـ محمد المغازى عبد ربه ـ محمد الحفنى الطرزى ـ محمد محمود خليل ـ بشرى حنا ٠٠٠ »(١) ٠

وكان لا بد لذلك كله أن يعود فينعكس حول قدرات البرجوازية على ممارسة القدر المتاح لها من السلطة ، وعلى الموقف العام للسلطة الحاكمة تجاه التطورات الاقتصادية والاجتماعية وتجاه النضال الوطنى بشكل عام ٠٠٠ وأيضا على تحديد مواقف اليسار المصرى تجاه السلطة وتجاه طبيعة المرحلة ٠

لكن ذلك كله لم يمنع البرجوازية المصرية من التمايز والتقدم فى مجال النمو الاقتصادى كفئة ذات مصالح مميزة ، ولعل ذلك أيضا قد بدأ على أيدى « الصناعيين » المتمصرين الذين أسسوا فى عام ١٩٢٦ ـ وفى مواجهة المد النضالى العمالى والأزمة الاقتصادية المتفاقمة ـ «الاتحاد المصرى للصناعات» والذى سارع فور تكوينه « الى تقديم مذكرة الى الحكومة والبرلمان يوضح فيها رأيه فى الظروف الملائمة لتعزيز النمو الصناعى فى مصر ، وقد أعلنت المذكرة أن الاتحاد يمثل ١٤٠ صناعيا يمتلكون كل الصناعة المصرية التى قدرت رؤوس أموالها بأربعين مليون جنيه والتى توظف ما لا يقل عن ٢٠٠ر٠٠٠ عامل ، أو مليون شخص باحتساب عدد أسرهم »(٢) ٠

والحقيقة أن ظاهرة النمو الرأسمالى قد تعرضت لعديد من الصعوبات والأزمات ، وقد انعكست الازمة الاقتصادية عام ١٩٣٠ انعكاسا خطيرا على سوق الاوراق المالية ، واذا كانت الادبيات الماركسية لا تعترف بتقلبات أسعار الاسهم كعنصر حاسم فى التعبير عن الازمة الاقتصادية ، ذلك أنها تعتبر فى نظرها مجرد عملية انتقال لفائض الارباح من جيوب مجموعة من اللصوص الى جيوب مجموعة أخرى منهم ، وأنه يمكن أن يحدث نتيجة لمضاربات أو عوامل وقتية ، فان ظاهرة الهبوط المستمر والحاد فى أسعار الاوراق

---

(١) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ ٠

(٢) محمد زكى عبد القادر ـ أقدام على الطريق ـ ١٩٦٧ ص ٣٤٧ ٠

(3) The Libour Monthly — The Strike Wave in Egypt — Article by J. B.- Vilume 10—May 1928—P.303.

المالية فى بلد كان حديثا فى مجال النمو الرأسمالى وتفتقد فيه عملية النمو الرأسمالى الى عنصر الاستقرار التاريخى ـ كانت تعبيرا عن اهتزاز الدعامات الرأسمالية فى مصر و « بارومترا » يمكن أن تقاس به مدى حدة الأزمة ٠

**انخفاض أسعار الأوراق المالية(١) ( بالفرنكات )**

| الاسم | سعر السهم فى ١٩٢٨/١٠/٣١ | سعر السهم فى ١٩٢٨/١١/٣١ | سعر السهم فى ١٩٢٨/١٢/٣١ | النسبة المئوية لهبوط الأسعار ومقارنا بأسعار عام ١٩٢٨ | |
|---|---|---|---|---|---|
| الدين المصرى المشترك | ٨٧ ٣/٤ | ٨١ ١/٢ | ٧٤ ١/٨ | ٧٪ | ١٥٪ |
| الدين الممتاز | ٧٤ ٩/١٦ | ٦٨ ١/٢ | ٦٠ ١٣/١٤ | ٨٪ | ١٨٫٥٪ |
| القرض الزراعى | ٩٩٤ | ٨٣٥ ١/٢ | ٦٩١ | ١٦٪ | ٣٠٪ |
| البنك الأهلى | ٣٦ ٣/٨ | ٣١ ١٥/١٦ | ٢٨ ١١/١٤ | ١٢٪ | ٢١٪ |
| القاهرة هليوبوليس | ٥١٦٫٥ | ٤٠٧٫٥ | ٢٩٥ | ٢١٪ | ٤٣٪ |
| | ٧ ٢٧/٦٤ | ١ ٩/١٦ | ١ ٩/١٤ | ١١٫٥٪ | ٧٩٪ |

لكن الرأسمالية سرعان ما استعادت أنفاسها وأخذت فى تحقيق أرباح خيالية ٠

ويشير احصاء رسمى الى أن شركة مساهمة قد مكنتها أرباحها فى عام ١٩٤٠ « من دفع ١٥٪ ربحا للمساهمين نقدا ، وأعطت كل حامل خمسة أسهم مجانا فكأنها أعطته ٧٥٪ ربحا فى سنة واحدة من رأس ماله »(٢) ٠

وكانت الشركات تتمتع بحصانة كبيرة ليس مبعثها فقط مكانتها « الرأسمالية » وانما أيضا « أجنبية » كبار مساهميها ٠ واذا أردنا مثالا واحدا فلدينا مثال شركة مياه القاهرة ، ففى أعقاب تزايد شكاوى الجمهور ، تشكلت لجنة وزارية فى مارس ١٩٣٥ للبحث فى تصرفات الشركة رفضت السماح للجنة بالاطلاع على حساباتها ، وبعد مجهودات طويلة توصلت الحكومة فى عام ١٩٣٨ الى اتفاق مع الشركة ينص على أن تحصل الحكومة على ٤٠٪ من الأرباح التى تزيد عن شريحة من الربح مقدارها ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه سنويا ٠

---

1) L'Egypte Contemporaine — Prof : C. Blan Chard Mars 1931 — P866

(٢) محمد على علوبة باشا ـ المرجع السابق ـ ص ٤١

وعند عرض الاتفاق على لجنة الشئون الدستورية فى مجلس الشيوخ لاحظت اللجنة أن مجموع رأسمال الشركة ٩٠٠ر٢٢٣ جنيه بمعنى أن الشركة تريد أن تكسب أولا ربحا سنويا قدره ١٢٨٪ من اجمالى رأس المال ، ثم تسمح للحكومة بالحصول على ٤٠٪ مما يزيد عن ذلك(١) ٠

وكانت الحرب العالمية الثانية فرصة المزيد من النمو الرأسمالى الصناعى على وجه التحديد « فخلال فترة الحرب نمت الصناعة بمعدل على ٥ر٥٪ سنويا » وزاد « انتاج صناعة النسيج بمعدل ٥ر١٤٪ فى العام الواحد ووصل انتاج الصناعة الكبيرة الصافى من ٤ ملايين الى ٢٣ مليون جنيه »(٢) ٠

وشهدت عملية نمو الصناعة عملية موازية لها هى عملية تركزها ٠٠ فقد « ازداد انسحاب المصانع الصغيرة من حلبة المنافسة ، ففى الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٠ نقص عدد المصانع الصغيرة التى تقل قيمة انتاجها السنوى عن ٥٠٠ جنيه من ٩ر٥٤٪ الى ٧ر٣٧٪ بينما ارتفع عدد المصانع التى يزيد انتاجها عن ١٠٠٠ جنيه من ٤ر٢٩٪ الى ٦ر٣٩٪ ، وكذلك ارتفعت نسبة المصانع التى يتراوح انتاجها بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنيه من ٧ر١٥٪ الى ٧ر٢٢٪ »(٣) ٠

ويظهر التركيز أيضا من الاحصاء التالى « بعد الحرب العالمية الثانية وطبقا لاحصاء ١٩٤٥ أصبح ٣٢٪ من عمال المصانع يشتغلون فى مصانع يستخدم كل منها ٥٠٠ عامل فأكثر وعددها ٤٥ مصنعا فقط »(٤) ٠

لكن هذا النمو الصناعى بوجهيه ( الاتساع والتركز ) قد تلازم مع ظاهرة أخرى هى الافقار المستمر لجماهير العمال وجموع الشعب عموما ٠

ففى عام ١٩٤٢ كان متوسط الأجر الشهرى للعامل الصناعى ٢٩٣ قرشا فقط(٥) ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧ ٠

(٢) محمود حسين ــ المرجع السابق ــ ص ٦٤ ٠

(٣) د٠ جمال الدين محمد سعيد ــ المرجع السابق ــ ص ١٣٠ ٠

(٤) البنك الاهلى ــ النشرة الاقتصادية ــ المجلد الاول ــ الدور الثالث ٠ أكتوبر ١٩٤٧ ٠ ص ١٣٨ ٠

وأنظر أيضا : شهدى عطية الشافعى ــ تطور الحركة الوطنية المصرية ــ ص ٨٩ ٠

(٥) عبد المنعم الغزالى ــ تاريخ الحركة النقابية المصرية ــ دار الثقافة الجديدة ــ عام ١٩٦٨ ــ ص ٢٠٦ ٠

ويلاحظ حافظ عفيفى باشا أن احصاء رسميا يعترف بأن « أربعة ملايين شخص من سكان مصر يعيش الفرد منهم بايراد يقل عن جنيه واحد فى الشهر أى بنحو ثلاثة قروش فى اليوم »(١) .

ويلاحظ أيضا أن الضرائب غير المباشرة أى التى يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة تمثل ٧٥٪ من الايرادات العامة(٢) ، وان مرتبات الموظفين ومعاشاتهم تستغرق ٤١٪ من اجمالى مصروفات الدولة(٣) .

وكان النهب مزدوجا .. الرأسماليون ( مصريون ومتمصرون وأجانب ) ينهبون بأقصى ما يستطيعون ، وسلطات الاحتلال تنهب هى أيضا كل مايصل الى يديها .. والأمثلة عديدة منها انتهاز السلطات البريطانية فرصة ربط الجنيه المصرى بكتلة الاسترلينى ولجوئها الى اصدار سندات على الخزانة البريطانية واستخدامها كغطاء مالى لما يصدر من أوراق نقد مصرية تتسلمها السلطات البريطانية لتشترى بها كل ما تريد من السوق المصرية وتسدد بها أجور جنود الاحتلال والعاملين فى المعسكرات ، وقد بلغت هذه الأرصدة رقما خياليا بالنسبة لبلد كمصر فى ذلك الحين وهو ٤٤٠ مليون جنيه استرلينى (٤) .

وقد أدى ذلك ـ بطبيعة الحال ـ الى تزايد شديد فى كمية الصادر من النقد الورقى(٥) .

| السنة | الصادر من النقد الورقى بالمليون جنيه |
|---|---|
| ١٩٣٩ | ٢٨ |
| ١٩٤٠ | ٣٩ |
| ١٩٤١ | ٥٣ |
| ١٩٤٢ | ٧٩ |
| ١٩٤٣ | ١٠١ |
| ١٩٤٤ | ١٢٢ |
| ١٩٤٥ | ١٤٨ |

---

(١) حافظ عفيفى باشا . على هامش السياسة المصرية ـ ص ١٦٥ .
(٢) المرجع السابق . ص ١٥٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٤) مصطفى مؤمن ـ صوت مصر ـ مطبعة دار الكتاب العربى (١٩٥١) ص ٤٩ .
(٥) راشد البراوى ـ المرجع السابق ص ٢٨٢ .

كذلك فان « مصلحة الجمارك قد أعفت السلطات البريطانية فى مصر من ضرائب مستحقة على السلع المستوردة طيلة مزة الحرب بلغت قيمتها ٦١،٧٧٢،٧٩٠ جنيها مصريا أما مجموع الضرائب التى تنازلت حكومتنا عن تحصيلها عن البضائع المصدرة فبلغت قيمتها ١٠،١٨٨،٢٢٩ جنيها »(١) .

وكان طبيعيا فى ظل هذا النهب المزدوج ، وفى ظل التضخم الذى فرض فرضا لصالح سلطات الاحتلال أن ترتفع الأسعار بصورة لم يسبق لها مثيل فى مصر ...

**الارقام القياسية للأسعار(٢)**

| السنة | الرقم القياسى |
|---|---|
| ١٩٣٩ | ١٠٠ |
| ١٩٤٠ | ١٢٤ |
| ١٩٤١ | ١٥٥ |
| ١٩٤٢ | ٢٠٠ |
| ١٩٤٣ | ٢٥٣ |
| ١٩٤٤ | ٢٩٩ |
| ١٩٤٥ | ٣١٧ |

* * *

ومع كل نمو للرأسمالية كانت الطبقة العاملة تنمو هى أيضا ، تلك طبيعة الأمور ، وذلك هو قدر الرأسمالية الذى لا مفر منه .

---

(١) مصطفى مؤمن ـ المرجع السابق ـ ص ٥٠

(٢) فوزى جرجس ـ دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى ـ مطبعة الدار المصرية ، ١٩٥٨ ـ ص ١٨٠ ( نقلا عن دراسة أعدتها الأمم المتحدة عن التطورات الاقتصادية فى الشرق الاوسط بين عام ١٩٤٥ و ١٩٥٤ ـ ص ٢٧ ) .

وكان « سعد زغلول » هو صاحب الفكرة ، وكرس لهـا الكثير من جهده ، وكلف بهذه المهمة واحـدا من أكفـأ مساعديه « عبد الرحمن فهمى بك » لكن محاولة « لوى عنق » حركة الطبقـة العـاملة لم تنجح ولم يلبث العمـال أن انفضوا عن اتحـاد العمال « الوفدى »(١) ٠

لقـد عجزت النقـابات ( الوفـدية ) عن أن تصبح منبرا نضاليا ومن ثم فانه « نظرا للطبيعـة غير المرضية على الاطـلاق لهذه النقابات كأداة للـدفاع عن مصالح العمال ، فقـد انفض العمال عنهـا ، الامر الذى أدى الى انهيارها٠ وبينما كان عدد المنضمين الى النقـابات « الزغلولية » ( الوفدية ـ المؤلف ) قد وصل فى عام ١٩٢٦ الى ٠٠٠ر٣٥ عامل ، فانه سرعان ما هبط فى عام ١٩٢٧ الى ٠٠٠ر١٣ فقط ٠ وفى بعض النقـابات بلغت نسبة الانخفاض فى العضـوية حوالى ٦٠٪ و ٧٠٪ وهكذا فقدت هذه النقـابات مبرر وجودها أصلا »(٢) ٠

وبرغم ذلك فان العمال كانوا حريصين دوما على ايجـاد تنظيمـاتهم النقـابية المستقلة ، ففى عام ١٩٢٧ كان هناك « مائة وعشرون نقـابة تضم حوالى ٠٠٠ر٥٠ أو ٠٠٠ر٦٠ عامل »(٣) ٠

ومع تردى الاوضاع السياسية ، وقيـام سلسلة من حكومات الاقليـة التى اعتمدت أساسا على القمع السافر لخصومها السياسيين ، ومع تصـاعد محاولات مختلف القوى للتسلل الى الحـركة النقـابية والسيطرة عليهـا ، بدأت سلسلة من المحاولات لفرض « زعماء » زائفين على الحركة النقـابية ، بالاضافة الى محاولة الوفد التى منيت بفشل ذريع بعـد عامين فقط من قيامها ، السراى حاولت وقدمت « زعيما » مضحكا للغـاية هو ادجار جلاد ( باشا ) ، والأحرار الدستوريين ـ حزب الاقطـاع ـ حاولوا هم أيضا وكانت محاولتهم بزعامة داود راتب ( بك ) ، وكان هنـاك أيضا النبيل عباس حليم ود٠ محجوب ثابت ٠٠ ومحاولات أخرى عديدة »(٤) ٠

---

(١) لمزيـد من التفاصـيل راجع ٠ د٠ رفعت السـعيد ٠ تاريخ الحـركة الاشتراكية ـ المرجع السابق ، ص ٢٥١ وما بعـدها ٠

2) The Labour Monthly — The Strike wave in Egypt, Volume 10 May 1923 — P. 309.

3) The Labour Monthly — Capitalism and Trade — Unionism in Egypt — Volum 9 — November 1928 — P. 683.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع :

عبد المنعم الغزالى ـ تاريخ الحركة النقـابية المصرية ـ المرجع السابق وأيضا ـ رؤوف عباس ـ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ دار الكـاتب العربى ـ ١٩٦٧

ان الطبقة العاملة المصرية التى تواجدت فى جنينيات غير فاعلة ـ سياسيا أو اجتماعيا ـ فى مطلع القرن العشرين ، والتى كانت تحركاتها الاولى مجرد انعكاسات للبروليتاريا الاجنبية الموجودة بكثرة فى مصر والذى كانت بالضرورة أكثر وعيا وأكثر تنظيما وأكثر تمتعا بحرية الحركة وحرية الفعل بموجب الامتيازات الممنوحة للاجانب ( ايطاليون ـ يونانيون ـ أرمن )(١) سرعان ما تحركت لتلعب دورا ثانويا وان كان مؤثرا فى ثورة ١٩١٩ وسرعان ما تلقفت حركتها الطبقية والوطنية الواعية أحضان الحزب الشيوعى المصرى الوليد فى ذلك الحين ، ليزداد كل منهما ـ كنتيجة لهذا التلاقى ـ قوة وفعالية ، ويبلغ عدد العمال المنضمين الى اتحاد العمال « الشيوعى » حوالى ٢٠ ألف عامل(٢) ٠

وتوالت الاضرابات والاعتصامات بصورة جعلت من الطبقة العاملة « محورا » بارزا من محاور العمل السياسى والاجتماعى فى العشرينات ، وكما كان التلاحم الوثيق بين الحزب الشيوعى المصرى وحركة الطبقة العاملة المصرية سببا فى نهوضهما معا واتساع النفوذ السياسى والاجتماعى لكل منهما ، فان هذا التلاحم ـ كان فى ذاته ـ أحد أسباب قرار الاحتلال والسراى والاقطاع والبرجوازية معا باستخدام سياسة القبضة القوية ضدهما ومحاولة سحقهما وتركيز النيران عليهما ٠٠

وهكذا بدأت محنة عام ١٩٢٤ للحزب وللطبقة العاملة معا ٠

واذا كانت الخطة التى رسمتها الرجعية هى اجتثاث جذور الحزب الشيوعى المصرى ، فانها لم تكن تستطيع حيال الطبقة العاملة سوى محاولة « امتطائها » بقيادات برجوازية وانتهازية وعميلة ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن نشاط البروليتاريا الاجنبية فى مصر فى هذه الفترة راجع :

« د٠ رفعت السعيد ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٥ ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ص ١٥٨ وما بعدها ٠

« وراجع أيضا :

Walter Laquer — Communism and Nationalism in the middle east — PP. 223

(٢) الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٢ ، ١٩٢٤/٣/١٩

.. لكن الشيء الملحوظ هو أنه مع محاولات التسلل البرجوازى والاقطاعى لصفوف الحركة النقابية كان العمال ينفضون سريعا عن هذه التجمعات النقابية ليتركوها فى عزلة قاتلة .. وهكذا ما أن يأتى عام ١٩٣٢ حتى يتدهور عدد النقابات الى « ٣٨ نقابة منها ثلاثفقط تضم أكثر من ألف عامل »(١)

لكن انفضاض العمال عن التشكيلات النقابية لم يكن يعنى بأية حال سكوتهم عن الكفاح الطبقى ، فقد توالت الاضرابات العمالية دون توقف بل لعلها تصاعدت أكثر ما تصاعدت فى سنوات الكبت ، فبالاضافة الى انتفاضة عمال عنابر السكك الحديد الشهيرة عام ١٩٣١ كان هناك اضراب عمال الترسانة ( أغسطس ١٩٣٢ ) وعمال النقل بمينا الاسكندرية ( أكتوبر ١٩٣٢ ) وعمال شركة أتوبيس ثورنيكروفت ( يونيو ١٩٣٣ ) وعمال طرق النحاس بالقاهرة ( يونيو ١٩٣٣ ) - وعمال نقل الفحم بميناء الاسكندرية ( فبراير ١٩٣٥ ) - وعمال نقل بذرة القطن بالميناء ( فبراير ١٩٣٥ ) - وعمال مصانع الزيوت بالاسكندرية ( يونيو ١٩٣٦ ) - عمال شركة أقطان كفر الزيات بالاسكندرية ( يوليو ١٩٣٦ ) - عمال شركة الغزل الأهلية وعمال شركة السكر بالحوامدية ( يوليو ١٩٣٦ ) . وقد صحب هذه الاضرابات اعتصامات ومصادمات مع البوليس وقد نجح عمال شركة السكر فى احتلال المصانع والسيطرة عليها لفترة من الوقت ، كما أن بعض هذه الاضرابات ، قد استمر لفترة طويلة من الزمن مثل اضراب عمال ترام الاسكندرية الذى استمر ٣٦ يوما(٢) ، وقد تصاعدت هذه الموجة من الاضرابات الى الحد الذى دفع الحكومة الى تشكيل لجنة حكومية لبحث أسباب الاضرابات فى يوليو ١٩٣٦(٣) والى الحد الذى دفع حزب ( الوفد ) الى بذل محاولة جديدة للسيطرة على الحركة العمالية تولى قيادتها هذه المرة حمدى باشا سيف النصر ، وتبوء هذه المحاولة - هى أيضا - بالفشل ، ويتصاعد النضال الطبقى للعمال فى موجة اضرابية كاسحة فى عام ١٩٣٨ بدأها عمال مصنع المحلة الكبرى للنسيج تحت قيادة لجنة سرية ، ثم مالبث الاضراب أن انتشر ليشمل مختلف تجمعات عمال النسيج ، وتركزت المطالب على زيادة الاجور وعلى شرعية تشكيل النقابات .

وهكذا أثبتت الطبقة العاملة وعلى الدوام - قدرتها على النضال الطبقى المستقل ، ورفضها لتسلط البرجوازية على تشكيلاتها بل وفى بعض

---

(١) وزارة الشئون الاجتماعية - الادارة العامة للعمل - تقويم النقابات والاتحادات العمالية فى جمهورية مصر - دار الجمهورية للطباعة ديسمبر ١٩٥٦ - ص ٢١ - ٢٤

(٢) الاهرام : مجموعة الفترة من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٦ .

(٣) عبد المنعم الغزالى : المرجع السابق ص ١٧٠ .

الأحيان استطاع القادة النقابيون الثوريون تحويل مسار التجمعات النقابية التى أسستها البرجوازية ليجعلوا منها تجمعات عمالية بالفعل ، فقد استطاع عدد من الماركسيين العاملين فى صفوف الحركة النقابية فى نهاية الثلاثينات الاستفادة من التناقضات العنيفة بين الوفد والنبيل عباس حلمى ليتولوا هم ولفترة محدودة زمام الامور فى حزب العمال الذى أسسه عباس حليم وليعلنوا هويته الاشتراكية وليقدموا له برنامجا متقدما غاية التقدم(١) ٠

وعندما تولى الوفد الحكم فى أعقاب أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وما صحب ذلك من هبوط حاد فى شعبيته ، شدد العمال من ضغطهم طلبا لحقهم القانونى فى تأسيس نقاباتهم ، وخضع الوفد ـ فى محاولة لاستعادة شعبيته ـ وصدر القانون ٨٥ لعام ١٩٤٢ الذى سمح لعمال الصناعة بتأسيس نقاباتهم ٠ الأمر الذى أتاح أمام العمل النقابى أن ينشط ووصل عدد النقابات فى عام ١٩٤٤ الى ٢١٠ نقابة ، وفى عام ١٩٤٦ الى ٤٨٨ نقابة وفى عام ١٩٥٢ الى ٥٦٨ نقابة(٢) ٠

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها بدأت نذر البطالة تتجمع من جديد ، فالعمال وجدوا خلال فترة الحرب فرصا كبيرة للعمل فى المعسكرات والورش التى أقامتها قوات الاحتلال البريطانى والقوات الامريكية والتى استوعبت عددا وصل لى ٣٠٠٫٠٠٠ عامل(٣) ومع زيادة الطلب على العمال وخاصة المهرة منهم اضطرت القوات الانجليزية والأمريكية الى دفع أجور سخية نوعا ما لعمالها ٠٠٠ وفجأة ينساب هذا الرقم كله ودفعة واحدة الى ساحة البطالة ٠

وهكذا تقبل الموجة الشيوعية الجديدة لتجد الساحة العمالية مهيأة تماما ٠٠ الطبقة العاملة مسلحة بخبرات نضالية خصبة ، ومدركة ـ وعلى امتداد تاريخها ـ لمخاطر التسلل البرجوازى الى صفوف قيادتها ورافضة لذلك ، وفى نفس الوقت جيوش من العمال المهرة وغير المهرة متعطلون عن العمل ٠٠

---

(١) د٠ رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى ٠ دار الثقافة الجديدة ٠ القاهرة ٠ ص ٦٦ وما بعدها ٠

(٢) وزارة الشئون الاجتماعية ٠ الادارة العامة للعمل ـ تقويم النقابات والاتحادات العمالية فى جمهورية مصر ٠ المرجع السابق ٠ ص ٢٤

3) U.S. Congress - House - Committee on Foreign Affairs — Strategy and tactices of world Communism — Report of Sub — Committe No. 5 ( Washington, D. C. — 1949 ) PP. 20 — 21.

وهكذا ومع عودة التلاحم — من جديد — بين صفوف الحركة الشيوعية والحركة العمالية تنمو كل منهما وتزداد قوة بصورة لم يسبق لهـا مثيل ..

ويعلق أحـد الباحثين على هذه الفترة من تاريخ مصر قائلا : « كانت مصر تموج بحـالة من عدم الاستقرار السياسى تكـاد تصل بهـا الى حافـة الهستيريا . وكان الوضع فى مصر شبيها بوضعها فى عام ١٩١٩ مع فارق واحد هام . ففى عام ١٩١٩ كانت القيـادة فى أيدى الفئات العليـا من المهنيين ، والبرجوازية الوليـدة ، أما فى ١٩٤٥ فقـد انتقلت المبادرة الى أيدى الفئـات الدنيـا من الطبقـة الوسطى والبروليتاريا الصناعية ... واقتحم الشيوعيون المصريون الميـدان بجسارة فائقـة وسرعان ما وطدوا مواقعهم فى النقـابات العمالية(١) » .

***

ولم يكن المثقفون بأفضل حالا ... كانت الثقافة تعـانى من التـدهور والاضمحلال ، بينما عجز مثقفوا البرجوازية المصرية عن ملء الفراغ ، وربما كانت هذه الظـاهرة واحـدة من الظواهر التى لم تحظ بعـد بدراسة دقيقة ، وليس هنـا مجـال هذه الدراسة ، ولكننـا نكتفى بابراز أسباب ثلاثة لعبت — فى اعتقادنا — دورا فى قصور ثقـافة البرجوازية عن أن تنمو فى مواكبـة متطلبـات العصر ومتطلبات المجتمع المصرى ..

١ — الضعف الاقتصادى لهذه الطبقـة واستمرارها فى لعب دور الشريك الأصغر للرأسماليين الاجانب والمتمصرين ، وطفيلية تكوين قطـاعات هامة منها نظرا لطبيعتها الكومبرادورية .

٢ — نشأت هذه الطبقة فى تلامس مع وعاء طبقى ذو طبيعة خاصة هو البرجوازية الاجنبية أو المتمصرة وهى ذات ثقـافة غربية صرفة مرتبطة وجدانيا ولغويا بأوربا ومنعزلة تماما عن التراث الحضارى لمصر ، الأمر الذى دفـع البرجوازيين المصريين الى محـاولة « التعلق » بظواهر « غربية » النزعة ، مجاراة وتقليدا للمستوى العـام السائد فى الصفوف المهيمنة فى الوعاء البرجوازى، لكن هذا التعلق كان فى أغلب الاحيـان « ظاهريا » وفشل حتى فى تفهم المحتوى الأساسى للثقـافة الغربية .

٣ — ان البرجوازية المصرية — كما رأينا من قبل — لم تنشأ فى صراع مع الاقطاع وانما كامتداد له . وليس من شك فى أن المـالك الزراعى الكبير الذى

---

(1) M. S. Agwani — Communism in the Arab East — Asia Publishing house-India. — 1969 — P. 44.

يحول تراكمات الريع تجاه الصناعة بحثا عن ربحية أعلى ، لا يستطيع أن يغير بسهولة من أفكاره وتقاليده واتجاهاته العقلية ، وهكذا نشأ فى مصر طراز غريب من الرأسماليين الذين يفكرون بعقلية الاقطاع ويمارسون أسلوب حياته ، بل ونمط استغلاله فى قطاع الزراعة ٠

وكان طبيعيا أن ينعكس ذلك كله على المحتوى العام للثقافة البرجوازية ، وعلى مثقفى هذه الطبقة ٠ وكان طبيعيا ـ أيضا ـ أن تقترن محاولات التجديد فى مجال الفن والادب والثقافة بشكل عام بطابع التمرد الشامل على المجتمع شبه البرجوازى شبه الاقطاعى بأسره ٠

وعندما دعا رمسيس يونان ( جماعة الفن والحرية ) الى المدرسة السيريالية حرص على أن يؤكد « أن مدرسة السيرياليزم هى فى صميمها دعوة اجتماعية أخلاقية قبل أن تكون مذهبا فنيا »(١) ٠

وعندما أقامت جماعة « الفن والحرية » معرضها التشكيلى الثانى أعلنت فى نشرة المعرض أن هدفها هو « اثارة التعجب فى أذهان الجماهير ، لأن التعجب كثيرا ما يكون مقدمة لاثارة الوعى النفسى ولبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية (٢)» ٠

وكانت مجلة التطور تتحدث عن « الظلم الذى يلهب فينا العدل » ويكتب عصام الدين حفنى ناصف رواية « عاصفة فوق مصر » ليثير بها عاصفة فى أفق النقد الادبى وخاصة عندما يصبح أحد أبطال روايته فى وجه الاقطاعيين منذرا « بثورة اشتراكية وشيكة »(٣) وكتاب آخرون يصورون بشاعة المجتمع الرأسمالى الذى يقيم مدنا جميلة ومساكن أنيقة للأغنياء بينما الفقراء « أجسام بغيضة لا حياة فيها ، كانت المدينة تتعذب بوجودهم ، كانت المدينة تتعذب برؤيتهم ، كانوا أشبه ما يكونون بوخزات الضمير ٠٠ وخزات ضمير متأصلة فى أعماق الارض ٠ ورغم كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت ٠ كان استجداء قطعة من الخبز من الذين انتزعوا منهم كل شىء هو بالنسبة لهم فرصة للحياة »(٤) ٠

---

(١) رمسيس يونان ـ غاية الرسام العصرى ـ مطبوعات جماعة الدعاية الفنية ـ ١٩٣٨ ص ٥٢

(٢) مجلة الفنون ـ المجلد الاول ـ العدد الثانى ـ ربيع ١٩٧١ ، محمد شفيق ـ مقال رمسيس يونان وجيل التمرد ـ ص ٨٠

(٣) عصام الدين حفنى ناصف ـ عاصفة فوق مصر ٠ ص ٣٨ ٠

(٤) مجلة التطور ـ ابريل ١٩٤٠ ـ البير قصيرى ( قصة ) ـ قتل الحلاق امرأته ٠

وتلخص مجلة « التطور » كل تمرد المثقف والفنان المصرى على أطر المجتمع القائم فى عبارة صاعقة « الفن معمل بارود » .

وكان التمرد فى صفوف المثقفين يستند الى وضعية اقتصادية فقدوا فى ظلها القدرة على الحياة المستقرة ، كانت البطالة متفشية فى صفوفهم بصورة لم يسبق لها مثال ، وكان خريجو الجامعات والمدارس يتراكمون عاما بعد آخر فى سوق البطالة ..

وقد قام أحد الدارسين ببحث ميدانى عن حالة خريجى مدرسة التجارة المتوسطة بالاسكندرية عام ١٩٣٧ وعددهم ٩٨ خريجا فوجد أن(١) :

٦ توظفوا بالحكومة .
٣ توظفوا بالشركات .
٨ زاولوا عملا حرا .
١ يتم تعليمه .
٧٦ عاطلون .
٤ حالتهم مجهولة .

وكانت مرتبات الموظفين دون الكفاف ، وباختصار فان المثقف المصرى لم يكن أقل استعدادا من الفلاح والعامل للتحرك الثورى باتجاه تغيير جذرى للمجتمع .

وهكذا فتح الباب أمام المثقف المصرى كى يتجه يسارا ..

****

وفى مجابهة احتمالات تفجر العمل الثورى ، كان من الطبيعى أن تسارع الفئات الاكثر ذكاءا واستنارة فى الطبقات الحاكمة نحو « الاصلاحية » أملا فى استيعاب السخط ولو مؤقتا ..

وقد اتخذت « الاصلاحية » المصرية مسالك عدة ، لكنها تركزت فى الاساس حول محاولات مختلفة لتغيير خريطة الملكية الزراعية ..

ففى عام ١٩٣٥ وفى المؤتمر الوفدى الكبير تبنى حزب الوفد برنامجا ينادى باستصلاح الاراضى وتوزيعها قطعا صغيرة لا تتجاوز الخمسة أفدنة(٢) .

---

(١) عبد الحميد عفيفى مطر ـ التعليم والمتعطلون فى مصر ـ ص ٢٥٠
(٢) جاء هذا الاقتراح ضمن بحث قدمه الى المؤتمر محمود بسيونى بعنوان « شئون الفلاح واصلاح القرية » ـ الأهرام ١٩٣٥/١/٩ .

وتكونت جماعة النهضة القومية بمبادرة من عدد من « الاصلاحيين » الذين قدموا برنامجا متكاملا فى اطار اصلاحى صرف .

وقد صدر اعلان عن « جماعة النهضة القومية » تحت عنوان « عهد » وجاء فيه :

« ١ ـ تأسست فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ « جماعة النهضة القومية » ومقرها مدينة القاهرة .

٢ ـ ترمى الجماعة الى بعث الشعور الوطنى الحق وادعام النهضة المصرية على أسس سياسية واجتماعية واقتصادية سليمة ، وتسعى بوجه خاص الى تكوين رأى عام مستنير يتقبل مبادئها عن اقتناع ويضطلع بنشر رسالتها..

٦ ـ تشرف على الجماعة لمدة سنة هيئة ادارية مكونة من أعضائها الموقعين أدناه .. » .

أما الموقعون فهم : ابراهيم مدكور ـ مريت غالى ـ محمد زكى عبد القادر ـ يحيى العلايلى ـ محمد على الغتيت ـ محمد سلطان ـ عبد الملك حمزة ـ وديع فرج .

ثم أصدرت الجماعة « برنامج النهضة القومية » وقد تضمن نقاطا هامة من بينها :

ـ تأييد قضية السلام والامن الدولى ، والمساهمة فى القانون العالمى على أساس العدل والمساواة وحرية الشعوب .

ـ استكمال الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وعدم الاعتراف بأى مركز ممتاز لدولة أجنبية ، وتعديل معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا على هذا الأساس .

ـ ادعام النظام السياسى وضمان نزاهة الانتخابات والفصل فى الطعون

ـ انشاء محكمة عليا للنظر فى دستورية القوانين والمراسيم والفصل فى تنازع الاختصاص بين السلطات .

ـ بث روح العدالة الاجتماعية فى الحياة المصرية وتأييد حق كل فرد فى أن يعيش عيشة تتفق مع كرامة الانسان وأن يحمى نفسه ضد البطالة والعجز عن العمل .

ـ رفع مستوى الفلاح بنشر الملكية الصغيرة والمحافظة عليها وتقييد الملكية الكبيرة ، وتنظيم الايجارات الزراعية ، وادعام الحركة التعاونية فى الانتاج والاستهلاك .

- تحقيق مرحلة من التعليم العام ، موحدة فى ثقافتها القومية وتوجيهها الوطنى ، تتحمل الدولة أعباءها ويشترك فيها أبناء مصر جميعا دون استثناء والتوسع فى التعليم الفنى والعالى بما يتناسب وظروفنا العامة »(١) .

وكان هناك أيضا مشروع محمد خطاب ( عضو مجلس الشيوخ عن الحزب السعدى ) ويستهدف الحد من زيادة الملكيات الكبيرة .. حيث تنص مادته الاولى « كل شخص يملك خمسين فدانا أو أكثر من الأراضى الزراعية لا يجوز أن تنتقل الى ملكيته أرض زراعية جديدة وكل عقد يؤدى الى ذلك يعد باطلا ولا يقبل تسجيله » .

وظل المشروع محل نقاش ونزاع أمام لجنة « دراسات الملكيات الزراعية » بالمجلس من ١٥ - ٢ - ١٩٤٤ حتى ١٦ - ٧ - ١٩٤٧ وكان رئيس اللجنة فؤاد سراج الدين باشا ومقررها أحمد أبو الفتوح باشا وأعلنت اللجنة رفضها الاجماعى للمشروع بحجة أنه « تعسفى وفيه تمييز بين مختلف طبقات الأمة(٢) » .

لكن « الاصلاحية » حاولت أن تمد نطاقها الى مجالات أخرى .. ففى عام ١٩٣٦ تنبه على ماهر باشا الى خطورة المشكلات الاجتماعية فأسس « المجلس الاعلى للاصلاح الاجتماعى » ، وذلك بهدف « مراقبة أحوال التطور الاجتماعى للبلاد ، والنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحات التى ترمى الى توجيه هذا التطور توجيها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكاته م٣(٣) » .

وفيما يتعلق بالعمال كان الوفد سباقا هو أيضا بالمحاولات «الاصلاحية» فكان هو صاحب قانون النقابات ( القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ) والحقيقة أن الدلالة الهامة لهذا القانون والأرضية الفكرية التى نبع منها يمكنها أن تتضح من تقرير لجنة شئون العمال والشئون الاجتماعية فى مجلس النواب والذى جاء فيه « لقى فريق من أصحاب العمل من صناع وتجار - ممن نصبوا

---

(١) د. رؤوف عباس - جماعة النهضة القومية - دار الفكر للدراسات - القاهرة (١٩٨٦ ) - ص ١٩٨٦ - ص ١٨٥ وما بعدها .

وأيضا : مريت غالى - سياسة الغد - المرجع السابق - ص ٤٢ - ٤٣

(٢) مجلس الشيوخ - مجموعة ملاحق دور الانعقاد الثانى والعشرين ص ٨٢٧ - ٨٢٨ .

(٣) المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ بانشاء مجلس أعلى للاصلاح الاجتماعى .

أنفسهم للكسب والثراء وجعلوه قبلتهم ــ وغايتهم ــ من كثرة الاجراء وعظيم تزاحمهم ، فرصة للسيطرة والتحكم فيهم فقدروا أجورهم بما شاءوا وحددوا لهم ساعات عملهم ... وكان طبيعيا بعد ذلك أن يشعر العمال بأن أصحاب العمل انما يسخرونهم فى خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من أرباحهم ، فتذاكرت قلوبهم وساءت علاقاتهم وساد جمعهم جو من الاضطراب والقلق (١) » .

لكن الغريب فى الأمر هو أن الرجعية المصرية كانت من ضيق الأفق والتشبث بمكاسبها بحيث رفضت كل جوانب « الاصلاحية » واتهمتها « بالبلشفية والشيوعية » وذلك برغم أن بعض هذه النزعات قد أعلن عن نفسه صراحة كسبيل لدرء مخاطر العمل الثورى .. فمحمود كامل المحامى يعد مشروعا بتوزيع الأراضى البور على صغار الفلاحين قائلا أن الطبقة الجديدة التى ستنشأ نتيجة لهذا التوزيع « ستكون خير ضمان للقضاء على كل احتمال لنشوء آراء اجتماعية كالتى تفشت فى بعض دول أوربا وآسيا القريبة وهى الآراء التى تؤمن بأنها شر وبيل ويجب الاحتياط لتطهير هذا الوطن من جرثومته الخبيثة »(٢) .

لكن ضيق الأفق يطغى ..

ويصل الامر الى حد أن بعض النواب كانوا يعارضون التعليم الالزامى لأنه ، يؤدى الى أن يتحول أصحاب الجلاليب الزرقاء الى أصحاب جلاليب مكوية » ولان التعليم « يجعل من الصعب عليهم أن يمسكوا بالفأس بعد ذلك(٣) » .

وعند مناقشة قانون التعليم الاولى فى مايو ١٩٣٣ قال وهيب دوس من فوق منصة مجلس النواب ان تعليم أولاد الفقراء « يعد طفرة كبرى

---

= راجع أيضا : محمود عزمى ــ الأيام المئة ــ على هامش التاريخ المصرى الحديث ، عهد وزارة على ماهر باشا ــ مكتبة النهضة المصرية ص ٩٣ .

(١) الغزالى ــ المرجع السابق ــ ص ٢٠٢ .

(٢) محمود كامل المحامى . مصر الغد تحت حكم الشباب (١٩٣٩) ص ٢٨ و ٣١ ، ١١٠ .

(٣) مجلس النواب ــ مضبطة جلسة ١٩٣٧/٦/٩ ( مناقشات النائب عوض أحمد الجندى ــ والنائب السيد محمد البدراوى عاشور ) .

لأنه خطر اجتماعى هائل لا يمكن تصور مداه ، لانه لن يؤدى الا الى زيادة عدد المتعلمين العاطلين ، بل يؤدى الى ثورات نفسية حين يتعلم ابن الصراف وابن الساعى » وطالب « بقصر التعليم على أبناء القادرين (١) » .

وضيق الافق هذا لم يكن قاصراً على كبار الملاك الزراعيين بل لعله امتد أيضا الى غلاة الرأسماليين فعندما أعد محمد زكى عبد القادر بحثا عن « البطالة ووسائل علاجها » استدعاه طلعت حرب باشا وأنبه قائلا « ان الدعوة الى ادخال نظام التأمين الاجتماعى على العمال يعرقل نمو الصناعات ويؤدى الى متاعب جمة فضلا عن أن فيه تفتيحا للأذهان (٢) » .

والاتهام « بالبلشفية » كان سريعا ما ينطلق فى وجه أية دعوة اصلاحية حتى ولو جاءت من الحكومة ذاتها فعندما اختلف أحمد ماهر باشا مع النحاس باشا تحدث فى اجتماع الهيئة الوفدية فى ١٩٣٧/١٢/٢٣ منتقدا حكومة الوفد لأنها « أغدقت النعم على العمال حتى أبطرتهم وجرأتهم على الاخلال بالنظام والتحكم فى رؤسائهم » وأعتبر أحمد ماهر باشا أن قيام الحكومة بنقل وكيل المطبعة الاميرية استجابة لرغبة العمال « عملا شبيها بأعمال البلشفية(٣) » .

وفى سنة ١٩٤٠ قدمت الحكومة الى مجلس النواب قانونا ينص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولمعيشته فثار النواب وصاح أحدهم « ان هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل » وصاح آخر « أنا أعارض هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لأنها قائمة على المبادىء البلشفية »(٤) .

.. ويبدو أن العداء « للاصلاحية » كان طاغيا الى درجة أثارت المراقبين الغربيين أنفسهم ونقرأ فى وثيقة من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ما يلى :

« اضطر مجلس النواب الى أن يعير المطالب العمالية بعض الاهتمام بعد اضراب عشرين من العمال عن الطعام كمندوبين عن زملائهم ، فعرض قانون النقابات على المجلس ، لكن هذا القانون ظل يتعثر حتى فبراير ١٩٤٠

---

(١) مجلس النواب – مضبطة جلسة ١٩٣٣/٥/٢٣ ( مناقشة النائب وهيب دوس ) .

(٢) محمد زكى عبد القادر – أقدام على الطريق – ص ٣٦٢ .

(٣) المصرى ١٩٣٧/١٢/٢٥ .

(٤) التطور – عدد مايو ١٩٤٠ .

حين أقره مجلس النواب ثم أحاله الى مجلس الشيوخ الذى قام بدوره بالنظر فيه وتأجيله عدة مرات ولم يصدره الا فى عام ١٩٤٢ وبعد تولى الوفد الحكم » ٠

وتمضى الوثيقة قائلة « ان هذا التباطؤ فى اصدار القانون يظهر مدى الازدراء الذى كانت تشعر به الحكومات المصرية المختلفة للاصلاح الاجتماعى حتى ولو كان ضروريا ٠

والوفد وحده هو الذى أظهر بعض الشجاعة فى هذا الصدد »(١) ٠

واستمرت هذه النزعات الاصلاحية على ضآلتها وهى تواجه بمعارضة حاسمة من رجعية متشددة وعاجزة عن تفهم طبيعة العصر ومتطلباته ٠

بل لقد وصل الامر الى حد تلفيق صحف الرجعية المصرية الاتهامات ضد القوى اليسارية بحزب الوفد بأنها على علاقة بالكومنترن فاتهم بعضها د٠ محمد مندور رئيس تحرير جريدة الوفد المصرى « بأنه كان الواسطة بين حزب الوفد والكومنترن ٠٠ وأنه كان الواسطة فى تحرير ميثاق بين الوفد والدولية الثالثة ٠ وانه تولى مفاوضات طلب اليه فيها حتى يمكن أن تساعد الدولية حزب الوفد - ضرورة فصل كبار أعضاء الوفد من أصحاب رؤوس الاموال(٢) » ٠

٠٠ وهكذا أغلقت الرجعية المصرية بضيق أفقها باب الاصلاحية ٠٠ ولم تتح أى مجال آخر للمفاضلة بين الاستغلال البشع وبين البحث عن تغيير جذرى ٠

٠٠ وهكذا كان ضيق أفق الرجعية المصرية واحدا من الاسباب التى أسهمت خلال فترة التفجر الثورى والاجتماعى فى اندفاع قوى عديدة نحو اليسار ٠٠

❋❋❋

---

(١) تقرير باللغة الفرنسية مرسل من السفارة الفرنسية الى الخارجية الفرنسية مؤرخ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ وموجه من موريس كوف دى مورفيل سفير فرنسا بمصر الى روبير شومان وزير الخارجية ومعنون «الحركة النقابية والعمالية فى مصر » - والتقرير معد بناء على طلب سابق من ادارة قسم افريقيا الشرقية بالخارجية الفرنسية ٠

(٢) أخبار اليوم - ١٩٤٦/٧/١٣ ٠

## •• وأزمة سياسية بغير مخرج :

طوال الثلاثينيات ـ أو قسمها الاكبر ـ كان الصراع السياسى المحلى محصورا أو بالدقة محاصرا بين طرفين إثنين الوفد باعتباره حزب الاغلبية فى طرف ، وفى الطرف الآخر كانت هناك أحزاب الاقلية وشخصياتها المجتمعة على الاحتماء بالسراى والاحتلال •• كسبيل وحيد للوثوب الى الحكم بغير أصوات الناخبين ••

أما الوفد حزب الاغلبية البرلمانية الدائمة ، وصاحب النفوذ الكاسح لدى أية انتخابات فقد كان يعانى من تناقضات عنيفة ، مصدرها تناقض أساسى بين المحتوى الاقطاعى لغالبية قيادته وبين المحتوى الفلاحى أو البرجوازى الصغير عموما ـ لقاعدته •

لقد سجل شيوعيو الثلاثينيات انتقادات عنيفة ـ ربما كان بعضها مبالغا فيه ـ ضد الوفد واتهموه بالتهادن مع الاستعمار والعداء الاصيل للجماهير « ان سياسى الوفد عندما يتحدثون عن الجماهير فانما يفعلون ذلك لمجرد تحقيق أهدافهم وبشرط أساسى وحاسم هو ألا تتمكن هذه الجماهير من ممارسة أى دور ايجابى للتأثير على أعمال الوفد(١) » •

ولقد اتهموه صراحة بأنه « الحزب الذى يضلل جماهير الشعب ، وأنه حزب الخيانة الوطنية(٢) » •

بل ان مداولات مؤتمر الكومنترن السادس قد تضمنت رأيا يقول « ان الامبرياليين أنفسهم هم الذين يريدون للوفد أن يبقى كقوة معارضة ، كلجام يكبحون به جماح العناصر الاقطاعية (٣) » •

---

(١) ريفولوسيونى فوستوك ( الشرق الثورى ) ـ ( العدد ١ عام ١٩٣٢ ـ مقال أ• شامى ـ بعنوان ـ مصر بعد الانقلاب الأخير ـ ص ٢٧٦ من الطبعة الروسية •

(٢) راجع النص الكامل لبرنامج الحزب الشيوعى المصرى الصادر عام ١٩٣١ والمنشور فى كتاب :

Ivor Spectior — The Soviet Union and the Muslim World 1917 — 1959 — University of washington press seattle (1959) — PP. 151 — 157.

3) International Press Correspondence — The discussion on Comarade Bukkarin's report — No 72 — 18 — 10 — 1928 — PP. 7311.

ولقـد أخطـأ الوفـد كثيرا فى هذه الايام ٠٠ وأدت أخطاؤه الى عزلتـه عن جماهير ظلت طوال العشرينات طوع اشارته ٠

أما أحزاب الأقلية وشخصياتها فلعله يكفى أن نتخـذ نموذجا لها أحد رؤساء وزارات الأقلية وهو توفيق نسيم باشا الذى وصفه دافيد كيلى مستشار دار المندوب السامى البريطانى قائلا « كان توفيق نسيم يعـد نفسه بصراحة ، وبلا حاجة الى مواربة صنيعتنا ، وكان يعترف بهذا فخورا ، وفى قرارة نفسه كان توفيق نسيم يأسى دائما لاننـا قـد تخلينـا عن الكثير من نفوذنا(١) » ٠

وفيما بين هاتين القوتين السياسيتين كان هنـاك ثمة هامش صغير يحتل اليسار بعضا منه ، وتحتل « شظايا » سياسية أخرى بعضه الآخر ٠

لكن تفـاقم الأزمة السياسية ، وامعـان الوفـد فى تعميق التناقض بين المحتوى الطبقى لقيـادته وبين جماهيره القـاعدية ، بالاضافة الى تفـاقم الازمة الاقتصادية - كما أشرنا من قبل - والاحتدام عناصر الصراع الوطنى مع اصرار القيـادات السياسية على التهادن ٠٠ كل ذلك أتاح الفرصة كى يتسع هذا الهامش الضيق ، ومكن « الشظايا » من أن تنمو لتصبح أحزابا وقوى سياسية ذات ثقل ٠٠

وهكذا تواجدت ونمت جماعات مثل الاخوان المسـلمين ، مصر الفتـاة ولعبت دورا سياسيا - مهما اختلفنـا فى تقـدير حجمه - الا أننـا لا نختلف على أنه كان تعبيرا أو نذيرا بفقـدان الوفـد لبعض نفوذه وسط الجماهير ،

ولعل هذا هو السبب فى مسارعة الوفـد الى اعادة تنظيم صفوفه وحرصه على عقـد مؤتمره الكبير فى ٩ ، ١٠ يناير ١٩٣٥ والذى حضره من ٢٠ ألف الى ٣٠ ألف مندوب يمثلون لجـان الوفـد الفرعية ، وناقش قادة الوفـد - ولأول مرة - أبحـاثا عميقـة تناولت مختلف الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية(١) ٠

ويبدو أن هذا المؤتمر كان مظـاهرة متعمدة قصـد بهـا اشعار الجميع بقـوة الوفـد الحقيقية الأمر الذى دفع الجريدة البريطانية « نيوسيتسمان »

---

(١) محمد عودة - سبعة باشوات وصور أخرى - الكتاب الذهبى - ص ١١٧

(٢) عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية فى مصر - الجزء الأول - دار الكـاتب العربى - القـاهرة ص ٧٧٣ ٠

الى القول « أن الوفد يبرز بعد احتجابه الاخير منظما تمام التنظيم ، ولا يلقى منازعا مهما فى الميدان ، فهو يمثل فى مصر الدور الذى يمثله حزب المؤتمر فى الهند(١) » •

وفى هذه الآونة ركز الوفد على المطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ ـ الأمر الذى يعنى اجراء انتخابات جديدة تكفل له ـ حتما ـ الوصول للحكم • وكانت أحزاب الاقلية ترى أن المناداة بدستور ١٩٢٣ مجرد مؤامرة وفدية •

لكن بريطانيا لم تكن بحاجة ـ بعد ـ الى الوفد فى كراسى الوزارة ، وهكذا صدر تصريح الوزير البريطانى « هور » والذى جاء فيه « لا صحة مطلقا لزعم الزاعمين أننا نعارض فى عودة النظام الدستورى الى مصر بشكل يوافق احتياجاتها •• أجل عندما استشارونا أشرنا بعدم اعادة دستورى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ ما دام الأول قد ظهر أنه غير صالح ، والثانى لا ينطبق مع رغبات الأمة(٢) » •

وتفجرت مظاهرات الغضب فى كل مكان احتجاجا على التدخل البريطانى السافر ، أضربت الجامعة وأضرب المحامون واحتجبت الصحف يوما ـ وحتى مستشارى محكمة استئناف مصر والقضاة المصريين فى المحاكم المختلطة أصدروا بيانات احتجاج •• لكن الكثير من هذه التحركات كانت تتم فى اطار المناداة « بجبهة قومية » تواجه الانجليز •• وتشبثت أحزاب الأقلية بهذا الشعار ، خوفا من أن تنتهى « الانتفاضة » بانتخابات تأتى بالوفد منفردا الى الحكم •

وأعلن محمد محمود بيانا يقول « ان واجب السياسيين وأولى الرأى أن يستجيبوا ، وأن يتخذوا الوحدة ويتخذوا الاستقلال رمزا لهذا العهد الجديد • وليذكر المصريون أن مصر وحقوقها فوق الاشخاص والاحزاب(٣)

أما حمد باشا الباسل فقد صرح قائلا « ان الهدف هو توحيد الامة ، للحصول على الاستقلال •• وليس فى ذلك اهمال لشأن الدستور ولا نسيان له لان تحقيق الاستقلال يستدعى قيام الدستور(٤) » •

---

(١) الاهرام ـ ١٩٣٥/١/١٢ •
(٢) الاهرام ١٩٣٥/١١/١١
(٣) عبد الحميد المشهدى ـ صحيفة سوابق • ص ٤٦ •
(٤) المرجع السابق ـ ص ٤٦ •

.. وحتى الملك ألقى بثقله أيضا خلف هذا الشعار حين دعا ممثلى الأحزاب ليقول لهم « اننى كملك لا أعرف أحزابا ، ولا أعرف جماعات ، لا أعرف الا مصريين ، ولا أعرف الا مصر .. نعم هناك انتخابات ، نعم هناك برلمان سينعقد ، ولكن الامر أصبح وقد لا يستطاع معه التأخير .. ماذا؟ ما تم الامر وانتهينا من القضية العامة ، كان فى الاستطاعة أن تأخذ الانظمة الدستورية طريقها التقليدى المعتاد(1) » .

ولأول مرة تخرج الجامعة .. ليس تحت شعار الوفد ، وانما تحت شعارات الاقلية ، لقد كان ذلك الهامش الضيق يتسع ، وكانت قوى جديدة تحرك الطلاب تحت شعار « الجبهة القومية » لكن النحاس باشا صمم على موقفه الحاسم ضد هذا التناقض المفتعل بين الاستقلال والدستور .. وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ ألقى خطابا قال فيه : « لا يصح أن نخدع بأقوال معسولة ، بنداء الى وحدة .. وعلى أى شىء هذه الوحدة ؟ لا لسنا نخدع بذلك ، ما هى الوحدة ، الوحدة تمسك قلبى وعزم صحيح على دستور ١٩٢٣ ، يقولون الاستقلال أولا فهل ننكص بينما يترك الحكم لبعض المصريين اسما الذين لا يستندون الى الامة فى شىء ! كلا لا نقبل هذا مطلقا ، والاحب أن نعض على الدستور بالنواجز ، هذا طريق الامة وطريق الوفد المرسوم .. وبدون ذلك لا نفهم وحدة ولا جبهة(2) .

وبرغم أن الوفد قد نجح فى فرض ارادته ، واستمر على رفضه لفكرة الوزارة الائتلافية ، ونجح فى فرض وزارة « محايدة » لتجرى الانتخابات ، على أن يشكل وفد المفاوضات بأغلبية وفدية مع ممثلين للاحزاب الاخرى .

وبرغم أن الانتخابات البرلمانية التى أجريت فى مايو ١٩٣٦ أثبتت شعبية كبيرة للوفد الذى حصل على ١٧٩ مقعدا مقابل ٥٣ لجميع الآحزاب الأخرى .

الا أن ثمة ظاهرة هامة تستحق التأمل وهى أن ذلك « الهامش » المتواجد بين حزب الاغلبية وبين أحزاب الاقلية التقليدية ، قد أثبت ولاول مرة فى تاريخ مصر الحديث وجوده السياسى .. لقد تحركت قطاعات

---

(1) محمد زكى عمر – ربع قرن فى مفاوضات – مطبوعات دار الشرق ، (١٩٤٦) – ص ١٥٨ .

(2) عبد الحميد المشهدى – المرجع السابق ص ٤٨ .

هامة من المجتمع وخاصة بين طلاب الجامعة ( ذوى المكانة السياسية الهامة فى أى تحرك وطنى ) باتجاه وطنى ومناهض للاستعمار ·· ولكن تحت رايات غير وفدية ، وربما استدرجت - ولاول مرة أيضا - الى ترديد شعارات ، هى بالاساس شعارات الاحزاب الرجعية ··

وأمام البرلمان ألقى النحاس خطابا للعرش تميز بتطورات ايجابية هامة حيث تبنى مهام اصلاحية ونادى بحل عديد من المشاكل التى يعانى منها المصريون ( الغاء ضريبة الخفر فى الريف - معالجة مشكلة الديون العقارية - انشاء بنك التسليف الصناعى - المحافظة على التعريفة الجمركية - الغاء القوانين الاستثنائية - انشاء قرى نموذجية - توفير مياه الشرب فى الريف ) ·

وباختصار لقد شعر الوفد بأن ثمة حصارا يضرب حوله ، وشعر بخطر القوى السياسية الجديدة التى تمثلت فى « الهامش » الذى أشرنا اليه ، وأحس بأن من واجبه أن يواكب روح العصر ويطرح شعارات متقدمة ··

وكانت المفاوضات التى انتهت بمعاهدة ١٩٣٦ قد بدأت ، وكانت الظروف مهيأة لنجاحها فلقد أحست جميع الاطراف المعنية ·· الانجليز وحكام مصر معا بأن ثمة حربا عالمية وشيكة الوقوع وانه يتعين وضع ضوابط قانونية لعملية استخدام أراضى وموارد مصر فى هذه الحرب ·

وكان الزعماء المصريون يشعرون أن مثل هذه الظروف تشكل عنصرا ضاغطا يمكن من انتزاع مكاسب محلية من الانجليز ، بل لعلهم كانوا يشعرون بالانزعاج من النفوذ الايطالى القريب فى ليبيا ، ومن الغزو الايطالى للحبشة حيث موارد النيل وحيث الحدود الملاصقة للسودان(١) ·

وهكذا كان التوصل الى اتفاقية جديدة مسألة مرغوب فيها من الطرفين وبرغم ذلك فقد تعرضت « المعاهدة » الى هجمات شديدة من بعض القوى السياسية وخاصة من تلك القوى السياسية الجديدة ·· الامر الذى « هدد » الى حد ما جماهيرية الوفد ودفعه الى تنظيم حملة اعلامية تمجيدا للمعاهدة وللوفد ·· خصوصا وأن أحزاب الاقلية كانت تروج لفكرة أن توقيع

---

(١) يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى · الشرق الاوسط فى مهب الريح - مكتبة النهضة - الطبعة الاولى ( ١٩٤٤ ) ·

« المعاهدة » ينهى الدور التاريخى للوفد كحزب قام من أجل مهمة محددة هى تحقيق آلاستقلال(١) ٠

وذلك استغلالا لنص المادة الرابعة من قانون الوفد التى تنص « الوفد يقوم ما دام العمل الذى انتدب لأجله قائما وينفض بانقضاضه »(٢)

وقد عبر فكرى أباظة عن هذه الفكرة بأن نشر على صدر مجلة المصور صورة للنحاس وهو يقدم « المعاهدة » لمصر قائلا « ها قد أمضيت المعاهدة وانتهت مهمتى »(٣) ٠

وقد ركز الوفد فى البداية دعايته على التأكيد على أن المعاهدة قد حققت لمصر استقلالها الكامل وطلب الى د٠ محمد عبد الله العربى - أستاذ القانون العام بكلية الحقوق ، وضع دراسة علمية عن المعاهدة ٠

فوضع دراسة بعنوان « المعاهدة من الوجهة القانونية - معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ تحقق لمصر استقلالها التام وسيادتها الكاملة »(٤) ٠

فلما بدأت حملات التلميح بانتهاء دور الوفد والنحاس تركز الاعلام الوفدى على تمجيد دور النحاس ولقد بالغ بعضهم فى ذلك الامر مبالغة واضحة ، فأهدى أحدهم كتابه عن المعاهدة الى « محرر مصر ٠ ومن غير مصطفى النحاس حرر مصر ، منذ غزاها الفرس - آن أربعة وعشرين قرنا لتخر خاشعة بين يدى القائد الموفق وعلم الجهاد الخفاق ورسول السلام والوفاق ٠ وبطل سيشل ، وعميد الوفد ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الرياسة الجليلة ومنقذ الدستور ، وبطل الجلاء(٥) » ٠٠

---

(١) آخر ساعة - ١٩٣٦/٨/٢ ٠
(٢) النص الكامل لقانون الوفد المصرى ٠
(٣) المصور ١٩٣٦/٨/٢٨ ٠
(٤) الجهاد ١٩٣٦/٩/٢ ٠
(٥) عبد الحليم الياس نصير - عهد الاستقلال - مطبعة عبد الحليم حسنى ( ١٩٣٦ ) ٠ ص١ ٠

ومن تمجيد المعاهدة الى تبرير نقاط ضعفها انزلق « الوفديون » وبتساءل الكاتب الوفدى « كيف نشكو من وجود طيارات الحليفة تذود الاذى عن البلاد ، ما دامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية لصد غارات الدول الغازية ·· كيف نشكو من « ضيافة » عشرة آلاف جندى »(١) ·

ولا بد لذلك كله من أن يجرح مشاعرا وطنية كانت ملتهبة بطبيعتها · لكن الوفد سرعان ما جابه معركة متشعبة الاطراف متعددة الجبهات ·· الاحتلال ، السراى ، التيارات الفاشستية ، التيارات الدينية ، ومن حقه علينا أن نقرر له أنه خاضها بشجاعة وكفاءة ·

وفى اعتقادى أن تقليد مجابهة السراى ونفوذها كان تقليدا « نحاسيا » أكثر مما كان تقليدا وفديا أقصد أن النحاس كان فى هذا الصدد أكثر تمسكا بالحقوق الدستورية وبالاتجاهات الليبرالية من بقية قيادة حزب الوفد · ولقد كانت الزعامة الشعبية للنحاس أخطر منافس للسراى التى بذلت جهودا مضنية لسحب الارضية الجماهيرية من النحاس وحزبه ·

وكان النحاس حريصا على سلب « الملك » حق التدخل فى الشئون المختلفة ، فانتهز فرصة فترة الوصاية على العرش قبل تولى فاروق العرش رسميا ، وسن قانونا بانشاء مجلس الدفاع الأعلى وهيئة أركان الجيش قطع فيه الصلة ما بين الجيش والملك ·· وقد ألغى هذا القانون منصب الملك كقائد أعلى للجيش(٢) ·

وقد نص هذا القانون على أن رئيس مجلس الوزراء هو رئيس مجلس الدفاع الاعلى مما نقل القيادة الفعلية للجيش بعيدا عن أيدى السراى(٣) وقد أعلن هذا القانون بعد يومين فقط من مباشرة فاروق لسلطاته ، وعلى الفور تلقى الملك تقريرا أودع فى ملفات السراى يشير الى أن القانون « يدعو الى التساؤل ويثير ظلالا من الشك حول الغرض الاصلى من انشاء مجلس الدفاع الاعلى »(٤) ·

---

(١) المرجع السابق ص ١٣ ·

(٢) وثيقة بعنوان « بحث فى مجالس الجيش وهيئة أركانه » ملف الجيش — تقارير الحكومة المصرية رقم ٢ — ملفات الحكومة المصرية رقم ٦١٣٣ — مكتبة رئاسة الجمهورية ·

(٣) القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ ·

(٤) « بحث فى مجالس الجيش وهيئة أركانه » « الوثيقة السابقة » ·

ولقد كان النحاس حريصا منذ البداية على تقليم أظافر الملك الشاب واخضاعه لقواعد جديدة تحد من نفوذ السراى ، وأثناء زيارة قام بها الملك وحاشيته للصعيد أصدر الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية تعليمات الى مديرى الاقاليم التى سيزورها الملك بألا يقيموا أى زينات ، لأن ميزانية المجالس البلدية لا تحتمل أية نفقات جديدة . وقام الملك برحلته هذه دون أن يرافقه أى وزير . وتحت ضغط من النحاس تنازل الملك عن ثلث المخصصات المالية للقصر وبلغ الامر الى حد اعتراض حكومة الوفد على تعيين مهندس ميكانيكى بالقصر فى محاولة لتأكيد سلطانها على كل موظفى السراى(١) . ويكتب ذالفيد كيلى مستشار دار المندوب السامى « أن حسنين باشا أبلغه يوما بأن الملك فاروق كان يبكى من الاهانة حينما كان يجد فى الصحف اهتماما بالنحاس أكثر من الاهتمام بشخص الملك »(٢) .

لكن السلطة الاتوقراطية لم تستسلم بسهولة ، وتجمع محور على ماهر - المراغى - البندارى حول الملك الشاب يوغرون صدره ويرسمون له الخطط المناوئة .

وفى ١٩٣٧/١٢/٣٠ وجه الملك أمر اقالة الى النحاس جاء فيه : « نظرا لما اجتمع لدينا من أن الشعب لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن الحريات العامة .. لم يكن بد من اقالتها » .

وانطلقت جماهير الوفد فى مظاهرات صاخبة هاتفة « النحاس أو الثورة » « لا استقالة ولا اقالة » « الدستور فوق الجميع » . ولقد سبق للوفد أن سير مظاهرات مماثلة فى عام ١٩٢٤ هتفت « سعد أو الثورة » لكن الفارق فى هذه المرة أن النقراشى باشا أكبر عقلية منظمة للجماهير فى الوفد كان فى عام ١٩٢٤ داخل صفوف الوفد ينظم مظاهراته ، ولكنه فى عام ١٩٣٧ كان فى داخل القصر يتآمر على الوفد . كذلك فقد كان الوفد عام ١٩٢٤ سيد الشارع المصرى بغير منازع أما فى عام ١٩٣٧ فقد تحالف الشيخ المراغى « بنفوذه فى الازهر » مع الاخوان المسلمين ( بنفوذهم فى دار العلوم ) مع مصر الفتاة ( بما كسبوه من نفوذ فى الجامعة ) وسيروا مظاهرة

---

(١) عبد الحميد المشهدى ، المرجع السابق - ص ٦٦ .
(٢) محمد عوده - المرجع السابق - ص ١٥٤ .

ضخمة الى قصر عابدين حيث خرج الملك لتحيتها ست مرات ..(١) وعندما سمع الملك المظاهرات تهتف « الله مع الملك » أعرب عن غبطة شديدة قائلا « نعم الله معنا »(٢) .

ولقد فهم الامر وكأنه محاولة للقول بأنه اذا كانت الجماهير مع النحاس فان الله مع الملك .

والحقيقة أن محور السراى قد حاول استخدام الدين كأداة لتعزيز الحكم الاوتوقراطى ولمنح الملك بعضا من الجماهيرية التى يفتقدها .

ومنذ يوم توليه الملك العرش اقترح الامير محمد على أقامة حفلة دينية ضمن حفلات تولية الملك ورفض النحاس الفكرة بشدة لانها « اقحام للدين فيما ليس من شئونه ، وايجاد سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية » ..

ومع ذلك فقد صمم المراغى والاخوان المسلمون ومصر الفتاة على محاولة اضفاء طابع دينى على احتفالات تولية الملك .. وزحفت جموع من الاخوان المسلمين الى القصر « لتبايع الملك على كتاب الله وسنة رسوله »(٣) .

ويخوض النحاس المعركة ضد اقحام الدين فى شئون الحكم من فوق منبر البرلمان « الاسلام لا يعرف سلطة روحية وليس بعد الرسل وساطة بين الله وبين عباده .. وليس أحرص منى ولا من الحكومة .. على احترام الاسلام وتنزيه الاسلام كما أنه ليس أحرص منها على التزام أحكام الدستور ، ولكن الاحتفال بمباشرة جلالة الملك لسلطته الدستورية شىء آخر ، فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين »(٤) .

---

(١) الاهرام – ١٩٣٧/١٢/٢٢
(٢) البلاغ – ١٩٣٧/١٢/٢٢
(٣) حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية . ص ٢٥١ .
(٤) المصرى ١٩٣٧/٧/٢٢

وقد كان الشيخ المراغى يؤكد أن « الأمة الاسلامية هى محتوى سياسى كما أنها محتوى دينى » ويرفض أية محاولة لفصل الدين عن الدولة وبعد أن يربطهما معا يقدمهما – معا أيضا – فى خدمة الملك باعتباره ولى الامر ٠

واذا كان الشيخ المراغى قد تخصص فى التآمر لصالح السراى مستخدما الدين ( الأزهر والاخوان المسلمين ) فان كامل البندارى قد حاول منح الملك بعض الشعبية من خلال فكرة الاعتماد على « الشباب » والايحاء بأن شباب مصر بزعامة الملك الشاب هم عدة المستقبل ٠٠ وكانت أداته فى ذلك جماعة مصر الفتاة ٠

وفى محاولة للمزج بين المخططين انتهز الملك فرصة مطلع العام الهجرى ليوجه نداء بالراديو الى العالم الاسلامى يقوم فيه بانقلاب دستورى يعلن فيه توليه زمام كل الامور مؤكدا أن أحدا لا يستطيع « أن يؤثر فى اذا تبين لى صواب أمر واعتقدت بعد تقليب الرأى أنه فى صالح شعبى وأن ثقتى بنفسى وتوكلى على الله هو الذى يلهمنى تصريف الامور ويوجهنى الوجهة التى أختارها » ولم ينس فاروق الجزء الآخر من المخطط فقال « ٠٠ ان شباب مصر المتوثب الى المجد سيكتبون صحيفة خالدة فى تاريخ الوطن ٠٠ وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم » (١) ٠ ولم يجد النحاس مناصا من الرد على الملك فى صورة بيان صدر عن اجتماع طارىء للهيئة الوفدية جاء فيه « أن الدستور والنظام الديمقراطى فى مصر قد أصبحا فى خطر » (٢) ٠

بل لقد حاولت السراى أن تعزز مواقعها من خلال تكوين جهازها العسكرى الخاص بها أو ما سمى فى ذلك الحين البوليس الخاص بالسراى وتكشف الوثائق التى عثر عليها فى قصر عابدين عن أن عدد أعضاء هذا البوليس كان فى عام ١٩٤٠ حوالى ٩٠٠ متطوع مقسمين الى أربع فرق منها فرقة ميكانيكية تضم ٦٠ سيارة(٣) ٠

---

(١) مصر الفتاة ١٩٣٩/٢/٢٣ .

(٢) مصر الفتاة – ١٩٣٩/٢/٢٧ .

(٣) وثائق قصر عابدين – تقرير من محمد طاهر باشا قائد عام قوة البوليس ، مرفوع الى عمر فتحى باشا كبير ياوران الملك لرفعه الى جلالة الملك ٠ مؤرخ فى نوفمبر ١٩٤٠ – محفوظات مركز تاريخ مصر المعاصر ٠

وهكذا ورويدا رويدا يتكشف ذلك « الهامش » السياسى الذى تحدثنا عنه فى البداية والذى يتمثل فى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة كأدوات فى أيدى السراى فى صراعها ضد الوفد ٠

ولقد كان النحاس ـ ومنذ البداية ـ صريحا غاية الصراحة فى رفضه لهذا « الهامش » ولدى مقابلته لأحمد حسين فى بيت الأمة جابهه على الفور قائلا « أنت دسيسة » وقال له أنه ينادى بمبادىء خطرة « خذ مثلا ( الله ) الذى وضعتها فى أول شعارك ، فلست أراها الا شعوذة ، لان وضع كلمه (الله) فى برنامج سياسى هو شعوذة »(١) ٠

ويمكننا القول أن النحاس وحزبه بفضل شعبيتهما الجارفة كانا أحد الحواجز الجبارة التى أوقفت تيار التعصب الدينى المتمثل فى الاخوان المسلمين والاتجاهات الفاشستية المتمثلة فى مصر الفتاة عند حدها ٠

كما أنه قد تصدى أيضا لمؤامرات « الحرز » التى تمركزت أيضا فى الدوائر القريبة من القصر والتى ركزت هجماتها بدورها على حزب الوفد ٠

لكن الوفد ما لبث أن خاض معركة أخرى ضد الانجليز ٠ وفى أول أبريل ١٩٤٠ وجه الوفد مذكرة عنيفة الى الانجليز متهما اياهم بمساندة الانقلاب الدستورى « واستغلاله لصالحها ( انجلترا ) رغم أحكام المعاهدة فى نصها وروحها » وطالب الوفد بريطانيا بأن تصرح من الآن ( وتحت ضغط تطورات الحرب غير المواتية لبريطانيا ) :

١ ـ بجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح ٠٠

٢ ـ اشتراك مصر اشتراكا فعليا فى مفاوضات الصلح ٠

٣ ـ الدخول فى مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعا ٠

---

(٢) مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد ـ من كفاح مصر الفتاة ـ الطبعة الثانية ص ٤٧ ٠

٤ ـ التنازل عن الاحكام العرفية التى أعلنت بناء على طلب بريطانيا

٥ ـ حل مشكلة القطن بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد المحايدة أو بشرائه بالاسعار والشروط المناسبة(١) ٠

وكان رد فعل المذكرة عنيفا ، فقد حاصرت الانجليز والسراى وأحزاب الاقلية جميعا وبضربة واحدة ، وأرسلت الخارجية البريطانية الى دار المندوب السامى « أبلغوا النحاس باشا فى الحال أن الحركة التى قام بها ٠٠ قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية » ٠

وهكذا حاصر النحاس جميع خصومه مهيأ الفرصة لحادث ٤ فبراير ٠ أى لعودته الى الحكومة ٠ ولقد قيل الكثير من حادث ٤ فبراير ٠٠ ولقد حرص النحاس باشا وحرص معه بعض المؤرخين* على التأكيد بأنه لم يكن يعلم بنوايا الانجليز فى « فرضه » رئيسا للوزراء بينما أكد اللورد كيلرن المدبر الاساسى للحادث أن النحاس باشا كان على علم أكيد ( عن طريق أمين باشا عثمان ) بكل التطورات المرتقبة ولقد أكد ذلك وأكثر من مرة فى مراسلاته مع وزارة الخارجية البريطانية التى أكدت عليه أكثر من مرة بضرورة « التيقن من أن النحاس لن يتراجع عن قبول الوزارة »(٢) ٠٠

---

(١) مجلس الشيوخ ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الخامس عشر ـ مضبطة جلسة ٣٠ أبريل ١٩٤٠ خطاب يوسف الجندى ص ٥٨١ ـ ٥٨٢ ٠

* د٠ محمد أنيس ـ ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ( بيروت ) (١٩٧٢) وأيضا جمال سليم ـ قراءة جديد لحادث ٤ فبراير ـ مطبوعات الشعب ( ١٩٧٥ ) وأيضا د٠ عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ ٠ جزءان ـ المرجع السابق ٠

(2) Lord Killearn ( Sir Lampson) - The Killearn Diaries 1936 - 1946 edited and introduced by Trefor E. Evans-Sidgwick and Jackson - London (1972) .

وراجع أيضا :

Public record office London, f.o 4079221

From Lampson to Eden — November 29, 1937 Tel No : 676,

والذى يوضح أنه كان هناك اتفاق واضح مع أمين عثمان ( بعلم من النحاس ) بالاستعداد لاحتمالات فرض النحاس رئيسا للوزارة على الملك غير الموثوق به ، وكان ذلك قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بحوالى أربعة سنوات ٠

وبغض النظر عن مشاركة النحاس فى الاعداد لحادث ٤ فبراير أو عدم مشاركته فان الهدف كان واضحا ومحددا وهو ضرب مخططات المحور والعناصر الموالية له فى مصر • وذلك فى فترة تتطلب شجاعة خاصة من أي زعيم سياسى كى يتولى الحكم وجحافل المحور تدق أبواب مصر ، ومؤامرات عملاء المحور بالداخل تتصاعد لتصل الى حد أن نجح بعض عملاء السراى وبالتحديد على ماهر والمراغى والبندارى فى تسيير مظاهرة تهتف « الى الأمام يا روميل »(١) •

وفى وقت كانت فيه قوى أخرى تسعى للتقارب من المحور كيدا للانجليز •

وبرغم ذلك كله فان مصر التى غفرت للنحاس الوفد « هنات » كثيرة لم تغفر له مطلقا حادث ٤ فبراير • واذا كان « الهامش » السياسى الذى نشأ فى الثلاثينيات ( الاخوان المسلمين ومصر الفتاة ) قد تم استيعابه بشكل أو بآخر لصالح مخططات السراى والمحور ، فان حادث ٤ فبراير بما تجره من مشاعر وطنية جارفة قد هيأ الفرصة لخلق هامش جديد ، وطنى حقا ، وثورى حقا ، استطاع أن يتفهم طبيعة الحادث وجوهره ووضع الوفد فى موضعه الصحيح كقوة تتفهم القضية الوطنية وتسعى نحوها بأساليب تهادنية ليس من بينها - على أية حال - الاعتماد على حركة الجموع الشعبية ، وأن كان من بينها الكثير من محاولات المناورة واللعب على الحبال بين الاحتلال والقصر •

وكان أساس هذا الهامش الجديد محورين « حركة الضباط » و « حركة اليسار » •

والحقيقة أن الانعكاس المباشر لحادث ٤ فبراير على صفوف الضباط الصغار يمكن استقراؤه من مراسلات جمال عبد الناصر فى هذه الفترة والتى كانت تتضح مرارة وحقدا وتطلعا لغد جديد(٢) • أما انعكاساته على حركة اليسار فتتضح من كونه قد أفسح أمام الشيوعيين « هامشا » واسعا للعمل والانتشار الجماهيرى السريع فى صفوف كان من المفترض تقليديا أنها جماهير وفدية •

---

(١) جلال الدين الحمامصى - معركة نزاهة الحكم - مطابع دار الكاتب العربى - القاهرة - ص ١٠

(٢) المصور مجموعة عام ١٩٧٢ رسائل شخصية من جمال عبد الناصر الى بعض أصدقائه •

ولم تكن القوى المناوئة الوفد بغافلة عن الظروف الصعبة التى أحاطت بأكبر حزب فى البلاد فشددت حملاتها ومؤامراتها ضده ، ولعل أخطر وأقسى هذه المؤمرات هى تلك التى توجت بانقسام مكرم عبيد باشا عن الحزب ، وما تلى ذلك من حملة تشهير واسعة انتهت بتجميع المئات والألاف من التهم باستغلال النفوذ والمحسوبية والفساد ضد قيادات هامة فى حزب الوفد وضد الدوائر المقربة من النحاس ومن زوجته(١) ·

وكان لابد لهـــذه الحملة من أن تترك أثرها على شعبية حزب هو فى الأساس حزب يوجه حديثه الى الجماهير الفقيرة وعلى جماهيرية زعيم اكتسب أكبر قدر من زعامته الطاغية بسبب بساطته وترفعه عن الكسب الشخصى ·

وهكذا يتسع نطاق « الهامش السياسى » بدفعة جديدة تستهدف تغيير المجتمع تغييرا جذريا وتثبت أن طريق الخلاص لمصر هو الاشتراكية ·

ولا بد لنـــا من أن نضع فى الاعتبار أن قوات الاحتلال التى شعرت بأن الأرض المصرية تميد من تحت أقدامها فى أحيان عديدة ، والتى أحست بأن قوى مصرية واسعة تتطلع نحو المحور الذى تدق قواته أبواب مصر الغربية ، قد وجدت نفسها فى شبه حلف اجبارى مع تلك القوى الناشئة التى تدين الفاشية والفاشيين وتدعو لقضية الحلفاء · برغم عدائها للانجليز · وسكتت قوات الاحتلال عن جنيديات النشاط الشيوعى على أمل الاستفادة من تأثيرها الفكرى والسياسى المناهض للفاشية ، بل لقد سعى الانجليز للاتصال بالشيوعيين والتعاون معهم لكن الشيوعيين رفضوا(٢) ·

وهكذا برزت الى الوجود قوة سياسية جديدة ذات مواقف متمايزة ·

فاذا كان البعض يتحالف مع المحور ضد الانجليز بدعوى الوطنية ، واذا كان البعض الآخر يتحالف مع الانجليز ضد المحور بدعوى الديمقراطية فان الشيوعيين المصريين قد رفعوا شعارا جديدا يطالب بأوسع جبهة للنضال ضد

---

(١) تقرير لجنـــة التحقيق الـوزارية فى الوقائـــع والتصرفـــات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة المطبعة الأميرية بالقـاهرة ( ١٩٤٥ ) والتقرير مكون من ٢٨٢ صفحة ومليىء بالوقائع والاسانيد والتهم، ومثبت فى صفحتـه الاخيرة أنه قـد طبع من هـذا التقرير خمسة آلاف نسخة· راجع أيضا : جلال الدين الحمامصى ـ معركة نزاهة الحكم · المرجع السـابق ·

(٢) د· رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ـ المرجع السابق ص ٢٧٨

الفاشية وفى نفس الوقت بادانة الاحتلال البريطانى لمصر ٠٠ ويتبلور ذلك فى شعار « ضد الفاشية ٠٠ ولكن ليس مع الانجليز » ٠

ولم يكن هذا هو التمايز الوحيد :

ففى مواجهة شعار أجمع عليه كل الساسة البرجوازيين وكبار الملاك « وحدة وادى النيل ـ نيل واحد ـ شعب واحد ـ ملك واحد » رفع الشيوعيون شعار « الاستقلال السياسى والاقتصادى والكفاح المشترك مع الشعب السودانى وحقه فى تقرير مصيره » ٠٠

وفى مجابهة منهج المفاوضات مع الاحتلال رفع الشيوعيين شعار « الكفاح المسلح » وهكذا تكونت فى مصر مدرسة سياسية جديدة ذات منهج جديد ومتكامل ٠٠

وفى هذه الاثناء أيضا كانت مدافع حماة ستالينجراد قد أيقظت ، مشاعر الكثيرين وسطرت فى قلوبهم اعجابا غير محدود بالاتحاد السوفييتى ٠٠ (١)

وتتجمع ظروف محلية وعالمية عديدة لتهيىء الفرصة أمام حركة اليسار المصرى كى تعمل ـ ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث ـ فى ظروف سياسية واجتماعية جديدة تماما ! ولتتيح الفرصة أمام الضباط الوطنيين أن ينشطوا هم أيضا فى صفوف الجيش ٠

ولعل أبلغ دليل على نضج هذه الظروف الموضوعية أن الوفد عندما أعترف بتواجد تيار يسارى فى صفوفه ، وصاغ له منبرا متميزا الى حدما هو « الطليعة الوفدية » ، لم يستطع مطلقا أن يستخدم هذا المنبر لاستقطاب قوى من اليسار ، بل على العكس فقد نجح الشيوعيون فى منتصف الأربعينات فى استقطاب « الطليعة الوفدية » كاحتياطى مباشر لعملهم وسط الجماهير وخاصة فى صفوف الطلاب ٠٠ ولعل هذا بذاته دليل كاف على « هيمنة » الفكر والمنطلقات الشيوعية فى هذه السنوات بحيث استطاعت أن تكون قوة جذب تستقطب باتجاهها تيارا وفديا متكاملا وتبتعد به عن محور الجذب التقليدى للمجتمع ككل ٠٠ « الزعامة الوفدية » ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع راجع د٠ فؤاد المرسى خاطر ـ العلاقات المصرية السوفيتية ١٩٤٣ ـ ١٩٥٦ رسالة دكتوراه ( غير منشورة ) ٠

ان قوة الجذب ·· ومدى نموها ·· ومدى تأثيرها تجاه القوى السياسية الأخرى هى أحد العلامات المباشرة على اتجاه ريح السياسة ، وعلى مدى قدرة التيار السياسى صاحب قوة الجذب هذه على النمو ·

* * *

وبعد ·· فلم تكن الصفحات السابقة محاولة لتأريخ فترة خصبة من تاريخ مصر ·· الفترة التى احتضنت جنينيات الحركة الشيوعية ومنحتها دفئا ونماءا بغير حدود ، بقدر ما كانت محاولة لابراز « رموز » مجرد رموز لعلها تكون كافية للاجابة على السؤال الذى طرحته فى البداية ·

لماذا تصاعدت موجة الحركة الشيوعية فى مطلع الأربعينات ؟

## لمـــاذا تواجـد الأجانب
## واليهود بكثرة فى صفوفها ؟

كان للأجانب ثقل خاص فى مصر · كانوا مجموعة من جاليات صخمة ذات نفوذ سياسى واجتماعى واقتصادى طاغ · وقد بلغ عددهم قرابة النصف مليون ( عندما كان مجموع سكان مصر ١٦ مليون ) وكانوا موزعين فى الأساس على جاليات كبيرة توشك أن تكون لنفسها مجتمعاتها الخاصة ( علاقـات اجتماعية ـ مدارس ـ صحف ـ أندية ـ حياة ثقافية خاصةوكانت أكبر هذه الجاليات هى اليونانية (قرابة المائة ألف) والايطالية (٧٠ ألف) الأرمن(٤٠ألف) وبرغم هذه الانتماءات العرقية فان الكثيرين من هؤلاء الاجانب كانوا عديمى الجنسية ـ ( بعضهم كان فى الأصل من سلالة رعايا الدولة العثمانية ، الذين حصلوا على صفة « رعية عثمانية » التى كانت تكفل لهم وضعا ما نتيجةلانتماء مصر العثمانى ، ثم فجأة وجدوا أنفسهم بلا وضع خاص بعد اعلان الحماية البريطانية على مصر ) ·

وكانت هناك عدة عوامل تدفع هؤلاء الاجانب الى الاحتفاظ « بأجنبيتهم» رغم ميلادهم المصرى وربما ميلاد أجيال سابقة لهم فى مصر ·· ولعل أهم هذه الاسباب هو « الامتيازات الاجنبية » التى كانت تكفل للاجنبى ( أيا كانت جنسيته وحتى لو كان بغير جنسية ) حقوقا قانونية ومالية واجتماعية غير محدودة (١) ·

ويأتى مطلع القرن العشرين ليجد الأجانب وقد هيمنوا على مفاتيح الحيـاة الاقتصادية فى مصر وقد طالعنا فى الصفحات السابقة دلائل هـذه الهيمنة ، لكن الغريب أن أمواج المهاجرين عبر المتوسـط والتى تدفقت بغير انقطاع كانت تأتى بمهنيين وصناع ومغامرين من كل نوع(٢) · وفى عـام

---

(١) راجع النصوص المقترحة لمعاملات الاجانب فى مشاريع الاتفاقات المتعاقبة بين مصر وبريطانيا فى : على رفاعة الانصارى ـ فى طريق الحرية ـ مطبعة الاخاء ـ ص ١٤٨ وما بعدها ·

(٢) راجع التفاصيل : دافيد لاندز ـ بنوك وباشوات ـ ترجمة د· عبد العظيم أنيس ( دار المعارف ) ·

١٩٠٧ كان فى مصر ٣٫٦٧٧ مهندسا ومهندسا معماريا ( أو مشتغلين بمهن مشابهة و ٢٫٢٣٧ من المحامين وكتبة المحامين ، ٧١٩ صيدليا وصيدليا مساعدا ، ٥٣ طبيبا بيطريا ، ١٫٢٧١ طبيبا وجراحا وكان أكثر من نصف هؤلاء جميعا من الاجانب(١) ، كذلك كان الاجانب يمسكون بالمفاتيح الاساسية فى الجهاز الحكومى ، وقد سجلت « لجنة ملنر » فى تقريرها الشهير أن المصريين لا يشغلون ( فى عام ١٩٢٠ ) الا أقل من ربع الوظائف الكبيرة ، « وعند مراجعة التغيرات التى حدثت منذ سنة ١٩٠٥ وجدت أن نسبة المصريين فى كل المراكز ازدادت من ٤٥٪ الى ٥١٪ أما فى الوظائف الكبرى فقد نقصت نسبة المصريين من ٢٨٪ الى ٢٣٪ بينما ازدادت نسبة البريطانيين من ٤٢٪ الى ٥٩٪(٢)» ٠

ولم يكن تكاثر الموظفين الأجانب والانجليز خاصة بسبب نقص فى الكفاءات المصرية وانما كسبيل لاحكام قبضة الاحتلال البريطانى على المجتمع بمصرييه وأجانبه من الجاليات الأخرى ، كذلك « فان مصر كبلد خاضع للاستعمار كان مطمحا للكثيرين من المسئولين الذى يريدون تحقيق مغانم خاصة لهم(٣) » واذا كان الانجليز قد سيطروا على هذه النسبة الكبيرة من الوظائف فان المصريين لم يحصلوا الا على ٢٣٪ لأن النسبة الباقية قد استحوذ عليها سوريون وأرمن(٤) ، واذا كان هذا الوضع قد تحسن الى حد كبير بعد الاستقلال وعلى مدى الثلاثينات ، فان الشركات المساهمة والتجارية - وكان أغلبها مملوكا للاجانب - قد ظلت تعتمد أساسا على موظفين أجانب بل وتستخدم فى مراسلاتها وتعاملاتها وحساباتها اللغات الاجنبية(٥) ٠٠

ولعل أبرز مظهر لدور الجاليات الأجنبية واستقرارها فى مصر كمجتمعات متميزة ذات حياة ثقافية واجتماعية متميزة هو نزوع هذه الجاليات الى تأسيس مدارسها الخاصة تلك المدارس التى أصبحت أداة لتكريس عزلة هذه الجاليات وانغلاقها على نفسها وبعدها عن الحياة المصرية ٠٠

---

(1) P.M. HOLT—Political and social change in modern Egypt—London — Oxford University press — (1968) P. 157.

(٢) مورو بيرجر - البيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة - ترجمة د٠ محمد توفيق رمزى - مؤسسة فرانكلين ( ١٩٥٩ ) - ص ٤٩

(3) Afaf Lutfi Al-Sayyid — Egypt and Cromer — John Murray-London (1968) P. 140.

(4) Ibid P. 141.

(٥) محمد على علوبة باشا - المرجع السابق ص ٨٢

## المدارس الاجنبية فى مصر ( عام ٣٣ ـ ١٩٣٤ ) (١)

| الجنسية | عدد المدارس | عدد المدرسين | عدد الطلاب |
|---|---|---|---|
| مدارس ألمانية | ٥ | ٥٨ | ٤٥٤ |
| مدارس أمريكية | ٣٧ | ٤٥٤ | ٦٣٢٩ |
| مدارس انجليزية | ٣٩ | ٢٩٤ | ٤٤٥٤ |
| مدارس فرنسية | ١٥٧ | ١٨٦٥ | ٣٢٤٩٥ |
| مدارس يونانية | ٦١ | ٥٧٥ | ١٢٠٠٢ |
| مدرسة ايطالية | ٥٧ | ٦٣٩ | ١٠٦٨٨ |
| جنسيات أخرى | ٨ | ٧٦ | ٢٣٨٦ |

لكننا نخطىء لو تصورنا أن الأجانب كانوا جميعا من الرأسماليين المنعزلين عن الشعب المصرى ، فثمة جاليات كانت مكونة أساسا من صناع وحرفيين وعمال وصغار وتجار ومهنيين كانوا يمارسون بالضرورة احتكاكا يوميا ومباشرا ليس فقط بجماهير المصريين وانما أيضا بمشكلات الحياة الاجتماعية فى مصر ٠

ووسط العمال والمثقفين الاجانب قامت حركة سياسية نشيطة اتخذت مسارا اشتراكيا ويساريا واضحا منذ مطلع القرن العشرين وحتى قبيل ذلك بقليل ٠

وقد أسهم الايطاليون فى تأسيس أول نقابات عمالية تأسست فى مصر مثل نقابة لفافى السجاير ونقابة الخياطين وعمال المعادن وعمال المطابع وكانت هذه النقابات مكونة أساسا من العمال الاجانب(٢) لكن تأثير وتقاليد العمل النقابى ما لبثت أن امتدت وبسرعة الى العمال المصريين الذين تلقنوا الكثير من أساليب النضال من زملائهم العمال الاجانب ٠ وقد لعب الحزب الاشتراكى الايطالى ( القديم ) دورا نشيطا فى صفوف هؤلاء العمال وأسس لهم « الجامعة الشعبية الحرة » التى عنيت أساسا بتثقيف العمال ورفع وعيهم(٣) وكان نشاط الحزب الاشتراكى الايطالى واسعا فى

---

(١) عبد الحميد فهمى مطر ٠ التعليم والمتعطلون فى مصر ـ المرجع السابق ص ١٩١ ٠

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٧ ـ ( شهادة روزنتال أمام النائب العام ) ٠

3) Marcil Colomb. Ibid,

مصر الى درجة أن لورد لويد كتب يقول « ان الحزب الاشتراكى الايطالى كان نشطا فى مصر نشاطا لا يقل عن نشاطه فى ايطاليا (١)» .

وقد اتسع نشاط الايطاليين اليساريين فى الثلاثينيات لمجابهة التيار الفاشى المتعاظم النمو وسط الجالية الايطالية كما سنرى فى الصفحات القادمة ..

كذلك كان اليساريون الارمن يصدرون نشرة شيوعية دورية وكذلك اليونانيون ، وحتى المهاجرين الروس من أعضاء الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى ( البلشفيك ) كانوا يصدرون هم أيضا نشرة يسارية باللغة الروسية أسمها « ماريـاك » أى « البحار (٢)» .

ولم تكن علاقات الجاليات الاجنبية بالصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر قاصرة على اليسار وحده ، بل ان عناصر برجوازية أجنبية قد أقامت مثلا علاقات وثيقة بحزب الوفد ، وربما كان « ليون كاستيرو » نموذجا لهذه الاتصالات ، فقد كان صديقا شخصيا لسعد زغلول ، وأصدر مجلة باللغة الفرنسية ذات ميول وفدية وهى Liberté (٣) » .

ثم تأتى أحداث الثلاثينيات العاصفة لتخلق مبررات لتزايد الاهتمامات السياسية والعمل السياسى والاجتماعى وسط الجاليات الاجنبية .. ومن هذه المبررات .

- الفاشية وامتداداتها السياسية والتنظيمية فى مصر ..
- التيارات الدينية المتطرفة وانعكاس نموها على وضعية الاجانب فى مصر .
- الحرب العالمية الثانية وتأرجح مصير كل الأجانب . واليهود خاصة مع اشتداد هجمات جيوش المحور على مصر .

فلنحاول أن نلقى وبسرعة بعض الاضواء على هذه المبررات .

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) - تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية - من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - قدمه الكاتب للحزب الشيوعى الايطالى ( نسخة أصلية )

(٢) لمزيد من التفاصيل : راجع : د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر - المرجع السابق . ص ١٥٨ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول دور ليون كاسترو وتطور مواقفه راجع :
- أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف - اليهود والحركة الصهيونية فى مصر - سلسلة كتاب الهلال .
وأيضا - د. رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ ( دار الطليعة ) بيروت .

•• منذ أن قامت الفاشية فى ايطاليا وموسولينى يتطلع أنصاره أولا وسط الجالية الايطالية الكبيرة العدد ، والحسنة التنظيم ، واستفادوا أيضا فى تحركهم من الامتيازات الاجنبية التى كانت تحمى تحت مظلتها كل أجنبى •• وقد تعاطفت الرجعية المصرية مع الفاشية لعلها تجد فيها مخرجا يحميها من خطر اليسار وتصاعد الصراع الطبقى • ووصل الأمر الى حد تمجيد الفاشية باعتبارها السد المنيع ضد الشيوعية ، وامتدحت صحيفة مصرية موسولينى باعتباره « أتى أعمالا مجيدة وجعل الشعب الايطالى يقلع عن كثير من العادات القديمة التى كادت أن تؤدى بايطاليا الى الثورة والخراب »(١) ، وجريدةأخرى تؤكد أن كل أوربا قد تنبهت الى مزايا الفاشية التى أنقذت ايطاليا بعد أن «كادت تهوى الى هاوية الشيوعية» بل لقد وجد الكاتب الشجاعة كى يقول:لقد سمعت كثيرين يعربون عن الأسف على أن لا يكون عندهم موسولينى من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد الى العمل والنجاح ». (٢) والحقيقة أن كل قيمة موسولينى عند الرجعية المصرية كانت تتركز فى عدائه للديمقراطية وللشيوعية وأنه « أسكت المعارضة فى البرلمان الايطالى • وصان بذلك حياة المملكة التى كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية(٣) ، بل لقد وصل الامر الى حد أن مجلة قانونية متخصصة هى « مجلة المحاكم المختلطة » كتبت تقول « بينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدسائس الشيوعية قد يكون مفيدا القاء نظرة الى الحزب العوان التى أعلنها الفاشست فى ايطاليا على العدو المشترك »(٤) ، وكانت صورة « شباب الفاشست » من أبناء الجالية الايطالية وهم « يزهون » بقمصانهم السوداء تجد مكانا مرموقا فى الصحف المصرية(٥) •

بل لقد وصل الامر الى حد أن حزبا مسئولا شارك فى الحكم أكثر من مرة وأسمى نفسه « الأحرار الدستوريين » قد سمح لجريدته أن تكتب قائلة « وقد لا نخطىء اذا قلنا ان فكرة البرلمانية والفاشستية تجد كل منهما فى مصر أنصار اذا عرضتا للبحث ، ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا أن الروح الفاشستية تلقى تأييدا أشد حرارة من الروح البرلمانية »(٦) ولعل هذا الموقف هو امتداد طبيعى لرفض حزب الاقلية الضئيلة لان تحكم البلاد

(١) اللطائف المصورة ١٩٢٧/٢/٢٨

(٢) ملحق مجلة الفلاح المصرى • عدد شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٨

(٣) فسطاكى الياس عطارة – تاريخ تكوين الصحف المصرية – مطبعة التقدم ( ١٩٢٨ ) ص ١٩٧ •

(٤) الأهرام ١٩٢٧/٩/٨

(٥) اللطائف المصورة ١٩٢٧/٣/٧

(٦) السياسة ١٩٣٦/٨/٣١ •

دستوريا وبواسطة حزب الاغلبية البرلمانية ( الوفد ) . ولم يكن أحمد حسين وحزبه « مصر الفتاة » سوى رجع الصدى لأشد القوى يمينية فى مصر . وهو لم يحاول حتى أن يخفى نفسه ، فعندما سافر الى باريس فى عام ١٩٣٠ لم يزعجه هناك أكثر من « سريان الشيوعية المخربة المدمرة لكل ما هو جميل وروحى وكذلك الاشتراكية المتطرفة »(١) وهو يعترف بأن الفكرة التى أوحت الى موسولينى بالقميص الاسود فى ايطاليا ، والتى أوحت الى هتلر أن يبتكر القميص البنى فى ألمانيا هى « التى أوحت الينا أن نفعل مثلما فعلوا »(٢) .

وهو يرفض الحياة البرلمانية والدستور والديمقراطية ويصف سنواتها فى مصر بأنها « عشر سنوات ضاعت ، وتأخرت بها الأمة عشرين عاما الى الوراء ، وانها ضاعت فى القيل والقال ، بين خطب ومناقشات ومفاوضات وبين خلافات حزبية ونيران مستعرة وبرلمانات تشاد وبرلمانات تهدم »(٣) .

ومرة أخرى يؤكد أحمد حسين « نكره هذا النظام البرلمانى الذى يقوم على تعطيل الاعمال وتعويق الانتاج ، والذى يحول البلاد الى مسرح من مسارح الخطابة والتمثيل » ويقول « ونحن نريد فى نهاية الامر نظاما لا تكون الكلمة فيه للجهال وهم فى كل مكان الاكثرية »(٤) .. وبعد رحلة قام بها أحمد حسين الى ايطاليا وألمانيا يعود ليؤكد « أننا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا فى الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى »(٥) ، وفى حديث له مع مراسل جريدة « لافوروفاشيستا » الايطالية يؤكد أحمد حسين أن مبادىء حزبه تتشابه مع مبادىء روما وبرلين ويقول « ونحن نرغب فى أن نقلد زعيمكم الدوتشى فيما أدخله من الاصلاحات » وقال أن شبيبة مصر الفتاة « تعتقد أن الدوتشى هو منشىء قواعد السياسة فى هذا العصر »(٦) .

ويبدو أن أحمد حسين قد صدق نفسه بالفعل فأعلن فى يونيو ١٩٣٨ أن حزبه سيصل الى السلطة بعد ثلاث سنوات وهو يعلق على رد الفعل

---

(١) أحمد حسين ـ ايمانى ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة الرغائب ( ١٩٣٦ ) ص ٧٤

(٢) المرجع السابق ص ٣١١ .

(٣) الصرخة ١٩٣٣/١٠/٧ .

(٤) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/١٨ .

(٥) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/٤ .

(٦) مصر الفتاة ١٩٣٨/٨/١ .

الناجم عن هذا التصريح فيقول « فلم أكد ألقى هذا التصريح حتى استبشرت به الامة فرحا أما الشيوخ ورجال السياسة فقد سخروا كما سخروا من قبل بكل مصلح وصاحب فكرة وارادة : سخروا من هتلر وسخروا من موسوليني .. ونحن لا يزعجنا ذلك ، بل يزيدنا ايماننا ، نحن نريد الحكم »(١)

وقد حرص أحمد حسين على أن يطعم « فاشيته » بنزعة فرعونية فدعا الى « ميليشيا فرعونية »(٢) ، وحاول أن يطعمها أيضا باتجاه اسلامي فهو يتحدث الى جريدة « جرنال دى جنوا » الايطالية قائلا « الفاشية فيها الكثير من الاسلام »(٣) وهو يستأسد فجأة مستندا الى تأييد الرأى فيدعو الى انقلاب فاشى شامل « يا من بايعتمونى ، لا بد من انقلاب ، لا بد من قوة ، ولا قوة بغير تضحية .. اذا أردنا اصلاح هذه العجلة القديمة ، عبثا نحاول ترميمها ، أو نغير بعض أجزائها ، لا بد من تحطيمها تحطيما واعادة بنائها وذلك هو الانقلاب الذى تحتاجه البلاد » انقلاب ضد من ؟ يجيب أحمد حسين « .. كل شىء يحتاج الى انقلاب لا بد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفدا أو نحاسا أو مكرما أو برلمانا »(٤)

وهكذا يستبين كل شىء فالدعاوى الفاشية لم تكن سوى أداة فى يد القصر وأحزاب الأقلية ضد البرلمان والدستور الذى كان يكفل للوفد دوما أن يأتى للحكم ..

وكان لا بد لهذه الدعاوى من أن تثير الذعر فى نفوس الاجانب ، وأكثريتهم تربت وتثقفت واطمأنت فى رحاب « فكر الثورة الفرنسية وتقاليد الاصلاح الدستورى فى أوروبا »(٥) ولا بد له أيضا أن يبث الرعب فى نفوس اليهود وهم كثيرين بشكل ملحوظ وسط الجاليات الاجنبية ، بل ولا بد لكل أجنبى مقيم فى مصر أن يشعر بالخوف وهو يقرأ المبادىء العشرة التى صاغها أحمد حسين لتؤهل معتنقها كى يكون جنديا من جنود مصر الفتاة .. ويجد فيها

---

(١) مصر الفتاة — ٤ — ٧ — ١٩٣٨ .

(٢) الصرخة — ١ — ٣ — ١٩٣٥ — وراجع أيضا كتابه : ايمانى — المرجع السابق .

(٣) مصر الفتاة — ١١ — ٨ — ١٩٣٨

(٤) تقرير اتهام النيابة العمومية فى قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعام ١٩٣٩ .

5) Robert Stephens — NASSER — Pelican books — (1983) — P. 45.

« الحتقر كل ما هو أجنبي بكل نفسك .. وتعصب لقوميتك الى حد الجنون »(١) ! .. ولا بد لهذا الخوف من أن يتضاعف عندما يشعر الاجنبي بأن « القصر الملكي » ورجله المفضل كامل البنداري يحتضنان هذه الجماعة ويسندانها ، ولم يكن أمر هذه العلاقة خافيا على أحد .. بل لقد تناولتها الصحف في أحاديث صريحة .. وتكتب جريدة المصري وهي تتحدث عن الفاشيست المصريين قائلة : « فالدكتاتورية اذا كانت شرا في صورتها الشعبية كما هي في ايطاليا والمانيا فان شرها ليجاوز الحدود والقيود اذا تولاها رجال السراي » وقد صدق زعيم الامة حيث قال : .. « ليس أسوأ من حكم رجال السراي في أي بلد من البلاد »(٢) وعندما كان النحاس في الحكم حاول الحد من نشاط جماعة مصر الفتاة فوجهت السراي أحد أتباعها من النواب كي يوجه استجوابا عن أسباب ذلك ، ورد النحاس بنفسه معلنا أنه قد « ثبت لوزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد »(٣) ..

أما من هي الدولة فقد أجابت صحف الوفد تلميحا بأنها ايطاليا .. وقالت احداها أن ايطاليا أنفقت في عام ١٩٣٥ مبلغ عشرين ألف جنيه على الدعاية وحدها وانها ضاعفت هذا المبلغ عام ١٩٣٦(٤) ..

وقد صحب ذلك كله نشاط محموم قامت به التيارات الفاشية في الجالية الايطالية تحت زعامة ماتزوليني Mazzolini الوزير الايطالي المفوض والمندوب فوق العادة والذي كان فاشيا متحمسا ، وكثيرا ما شوهد في مدن القطر المختلفة وهو يستعرض في قميصه الأسود فصائل الشباب الفاشي من أبناء الجالية الايطالية(٥) . وقد تصاعد هذا النشاط ليثير مخاوف الكثيرين داخل مصر وخارجها The communist International مقالا هاما يلمس هذه القضية فيقول « أن القاهرة هي أحد المراكز الرئيسية للدعاية الفاشستية وللتجسس لحساب الفاشست الايطاليين والالمان .. ان الدعاة الفاشست يرددون للجماهير المسلمة دعايات تقول ان الكثيرين من الألمان والايطاليين قد اعتنقوا رسالة محمد .. وهم يوزعون كتاب «كفاحي» باعتباره قرآنا جديدا » .. وتمضي المجلة قائلة « ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان

---

(١) الصرخة ١٩٣٣/١٢/٩ .
(٢) المصري ١٩٣٨/٧/٣ .
(٣) مجلس النواب . الهيئة النيابية السادسة . مجموعة مضابط دور الانعقاد الاول ـ المجلد الاول عام ١٩٣٩ ، مضبطة ١٩٣٦/٧/٢٢ ص ٩٧
(٤) آخر ساعة ١٩٣٦/٧/١٩
(٥) د . عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ص ٢٤٦ .

فى مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس ٠٠ كما أن الدعاية الفاشستية تساند أيضا فكرة معاداة السامية »(١) ٠

وقد ضاعف من خطورة الوضع أن « القصر » ورجاله « على ماهر - المراغى - البنداري » قد ظلوا - لفترة ما - يلعبون لعبة التقارب من « المحور » ، وفى يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٩ كتب الكونت شيانو وزير خارجية الدوتشى فى مذكراته يقول ان نبأ مثيرا قد وصله عن مقابلة تمت بين مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض فى برلين والسفير الايطالى بها « أتوكيلو » استفسر فيها الوزير المصرى باسم مليكه « الذى يناصب الانجليز العداء ، عما اذا كان المحور سيقف الى جواره ويسانده اذا ما أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر أو غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى ؟ »(٢)

وتؤكد المخابرات البريطانية فى أحد تقاريرها أنها كشفت - بعد الحرب - وثائق ألمانية تفيد أن على ماهر المدبر الاساسى لتقارب القصر مع المحور « كان يحصل من النازى على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر (Dresdner) »(٣) ٠

ولم يكن مصادفة أن الصديق الوفى لعلى ماهر - فى ذلك الحين - محمود عزمى والذى ألف عنه كتابا بعنوان « الأيام المئة » كان أيضا فى رأى كرومر « قد أصدر مجلة أسبوعية فى مارس ١٩٣٦ تلقى العون المالى لاصدارها من الايطاليين »(٤) ٠

***

وكانت هناك أيضا التيارات الاسلامية المتعصبة ، وهى تلك التى تمد أبصارها للماضى لتستلهم آثار السلف « تتجاوز الحاضر ولا تنظر للمستقبل بل تعود الى الماضى السحيق لتستلهم عصر صدر الاسلام كنموذج لما يجب أن يكون عليه العالم »(٥) ٠

---

1) The Communist international, Vol : XVII No. 6 (1939) P. 476 — By D.DAVOS.

2) The Ciano Diaries 1939—1943— Doubleday and Company — inc, Garden City, New York (1946) P. 32.

ولمزيد من التفاصيل راجع السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٧٠ ٠ مقال د٠ عبد العظيم رمضان - الدبلوماسية المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

3) G. Kirk, The Middle East in the war 1939—1954 London (1953) P. 34.

(٤) رأى السفير البريطانى منذ ٣٠ سنة فى ١٥٠ سياسيا مصريا - الاهرام ١٣/٢/١٩٧٠ ( نقلا عن وثائق المتحف البريطانى ) ٠

5) Albert Hourani —Thought in the Libarl age 1798—1939—Oxford (1970) P.8.

وكان حسن البنـا يلجـأ هو أيضا الى نفس الاسلوب الخطابى المثير الذى لجـأ اليه أحمد حسين ، وبمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين ألقى خطـابا جاء فيه « وفى الوقت الذى يكون فيـه منكم معشر الاخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قـد جهزت نفسها روحيا بالايمان وفكريـا بالعلم والثقـافة وجسميا بالتدريب والرياضة ، فى هـذا الوقت طالبونى أن أخوض بكم لجج البحـار وأقتحم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيـد جبـار ، فانى فاعل ان شاء الله »(١) ٠

وكان حسن البنـا يؤكـد أنه يريـد الحكم ويريـد حكومة اسـلامية « الاسلام عبـادة وقيـادة ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهـاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحـد من هذين عن الآخر »(٢) ٠

والحقيقـة أن القصر قد حاول وباستمرار استخـدام بعض رجال الدين وبعض رجـال الازهر كأداة لمجابهة الحياة الدستورية وحكومة الاغلبية ، ولعل فى تقـارير البوليس السياسى التى عثر عليهـا مؤخرا ضمن وثائق قصر عابدين ما يكشف عن خبايا هـذه العـلاقة ٠ فعلى سـبيل المثـال نجـد تقريرا مرفوعـا من حكمدار بوليس مصر الى كبير الامنـاء بالقصر الملكى عن « حالة الازهر الشريف يوم ٤ فبراير ١٩٢٧ » جاء فيه « أنه كان بالازهر أمس عدد كبير جدا لمناسبة صلاة الجمعة ٠ فألقيت فيه الخطب الكثيرة طول النهار وفى الليل أيضا — وقـد كانوا يصيحون بالنداءات الاتية من وقت لاخر « يحيا جلالة الملك — يحيا حسن نشأت باشا — يسقط البرلمـان والحكومة وسعد باشا »(٣) ٠

وكان لا بـد لذلك كله أن يثير هواجس الاجانب وكلهم غير مسلمين ، وأكثرهم علمانيون وكان لا بد للاجانب ولاعداء المحور منهم خاصة أن يشعروا بالرهبة تجـاه هذا التحـالف الذى نشأ بين الاخوان المسلمين والقصر الملكى ثم بين الاخوان وعملاء المحـور ودعـاته من ناحية أخرى ٠ وبرغم أن الجماعة

---

(١) د٠ اسحق موسى الحسينى ، الاخوان المسلمين كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ٠ ص ٢٨ ٠

(٢) حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — دار الكتاب العربى (القاهرة) ص ١٥١ ٠

(٣) وثيقة معنونة — محافظة مصر — ادارة الضبط فرع ب — نمرة ١٩٠ سياسى سرى — مطلوب الرد — ( مؤرخ فى ٥ فبراير ١٩٢٧ وموقع ٠ حكمدار بوليس مصر ) ٠

كانت عند نشأتها على علاقة بالدوائر الموالية للانجليز ( أول تبرع حصلت عليه الجماعة كان مبلغ ٥٠١٠ جنيه من شركة قناة السويس حيث يهيمن النفوذ البريطاني ) (١) الا أنهما سرعان ما اعتلت موجة التقارب مع القصر ثم مع المحور (٢) الامر الذي دفع الانجليز الى المطالبة أكثر من مرة باعتقال حسن البنا متهمين اياه أنه على علاقة وثيقة مع الايطاليين واعتقل البنا والسكري وأودعا معتقل الزيتون لكنهما ما لبثا أن أفرج عنهما ويقول جورج كيرك تطيقا على هذا الافراج أنه « تم بضغط من القصر الذي ساد الاعتقاد أنه يمده ( حسن البنا ) بمعونة سخية »(٣) .

فاذا ما وضعنا ذلك كله في اطاره العام حيث كانت جحافل النازي تدق أبواب مصر بالفعل لامكننا أن نتصور المناخ العقلي والفكري والنفسي الذي عاشت فيه القوى العلمانية والديمقراطية واليسارية في صفوف الجاليات الاجنبية والذي دفعها حتما الى العمل والنشاط باتجاه تقدمي . واذا كانت حراب الفاشية تتجه أولا ضد اليهود فقد كان طبيعيا أن يتجه الكثيرون من أبناء الطائفة اليهودية في مصر ( وعددها ٦٢٩٥٣ وفقا لاحصاء ١٩٣٧ ) (٤) الى مجالات العمل المناهض لها .

فاذا أضفنا الى كل ما سبق عدة عوامل أخرى ذات أهمية خاصة منها :

* الحياة الثقافية والمناخ الفكري العام وسط التجمعات الأجنبية والذي كان يتأثر بشكل مباشر بمثيله في أوربا وفي الوطن الام بالذات ، حيث كانت القوى اليسارية الاوربية تنشط بصورة ملحوظة باتجاه العمل المناهض للفاشية وتوسيع النشاط الجبهوي والديمقراطي ضدها .

* الامتيازات الاجنبية التي كانت تحمي النشاط السياسي وسط الأجانب حتى ولو لم يكن مرضيا عنه من جانب السلطة .

* عنصر اللغة ، فحتى نهاية الثلاثينيات لم تكن أوليات الادبيات

---

1) Richard P. Mitchell — The Society of the Muslim Brothers — OXFORD (1969) P. 9.

2) IBID — P. 19.

(٣) جورج كيرك ـ المرجع السابق ـ ص ٣١٤ .

4) Départment de la statistique General - Annuel Sattistique de Poche 19:4—Le Caire p. 6.

الماركسية قد ترجمت الى العربية ، لقد ترجم الشيوعيون المصريون فى مطلع العشرينات كتاب وحيد هو « الدولة والثورة » ثم فشلت محاولات لاحقة لترجمة كتب أخرى •• وطوال النصف الاخير من العشرينات وكل الثلاثينيات كان دخول الكتب والمجلات والصحف الشيوعية الى مصر ممنوعا ، وهكذا انفرد التقدميون الأجانب بالقدرة على « استيراد » كتب ومجلات شيوعية ( احتماءا بالامتيازات الاجنبية ، وبحكم احتكاكهم الثقافى بأوربا ، وبحكم تردده الدائم عليها ) وانفردوا - والى حد كبير - بالقدرة على الاطلاع عليها ( بحكم معرفتهم باللغات الاجنبية ) •

❋ وكل ذلك يتم وقت كانت فيه سلطات الاحتلال البريطانى - وهى التى كانت تهيمن على أجهزة الامن - ترتجف فزعا من اقتراب الغزو النازى لمصر • ومن تواجد قوى مصرية موالية للمحور ومن مساندة الرجعية المصرية وفى قمتها القصر الملكى لهذه القوى •• وفى ظل مناخ كهذا كان من الطبيعى أن تسمح سلطات الأمن بالنشاط الديمقراطى والمناهض للفاشية ، وأن تشجعه فى بعض الاحيان ، وأن تتغاضى عن الميول الماركسية لبعض التجمعات ، بل وأن تسعى للتحالف معها •

❋ ❋ ❋

وهكذا أتيحت الفرصة أمام الاجانب وأمام اليهود منهم بالذات كى ينشطوا باتجاه مناهض للفاشية ، ولمقاومة معاداة السامية ، فكيف استغلوا هذه الفرصة ؟

كانت البداية على يد « ليون كاسترو » صديق سعد زغلول ، وصاحب مجلة « ليبرتيه » حيث أسس فى نهاية العشرينات جماعة Essayistes ( المحاولين ) كجماعة ثقافية علمية ضمت عددا من الايطاليين واليونانيين والشوام وقليل جدا من المثقفين المصريين ، وكانت هذه الجماعة تصدر مجلة اسمها L'efforte ( المجهود ) ، وداخل هذه الجماعة تواجد تيار يسارى ، وكامتداد لجماعة « المحاولين » كانت هناك مجلة ذات اتجاه قريب من اليسار تصدر بالفرنسية فى الثلاثينيات اسمها La gerbe ( الحزمة ) وكان يصدرها زكى ليفى(١) •

وعندما تصاعد المد الفاشى فى أوربا ومع تردد صداه فى مصر نشط ليون كاسترو مرة أخرى وأسس « جمعية مكافحة العداء للسامية (L.I.S.C.A.)

---

(١) محضر نقاش مع ادوارد ليفى - أجرى فى باريس فى أوائل نوفمبر ١٩٦٨ •

وقد امتد نشاط هذه الجماعة الى مدارس الليسيه حيث يدرس معظم الشباب الأجانب ، ومن داخل هذه الجماعة التى حشدت فى صفوفها الكثير من اليهود تبلور تيار يسارى ما لبث أن تباعد عنها تحت ضغط عناصر صهيونية تجمعت فيها أيضا(١) . وقد أقام بعض أفراد هذا التيار اليسارى علاقة مع الحزب الشيوعى الفرنسى ، ومن بينهم ادوارد سوريانو ( وكان موظفا فى شركة قناة السويس بالاسماعيلية وتوفى عام ١٩٣٨ ) ويقال أنه اشترك فى اعداد كتاب أصدره الحزب الشيوعى الفرنسى بعنوان « الأدب والاستعمار .. مصر فى الادب الفرنسى »(٢) .

وقد نشطت هذه المجموعة اليسارية ، وأوجدت مسارات عديدة لعملها منها تأسيس مدرسة للاسبرانتو(٣) ويبدو أن الاهتمام بتدريس اللغة الدولية ( الاسبرانتو ) كان رد فعل طبيعى وسط جماعات تتكلم لغات مختلفة وفى بلد لا يعرف أي منهم لغته الأصلية .

وفى عام ١٩٣٤ تجمع معظم هؤلاء اليساريين الاجانب من عدة جنسيات وبأغلبية من اليهود فى « اتحاد أنصار السلام » الذى أسسه بول جاكو دى كومب وارتبط بالتجمع العالمى للسلام

Rassembelement Universel Pour la Paix (٤)

واتخذ طابعا ديمقراطيا مناهضا للفاشية والحرب .

وكان « بول جاكو دى كومب » على علاقة بتجمع شيوعى من اليونانيين يقوده باناكاكس وبيريديس ثم انقسم عنه عندما اكتشف عزلته التامة عن مشاكل مصر وقضاياها فقرر أن يقترب أكثر من مصر من خلال واجهة علنية هى اتحاد أنصار السلام(٥) ، وقد انضم الى هذا الاتحاد عدد من الشخصيات اليسارية الهامة من مختلف الجنسيات منهم فيوبيريديس ـ ( الشاعر اليونانى الشهير ) ، وزوجته الكسندرا ، ودورا ستولیار Dora stoliar وأخوها آبى Aby وهما من أصل روسى ، وآنا طوبى Anna Touby (٦)

---

(١) محضر نقاش مع ايلى ميزان ـ أجرى فى باريس فى منتصف نوفمبر ١٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تقرير قدمه الرفيق سبانو عن فترة اقامته فى مصر الى الحزب الشيوعى الايطالى ( مودع أصله فى أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعية الايطالى ( صورة فوتوغرافية ) .

(٤) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ المرجع السابق .

(٥) محضر نقاش مع دينا فورتى ـ أجرى فى روما فى ١٩٧٣/٢/٢٤ .

(٦) محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب ـ أجرى فى باريس فى أوائل نوفمبر ١٩٦٨ .

وقد نشطت جماعات التقدميين الاجانب فى تنظيم حملات لمساندة الجمهوريين الأسبان وجمعوا تبرعات لبنـاء مدرسة أطفـال فى فالينسيا بالمنطقة المحررة بأسبانيا . بل أن عددا منهم قـد حاول التطوع للحرب فى صفوف الجمهوريين الاسبان ، وطالبوا الى السفارة الاسبانية بالقـاهرة أن تنظم لهم فوجـا من المتطوعين ، لكن السفارة أقنعتهم بالبقـاء فى القـاهرة لمواصلة الحملة ولحشد جهود القوى الديمقراطية لمساندة الجمهوريين (١) .

وما أن نشبت الحرب العالمية حتى نشطت القوى اليسارية والتقـدمية وسط الجـاليات الأجنبية ، البعض يدعو لنبذ ثرثـرة المثقفين والاشـتراك مباشرة فى القتـال ضـد الفاشية وقـد سافر عدد منهم بالفعل مثل آبى ستولبـار ( روسى الاصل وقـد مات فى معارك الجبهة الايطـالية ) وجـورج بوانتيه ( عضو الحزب الشيوعى السويسرى وقـد حضر الى مصر ليعمل مدرسا للغـة الفرنسية ، وقـد انضم الى الفرقة الفرنسية ومات هو أيضا فى المعارك )(٢) وكارليتو منـدل Carletto Mendel ( وكان عضوا بالمجموعة الشيوعية الايطـالية بمصر وعاد الى ايطاليـا عام ١٩٣٩ ليشارك فى حركة المقـاومة ضـد الفاشيست وظل هنـاك حتى قتل بأيدى الفاشيست عـام ١٩٤٣ )(٣) .

بينما قرر البعض الاستمرار بمصر والنضال كجزء من الحزب الأم .. خاصة وأن القاهرة قـد تحولت مع اشتعال الحرب العالمية الثانية الى مـركز ذو أهمية دولية ..

وكانت هناك المجموعة الشيوعية اليونانية التى تضم يانا كاكس والأخوة بيريديس وحاجى أندريوس وهـو كاتب روائى مشهور اشتهر فى ميدان الأدب باسم تسيركوس Tsirkos والرسام انزلو بولو والمحامى سقراط كالياريكوس ونيقولا باباريدوتى وآخرين كثيرين(٤) وما لبث أن اتسـع هذا

---

(١) من رسالة خطية كتبها باللغة العربية مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) يجب فيهـا على عددا من الاسئلة وجههـا له المؤلف خلال لقـاء معه فى روما فى منتصف فبراير ١٩٧٣ والرسالة مؤرخة مارس ١٩٧٣ .

(٢) محضر نقـاش مع هنرى كورييل ـ جلسة النقاش الاولى ـ أجريت فى باريس فى نوفمبر ١٩٦٨ .

(٣) محضر نقاش مع دينا فورتى ـ المرجع السابق .

(٤) نقولا باباريدوتى ـ تقرير باللغة الفرنسية كتبه اجابة على أسئلة المؤلف عن نشاط المجموعة الشيوعية اليونانية بمصر ( نسخة أصلية ) .

النشاط بوصول مجموعات عسكرية من الجمهوريين اليونانيين الى مصر وكان النفوذ اليسارى قويا فى صفوفها ، وقد قامت هذه المجموعات بخمس انتفاضات ضد تآمر السلطات البريطانية عليها ومحاولات الزج بها فى معارك بعيدة عن اليونان وبقوى غير متكافئة مع العدو بهدف تصفيتها خدمة للملكيين اليونانيين وقد أسهم الكثير من اليساريين الاجانب فى مساندة هذه المعركة.

وتشير أحد وثائق السفارة الأمريكية بالقاهرة الى وجود « حزب شيوعى أرمنى مقره القاهرة ويتزعمه ك. هوفهانسيان
وتؤكد الوثيقة أن هذا الحزب لا يقيم أية علاقات مع الجماعات المصرية المتطرفة »(١)

وكانت هناك تجمعات أجنبية أخرى تضم جنسيات مختلفة منها تجمع كان يضم ريمون أجيون وراؤول كورييل وبعض اليونانيين الذين أصدروا مجلة « دون كيشوت » التى سرعان ما تورطت فى بعض الانتقادات الموجهة للسياسة السوفيتية فاتهمت بالتروتسكية وما لبثت المجلة أن أغلقت . وقد نشط « أجيون » بعد ذلك هو وزوجته وعدد من اليساريين الانجليز فى تكوين لجنة لرعاية المهاجرين اليوغسلاف بمصر ( ٢٨ر٠٠٠ مهاجر ) وجمع التبرعات لهم ، وتقوية الصلات بالشيوعيين فى صفوفهم(٢) .

وبين جنود قوات الاحتلال البريطانية كان هناك أيضا شيوعيون منهم كولونيل كولجمان KLUGMAN ( وكان على علاقة ببول جاكو دى كومب ) الذى تعرف به عن طريق أستاذ انجليزى شيوعى كان يدرس بالجامعة المصرية(٣) ومنهم أيضا الضابط سام باردل ( وكان على علاقة بهنرى كورييل — وكانت زوجة سام واسمها هنريت آربيه تعمل موظفة فى المكتبة التى أفتتحها كورييل واشتهرت باسم مكتبة الميدان(٤) .

---

(١) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم :
226 - OSS — 113884 — Feb1, 1945

(٢) محضر نقاش مع ريمون أجيون : أجرى فى باريس فى ١٩٧٣/٤/٤

(٣) محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب — جلسة المناقشة الثانية — أجريت فى باريس فى ١٩٧٠/١/٢٦

(٤) محضر نقاش مع هنرى كورييل — جلسة النقاش الثانية — أجريت فى باريس فى ١٩٧٠/١/٢٥

لكن أكثر المجموعات الشيوعية نشاطا فى الثلاثينيات كانت بغير منازع المجموعة الشيوعية الايطالية والتى كانت تضم عديدا من الأعضاء النشطين منهم ·· دينا فورتى ، وريناتوميللى Renato mielli وزوجته ايزا Isa ، وأوجو ناكسون Ugo Nacson وريناتو فرفرة ولارا ليفى Lara Iivi وزوجها راؤول مكاريوس ، وكارليتو مندل ·

وكانت هذه المجموعة تعمل بنشاط فى صفوف الجالية الايطالية فى محاولة باسلة لمقاومة النشاط الفاشستى فيها ، وكانت تقيم علاقات أيضا مع مجموعة تضم الاشتراكيين الايطاليين بزعامة باولو باتينو ( وكان أحد قادة الحزب الاشتراكى الايطالى ) وكانت هذه المجموعة على علاقة بفرع الحزب الشيوعى الايطالى فى فرنسا حيث كانت تتلقى نسخا من مجلة يصدرها فى باريس اسمها « صوت الايطاليين » La vos delglitaliane حيث تقوم بتوزيعها بالبريد على مختلف الشخصيات الايطالية وعندما تكاثر الأسرى الايطاليين فى مصر أصدرت المجموعة الشيوعية نشرة كانت ترأس تحريرها لارا ليفي وكان يجرى توزيعها بالتعاون مع السلطات البريطانية وأصدرت أيضا نشرة أخرى لتوزع على معسكرات الاسرى الايطاليون فى أنحاء العالم وكان أسمها « الجبهة المتحدة Fronto Unito

وكانت هذه المجموعة من النشاط بحيث حظيت باهتمام خاص من الحزب الشيوعى الايطالى الذى أرسل أحد قادته حوالى عام ١٩٣٥ الى مصر وهو الرفيق سبانو ليقيم فى بورسعيد بهدف تنظيم نشاط سياسى وسط الجنود الايطاليين المتجهين الى الحبشة(١) ·

كذلك يبرز اهتمام قيادة الحزب الشيوعى الايطالى بنشاط هذه المجموعة من أن الرفيق تولياتي لدي مروره بالقاهرة قادما من موسكو بعد انتهاء الحرب زار لارا ليفى فى منزلها حيث وجه انتقادات عديدة للخط السياسى لمجلتها »(٢) ·

ولقد ظل النشاط الشيوعى وسط الايطاليين المقيمين بمصر متصلا لفترة لاحقة الى الدرجة التى لفتت انظار السفارة الامريكية فأعدت تقريرا عن مجالين

---

(١) محضر نقاش مع دينا فورتي ـ المرجع السابق ·

(٢) محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا ـ أجرى فى باريس فى ١٩٧٣/٤/٥

هامين من مجالات نشاط الشيوعيين الايطاليين بالاسكندرية وهما منظمة ايطاليا الحرة Movimento Libera Italia والمركز الثقافى الايطالى Centre Cultural Italiano وقالت السفارة أن المنظمة الاولى تقع تحت « سيطرة مجموعة من المتطرفين الذين يرددون دعايات لصالح روسيا ويتزعم النشاط الشيوعى فى هذا المجال أوجو فيورينتيو Ugo Fiorentino وأوردت اسماء أربعة آخرين من معاونيه •• وتقول الوثيقة ان فيورنيتنو قد سافر مؤخرا الى ايطاليا حيث اجتمع بتولياتى •

وتقول الوثيقة أن منظمة ايطاليا حرة قامت بتأسيس « المركز الثقافى الايطالى فى ١٦ فبراير ١٩٤٥ بهدف ترويج الفكر الماركسى بين شباب الجالية الايطالية • ويرأس المركز الثقافى الايطالى البروفسير جيوسيبى سيباستى PROF Giuseppe Sebasti (١)

ولعله كان طبيعيا بعد ذلك كله •• أن يستشعر بعض هؤلاء الشيوعيون — من مختلف الجنسيات — احساسا بتأنيب الضمير وهم يتحدثون عن الماركسية والصراع الطبقى ويقاومون الفاشية ، كل ذلك باللغة الايطالية أو الفرنسية أو اليونانية وبمعزل تام عن شعب يرون بأعينهم كل يوم كيف يعانى ويناضل ••

لعله كان طبيعيا بعد ذلك كله أن يستشعر الكثيرون من هؤلاء الشيوعيين الأجانب ضرورة النضال •• ان لم يكن فى صفوف الشعب المصرى ، فعلى الأقل محاولة النضال من أجل الشعب المصرى ، سعيا الى كوادر مصرية تقود العمل الشيوعى على أرض مصر ومن أجل شعب مصر •

وفى ظل هذه الفرص الواسعة التى أتاحتها ظروف الحرب العالمية ، وامكانيات وامتيازات الجاليات الاجنبية فى مصر ، وفى ظل المطاردة العنيفة التى لاحقت بقايا كوادر الحزب الشيوعى المصرى ( القديم ) التى صمدت فى نضال مستميت دام حوالى عشرين عاما والتى تركز ضدها كل حقد وقسوة وبطش سلطات الاحتلال والرجعية المصرية ، حتى جعلت منها خلايا معزولة ، كانت برغم شجاعة رجالها عاجزة عن ممارسة دور ذو أثر ••

فى ظل هذا التناقض الغريب بين الفرص المتاحة أمام اليسار الاجنبى والمطاردة — الشرسة ضد اليسار المصرى •• كان طبيعيا أن ينمو دور الأجانب،

---

(١) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG. 319 Mis 284423 - 21 May 42 .

لفترة من الوقت حتى نستعيد الكوادر المصرية أنفاسها ·· ثم لا يلبث بعدها أن يتضاءل مع أمواج المصريين المقبلين للنضال تحت راية الشيوعية ·

وهذا هو ما حدث بالفعل ··

وفى بلد شبه مستعمر ، يعانى من احساسيات بغير حدود تجاه الأجانب، كان لا بد لوضع القيادات الاجنبية من أن يكون مؤقتا فى صفوف الحركة الشيوعية ، فبرغم ايجابيته فى المرحلة الاولى ، كان لا بد له من أن يخلق ـ بذاته حساسيات أخرى تفرض انهاءه ···

وهذا هو ما حدث أيضا ··

* * *

## ٣ - لماذا نشأت الحركة الشيوعية منقسمة :

هل كان ضروريا أن تنشأ الحركة الشيوعية فى مطلع الأربعينات وهى منقسمة ؟

هذا هو السؤال الذى تردد باستمرار فى أعماق كل شيوعى مصرى وكل باحث فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ‥ وردا عليه قال البعض :

لو أن شيوعى الحزب القديم ظلوا متماسكين ومتواجدين الى الحد الذى يمكنهم من إستقطاب الموجة الجديدة ، لكان الامر قد حسم ولتوحدت حولهم كل الفئات والجماعات المقبلة باتجاه اليسار ‥

وقال البعض الآخر :-

لو لم يكن الأجانب ‥ لما كان الانقسام ، فهم بطبيعة إنتمائهم غير المصرى أقاموا تجمعات منفصلة يونانيين ، ايطاليين ، أرمن ‥ الخ ، وهم بطبيعة تكوينهم المنعزل عن الشعب المصرى لم يستشعروا خطر التقوقع داخل « جدران تنظيمات » صغيرة ‥

وقال رأى ثالث :

لو أن الأحزاب الشيوعية الاوربية ( وخاصة الاحزاب الشيوعية باليونان وايطاليا وفرنسا وبريطانيا ) كانت تعيش فى ظروف طبيعية ، ولو لم تجابه صعوبات بل وضربات الحرب العالمية الثانية ، لامكنها أن تسهم فى توحيد هذه « التجمعات » وأن تتداخل لصالح عملية الوحدة ٠

وثمة رأى آخر :

يقول لو أن « الكومنترون » لم يحل فى هذا الوقت بالذات ، لكان قد أدلى بكلمة مسموعة وواجبة الطاعة من جانب الجميع ولتوحدوا تحت رايته ٠

وآراء أخرى كثيرة ‥ كل منها يحتوى على قدر معين من الصحة ‥ ومجموعها يحيط نشأة الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات بسلسلة متراكمة من سوء الحظ تحالفت على جعلها منقسمة ٠ ومع تسليمنا بتأثير كل عامل ن العوامل السابقة تأثيرا قل أو كثر فاننا نود أن نشير الى بعض عوامل أخرى أسهمت - فى اعتقادنا - فى تكريس الانقسامية :

* « حمائية » بعض قادة التجمعات الأولى :

فلقد سيطر على البعض منهم احساس بالخطر الداهم والخوف المستديم تحول الى شك وريبة فى الجميع ، وتحول الحذر لدى البعض الى معوق عن استيعاب القوى الجديدة الوافدة تحت رايات الماركسية اللينينية ، بل ورفضها وادانتها واتهامها فلم تجد هذه القوى الوافدة سوى أن تبحث لنفسها عن « تجمع » مستقل تعمل من خلاله ٠٠

فقد رأينا كيف أن مؤسسى « اتحاد أنصار السلام » وبرغم أنه كان قد كون جماعة ماركسية داخل هذا الاطار الديمقراطى ، الا أنه صمم تصميما غريبا على رفض الانفتاح على أى وافد جديد ٠٠

وقد عرض عليه الكثيرون الانضمام الى مجموعته وتحت قيادته لكنه رفض وباصرار حتى مجرد النقاش فى الامر ٠

ولقد يكون له بعض العذر ٠ فقد كان درس الحزب القديم والمطاردات الساحقة التى لاحقته ماثلا أمامه دائما ٠

ولقد كان البوليس المصرى حذرا ومدربا ومتيقظا لاى تحرك ، ولقد كان الرجل — الدائم الحذر — يبحث عن مصريين ، أو على الاقل متمصرين ، ولم يكن يريد أجانب ٠٠٠ ولعله كان محقا فى تصوراته هذه ، لكنه صم أذنيه عن صيحات الآخرين بصورة دفعتهم دفعا الى تكوين منظمات أخرى ٠

ولقد نظلم « الرجل » اذا ما ألقينا عليه عبء هذه المسئولية الخطيرة ، ولعله كان حسن النية تماما ، ولقد نكون مبالغين عندما نلقى بعضا من مسئولية هذه الظاهرة العامة والتى استمرت لاجيال على عاتق « فرد » لكن السؤال الذى يتعين على المؤرخ المحايد أن يسأله :

ماذا لو أن هذا الرجل قد مزج بعض حذرة ببعض من سعة الافق ، واستطاع — بشكل أو بآخر — أن يستوعب هؤلاء الذين أتوا اليه يطرقون بابه ، ويسألونه أن يضمهم الى منظمته ؟

ولسوف يظل هذا السؤال المحايد بغير اجابة قاطعة ، لكنه يظل أيضا ملقيا ببعض ظلال المسئولية على منهج الرجل وتصرفاته ٠ خاصة وأن المنظمة التى تابعت آراءه ومنهجه قد واصلت السير على نهجه فى رفض الالتفات لقضية الوحدة رفضا قاطعا جعل من الانقسامية أمرا واقعا ولا مفر منه ٠

*** كان الجميع « جددا » ولا يقدرون مدى مسئولية تأسيس حزب شيوعى ؟**

كانت الساحة ممهدة ، والحاجة ملحة ، لكن الكوادر المدربة الواعية المدركة تعنى ولمسئولية تأسيس حزب شيوعى مفتقدة ، والكوادر القديمة « محاصرة » تصمم الرجعية على حصارها ، ويصمم الجدد على تجاهلها أو عدم الاعتداد بخبرتها ، وهكذا اندفعت مجموعات من الشبان الى مجال العمل التنظيمى غير مسلحة بأية خبرة تنظيمية ، كانت معلومات الجميع سطحية ، وخبرتهم التنظيمية قليلة أو منعدمة ، والاستناد الى تجارب الماضى ، والى تجارب الغير ، مفتقد · وهكذا تجمعوا فى البداية بشكل مرتجل ·

والغريب فى الامر أن أحدا منهم لم يشعر فى بداية الامر بمخاطر « الانقسامية » كانوا فى أغلب الاحيان يرددون نفس الكلمات ، والخلافات السياسية قليلة ، أما الاختلافات البارزة فهى خلافات فى أساليب العمل ومنهج النضال ·

ولقد اعترف لى جميع من قابلتهم من مؤسسى هذا النشاط أنهم كانوا مجردين تماما من خبرة العمل التنظيمى ، والى حد كبير من خبرة العمل السياسى ، كان فى داخلهم حماس يتقد دون خبرة ودون ادراك لماهية المسئولية المترتبة على خوض معركة تأسيس منظمة شيوعية ·· الى جانب منظمات أخرى ··

وحتى عندما نمت هذه المنظمات ، وعندما اتحدت أغلبها معا فقد ظلت خبرة العمل التنظيمى وأساليب معاملة الكادر والتعامل معه ، ومناهج الصراع الداخلى فى الحزب الشيوعى وضوابطه مفتقدة الى حد كبير ، وأدت الى مزيد من الانقسام ·

*** وكانت أرض مصر خصبة :**

كانت مصر فى شوق بالغ الى راية جديدة ، الى منبر متميز عن تلك المنابر البرجوازية التى أثبتت عجزها وعدم قدرتها على تحقيق أمانى الشعب والوطن ، وكان الوقت ناضجا تماما ، والجو مهيأ تماما ، وألوف الشباب ذوى الطموح الثورى والامكانيات النضالية تتوثب استعدادا للالتفاف حول هذه الراية الجديدة راية الماركسية اللينينية ، وأى منبر وأية جماعة قل أعضاؤها أو كثروا طالما أنها كانت ترفع هذه الراية كانت مهيأة لان تستقبل أفواجا من هذا الشباب المتفجر ثورية وحماسا ·

وكان هذا أيضــا ـ على ايجابيته ـ عنصرا سلبيا رسخ فى أذهـان كل هذه « المنظمات » الوليـدة فكرة « النمو الذاتى » .. بمعنى تجـاهل الآخرين والاسراع بالنمو والتحول الى تنظيم كبير ، طموحا الى تأسيس حزب .. لقـد وصل الامر الى درجة أن جماعة من طـلاب المدارس الثانوية كانت تلتقى فى زاوية الطريق بين مسجدى الرفاعى والسلطان حسن اختارت لنفسها طريق العمل الشيوعى ، وسرعان ما تحولت الى منظمة شيوعية اشتهرت باسم الحى الذى وجدت فيه .. « القلعة » ..

ورويدا رويدا تنمو هذه المنظمات وتتلاقى قواعدها ، وتتساءل ما الذى يفرق بينهـــا . رويـدا رويـدا .. تبـدأ الصعوبات الحقيقية والمسئوليات الحقيقية عنـدما تتحول الحلقــة الى منظمة ، والمنظمة الى منظمة كبيرة العدد كثيرة المسئوليات ..

ورويـدا رويدا تتوقف موجــة المـد العــارم الاولى بانطفــاء جـذوة الأحداث الوطنية والطبقيــة الحــادة .. وفى منصف عام ١٩٤٧ تبدأ الدعوة الى الوحــدة .. وتهزم سياسة النمو الذاتى ، لكن الموقف الحلقى القـديم للبعض أدى الى أن تقــوم الوحــدة ناقصة وغير كاملة ، ثم ما لبثت صواعق المطـاردة العنيفــة من العـدو وتفشى الاتجــاهات البرجوازية الصغيرة وقلة الخبرة بمعــالجة قضايا الصراع الحزبى أن أجهزت على الوحــدة التى قامت ، وتفشت الانقسامات من جديد ..

## * عندما يتحول التباعد الى تمايز !

فى البداية نشأت الحلقات جنبا الى جنب ، وتعاملت فى مودة كاملة بدون صدامات أو حساسيات ، ولعل أفضل تشبيه ينطبق عليها هو أنهــا كانت تشبه « الأندية الرياضية » تتنافس فى ود ، ولقــد يبدو ذلك تحليا بروح « رياضية » ، لكنه كان أيضا تعبيرا عن افتقاد الاحســاس بمخاطـر الانقسامية وافتقاد الحس الحزبى والتنظيمى .

وفى مطلع الأربعينات كانت كوادر المنظمات المختلفة تعمل فى « ود » جنبا الى جنب ، أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى يوزعون مجلة « الفجر الجـديد » ويكتبون فيهـــا وكذلك أعضـــاء ايسكرا ، والجميع يذهبون الى « دار الابحــاث العلمية » و « جماعة نشر الثقــافة الحديثة » الخ ..

وساد الحركة الشيوعية مناخ خطير الغــاية روج له البعض ربما عن عمـد وربما بحسن نية مؤداه أن كل نضال يسارى هو خير فى حد ذاته ،

وأن في الشارع المصرى متسع للجميع وأن أى منبر يسارى جديد ينشأ هو شوكة فى جنب الأعداء ..

وفى البداية كان التباعد « مكانيا » .. بمعنى أن معظم المنابر كانت لا تختلف عن بعضها البعض الا فى التفاصيل ، وحتى قادتها عندما يحاولون اليوم ـ خلال نقاشى معهم ـ أن يقدحوا ذهنهم بحثا عن أسباب الخلافات الأولى فلا يجدون سوى أسباب واهية بعضها شخصى وبعضها فى أساليب ومناهج العمل .

لكن هذا التباعد المكانى ما لبث أن أوجد ـ بذاته وبالضرورة ـ تباعدا فى أساليب العمل ومنهج التفكير ووسائل المعالجة للقضايا التنظيمية والفكرية

وبمرور الزمن واختلاف الاساليب والمناهج تمايز تياران ، تيار ثورى وتيار انتهازى . ولست بحاجة الى القول بأن كل تيار كان يختار لنفسه اسم الثورى ويلصق بالآخرين اسم « الانتهازى » .

ومع هذا التمايز واستقراره تكرست « مدارس » مختلفة فى العمل الشيوعى المصرى أصبح توحيدها أمرا صعبا بالفعل ..

*** قضية الحزب :**

ويقول البعض أن أحد أسباب الانقسام أن أحدا لم يعلن قيام « حزب شيوعى » وانما أقاموا « منظمات » ويتصور هذا البعض أن مجرد اعلان لافتة الحزب كان كافيا بذاته لمنع الاخرين من التواجد خارج صفوفه ..

ولست بحاجة الى القول بأن هذه حجة شكلية ، رغم أنها ترددت كثيرا ، ورغم أن البعض قد مارسها فى الواقع العملى فى مطلع الخمسينات فلم يزد الوضع الا سوءا ، وكان مجرد اعلان منظمة تحمل اسم الحزب فى وجه المنظمات الاخرى ورفضا لها ، تكريسا جديدا للانقسامية .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان الذين تصدوا لتأسيس منظمات شيوعية فى مطلع الأربعينات كانوا بحاجة ملحة الى فترة من تحسس الواقع الذى كانوا بعيدين عنه ليس فقط لانهم من أصل أجنبى وانما أيضا لأنهم « جدد » ولأنهم مبتدئون فى العمل السياسى والتنظيمى على السواء ..

ومن هنا كان احجامهم عن التسرع باعلان الحزب أمرا مفهوما ومعقولا .. لكن المشكلة تطورت فيما بعد ، وعندما أصبحت الظروف الموضوعية فى مصر ملائمة تماما لاعلان الحزب ، وعندا أصبح اعلانه أمرا ضروريا كانت الأوضاع الذاتية للحركة الشيوعية تعوق اتخاذ هذه الخطوة ، فقد تفشت الانقسامات وانكفأ الكثيرون فى حمأة الصراع الداخلى مكتفين « بنهش » بعضهم البعض دون النضال فى صفوف الشعب ..

وهنا أثير شعار « معقول » مؤداه عدم الفصل بين معركة التوحيد ومعركة اعلان الحزب .

وبدأت محاولات ، وبذلت جهود عديدة ، لكنها كانت بغير ثمرة ، فالوعاء ذاته كان قد امتلأ بالثقوب ، والكثيرين كانت قواهم قد أنهكت من الصراع الداخلى المرير ومن المطاردات البوليسية العنيفة ..

وأخيرا فان البعض يتخطى كل ما سبق ليؤكد أن جوهر الانقسامية وسببها الأساسى كان بسبب تواجد تيار انتهازى تسوده روح البرجوازية الصغيرة التى ثملت بنشوة الانتصار السهل فى المد الثورى فى الاعوام الاولى ثم ما لبثت أن تراجعت بحثا عن مهرب تحت ضغط الاحداث والمطاردات البوليسية العنيفة فى فترة الجزر .. فلم تجد مهربا من عنف المعركة سوى الانقسام والتشويش على النواة الثورية التى مارست النضال وظلت تمارسه ..

والبعض الاخر ـ ولعله أساسا من هؤلاء الذين انقسموا ـ يركز الاسباب كلها فى تعنت القيادة وفى رفضها عقد المؤتمر وتجاهلها لارادة الكادر وعجزها السياسى والتنظيمى وتشبثها بخط سياسى يمينى أطلق عليه ـ خط القوات الوطنية والديمقراطية ـ وبعض هؤلاء يترفقون فينسبون الخطأ الى قلة فى الخبرة وقلة فى الدراية بأساليب القيادة وأساليب الصراع ، بينما الاخرون يوكدون أن الأمر كله كان مدبرا ومخططا ..

وبعض ثالث ينسب الانقسامات الى تآمر العدو الذى بث عملاء له يفجرون الألغام فى داخل الحركة ويفتعلون الخلافات ويصعدونها ثم يتفجرون بها فى صورة انقسامات وتكتلات .. وبرغم أننى أرفض هذا الرأى ليس فقط لأنه يصم تيارا كاملا بالبوليسية وانما لانه يتجاهل أن ظروفا موضوعية كانت تولد الروح التكتلية والانقسامية ، أقول برغم أننى أرفض هذا الرأى ، الا أننى لا أستبعد فى حالة محددة أو أكثر أن يكون العدو الطبقى قد أسهم

بل وخطط لبعض التفجيرات الداخلية ·· أما المؤكد فانه قد تابعها بسرور واستفاد منها بذكاء ··

وبعد فما أسهل أن يتخذ المؤرخ موقف « الحياد » فيرصد كل الاحتمالات ثم يتعالى فوقها جميعا ··

وما أسهل أن أقول فى محاولة للتفلسف أن كل هذه الاسباب كانت بشكل أو بآخر متوافرة ـ بقدر قل أو كثر ـ فأدت الى تفشى الانقسامية ·

ولست أعتقد أن هذا القول خاطىء تماما ·

لكننى وبصراحة أقف فى حيرة ··

بين موقفى السياسى الذى يدين الانقسامية ويرفضها كمبدأ ، وأيا كانت مبرراتها بل ويرفض مبدأ تبريرها أو تسبيبها أو البحث عن « فتاوى » تجيزها أو تقلل من حجم ادانتها ··

وبين موقفى كمؤرخ يريد أن يتقصى كل الاسباب والعوامل ليس فقط استكمالا للشكل الاكاديمى للبحث وانما محاولة للوصول الى الحقيقة ذاتها والاستفادة ـ بأكبر قدر ممكن من دروسها ··

ومن هنا فاننى ومع يقينى بأن كثير من الاسباب التى وردت كانت الى حد ما أسبابا موضوعية ، فانها لم تكن أبدا مبررا للانقسام والتكتل ·

وبغض النظر عن « الحياد » الضرورى « للمؤرخ » ، و « الالتزام » المفترض فى « السياسى » تبقى الانقسامية والتكتلية جريمة لا يمكن تبريرها ·

جريمة لمن ارتكبها ، أو سكت عليها ، أو هيأ الظروف لارتكابها ·· هذا هو المبدأ ، وبعدها يجتهد « المؤرخ » و « السياسى » كل بأسلوبه ووسائله فى بحثهم سعيا لتحديد حجم الخطأ ومداه فى هذا الجانب أو ذاك ··

* * *

## - ٢ -

## ·· مع الجمــاهير

•• وتصبح المـاركسية قوة
مادية عندما تلتحم بالجماهير •

لينين

كان شيوعيو العشرينات أساتذة فى فن العمل بين الجماهير ، وقد أكسبهم ذلك - وفى هذا الوقت المبكر - مزيدا من النفوذ والقدرة على التأثير .

فعلى سبيل المثال نجد أن الحزب الشيوعى المصرى قد أقام ركائز قوية فى صفوف الحركة العمالية ، واستطاعت كوادره المتخصصة فى مجال العمل النقابى من السيطرة وبشكل كامل على اتحاد نقابات العمال . الذى تؤكد مصادر هامة أنه كان يضم ما بين ١٥ و ٢٠ ألف عامل(١) وكانت الشخصيات الاساسية فى هذا التجمع النقابى الهام من قيادات الحزب ، فسكرتيره العام هو الشيخ صفوان أبو الفتح ، ومستشاره القانونى المحامى أنطون مارون وكلاهما من القيادة المركزية للحزب ..

ولعل خير دليل على نفوذ الحزب فى صفوف الحركة النقابية فى ذلك الحين هو انفراده فى ميدان العمل فيها ، وفى وضع قواعد وتقاليد العمل النقابى والنشاط الاضرابى فى هذا الوقت المبكر . وعندما اشتدت الموجة الاضرابية فى عام ١٩٢٤ ، والتى كان الحزب هو المخطط لها والشيوعيون هم قيادتها ، توقفت أهم المراكز الانتاجية تماما عن العمل .. وانزعجت الحكومة .. وأرسلت قوات من الجيش الى الاسكندرية مركز الحركة الاضرابية ، وهدد الاحتلال الانجليزى بتحريك بعض سفن أسطوله الى الاسكندرية وتدخل سعد زغلول بنفسه وبثقله لايقاف الاضراب ، وعندما قدم قادة الحزب للمحاكمة ، وقف انجرام بك أحد قادة البوليس - فى ذلك الحين - ليشهد أمام المحكمة قائلا « ان العمال كانوا يعملون بنصائح الأستاذ مارون ورفاقه وأنه لم يكن سهلا على البوليس اخراج العمال من المصنع ، ولكن اخراجهم كان من أيسر الأمور على الأستاذ مارون ، كما أن كلمة واحدة منه كانت تكفى لانهاء احتلال العمال للمصنع »(٢) .

كذلك نشط الحزب فى صفوف قوى اجتماعية عديدة : الفلاحين ( ولعله كان أول حزب سياسى مصرى يقدم برنامجا فلاحيا مستقلا ويسعى لاقامة نشاط سياسى وحزبى فى أعماق ريف مصر ) والمثقفين وخريجى المدارس المتوسطة وحتى مستأجرى المساكن أقام لهم رابطة تدافع عن مصالحهم ضد تعسف الملاك ..

وعندما بدأت حملة المطاردة ضد الحزب كان السلاح الاساسى الذى استخدمته الرجعية هو خنق امكانيات العمل الجماهيرى أمامه ، فحلت

---

(١) الأهرام ٢/٢٢ ، ١٩٢٤/٣/١٩

(٢) الاهرام ١٩٢٤/٩/٢٩ .

اتحاداته وروابطه وأغلقت أنديته وصادرت صحيفته العلنية ( الحساب ) وسنت عديدا من التشريعات وصلت حد السفاهة لتحرم الشيوعيين من أية امكانية للتلامس مع الجماهير ·· ثم اتبعت ذلك بعملية غزو برجوازى لمجالات النشاط الجماهيرى المختلفة بهدف استيعاب حركتها وشل نفوذ الشيوعيين فيها ··

ويكتب الأهرام « لقد ظهرت فى الاسكندرية فى هذين اليومين حركة مضادة للشيوعية ترمى الى تبرئة العمال من اتباع مبادئها ·· وهى حركة طيبة نقابلها بمزيد من الارتياح » (١) ·

ومع توالى الضربات وتتابعها واستخدام أثقل الهراوات فيها ، تراجع النشاط الجماهيرى للشيوعيين ، ثم ما لبث أن ضعف ، ومع ضعفه بدأ الشيوعيون فى الابتعاد عن الاحساس بنبض الجماهير وتناولوا - طوال الثلاثينات - كثيرا من القضايا بروح يسارية ، وبمنهج يسارى استند فى كثير من الاحيان الى تفسير متزمت لقرارات مؤتمر الكومنترن السادس والخاصة بالموقف من أحزاب البرجوازية الوطنية فى المستعمرات وأشباه المستعمرات ·

ثم ان خلافا قد نشب ، البعض يرى أن العمل السرى هو فى ذاته كارثة لانه يقود الى السجن ويغرى السلطة بالهجوم وينادى بعمل علنى وقانونى بحت بكل ما يتطلبه ذلك من تراجع عن بعض الاهداف ومن تغيير فى الألوان والمنطلقات والشعارات ( مجموعة حسنى العرابى - الهامى أمين )(٢)

بينما تمسكت غالبية الكوادر برأى الحزب لكنها تراجعت وتحت ضغوط عنيفة عن أسلوب التنفس علنا ·

وهكذا تمايز تياران ·· شيوعيون يعملون سرا بغير علن ·· وآخرون يعملون علنا بغير سر ، وكان انفصال العمل السرى عن العمل العلنى بداية حتمية لتضاؤل العملين معا وضعف محصولهما وانتهائهما الى العجز وما يشبه الشلل ·

وكان هذا هو الدرس ··

---

(١) الأهرام ١٩٢٤/٣/١٠ ·

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع د· رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - دار الامل - القاهرة (١٩٨٧) ·

وعاد القادمون الجدد فانطلقوا بمجرد تواجدهم نحو العمل وسط الجماهير وبخاصة نحو صفوف الكادحين منهم كسبيل أساسى لتعزيز مواقع العمل الشيوعى فى مصر ..

ويمكن القول أنه وبرغم انتهاج المنظمات الشيوعية المصرية المختلفة نهجا فكريا متقاربا فى بداية الامر فانها قد اختلفت أساسا حول أسلوب العمل بين الجماهير ..

ح.م ( الحركة المصرية للتحرر الوطنى ) تمايزت أساسا عن ايسكرا بسبب شعار التمصير ، ثم عادت فعززت هذا التمايز بسبب رفعها لشعار « التعميل » .

ويمكن القول بأن ح.م ثم « حدتو » كانا المحور الاساسى لانطلاقة الشيوعيين وسط مجالات عديدة من العمل الجماهيرى مثل الصحافة اليسارية العلنية ( شاركتها جماعة الفجر الجديد فى البداية فى هذا المجال ثم عادت حدتو للانفراد المطلق فيه ابتداء من عام ١٩٤٧ ) الجيش ، الفلاحين ، العمال ( شاركتها فيه الفجر الجديد أساسا فى مجال عمال النسيج ) ، رجال الدين ( مسلمين ومسيحيين ) ومجالات أخرى عديدة أكسبت الفكر الماركسى رسوخا واستقرارا واستمرارية وميزته عن غيره من التيارات التى عبرت على سطح مصر الأربعينيات لينطفىء لمعانها سريعا ..

ويمكن القول بأن مدرسة حدتو كانت تتميز أساسا ( بعد أن تحصنت بشعارى التمصير والتعميل ) بالعمل الجماهيرى المفتوح والواسع الانتشار والذى يكسب الكوادر حرية فى الحركة وقدرة كبيرة على التجنيد ، وبرغم أن هذه المدرسة كانت تعتقد بأن العمل الجماهيرى هو بذاته عنصر أمن يضلل البوليس ويحمى الكوادر الا أن الكثيرين قد عابوا على « حدتو » انغماسها فى النشاط العلنى وشبه العلنى دون اهتمام بحماية كوادر سرية غير مكشوفة وأن وعاء الامن فى حدتو كان « مثقوبا » على الدوام بمعنى أن العمل العلنى الواسع والمكشوف كان يفقد الكوادر حذرها ويفقد القادمين الجدد الحماية اللازمة اذ سرعان ما يدخلون هم أيضا الى دائرة العناصر المكشوفة لاجهزة الأمن .

ويدلل هؤلاء على صحة رأيهم بأن تاريخ حدتو عبارة عن مجموعة من موجات النشاط المحتدم ، موجات بمعنى أنه كان هناك فاصل زمنى بين

كل موجة وأخرى ، هو فترة من ارهـاب السلطة ، وفى هذه الفواصل الزمنية التى يصعب فيهـا العمل الجماهيرى أو تنتفى امكانياته تنكمش حدتو الى حـد كبير ، وتمتـد أيدى البوليس الى كل ركن من أركـان المنظمة .

أما مجموعة « الفجر الجـديد » والتى ظلت حصنا للحـذر ، والحيطة فى التفكير والعمل ، فانهـا قد مارست فى بداياتها عملا جماهيريا هاما بغير شك ( جماعة الشباب للثقـافة الشعبية ـ جماعة نشر الثقافة الحديثة ـ مجلة الفجر الجـديد ـ مجلة الضمير ـ لجنة العمال للتحرير القومى بالاضافةالى عمل نشيط فى صفوف حزب الوفـد ) غير أنه يلاحظ أن هذا النشاط الجماهيرى قـد تلاشى تماما بعـد أول ضربة تلقتهـا الجماعة فى يوليو ١٩٤٦ ، وبعـد البدء فى تشكيل النـواة السرية للتنظيم شيوعى سمى « الطليعـة الشعبية للتحرر » وكـان قيـام هذا التنظيم ايذانا باختفـاء هذه المجموعة من الانشـطة العلانية ( باستثناء مجالين هما حزب الوفـد وعمال النسيج ) ولا يبقى أمام الدارس لهـذه المرحلة سوى أن يتصور أن هذه المجموعة لم تكن تعرف معنى ومغزى المزج بين العمل السرى والعلنى معـا وفى اطـار تنظيمى واحـد ، فقـد كان العمل الجماهيرى فى نظرها مجرد بديل للعمل السرى الذى لم يحن حينه بعـد ، وكان العمل السرى ( عنـدما قام ) مانعـا من الاحتكاك العلنى بالجماهير عملا بتعاليم الحذر المتشددة ، وثمة ملاحظـة ثانية فى هذا الصدد وهى أن الكوادر المحدودة والتى أنيط بهـا العمل الجماهيرى سواء فى حزب الوفـد أو وسط عمال النسيج لم تكن ذات وعى سياسى كاف ، أو لعلهـا لم تـدرك معنى العمل الجماهيرى فى اطـار تنظيم شيوعى ، فقـد شاب نشاطهـا بعض الأخطـاء الفـادحة منهـا حرص هذه الكوادر على التنصل من الشيوعية بل والتهجم عليهـا أمام الجماهير وفق تصور خاطىء مؤداه أنهم بذلك يحمون أنفسهم وأنهم بهـذا يخـدعون البوليس ويضللونه .

أما المدرسة الثالثة فكـانت مدرسة منظمة الحزب الشيوعى المصرى التى تواجـدت ابتداء من عام ١٩٥٠ والتى أحكمت الغلاق أبوابهـا ضـد أى نشاط علنى محاولة ـ وفق تصورات سياسية ـ نقل كل الانشطة حتى الجماهيرى منهـا الى ميدان السرية ، وهكذا شهدت الادبيـات الشيوعية ( على الورق فقط بطبيعة الحـال ) مسميات مثل اتحـاد العمال السرى ، اتحـاد الفـلاحين السرى ، اتحـاد الطلاب السرى ـ لجـان السلام السرية .. الخ ..

وبرغم هذه الملاحظـات فانه يمكن القول وبشـكل عام أن الحـركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات قـد أمكنها ـ مع بعض الاستثناء ـ أن

تتفهم وأن تطبق بنجاح تعاليم وأفكار المؤتمر السابع للكومنترن الذى يعتبر نقطة تحول « كرست فكرة توحيد كل القوى المناهضة للامبريالية والديمقراطية والنضال من أجل العمل الجبهوى بهدف توحيد الجماهير فى حركتها ضد أعدائها »(١)

❋ ❋ ❋

لكن هذا الرصد السريع ، وما تضمنه من طابع انتقادي ربما بدا صارما بعض الشيء لا ينفى جدية النشاط الجماهيرى الذى قام به الشيوعيون المصريون طوال الاربعينات ولعله من المفيد أن نعود فنحاول أن نلقي - نظرة سريعة أيضا - على بعض مواقع هذا النشاط ، لعلها تقدم لنا صورة أكثر تعبيرا عن نوعية هذا النشاط وحجمه وفعاليته ..

وسوف نكتفى ببعض النماذج ..

❋ الأندية والروابط والتجمعات الثقافية .

❋ الصحافة والنشر .

❋ الجيش .

❋ العمال .

❋ الفلاحين .

❋ الطلاب .

❋ العمل الجبهوى .

---

1 — Boris Ponomaryov — Some problems of the revolutionary movement — Prague-1975 P. 62

## الأندية والروابط والتجمعات الثقافية

### ※ الفن والحرية :

فى « بيت الفن » ( ٥ شارع درب الخبالة بالحامية الجديدة ) تجمعت نواة من الفنانين التشكيليين والمثقفين والشعراء بزعامة جورج حنين معلنة تمردها على الثقافة والفكر والمجتمع ، داعية الى استخدام الفن كأداة للتمرد رافعة شعار « اللفن معمل بارود » وكان اعتمادها للسيريالية مذهبا سبيلا « لاثارة الاستغراب فى نفوس الجماهير » ذلك أن « كل راحة ونعمة فى الحياة الجديدة ولدت فى أذهان رجال شذوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه »(١)

و « الفن والحرية » هى مجرد امتداد متمصر لجماعة المحاولين وحتى بعد أن تأسست جماعة « الفن والحرية » ظل جورج حنين على صلة بجماعة « المحاولين » فهو ينشر فى العدد الثانى من مجلة « لفن والحرية » نص تقريره الذى تلى فى ندوة لجماعة المحاولين عقدت فى ٦ أبريل ١٩٣٩ . ويحدد جورج حنين موقفه من الفن والفنان فى هذا التقرير قائلا « ان هدفنا ليس تغيير الرغبة بل تغيير المجتمع وتكييفة مع رغباتنا ، ولا يمكن للفن أن يكون عاطفيا فحسب ، فهو ضد النظام القائم ، وضد الطبقة الحاكمة وضد الخنوع وضد الركوع البوذى ، فالفن ليس سوى مخزن للذخيرة »(٢) .

وعندما نقول أن « الفن والحرية » كانت امتدادا متمصرا « للمحاولين » وهى جماعة أجنبية فى الأساس فاننا نعنى بكلمة « متمصر » أن غالبية الأعضاء كانوا مصريين (جورج حنين – أنور كامل – رمسيس يونان – يوسف العفيفى .. الخ ) الا أنهم كانوا يعيشون فى بوتقة أجنبية التفكير ، أجنبية اللغة ، متقوقعة فى وعاء الفن وحده ، عاجزة عن فهم الواقع والتجاوب معه أو التأثير فيه ولو بأقل أثر .

---

(١) مجلة التطور – يناير ١٩٤٠ – كامل التلمسانى – مقال « نحو فن حر » .

2 — ART et Libarté — No 2 — May 1939,

وهى نشرة مطبوعة بالرونيو غلافها مرسوم بلوحة سريالية ( التوقيع =

كانت نشرة « الفن والحرية » تطبع باللغة الفرنسية والعـــدد الأول الصادر فى مارس ١٩٣٩ كل موضوعاته باللغة الفرنسية ، أما العـــدد الثانى فمعظم موضوعاته باللغة الفرنسية ٠

وكان جورج حنين يكتب أشعاره ومقالاته باللغة الفرنسية أيضا ٠

ولم يكن هذا الحاجز اللغوى هو الحاجز الوحيد ، فهناك أيضا ذلك الانتماء الفنى المحضر والذى يعجـــز عن التقـــارب من جمـــاهير الكـــادحين المصريين ٠

ولقـــد كان ذلك محل انتقادات عديدة يعترف بهـــا قادة الجمـــاعة فى

افتتاحية أول عـــدد أصـــدروه من نشرتهم « لقـــد حذرونا قائلين ، هـــذه الجماعة التى تريدون تأسيسها لـــماذا تتمسكون بسجنها داخل الاطار المحدود ؟ ألستم بذلك تبعدون عن صفوفهـــا هؤلاء الذين لا يحملون تجاه الفن سوى الفضـــول وليس الاهتمام ؟ ونحن نجيب على هؤلاء أن الفن يعتبر فى نظرنـــا ليس مجرد صور أو أشكال منحوتة ٠٠ انه شىء آخر تماما ، فهو فوق كل ترجمة ممكنة للحيـــاة ، وفوق كل تعبير مؤقت أو أبدى عن الشاعر ٠٠ »(١)

ولذلك فقـــد أعتبرت الجماعة أن وصول عدد الحاضرين فى اجتماعاتها الى ثلاثين شخصا انتصار كبير يستحق التسجيل ٠٠

وتحت عنوان نشاط « الفن والحرية » جاء فى العدد الثانى من النشرة « كان شهر مارس شهرا حاسما بالنسبة للفن والحرية فقد كانت الشكوك تراود بعض العقـــول وتحوط بحركتنا وبالتسرع الذى استجاب به بعض المثقفين الشباب وبعض الفنانين المصريين لندائنا ولكن بعد الاجتماع العام فى الاربعـــاء ٨ مارس والجلســـة الافتتاحية العـــامة فى الخميس ٢٣ مارس

---

= غير واضح ) وصفحات النشرة غير مرقمة والمقال المشـــار اليه منشـــور باللغة الفرنسية تحت عنوان « المثقف والخصم » خطاب الصديق والرفيق جورج حنين الى جماعة « المحاولين » ٠

1 — ART et Libarté Builetin No 1 Mars 1939

نشرة مطبوعة بالرونيو غير مرقمة الصفحات ، غلافها عبارة عن لوحة سيريالية اسمها « أم الشعوب » بريشة « التلمسانى » ٠

تبددت هذه الريب نهائيا » .. « وقد حضر هذه الجلسة ما يقرب من ثلاثين شخصا » وتمضى النشرة قائلة « وفى يوم الخميس ٢٣ أبريل تزاحم أكثر من خمسين شخصا فى مبنى الفن والحرية المؤقت الذى فتح أبوابه للعامة للمرة الأولى »(١) .

وقد قامت الجماعة ببعض الانشطة فى مجال الفنون التشكيلية حيث أقامت أول معرض سيريالى فى القاهرة سمى « المعرض الاول للفن الحر تحت شعار « Et Apres » « وماذا بعد ! »(٢) كذلك أصدرت الجماعة نداءا تدين فيه تدمير الفاشست للاعمال الفنية الخالدة بحجة أنها « فن منحط » وكان عنوان النداء الذى وقعه كل من سلامة موسى ـ جورج حنين ـ أنور كامل ـ رمسيس يونان « يحيا الفن المنحط » وقد طبع بالفرنسية وجاء فيه :

« نحن نعرف مدى عداء المجتمع البرجوازى لكل خلق أدبى أو فنى يهدد بشكل مباشر أو غير مباشر النظم الفكرية والقيم المعنوية التى يرجع الكثير من بقائه وحياته لاستمرارها ويتجلى هذا العداء اليوم فى الدول ذات النظام الواحد وخاصة فى ألمانيا الهتلرية حيث يشن اعتداء فظ على الفن الذى يصفه الوحوش العسكريون .. بأنه منحط ، ان كل ما قدمه النبوغ المعاصر ابتداء من سيزان الى بيكاسو ، وكل ما أبدعه الفنان الحديث من نتاج حر ذا قيمة انسانية يسب ، ويداس بالاقدام ويمنع من التداول .. » .

ثم يختتم بعبارة « أيها المثقفون والكتاب والفنانون ! فلنرد جميعا على هذا التحدى . ولنعلن تضامننا مع هذا « الفن المنحط » ففيه تكمن كل آفاق المستقبل ، ولنعمل على نصرته ضد وحشية القرون الوسطى التى تعود لتتربع من جديد فى قلب الغرب »(٣) .

واذا كانت جماعة « الفن والحرية » قد أعلنت أن أهدافها « تنحصر فى نشر الثقافة وايقاف الشباب المصرى على الحركات الفنية فى العالم وتشجيع الآداب مع الفنون »(٤) فانها كانت فى واقع الامر ، بوتقة تمركزت فيها عناصر تروتسكية وحاولت أن تستخدمها مركزا لنشاطها .

وقد كان جورج حنين تروتسكيا ( وقد ظل كذلك حتى بعد أن غادر مصر نهائيا ليستقر فى باريس ، وأصبح واحدا من أبرز قادة سكرتارية باريس

---

1 — Art et Liberte No 2 — Ibid.

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل ـ أجرى فى القاهرة فى ١٩٦٩/١/١٤

(٣) منشور مكتوب بالالة الكاتبة الفرنسية معنون :

Vive l'ART Degnere

(٤) النيابة العسكرية العليا ـ ملف قضية الاشتراكية المتهم فيها أنور كامل مع أعضاء جمعية الخبز والحرية بالاتفاق الجنائى على قلب نظام الحكم بالقوة ـ يونيه ١٩٤٢ ـ محضر أقوال المتهم أنور كامل .

احدى انشقاقات الاممية الرابعة . وقد اتهم قبل وفاته بالاشتراك فى تدبير الاضطرابات التروتسكية فى سيلان عام ١٩٧٢ )(١) وكان الكثيرون من أعضاء الجماعة تروتسكيين أيضا ( أنور كامل ولطف الله سليمان(*) ورمسيس

---

(١) فلسطين الثورة . عدد مايو ١٩٧٥ ـ عبد القادر يس مقال التروتسكيون المصريون والقضية الفلسطينية .

(*) والحقيقة ان لطف الله سليمان يقلل كثيرا من شأن هذه العلاقة مع التروتسكيين فيقول فى حديث صحفى :

« لم أنتسب لاى حزب ، كنت أماشى تارة الطليعة الوفدية وطورا التجمعات الشيوعية والحركة السيريالية الى أن أتهمت بالتروتسكية » .

ويروى لطف الله سليمان كيف قامت علاقته مع الجماعة التروتسكية ، فيقول أنه دعى لالقاء محاضرة فى النادى الديمقراطى ( هنرى كورييل ) « وهاجمت فى حديثى اتفاق هتلر ـ ستالين ( سنة ١٩٣٩ ) فما كان من الحاضرين الا انهم انزلونى وعلا الصراخ فى القاعة فتدخل الشاعر جورج حنين وأصدقائه السيرياليين لحمايتى وأصبحت صديقا لتجمع حنين الذى كان يميل بعض الشئ للتروتسكية » .

لكنه يعترض على المناخ العام للسيرياليين « كانت أجواء شديدة الجمالية وكان أغلبهم ينتسب الى البرجوازية الكبيرة ، فى هذا الجو المخملى كنت أشعر فى بعض الاحيان أننى كالزنجى بين البيض » .

وبرغم ان مواقف لاحقة للطف الله سليمان تشير الى التصاقه الوثيق بهذه الحركة التروتسكية أو تلك الا أنه كان يتمتع ـ بالاضافة الى تروتسكيته وربما تماشيا معها بنزعة فوضوية خاصة ..

يقول عنهم « كانت مواقفهم أفضل بكثير من مواقف الشيوعيين ، كنت آراهم يتذمرون من ضيق مواردهم التى تمنعهم من القيام بالثورة ( قال من قبل ان مناخهم مخملى واغلبهم ينتسب الى البرجوازية الكبيرة ) فظننت وأنا ابن العشرين ان المسألة متعلقة فقط بتردى وضعهم المالى فقمت بعملية سطو على بنك فى بلدتى المنصورة،وعندما وصلت الى القاهرة حاملا هذه الاموال رأيتهم مجتمعين فى مقهى جروبى ، واخبرتهم بما جرى فأمرونى بارجاع الاموال فورا . وبالطبع لم أفعل ، وقد استعملت قسما منها لفتح دار للنشر فيما بعد »

.. وتتجسد هذه النزعة « الفوضوية » فى عبارة حادة ومحيرة فعندما سأله المحرر « ما الذى أوصلك الى العمل السياسى ؟ » قال فى بساطة مثيرة « أولا اللذة فى خيانة الاهل » .

( حديث أدلى به لطف الله سليمان الى مجلة البلاد ـ ( لندن ) بعنوان « لطف الله سليمان يتذكر ـ معارض دائم على طريقته ) .

يونان ) ، وقد أصدر أنور كامل ( فى فترة لاحقة ) كتابا بعنوان - « أفيون الشعب » يتهم فيه السياسة السوفيتية بأنها أفيون الشعب ويدافع عن تروتسكى ويتساءل « أليس من العجيب مثلا أن يتهم تروتسكى بالجاسوسية حتى فى الوقت الذى كان يتولى فيه وزارة الدفاع ويقود الجيش الاحمر »ويصب أنور كامل هجومه على ما أسماه « البيروقراطية الكرملينية » ولعل أنور كامل قد شعر بفداحة الجرم الذى يرتكبه فأتى كتابه « معتذرا للاصدقاء الاعزاء الذين حاولوا أن يثنونى عن نشر هذه الأحاديث حرصا على مستقبلى السياسى فيما يتصورون »(١) والحقيقة أن أنور كامل قد حدد مستقبله بهذا الكتاب الذى نشره بتعاون تام مع رجال الامن ، والذى كان ثمنا لكى يظل أنور كامل بمأمن من عمليات القبض المتتالية التى تعرض لها غيره ٠

واذا كان جورج حنين تروتسكيا حاول فرض تروتسكيته على الجماعة، فقد كان أيضا أرستقراطيا ( أبوه صادق باشا حنين من أغنى أغنياء مصر ، وزوجته بولا العلايلى حفيدة شاعر الارستقراطية المصرية أحمد شوقى بك ) حاول أن يفرض أرستقراطية على الجماعة فيفرض عليها اللغة الفرنسية ( لغة الارستقراطية المصرية المفضلة ) ويفرض عليها التباعد عن مشاكل الجماهير المصرية ومتاعبها ٠٠ وقد استخدم جورج حنين ثراءه فى تمويل وفى ترويض تحركات الجماعة ٠

وهو الذى قدم الضمان المالى لمجلة التطور ، وعندما حاولت أن تتمرد على اتجاهاته الانعزالية سحب الضمان فسحب ترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور (٢) ، وعندما حاول اليساريون المصريون الجدد غزو مقر « الفن والحرية » طاردهم جورج حنين أيضا بنفوذه المالى ، يقول أسعد حليم أحد رواد هذه الفترة واندفعنا بكل قوتنا لجذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال الخاصة وبدأنا نحشد فى ندوات الفن والحرية عمالا وكادحين ، وخلق هذا رد فعل ، وبدأ التفاوت والتناقض واضحا ، هم أغنياء ، أرستقراطيون ومثقفون ونحن فقراء ، وحدث تمايز ، وبدأ قادة المجموعة لا يرحبون بحضورنا ٠٠ ولم يسدد الارستقراطيون رسم استهلاك الكهرباء وقطع التيار

---

(١) أنور كامل - أفيون الشعب - القاهرة - ص ٢٢ - ٧٧ ٠

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل - المرجع السابق ، ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ الحركة التروتسكية راجع : د٠ رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - المرجع السابق ٠

الكهربائى عن النــادى لكننــا صممنا على الاستمرار ، وكنــا نعقــد ندواتنا على ضوء شمعة »(١) ٠

٠٠وكان يحرك هذه المجموعة الجديدة من اليساريين المصريين شاب ايطــالى تواجــد أيضا على مضض فى صفوف « الفن والحرية » هو مارسيل اسرائيل ، ثم مالبثوا أن ـ انفضوا عن « الفن والحرية » وأعلنوا « الخبز والحرية » ٠

## * الخبز والحرية :

لكن التمــايز الذى تم لم يكن تمايزا تاما ، ذلك أنه لم يتم على أساس أيديولوجى بالمعنى المفهوم للكلمة وانما على أســاس « أرســتقراطيون » و « فقــراء » أو « أجانب » و « مصريون » أو « مثقفون » و « عمال » ٠

وهكذا تكونت « الخبز والحرية » كمنبر علنى ٠٠ يضم أنور كامل وفتحى الرملى ( وهما تروتسكيان ) وأسعد حليم وصالح عرابى ود٠ عبد العزيز هيكل ( وهم شيوعيون ينضمون الى مجموعة سرية يقودها مارسيل اسرائيل ) ٠

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ، فأنور كامل وفتحى الرملى أيضــا كانا يرفضان العمل السرى ويقــول أنور كامل « كان هناك خلاف جــذرى آخر هو أنهم كانوا يسعون الى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية أما أنا فكنت أرى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الامكانيات القــانونية ، وكنت أجهــد نفسى بحثا عن تكييف قانونى ، فالاشتراكية مثلا لا يعاقب عليهــا القــانون ، ولهذا قلت أننــا إشــتراكيون ولســنا شيوعيين »(٢) ٠

ومن بين الانشطة البارزة التى قامت بهــا جماعة الخبز والحــرية اصدارها دراسة هامة بعنوان « مشاكل العمال فى مصر » ولعله من الملفت للنظر أن تهتم الجماعة بأن تثبت على غلاف هذه الدراسة أنهــا « بحث اقتصادى مقــدم الى وزارة الشئون الاجتماعية من جمعية الخبز والحرية » ٠

---

(١) محضر نقاش مع أسعد حليم ـ أجرى بالقــاهرة ـ فى ٢٠/١/١٩٦٩

(٢) محضر نقــاش مع أنور كامل ـ المرجع السابق ٠

وعلى ذات الغلاف نقرأ « قوة العامل من قوة النقابة التى ينتمى اليها ، وقوة النقابة من قوة الاتحاد العام والاتحاد العام للنقابات هو النواة التى ستستند عليها الطبقات العاملة فى كفاحها من أجل تحقيق مطالبها العادلة – يا عمال مصر اتحدوا » ·

ثم على ذات الغلاف « المكاتبات ترسل باسم الزميل أنور كامل ٦٠ أ شارع القصر العينى » والدراسة فى مجملها هامة وتتناول بالتحليل القوانين العمالية السارية والمطالب العمالية الملحة بشأن ساعات العمل والبطالة وتشغيل النساء والاحداث ·· ثم دراسة تحليلية للنقابة ودورها ·· (١)

وقد قال أنور كامل ان الجماعة قد طبعت من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة(٢) ·

واذا كانت قيادة « الخبز والحرية » مكونة من خمسة أشخاص ( أنور كامل رئيسا وفتحى الرملى سكرتيرا وأسعد حليم ود· عبد العزيز هيكل وصالح عرابى ) فان ثلاثة من هؤلاء كما قلنا كانوا بصدد تكوين تنظيم شيوعى سرى هو « تحرير الشعب » تحت زعامة مارسيل اسرائيل ··

وهكذا اشتدت المصادمات بين تروتسكيين يتمسكون بالعمل العلنى وشيوعيين يسعون لتأسيس منبر سرى ··

وانهارت « الخبز والحرية » ·· وأغلق مقرها · ( شارع محمد على عمارة المؤيد ) ·

ويزيد مارسيل شيريزى ( اسرائيل ) وكان مسئول منظمة تحرير الشعب الامور ايضاحا فيقول « كانت الخبز والحرية منبرا يجمع أعضاء ينتمون الى عدة اتجاهات · أما التنظيم السرى الذى كان وراء الخبز والحرية وهو تنظيم « تحرير الشعب » فقد كان يضم الشيوعيين فقط ·· وعندما تمسك كل من أنور كامل وفتحى الرملى بالاراء التروتسكية والفوضوية ، وبعد فشل المحاولات لاقناعهم بالتخلى عن هذه الاراء تقرر عدم التعاون مع كليهما ··

---

(١) مشاكل العمال فى مصر – بحث مقدم من جماعة الخبز والحرية – دار الطباعة الحديثة – القاهرة – أغسطس ١٩٤١

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان فى ٤ أبريل ١٩٨٠ – مكتوب بالالة الكاتبة الانجليزية ·

وقد كان اغلاق مقر الخبز والحرية بقرار من البوليس بعد أن تردد عليه عدد كبير من العمال لا سيما عمال المطابع »(١) ٠

وتتفرق السبل ٠٠

تحرير الشعب تواصل طريقها ٠٠

والتروتسكيون يحاولون مرة أخرى ٠٠ لكن محاولاتهم كانت وباستمرار مجدبة ٠

**الجبهة الاشتراكية ٠٠**

٠٠ يقول عنها أحد مؤسسيها فتحى الرملى أنها كانت شبه تنظيم بمعنى أنها كانت مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما بالمعنى المفهوم(٢) ٠

ويقول أنور كامل أنهم فكروا فى اعلان « حزب إشتراكى » وأن يعلن فى اجتماع عام يعقد فى ١٦ ستمبر ١٩٤٧(٣) ٠

وحول هذه البؤرة تجمع التروتسكيون ، كما يقول تقرير قدمته حكمدارية بوليس مصر الى وكيل وزارة الدخلية حسن فهمى رفعت باشا عن : « الجبهة الاشتراكية » وتضم أسماء عديدة منها محمود فتحى الرملى ـ محمد فتحى الرملى ـ رمسيس يونان ـ لطف الله سليمان ـ جورج حنين ـ نور كامل ـ فؤاد كامل ـ ابراهيم ايليا مسعود ـ بخور منشه »(٤) ٠

---

(١) مارسيل اتشيريزى ( اسرائيل) رسالة كتبها الى المؤلف يعلق فيها على الطبعة الاولى من هذا الكتاب ويرد على المزيد من الاسئلة التى وجهها اليه ٠ والرسالة مكتوبة بخط اليد باللغة العربية ومكونة من ٣٧ صفحة مؤرخة فى ١٩٨٤/٥/١٨ وموقعه مرسى ( الاسم الحركى القديم لمارسيل )

(٢) محضر نقاش مع فتحى الرملى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/٥/٤ ٠

(٣) النيابة العسكرية ـ ملف قضية الاشتراكية ( المرجع السابق ) ٠

(٤) حكمدارية بوليس مصر ـ سرى سياسى رقم ب / ١٣٧ سنة ١٩٤٤ ـ والتقرير مؤرخ فى ١٩٤٤/١٢/٣١ وموقع من سليم زكى عن حكمدارية بوليس مصر ٠

وقـد تمادت هذه الجماعة فرشحت فتحى الرملى فى انتخاب مجلس النواب التى أجريت عام ٤٤ ـ ١٩٤٥ فى ظل الاحكــام العرفيــة فى دائرة السيدة زينب ، وقـد قـام التروتسكيون بتمويل هذه المعركة الانتخابية حيث يعترف فتحى الرملى « ان الذى أمدنى بمعظم المـال الذى احتاجت اليه فى المعركة الانتخـابية هو لطف الله سليمان »(١) ويبدو أن هذا التمويل لم يكن قليـلا ، ذلك أن المنشورات الانتخابية الكثيرة التى وزعهـا فتحى الرملى كانت مثار تقـارير عديدة للبوليس(٢) ٠

وكانت النتيجة تعبيرا واضحا عن نفوذ هـذه الحفنة من التروتسكية فان مرشحهـا لم يحصل الا على ٣٢ صوتا فقط(٣) ٠٠ وذلك برغم أن فتحى الرملى قـد ارتدى ثيـاب العمـال الزرقـاء محاولا أن يكسب أصوات هـذا الحى الشعبى ٠٠

ولعل هذه النتيجة الهزيلة ، كانت صـدمة لكل التروتسكيين وخاصـة زعيمهم جورج حنين الذى نفض يديه من كل شىء وغادر مصر الى باريس ٠٠

وبسفر الزعيم والممول انفض التجمع التروتسكى المصرى ليعود مرة أخرى بعودة جورج حنين ٠

**✽ نحن أنفسنا :**

كانت احـدى الارهـاصات التى أسسها فتحى الرملى لتخبو سريعا دون أن تترك أثرا ما سوى ما للاسم من دلالـة ، فقـد هاجـر « المموِّل » و « المفكر » فلم يبق أمام الاتباع سوى أن يعتمدوا على أنفســهم أو أن يحاولوا ذلك ، ولم تستمر هذه المحـاولة سوى وقت قصير جدا ، ولم تترك أثرا سوى لمحـة فى بعض تقـارير البوليس تقـول ان « عبد الرحيم صالح عرابى مع فتحى الرملى يكونان جمعية « نحن أنفسنا » وأغراضها تتفق مع أغراض الخبز والحرية »(٤) ٠

---

(١) محضر نقاش مع فتحى الرملى ـ المرجع السابق ٠

(٢) حكمدارية بوليس مصر ـ سرى سـياسى ـ رقم ٣٣٦٤ ، ٣٣٧٦ ، مؤرخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ وموقع من سليم زكى ومرفوع الى حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية ٠

3) Publice Record office — f-o 371 — 46003/9029 — 7 th April -945

( وهى عبارة عن تقرير مرفوع من السفارة البريطانية بالقاهرة الى وزارة الخارجية البريطـانية حول النشاط الشيوعى فى مصر ) ٠

(٤) حكمدار بوليس مصر ـ سرى سياسى ـ مذكـرة عن هنرى دانييـل كورييل ٠

لكننا نخطىء لو تصورنا أن صفحة هذه المجموعة قد طويت سريعا ، فقد ظلوا يلعبون دورا متميزا كتروتسكيين أحيانا وكفنانين متميزين فى أحيان أخرى ..

وفى مطلع عام ١٩٤٨ تحاول هذه الجماعة أن تنشط فتصدر منشورا معاديا للملك فاروق الامر الذى يؤدى الى حملة قبض واسعة فى صفوفها .. وثمة وثيقة من وثائق السفارة البريطانية تتحدث عن هذه القضية فتقول .. « منذ عدة أسابيع صدرت أول نشرة عن الحزب التروتسكى فى مصر وقد عنونت النشرة « الدولية الرابعة - النشرة الداخلية للحركة الشيوعية الثورية » وقد وزعت هذه النشرة على الاعضاء وقد تضمنت النشرة مقالا بقلم « فكرى » ( وهو اسم سرى ) يهاجم بشدة الملك فاروق الامر الذى دفع القصر الملكى الى اصدار أمر بالقبض على التروتسكيين المعروفين ، وقد قام البوليس بالقبض على ٣٢ شخصا ولم يعثر معهم على أى دليل لادانتهم وما لبثوا أن أفرج عنهم .. وفيما يلى قائمة بالذين قبض عليهم .. ونقرأ فى القائمة أسماء لطف الله سليمان ، أنور كامل عثمان ، جورج صادق حنين وزوجته اقبال العلايلى ، بخور مناحم منشه ، البير قوصيرى ، كنتروفتش ، مكاريوس ، عمر رشدى - عادل أمين - شكرى اسحق خلوصى - عبد العزيز حسين هيكل ، محمد على عامر »(١) .

ونتوقف فى هذه القائمة أمام اسم محمد على عامر الذى كان فى ذلك الحين قائدا عماليا مرموقا ورئيسا لنقابة عمال النسيج بالزيتون ، والذى سرعان ما ترك النشاط التروتسكى لينضم الى منظمة حدتو ..

وربما يمكن القول أن هذه القضية كانت نهاية النشاط « السياسى » السرى للجماعة . وأن كانوا قد استمروا بعد ذلك نشطين فى مجالات الفن والادب .

وفى الخمسينات حاول السيرياليون لم شملهم من جديد فأقاموا معرضا بعنوان « نحو المجهول » اشتركت فيه زوجة فؤاد كامل وخديجة رياض أخت اقبال العلايلى وحمدى خميس .. وربما كان معرض حامد ندا ( ١٩٥٩ ) آخر مظاهر نشاط هذه المجموعة حيث أصدرت كتالوجا بعنوان « المجهول لا يزال »(٢) .

---

(١) وثيقة بريطانية معنونة « سرى - السفارة البريطانية » ومؤرخة ٩ فبراير ١٩٤٨ ومرقمة
8027/T from G.J. Jenkins to F.H. Tomlyn

(٢) سمير غريب - السيريالية فى مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦ - ص ٣٧

واستمر جورج حنين ورمسيس يونان يتابعان نشاطا فنيا متميزا ولكنه محدود فى نهايات الخمسينيات وان كان جورج حنين قد ظل يمتلك قدرا كافيا من الرفض لعبد الناصر وحكمه وكان يسميه « الأمير صاحب الانف التى تشبه عمود الاشارة »(١) بل لقد تحدث يوما عن عبد الناصر قائلا « ان العنصرية ، النميمة ، الكذب ، الامية الايديولوجية والانغلاق الثقافي تشكل فيما يتعلق بالشرق كما أعرفه — أسس وطنية جديدة تستند اما على المثل الاعلى أو على الحماية الوطنية »(٢) .

.. وفى عام ١٩٦٠ عاد جورج حنين الى مغادرة مصر .. لكنه غادرها دون أن يعود مرة أخرى*

## * اتحاد أنصار السلام :

« بول جاكو دى كومب » شاب سويسرى ، تلقى علومه فى ألمانيا ، وارتبط هناك بالحزب الشيوعى الالمانى ، ثم عاد لمصر فى أجازة لكن النازيين وصلوا الى الحكم فقرر ألا يعود ، وأرسله أبوه ( صاحب شركة مقاولات كبيرة ) الى أسوان ليشرف على بعض أعمال شركته ، وأحس بشقاء العمال والفلاحين المصريين وقرر أن يسلك طريق النضال من أجل الاشتراكية

ولانه أجنبى فقد كان طبيعيا أن يتصل بأجانب مثله ، فانضم الى المجموعة الشيوعية اليونانية ، وفى المجموعة اليونانية شعر بالغربة فلا هو يونانى ولا المجموعة تفعل شيئا من أجل مصر ، وتركها ليؤسس منبرا قانونيا هو «اتحاد أنصار السلام»(٣) وانضم به للتجمع العالمى للسلام وقد جاء تأسيس هذا الاتحاد فى وقته تماما فالمناخ وسط الاجانب والمتمصرين كان

---

4 — Alexandrian — Georgees Henien — Edition seghers paris (1981) P. 66.

(٢) سمير غريب — المرجع السابق — ص ٣٧ .

* لمزيد من التفاصيل عن الحركة التروتسكية وأدواتها وشخصياتها راجع :

— سمير غريب — المرجع السابق .

— د. رفعت السعيد — تاريخ الحركة الشيوعية المصرية — المجلد الأول ١٩٠٠ — ١٩٤٠ ( المرجع السابق ) .

(٣) محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب — جلسة المناقشة الاولى — باريس — أوائل نوفمبر ١٩٦٨ .

مهيئا للنضال ضد الفاشية وضد خطر الحرب ، كذلك كانت قوى سياسية مصرية هامة مستعدة للاسهام فى هذا الجهد .. وسرعان ما تجمع الكثيرون من الاجانب من مختلف الجنسيات وعدد من المصريين (ذوى الثقافة الاجنبية) فى صفوف الاتحاد بفرعيه فى القاهرة والاسكندرية ..

وثمة مذكرة تحدد أهداف هذا الاتحاد حصرا فتقول :

« واتحاد أنصار السلام كان له برنامج محدد فى أربعة نقط :

أ ـ السلام بين جميع الشعوب ومكافحة الحرب .

ب ـ استقلال الشعوب وحريتها .

جـ ـ الكفاح ضد الفاشية .

د ـ الكفاح ضد العنصرية »(١) .

وما لبث الاتحاد أن أقام علاقات مع بعض العناصر الوفدية الهامة مثل عبد الفتاح الطويل باشا وعن طريقه رتب بول جاكو دى كومب لقاء بين الزعيم الهندى نهرو وبين مصطفى النحاس(٢) ، كذلك أقام الاتحاد علاقات وثيقة بالاتحاد النسائى المصرى وبزعيمته هدى شعراوى وبعدد من قياداته منهن سيزا نبراوى .. وكان الاتحاد النسائى يتخذ ومنذ أمد بعيد مواقف تقدمية ، وكان يدعو للسلام العالمى ويقاوم الفاشية ، فمنذ عام ١٩٣١ نجد سيزا نبراوى توجه على صفحات مجلة الاتحاد والتى كانت تصدر بالفرنسية باسم ( المصرية ) "L' Egyptienne" نداء للكفاح من أجل السلام العالمى(٣) ..

وقد تعززت العلاقة بين الاتحادين حتى فتح الاتحاد النسائى أبوابه للندوات التى يعقدها اتحاد أنصار السلام (٤) .

---

(١) مذكرة من ١١ فولسكاب بالالة الكاتبة العربية مقدمة الى « السيد الرئيس عبد الناصر ـ وموقعة بعدد من التوقيعات بمناسبة طلب القبض على يوسف درويش ووضع أمواله تحت الحراسة بقرار من وزير المالية نشر فى العدد ٩٤ مكرر من الوقائع المصرية الصادر فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وذلك ضمن مجموعة من اليهود المقيمين فى مصر .

(٢) المرجع السابق .

3 — L' Egyptienne — Juillet - Aout 1931 — P 2

(٤) بطاقة دعوة معنونة « اتحاد أنصار السلام » بالقاهرة ـ الاحتفال بذكرى الهدنة يدعو فيها الاتحاد للاحتفال بذكرى الهدنة فى مساء ١١ نوفمبر ١٩٣٧ بقاعة الاتحاد النسائى بشارع القصر العينى رقم ٢٢ .

وهكــذا أتيحت الفـرص جميعـا أمام هــذا التجمـع كى يلعب دورا هاما فى تاريخ مصر ·· وكان بامكــانه أن يجمع وفى يسر قوى هامة قادرة على انشاء حزب شيوعى ·

لكن « بول جاكو » رفض ··

كان يرتب فى ذهنه وفى حذر بالغ الى درجة لا تصدق محـاولة لتجنيد عدد من العنـاصر المتمصرة ليوكـل اليهـا مهمة تأسيس الحزب ·· ورفض أن يناقش الامر مع أى انسان آخر ، وبينما كانت الظروف ناضجة تمامـا للعمل المـاركسى كان بول جاكو يصمم على رفض أى نقـاش حول هـذا الامر مع أى انسان باستثناء ثلاثة أشخاص اصطفاهم من بين الجميع وكان كل ما يميزهم عن سواهم هو أنهم يعرفون اللغـة العربيـة ( السبيل الطبيعى للوصول الى المصريين ) ويتقنون مثله الحـذر الشديد وهم ( صادق سعد ـ يوسف درويش ـ ريمون دويك ) ··

وخلال ذلك كان مارسيل اسرائيل يضغط من أجل تمصير « اتحـاد أنصار السلام » ويحـاول أن يناقش بول جاكو فى ضرورة تأسيس « تنظيم شيوعى » لكنه رفض النقـاش ، وقـال أنه لا يقبل النقاش فى أى موضوع غير الأهداف المعلنة للاتحاد »(١) وابتعد مارسيل اسرائيل عن الاتحـاد ليقيم نشاطا منفصلا ·· ولم يخرج مارسيل وحـده بل خرج معه آخرون » ·

ويروى « ريمون أجيون » أسباب انفصاله عن « اتحاد أنصـار السلام » فيقول « بدأت أشعر أنهم حذرون أكثر من اللازم ، خائفون دوما من أى حركة ، كانوا يتحـدثون دوما بحذر شديد وخوف شديد وقلت فى نفسى اذا كانت هذه هى الشيوعية فأنا لست شيوعيا ·· وفى ١٩٣٩ تركتهم أنا ومارسيل وراؤول كوربيل وفتاة يونانية وقررنا تأسيس «حزب شيوعى»(٢) وهكذا بذرت بذور الانقسامية فى تربة العمل الشيوعى المصرى ··

أما اتحـاد أنصار السلام فقـد استمر فى نشاطه فى فرعيه ( القـاهرة بشارع شريف والاسكندرية بشارع صفية زغلول ) وقـد نظم حملات ناجحة ضـد الغزو الايطـالى للحبشة ، وضـد النازية ، ولمسـاندة الجمهوريين الأسبان · كذلك استمر « بول جاكو دى كومب » فى نشاطه الشديد الحـذر

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ رسالة خطية موجهـة للمؤلف · ( المرجع السابق ) ·

(٢) محضر نقاش مع ريمون أجيون ( المرجع السابق ) ·

لتجميع نواة ماركسية بدأت تنظم دراسات للنظرية الماركسية ، يقول صادق سعد « كنا مجموعة من أربعة أو خمسة أشخاص تجتمع مرة أو مرتين فى الاسبوع فى منزل واحد منا ونقرأ صفحة أو صفحتين من كتاب فى الاقتصاد السياسى ثم نجرى مناقشة حولها ، وكان النشاط ثقافيا ودراسيا بحتا »(١) •

وفى عام ١٩٣٩ اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ولم يعد هناك ما يبرر – استمرار لافتة « اتحاد أنصار السلام » ، واجتمع « عشرة أو خمسة عشر شخصا واتفقنا على ضرورة حل اتحاد أنصار السلام طبقا للائحة الاتحاد ، وناقشنا فى نفس الوقت تأسيس جماعة أخرى سميناها " Groupe Etudes " (٢) •

**❋ جماعة البحوث " Groupe Etudes " ❋ :**

•• وفى دار جديدة بشارع عدلى ، مارست المجموعة الجديدة نشاطها •• بعد أن تخلصت بعض الشىء من حذرها ، ويجتمع فيها حوالى « ٢٥ أو ٣٠ شخصا كلهم أجانب أو متأجنبين » (٣) وقررت الجماعة أن تقوم بأعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين ، وكان هدفها الاساسى هو « تعريف الاوروبيين بأوضاع المجتمع المصرى ، لقد قامت الحرب وأغلقت الحدود ، وهكذا كان لا بد للاجانب المقيمين فى مصر أن يتجهوا لدراسة الواقع المصرى •• وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من اعداد دراسات جيدة عن الفلاح المصرى – تاريخ مصر – ثورة عرابى – نهر النيل •• الخ »(٤) •

ومن بين الدراسات التى وضعتها « جماعة البحوث » كتاب مصر الآن – " Egypt Now " الذى صدر بالانجليزية فى طبعتين الاولى فى يونيو

---

(١) محضر نقاش مع صادق سعد – أجرى النقاش بالقاهرة فى ١٩٧٥/٤/٦ •

(٢) المرجع السابق •

(٣) المرجع السابق •

(❋) لعل الترجمة الصحيحة لاسم " Groupe Etudes " هو « مجموعة الدراسات » لكن صادق سعد يؤكد أن مؤسسى الجماعة قد ترجموا الاسم الى جماعة البحوث » •

(٤) محضر نقاش بول جاكو دى كومب – جلسة المناقشة الثانية (باريس) ١٩٧٠/١/٢٦ •

١٩٤٣ والثانية فى يناير ١٩٤٤ وقد وجه أساسا لجنود « الحلفاء » بهدف تقديم مطبوعات مبسطة وايجابية عن تاريخ مصر وشعبها .. وفى مقدمة الكتاب يؤكد المؤلف « هذا الكتاب موجه لجنود الحلفاء ، لكن ذلك لا يعنى أن الآخرين يمتنعون عن قراءته ، انه يستهدف أن يستشعر لابسو الكاكى الالفة فى مصر وبين المصريين وأن يشاركوهم نظرتهم الى الحياة »(١)

وفى هذه الاثناء كان « بول جاكو دى كومب » يركز اهتمامه على الثالوث ( صادق سعد - يوسف درويش - ريمون دويك ) .

وكان يرفض أن يحول هذا الحشد الماركسى الاجنبى الى تنظيم .. وهو يؤكد « أنا مصمم على أننى لم أؤسس تنظيما ، أنا وضعت البذور ثم تركتها تنمو ، أنا كنت من الناحية المبدئية ضد أن يقوم أجنبى بتأسيس تنظيم .. أننى أقرر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تنحيت أنا عن العمل »(٢) .

وفى عام ١٩٤٢ كانت جحافل النازى تقترب من مصر ، وكانت معارك العلمين الشهيرة تشتعل فى ضراوة أثارت مخاوف الكثيرين من الاجانب واليهود خاصة خوفا من اضطهاد النازى وهاجر معظم أعضاء « جماعة البحوث » الى فلسطين ..

ويروى صادق سعد « فى ذلك الحين اجتمعت أنا وريمون ويوسف لنناقش هل نهاجر أم لا ؟ وقررنا أن نبقى على أساس أنه لا يصح أن يغادر الشيوعيون جميعا البلد »(٣)

وهكذا بقى الثلاثة فى فترة خصبة وعارمة وعاشوا التجربة وحدهم وشعروا بمغزى العمل المنطلق بين الجماهير .. « وفى هذه الفترة كنا قد بدأنا مرحلة نشاط فعلى وسط المصريين واجتمعنا مع بول جاكو دى كومب وقلنا له أننا استمررنا لفترة فى العمل مستقلين بدون توجيهات من الحلقة الماركسية التى هاجر معظمها الى فلسطين خلال معارك العلمين واقترحنا أن نستقل عن هذه الحلقة وأن ننظم أنفسنا بالطريقة التى تناسبنا(٤) » .

---

1 — Hilary waynet - Egypt now - Second Edition (January 1944) Hours - Cairo .

(٢) محضر نقاش مع بول جاكوب دى كومب ( المرجع السابق ) .
(٣) محضر نقاش مع صادق سعد ( المرجع السابق ) .
(٤) محضر نقاش مع صادق سعد ( المرجع السابق ) .

واستمرت « جماعة البحوث » فى التواجد الشكلى لتقدم بعض المساعدات الفكرية والمالية للمجموعة التى انطلقت الى ميدان العمل المصرى ..

### * جماعة الشباب للثقافة الشعبية :

منذ عام ١٩٤١ وقبل انفصال الثالوث عن جماعة البحوث ، كان هؤلاء الثلاثة يتجهون بناء على طلب بول جاكو دى كومب للعمل بين المصريين .

ويلتقى يوسف درويش حيث يسكن فى بولاق بمجموعة من الشبان المتحمسين للخدمة العامة والذين افتتحوا مدرسة لمحو الامية ويشاركهم يوسف درويش نشاطهم وسرعان ما يتحول منزله ( رقم ٧ سكة جلالة الملك أمام جوش فايد ) الى مقر لجماعة جديدة تستهدف محو الامية بين العمال والفلاحين وتقيم فرعا لها فى السبتية بشارع ورشة القطن لمحو أمية العمال وفرعا آخر فى قرية ميت عقبة للنشاط بين الفلاحين(١) .

ومن هذين الفرعين تكونت « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » ..

لكن حلمى يس يقدم لنا رواية أخرى .. فيقول أنه وقد بدأت الحرب العالمية الثانية ، بدأ كغيره من الشباب الاهتمام بقضايا الوطن ، وبدأ فى التردد على الجمعيات والاندية لسماع المحاضرات ، وانه بدأ فى التردد على جماعة البحوث حيث استمع الى محاضرة جيدة عن «خزان أسوان» وهل من الضرورى تعليته مرة ثالثة ؟ . ويضيف «وعندما بدأ المصريون فى التردد على مقر هذه الجماعة بدأ القائمين عليها فى تكوين مجموعة أخرى للمصريين حيث تلقى المحاضرات باللغة العربية لانها فى جماعة البحوث كانت تلقى بالانجليزية أو الفرنسية وسمح للاوربيين الذين يجيدون اللغة العربية أن يشاركوا فى المجموعتين وأسميت المجموعة الجديدة « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » وكان مقرها فى ذات مقر جماعة البحوث ٥ شارع عدلى(٢)

وبعد ذلك وليس قبله ـ وفق رواية حلمى يس ـ بدأ النشاط فى بولاق وميت عقبة .

---

(١) محضر نقاش مع يوسف درويش .

(٢) محضر نقاش مع حلمى يس ـ أجرته معه الباحثة الامريكية سيلما بوتمان فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧٩ ـ محرر بالالة الكاتبة الانجليزية .

وعلى أية حال فمن خلال النشاط فى هذه الجماعة التقى يوسف درويش بمحمود العسكرى الذى كان ولفترة طويلة مقبلة حجر الزاوية فى نشاط هذه المجموعة فى المجال العمالى وخاصة وسط عمال النسيج فى شبرا الخيمة ..

ثم ما لبث ريمون دويك وصادق سعد أن تفتحت أمامها أبواب نشاط واسع وسط المثقفين سواء من خلال مجلة الفجر الجديد أو من خلال « لجنة نشر الثقافة الحديثة » .

وما لبث يوسف درويش أن انغمس فى نشاط عمالى ونقابى صرف يستهدف تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » واصدار مجلة « الضمير » .. « ولم يعد هناك مبرر لاستمرار جماعة الشباب للثقافة الشعبية وقررنا حلها »(١) .

## * الاتحاد الديمقراطى :

ها نحن مرة أخرى أمام أناس فقدوا الامل فى « بول جاكو » فقرروا العمل منفردين ..

والحقيقة أن لدينا أكثر من رواية عن تأسيس « الاتحاد الديمقراطى » وهى متطابقة أو بالدقة تكمل بعضها بعضا ..

يقول راؤول كورييل عن علاقاته ببول جاكو دى كومب « لقد اختلفنا معه لانه كان يخاف من أية تحرك ، ويخشى أى ارتباط بالمصريين ويعمل فى حذر شديد يصل الى حد الشلل التام ، وكان يخشى من أى مظهر ماركسى فخرجنا وأسسنا الاتحاد الديمقراطى ، وبدأنا فى تكوين مجموعات صغيرة تدرس الماركسية »(٢) .

ويقول مارسيل اسرائيل « وفى بداية ١٩٣٩ تكون فى القاهرة والاسكندرية تجمع جديد باسم « الاتحاد الديمقراطى » وكان مؤسسوه هم أنصار التمصير من الأعضاء السابقين فى رابطة أنصار السلام بالاضافة الى مجموعة الايطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لاحساسهم بالغربة فى داخلها . وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطى نصوصا تقول بأنه يتعين أن يكون

---

(١) محضر نقاش مع صادق سعد ( المرجع السابق ) .

(٢) محضر نقاش مع راؤول كورييل - أجريت المناقشة فى باريس فى منتصف نوفمبر ١٩٦٨ .

غالبيــة اللجنة القيــادية من المصريين ، ولكن الشىء الهــام هو أنه قد تكونت خلــف الاتحـــاد الديمقــراطى جمـــاعة سرية ماركســـية تتكـــون هى الاخــرى من الاجــانب وحــدهم ، وحــددت هذه الجماعة مهمتهــا الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشبان المصريين الى الاتحاد الديمقراطى بهــدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كأعضــاء فى الجمــاعة المــاركسية السرية « وبالاضافة الى ذلك تقرر اخضاع الواقع المصرى لتحليــل اقتصـــادى وسياسى واجتماعى »(١) ٠

أما هنرى كورييل فيكمل القصة قائلا « وفى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ اقتنعت بالمــاركسية وبدأت فى الاتصال باخرين وفعلا اتصلت بجورج بواتييه وراؤول كورييل ( أخى ) ومارسيل اسرائيل وآخرين وبدأنا فى تأسيس الاتحـــاد الديمقراطى ، وكان معنـــا عدد من المصريين وهم د٠ فؤاد الاهوانى ، ومحمد نصر الدين وكان مدرسا فى كليــة البوليس واتخذ الاتحاد الديمقراطى مقرا علنيــا له فى العمارة رقم ١ شارع سكة الفضل ، وقبل أن نتخــذ هذا المقر عقــد الاتحــاد الديمقراطى أولى اجتماعاته فى مقر احدى الجمعيــات المــاسونية ، وعلى الفور بدأ الاتحــاد الديمقراطى بنشاط واسع جدا ، وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى ، هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن فى نشـــاط ماركسى واســع النطــاق(٢) ويضـــيف ـ فى منــاسبة أخرى ـ الى أسماء من تعاونوا معه فى تأسيس الاتحــاد الديمقراطى اسما آخر هو ساندروروكه وهو شيوعى ايطــالى ، لعب دورا هاما فى الحركة المناهضة للفاشية فى مصر(٣) ٠

أما وثائق وملفــات البوليس السياسى فانهــا تتضمن أسماء أخرى عديدة لهؤلاء الذين أسهموا فى نشاط الاتحـــاد الديمقراطى ومن بينهم « ريمون أجيون ، مدموازيل استر ستون ومدموازيل هنرييت آربييه عزرا هرارى(٤) » وكان النشاط العــارم الذى بدأه النــادى الديمقراطى سبيلا لجــذب

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ تقرير باللغة الفرنسية مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطــالى ( المرجع السابق ) ٠

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ جلسة المناقشة الاولى ـ ( باريس ) الأسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨ ٠

(٣) محضر تحقيق النيــابة فى قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ ملف القضية ، صفحات ١٠٢٨ ـ ٢٥٣١ ٠

(٤) حكمدارية بوليس مصر ـ سرى سياسى ـ مذكرة عن هنرى دانييل كورييل ٠

الكثيرين من التقدميين المصريين نحوه ·· يقول عبده دهب « كنت اشعر أننى بحاجة الى الثقافة ، وكنا نبحث فى الصحف عن المحاضرات والندوات فى الأندية المختلفة وذات يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى فى مقر النادى الديمقراطى حول ــ المرأة المصرية والاوربية بين الأستاذين سلامة موسى وزكى مبارك(١) » ·

وبعدها أصبح عبده دهب شيوعيا ·· وتكاثر غيره من المصريين والسودانيين فى صفوف الاتحاد الديمقراطى أو بالدقة فى صفوف المجموعة الماركسية التى تواجدت خلف واجهة النادى الديمقراطى ··

وقد بلغ نشاط الاتحاد الديمقراطى جدا لفت اليه أنظار قوات الاحتلال التى حاولت أن تتعاون معه فى النضال ضد الفاشية وضد خطرها المتزايد فى صفوف الجالية الإيطالية الكثيرة العدد وفى صفوف المصريين أنفسهم ، يقول هنرى كورييل « ·· فى هذه الاثناء اتصل بى مندوب من السفارة البريطانية اسمه ــ فيما أذكر ــ مستر جودوين وطالب أن يعمل الاتحاد معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث كثيرا عن أهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية ، لكننا رفضنا التعاون معهم(٢) »

واتسع نشاط الاتحاد الديمقراطى واتسعت المجموعة الماركسية المتوارية خلفه ، وتزايد عدد الماركسيين فى صفوفها ·· وفجأة دب خلاف بين الذين تصدوا لقيادة الاتحاد الاديمقراطى ··

هنرى كورييل يرى ضرورة البدء فورا فى تأسيس تنظيم شيوعى ويرفع شعار التمصير ·

مارسيل اسرائيل يقول بالتمصير ولكنه يتشدد الى درجة منع الاجانب من المشاركة بأى دور قيادى (٣) » ·

---

(١) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين ــ أجرى النقاش فى الخرطوم فى ١٩٦٩/١٠/١٨ ·

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل ــ جلسة المناقشة الثانية ــ باريس ٢٥ فبراير ١٩٧٠ ) ·

(٣) مارسيل اسرائيل ــ المرجع السابق ·

ثم ظهر هليل شوارتز ليعلن أن شعار التمصير هو شعار شوفينى وأنه لا فرق بين مصري وأجنبي فى صفوف حركة أممية الاهداف ٠

وتراكمت خلافات أخرى ، بعضها ذا طابع شخصى أيضا وانتهى الامر بأن تفرقت المجموعة الماركسية التى تواجدت فى أطار الاتحاد الديمقراطى الى ثلاث منظمات ٠

هنرى كورييل ٠٠ الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م )
هليل شوارتز ٠٠ ايسكرا ٠

مارسيل أسرائيل ٠٠ تحرير الشعب ٠
وهكذا تكرست الانقسامية وتحددت معالمها ٠

أما الاتحاد الديمقراطى فقد أنهى وجوده وحل محله ناد جديد سمى « المركز الثقافى الاجتماعى » ٠

لكننا وقبل أن ننتقل الى موضوع آخر نود أن نلاحظ أن سمات وأساليب عمل الاتحاد الديمقراطى وتمايزها عن الاسلوب المنغلق لاتحاد أنصار السلام لم تكن شيئا عارضا فقد ظل هذا التمايز قائما وفاعلا طوال الاربعينيات والخمسينيات بين تيارين تمتد جذورهما الى هذين الاصلين : تيار انعزالى وتيار يتقن فن العمل بين الجماهير ٠٠

*** المركز الثقافى الاجتماعى :**

بعد أن انهمك هنرى كورييل فى تأسيس منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م ) لم يعد المركز الثقافى الاجتماعى بالنسبة له سوى أحد مجالات النشاط بين الاجانب وعدد محدود من المصريين ومن ثم فقد الكثير من أهميته ٠٠ فترك العمل فى هذا النادي الى ثلاثة من الاجانب هم توماس بلاموتس ( يوناني الجنسية ) وسلامون سليم سدني وعزرا هرارى ٠

وكان الهدف من هذا المركز استمرار النشاط الديمقراطى المعادى للفاشية فى صفوف المجموعات الاجنبية ٠٠ أما لماذا تغير الاسم فان كورييل يقول صراحة أمام النيابة العسكرية فى أحد تحقيقاتها معه ، أن هذا التغيير قد تم « لان الدعاية الانجليزية فى أوائل الحرب أرادت أن تستغل اسم النادى الديمقراطى لصالحها هى ، فقرر أعضاء النادى تغيير الاسم وسموه « المركز الثقافى الاجتماعى » وعلشان كمان يكون اسمه بعيد عن السياسة (١) » ٠

---

(١) ملف قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ ـ محضر التحقيق مع هنرى كورييل بتاريخ ـ ١٠ أغسطس ١٩٤٦ ـ الصفحات ١٠٢٩ وما بعدها ٠

أما البوليس فقد أكد فى تقاريره العديده « أن هذا النادى يقوم بنشاط سياسى ظاهره الدعوة للحلفاء والديمقراطية وباطنه نشر الدعاية الشيوعية واثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية (١) » .

وكانت هذه التقارير تؤكد أيضا أن هنرى كورييل لا يزال يحرك هذا المركز من وراء الستار »(٢) .

وتتلاحق تقارير البوليس السياسى ضد المركز الثقافى الاجتماعى ويكون آخرها تقرير من سليم زكى بالنيابة عن حكمدار بوليس مصر مرفوع الى « حضرة صاحب السعادة حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الدخلية يعلن فيه اغلاق المركز والقبض على قيادته « .. وبشأن قيام بعض زعماء المركز الثقافى الاجتماعى الذى كان يستأجر داره ويديره هنرى كوربيل بنشاط شيوعى ، نفيد بأنه قد تم ضبطهم وتولت النيابة التحقيق معهم وصدر أمر الحاكم العسكرى العام باغلاق الدار المذكورة واعتقال زعماء هذه الحركة وهم توماس بالاموتس ، وسلمون سدنى ، وعزرا هرارى ، وتم الافراج عنهم ، وضعهم تحت مراقبة البوليس عسكريا لمدة ثلاثة أشهر تجددت حتى اليوم » .

### * ثقافة وفراغ :

كما كانت « الخبز والحرية » محاولة من جماعة « تحرير الشعب » أو بالدقة من مارسيل اسرائيل للاتجاه نحو العمال ، فقد أسست جماعة « ثقافة وفراغ » وسط المثقفين . « ولكن نشاط الخبز والحرية أدى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين الى التردد على مقر ثقافة وفراغ واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا »(٣) .

ويقول أسعد حليم أن « ثقافة وفراغ » قد ضمت عدد قليلا من المصريين منهم فوزى جرجس ، وكانت خطة مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا ( الخبز والحرية ) فتعمل وسط العمال(٤) .

---

(١) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - مرفوع الى النيابة العسكرية العليا ومؤرخ فى ١٦ يناير ١٩٤٣ .

(٢) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - رقم ب/١٣٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٣ - مرفوع من سليم زكى الى حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية .

(٣) مارسيل اسرائيل (شميريزى ) - تقرير باللغة الفرنسية ( المرجع السابق ) .

(٤) محضر نقاش مع أسعد حليم ( المرجع السابق ) .

أما تقارير البوليس فتقول « وفى عام ١٩٤٠ أسس المذكور نادى « الثقافة والفراغ » بشارع الفلكى ثم بشارع أبو السباع وكان يهيمن على هذا النادى مارسيليو ماريو اسرائيل وزوجته جانيت ، وكانا على صلة بهيئة شيوعية فلسطينية ، وكانا يمدان أنور كامل عثمان ( الخبز والحرية ) بالمال ، وكان ظاهر النادى الرياضة والثقافة وحقيقته الدعاية للشيوعية الى أن أغلق فى أغسطس ١٩٤١ »(١)

ويقول مارسيل اسرائيل ان نشاط هذه اللجنة قد اتسع ليشمل عديداً من المثقفين منهم الطيار عبد اللطيف بغدادى(٢) .

* لجنة نشر الثقافة الحديثة :

فى ١١ أبريل ١٩٤٥ وجه اللورد كيلرن برقية « سرية » الى السير أنتونى ايدن يعرب فيها عن انزعاجه الشديد من نمو الحركة الشيوعية وكتب تحت عنوان « نمو الشيوعية فى مصر » فقرة خاصة عن لجنة نشر الثقافة الحديثة جاء فيها « أن لهذه اللجنة علاقات بسوريا ولبنان ويبدو أنها تستمد من هناك موادها الاعلامية . ان معظم أعضائها هم من الشيوعيين المعروفين ، الذين كانوا مثلهم مثل أعضاء الجبهة الشيوعية ( يقصد الاشتراكية ــ المؤلف ) على صلة سابقة بمجموعة الفن والحرية ، ويمكن اعتبار استقلال ــ هاتين المجموعتين عن الفن والحرية نتيجة لبروز خلافات نظرية حول الشيوعية »(٣) .

ولدى دراسة تاريخ تأسيس هذه اللجنة ثار نوع من الجدل . صادق سعد ( جماعة الفجر الجديد ) يقول « أسسنا لجنة نشر الثقافة الحديثة مع سعيد خيال »(٤)

بينما مارسيل اسرائيل ( شيرزى ) يؤكد أنه وبالتحديد جماعة « تحرير الشعب » هم مؤسسو هذه اللجنة .

---

(١) حكمدارية بوليس مصر ــ سرى سياسى ــ مذكرة عن هنرى دانييل كورييل .

(٢) مارسيل شيريزى ( اسرائيل ) ــ رسالة الى المؤلف ــ المرجع السابق

3 — The developement of communism in Egypt — Public Record office — Fo: 371 — 46008 — 9039

(٤) صادق سعد ــ محضر نقاش ( المرجع السابق ) .

وسعيد خيال رئيس اللجنة يقول ان مارسيل ، وراؤول مكاريوس ومصطفى كامل منيب كانوا مؤسسى اللجنة معه(١) ٠٠ لكن ذلك لا ينفى تواجد جماعة الفجر الجديد ضمن المؤسسين دون أن يكشفوا عن أنفسهم ٠٠ لكن تواجدهم لم يستمر طويلا ذلك أنهم بحكم قلة عددهم ( ثلاثة أشخاص فقط ) لم يكونوا قادرين على التواجد فى أكثر من موقع ومن ثم فان تأسيسهم لمجلة الفجر الجديد كان ايذانا بانسحابهم من الميادين الاخرى ٠٠

والحقيقة أن لجنة نشر الثقافة الحديثة قد لعبت دورا هاما وفعالا ، ففى دارها ( شارع القصر العينى ) تجمع العشرات من المثقفين المصريين ليستمعوا – ولاول مرة – الى محاضرات ذات محتوى ماركسى وفكر تقدمى ٠

وتورد وثيقة أمريكية قائمة طويلة تضم اثنان وستون اسما تقول انهم « أناس عرف عنهم انهم على علاقة بلجنة الثقافة الجديدة ٠٠ ونكتفى بابراز بعض الأسماء ٠٠

« الآنسة الطرزى – ريمون دويك – أحمد أمين – الانسة درية – أمين تكلا – صادق سعد – محمد رفعت – د٠ مندور – سعد لبيب مكاوى – عبد الرحمن الشرقاوى – الانسة نجوى – سعيد عبد المعطى خيال – فتحى الرملى – شعبان حافظ – أحمد رشدى صالح – آنسة عظيمة مختار – حورية مصطفى – حسنى العرابى – آنسة اقبال العلايلى – صفية ابراهيم فهمى – ٠٠ الخ »(٢) ٠

*** جماعة أصدقاء الثقافة :**

وتتحدث وثيقة أمريكية عن هذه الجماعة فتقول أنها جماعة صغيرة تنشط فى القاهرة والاسكندرية وهى مكونة من يهود ذوى اتجاه شيوعى « وتأسست عام ١٩٤١ ، وتستهدف العمل وسط الشباب عن طريق جذبهم الى المشاركة فى الرحلات والمعسكرات والرحلات البحرية ٠٠ وتتكون قيادة هذه الجماعة من خمسة أشخاص يرأسهم فيكتور كباسو Victor Cabasso رعية فرنسية ٠٠٠ ، ويتضح التوجه الشيوعى لهذه الجماعة من ندوة نظمت فى ١٠ يوليو ١٩٤٥ تحت عنوان « الولايات المتحدة والعالم » حيث وصفت

---

(١) مختصر نقاش مع سعيد خيال – أجريت المناقشة فى ١٩٧٣/٥/٥
2 — 306843 — 18/Sept/46 A2

الولايات المتحدة بأنها ضد الديمقراطية ، ضد التقدم ، انانية ، عنصرية .. وباختصار دولة فاشية »(١) .

*** حركة استقلال طرابلس :**

وتقول مصادر السفارة الأمريكية عن هذه الحركة أنها تأسست للدفاع عن استقلال ليبيا ولمساعدة الليبيين المقيمين بمصر وانها تقدم مساعدات مالية للطلبة الليبيين بمصر ويترأس هذه الجماعة الشيخ عمر على الغويلى وهو قاضي شرعى من خريجى الازهر .

لكن السفارة تؤكد « ان من بين أكثر مساعدى الغويلى نشاطا وحركة فى هذه الجماعة الشيخ محمد أبو الحسن الغنيمى ( عضو الحركة المصرية للتحرر الوطنى - المؤلف ) والذى اشتهر بكتاباته عن الشيوعية والاسلام والشيخ عبد الرحمن حسن الذى اشتهر بأنه داعية شيوعى نشيط ومثابر فى كلية اللغة العربية بالازهر »(٢) .

*** دار الأبحاث العلمية :**

ولعلها أشهر الاندية والروابط العلنية التى أسسها الشيوعيون المصريون دون منازع وكانت هذه الدار هى الواجهة العلنية لمنظمة ايسكرا وسبيلها للعمل والنشاط فى صفوف المثقفين المصريين ..

ولعل أفضل تقديم لدار الابحاث العلمية النشاطها هو أقوال شهدى عطية الشافعى - مسئول الدار - أمام النيابة العسكرية التى استدعته بعد مداهمة البوليس للدار وصدور قرار باغلاقها .

« وتبدأ القصة بمذكرة سرية من حكمدارية بوليس مصر ..

« مذكرة - تفيد بأن القائمين على ادارة دار الابحاث العلمية هم حضرات : الدكتور محمد الشحات مدرس الكيمياء بكلية الطب وشهدى عطية الشافعى أفندى مدرس بالمعهد العالى التجارى ، ومحمد محمد عبد المعبود الجبيلى أفندى معيد بكلية العلوم ، وأبو بكر نور الدين أفندى خبير بوزارة العدل » .

---

(١) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG — 319 Mis 295977 A — 24 July 46

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم .
RG — 319 Mis — 282372 A — 9 June 46

ولدى مداهمة النيابة للدار ٧ شارع نوبار أكد صاحبها للنيابة ان الذى استأجرها هو الاستاذ شهدى عطية الشافعى وقد سألته النيابة عن المسئول عن ادارة الدار فأجاب بأنهم ثلاثة هم منير ملطى أفندى وظريف وعبد الرحمن نصر أفندى* .

.. ويمضى محضر النيابة العسكرية العليا ..

« وقد استدعينا الاستاذ شهدى عطية وسألناه الآتى :

س : ما صلتك بجماعة دار الابحاث العلمية ؟

ج : أنا عضو فى دار الابحاث ..

س : وما غرض الأعضاء ؟

ج : القيام بالابحاث العلمية وتطبيقها على المجتمع .

س : وما هى شروط الالتحاق بالدار ؟

ج : أن يكون العضو على درجة كبيرة من الثقافة وأن يتردد على الدار مدى شهر أو اثنين وأن يزكيه عضو فى الدار ، وأن يدفع الاشتراك وأن يقوم بتلخيص أى كتاب من تلقاء نفسه وعرض مجهوده على باقى الاعضاء والمناقشة فيه ونقده ، ولكل عضو الحق فى أن ينشر ما يشاء من أبحاث فى النشرة التى تصدرها الدار على أنه فى هذه الحالة يكون ذلك على مسئوليته الخاصة ، وهذه النشرات يشتريها باقى الاعضاء أو الاشخاص الذين يترددن على الدار أو الزوار بمعنى أنها لا تباع فى الطرقات »(١) .

وقد لعبت النشرة « غير الدورية » ( تلافيا لعدم الحصول على ترخيص ) دورا هاما فى رفع الوعى الثقافى والفكرى لدى المثقفين التقدميين المصريين ..

---

(*) وردت هكذا بالمحضر وصحتها عبد الرحمن الناصر ( المؤلف ) .

(١) ملف قضية الشيوعية الكبرى لعام ١٩٤٦ . محضر تحقيق النيابة العسكرية العليا صفحات ٦٠١ وما بعدها .

ان تصفح احدى هذه النشرات يكفى تماما لاعطاء صورة عن مدى أهميتها وعن قيمتها الفكرية والسياسية فالعدد الذى تحت أيدينا وهو العدد الرابع يتضمن مجموعة من الاخبار الهامة ·· والموضوعات الجادة ··

وفى أول صفحة نقرأ « انتهت الحرب العالمية الثانية ، ودقت أجراس السلام بعد كفاح مرير ضد العدوان الفاشى ، كفاحا دام ستة أعوام ، قاست فيها شعوب العالم ما قاست وفقدت الملايين من الشباب والنساء والأطفال كل هذا لاشباع أطماع حفنة من الاستعماريين الرجعيين الذين يريدون فرض سيطرتهم واستغلالهم على شعوب العالم أجمع · ثم تقرير اخبارى عن المعاهدة الصينية ـ السوفيتية ـ وتقرير آخر عن اليونان وتقرير عن جنوب أفريقيا بعنوان الرجعية ترفع رأسها ·

·· أما الافتتاحية وهى بعنوان كلمة وفى برواز يتوسط الصفحة الأولى والثانية فتقول « هاهو العدد الرابع بين أيديكم أعضاء وزائرين وهى بلا شك صاعدة الى الامام تشق طريقها نحو النمو والاكتمال » ·

ويبدو أن البعض قد اعترض على أسلوب بعض المقالات الذى كان فوق مستوى فهم القارىء العادى ·· اذ تمضى الافتتاحية قائلة « وقد حاولنا فى محتويات هذا العدد أن تكون المقالات أسهل منالا حتى لا يكون فهمها قاصرا على أعضاء الدار ·· فان كنا قد نجحنا فى ذلك فقد حققنا رغبة عامة ترددت على ألسنة الكثيرين » ثم تأكيد على اتساع طابع المجلة ومحرريها فتقول الافتتاحية « ولا يفوتنا أن نذكر أن جميع المقالات والبحوث لا تعبر عن رأى الدار بل هى تعبر فقط عن رأى محرريها فالنشرة حقل لتعويد الاعضاء على الكتابة ومعالجة مختلف الموضوعات ودور الدار هو دور توجيهى فقط » ·

ونلاحظ أن كافة الموضوعات بلا توقيع ، كما نلاحظ أن العدد بلا تاريخ وأن اكتفى بذكر عام ( ١٩٤٥ م· )

ونلاحظ أيضا تنوع الموضوعات قصة ـ شعر ـ صوت من السودان ـ أسباب فشل عصبة الأمم ـ الديون ـ أهدافنا القومية ـ الثقافة الدولية ـ أيمكن أن يكون الاتحاد السوفييتى استعماريا ؟ (١) ·

---

(١) بحوث علمية ـ ٤ ـ عن دار الابحاث العلمية ـ ١٩٤٥ ـ الناشر ( لم يذكر ) ـ د· ت ، ونلاحظ أن الصفحات مرقمة من ١٢٩ الى ١٧٦ بما يوحى أن الترقيم كان يعطى مسلسلا واحدا لكل الاعداد · والنشرة مطبوعة بالطبعة وهى بغلاف من ورق سميك ·

وقد لعبت الدار دورا هاما فى توعية الكوادر الحزبية وخاصة كوادر أيسكرا بأهمية الدراسة النظرية على أسس أكاديمية .. ولعلها قد أسهمت فى تربية نمط خاص من الكوادر الشيوعية فى مصر ..

وعن نوعية المحاضرات والمحاضرين يقول أحد المترددين على الدار « كثيرين كانوا يلقون محاضرات منهم شهدى وعبد المعبود الجبيلى ، وأذكر أن اسماعيل الازهرى ألقى محاضرة عن السودان » وكان عبد المعبود الجبيلى يلقى محاضرات مبسطة فى العلوم ، وكانت هناك محاضرات حول حركة التحرر الوطنى والوحدة مع السودان » .

ويقول أن « عدد الحاضرين كان يصل الى حوالى ٥٠٠ شخص أو ٦٠٠ شخص » .

وكانت « دار الابحاث العلمية » بسبب نشاطها الجم والطابع العام والفريد لنشاطها ملتقى المثقفين من مختلف المنظمات ولعلها كانت بوضعها هذا أحد البواعث التى حفزت الكوادر على المناداة بالوحدة والاصرار عليها .

وقد حرص المشرفون على هذه الدار أيضا على الطابع التوحيدى لنشاطهم فعندما حاولوا عقد ندوة عن فلسطين دعوا ممثلى مختلف المنظمات الى الاشتراك فيها .. وقد طبعت أبحاثهم فى عدد خاص من نشرة الدار .

وفى ١١ يوليو ١٩٤٦ ، ومع الهجمة الرجعية الشرسة التى قادها الطاغية اسماعيل صدقى يداهم البوليس الدار معززا بأمر باغلاق صادر من رئاسة مجلس الوزراء .

*** الجامعة الشعبية :**

وتتحدث عنها وثيقة أمريكية فتقول « انها قد تأسست عام ١٩٤٦ بواسطة الدكتور محمد الشحات ، وهى فى حقيقة الامر مجرد امتداد لدار الابحاث العلمية ولاتحاد خريجى الجامعة ، وبخضوعها لسيطرة الدكتور الشحات وغيره أصبحت فى واقع الامر مركزا للنشاط الشيوعى ويلعب شخص يسمى على عقل يقيم فى ضواحى القاهرة دور الوسيط بين المثقفين المتمركزين فى هذه الجامعة وبين العمال .. وقد تنامى دور هذه الجامعة .. ويحضرها ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طالب معظمهم من العمال »(١)

---

1 — RS 319 — 306826 — 19 Sept 1946

## * الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية :

فى منتصف الأربعينيات بدأ خطر الصهيونية يتزايد فى مصر ، وأخذ الصهيونيون ـ يمارسون دورا نشيطا فى صفوف الاقلية اليهودية ( حوالى ٧٠ ألف نسمة ) واصطدموا هناك بالنشاط الشيوعى .

وقد كان للشيوعيين نشاط جماهيرى فى عدد من الانديـة اليهـودية ومنها مكابى الظاهر حيث تمكن أحد كوادر أيسكرا ( يوسف حزان ) من أن ينتخب عضوا فى مجلس الادارة ، ومن خلاله مارس الشيوعيون نشاطا ثقافيا واسعا « وكانت الدعايات والمحاضرات الشيوعية تقدم بشكل علنى فى هذا النادى ، وأمكن تجنيد عناصر كثيرة من النادى فى عام ٤٦ ـ ١٩٤٧ . مع ملاحظة أن حى الظاهر كان يضم فقراء اليهود وكان هناك كذلك رابطة خريجى مدارس الليسيه وكنا يسيطر عليها أيضا »(١)

وبالمقابل « كان الصهيونيون يمارسون نشاطا واسعا ومكشوفا ومؤيدا من جانب قوات الاحتلال والرجعية المصرية »(٢) .

وكان الشيوعيون يعارضون الصهيونية من منطلقات مبدئية باعتبارها حركة عنصرية ، ومن منطلقات وطنية باعتبارها حليفة للاستعمار . ومن منطلقات نضالية أيضا « فالصهيونيون كانوا يعملون وسط شباب الجالية اليهودية لاقناعهم بالهجرة من مصر الى فلسطين ، فى حين كان الشيوعيون يدعون كل الجاليات الاجنبية الى اتخاذ موقف صديق من الشعب المصرى والنضال الى جانبه ضد الاستعمار وعملاء الاستعمار »(٣) .

وكان الاخوان المسلمون ومصر الفتاة يحاولون جهدهم تصعيد الصدام العنصرى ضد اليهود ، الامر الذى لم يكن يخدم سوى المخطط الصهيونى الرامى الى اقناع اليهود بأنه لا أمل لهم فى الحياة فى مصر(٤) .

---

(١) محضر نقاش مع البير آرييه ـ جلسة المناقشة الثانية ـ الاسكندرية فى ١٩٧٤/٤/٦ .

(٢) محضر نقاش مع شحاتة هارون سيلفيره ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٤/٢/٢٥ .

(٣) محضر نقاش مع البير آرييه ـ جلسة المناقشة الاولى ـ القاهرة ١٩٧٤/٣/٢٩ .

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيد ـ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ـ الكتاب الثانى فى هذا المجلد .

وهكذا كان من الضروري ايجاد منبر يعمل وسط الجالية اليهودية بمصر ليقاوم النشاط الصهيونى ويسد الطريق أمام المؤامرات العنصرية ٠٠ وهكذا تأسست « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وأصدرت بيانا مطولا طبعته فى كتيب وزع على نطاق واسع وسط اليهود وكان عنوانه « ضد الصهيونية ، فى صالح اليهود ، فى صالح مصر » وبعد أن يستطرد البيان فى دراسة المشكلة اليهودية وتطوراتها ومخاطر ـ الصهيونية كحركة عنصرية يحدد أهداف الرابطة كما يلى :

١ ـ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب ٠

٢ ـ الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصرى فى الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية ٠

٣ ـ العمل على التقريب بين اليهود والعرب فى فلسطين ٠

٤ ـ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين(١) ٠

ويبدأ البيان بعبارة تقول وبشكل مباشر : « نشأت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على المشكلة اليهودية ٠٠ ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية » ٠

ثم ٠٠ « اننا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم فى آخر الامر مصالح أجنبية وضارة بهم ٠ ونحن نعلن أن الطريق الوحيد الذى يجب على اليهود أن يسلكوه هو الاشتراك الوثيق الصريح المخلص ، فى الحياة القومية للبلد الذى يعيشون فيه » ٠

« والطريق الوحيد الذى يجب أن يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم لتحرير فلسطين من نير الاستعمار ، ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هى الوحيدة التى تستطيع أن تضمن للسكان اليهود حياة حرة ومثمرة ، أما عن الاشكال الدستورية التى ستتخذها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى أن هذه المسألة يجب أن تترك للفلسطينيين أنفسهم عربا ويهودا ليحلوها كيفما شاءوا » ٠

---

(١) بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ـ القاهرة يونيو ١٩٤٧ مطبعة الشبكشى بالازهر بمصر ـ كتيب من ١٦ صفحة عدا الغلاف ٠

.. « ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحررية العربية فى سبيل فلسطين حرة مستقلة ديمقراطية هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية فى فلسطين »(١) .

وقد أكد مارسيل اسرائيل ( شبيزى ) أنه كاتب هذا البيان ، وأقر بذلك الكثيرون ممن ناقشتهم حول هذا الامر ، والامر الذى لا شك فيه أن مارسيل وبقية اليهود من كوادر حدتو قد لعبوا دورا نشيطا فى هذه الرابطة ..

وقد أصدرت الرابطة منشورا بعنوان « نداء الى يهود مصر » جاء فيه :

« أيها الاخوان : يدعى الصهيونيون أنهم يستطيعون حل المشكلة اليهودية وأنهم يدافعون عن مصالح طائفتنا وهذا كذب وافتراء .. »

ثم يختتم المنشور بالعبارات التالية :

« أيتها الامهات : نريد أن نحمى أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلابة التى ترمى الى ارسال أولادكن ليعيشوا فى فلسطين وسط عداء أغلبية السكان وفى نظام كله استبداد واضطهاد .

أيها اليهود .. أيتها اليهوديات :

.. تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى !

الصهيونية عدوة اليهود .

فلتسقط الصهيونية .

ولتحيا أخوة العرب واليهود .

وليحيا الشعب المصرى »(١) .

ولم تكن مهمة هذه الرابطة سهلة ولا هينة ، وقد إعترف بذلك عزرا هرارى سكرتير الرابطة فى حديث صحفى قال فيه « لا بد لنا من الاعتراف بأن تحقيق هدفنا يحتاج الى جهاد طويل .. فالصهيونية فى مصر مؤيدة

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١١ .

(٢) نداء الى يهود مصر ـ منشور وزعته الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ـ مؤرخ فى ٢٥ مايو ١٩٤٧ .

ـ مع الاسف الشديد ـ من قوات البوليس المصرى نفسه ! وهى أيضا مدعمة بالأموال الطائلة والجاه العريض ! ولكننا واثقون بالقضية التى ندافع عنها ، لأنها قضية عادلة لصالح مصر والوطن ، ولصالح اليهود أنفسهم (١)» ٠

وتحل الرابطة ٠٠ ليس بسبب صعوبة المهام التى تواجهها ، وانما ـ وهذا هو الغريب ـ بقرار من رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا ، وتكون آخر أنفاس الرابطة برقية توجهها الى رئيس الوزراء جاء فى ختامها « ٠٠ وبما أن هدف الرابطة وطنى وهو مكافحة الصهيونية المجرمة التى تسىء الى سمعة الطائفة الاسرائيلية وتضر بمصالح الشعب المصرى ، فان الرابطة تبلغ دولتكم شديد احتجاجها على هذا القرار راجية سحبه لعدم تشجيع نشاط الصهيونية الاثيم فى مصر(٢)» ٠

## * حركة الجيل الجديد :

ولعلها نموذج آخر من تلك التجمعات اليسارية التوجه والتى تكاثرت فى مطلع الاربعينيات وقد تأسست هذه الجماعة من عدد محدود من طلاب جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٣ وقد ضمت فى صفوفها فؤاد مرسى الحداد ، وابراهيم سعد ثامر ، وعبد الجواد أبو زيد القوصى ومحمد جلال جوجو ومصطفى عبد العظيم(٣) وقد اتخذت الحركة شعارا لها « أيها الصانع اعمل لتكون لك آلتك ـ أيها الفلاح أرض الدولة ملك الجميع ـ أيها التاجر السوق المصرى لك وحدك » ٠

---

(١) الجماهير ١٩٤٧/٥/٥ ٠

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٦/٢٣ ٠

(١) أورد تقرير لجهاز الامن هذه الاسماء حصرا على أساس أنها مجمل ما علمه من أعضاء هذه الجماعة ، والتقرير مرقم كالاتى :

رقم ٥٤٥ سرى سياسى ـ الضبط فرع ب ـ القلم المخصوص ٠ ومودع فى ملف القضية ٨ عسكرية عليا سنة ١٩٥٩ ضمن تقرير المباحث العامة عن د٠ فؤاد مرسى ـ ص ١٠٤٥ من الملف ٠

وبالاضافة الى ذلك كله .. فقد لعب الشيوعيون دورا هاما فى العديد من المنظمات والروابط والاندية والتجمعات التى كانت قائمة فعلا بل لقد وصل دورهم فى « اتحاد خريجى الجامعة » الى درجة كبيرة أدت بالسلطات الى اتخاذ اجراءات ضد الاتحاد وضد مجلته « الطليعة » ( جماعة تحرير الشعب ) ..

كذلك مارس بعض الشيوعيين ( الفجر الجديد ) دورا يعتد به فى صفوف اليسار الوفدى وخاصة منظمة الطليعة الوفدية ومجلتها رابطة الشباب ..

وتجمعات أخرى عديدة « اتحاد خريجى المدارس الصناعية » (منظمة ح٠م ) و « رابطة فتيات الجامعة والمعاهد » .. الخ .

كذلك لعب الشيوعيون ( ح٠م ) دورا بارزا وسط تجمعات السودانيين وروابطهم وأصدروا لهذا الهدف مجلة حرية الشعوب ثم أم درمان ، ونجحوا فى أن يرسخوا وبشكل جماهيرى ومؤثر شعار « الكفاح المشترك ضد العدو المشترك » فى مجابهة شعار البرجوازية « نيل واحد - شعب واحد - ملك واحد » ولعل أهم ثمرة لهذا النشاط هى مجموعة الكوادر الأساسية من السودانيين التى قامت فيما بعد ببناء منظمة « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » ( حستو ) .. والاسماء كثيرة بغير حصر يكفى أن نذكر من بينها الشهيد عبد الخالق محجوب ..

ووسط الاقلية النوبية المطحونة لعب الشيوعيون ( ح٠م ) دورا بارزا فى تأسيس الاندية النوبية والمطالبة بتعويضات أفضل للنوبيين المتضررين من تعلية خزان أسوان ومقاومة مخطط الانجليز وحزب الامة بالدعوة لفصل النوبة عن مصر وضمها الى السودان « ولاول مرة برزت قيادات ماركسية مرموقة ذات نفوذ حقيقى وسط النوبيين(١) » .

ولعل كل ما سبق يكفى لتحقيق ما نهدف اليه ، وهو اعطاء انطباع عام عن نوعية وأساليب وحجم نشاط الشيوعيين وسط الاندية والروابط ..

---

١ - محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الاولى - القاهرة ١٩٧٤/١٢/٢ .

## الصحافة والنشر

« لو تفشت بيننا ثقافة ماركسية لعرف الشعب أين يضع يده على الداء وكيف يحصل على الدواء »(١) هكذا كتب سلامة موسى فى مطلع الأربعينيات ، ثم هو يعود فيؤكد « لهذا يجب أن يكون الميدان الصحفى واسعا حرا يجد فيه المتنبهون بالوجدان الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى المجال لتعليم الامة وتغيير ارادتها أو عقائدها وتحريك أذهانها نحو المستقبل »(٢) .

ولم يكن سلامه موسى مغاليا فى دعوته هذه ، بل لعل كلماته لم تكن أكثر من واقع تجرى ممارسته بالفعل » .

لقد كانت مصر الاربعينات تموج بالثورة ، وكانت البرجوازية عاجزة تماما عن أن تقدم فكرا مثمرا أو قادرا على الاخصاب ، والفكر الجديد يتحول الى عمل ثورى عارم على يد هؤلاء الشباب الماركسيين الذين اقتحموا ميدان الفكر رافعين راية جديدة ، استطاعت أن تجذب اليها الانظار هى « راية الماركسية » .

وكانت ستالينجراد تدوى فى وجدان ومشاعر شعوب العالم حيث يقدم السوفييت نموذجا فذا فى الصمود ، وفى بلد كمصر حيث جحافل النازى على الأبواب . كان صمود ستالينجراد ثم الهجوم السوفيتى الكاسح يعنى الكثير .

وكانت المشكلات الاجتماعية تتفجر بصورة مثيرة بحيث تدفع حتى العناصر الاصلاحية الى التذمر والى المناداة بالتغيير والى ضرورة « أن نشرح للعمال ما يطمئنهم على مستقبلهم ويحميهم من استبداد بعض أصحاب الاعمال »(٣) ويكتب مريت غالى مهاجما الملكيات الزراعية الكبيرة داعيا

---

(١) سلامة موسى ـ حرية العقل فى مصر ـ دار الفجر ـ القاهرة (١٩٤٥) ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

(٣) مصطفى محمود فهمى المحامى ـ الحالة الاجتماعية فى مصر ـ القاهرة ( ١٩٤٠ ) ـ ص ١٠٦ .

الى تقييدها مطالبة « بتنظيم الايجار والعمل كى يوزع ربع الاراضى توزيعا عادلا على من يشتركون فى تكوينه »(١) ٠

وحتى فى ميدان الرواية والادب كانت سمات التذمر الاجتماعى تبرز بصورة واضحة ـ ربما لاول مرة ـ بمثل هذه الكثافة ـ فى تاريخ الادب العربى الحديث كله ٠

ويكتب عصام الدين حفنى ناصف رواية « عاصفة فوق مصر » التى اكتسبت شهرة كبيرة وقد هاجم فيها كبار الملاك وهددهم بثورة اشتراكية تطيح بهم وبحكمهم ، ويصف عبد الخالق أفندى ( أحد أبطال الرواية ) وهو شاب مثقف من أسرة متوسطة هذه الثورة قائلا « انها عاصفة فوق مصر من أقصاها الى أقصاها ، تجتث بذور الظلام وتقلع أصول الفساد »(٢) ٠

وفى نفس العام ١٩٣٩ تصدر مجموعة قصصية بعنوان « الناس والدنيا » تهاجم الأغنياء هجوما شديدا ويتساءل الكاتب : « كيف يمكن أن يجوع كل هؤلاء ، وأن يطول جوعهم لقرون طوال وهم ينتجون هذا الخير العميم ؟ » ٠

ثم يجيب « انهم السادة الأغنياء »(٣) ٠

ثم يمضي الكاتب قائلا « لست أعرف أى الفريقين أدين : أغنياء جزيرة الجياع أم جياعها ، الظالم لانه لا يكف عن الظلم أم المظلوم لانه لا يدفع عن نفسه » ٠

٠٠ « وأنا أستطيع أن أفهم أن يكون هناك فرق بين انسان وانسان على أن لا يتعدى الفرق بينهما الفرق بين انسان وانسان ، لكل منهما عقل وقلب وعينان وأذنان ، ولكننى لا أستطيع أن أفهم أن يكون الفرق بينهما هو الفرق بين الملائكة والصراصير »(٤) ٠

---

(١) مريت غالى ـ الاصلاح الزراعى ـ الملكية ـ الايجار ـ العمل ، القاهرة ـ ( ١٩٤٥ ) ـ ص ٩٠ ٠

(٢) عصام الدين حفنى ناصف ـ عاصفة فوق مصر ـ (١٩٣٩) مطبعة فتى النيل ٠ ص ١٣ ٠

(٣) حكمت كامل آدم ـ الناس والدنيا ـ مطبعة دمنهور (١٣٩) ص٨

(٤) المرجع السابق ـ ص ١٦ ٠

وحتى فى مجالات متخصصة مثل الدراسات الصحية تبرز أيضا سمات تقدمية ، لعلها تعبر بذاتها عن مدى عمق التحول نحو اليسار فى الوجدان المصرى ككل ٠٠ الدكتور محمود على السيد يصدر عام ١٩٤٣ كتابا علميا بعنوان « النهضة الصحية الروسية » يقدم فيه دراسة جادة عن أساليب ومناهج العلاج والصحة العامة فى الاتحاد السوفيتى ٠٠ وفى مقدمته لهذا الكتاب يتحدث عن الحرب والهجوم النازى الغادر على الاتحاد السوفييتى والصمود الرائع الذى جابه به السوفييت هذا الهجوم ثم يقول « وأخذت روسيا تقاوم وتجالد ٠٠ لم يتطرق اليها اليأس ، ولم يسلك بابها الضعف والوهن ، ولم تترك شبرا من أرضها الا بعد أن جعلت منه مقبرة لالاف الجنود من الالمان ٠٠ فما سر ذلك الصمود ؟ ٠٠ فعن لى وأنا الطبيب الذى تعلم منذ نعومة أظفاره أن الصحة أساس تقدم الامم ، أن هؤلاء القوم لا بد قد شادوا لانفسهم نظاما صحية سمت بهم الى ما وصلوا اليه »(١) ٠

وثمة كتاب آخر مثير للاهتمام ٠٠ عنوانه « حركة التحرير فى العالم » يهديه مؤلفه حسين فهمى مصطفى « الى الجماهير الكادحة التى عانت الأمرين فى ظل الاقطاع المظلم ، ثم فى ظل الفردية بمظهريها الفاشية والاحتكارية مبشرين ببزوغ فجر الاشتراكية الحرة وانتشار شمسها فى أرجاء العالم من أقصاه الى أقصاه » ٠

أما مقدمة الكتاب فتبدأ بعبارتين الاولى لكارل ماركس « ليس حرا شعب يريد أن يستعبد غيره » والاخرى لفلاديمير لينين « حرية العالم أجمع هى الضمان الوحيد لحرية الاتحاد السوفيتى » ٠

وتقول مقدمة الكتاب الذى صدر فى أعقاب الحرب الثانية « ومما يسترعى الانتباه أن الكتلة التقدمية العالمية التى يتزعمها الاتحاد السوفيتى قد اتخذت مكانها فى مواجهة عصابة الاستعماريين ، وان كانت القوتان قد تحالفتا على استئصال شأفة النازية والفاشية الا أن الكتلة التقدمية تشعر بأن عليها أن تقضى أيضا على الخطر الاستعمارى المنبعث ممن يسمون أنفسهم ديمقراطيين »(٢) ٠

---

(١) دكتور محمود على السيد ــ النهضة الصحية الروسية ــ ( ١٩٤٣ ) ص ٥ ٠

(٢) حسين فهمى مصطفى ــ حركة التحرير فى العالم ــ الناشر لم يذكر ( د٠ ت ) ٠ ص٤

وبعد أن يفند الكاتب مزاعم « حكومة العمال البريطانية » ، يقدم الفارق بين « اشتراكيي الدولية الثانية » وبين الشيوعيين فيقول « وقد كان أول تأليف للاحزاب الشيوعية فى العالم عقب الحرب العالمية الاولى التى خانت فيها الدولية الثانية قضية العمال وساقتهم الى هاوية تلك الحرب يتقاتلون لقضاء مآرب الحفنة الاستعمارية »(١) ٠

ثم يقول « اننا نلوذ بالاتحاد السوفيتى ونستشهد بما يجرى فيه أو نفسر سياسته لان الاتحاد السوفييتى هو أول وأكبر دولة تحررية تقدمية فى العالم ولان الاتحاد السوفييتى قد آل على نفسه أن يضع شعوبه الواعية ، وقواه الزاخرة فى خدمة الحركة التحررية وها هو الثائر لينين يبين بأفصح لسان بأنه « لا يتصور بقاء الجمهورية السوفيتية طويلا والدول الاستعمارية جنبا الى جنب فلا بد من غلبة أحدهما على الآخر » ٠

أما الحزب الشيوعى السوفييتى فهو « المدرسة الشعبية الكبرى التى تعلم الشعب حقوقه وواجباته وتبصره بحقائق السياسة الدولية المحلية . وتربى الشباب تربية يصلح بعدها لما يوكل اليه من مهام ٠٠ والحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى هو خلاصة المتقدمين ويسعى كل مواطن لنيل شرف الانتماء اليه »(٢) ٠

ولم يكن كل ما سبق سوى مجرد نماذج لارهاصات أولية ــ للموجة العالمية التى كانت تقبل على الفكر المصرى لتحقق فيه تحولا جذريا وحقيقيا رافعة وفى اعتزاز وثقة راية الفكر الماركسى ٠

❋ ❋ ❋

٠٠ وباختصار أيضا سنقدم مجرد لمحات عن مجالين هامين ٠٠ الصحافة والنشر ٠٠

والصحيفة لم تكن بالنسبة لليسار المصرى مجرد منبر اعلامى ، كانت أكثر من ذلك بكثير ، ففى بعض الاحيان كانت وجها علنيا لتنظيم سرى ، وربما كانت ــ فى نظر البعض ــ بديلا مؤقتا عنه ، أو تمهيدا ضروريا له ٠ وهكذا لعبت الصحافة اليسارية دورا بارزا وفعالا ليس فقط فى مجال نشر الوعى الماركسى وترسيخ الفكر التقدمى ، وانما أيضا كأداة نضال وصراع طبقى وكمحور للعمل التنظيمى ومساعد له ٠٠

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٧
(٢) المرجع السابق ــ ص ١٧

وفى دراستنا هذه سوف نكتفى بلمحات سريعة عن صحافة الشيوعيين فى الأربعينات مراعين أن كل ما سنقدمه لم يكن سوى جزء من موجة عارمة تمثلت ليس فقط فى قيام الشيوعيين بأصدار صحف مستقلة تنطق بأسمهم وتدعو لفكرهم وانما أيضا فى علاقات واسعة مكنت كتابهم ومثقفيهم من أن يلعبوا دورا أساسيا وهاما فى العديد من الصحف بحيث نجحوا فى أن يتركوا عليها بصمات يسارية وتقدمية واضحة مثل رابطة الشباب والبعث ( من صحف حزب الوفد ) والطليعة ( اتحاد خريجى الجامعة ) والمجلة الجديدة ( سلامة موسى ) وقد اسهمت جماعة تحرير الشعب ، فى أصدار المجلة الجديدة لفترة من الوقت بمساعدة مالية من ريمون أجيون(١) و « الأسبوع » وكانت أسبوعية متخصصة فى نشر الاعلانات الاجتماعية لاعيان الريف فاتفقت جماعة نشر الثقافة الحديثة مع صاحبها على أن تتولى اصدارها ، فكانت تصدر فى أسبوع كمجلة يسارية وفى الاسبوع التالى حافلة بأخبار أعيان الريف واعلاناتهم ..

لكننا وعلى أية حال سوف نكتفى هنا بلمحات عن المجلات التى تصدر عن تجمعات أو منظمات يسارية . مكتفين بالايجاز الشديد ، ذلك أنه لدى أية رغبة فى التعرف على التفاصيل يمكن الرجوع لمؤلفنا « الصحافة اليسارية فى مصر » ( ١٩٢٥ - ١٩٤٨ )* والذى يعتبر استكمالا أكاديميا لهذه الدراسة وجزءا لا يتجزأ منها .

**❋ التطور :**

« نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغيير المستمر » .

« نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح القيم المتوارثة »(٢) .

« نحن لا نريد منك أن تتبعنا ، وانما نريد أن تشق معنا الطريق »(٣) .

« الدولة التى لا عدالة فيها خير لها ألا تكون » .

« لكل فرد فى الدولة الحق فى أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم »(٤) .

« الفن معمل بارود » .

---

(١) مارسيل تشيريزى - رسالة الى المؤلف - المرجع السابق .

* د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الثانى - الصحافة العلنية - دار الامل - القاهرة - ١٩٨٧ .

(٢) التطور - يناير ١٩٤٠

(٣) التطور - فبراير ١٩٤٠

(٤) التطور - أبريل ١٩٤٠ .

« على الدولة أن تكفل للمواطن حقه فى الشعر والجنس والخبز » ٠

حاملة هذه الشعارات صدرت التطور فى يناير ١٩٤٠ ، لتمثل تيارا جديدا فى الحياة الفكرية والادبية والفنية ٠ وليس من شك من أن التطور كانت مجلة يتمتع فيها التروتسكيون بنفوذ كبير ( مولها جورج حنين ورأس تحريرها أنور كامل وأسهم فى تحريرها رمسيس يونان ، كامل التلمساني ، ألبير قصيرى الخ ) لكنه ليس من شك أيضا أن قوى أخرى كانت متواجدة ومؤثرة فى تحرير المجلة ، وخاصة بعض ممثلى منظمة ( تحرير الشعب ) الذين تواجدوا فى المجلة كامتداد لتواجدهم فى جماعتى « الفن والحرية » و « الخبز والحرية »

ويمكن القول أن « التطور » نتيجة لذلك قد وقفت على ذلك الهامش الدقيق ، الشديد الدقة الذى يمكن أن يقف عليه كل من الوطنى الرافض للاحتلال ، والشيوعى الراغب فى الدعاية لنظريته ، والتروتسكى المعادى للنموذج السوفييتى ، والليبرالى الرافض لقيود التقاليد القديمة سواء فيما يتعلق منها بالدين أو الجنس أو أية قيود أخرى ٠

وحول هذا الهامش الدقيق تجمع العديد من مثقفى مصر فى ذلك الحين فبالاضافة الى التروتسكيين وجد عصام الدين حفنى ناصف ، وعبد الحميد الحديدى ، وتوفيق حنا ونظمى لوقا ، وزكى سلامة ، أنور شنتا ، عبد المغنى سعيد ٠٠ الخ وتراوحت مواقف المجلة من صفحة لاخرى فالفكر التروتسكى قد يبرز فى مقال وفى مقال آخر فكر موضوعى صرف ، ثم مقالات ودراسات جيدة وجادة ومعبرة عن التيار الماركسى الحقيقى ٠ لكننا مثلا نلاحظ أن اسم الاتحاد السوفييتى لم يرد فى المجلة على الاطلاق لا بالسلب ولا بالايجاب مما يوحى بأن الامر كان محل خلاف وأن مصدرى المجلة تجنبوا الخوض فى هذا الموضوع ٠

ولكن كم من الوقت يمكن لمجلة كهذه أن تستمر فى الوقوف على ذلك الهامش الدقيق ؟ ٠

ثلاثة أعداد فقط احتملها الممول « جورج حنين » ثم أحس أن الامر يخرج من يده ومن يد التروتسكيين ، وكعادته لجأ الى أسلوب الضغط المالى فكف عن التمويل ، فصدر العدد الرابع وعلى غلافه الداخلى العبارة التالية «لظروف فوق ارادتنا تأخر صدور هذا العدد كما ظهر فى نصف حجمه المعتاد »(١) ٠

---

(١) التطور ــ ابريل ١٩٤٠

ويبدو أن الجماعة قد حاولت المضى بدون تمويل جورج حنين فأصدرت العدد الخامس فى نصف حجمه المعتاد أيضا ، لكن جورج حنين يوجه ضربته القاتلة « فيسحب الضمان المالى »(١) ، فتسحب الحكومة الترخيص وتتوقف المجلة عن الصدور فى مايو ١٩٤٠ .

وعلى وجه الاجمال يمكن القول بأن « التطور » كانت نقطة تجمع يسارية للمثقفين التقدميين المقبلين - عبر رحلة مضنية - من مصر الثلاثينات نحو مصر الأربعينات .

.. ومع الأربعينات كان التمايز والوضوح الفكرى .. ، الفهم النظرى يحل محل السخط ، والتطلع للمستقبل يحل محل مجرد الرفض .. ويتمزق الهامش الدقيق وينطلق كل فى طريق .

*** الفجر الجديد :**

تابعنا فى صفحات سابقة مسار « اتحاد أنصار السلام » **وكيف تمايز** الثلاثى صادق سعد - ريمون دويك - يوسف درويش بعيدا عن المجموعة الأجنبية التى بقيت فى « جماعة البحوث » واتفق الثلاثة على أن يعملوا فى شعبتين ريمون دويك وصادق سعد وسط المثقفين ويوسف درويش - باعتباره محاميا عماليا - وسط العمال .

وفى « جماعة نشر الثقافة الجديدة » استطاع ريمون وصادق التعرف على عدد من المثقفين المصريين ، عبد الرحمن الشرقاوى ، نعمان عاشور ، أحمد رشدى صالح ، سعد مكاوى ، محمد اسماعيل محمد ، .. وبهؤلاء عملوا على اصدار الفجر الجديد وشاركهم فى اصدار المجلة أحمد رشدى صالح .. وحصلوا الترخيص باسمه ، يقول صادق سعد « **كان أحمد رشدى صالح** أكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة بوزارة الداخلية ، وسهل له الحصول على الترخيص»(١) .

وفى ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول ، وكانت فى البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثانى عشر الصادر فى ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما أعلنت « الفجر الجديد » فى رسالة حماسية الى قرائها أنها سوف تصدر أسبوعية ، والغريب فى الامر أن العدد التالى وهو العدد ١٣ قد صدر بدون تاريخ . أما العدد ١٤ فقد صدر فى ٦ ديسمبر ١٩٤٥ ثم يصدر العدد ١٥

---

(١) محضر نقاش مع أنور كامل - المرجع السابق .

(٢) أحمد صادق سعد . محضر نقاش - أجرى النقاش فى القاهرة فى ٥ مارس ١٩٧٥ .

بعد عشرة أيام أى فى ١٦ ديسمبر ولا ينتظم صدور المجلة أسبوعية الا بعد العدد السادس عشر الذى صدر فى ١١ يناير سنة ١٩٤٦ ثم تستمر المجلة فى الصدور كل أربعاء ٠

وقد كان الشعار الذى اتخذته « الفجر الجديد » لنفسها منذ عددها الاول « الفجر الجديد ـ مجلة الثقافة الحرة » وابتداء من العدد السابع تضيف شعاراً جديداً « نحن نجاهد لكى لا يندم أحد على الحياة »(١) ، وابتداء من العدد ١٣ ( بدون تاريخ ) تعلن الفجر الجديد كشعار لها أنها « مجلة التحرر القومى والفكرى » ٠ وبعد ذلك تطور الشعار الى « الفجر الجديد مجلة التحرر الوطنى والنضال الديمقراطى مع العاملين من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية »(٢) ٠

وقد حرصت « الفجر الجديد » على أن تتحول من أداة توعية الى أداة تنظيم ، فحاولت أن تنظم لجان « أصدقاء الفجر الجديد فى بعض المدن والأحياء » وأن ـ تدعو أصدقاءها الى التبرع لها والى القيام بتوزيع الأعداد بأنفسهم(٣) ٠

ولأسباب فنية ترجع الى نقص عدد المحررين واضطرار كل محرر الى أن يكتب أكثر من مقال فى العدد الواحد استخدمت الفجر الجديد أسماء مستعارة لكتابها ٠

وقد أمكن بعد سلسلة من الاستفسارات أن نعرف أصحاب بعض هذه الأسماء ـ المستعارة نوردها هنا حتى يسهل على الدارسين متابعة أية دراسة مستقبلة لاعداد « الفجر الجديد » ٠

جهاد : أحمد رشدى صالح ٠
أحمد سعيد ، نهاد : صادق سعد
حسن زاهر ، على الكاتب : على الراعى
رأفت ، رأفت يوسف ، أ٠ يوسف : أبو سيف يوسف*

---

(١) الفجر الجديد ١٩٤٥/٨/١١
(٢) الفجر الجديد ١٩٤٦/٣/٢٧
(٣) الفجر الجديد ١٩٤٦/٣/٢٧

* أصبح أبو سيف يوسف بعد فترة مديرا لتحرير المجلة لكن صادق سعد يؤكد أنه حتى بعد تفرغه للعمل بالمجلة لم يكن عضوا بالتنظيم ٠ راجع صادق سعد ـ صفحات من اليسار المصرى ـ ص ٥٠

ابراهيم الكاشف ، محمد أمين : ريمون دويك
حسن زكى : يوسف درويش
اسماعيل يحيى : محمد اسماعيل محمد

ومن الاسكندرية كان يشترك فى التحرير لطفى عزوز ومحمد صبحى وكانا يوقعان باسم « أسكندرانى » .

وقد كانت الفجر الجديد مجلة مقاتلة بحق ، رفعت راية الفكر التقدمى بشجاعة ودافعت عن مصالح الجماهير الكادحة وقدمت دراسات جادة فى الفكر الماركسى ودافعت عن الوحدة العربية وقضية فلسطين دفاعا حارا وشجاعا . كذلك أسهمت فى ارساء دعائم مدرسة جديدة فى الفن والشعر .

وعلى صفحاتها ومنذ العدد الاول يلمع عبد الرحمن الشرقاوى بقصيدة عنوانها « الفجر الجديد » مطلعها :

**يا رفاق المجد قد عشنا الى الآن حيارى**

**فهلموا .. وضح النهج ، الى المجد البدارا**

وعلى صفحاتها أيضا يلمع أكثر من شاعر تقدمى كمال عبد الحليم ، محمد خليل قاسم ، .. الخ .

وعلى صفحاتها أيضا قدم نعمان عاشور دراسات ممتعة وجادة عن « القوى المنهارة والقوى النامية فى الأدب المصرى »(١) وعن « معالم القصة فى الادب العربى »(٢) .

ولأن الفجر الجديد « مجلة مقاتلة ، فقد كان طبيعيا أن يتعرض أصحابها للسجن والمطاردة أكثر من مرة وانتهى الامر باغلاقها بقرار من مجلس الوزراء فى ١١ يوليو ١٩٤٦ ضمن المذبحة التى نظمها الطاغية اسماعيل صدقى ضد كل الصحف الوطنية والتقدمية .

**الضمير :**

**.. وفى نفس الوقت كان يوسف درويش يعمل فى صفوف العمال ،** « والتقى بمحمود العسكرى من خلال فصول محو الامية التى أنشأتها جماعة

---

(١) الفجر الجديد ١٩٤٥/٨/١٦
(٢) الفجر الجديد ٢/٦ ، ١٩٤٦/٢/١٣

الشباب للثقافة الشعبية ويوسف المدرك الذى كان يعمل عند بعض أقارب ريمون دويك وتعرف به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش»(١) ٠

ويبدو ان يوسف درويش ـ وكان محاميا فى المحاكم المختلطة ثم وابتداء من عام ١٩٤٣ ، تخصص فى القضايا العمالية ٠٠ يبدو أنه قد نجح كمحام عمالى وكسب ثقة دوائر مهمة منهم ٠٠(٢)

ويشير الى ذلك تقرير للبوليس السياسى يقول « ان الاستاذ يوسف درويش صار محاميا للعمال وللنقابات ابتداء من سنة ١٩٤٣ وقدم لهم خدمات جليلة فحاز ثقتهم فصار يروج للشيوعية »(٣) ٠

وعلى الارجح فان محمود العسكرى هو الذى نجح فى أن يضم طه سعد عثمان وكان شخصية نقابية هامة ( رئيس النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٣ )(٤) ٠

وبهذا الثالوث النقابى البارز ( محمود العسكرى ـ يوسف المدرك ـ طه عثمان ـ استطاع يوسف درويش أن يضع قدما ثابتة فى الحركة النقابية المصرية وعن طريقهم أصدر مجلة الضمير ٠

ولما كان من الصعب الحصول على ترخيص لمجلة فقد لجأت الجماعة الى شخصية تقدمية هى الدكتور عبد الكريم أحمد السكرى لتستأجر منه مجلة كان يصدرها باسم « الضمير » لتصدرها كلسان حال « للجنة العمال للتحرير القومى » ٠ فى ٢٦ سبتمبر ١٩٤٥(٢) وكان رئيس التحرير هو محمود العسكرى وسكرتير التحرير طه سعد عثمان أما يوسف درويش فقد كان يكتب المقالات الافتتاحية باسم مستعار هو خيرى محمود(٥) ٠

---

(١) صادق سعد ـ محضر نقاش ـ المرجع السابق ٠

(٢) يوسف درويش المحامى ـ عريضة الى دولة الحاكم العسكرى العام موضحا بها الظروف التى أحاطت باعتقالى والاسباب التى تؤدى الى الافراج عنى ـ مؤرخة ٢ فبراير ١٩٤٩ ـ مثبتة بخط اليد فى كراس مكتوب على غلافه : يوسف موسى درويش اعتقال ١٩٤٨ ـ ويتضمن نصوص للعرائض والشكاوى التى تقدم بها طوال فترة الاعتقال الى ادارة معتقل هاكيستب ٠

(٣) الكاتب ـ يوليو ١٩٧١ ـ مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة ٠

(٤) راجع محاولة التدقيق فى تاريخ صدور الضمير كمجلة عمالية ـ تقدمية فى : د٠ رفعت السعيد ـ الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨ ـ دار الطليعة بيروت ـ (١٩٧٤) ص ١٥٩ ٠

(٥) محضر نقاش مع يوسف درويش ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٣/١١/١ ٠

ويمكن القول بأن « الضمير » تحت قيادتها اليسارية الجديدة قد ركزت جهودها حول اتجاهات أربع أساسية :

- نشر الوعى السياسى بين العمال وحثهم على تكوين منبر سياسى عمالى مستقل وعلنى ·
- الدفاع عن الحريات النقابية والحريات عامة ·
- التوعية بضرورة التضامن العمالى العالمى ·
- التوعية بضرورة التضامن بين العمال العرب ·

وكالعادة تعرض محررو الضمير لحملات الارهاب التى انتهت بالقاء القبض عليهم فى ٢ يناير ١٩٤٦ وظلوا بالسجن حتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ ، ومنذ ٢٠ يناير وحتى ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٦ ظلت « الضمير » متوقفة عن الصدور ثم صدرت من جديد كل اثنين بعد أن كانت تصدر كل أربعاء وصدر منها بعد ذلك ثلاثة أعداد كان آخرها بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ ·

ويأتى بعد ذلك ١١ يوليو ١٩٤٦ تاريخ المذبحة الشهيرة التى نظمها اسماعيل صدقى ضد الصحافة التقدمية ، وتوقف الضمير عن الصدور ·

## * حرية الشعوب :

يقول عبده دهب « عندما قابلت هنرى كورييل حدثنى طويلا عن رغبته فى تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعى فى مصر ، وكلفنى بأن أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص مثلنا الحصول على رخصة مجلة · وفعلا استأجرت مجلة « حرية الشعوب » وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص عادى جدا لم تكن لديه أية ميول سياسية رغم هذا الاسم الذى أطلقه على مجلته وكان الايجار المتفق عليه ١٥٠ قرشا شهريا ارتفعت الى ٢٥٠ قرش بعد أن بدأت مضايقات البوليس · واحتفظنا باسم المجلة وأضفنا اليه شعارا يقول أنها « مجلة مصرية سودانية عمالية ثقافية »(١) ·

---

(١) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين ــ أجرى النقاش بالخرطوم فى ١٨/١٠/١٩٦٩ ·

وهكذا صدرت « حرية الشعوب » كلسان حال لمنظمة « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » . بعد أن تقلب بها صاحبها ( وهو مجرد صحفى محترف ) بين مختلف الاتجاهات .. فالعدد ١٢ من السنة التاسعة ( ١١ ديسمبر ١٩٣٨ ) يعلن أن « حرية الشعوب » تصدر على مبادىء الحزب الوطنى (١) .

والعدد ٢٦ من السنة التاسعة أيضا يعلن أنها لسان حال عمال فن الطباعة(٢) أما العدد ٣٤ من السنة التاسعة فيصدر كلسان حال لعمال القطر المصرى(٣) ، ثم هى لا تلبث أن تصدر كمجلة مخصصة للاعلانات القضائية فى عام ١٩٤٠ وان كنا نلاحظ أن ثمة اتجاهات جديدة ، قد بدأت فى التواجد على صفحاتها ، ففى العدد الخامس من السنة الحادية عشرة نجد مقالا بعنوان « أغيثوا العمال . أدركوهم لقد أشرفوا على الموت »(٤) وابتداء من العدد ٤٣ من السنة الحادية عشرة ( ٨ سبتمبر سنة ١٩٤١ ) بدأ اسمى محيى الدين صابر وعبده دهب فى الظهور على صفحات المجلة وبظهورهما بدأت المجلة تتحول لتوشك أن تصبح مجلة سودانية صرفة . فقد بدأت مقالات محيى الدين صابر وعبده دهب عن السودان ومشكلاته والعمال » يطالب « بوضع حد ثابت لأقصى مرتب فى الدولة وأدناه فيه » والنوبيين ومطالبهم تزحف على معظم صفحات المجلة .. وان كنا نجد بعض المقالات الاخرى ، لكنها قليلة جدا مثل مقال بعنوان « الحكومة ومقال آخر يهاجم زكى مبارك بعنوان « جناية زكى مبارك على النقد الادبى »(٥) .

ثم تتوقف المجلة أسبوعين .. تصدر بعدها فى ثوب جديد تماما سواء من حيث الطباعة أو الاخراج أو التحرير ، معلنة بذلك تمام تحولها الى مجلة رأى .

لكن نظرة سريعة على العدد الأول الذى صدر بعد هذا التحول التام فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤١ ( العدد ٤٦ من السنة الحادية عشرة ) تكفى للتأكيد بأن منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد خصصت هذه المجلة وبشكل يكاد يكون تاما لمناقشة القضايا السودانية والنوبية ولترسيخ وجودها فى

---

(١) حرية الشعوب ١٩٤١/١٠/٦
(٢) حرية الشعوب ١٩٣٨/١٢/١١
(٣) حرية الشعوب ١٩٣٩/٤/٢٤
(٤) حرية الشعوب ١٩٣٩/٨/٢١
(٥) حرية الشعوب ١٩٤٠/٨/١٢

هذا المجال ·· ففى هذا العدد وهو من ثمانى صفحات فقط نجد المقالات التالية « من القاهرة الى الخرطوم » « المهرجان الأدبى فى السودان » ـ « السودانيون المتعلمون أيضا » ـ « حول مقال الأدب النوبى » ـ « نشاط الهيئات السودانية فى القاهرة »(١) الخ ·

ولكن عبده دهب يكلف من قبل المنظمة بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعوا بوجودها هناك ·· وتولت الاشراف على المجلة احدى عضوات الحركة المصرية للتحرر الوطنى وهى أسماء البقلى ، وكان طبيعيا ان تتجه المجلة اتجاها مختلفا تماما فقد تحولت الى مجلة نسائية صرفة ·

ثم بدأت الحركة المصرية للتحرر الوطنى تتعرض للاشكال الاولى من الملاحقات البوليسية ·· وبعد حملة اعتقالات محدودة توقفت « حرية الشعوب » عن الصدور كمجلة خاضعة لاشراف « المنظمة » ·

**✻ أم درمان :**

كان هناك صراع بين شعارين تجاه قضية السودان ، شعار يرفعه الشيوعيون ( الكفاح المشترك مع حق تقرير المصير ) وشعار الاحزاب البرجوازية ( وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى ) وكان يؤيده من السودانيين فى القاهرة على البرير · ويمضى عبده دهب فى روايته « وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة شهرية اسمها السودان وسيرأس تحريرها على البرير للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى فأسرعنا باصدار مجلة لنا وفى البداية طلبنا ترخيصا لمجلة باسم « مجلة الكفاح المشترك » ورفضت وزارة الداخلية ، فقدمنا طلبا آخر باسم « أم درمان » ورفض طلبنا أيضا · لكن أحمد الدمرداش تونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع أن يقنع صهره الذى كان نائبا فى البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة لمبادىء الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمان المجلة لدى السلطات ·· وبناء على وساطته استقبلنى رئيس الوزراء حسن باشا صبرى فى كلوب محمد على ، وأبلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك قائلا « وان كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون « موسكو » وليس « أم درمان » ، وصدر الامتياز باسم محمد أمين حسين لانه كان أكبرنا سنا وكنت أنا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا ضايق السراى ، الى درجة أن أحد سكرتيرى الملك وهو حسن بك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٥٠٠ جنيه مقابل أن أغلق المجلة وأن أسافر الى السودان ، فلما رفضت

---

(١) حرية الشعوب ٢٠/١٠/١٩٤١

هددنى بالقتل وطلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الأمر ، وقررنا أن نتحدى هذا التهديد »(١) .

وهكذا صدرت « أم درمان » ـ مجلة الكفاح المشترك « كأول مجلة تصدرها وتسيطر عليها ح.م سيطرة كاملة .

ولسنا بحاجة الى القول بأن « أم درمان » كانت تهتم فى الاساس بقضايا السودان والنوبة الى درجة أنه يمكن القول بأنها كانت مجلة سودانية يصدرها الشيوعيون المصريون والسودانيون الاعضاء فى منظمة ح.م بل أن المجلة لم تكن تخفى هويتها السودانية فعندما حرمت الادارة الاستعمارية دخول المجلة الى السودان نشرت أم درمان فى صدر أحد أعدادها العبارة التالية « منعت حكومة السودان الاستعمارية هذه المجلة من الدخول فى وطنها الأول السودان »(٢) .

وقد صدر العدد الأول من أم درمان فى ١٥ مارس ١٩٤٥ . وهى تعتذر لقرائها لانها « سوف تصدر نصف شهرية بعد أن كانت النية متجهة لان تصدر أسبوعية بسبب أزمة الورق « كذلك حرصت المجلة على أن توجه الشكر الى محمد محمود جلال ( الأمر الذى يعزز رواية عبده دهب بشأن تدخله للحصول على ترخيص المجلة ) « أما الأستاذ محمد بك محمود جلال فاننا نعده من أسرة تحرير المجلة ، ولا نخالنا فى حاجة الى توجيه الشكر اليه فهو منا والينا ونحن مهما شكرناه فلن نوفيه حقه واللسان ازاءه عاجز ومقصر »(٣) .

وقد احتشد فى تحرير « أم درمان » معظم كوادر قسم السودان وقسم النوبيين فى منظمة ح.م وهكذا برزت على صفحاتها أسماء محمد أمين حسين ـ عبده دهب ـ عبد الماجد أبو حسبو ـ عز الدين على عامر ـ حامد حمداى ـ صالح عرابى ـ محمد خليل قاسم ـ زكى مراد .

وقد حاولت « أم درمان » أن تبلور أهدافها وبرنامجها فى اجابة على سؤال « من نحن ؟ » .. فقالت :

* نحن جماعة غنية ولكن بوطنيتها وايمانها .

---

(١) محضر نقاش مع عبده دهب ـ المرجع السابق .
(٢) أم درمان ١٩٤٥/١١/١ .
(٣) أم درمان ١٩٤٥/٣/١٥ .

* نحن نحارب الاستعمار حربا لا هوادة فيهـا ولا نداری فی الحق ·
* نحن ندعو للتكتـل أولا لمواجهـة عدونا الاكبر الاستعمار ·
* نحن نكره الحرب لانهـا دمار ، ولكننا نحبها ضـد الظلم والظالمين
* نحن نعلم أن نضالنا سيكون مرا ، ولكننـا نعلم أنه الطريق الوحيد لاسعاد شعبنا ·
* نحن أقوياء ، يزيـدنا قوة نضال الاحرار معنـا فى كل بقاع العالم ·
* هؤلاء نحن « فهل أعجبك أسلوبنا فى الكفـاح ؟ »(١) ·

وقـد كان طبيعيا أن تتعرض « أم درمان » لاضطهاد السلطات ·· فى السودان منعوها من الدخول « لكنهـا كانت تهرب ليباع العـدد الواحـد منها بخمسـة وعشرين قرشـا » (٢) ، وفى مصـر كـان البوليس يترصـد دارها ليمنع الزائرين ويرهبهم ويقبض عليهم ، وقـد داهم البوليس أكثر من مرة دار المجلة « وقبض على مدير الادارة عبده دهب ونبهوا عليه فى قسم الأزبكية أنه ممنوع منعا باتا اجتماع أكثر من خمسـة أشـخاص فى دار المجلة »(٣) ·

وتستمر المطـاردة ، وتنشر ( أم درمان ) ( نعتذر الى قرائنا الكرام عن تأخر ميعاد صدورنا لأسباب منهـا عدم صرف الورق لنـا فى الميعاد المحدد ، وتفتيش المجلة وبيوت المحررين ومصادرة أصول المقالات )(٤) ·

وبرغم أن « أم درمان » كانت تهتم فى الاساس بمشاكل السـودان والنوبة والكفـاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى ، الا أنهـا أفسحت صدر بعض أعدادها لموضوعات أكثر عمومية مثل ( مسألة الوحدة العربيـة ـ بقلم نقـولا شاوى )(٥) و ( مشكلة الازهر ) · و ( فلسطين الشـقيقة والاستعمار ) (٦) و ( هذه هى الأمبريالية ) (٧) ·

---

(١) أم درمان ـ ١٩٤٦/٢/١ ·
(٢) محضر نقـاش مع عبده دهب ـ المرجع السابق ·
(٣) أم درمان ـ ١٩٤٦/٢/١٦ ·
(٤) أم درمان ١٩٤٦/٣/٨ ·
(٥) أم درمان ١٩٤٦/٣/١٥ ·
(٦) أم درمان ١٩٤٦/٥/٥ ·
(٧) أم درمان ١٩٤٦/٥/١٨

ولفترة طويلة من الوقت كانت « أم درمان » برغم سودانيتها هى المنبر العلنى للوحيد لمنظمة ح٠م ومن ثم فلم يكن هنـاك مفر من أن تمثل « أم درمان » بوجهها السودانى منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى مختلف الأنشطة والتجمعات والندوات العلنية مثل ندوة دار الابحاث ٠٠ وجبهة الهيئات العامة ٠٠ الخ ٠

وكغيرها من الصحف التقدمية ، جرى اغتيالها - أيضاً - فى ١١ يوليو ١٩٤٦ ٠

*** الجماهير :**

كانت جملة ١١ يوليو ١٩٤٦ محاولة من الطاغية صدقى لكبت أنفاس اليسار - لكن اليسار استعاد أنفاسه سريعا وواصل التقدم - وكانت الجماهير أحد الرموز التى عبر بها اليسار على أصراره على مواصلة المسيرة ٠

وفى ابريل ١٩٤٧ صدرت الجماهير كلسان حال لمنظمة شرارة (أيسكرا) وكان مسئولها السياسى شهدى عطية الشافعى وان كان رئيس تحريرها المعلن وصاحب الامتياز هو محمود النبوى ( وهو أيضا أحد كوادر ايسكرا لكنه استطاع الحصول على الترخيص لانه كان ابن واحد من كبار الاقطاعيين هو محمود عبد اللطيف باشا ) ، وقد تكونت قيادة سياسية للاشراف على المجلة من خمسة من الكوادر الاساسية شهدى عطية - عبد المعبود الجبيلى - سيدنى سلاموز - محمد سيد أحمد - أيلى ميزان(١) ٠ كذلك أسهم الكثير من كوادر أيسكرا فى أعمال التوزيع والادارة والتحرير فكان يشرف على التوزيع فى القاهرة ابراهيم المانسترلى وفى الوجه البحرى عبد المنعم الغزالى ٠ كذلك كانت المكاتب النوعية للتنظيم تشرف على تحرير الابواب الخاصة بها فصفحة الطلبة والموضوعات الطلابية يحررها ثلاثة من دائرة الطلاب هم عبد المنعم الغزالى - جمال شلبى - سعد زهران وكذلك صفحة العمال والنساء (٢) ٠

---

(١) محضر نقاش مع ابراهيم المانسترلى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٧٣

(٢) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٧٣ ٠

أما قسم التحقيقــات الصحفية فقــد أشرف عليه نقولا ورد وقــد نجح فى أن يقــدم تحقيقــات ممتازة تعتبر اسهاما فى تطوير صحافة الرأى فى مصر ٠

وهكذا تكونت داخل الجماهير كمنبر علنى شبكة من الاجهزة التنظيمية ذات الاختصاصات المختلفــة وللربط فيما بينهــا شكلت لجنة قيادية أسميت « لجنة تنظيم اللجــان » وقــد أشرف على اعداد هذا البناء التنظيمى المعقــد خبير التنظيم فى أيسكرا سيدنى سلامون ٠

ومن ابريل حتى مايــو ظلت الجمــاهير منبرا لايســكرا ، وفى يونيو - يوليو ١٩٤٧ - تمت الوحــدة بين ايسكرا و ح٠م وتأسست منظمة حدتو ، وأصبحت الجماهير منبرا سياسيا لهذا التنظيم الجديد ٠ وجرت التعــديلات الضرورية فى قيــادة الجريدة ٠٠ ويقــول عبده دهب « عندما اتحــدنا كان الاتفــاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من ح٠م ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا ٠ ونتيجة للوحــدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدى عطية لم يقبل هذا الوضع وبعــد صراع اتفق على أن تشرف ل٠م مباشرة على المجلة(١) » ٠

ويمكن القــول دون مغــالاة أن الجمــاهير كانت فتحــا جديــدا تمــاما لصحافة اليسار ، فهى من حيث مستواها السياسى والنضالى والفكرى ومستوى طباعتهــا واخراجهــا وتحريرها وتوزيعهــا كانت تمثل طفرة بالنسبه لكل صحافة الرأى ولكل الصحافة المصرية والعربية بشكل عام ٠

ومع التهــاب المعارك الطبقية ، اشتعلت صفحات الجماهير بتحقيقــات صارخة عن العمال واضراباتهم والفــلاحين ومشاكلهم ، وازدادت جرأة محرريها وتصاعدت الى حــد نشر النصوص الكــاملة للمنشورات والبيانات التى كانت تصدرها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ٠

ومنذ العدد الأول أكدت « الجماهير » أنهــا مجلة مختلفة تماما عن كــل ما سبقهــا « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة انما هى أعمق من هذا بكثير ، هى صوت الملايين من العمــال والفــلاحين والطلبــة والمثقفين الوطنيين ، الملايين التى تموج بهــا ضفاف النيل ، تناضل استعمارا بغيضا وتنشد استقلالا كريما ٠٠ والجماهير تعلنهــا حربا شعواء لا هوادة

---

(١) محضر نقــاش مع عبده دهب ٠ المرجع السابق ٠

فيهـا ضـد كل ألوان الاستعمار سياسيا كان أم اقتصاديا أم ثقافيا ..
والجماهير اذ تناضل المستعمرين لن تغفل عن الخونة والمتهاونين والمترددين
والخائفين أولئك الذين يختفون وراء مصريتهم ليكيـدوا لمصر مع الكائدين ..
والجماهير اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثا ، انما تسعى
الى ديمقراطية صحيحة فكـل انتقـاص من حرية الرأى والصحافة والانتخاب
انما هو تعضيد للمستعمرين والجماهير لا تؤمن باستقلال أجوف تظل فيه
الملايين جائعة عارية جاهلة مريضة .. »(١) .

وضـد الخطر الامريكى الزاحف وجهت الجماهير ضرباتها « أن الشعب
لا يرضى أن يستبدل استعمار باستعمار ، ولا أن يضـيف الاستعمار الى
استعمار »(٢) .

ومن أجل شرعية التنظيم الذى تمثله الجماهير يفجـر محمود حمـدى
( الاسم المستعار لشهدى عطية ) مقـالا أثار كثيرا من الجـدل والنقـاش
« يريـد الشعب حزبا .. من نوع جديد »(٣) .

وكذلك فتحت الجماهير صفحاتها أمام شعراء اليسار ليرسوا دعـائم
مدرسة جديدة فى الشعر برز فى صفوفهـا كمال عبد الحليم ــ محمد خليـل
قاسم ــ زكى مراد .

وعنـدما وقف صدقى ليحـاول أن يقنع أعضاء مجلس الشيوخ بتمرير
قانون مكافحة الشيوعية غير الدستورى وفى محـاولة لان يقنعهم أو بالدقـة
لأن يرهبهم لم يجـد الا واحـدة من القصائد التى نشرتها الجماهير ..

وعنـدما يطبق هذا القـانون الارهـابى ، منتهزا فرصة الاحكام العرفية
فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ تصادر الجماهير .. ثم يسحب ترخيصها .

***

وكانت هناك أيضا بالاضافة الى الصحف دور النشر اليسارية والتى
أسهمت فى تقـديم ثقـافة جديدة تماما للجماهير وللمثقفين الذين كانوا يتطلعون
فى شوق للتعرف على ذلك الفكر الجـديد ..

---

(١) الجماهير ١٩٤٧/٤/٧
(٢) الجماهير ١٩٤٧/٤/٢١
(٣) الجماهير ١٩٤٧/٤/٢٨

## * دار الفجر :

وكانت احدى مؤسسات منظمة « تحرير الشعب » وكانت مملوكة رسميا لاثنان من كوادر هذه المنظمة هما مصطفى كامل منيب وأسعد حليم ٠

وقد أصدرت هذه الدار عديدا من الكتب المترجمة عن الانجليزية والتى اهتمت أساسا بتقديم النموذج السوفياتى - ولأول مرة - للقارىء المصرى ٠٠

فأصدرت - وفى فترة وجيزة - كتبا منها « الرفيق ستالين » بقلم المرشال فورشيلوف ترجمة مصطفى كامل منيب و « الجيش الأحمر » بقلم ايفور مونتيجى ترجمة أسعد حليم ، و « الزواج والاسرة فى الاتحاد السوفيتى » و « الزواج والامومة والعائلة فى التشريع السوفيتى » و « الدين فى الاتحاد السوفيتى » وقد ترجمها جميعا مصطفى كامل منيب ٠ كذلك أصدرت الدار واحدا من أشهر كتب سلامة موسى وأكثرها شجاعة هو كتاب « حرية العقل فى مصر » ٠

كذلك أصدرت ديوان شعر بالعامية بعنوان « أنا العامل » لفتحى أحمد المغربى ٠٠

وقد كان هذا الفيض من الكتب التى تلبى احتياجات ماسة فى المكتبة العربية سببا فى قلق السفارة البريطانية التى أرسلت برقية سرية للغاية وعاجلة الى لندن تتضمن قائمة ببعض الكتب الصادرة عن الدار ونبذة عن كل منها(١) ٠

ولعل هذا الاهتمام من جانب السفارة البريطانية يفسر اهتماما آخر لدى السلطات المصرية التى ركزت سهامها فى حملة « ١١ يوليو » على هذه الدار ومثيلاتها وكان فتحى المغربى صاحب ديوان « أنا العامل » ومصطفى كامل منيب وأسعد حليم صاحبى دار الفجر هم المتهمون الثلاثة الاول فى قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ ٠ حيث قدموا للمحاكمة باعتبار أن دار الفجر « كانت تصدر بعض المجلات والنشرات والكتب التى تروج للمذاهب التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية »(٢) ٠

---

1) Public Record office-F.O 341-46003 TCR — NEA. No 930 (127—18: 15) Top. Secret — From Britich Embassy. CAIRO 26 th June, 1945.

(٢) حيثيات الحكم الصادر من محكمة جنايات مصر فى قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ ٠

## * دار القـرن العشرين :

وقد انبثقت هذه الدار عن مجلة « الفجر الجديد » وتميز انتاجها بمعالجته الواقع المصرى .. مثل « مأساة التموين » و « مشكلة الفلاح » ( أحمد صادق سعد ) .

وأصدرت أيضا كتاب « كرومر فى مصر – صـفحات من تاريخ مصر الحـديث » لأحمد رشدى صالح .

وقـد حرص أحمد رشدى صالح أن يؤكـد فى مقـدمة كتابه على أهمية تبلور الوعى الطبقى فقـال « يظهر مدى نضج المجتمع المصرى الان فى تزايد متناقضاته ، تبلور طبقـاته ، وفى تكيف كل طبقـة فى كيانها ووعيهـا تكيفا صاعدا ، وينعكس بالاخص فى الوعى الطبقى المطرد مع تبلور الطبقـات » .

وهو يدعو المثقفين الاحرار الى دراسة المتغيرات الجـديدة الناتجة عن « القومية الشعبية العـالمية .. وأن يتفاعلوا معهـا ، ويستوعبوا مسبباتها ، ويستوعبوا القوات المناهضة لهـا ، ويعملوا على ضوء الجدلية السليمة ، التى لا تقـوم بغير النقائض ، ولا تتحرك بغير كفـاح النقائض بعضها لبعض ، واجبهم أن يعيشوا بوجدانهم فى التحليل المـادى العلمى ، لا أن يعيشـوا بأحلامهم على هامشه ، فيكونون عالة على قومية الشعوب »(١)

والكتاب فى مجمله دراسة جيـدة لسنوات الاحتلال الانجليزى الاولى وما جرته على مصر وشعبها من كوارث ، وقـد أصدر رشدى صالح كتـابا آخر بعنوان « مسألة السودان » ونلاحظ أنه لم يثبت على غلافه اسم دار النشر وان كان المؤلف قـد طلب الى القراء مراسلته على صندوق بريد ١٩٢٤ القـاهرة ، وهو ذات صندوق البريـد الخاص بدار القرن العشرين ..

ويختتم رشدى صالح كتابه مسألة السودان ببرنامج واضح :

« فالواجب العملى الاول هو تنظيم صفوف الجماهير الشعبية المصريـة والسودانية على أساس تحرير الوادى مصره وسودانه واشاعة الديمقراطية السياسية فى مصر والسودان ورفع مستوى الجماهير هنا وهناك ، وان هذا

---

(١) أحمد رشدى صالح – كرومر فى مصر ، صـفحات من تاريخ مصر الحـديث – دار القرن العشرين للنشر – القـاهرة ( د.ت ) – ص ٨

التنظيم وسيلة عظمى لمواصلة الكفاح الوطنى الناجح ضد الاستعمار وخدامه الرجعيين المصريين والانفصاليين السودانيين فكلمتنا الموحدة بالنسبة للسودان هى :

- جلاء تام عن مصر والسودان .
- حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره .
- تأييد تام لنضال الشعب السودانى من أجل الحرية .
- المطالبة باشاعة الديمقراطية السياسية فى السودان وتطبيقها فى مصر .
- تنظيم الجهاد المشترك بين شعبينا »(١) .

.. واضح تماما أنها ليست مجرد كلمات باحث أو مؤلف وانما هى برنامج لجماعة ..

كما أصدرت الدار كتاب « حول الفلسفة الماركسية . رد على العقاد » ( أبو سيف يوسف ) . وقد كان هذا الكتاب الاخير دليل اتهام ضد مؤلفه من جانب السلطة التى قدمته للمحاكمة هو أيضا وكان المتهم الخامس فى القضية المشهورة باسم قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ .

*** دار النشر السودانية :**

وهى أحد امتدادات مجلة أم درمان وقد ذكرت فى الاعلانات التى نشرتها فى أم درمان أن هدفها هو اصدار كتب شهرية عن السودان فى الادب والشعر والتاريخ والاقتصاد (٢) .

لكننا لم نعثر على كتب صادرة عن هذه الدار .

وفى مجال النشر نلاحظ أن منظمة « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » قد انتهجت أسلوبا مختلفا فهى لم تؤسس دارا للنشر ، بل اكتفت باصدار كتب وكتيبات عديدة دون أن تنسبها الى دار نشر محددة .. وقد تركز انتاج ح.م فى مجال النشر فى موضوعين أساسيين .. محاولة تقديم تفسير

---

(١) أحمد رشدى صالح ـ مسألة السودان . ( الناشر لم يذكر ) ـ ( د.ت ) ـ ص ٦٤ .

(٢) أم درمان ١٩٤٥/٥/١ .

تقدمي واشتراكي للدين الاسلامي وقد اضطلع بهذه المهمة أحد كوادر المنظمة من رجال الدين وهو الشيخ محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمي الذى أصدر كتاب « الشيوعية فى الإسلام » وهو دراسة جادة عالية المستوى وبالغة الشجاعة فى نفس الوقت .. جاء فيها ـ على سبيل المثال ـ « لماذا لاتكون الأرض كلها ملكا للامة وتكون الحكومة قيمة عليها ، ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فيشتغل كل بحسب طاقته ثم يأخذ بحسب حاجته . ولماذا لا تكون المصانع والمعامل وجميع موارد الثروة ملكا للجميع فما دمنا مشتركين فى تحصيل الارزاق واحداث الثروات فالواجب يقضى باقتسامها من كل والى كل »(١) الى أن قال « فما هو الحل ؟ وما هو المخرج من هذه الظلمات المتراكمة والمفاسد المتلاطمة والجواب عن ذلك سهل ويسير ، فتش عنه ابحث عنه ، نقب عنه ، سوف تجده فى كلمة واحدة هى الشيوعية »(٢) .

ولنفس المؤلف كتاب « أبو ذر الغفارى أول ثائر فى الإسلام » وله أيضا « دورنا فى الكفاح الوطنى » .

كذلك أصدرت الحركة المصرية للتحرر الوطنى سلسلة الكتب الخضراء ، والتى كانت تطبع سرا وتوزع علنا وهى ترجمات دقيقة لأهم المصادر الكلاسيكية للفكر الماركسى يمكن القول بأنها قد لعبت دورا حاسما وأساسيا فى تثقيف الكوادر الشيوعية المصرية من كل المنظمات . وقد قام بترجمتها قسم المثقفين فى ح.م باشراف د. محمود القاضى وكان يتولى طباعتها بالاسكندرية أحد كوادر الحزب الشيوعى الاول وهو الدكتور حسونة .

كذلك أصدرت ايسكرا كتابا هاما يقدم ما يشبه البرنامج بعنوان « أهدافنا الوطنية »(٣) .

وعندما تأسست « جدتو » لجأت أيضا لنفس الاسلوب فأصدرت عدة كتب دون نسبتها الى دار نشر معينة .. فأصدرت كتابا مثل « أحمد حسين ـ الذى باع الوطن لكل من دفع الثمن » وكتاب « الاخوان المسلمون فى الميزان »

ولعل هذا الكتاب كان أول دراسة علمية وتحليلية لجماعة الاخوان المسلمين من واقع وثائقها ، فالمؤلف « محمد حسن أحمد ـ وهو اسم سرى »

---

(١) أبو الحسن الغنيمى ـ الشيوعية فى الاسلام ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦ .

(٣) شهدى عطية الشافعى ، محمد عبد المعبود الجبيلى ـ أهدافنا الوطنية ـ مطبعة الرسالة (١٩٤٥) .

يحلل مختلف وثائق الجماعة فلا يجد فيها برنامجا مفصلا ، ولا أثرا لبرنامج ٠٠ وانما « هم يتهربون من مواجهة مطالب الشعب ، ويحاولون باستعمالهم أسلوبهم تارة وباستعمال الايات القرآنية والاحاديث « فى غير موضعها » أن يثبتوا للناس أن اللقمة اللينة ، والنومة المريحة ، والحلة الجميلة كما يقولون أشياء لا قيمة لها بل هى من سفاسف الامور ٠٠ يقولون هذا فى بلد أغلبيته لا تجد العيش الذى تسد به رمقها ٠٠ يقولون هذا الكلام والآلاف يموتون جوعا ومرضا »(١)٠

وهو يوجه الاتهام الى السادة كبار الملاك وأصحاب الشركات بتأييد جماعة الاخوان لانها تضلل العمال وتصرفهم عن النضال الطبقى ويقول « ان الفاشية هى السلاح الاخير فى يد هؤلاء السادة يلوحون به اذا ما دقت ساعة الخطر وقام الشعب يطالب بحقوقه » ٠

٠٠ ويدهش الكاتب من أنه رغم أن الجماعة تضع الاقباط المصريين فى مأزق قبول احدى ثلاث « الاسلام أو الجزية أو القتال » فان التأييد الذي ينهال على جماعة الاخوان لا يأتى فقط من « كبار الملاك أو أصحاب المصانع المسلمين ، انما هو تأييد على نطاق واسع حتى من كبار الملاك المسيحيين فلوبس فانوس ومريت غالى وغيرهم لا يتأخرون عن الدفاع عن الاخوان ٠٠ ولا تعجب فقد كان بعض كبار الماليين اليهود يؤيدون هتلر ليضمن لهم أن يكمم أفواه العمال والفلاحين ، وأن يخرس صوت المحتاجين المطالبين بحقوقهم »(٢) ٠

وفى ختام الكتاب « نداء » « ها قد عرفتم يا شباب الاخوان مدى خداع قواد هذه الجماعة لكم ٠٠ فيا شباب الاخوان تنبهوا الى الخطر الذى أنتم فيه ، اعلموا ان استقلال مصر هو غرضنا وغرضكم ٠ اقرأوا هذا الكتيب بامعان وادرسوه ، وارجعوا الى الوثائق الرسمية حتى تقتنعوا بفاشية هذه الجماعة وخطرها على الحركة الوطنية ٠٠

يا شباب الاخوان ارفعوا الغشاء الذى يغطى أعينكم ٠٠ واعلموا ان ترككم الجماعة ليس معناه ترك الدين ، بل على العكس ، فان جماعة

---

(١) محمد حسن أحمد ( اسم سرى ) ـ الاخوان المسلمون فى الميزان ـ مطبعة الاخاء ـ ( د٠ ت ) ـ ص ١٧ ٠

(٢) المرجع السابق ـ ص ٤٩ ٠

الاخوان تستغل الدين استغلالا سيئا ، فالدين يبرأ من هذه الجماعة ‥ وضعوا نصب أعينكم أن الدين لله والوطن للجميع »(١) ٠

وباختصار يمكن القول بأن شيوعيي الأربعينات قد لعبوا فى مجال الصحافة والنشر والفكر دورا مرموقا وبارزا ترك أثرا ثابتا على المناخ الفكرى العام للثقافة المصرية وبحيث أصبح الفكر الماركسى بفضل هذه الجهود الباسلة أحد المكونات الأساسية ـ والمعترف بها من الجميع ـ للفكر المصرى عامة(٢) ٠

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٩٤ ٠

(٢) لمزيد من التفاصيل فى هذا الصدد راجع د٠ سيد حامد النساج ٠ حركة الفكر التقدمى فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية ٠ مجلة الكاتب يوليو ١٩٧٥ ٠

## الجيش

كان عام ١٩٣٦ عاما فاصلا فى تاريخ مصر ، وفى تاريخ الجيش المصرى فلقد رأينا كيف أصدر النحاس قانونا للجيش يحاول به ابعاد نفوذ الملك عن صفوفه . كذلك كانت المعاهدة المصرية ـ البريطانية قد نجحت فى الغاء القيود البريطانية على عدد القوات المصرية المسلحة(١) وهكذا زادت انحاجة وبسرعة الى أعداد كبيرة من الضباط ومن حسن حظ مصر أن ذلك قد تم فى ظل حكومة الوفد التى سعت الى توسيع القاعدة الاجتماعية التى أتى منها هؤلاء الضباط الجدد(٢) وهكذا وبدلا من أبناء الطبقة الغنية والارستقراطية والقديمة أساسا فى القاهرة(٣) أمكن للوفد أن يضم الى الكلية الحربية ـ ولاول مرة ـ شبانا من أبناء الطبقة الوسطى فى الريف وصغار ومتوسطى الموظفين(٤) ، ويبدو أن أبناء هذه الطبقات كانوا من الحماس والوطنية الى درجة « أن من بين الاحدى عشر الذين أسسوا تنظيم الضباط الأحرار تجد أن ثمانية دخلوا الكلية الحربية فى دفعة عام ١٩٣٦ ( جمال عبد الناصر ـ عبد الحكيم عامر ـ عبد اللطيف بغدادى ـ جمال سالم ـ حسين الشافعى ـ زكريا محيى الدين ـ أنور السادات ـ صلاح سالم ) ، وفى الدفعة التالية دخل اثنان من مؤسسى الضباط الاحرار ( كمال الدين حسين ـ حسن ابراهيم ) ودخل خالد محيى الدين فى الدفعة الثالثة(٥) . والحقيقة أن هؤلاء الضباط الذين تخرجوا بسرعة مذهلة قد أثبتوا بسرعة أيضا أنهم « متأثرون كلهم بالافكار الوطنية تأثرا عظيما .. وكانوا يحملون كلهم فى قلوبهم الحقد على الاحتلال والتوق الى عمل شىء لتأمين نهضة مصر »(٦)

---

1) Keith Wheelock—Nasser's New Egypt — Atlantic Books—London (1960) P. 3.

2) Robert Stephens — NASSER—Pelican Book (1973) P. 49.

3) Jean & Simoune Lacouture — Egypt in Transition ( London — 1958) P. 128.

4) P. J. VATIKIOTIS — The Egyptian Army in Politcs — indiana University Press (-961) P. 48.

5) Ibid — P.48.

(٦) أنور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون ـ ترجمة كتاب (Egypte Seciete Militaire.) دار الطليعة بيروت . الطبعة الأولى ـ فبراير ١٩٦٤ ـ ص ٥٦

وحتى قبل أن يتخرج هؤلاء الشبان من أبناء الطبقات الوسطى والدنيا ليصبحوا ضباطا ، وحتى وهم لم يزالوا بعد يمرون باختبارات القبول بالكلية لم يتوانوا عن اعلان مواقفهم الوطنية .

ويتعرض الطالب جمال عبد الناصر الى أسئلة محرجة من رئيس لجنة « كشف الهيئة » .

ـ مهنة الوالد ؟

ـ موظف بالبريد .

ـ هل فى أسرتك فلاحون ؟

ـ نعم .

ـ هل فى أسرتك ضباط ؟

ـ لا ..

ـ لماذا تريد أن تصبح ضابطا ؟

ـ لأخدم وطنى .

ـ هل لديك أملاك ؟

ـ لا .

ـ هل لديك توصية من أحد ؟

ـ لا ..

ـ هل اشتركت فى مظاهرات نوفمبر ١٩٣٥ ؟

ـ نعم(١) .

ويرفض طلب جمال عبد الناصر ، ذلك أن اللجنة اذا تسامحت وقبلت شابا فقيراً فليس بامكانها أن تسمح لطالب شارك فى المظاهرات الوطنية أن يصبح ضابطا فى الجيش ويحتاج جمال الى خمسة أشهر أخرى والى « وساطة » كى يقبل فى الكلية الحربية .

.. وكنموذج لتفكير ومطامح هؤلاء الشبان نقدم بعض ما تحتويه قائمة استعارات الطالب جمال عبد الناصر من مكتبة الكلية الحربية : « بونابرت ، كحاكم لمصر بقلم شارل روا ـ لورانس بقلم روبرت جراقس ـ حرب النهر بقلم ونستون تشرشل ـ نابليون بقلم أميل لودفيج ، حملة فلسطين بقلم ويفل »(٢) .

---

1) Jean Lacouture — NASSER 1973 P. 39.

2) Georges Vaucher, Gamal Abdel Nasser et son équipe (Paris) 1959, Vol. 1, P. 97.

وهكذا تدفقت الدماء الجديدة فى صفوف الجيش ، ربما بهدف خدمة الوطن » وربما أيضا لان تكاليف الدراسة فى الكلية الحربية كانت أقل من تكاليفها فى الجامعة (١) ٠

« ولقد كان تأثير هؤلاء الشبان جارفا فى صفوف القوات المسلحة المصرية خاصة وأن الرجعية المصرية لم تهتم على الاطلاق بأن ترسل أبناءها الى الجيش كما فعلت الطبقات الحاكمة فى أوروبا ٠ لم يكن فى الجيش المصرى أبناء أسر اقطاعية ( حاول زكى سراج الدين شقيق فؤاد سراج الدين الانضمام للكلية الحربية لكنه لم يحتمل الحياة كطالب فيها الا عاما واحدا وانسحب من الكلية) كذلك تباعدت الاسرة المالكة عن الجيش (عين الملك الاميراسماعيل داود فى الفترة ٤٢ ـ ١٩٤٤ قائدا لسلاح الفرسان ثم أبعد ، وعين زوج شقيقته الامير اسماعيل شيرين مديرا لادارة فلسطين بالجيش دون أن يتخرج من الكلية الحربية ، ثم عينه وزيرا للحربية فى وزارة نجيب الهلالى الاخيرة)(٢) وكان ذلك بطبيعة الحال عنصرا حافزا لنمو التحرك الثورى فى صفوف القوات المسلحة ، وفتح أبواب الجيش ولاول مرة منذ الثورة العرابية أمام النشاط السياسى لمختلف القوى ٠٠ وخاصة الشيوعيون والاخوان المسلمون ٠

وفيما يتعلق بالشيوعيين فان المنظمة التى بدأت بالاهتمام اهتماما فعليا بالعمل فى القوات المسلحة كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح٠م) يقول كورييل « وكان لدينا فى ح٠م٠ تحليل لفئات الجيش هو :

الجنود ـ فلاحين
عمال الجيش ـ عمال
صف الضباط ـ برجوازية صغيرة
الضباط ـ برجوازية متوسطة
الضباط الكبار ـ برجوازيين مرتبطين بالمصالح العقارية والملكية(٣) ٠

وقد بدأ النشاط الحقيقى فى صفوف القوات المسلحة من خلال خريجى مدرسة ميكانيكا الطيران وبواسطة كوادر ح٠م٠ وكانت هذه المدرسة قد فتحت أبوابها فى عام ١٩٣٧ ـ فى أعقاب المعاهدة أيضا ـ وانضم اليها

---

1) Jean Lacouture — Nasser — ibid. P. 41.

(٢) أحمد حمروش ـ قصة ثورة ٢٣ يوليو ـ الجزء الاول ـ المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت ـ ص ٢١٢ ٠

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل جلسة المناقشة الثانية ـ المرجع السابق ٠

فى الدفعة الاولى ٩٠ طالبا حاصلين على شهادات الكفاءة أو البكالوريا أو الفنون والصنائع نظام الخمس سنوات ٠ وكانت ح٠م قد أقامت علاقات وثيقة باتحاد خريجى المدارس الصناعية ونجحت فى اجتذاب عدد من الكوادر الهامة من صفوفه وعن طريقهم ومن خلال الدفاع عن مطالب ميكانيكى الطيران ( المطالبة بالترقى لرتبة الضباط وقد عارض هذا المطلب الطيارون القدامى والمطالبة بتغيير الزى الرسمى ، ومطالب أخرى اقتصادية ) ٠ وقد اتسع نشاط ح٠م وسط صفوف ميكانيكى الطيران اتساعا كبيرا واستطاعت أن تجند من صفوفهم عدداً من خيرة كوادرها سيد سليمان رفاعى ( بدر ) ، فؤاد حبشى ( فاروق ) ، يوسف مصطفى ( صدقى ) ابراهيم عرفه ( حوتر ) وقد استطاعت هذه الكوادر أن تقيم تنظيما سريا له قيادة من ٤٢ عضوا بحيث يمثل كل سرب أو قسم فى السلاح اثنان من المندوبين ، وتكونت لهذا التنظيم لجنة تنفيذية عليا من ١١ شخصا كان النفوذ الأساسى فيها للشيوعيين(١) وكانت السيطرة الفعلية على كل هذه الحركة لمنظمة ح٠م التى بلغ عدد أعضائها فى سلاح الطيران وحده ( ٨٠ ) ثمانين عضوا والتى كانت لها خلايا فى مختلف الأسراب والورش التابعة للسلاح(٢) ٠

وعن طريق هذه المجموعة ، وعن طريق ضابط طيار انضم الى صفوف ح٠م هو ابراهيم العطار ( شقيق مختار العطار مسئول الاجهزة الفنية فى ح٠م ) أمكن اقامة علاقات مع عدد من الطيارين ذوى النفوذ الهام فى ذلك السلاح فى ذلك الحين مثل عبد اللطيف البغدادى ووجيه أباظة(٣) ويقول أحمد حمروش ( ويجب أن نلاحظ أنه قد استقى معلوماته من مصادرها الأصلية ) أن عبد اللطيف بغدادى ومجموعة الطيران قد اتصلوا بجماعة « ثقافة وفراغ » ، ويقول أيضا أن ميكانيكيى الطيران قد أقاموا علاقات مع عدد من ضباط الطيران حال دون تقدمها فارق الرتبة والوضع الطبقى»(٤)

وعن طريق بميكانيكيى الطيران اتصلت ح٠م٠ بميكانيكيى سلاح الصيانة والطيران المدنى ومدرسة الكتاب العسكريين ومدرسة موسيقات الجيش

---

(١) أحمد حمروش ـ المرجع السابق ـ ص ١٢١ ٠

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/١/١٢ ٠

(٣) محضر نقاش مع فؤاد حبشى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٤/١٢/١٨ ٠

(٤) أحمد حمروش ـ المرجع السابق ـ ص ١٢١ ٠ ويلاحظ أنه قد أخطأ فى الاسم وذكره كما يلى « جمعية الرياضة وأوقات الفراغ » ٠

ومنهم أيضا كسبت ح٠م كوادر هامة ( مصطفى طيبة ) وفى قضية المنصورة عام ١٩٤٩ اكتشف البوليس أن شبكة الاتصال لكل منطقة بحرى كان يديرها جنديان من فرقة الموسيقى التابعة لطافىء الزقازيق وانهما انضما للحركة الشيوعية عندما كانا فى مدرسة موسيقات الجيش ، وكانا يقومان بهذا العمل مستفيدين من ملابسهما العسكرية ) ٠

وعندما حقق ميكانيكيو الطيران مطالبهم بفضل كفاحهم المتواصل تحت قيادة الشيوعيين تشجع زملاؤهم فى سلاح الصيانة ، وتحرك ٦٠٠٠ طالب وخريج منهم متجهين الى قصر عابدين ، ولكن هذه المظاهرة الفريدة من نوعها انتهت بغير مكاسب وأعتقل بعض قادتها ٠

كذلك نجحت حدتو فى العمل فى صفوف صولات الجيش وأقامت لهم تنظيما سريا قويا ٠ كذلك كونت لهم تنظيما جماهيريا سمى « الاتحاد العام للصولات وضباط الصف » وما أن يأتى عام ١٩٤٧ حتى يكون هذا الاتحاد محورا هاما للعمل فى صفوف القوات المسلحة وحتى يصبح نقطة ارتكاز قوية لعمل جاد ٠

وتتطور أساليب النضال سريعا ٠٠ وفى ديسمبر ١٩٤٧ يتقدم الاتحاد العام للصولات وضباط الصف بعريضة الى الملك فاروق باعتباره القائد الأعلى للجيش يحدد فيها مطالب واضحة يطالب بتنفيذها ٠٠ ويؤكد فيها « أن زمن العبيد ولى وراح وأصبحنا فى عصر يفهم فيه كل فرد معنى حقوقه الاجتماعية التى تتفق مع مبادىء الانسانية الصحيحة والجندية السمحاء » ٠

ثم تمضى المذكرة الى التهديد بأنه « اذا لم تجب مطالبنا الانية فى مدى خمسة عشر يوما من تاريخه فان الصولات وضباط الصف والجنود سوف « يتجهون الى ساحة عابدين فى مظاهرة عسكرية رهيبة »(١) ٠

وسرعان ما تحركت الرجعية لتصفية حساباتها مع حركة الصولات وضباط الصف بنفى وتشريد بعضهم وفصل بعضهم من الخدمة ، وفى أوائل عام ١٩٥٢ أتمت السراى تصفية حساباتها مع حركة الصولات باغتيال زعيمها الشهيد عبد القادر طه ( شقيق أحمد طه أحد كوادر حدتو ) ٠

---

(١) عريضة مرفوعة من الاتحاد العام للصولات وضباط الصف بالجيش المصرى الى جلالة القائد الأعلى للجيش ( نسخة أصلية ) ٠

وفيما يتعلق بالضباط بدأت ح.م علاقاتها بمحمد نجيب « اتصلنا فى ح.م بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا به عن طريق أحد أعضائنا النوبيين ( صالح عرابى ) وقد اتصل بى صالح عرابى وقال ان ضابطا من أصل سودانى يريد أن يعرف ما هو موقف الشيوعيين من السودان ، وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع وأعددنا تقريرا مفصلا عن وجهة نظرنا .. كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار ابراهيم العطار »(١) .

ونجحت ح.م أن تضم الى صفوفها ضابطا جديدا هو عثمان فوزى ، وفى نفس الوقت تعرف مصطفى هيكل عن طريق محمد خطاب على أحمد حمروش وضمه الى منظمة القلعة(٢) كما انضم خالد محيى الدين الى منظمة ايسكرا عن طريق على الشلقانى ، وعندما اتحدت المنظمات الثلاث فيما بعد ، كانت « حدتو » تمتلك نقطة ارتكاز هامة فى القوات المسلحة وبهذا وضع الأساس لقيام حركة ماركسية فى صفوف الجيش لم تكن فقط بداية لتحرك ماركسى واسع النطاق فى صفوف الجيش وانما كانت بداية لمساهمة ذات أثر بالغ الأهمية فى تكوين « الضباط الأحرار » وفى أحداث ثورة يوليو ذاتها ..

وتزايد عدد الضباط الشيوعيين وذوى الاتجاه اليسارى ، ومع تصاعد نشاط حدتو فى الجامعات انضم الى صفوف القوات المسلحة ضباط مهنيون شيوعيون كثيرون مثل الضابط مهندس جمال علام ، والضابط صيدلى د.محمود القويسنى ، والضابط طبيب بحرى د. فؤاد منير ..

يقول أحمد حمروش « وكان التجنيد ( للعمل الشيوعى ) داخل الجيش عملا شديد الصعوبة وبالغ التعقيد معرضا لاخطار العصف به من القوى الرجعية المتربصة بأى نشاط تقدمى وخاصة فى صفوف الجيش . ومع ذلك فان حيرة الضباط الوطنيين ، وعجز الاخوان المسلمين عن ارضاء نفوسهم بالاجابة الوافية على أسئلتهم واستفساراتهم ، وحركة المد الثورى التى انطلقت فى الجامعة وتمثلت فى حركة الاضرابات والمظاهرات المتزايدة .. الى جانب السمعة الطيبة التى أحرزتها القوات المسلحة السوفيتية خلال الحرب والتأييد الواضح المعلن من جانب الدول الاشتراكية لقضيتنا الوطنية فى هيئة الامم وخارجها .. مع توفر التصور الفكرى الواضح لمشاكل المجتمع

---

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكل ـ أجرى النقاش فى برلين فى ١٩٧٥/٣/٨ .

ووجود اجابة وافية عميقة على تساؤلات الضباط .. كل هذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد للتنظيمات اليسارية أمرا ممكنا رغم خطورة ذلك فى صفوف الجيش »(١) .

كذلك فان أجهزة الامن سواء فى الجيش أو الداخلية كانت محدودة العدد والكفاءة ، كان كل ضباط المخابرات الحربية ١٥ ضابطا ( بعضهم كان على علاقة بالوطنيين والتقدميين ) وكان ضباط القسم المخصوص فى وزارة الداخلية لا يتجاوزون ٢٤ ضابطا ، وكانوا منهمكين فى مقاومة العمل الشيوعى فى صفوف المدنيين بالاضافة الى أنه لم يكن يدخل فى اختصاصهم العمل داخل الجيش الا عن طريق المخابرات الحربية ..

وهكذا أتيحت الفرصة كى ينشأ ويتعزز قسم الجيش بمنظمة حدتو وأعطى اسما سريا هو « قسم الاحذية » .

وقد ظل هذا القسم يعمل بدأب ونشاط وسرية تامة ، وأصدر عديدا من البيانات بتوقيع « رجال الجيش » .

ولم يحدث أن تعرضت منظمات « قسم الاحذية » للكشف أو لضربات البوليس الا فى أماكن محدودة حيث تصاعد العمل السياسى ليصبح نضالا جماهيريا كما حدث فى حركة الصولات وأيضا فى حركة ميكانيكى سلاح الطيران الذين صعدوا من كفاحهم الامر الذى أدى الى نفى ٤٠ منهم الى سيوه .

والحقيقة أن دور الشيوعيون وسط ميكانيكيى الطيران قد لفت أنظار الأمن منذ وقت مبكر ، وتحفظ الوثائق الامريكية العديد من التقارير التى تحذر من النشاط الشيوعى فى هذا المجال .. كما تضم احدى الوثائق قائمة بأسماء الذين القبض على أصحابها فى ديسمبر ١٩٤٥ بسبب نشاطهم الشيوعى وتقول الوثيقة أنهم جميعا من العسكريين وهم :

.. « ابراهيم حافظ العطار - عز الدين السنانيرى - محمد شوقى عبد الحكيم - سيد سليمان رفاعى - سيد حافظ خير الدين - فوزى دوس عبد الشهيد - عبد الحكيم مصطفى - محمد مصطفى فضل »(٢) .

وجميعهم اما طيارين أو ميكانيكى طيران .

---

(١) أحمد حمروش - المرجع السابق - ١٢٣ .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
OSS - Mis — 230561 — AL — 22 Dec 1045.

وفى وثيقة تالية أضيف اسم « فؤاد حبشى » ، الى قائمة المقبوض عليهم من العسكريين .

بينما ظل باقى قسم « الأحذية » سليما ·· وفى بعض الأحيان كان هو القسم الوحيد الذى بقى سليما فى حدتو ·· وكان المسئول السياسى للقسم أحمد حمروش مسئول الدعاية هو أحمد فؤاد وكان وكيلا للنيابة (١) ( وهى مهنة تتطلب حماية خاصة هى الاخرى ولهذا خصص أحمد فؤاد للقيام بعمليات التثقيف للضباط ) ومع ضعف التنظيم ضعفت أيضا علاقات قسم الجيش وامكانياته وأخذت المنشورات الموقعة « رجال الجيش » تصدر مكتوبة بخط اليد ( كان يكتبها البكباشى يوسف صديق وأحمد حمروش فى منزل الأول بثكنات الجيش بالعباسية )(٢) ·

وفى هذه الاثناء برز دور جمال عبد الناصر كداعية لتأسيس تنظيم مستقل يضم كل الضباط الوطنيين والتقدميين بعيدا عن الاحزاب التقليدية ·

والى هنا ويتعين علينا أن نسأل أنفسنا لماذا برز هذا الاتجاه ؟ ولماذا نجح ؟

قلنا من البداية أن التيارين السياسيين الوحيدين اللذين لعبا دورا تنظيميا فى القوات المسلحة كانا الاخوان المسلمين ومنظمة حدتو ·

وتأتى حرب فلسطين وما صحبها من إتشتت الوحدات التى كان للاخوان فيها نفوذ وتتصاعد الموجة الارهابية للاخوان وما تبعها من ارهاب مضاد نظمته الحكومة لتدفع الكثيرين من « عقلاء » الضباط الى الابتعاد بأنفسهم عن هذه الحمأة ، وحتى فى غمار القتال برزت تناقضات - بغير حل - بين الضباط المعتدلين وبين القيادات المزمنة للاخوان المسلمين فالشيخ سيد سابق حاول أن يجبر المتطوعين فى حرب فلسطين على أن يهجموا متراصين فى صف واحد ( تمسكا بحديث شريف ) وعارضه معارضة شديدة بعض ضباط المدفعية من الاخوان ·· وهكذا تصاعدت تناقضات عديدة بين الضباط والاخوان انتهت بأن طلبوا مسئولا كبيرا من الاخوان ليجيب على سؤال حيرهم جميعا « ماذا ستعملون فى البلاد لو انتصرنا ؟ » وكان جواب المسئول الاخوانى الكبير غامضا كالعادة (٣) ·

كذلك الشيوعيون تأثر نشاطهم فى الجيش بسبب حركة القوات الفاجئة وتشتت الكادر ، وكذلك فان عددا من الضباط الشيوعيين لم يقتنعوا بموقف

---

(١) أحمد حمروش · المرجع السابق ١٤٦ ·
(٢) المرجع ص ٤١ ·
(٣) أحمد حمروش - المرجع السابق ١٤٠ ·

« حدتو » القائل بالموافقة على قرار تقسيم فلسطين ، هذا بالاضافة الى حملة الارهاب الواسعة والانقسامات التى أضعفت « حدتو » وأضعفت هيبتها فى نفوس البعض ..

هكذا وجد عبد الناصر الجو مهيئا ، كذلك كانت أحداث حرب فلسطين وقضية الأسلحة الفاسدة والمد الوطنى الجارف الذى بدأ فى عام ١٩٥٠ عوامل هامة فى استقطاب عديد من الضباط الى صفوف « الضباط الاحرار » وتكونت النواة الأولى للتنظيم من خمسة أشخاص فى أواخر ١٩٤٩ ( جمال عبد الناصر ـ حسن ابراهيم ـ خالد محيى الدين ـ كمال الدين حسين ـ عبد المنعم عبد الرؤوف ) ولم يكن مصادفة أن يكون ممثلا فى هذه النواة ( خالد محيى الدين ) وكذلك الاخوان المسلمين ( كمال الدين حسين ـ عبد المنعم عبد الرؤوف ) .

وفى هذه الاثناء لعب اليساريون وأعضاء « حدتو » بالذات دورا هاما فى نشاط الضباط الاحرار .. فكان خالد محيى الدين يحرر معظم المنشورات للضباط الاحرار ٥٠ ـ ١٩٥١(١) ( المنشور الاول للضباط كتبه خالد محيى الدين وجمال منصور فى فبراير ١٩٥٠ ) وبرنامج الضباط الأحرار ( كتبه أحمد فؤاد وخالد محيى الدين ووافق عليه جمال عبد الناصر)(٢)

وهكذا لعب اليسار دورا هاما فى تحديد المعالم الفكرية للضباط الاحرار ويقول أحد الباحثين الفرنسيين أن ضابط الفرسان الشاب خالد محيى الدين وان لم يستطيع أن يقنع جمال عبد الناصر بالماركسية الا أنه استطاع على أية حال أن يقنعه بالعلاقة الوثيقة بين اقتناع الانسان بالشيوعية والنضال الجاد من أجل القضية الوطنية(٣) .

وفى نهاية ١٩٥٠ وبمساهمة فعالة من جانب خالد محيى الدين صدرت نشرة صوت الضباط الأحرار(٤) .

---

1) P.J. VATIKIOTIS 6 IBID. PP

(٢) محضر نقاش مع خالد محيى الدين ـ أجريت النقاش بالقاهرة فى ١٩٥٧/١٠/٢٧ ويلاحظ أن أحمد حمروش ـ المرجع السابق ـ أورد ص ١٤٨ أن الذى كتب أول منشور للضباط الاحرار هو خالد محيى الدين وجمال عبد الناصر ، لكن خالد محيى الدين صحح لنا هذه الواقعة .

3) Jean Laceuture — NASSER — Ibié P.56.

4) Keith wheelock — Ibid pp. 7

وقد طبع أول منشور للضباط الاحرار لدى شخص مدنى كان صديقا لأحد الضباط ، ثم ما لبث تنظيم الضباط الاحرار أن اعتمد على « حدتو » اعتمادا تاما فى طبع كل منشوراته ونشراته ( كان يتم طبع هذه البيانات بالجهاز المركز للطباعة الخاص بمنظمة حدتو وكان بمخبأ بمنطقة كوبرى القبه وكان مسئول الاتصال بين الجهاز وبين منظمة الضباط الاحرار كهربائى أرمنى الاصل • والغريب فى الامر أن البوليس قد داهم مقر هذا الجهاز عقب ثورة يوليو بقليل حيث حكم على العاملين به وعلى مسئول الاتصال بالسجن خمس سنوات لكل منهم أما جهاز الرونيو الذى كان يستخدم فى طبع هذه المواد فقد أودع بمتحف الثورة ) •

والحقيقة أن « حدتو » قد قدمت للضباط الاحرار الكثير من كوادرها الضباط ، وان كانت قد حرصت على ألا تقدم كل هذه الكوادر الى « الضباط الأحرار » وخاصة هؤلاء الذين يعملون فى مواقع حساسة جدا مثل الطيار عبد المجيد نعمان الذى كان يعمل فى ذلك الحين ضابط لاسلكى فى السرب الخاص بالملك فاروق وأدى فى موقعه هذا خدمات بالغة الاهمية (١) • وكان القائمقام يوسف صديق أعلى الضباط المشاركين فى التحرك ليلة ٢٣ يوليو وأكثرهم فعالية فى هذا اليوم من بين من حجبت حدتو اسمهم عن الضباط الأحرار •

وكان طبيعيا على أية حال أن يلعب ضباط حدتو دورا أساسيا وحاسما ليلة ـ ٢٣ يوليو ، ولم يكن مصادفة أن القوة الأتى احتلت مبنى قيادة الجيش كانت بقيادة القائمقام يوسف صديق وجلس يوسف صديق لبعض الوقت على مقعد القائد العام للقوات المسلحة يصدر تعليماته للجميع ••

وعندما وصل جمال عبد الناصر الى مقر القيادة •• قام يوسف صديق من مكانه ، وجلس جمال عبد الناصر ••

---

(١) محضر نقاش مع عبد المجيد نعمان ـ منتصف فبراير ١٩٧٠ •

## العمـــال

وقبـل أن نبدأ لا بد أن نوضح أننـا لا نستهدف فى الصفحات المقبلة لا تقـديم تاريخ لحركة الطبقـة العـاملة فى الفترة موضع الدراسة ، ولا حتى تقـديم دراسة عن دور الشيوعيين فيهـا ، فلعل ذلك يحتاج الى بحث مستقل وأكثر تخصصا ·

فقط سنكتفى بتقـديم لمحات ـ مجرد لمحـات ـ عن المرتكزات الاساسية التى اعتمد عليهـا الشيوعيون فى نشاطهم فى صفوف الحركة العمالية ··

وبادىء ذى بدء فاننـا عنـدما نبحث عن دور الشيوعيين فى صـفوف الحركة العمالية فاننـا نعنى بالتحديد اتجاهين محددين هما « حدتو » و« جماعة الفجـر الجـديد » · ففيما عدا هاتين لم يكن لأى من المنظمات الشيوعية الأخرى ـ فى حدود الفترة موضع الدراسة ـ نشاط يذكر ·

ولقـد اختلفت منطلقـات المنظمتين بل وتصادمت فى كثير من الاحيان وأدى ذلك بطبيعة الحـال الى الاضرار بالعمل النقـابى عموما والى تقليل آثار النضال الشيوعى فى صفوفه ·

واذا عدنا للبدايات الاولى نجد الصورة كما يلى :

منظمة ح·م بعـد أن أنجزت مرحلة التمصير ترفع شعار التعميـل ، بمعنى أن ـ توجهها الى حركة الطبقـة العـاملة كان يستهدف فى الاسـاس تجنيد كوادر شيوعية من صفوف العمال كنقطـة بداية تتلوها محاولة استخدام هذه الكوادر للقيـام بعمل جماهيرى ونقـابى بارز ·

وقـد نجحت ح·م فى هذه المهمة وبينما يحـاول رجالهـا تجنيد العناصر الاكثر ثورية من العمال كانوا وفى نفس الوقت يجندون قادة عماليين ذوى نفوذ جماهيرى ونقـابيين مرموقين ·

ولم يمض سوى قليل من الوقت حتى كانت ح·م تضم فى صـفوف أعضائها عناصر مثل سيد سليمان رفاعى ( عمال الطيران ) ومحمد شـطا ( الذى صعد نجمه سريعـا حيث انتخب فى أواخر ١٩٤٥ وبعـد اضراب شهير فى شبرا الخيمة سكرتيرا للجنة العـامة لعمال شبرا الخيمة ) ومراد القليوبى ( نقـابة عمال السينما ) ودافيد ناحوم ( سكرتير نقـابة مستخدمى المحـال التجارية ) بالاضافة الى علاقات نضالية مع كثير من النقـابيين البارزين وقادة الحركة العمالية ··

وكانت ح٠م تصدر نشرة عمالية نصف علنية ( تطبع سرا وتوزع علنا ) هي « كفاح العمال » وقد لعبت هذه النشرة دورا هاما في تعبئة صفوف الطبقة العاملة باتجاه العمل الثوري ٠

ومع توحد ح٠م وأيسكرا زاد دور المنظمة الجديدة « حدتو » في صفوف العمال وكان « قسم العمال » في حدتو ذا ثقل حقيقي ليس في صفوف المنظمة وحدها وانما في صفوف الحركة العمالية ككل ٠٠

اذ أن المرتكز الاساسي للحركة المصرية للتحرر الوطني ثم امتدادها حدتو كان في جذب العناصر الاكثر ثورية الى صفوف النضال الشيوعي ، ثم الاندفاع بها بعد أن تتمرس وتتاوعي بالمعرفة النظرية والنضالية ٠٠ لكن هذا الاسلوب لم يكن يخلو من خطأ ذلك أن المنظمة لم تستطع أن تخلق لهذه الكوادر مناخا خاصا يحميها من ضربات البوليس ، فتركزت المطاردات البوليسية ضدها الامر الذي أدى الى تصفية نفوذها النقابي بسرعة ٠٠ ومع كل موجة من موجات نشاط « حدتو » كانت تبرز كوادر عمالية ونقابية ذات جماهيرية واسعة ونفوذ كبير ووعي شيوعي مرتفع ، لكنها سرعان ما كانت تنخرط – بالاضافة الى عملها النقابي – في غمرة العمل السري دون حماية خاصة ، وسرعان ما تنالها عين البوليس اليقظة ليعود الوضع الى نقطة البدء من جديد ٠

أما « جماعة الفجر الجديد » فقد سلكت مسلكا آخر ٠٠

وسوف نرى في فصل مقبل كيف أن هذه الجماعة قد امتنعت عن تأسيس منظمة شيوعية انتظارا لاتمام عدد من الدراسات والارتباطات وأنها حتى ضربة ١١ يوليو ١٩٤٦ كانت تكتفي بالعمل العلني فحسب وترفض فكرة التنظيم السري ٠٠ ولسنا نريد أن نناقش هنا مدى صحة هذا الموقف لكن ما يعنينا هو انعكاسه على نوعية وأساليب العمل ٠٠

لقد اتجه يوسف درويش الى تكوين جناح عمالي للجماعة ، وقد حقق ذلك بنجاح وأصدر مجلة الضمير ( وقد لعبت دورا هاما ) وأعلن قيام « لجنة العمال للتحرير القومي – الهيئة السياسية للطبقة العاملة » ( وقد لعبت هي أيضا دورا هاما ) ويقول أحمد صادق سعد ان هذه اللجنة قد تكونت « من ثمانية من الافراد » ويقول انها قد وزعت « بيانا بلغ عدد نسخه ٢٥٫٠٠٠ ، كما تم توزيع ١٥٫٠٠٠ نسخة من برنامجها »(١)

---

(١) أحمد صادق سعد – صفحات من اليسار المصري – مكتبة مدبولي – القاهرة (١٩٧٦ ) – ص ٥٢ ٠

لكن المؤسس الفعلى لهذه اللجنة « يوسف درويش » قد حرص فيما يبدو على ألا يتفوه أمامهم بكلمة عن الاشتراكية ، أو بأى اشارة الى أهمية العمل الشيوعى المنظم وفى هذا الصدد يقول أحد الكوادر الاساسية التى اعتمد عليها نشاط هذه الجماعة فى صفوف الحركة العمالية وهو طه سعد عثمان فى مذكراته « ولعله من المستغرب ( رغم أنه حقيقة ) أننى وحتى خروجى من السجن فى آخر مايو ١٩٤٥ لم تكن لى أية صلة تنظيمية »(١) وقد انعكس ذلك على تصرفات وأساليب تربية هذه الكوادر التى انغمست فى العمل النقابى باعتباره أسلوبا وحيدا للعمل النضالى العمالى ولم يكن غريبا أن برنامج لجنة العمال للتحرير القومى « كان يحمل على غلافه نداء الى العمال يقول لهم « أبعدوا عن المتسيسين »(٢) والحقيقة أن العناصر العمالية التى التفت فى هذا الوقت المبكر حول جماعة الفجر الجديد ، كانت عناصر جيدة ولعبت دورا هاما فى تاريخ الحركة العمالية لكن دفعها الى ميدان العمل النقابى البحت ، حرمها فرصة أن تتكون تكوينا شيوعيا ودفعها نحو الاتجاهات « الزعامية » و « الانعزالية » .

وبعد هذه الملاحظة الاولية نواصل البحث عن المرتكزات الشيوعية للعمل فى صفوف الحركة العمالية .. جماعة الفجر الجديد بدأت باصدار مجلة « الضمير » وبتكوين لجنة العمال للتحرير القومى والتى قدمت برنامجا سياسيا لحزب عمالى ( بمعنى أنه حزب مكون من عمال فقط وليس حزبا يدين بنظرية الطبقة العاملة ) .

وقد استمر هذا المنهج مسيطرا على أسلوب عمل هذه الجماعة ، فحتى بعد أن اقتنع كوادرها بضرورة تأسيس تنظيم شيوعى وأسسوا بالفعل منظمة « الطليعة الشعبية للتحرر » ظلت الكوادر النقابية بعيدة تماما عن مناخ التربية الحزبية والشيوعية الامر الذى صبغ مسلكها فى العمل بسلبيات عدة .

وبطبيعة الحال فانه يمكن تصور خط وسط بين الاسلوبين ، خط يكفل التربية الحزبية والوعى الشيوعى للكوادر العمالية والنقابية ويكفل لها فى نفس الوقت أكبر قدر ممكن من الامن والحماية .

---

(١) طه سعد عثمان ـ مذكرات ووثائق فى تاريخ الطبقة العاملة المصرية ـ الكاتب ـ ابريل ١٩٧٢ .

(٢) برنامج لجنة العمل للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة ( نسخة أصلية ) .

وبرغم ذلك فان النشاط الشيوعى فى صفوف الحركة العمالية كان مؤثرا وفعالا ، وقد نجح الى حد كبير فى اثراء الحركتين العمالية والشيوعية معا بخبرات وتجارب غاية الثراء تركت بصمات لن تمحى على وضعية الحركة النقابية المصرية .

وبعد هذه الملاحظة الاولية يمكننا أن نواصل الحديث عن المنطلقات الأساسية للعمل الشيوعى فى صفوف الحركة وخاصة بعد صدور القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ بشأن نقابات العمال والذى أزال الكثير من العقبات القانونية التى كانت تعيق الاعتراف بشرعية تكوين النقابات وكان من نتيجة هذا القانون أن تسارع العمال فى تكوين نقاباتهم ( فى عام ١٩٤٤ بلغ عددها ٢١٠ نقابة تضم ١٠٢ر٨٧٦ عاملا ) ، لكن القانون لم يعط العمال حق تأسيس اتحادهم العام ..

وكان هذا هو الخيط النضالى الذى تلمسه الشيوعيون .. وبطبيعة الحال تلمسوه بطريقين مختلفين . جماعة الفجر الجديد كما رأينا سارعت بتأسيس « لجنة العمال للتحرير القومى » لكنها كانت محاولة تتسم بطابع سياسى فقد سمت نفسها أيضا « الهيئة السياسية للطبقة العاملة » وقد نشرت هذه اللجنة برنامجا وطنيا وتقدميا لا بأس به يصلح بالفعل لكي يكون نواة لعمل جبهوى .

وهكذا حاولوا تفادى رفض القانون لفكرة الاتحاد العام بالباسها ثوب « هيئة سياسية » .. أما ح.م فقد التقطت خيطا آخر .

كان مكرم عبيد بعد انشقاقه عن الوفد يحاول أن يكسب جماهيرية ما ، كان يشعر فى نفس الوقت بخطر حركة الطبقة العاملة وبضرورة السعى لتقسيمها .. وهكذا أصدر « كادر عمال الحكومة » الذى قدم مكاسب هامة لعمال الحكومة ( عنابر السكة الحديد ، الترسانة ، المطبعة الأميرية ، .. الخ ) وكانوا يكونون فى ذلك الحين قطاعا أساسيا وفعالا من الحركة العمالية ..

ويفسر أحد القادة النقابيين اصدار هذا الكادر بأنه :

١ ـ محاولة لاكساب حكومة الاقلية ( عام ١٩٤٥ ) بعض الشعبية .

٢ ـ تقسيم حركة الطبقة العاملة الى عمال حكوميين وعمال أهليين .

٣ ـ اعتمادات هذا الكادر تؤخذ بطبيعة الحال من خزانة الدولة ومن ثم فانه محاولة لارضاء قطاع هام من العمال دون تحميل الرأسمالية أية أعباء ..(١)

---

(١) طه سعد عثمان ـ الكاتب ـ ابريل ١٩٧٢

وهكذا خاضت ح٠م معركة تجميع العمال غير الحكوميين فى اتحاد عام أو ما يشبه ذلك تحت اسم « مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية » كأساس للمطالبة بتطبيق كادر عمال الحكومة عليهم ، وقد دعت الكوادر العمالية لمنظمة ح٠م والقوى النقابية الملتفة حولها الى اجتماع للجنة تأسيسية عقد فى ١٩٤٤/١٢/٩ فى دار نقابة عمال مطبعة مصر التى كان رئيسها محمد عبد الحليم من العناصر القريبة من ح٠م وكذلك سكرتيرها العام سيد على وقد حضر هذا الاجتماع كثير من الكوادر النقابية الشيوعية والصديقة ٠٠ وكعادتها اهتمت السفارة الامريكية اهتماما بالغا برصد العناصر المشاركة فى المؤتمر والتى تلعب فيه دورا أساسيا فى القاهرة والاسكندرية ٠٠

وتحفظ لنا وثيقة أمريكية العديد من الاسماء ٠٠ التى توصف فى الوثيقة بأنها « العناصر النشطة » :

« السيد على ـ السيد خضير ـ مراد القليوبى ـ محمد يوسف الجندى ـ محمد الصمرانى ـ دافيد ناحوم ـ حكمت الغزالى ـ محمد علام ـ عبد الظاهر محمد الشحات ـ حسين على ـ محمد حمزة ( وهو قائد اضراب المحلة الشهير ) ـ نجيب سوس ـ محمد شحاته ـ عبد المنعم ابراهيم ـ أحمد العجمى ـ عبد الفتاح قنديل ـ محمود مصطفى ـ محمد عبد الحليم ـ السيد عبد الغنى شطا ـ محمد أبو محمود »(1) ٠

وقد حاول المؤتمر فور تكوينه الاشتراك فى الجلسة التمهيدية لمؤتمر النقابات العالمى التى عقدت لندن وشكل وفدا برئاسة محمد عبد الحليم لكن الحكومة منعت سفر الوفد بحجة أن مصر سوف تمثل فى المؤتمر بواسطة سفيرها فى لندن ٠

وهكذا تواجد منبران ٠٠

وكان لا بد من خلافات وتصارعات وانقسامات بينهما ٠٠ وكان لا بد أيضا من محاولات للتوحيد بينهما ٠ وبرغم الصراعات التى صاحبت عملية تشكيل وفد عمال مصر فى مؤتمر الاتحاد العالمى بباريس فقد اتفق على ارسال وفد موحد ( محمد يوسف المدرك ـ مراد القليوبى ـ دافيد ناحوم ) وما لبث الوفد أن انقسم على نفسه فور وصوله الى باريس ٠٠

وبطبيعة الحال مضى كل فريق يعزز موقفه ، ويسعى لتطوير كفاحه من أجل الاتحاد العام ٠٠ تنظيم ح٠م دفع كوادره الى اعلان تأسيس

---

1) RS 3/9 Mis 306838 — A 3

« مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى » وقد واصلت المجموعة اصدار نشرة « المؤتمر » التى كانت تصدر « عن مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الأهلية » ولكنها أخذت فى الصدور باسم مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى متخذة شعار « قوة العامل من قوة نقابته » و « قوة النقابة من قوة مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى »(١) وكان سكرتير المؤتمر حسين كاظم* ( أحد كوادر ح٠م ) كذلك نجح المؤتمر فى أن يضم عديدا من النقابيين البارزين والنقابات العامة مثل على شلبى الخولى ( رئيس نقابة سائقى وعمال اللنشات والشركات البحرية فى بورسعيد ) محمد الفرانه ( رئيس نقابة عمال الموبيليا بدمياط ) محمد عبده زهران ( رئيس نقابة شركة مصر لنسيج الحرير بدمياط ) عبد الظاهر الشاهد ( رئيس نقابة عمال ترام القاهرة ) نجيب سويس ( رئيس نقابة عمال ترام الاسكندرية ) ومحمد عبد الحليم وسيد على ( رئيس وسكرتير نقابة عمال مطبعة مصر ) وهكذا تكون بالفعل كيان ذو نفوذ حقيقى وسط الحركة العمالية وللشيوعيين ( ح٠م ) دور قيادى بارز فيه ٠

وقد سارع المؤتمر الى خوض المعركة فوجه رسالة الى النقابات يدعوها الى الانضمام اليه على أساس برنامج سياسى وعمالى جيد ووجه فى نفس الوقت هذا البرنامج فى صورة مطالب الى رئيس الوزراء منذرا بأنه مالم تتم الاستجابة له فسوف يقوم « المؤتمر بتحديد موقفه » أما هذا البرنامج فيمكن تلخيص نقاطه الاساسية فيما يلى :

١ ـ المطالبة بالجلاء التام سياسيا واقتصاديا وعسكريا عن وادى النيل فورا ٠

٢ ـ المطالبة بتطبيق كادر الحكومة على جميع عمال مصر ٠

٣ ـ مكافحة البطالة بمنع أصحاب المصانع من غلق مصانعهم واستيلاء الحكومة على كل مصنع يحاول الاغلاق ٠

٤ ـ اعادة العمال المتعطلين الى أعمالهم ٠

٥ ـ الافراج عن العمال المقبوض عليهم بسبب نضالهم النقابى ٠

٦ ـ الاحتجاج الصارخ على تشريد وطرد زملائنا عمال شبرا الخيمة والمطالبة بوقف هذه الاجراءات فى الحال ٠

٧ ـ ٤٠ ساعة عمل فى الاسبوع ٠(٢)

---

(١) المؤتمر ـ نشرة غير دورية يصدرها مؤتمر نقابات عمال القطر ـ العدد السادس ١٨/٥/١٩٤٦ ٠

* اسمه الحقيقى موسى عبد الحفيظ ٠

(٢) خطاب من اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى الى النقابات ( نسخة أصلية ) ٠

وكان واضحا أن الهدف الاساسى من هذه الخطوة هو استجماع وحشد أكبر قدر من القوة والنفوذ تمهيدا لاعلان الاضراب العام الذى تحدد له يوم ١٠ يونيو ١٩٤٦ .

أما المجموعة الاخرى ( جماعة الفجر الجديد ) فقد صعدوا هم أيضا مواقفهم وأعلنوا تأسيس « اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات العمال » وقد وجهت هى الاخرى عدة نداءات الى النقابات العمالية فى صورة خطابات دورية وكان الخطاب الدورى رقم ١ يناقش الارهاب البوليسى المسلط على الحركة النقابية ويبصر العمال بحقوقهم القانونية ويدعوهم للتمسك بها(١) كذلك وجهت اللجنة سلسلة من الاحتجاجات على اضطهاد النقابيين وكانت تحرص فى كل منها على التأكيد بأنها « تضم مائة وثلاث نقابات تمثل ثلاثين ألف عامل » كذلك حرصت هذه اللجنة على الاهتمام بربط الحركة العمالية المصرية بالحركة العمالية العربية والحركات العمالية العالمية .

ومرة أخرى تبذل محاولات للتوحيد .. وتلتقى المحاولات عند نقطة واحدة « الدفاع عن العمال المعتقلين » وكانوا من جماعة الفجر الجديد ويصدر بيان مشترك من اللجنة التحضيرية والمؤتمر معنون « بيان الى العمال المصريين والشعب المصرى عن موجة الارهاب التى تجتاح البلاد وقد جاء فيه « الى العمال والعاملات .. الى كل مواطن مصرى يؤمن بحرية التفكير والكلام والاجتماع .. موجة من الارهاب توجه اليوم ضد الشعب المصرى ويتجه هذا الارهاب خاصة نحو الطبقة العاملة المصرية ويستهدف هذا الارهاب القضاء على حق كل مصرى فى الحرية »(٢) .

ثم تكون محاولة ثالثة للتوحيد .. وتأتى المحاولة هذه المرة من جماهير وقيادات الحركة العمالية ذاتها التى شعرت بأخطار الانقسام فى صفوفها . وفى ٣٠ مايو ١٩٤٦ عقد اجتماع ضخم يضم ممثلين للحركة النقابية المصرية وحضره مندوبو اللجنة التحضيرية للمؤتمر . وفى هذا الاجتماع برز تعاطف الغالبية مع اتجاه المؤتمر وبالفعل اتخذ الحاضرون قرارا « بتوحيد الحركة النقابية المصرية تحت راية مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى على أن تشكل قيادة مؤقتة تضم ممثلين للاتجاهين » ويقول

---

(١) اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ـ عضو مجلس اتحاد النقابات العالمى ـ خطاب دورى رقم ١ ( نسخة أصلية ) .

(٢) بيان مشترك من اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات الشركات والمؤسسات الأهلية ( نسخة أصلية ) .

طه سعد عثمان أحد كوادر جماعة الفجر الجديد ان هذا القرار قد اتخذ « أمام ضغط القاعدة العمالية وزعماء النقابات العمالية وخاصة فى الأقاليم » .

وبرغم ذلك يعود الانقسام فيتكرس من جديد لانه كان مجرد انعكاس لانقسام آخر قائم فى الحركة الشيوعية ذاتها . ويستمر التمايز فى المواقف ينعكس فى كل التصرفات سواء فى داخل الحركة العمالية أو خارجها .. وحتى فى مسائل عامة مثل تكوين « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » فقد كان قيام كل من ح.م . وايسكرا بدور نشيط فيها كفيلا باثارة الريب فى نفوس جماعة الفجر الجديد التى سرعان ما دفعت اللجنة التحضيرية الى توجيه خطاب للجنة الوطنية . والخطاب شديد الجفاف وهو يبدأ بهجوم عنيف ودون أية مجاملات « يهمنا أن تقرر الامور الاتية : لم تقم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بأى عمل ايجابى الى اليوم فنلاحظ أن اضرابات يومى ٢١ فبراير و ٤ مارس أيضا ليست من فعل اللجنة المباشر ، بل جاءت هذه الاضرابات بشكل تلقائى »(١) .

وفى هذا الخطاب نلمح آثار الخط الذى أشرنا اليه فى البداية ( العمال المتعصبون عن غير وعى لعماليتهم وغير المدركين لدور الفئات الثورية الاخرى ) ولهذا فقد ألح الخطاب على تعيير الطلاب بأنهم مجرد طلاب » ويؤكد لهم « أن مأموريتهم فى الفترة الحالية من تاريخ مصر ليست فى قيادة الحركة التحريرية فى البلاد ولكن فى مساعدة الطبقة العاملة على التعبير عما يجول فى خاطرها وعن أهدافها ومراميها »(٢) .

ولقد نختلف من الناحية النظرية حول دور الطلاب فى بلد شبه مستعمر كعنصر قيادى فى ذلك الحين ولكننا على أية حال لن نختلف على أن الخطاب قد جانبه الصواب .. ، وأن جماعة الفجر الجديد لم تقدر حقيقة الدور التاريخى الذى لعبته اللجنة الوطنية للعمال والطلبة تقديرا صحيحا .

وقبل أن ننتقل من هذه الفقرة لا بد أن نشير الى ظاهرة صدور العديد من الكتب والكتيبات ودواوين الشعر الشعبى الموجهة الى العمال والى خدمة معركتهم النقابية والطبقية .. والمحررة أساسا بأيدى طلائع العمال الواعين

---

(١) خطاب من اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى الى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ( نسخة أصلية ) .

(٢) طه سعد عثمان ــ الكاتب يوليو ١٩٧٢ .

•• مثل ديوان «أنا العامل»(١) الذى أثار اهتماما ملحوظا سواء لدى العمال أو فى دوائر الامن التى قدمت صاحبه للمحاكمة •• ومثل كتاب « النصيحة الى العمال فى مصر » والذى أصدره أحد العمال النقابيين من أعضاء حدتو •• وقد تضمن هذا الكتيب برنامجا من اثنى عشرة نقطة بعنوان من « أجل حركة نقابية موحدة » يتضمن مطالبا مثل :

- وضع حد أدنى للاجور •
- تأمين ضد البطالة والشيخوخة والعجز •
- تعديل قانون عقد العمل الفردى •
- تقييد سلطة أصحاب الاعمال فى فصل العمال •
- المساواة فى الأجور بين الجنسين •
- عدم تشغيل الأحداث من الجنسين •
- حق النقابات فى وضع مشروعات القوانين قبل صدورها •
- الاعتراف بحق الاضراب العام كحق مشروع •
- الاعتراف بالاتحاد العام •(٢)

واذا كانت عملية تنظيم الاضرابات العمالية واحدة من الادلة الهامة على مدى فعالية وحيوية النشاط الشيوعى فى صفوف الطبقة العاملة فلعله من المفيد أن نشير هنا الى تقرير محايد يستند فى الاساس الى تقارير أجهزة الامن •• ويقول « لقد كان أبرز مظاهر النشاط الشيوعى فى أوساط العمال هو الاضراب ، ومع أنه من قبيل التزيد نسبة كل الاضرابات العمالية الناشئة عن أوضاع اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها للجهود الشيوعية الا أنه ليس من المبالغة القول بأن نسبة كبيرة من هذه الاضرابات كانت ترجع لتأثير المنظمين اليساريين فى صفوف العمال »(٣)

---

(١) فتحى أحمد المغربى ـ أنا العامل ـ دار الفجر ( ١٩٤٦ ) ـ وقد قبض على المؤلف والناشر ، وكان المؤلف هو المتهم الاول فى قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ واتهمته النيابة بأنه حرر كتابا فيه « تمجيد للثورة الشيوعية واشادة بنتائجها وتحبيذ لنتائجها ودعوه للشعوب لترسم خطاها لنيل النتائج التى أسفرت عنها » •

(٢) يس مصطفى ، محمد فتحى ـ النصيحة الى عمال مصر ـ دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة ( ر•ت ) ـ ص ١٤ •

(٣) د• عبد الوهاب بكر ـ أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر ـ ١٩٢١ ـ ١٩٥٠ ـ دار المعارف ، القاهرة ( ١٩٨٣ ) ـ ص ٦١

## الفلاحين

ثمة حوار مثبت فى وثيقة ( محضر تحقيق نيابة المنصورة العسكرية فى قضية الشيوعية بالمنصورة ٢٩ ابريل ١٩٤٩ ) • والحوار بين المحقق وجاسوس دسه البوليس فى تنظيم حدتو بمدينة المنصورة ويسجل الجاسوس فى المحضر معلوماته عن خلايا الحزب بقرية طناح •• وعن نوعية أعضائها •• وبعد أن يروى الجاسوس كيف كلف من قبل لجنة المدينة يتولى مسئولية القرية • وكيف رتب له المسئول السابق طريقه للتعارف مع شخص أسمه الحركى « طلب » •

يدور الحوار :

المحقق ــ ما الذى دار بينك وبينه عندما تعرفت عليه ؟

الجاسوس ــ رافقنى الى الغيط فوجدت خمسة جالسين أمام فاخورة فى حقل مصطفى حافظ عبد الله ( أحد المتهمين ) وكلهم كانوا لابسين جلاليب زرقاء وقعدنا على الأرض وأنا تظاهرت بأنى ألقى محاضرة عن الاستعمار البريطانى ، ودفعوا مبلغ ٦٥ قرشا اشتراكات •• وقد طلبوا منى بعض الكتب الشيوعية ليقوموا بدراستها •• وقالوا انهم يبذلون جهدهم بقدر امكانهم على نشر المبادىء الشيوعية •

المحقق ــ وما الذى فهمته عن مدى ادراكهم للشيوعية •• ؟

الجاسوس ــ مثلا خلال الحديث عن القرية وأحوالها قال أحدهم أن تمينة الطوب تكلف جنيه ونصف للالف طوبة ويبيع صاحبها الالف بخمسة جنيهات دون أن يتعب •• وفى الاجتماع وعد أحدهم وهو فلاح أسمه عبد العزيز محمد وكان يلبس جلباب أزرق ووجهه أحمر بأن يقدم فى الجلسة القادمة كورس دراسى عن المجتمع الاقطاعى •

المحقق ــ كم كان عدد الشيوعيين بالقرية ؟

الجاسوس ــ قال أربعة من الجالسين بأن كل منهم قد كون خلية من فلاحى القرية بالفعل وأنه يقوم بالتدريس لها ، أما الخامس فكان بصدد تشكيل الخلية الخامسة »(١) •

---

(١) ملف قضية الشيوعية بالمنصورة ــ محضر تحقيق نيابة المنصورة العسكرية مع « الجاسوس » سعد زغلول المصيلحى فى ٢٩ ابريل ١٩٤٩ ، صفحات ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، من ملف القضية •

ولم تكن طنـــاح سوى واحـــدة من القرى التى امتـــد اليهـــا نشاط كوادر حدتو ، ولم يكن ما سبق سوى مثال لهـــذا النشاط ٠

والحقيقـــة أن النشاط الشيوعى وسط الفـــلاحين قـــد ظل ولفترة طويلة ـ وربما طوال الاربعينات ـ قاصرا على حدتو ٠

وكانت بدايات النشاط طبيعية ٠٠ طلاب يعـــودون خـــلال أجـــازاتهم الدراسية الى قراهم ( أحمد الرفاعى طالب الحقوق ٠ أقـــام هذا النشاط الشيوعى فى قرية طنـــاح وأمثلة أخرى عديدة ) ومع انتشار النشاط الطلابى انتشر العمل الفـــلاحى بصورة متفـــاوتة فى أماكن عديدة متناثرة على طول الوادى ويبقى منهـــا علامات بارزة ٠ فى قرى عديدة بمحافظـــات الدقهلية والغربية والجيـــزة وبنى سويف وأسيوط وغيرها رسخ فيهـــا الشيوعيون أقدامهم فى منـــاخ قـــد ينمو فيه العمل السياسى ببطء لكنه عنـــدما يستقر ٠٠ يستحيل اقتلاعه ٠

ولنلاحظ أن الشيوعيين باقتحامهم ميدان الريف كانوا أول من يقـــوم بعمل تنظيمى ذا طابع سياسى فى ريف مصر ، فالاحزاب الاخرى تواجـــدت على هامش الريف ووسط أعيانه وتواجـــدت كشعارات ولم تنجح مطلقـــا فى جذب الفـــلاح الى اطـــار العمل السياسى المنظم ، ناهيك عن العمل السرى ذو الأساليب الخاصة المتعلقـــة بالامن وتعليمات الحذر ٠

ولنلاحظ أيضا أن الشيوعيين وان أقاموا لانفسهم نقـــاط ارتكـــاز حزبية فى الريف ، وقـــد نجحوا فى ذلك الى ما ، لكنهم لم يكونوا ـ بعـــد ـ قادرين على خلق أجهزة للعمل الجماهيرى الفـــلاحى فهـــى أمر بالغ الصعوبة ، ولم يصبح الامر ممكنـــا الا فى الخمسينات حيث عادت كوادر حدتو تلعب دورها وخاصة فى الوجه البحـــرى ولتصدر مجلة « صوت الفلاحين » وتكون كتائب الانصار من فلاحى منطقة القناة فى عام ١٩٥١ ولجان المستأجرين ٠٠ الخ وفوق هذا كله لتلهب ريف مصر بانفجـــارات فلاحية عارمة كانت دليلا على عمق نفوذ الشيوعيين فى تلك القرى الباسلة ٠٠ بهوت ، درين ، كفور نجم ، البرامون التى انفجر فلاحوها بالغضب ضد الاقطاعيين حاملين سلاحهم فى هبة تقودهـــا العناصر الشيوعية فى هذه القـــرى ٠

٠٠ وكان العمل فى الريف حصنا للكثير من الكوادر المختفية عن أعـــين البوليس وكان مجالا لاستيعاب العشرات من المحترفين الثوريين الذين قاموا بنشاط متفـــان فى ظروف بالغـــة الصعوبة ٠

ويشهد ريف مصر ولاول مرة فى تاريخه شبانا ، مثقفين ، يتركون المدينة ، وكل شيء ، ليحترفوا مهمة غرس بذور الماركسية فى ريف مصر .

وابتداء من عام ١٩٤٧ وبعد القبض على أول قضية شيوعية فى الريف ( فؤاد عبد الحليم وجمال زكى ) اضطرت أجهزة مكافحة الشيوعية الى مد نشاطها بحيث يغطى معظم المدن الريفية فى كل مصر ) .

.. ان ملحمة الشيوعية والشيوعيين فى ريف مصر لم تكتب بعد برغم أنها غنية بتجارب ونضالات باسلة ، ولعل الامر ليس بحاجة الى جهد المؤرخ أو السياسى وحده ، بل لعله بحاجة أكثر الى جهد كاتب الدراما ليقدم لنا تلك النماذج الفذة من شباب مصر المثقف الذين اخترقوا ذلك الجدار السميك الذى يعزل القرية عن المدينة والفلاح عن المثقف وتخلوا عن كل شيء ليعيشوا فى أحضان ريف مصر يبذرون فى أرضه الخصبة بذور فكر جديد .

## الطــــلاب

كانت الحرب العالمية قد انتهت ، وكانت مصر تستعد للانفجار المرتقب ضد قوات الاحتلال ، وكالعادة - في بلد كمصر - اتجهت الانظار الى طلاب الجامعة باعتبارهم المفجر الطبيعي للانتفاضة التي طال انتظارها • وبدأت القوى السياسية تستعد لافتتاح الجامعات ، وامتلأت شوارع القاهرة والمدن الاخرى بكتابات على الجدران « يا شباب ١٩٤٥ كن كشباب ١٩١٩ » وكانت قيادة ح٠م تعتقد أن الجامعات ستنفجر بالثورة فور بدأ العام الدراسى في ٦ أكتوبر ١٩٤٥ ، واستعدت لذلك ببيانات الى الطلاب بل وبلغ من ثقتها في وقوع الانفجار المرتقب أن أصدرت في ٥ أكتوبر منشورا موجها الى « جنود الجيش والبوليس » تقول لهم فيه « أنهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب ألا يسمحوا لانفسهم بأن يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التي ستندلع غدا »(١) •

« •• لكن ٦ أكتوبر يأتي ، ولم تقم مظاهرات ، وتهكمت علينا كل المنظمات وثار عبد الفتاح الشرقاوى ( كان عضوا في ل٠م٠ الحركة المصرية للتحرر الوطنية وانقسم عنها في يوم ٦ أكتوبر ١٩٤٥ مكونا منظمة اتحاد شعوب وادى النيل ) وقال أنتم فشلتم وتحليلاتكم خاطئة • **لكننا قلنا** نحن لم نهزم وانما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لانها عجزت عن قيادة الحركة الوطنية في ظل الشعارات الملائمة وطرح علينا هذا واجبات جديدة هي العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة تقود العمل السياسى والوطني ، وبدأنا في تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال »(٢) •

وهكذا وبسرعة شديدة انتقل الشيوعيون من مجال التأثير من الخارج ( توجيه - نداءات للطلاب ) الى مجال التأثير من الداخل ( العمل النشيط والمكثف في صفوف الطلاب ) •

وقد شهد العام الدراسى ٤٥ - ١٩٤٦ عملا شيوعيا نشيطا غاية النشاط في صفوف الطلاب سواء في مجال العمل الحزبي أو العمل الجبهوى •• وانهمكت المنظمات الشيوعية في بناء قواعد واسعة لها في صفوف الطلاب •

---

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق •

(٢) المرجع السابق •

وكانت ايسكرا أوسع المنظمات نشاطا فى هذا المجال وكانت كوادرها الطلابية تلعب دورا هاما فى الحركة الطلابية ويليها منظمة ح٠م٠ التى انفردت تقريبا بالعمل فى مجالات هامة مثل الازهر ( عند الوحدة قدمت ح٠م ٢٢ عضوا فى لجنة قسم الازهر أما ايسكرا فقد قدمت عضوين فقط »(١) ٠ وكلية الفنون الجميلة وفى صفوف الطلاب السودانيين والنوبيين(٢) والتى تميزت بالعمل فى صفوف الطلاب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة ٠

٠٠ كذلك نشط الشيوعيون فى صفوف الطالبات وتأسست « رابطة طالبات وخريجات الجامعة » وتصف لطيفه الزيات أحد اجتماعات الرابطة فتقول « عقد اجتماع فى مدرسة الليسيه حيث ألقيت محاضرة وكان عدد الحاضرات يصل الى حوالى ٥٠٠ سيدة وكان اجتماعا حماسيا » وكانت لطيفه الزيات فى ذلك الحين عضوة فى تنظيم ايسكرا ٠(٣)

وتقول « أخبار اليوم » عشية حملة القبض الواسعة ضد الشيوعيين ( يوليو ١٩٤٦ ) ٠

« وثبت أن بين الشيوعيين فى مصر ٥٠ فتاة مصرية أغلبهن متعلمات تعليما راقيا ومن خريجات الجامعة أو الطالبات بها ، وقد أمر دولة صدقى باشا ( رئيس الوزراء ) بعدم التعرض لهن فى الوقت الحاضر »(٤)

وبدرجات أقل تواجدت المنظمات الاخرى فى الجامعة « فالفجر الجديد » و « القلعة » كان لهما بعض النشاط ٠٠ وقد كان الجو مهيئا تماما للنشاط الشيوعى والجبهوى فى صفوف الطلاب ٠

وسرعان ما أصبح الطلاب الشيوعيون ملء السمع والبصر فى عديد من الكليات مثل علوم القاهرة وعلوم الاسكندرية وطب القاهرة والاسكندرية والحقوق والتجارة بجامعة القاهرة وبلغ الامر الى حد اطلاق اسم الكلية الحمراء على كلية العلوم ٠٠ والى حد أن البوليس اتهم الطلاب أكثر من مرة

---

(١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل – جلسة المناقشة الاولى أجريت بالقاهرة فى ١٩٧٤/١٢/٢ ٠

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد – جلسة المناقشة الثانية – أجريت المناقشة فى ١٩٧٤/١١/٢٥ ٠

(٣) محضر نقاش مع لطيفة الزيات – أجرت المناقشة الباحثة الامريكية سيلما بوتمان – مكتوب بالآلة الكاتبة الانجليزية – أجريت المناقشة فى ١٩٨٠/٢/٩ – بالقاهرة ٠

(٤) أخبار اليوم – ١٣ يوليو ١٩٤٦ ٠

أثناء أضراباتهم واعتصاماتهم المتكررة خلال عام ١٩٤٦ بأنهم رفعوا الرايات الحمراء فوق أسطح الكلية وعندما أبلغوا عميد كلية علوم الاسكندرية الدكتور حسين فوزى بذلك رد على حكمدار البوليس قائلا « سأذهب يا سيدى الى سطح الكلية وأحيى العلم قبل انزاله »(١) .

ولعلنا بحاجة الى نموذج من أسلوب عمل حدتو وسط الطلاب .. ولنأخذ بعض أقوال سعد رحمى نموذجا :

« فى أكتوبر ١٩٤٦ دخلت كلية الطب وكان مسئولى فتحى خليل وقد نشطنا نشاطا واسعا فى لجان مكافحة الكوليرا وكنا نقوم بتوعية المواطنين ورش مسحوق الـ د.د.ت ، وبتوجيه من حدتو نشطنا مع لجنة الوفد فى مصر القديمة . وفى الصيف نظمت فى لجنة الروضة ومصر القديمة وكان مسئولى المهندس عبد العزيز أحمد فؤاد ولفترة من الوقت كان مسئولى آمال المرصفى ( بعدها أصبح ضابطا بالجيش ) ومع بداية العام الدراسى عدت الى خلية كلية الطب وكان عدد عضوية حدتو بالكلية أكثر من العشرين عضوا وأذكر من بين الأعضاء منير بطرس - فتح الله ناجح - يوسف أدريس - ابراهيم فتحى - صلاح حافظ - محمد يسرى أحمد وكان مسئولنا عبد الواحد بصيله »(٢) .

ومع رسوخ مواقع النشاط الحزبى واتساعه كان من الطبيعى أن يتسع النشاط الديمقراطى والجبهوى .

واذا كان ٦ أكتوبر ١٩٤٥ قد أتى بدون مظاهرات ، فان الطلاب الشيوعيين لم يضيعوا وقتهم ففى ٧ أكتوبر دعوا الى اجتماع عام بكلية الطب بجامعة فؤاد الاول - ( القاهرة ) وقد حضره مندوبون عن طلاب الجامعة والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والفنية . وحاول الاخوان المسلمون افشال هذا التحرك بالدعوة الى اجتماع مواز قالوا أنه قد حضره ٦٠٠٠ طالب ووجهوا باسمه رسالة الى رئيس الوزراء قالوا انها تنطق باسم (أرض مصر الخضراء )(٣) . وواضح أنهم هنا يحاولون التعريض بالنشاط الشيوعى وبرغم ذلك نجح الاجتماع الذى دعا له الشيوعيون وتقرر فيه تكوين « اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلاب » والتى حددت لنفسها أهدافا ثلاثة تقول :

---

(١) الطليعة . سبتمبر ١٩٧٥ . د. عبد العظيم أنيس . مقال شجاعة الرجال . تحية لحسين فوزى فى عامه الخامس والسبعين .

(٢) محضر نقاش مع سعد رحمى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٥ - ٩ - ١٩٨٢

(٣) الاخوان المسلمون فى الميزان - المرجع السابق .

* النضال من أجل الاستقلال الوطنى ومكافحة الاحتلال العسكرى والسيطرة الاستعمارية والاقتصادية والسياسية والثقافية ٠

* العمل على تصفية العملاء المحليين للاستعمار وهم الاقطاع وكبار الماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية ٠

* توحيد كل القوى الوطنية المعادية للاستثمار ٠

كذلك نص البيان الذى أصدرته « اللجنة التحضير » على أن التفاوض مع المستعمر حول حقوق الوطن خيانه (١) ٠

ونود أن نلاحظ هنا النفوذ الواضح للشيوعيين فى اختيار هذه الأهداف وصياغتها وأن نؤكد أنهم قد استطاعوا استقطاب عناصر واسعة من الشباب الوفدى ( كان مصطفى موسى زعيم الطلاب الوفديين رئيس اللجنة التحضيرية) وأنهم قد استقطبوهم على أرض تقدمية ( ضد الاقطاع وكبار الماليين وهى أمور لا بد لها وأن تغضب قيادة الوفد وضد مبدأ المفاوضة ـ فى الوقت الذى كان مصطفى النحاس زعيم الوفد قد وجه مذكرة ، قبل شهرين فقط من هذا التاريخ ، الى السفير البريطانى يعرب فيها عن استعداده للتفاوض (٢) ٠ وبسرعة فائقة مضى الشيوعيين يحققون هدفهم وهو خلق قيادة جديدة للحركة الوطنية بدلا من القيادات التقليدية التى أشهرت افلاسها فى ٥ أكتوبر ٠ ومن أكتوبر ١٩٤٥ وحتى فبراير ١٩٤٦ كانت الحركة الطلابية تموج بنشاط واسع النطاق ٠ حيث جرى تشكيل اللجان الطلابية فى مختلف السنوات الدراسية بالانتخاب المباشر ٠٠ وقامت هذه اللجان بدورها بانتخاب اللجنة التنفيذية لطلاب جامعة القاهرة ثم اللجنة التنفيذية للازهر ٠٠ وبدرجات متفاوتة كان هناك نشاط مماثل فى المعاهد العليا ، جامعة الاسكندرية وطلاب المدارس الثانوية ٠٠ وقد أسفرت الانتخابات عن نجاح ساحق للشيوعيين والتقدميين والوفديين وسقط معظم مرشحى الاخوان المسلمين ٠٠ ومن جماع هذه اللجان انتخبت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة وانتخب مصطفى موسى زعيم الطلاب الوفديين وأحد قادة الجناح اليسارى للوفد ( الطليعة الوفدية فيما بعد ) رئيسا لهذه اللجنة ٠

---

(١) عبد المنعم الغزالى ـ ٢١ فبراير ١٩٤٦

2) Jean-Pierre THIECK — La Journee de La 21 Fevrier 1946 . P. 167.

وفى ٦ فبراير ١٩٤٦ وجهت اللجنة التنفيذية العليا خطابا مفتوحا لرئيس الوزراء حددت فيه مطالبها وأهدافها بصورة تعكس نفوذا واضحا للشيوعيين والتقدميين(١) .

ومن التقاء اللجنة التنفيذية العليا للطلبة مع القيادات العمالية التقدمية الجديدة للحركة الوطنية المصرية . التى قادت أحداث فبراير ومارس ١٩٤٦ تكونت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وهكذا - وبسرعة - تواجدت القيادة التى رسخت وبصورة لم يسبق لها مثيل من قبل دور الشيوعيين واليسار عموما كقوة أساسية وفاعلة فى صفوف الحركة الوطنية المصرية .

ومع تزايد النشاط الشيوعى وسط الطلاب ، تزايد اهتمام أجهزة الامن بالعمل وسط هذا المجال فى محاولة لتعقب النشاط الوطنى عامة والشيوعى خاصة ، وثمة وثيقة وجدنا ترجمتها الفرنسية فى محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية وهى مذكرة معنونة « مذكرة مرفوعة الى معالى وزير الداخلية » من « مدير الامن العام محمود غزالى ومؤرخة ٣٠ - ٥ - ١٩٤٥ وتقول «بالاشارة الى المذكرة رقم ٥٦٧/٥٦/أ والمؤرخة فى ٢٥ - ٥ - ١٩٤٥ بشأن تعيين ٢٠ عميل سرى بين طلاب الجامعات والمدارس الثانوية لمتابعة الانشطة المتطرفة أتشرف بأن أقدم قائمة بالخمسة عملاء الاول وسوف يكونون تابعين مباشرة للقسم السياسى لادارة الامن العام ..

وتورد المذكرة الاسماء ( التى نعتذر عن ذكرها ) ثم تورد قرين كل منها الكلية أو المدرسة وهى كلية العلوم - جامعة فؤاد ، كلية الاداب - جامعة فاروق ، كلية الحقوق - جامعة فاروق ، مدرسة فؤاد الاول الثانوية ، مدرسة الخديوية الثانوية »(٢) .

---

(١) الوفد المصرى - ١٩٤٦/٢/٧ .

(٢) مذكرة مترجم نصها الى الفرنسية بمعرفة سفارة فرنسا بالقاهرة ومودعة بأرشيف الخارجية الفرنسية والمذكرة معنونة « وزارة الداخلية - ادارة الامن العام - البوليس السياسى ٤٥/٨٩/ت .

## العمـل الجبهـوى

وهو مجـال سجل فيه الشيوعيون المصريون نجاحات هامة مكنتهم من أن يرسخوا أقدامهم فى حقـل العمل السياسى وأن يمارسـوا تأثيرا متزايـدا فى صفوفه .

ويمكن القـول أن هنـاك ـ فى هذا الصدد ـ تجربتين متمايزتين ..

تجربة مجموعة الفجر الجـديد بالعمل ( داخل ) حزب الوفـد ، وتجربة « حدتو » بالتحالف أو التعاون ( من الخـارج ) مع القوى السياسية والجماهيرية المختلفـة ..

والحقيقـة أن موقف مجموعة الفجر الجـديد من حزب الوفـد كان محلا لاقاويل عديدة حيث استقر فى أذهـان الكثيرين أن مجموعة « الفجر الجديد » لم تسع الى تأسيس حزب أو تنظيم شيوعى ـ فى بادىء الامر ـ لانهـا كانت من حيث المبدأ ضـد قيـام حزب شيوعى ، وانهـا كانت تستهدف ـ فحسب ـ العمل من داخل صفوف حزب الوفـد بهـدف خلق تيار يسارى فى صفوفه .

لكن مؤسسى « الفجر الجـديد » ينفون ذلك بشدة(١) ولعله من الضرورى اذن أن نعود الى ما كتبته « الفجر الجـديد » عن حزب الوفـد ، وخاصة الى مقـال بعنوان « الديمقراطية المصرية بين أنصارها وأعدائها » والمقـال يكيل المديح للوفـد « الـذى انطلق يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية فى الست والعشرين سنة الأخيرة » ولكنه يعود فيحذر من أن ديمقراطية الوفد تقف عند حدود معينة « فعلى الرغم من أن الوفـد يؤيـده غالبية الشعب الا أن قيادته لا تمثل تمثيلا حقيقيـا صادقـا بين الطبقـات والطوائف وتخص بالذكـر طبقـة العمال والفلاحين الأجراء وطائفـة طليعـة الديمقراطيين من المثقفين المصريين » . ويقـول الكـاتب ان العمـال والمثقفين الطليعيين « على الرغم من تأييـدهم ـ غير المعلق على شرط ـ للوفـد فى كفـاحه الديمقراطى ضـد خصوم الديمقراطية .. الا أنهم يشعرون مع ذلك أن مصلحة وطنهم تتطلب ديمقراطية أكثر من التى يقدمها الوفد »(٢) .

---

(١) محضر نقـاش مع أحمد صادق سعد ـ المرجع السابق
(٢) الفجر الجديد ١٦/٧/١٩٤٥

وثمة مقال آخر يهاجم فيه أبو سيف يوسف مذكرة الوفد الى السفارة البريطانية ويصفها بأنها « حل انتهازى لانه ضحى بمصلحة الطبقات الشعبية فى سبيل مصلحة حزبية »(١) ٠

ومثل هذه المقالات تقدم من جانب كوادر « الفجر الجديد » كأدلة على خطأ فكرة سعيهم الى الاكتفاء بالعمل فى صفوف حزب الوفد ، وان كان من السهل الرد عليها بأنه حتى يسار حزب الوفد كان يكيل انتقادات أشد وأعنف لقيادة الوفد من تلك التى ساقتها « الفجر الجديد » ٠٠

لكن المسألة الخاسمة ـ والتى تستحق التأمل ـ هى موقف مجموعة « الفجر الجديد » من مقال شهير نشرته « الجماهير » بعنوان « يريد الشعب حزبا ٠٠ من نوع جديد » يدعو فيه كاتبه ( شهدى عطية الشافعى )* صراحة الى تأسيس حزب للطبقة العاملة ويقول « ان العمال ليدركون أن التاريخ قد عهد اليهم برسالة مقدسة ٠٠ أن يحرروا العالم من عبودية استمرت أجيالا وراء أجيال وأن عليهم أن يشيدو عالما لا يعرف البطالة والحرمان عالما لا يعرف الخوف والجوع والحروب ٠٠٠ ولهذا نجد اليوم فى أكثر بلدان العالم أحزابا عمالية يتجمع حولها الملايين »(٢) ٠

لكن أحمد رشدى صالح أحد قادة « الفجر الجديد » يسارع بالرد على شهدى فى مجلة وفدية مهاجما الفكرة مؤكدا أن الدعوة من أساسها خاطئة ٠٠ وردا على مقال رشدى صالح يعود شهدى للتأكيد فى عدد لاحق « نعم ! يريد الشعب حزبا من نوع جديد »(٣) شن فيه هجوما عنيفا على كاتب المقال الذى وصفه بأنه تستر خلف مجلة « وفدية صديقة » ٠

ولعل من حق القائلين بأن مجموعة « الفجر الجديد » كانت تكتفى فى هذه الفترة بالعمل فى كنف حزب الوفد أن يستخدموا هذه الواقعة بالذات دليلا على صحة قولهم هذا ٠

---

(١) الفجر الجديد ١٣/٦٣/١٩٤ ٠

* وقع المقال باسم محمود حمدى وهو الاسم الذى اعتاد شهدى عطية أن يوقع به مقالاته فى الجماهير ـ المؤلف ٠

(٢) الجماهير ٢٨/٤/١٩٤٧ ٠

(٣) الجماهير ٥/٥/١٩٤٧ ٠

ويعترف أحد مؤسسى الفجر الجديد ـ صادق سعد .. « أعترف أن هذا كان خطأ فقد فهم من مقال رشدى صالح أننا معارضون فى تأسيس الحزب الشيوعى ، وأننا معارضون للوحدة مع هذا الحزب وهذا غير صحيح ولكن موقفنا كان أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد ، وفى هذا الوقت بالتحديد وبهذه السياسة بالتحديد دعوة غير مقبولة ، ولكننا ـ على أية حال ـ نتحمل مسئولية الموافقة على هذا المقال »(١) .

أما حدتو فقد رسخت بالفعل تقاليد عمل جبهوى يعتمد فى الاساس على تمايز منبرها المستقل وتحالفه ـ من خلال هذا التمايز ـ مع القوى السياسية الاخرى ومنها يسار حزب الوفد ومختلف الهيئات والمنظمات الوطنية ..

ومنذ البداية كانت ح.م صاحبة هذا التقليد . وقد تمثلت أولى خطواتها فى هذا الاتجاه فى تأسيس « جبهة الهيئات العامة » التى أعلن عن قيامها فى ٦ أكتوبر ١٩٤٥ . ( وها نحن نعود مرة أخرى الى ذلك اليوم الذى لم تنفجر فيه مظاهرات طلاب الجامعة فأكدت ح.م عجز القيادات التقليدية والحاجة الى خلق منبرها العلنى مجلة أم درمان التى كتبت تقول « تألفت فى مصر جبهة من عدد كبير من الهيئات العامة الشعبية احتفظت فيها كل هيئة بذاتها واتفقت على وجهة نظر واحدة فيما يتعلق بالمطالب الوطنية لوادى النيل وكانت الهيئات المشتركة فى هذه الجبهة هى : اتحاد خريجى الجامعة ـ اتحاد الفنون والهندسة التطبيقية ـ اتحاد حملة البكالوريا ـ اتحاد خريجى المدارس الابتدائية ـ لجنة نشر الثقافة الحديثة ـ أصدقاء الفجر الجديد ـ جمعية الدعاية للحج ـ هيئة العلماء ـ واشتركت « أم درمان » فى هذه الجبهة ... هذا وقد وضعت هذه الجبهة مذكرة ضمنتها رأيها فى المطالب الوطنية ورفعتها الى رفعة رئيس الديوان الملكى ودولة رئيس الوزراء ورفعة رئيس الوفد وباقى الزعماء وسفراء الدول الأجنبية وقد أذاعت هذه الجبهة بيانا الى الشعب المصرى ودعته الى أن « يطالب بحقوقه الوطنية والجلاء عسكريا وسياسيا واقتصاديا عن مصر والسودان »(٢) .

ونلاحظ أن هذه الجبهة كانت خالية من ممثلى الاحزاب السياسية الاخرى لكننا نلاحظ أيضا اتساعها وشمولها لهيئات عديدة قد يصعب

---

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد ـ المرجع السابق .
(٢) أم درمان ٦/١٠/١٩٤٥ .

تدهور نجاح الشيوعيين فى جذبهـا الى غمرة العمل المشترك مثل « هيئـة العلماء » ( وهم خريجو الازهر ) وجمعية الدعاية للحج ٠٠ الخ ٠٠

وسرعان ما ينجح الطـلاب الشيوعيون فى اقـامة تحـالف جبهوى واسع يضـم كـل الطـلاب الوطنيين والتقـدميين وخاصـة ممثلوا يسـار حزب الوفـد فى اطـار اللجنة التنفيذية العليـا للطلبة ثم اللجنة الوطنية للطلبـة والعمال ٠

وقـد كان هذا التحـالف خطوة هامة ونقطة تحول خطيرة فى تاريـخ العمل السياسى المصرى فقـد استطـاع هذا الخلف أن يصبح ـ وبالفعل ـ قيادة حقيقية للحركة الوطنية المصرية وأن يقود مصر كلهـا باتجـاه النضال المتصاعد ضـد الاستعمار وعملائه ٠ ولقـد يتطرف البعض ليقـول « كـان تحـالف اليسار الوفـدى مع الشيوعيين يشيع الديمقراطية فى صفوف الجماهير ويهيىء الشعب لتسلم أمر البلاد كلهـا »(١) ٠٠ لكننـا ومع تسليمنا بما فى هذا القـول من بعض المبالغة الا أننـا نؤكـد أن مصر قـد شهدت فى ظل قيـادة « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » مدا ثوريا عارما ، يقود جمـاهير شعب مصر فى اطـار ثورى وتقـدمى بالفعل ٠ ولعلهـا المرة الاولى فى تاريخ مصر الحـديث التى ينجح فيهـا الشيوعيين فى التصدى لتأسيس وقيـادة عمل جبهوى يستطيع أن يقـود وبالفعل جماهير شعب مصر فى طريق العمـل الوطنى فى اطـار ثورى ٠٠ واذا كان والتر لاكور يتحـدث عن أحداث ١٩٤٦ فيقول « ان التـاريخ لا يعرف مجتمعـا لعب فيـه الطلبة والمثقفون بصـفة عامة دورا طليعيا فى الحركة الوطنية كما حدث فى مصر »(٢) فان لاكـور قـد نسى أو تناسى أن الدور الاساسى فى هذه الاحداث كان ـ بالفعل ـ للشيوعيين المتمركزين فى صفوف الطـلاب والمثقفين والعمال والذين استطاعوا أن يحركوا قيادات وجماهير هذه الفئـات فى اتجـاه وطنى وثورى صحيح ٠

والحقيقـة أن « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » التى جسدت شعـارا قديما تردد أيـام ثورة ١٩١٩ « يحيـا الطلبة مع العمال » والتى نجحت فى تكوين محتوى وطنى وطبقى معـا يناضل مع أجل المطالب الوطنية والطبقية كانت خطوة متقـدمة للغـاية فى طريق العمل السياسى والثورى فى مصر ٠٠

---

(١) أنور عبد الملك ـ مصر مجتمع يبنيه العسكريون ـ المرجع السابق ص ٣٨ ٠

2) Walter Laqueur — Ibid 273..

وكان يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ واحدا من أكثر أيام التاريخ المصرى خلودا وقد أصبح عيدا عالميا للطلاب تمجيدا للنضال المصرى ضد الاستعمار . وعقب الاحداث الدامية لهذا اليوم ( ١٥ قتيلا و ١١١ جريحا فى المصادمات مع قوات الاحتلال بالقاهرة وحدها ) أصدرت اللجنة بيانا تطالب فيه «بسحب القوات البريطانية من المدن الكبرى فورا ، وأن تعلن الحكومة - كما يعلن كل مصرى مسئول رفضه الحكم أو المفاوضة الا على أساس تصريح يصدر من الجانب البريطانى بالجلاء »(١) .

لكن الملفت للنظر أن ذلك التحالف بين العمال والطلاب والذى استطاع أن يقود جماهير الشعب المصرى لم يقم على أساس المطالب الوطنية فحسب وانما أيضا على أساس تبنى مطالب طبقية فقد أصدرت اللجنة بيانا يندد بالحكومة التى بدأت « هجومها على مستوى معيشة الشعب الذى لا يكاد يجد القوت ، حتى تنتفخ جيوب أصحاب الاعمال والمستعمرين بالارباح الطائلة من دماء الملايين وقوت أبنائهم » . ويمضى البيان مدافعا عن حقوق العمال ومطالبا بتطبيق كادر عمال الحكومة على عمال الشركات وبالحريات النقابية »(٢) .

ولا يملك المؤرخ الا أن يدهش لهجوم مجموعة « الفجر الجديد » على « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » خصوصا وأنها كانت وثيقة الصلة بالقيادات النقابية الوفدية الممثلة فيها .. ولقد طالعنا فى صفحات سابقة ذلك النقد الشديد والجارح الذى وجهته اليها عن طريق « اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال مصر » .. ولكن صادق سعد يبرر هذا الهجوم بقوله : « فى هذه الفترة انتشرت فكرة خاطئة هى أن « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » وفروعها هى الشكل المصرى للسوفيتات وقد عارضنا هذه الفكرة لاسباب واضحة وعلى أساس عزلة اللجنة عن الفلاحين .. وكانت اللجنة فى اعتقادنا لجنة تحريك أى لجنة عمل وليست تنظيما مستقرا ولا يمكن أن يحل محل الجبهة »(٣) . ولقد أدرك الشيوعيين أن الاطار الجبهوى للنضال يجب أن يمتد ليشمل جماهير أوسع ومجالات أكثر ومن هنا فقد سعوا الى تأسيس لجان وطنية شعبية فى مختلف الاحياء تضم فى صفوفها ممثلى

---

(١) روز اليوسف : ١٩٧٢/٢/٢١ - مقال د. محمد أنيس « ٢١ فبراير فى التاريخ المصرى » .

(٢) بيان من « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » معنون : مؤامرة على الحركة الوطنية ( نسخة أصلية ) .

(٣) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد : المرجع السابق .

مختلف الطوائف والفئات . غير أن مثل هذا النشاط لم يحقق النجاح المرجو له .

وعلى أية حال فان تجربة « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » تمثل على مدى تاريخ مصر الحديث نموذجا ممتازا للتحالفات التى يبنيها الشيوعيون مع القوى الوطنية الاخرى فى اطار ثورى وتقدمى .

وفى أغسطس ١٩٤٧ تعلن « الجماهير » لسان حال منظمة « حدتو » عن محاولة جديدة لتاسيس جبهة من الاحزاب والهيئات الديمقراطية اسمها « الجبهة الوطنية الشعبية » وتقول انها تضم « ممثلى شباب وعمال الهيئات التالية : الوفد المصرى ـ الكتلة الوفدية ـ الجبهة الاشتراكية ـ حزب العمال الاشتراكى ـ رابطة الطلبة المصريين ـ مندوبى العمال المصريين فى المؤتمر العالمى لنقابات العمال ـ اتحاد الطلبة السودانيين ـ اللجنة التحضيرية للاتحاد النسائى الدولى » . ويلاحظ أن « حدتو » فى محاولتها لتوحيد هذه القوى السياسية لم تتجه الى قياداتها التقليدية وانما ضمت الى الجبهة ممثلى « الشباب والعمال » فيها .. « وقد حددت الجبهة الوطنية الشعبية أهدافها فيما يأتى :

**أولا** : الكفاح لتحقيق الجلاء العسكرى والسياسى والاقتصادى عن وادى النيل جلاءا تاما ، عاجلا ، ناجزا ، غير مقيد أو مشروط بشرط .

**ثانيا** : رفض كل اتجاه لعقد تحالف عسكرى أو اقتصادى مع الدول الاستعمارية وخاصة انجلترا وأمريكا .

**ثالثا** : تحقيق وحدة وادى النيل بالطريقة التى يراها أبناء الوادى بشطريه .

**رابعا** : محاربة كل محاولة لاستئناف المفاوضات .

**خامسا** : الدفاع عن الدستور والحريات العامة والكفاح لتدعيم الديمقراطية السياسية بالبلاد ومناهضة حكم الاقليات والديكتاتورية .

**سادسا** : مناصرة الشعوب المضطهدة ضد مستعمريها ومستغليها .

**سابعا** : مناصرة الطبقات الشعبية من عمال وفلاحين وصغار تجار وموظفين من أجل مطالبها العاجلة فى رفع مستوى معيشتها تحقيقا للعدالة الاجتماعية »(١) .

---

(١) الجماهير ١٩٤٧/٨/٢٣ .

وثمة أنشطة أخرى عديدة للعمل الجبهوى لم تنحصر فحسب فى اطار العمل الوطنى والسياسى وانما امتدت الى مجالات أخرى للخدمة العامة مثل محو الامية وغيرها ولعل أبرزها وأكثرها نجاحا هو « لجان مكافحة الكوليرا » التى كونتها « حدتو » فى مختلف الأحياء والمدن بهدف مقاومة وباء الكوليرا الذى انتشر فى صيف عام ١٩٤٧ والتى لعبت دورا هاما فى هذا الصدد .

* *

ولم يكن كل ما سبق سوى محاولة لاثارة خيال القارئ حول نوعية وحجم وعمق نشاط الشيوعيين المصريين فى صفوف جماهير شعبهم وفى مختلف المجالات . لم يكن محاولة لتسجيل كل هذه النشاطات وانما مجرد ايراد لنماذج بارزة تستطيع أن تلهم خيال القارئ نوعا من التصور المجسم للعمل المتسع والنشاط المحتدم الذى خاض شيوعيو الاربعينات غماره محاولين أن يغرسوا أقدامهم عميقة فى تربة العمل الوطنى والثورى الخصبة .

## - ٣ -

## فى غمار العمل السرى

« ولسوف يظل هذا العالم نارا حية أبدا ، تشتعل بانتظام ، وتخمد بانتظام ، لتشتعل من جديد » ..

هيراقليطس

واذا جاز لنا أن نعتبر أن الفصل الثانى من هذه الدراسة كان محاولة للنظر من الخارج على نشاط الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينات ، بمعنى محاولة متابعة نشاطها الجماهيرى والعلنى ، فان هذا الفصل هو محاولة للنظر الى الداخل ، أى متابعة حركة البناء الحزبى والتنظيمى ، وأساليب النشاط والصراع داخل المنظمات الشيوعية ذاتها ..

ولسوف نتابع هذه المحاولة على ثلاث مراحل :

- التجمعات الاولى .
- الوحدة .
- الانقسام .

# التجمعــات الأولى

## تحرير الشعب :

كان مارسل اسرائيل (شيريزى) عضوا فى اتحاد أنصار السلام بالقاهرة فى صيف عام ١٩٣٥ · ثم سافر فى عام ١٩٣٦ الى لبنان فى رحلة علاجية « وخلال هذه الفترة اتصل بى الرفيق فرج الله الحلو ، وقدمنى الى شاب فى منتهى الذكاء والقوة هو نقولا شاوى سكرتير الحزب الشيوعى اللبنانى الحالى ، وأخذت اجتمع عدة مرات مع شاوى وأخرين فى منزل رفيق فرنسى ، ثم قدمني شاوى الى الرفيق خالد بكداش ورفيق ارمنى الأصل اسمه ميدويان وكان شاوى يناقشنى باستمرار فى أن واجب كل شيوعى يعيش فى مصر هو الاتصال بالعمال والمثقفين المصريين واقناعهم بالشيوعية · ثم طلب منى لدى رجوعى الى مصر أن أراسل جريدة « صوت الشعب » بمقالات وأخبار عن الاوضاع فى مصر وقد واظبت طوال عامين تاليين على القيام بهذا العمل »(١) · *

« ولدى رجوعى من لبنان طلبت من سكرتير اتحاد السلام ـ وكنت متأكدا من أنه شيوعى ـ مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين لكنه رفض النقاش وقال أنه لا يقبل النقاش فى أى موضوع غير الاهداف المعلنة للاتحاد · فقمت بالعمل على تكوين تيار داخل الاتحاد ينادى بتمصير نشاطه مما أدى الى ابعادى عمليا من الاتحاد »(٢) ·

وهكذا انسحب مارسيل من اتحاد أنصار السلام وانسحب معه آخرون يحلمون بتأسيس تنظيم شيوعى من المصريين ·

---

(١) مارسيل اسرائيل « شيريزى » ـ تقرير يجيب فيه على أسئلة مكتوبة وجهها له المؤلف ( مخطوط باللغة العربية مؤرخ مارس ١٩٧٣ ) ·

(*) فى محاولة للتثبت من هذه الواقعة وجهت سؤالا مكتوبا الى الرفيق نقولا شاوى وقد تفضل بارسال الرد التالى كتابة « المعنى وصل من مصر الى بحمدون فى صيف ١٩٣٥ وكان معه عنوان معلم صديق لابو زهير ( نقولا شاوى ) واخوانه فاتصل به · وفى هذه الفترة كان فى لبنان رفيق فرنسى وعن طريقه توثقت المعرفة بين أبو زهير وأنطون ثابت والمعنى · ثم عاد الى لبنان مرات عديدة قام خلالها بالاتصال بأبو زهير واخوانه · وفى عام ١٩٤٦ ولدى مرور أبو زهير بالقاهرة عند عودته من لندن قبل أسبوع من هجوم اسماعيل صدقى على الشيوعيين اجتمع أبو زهير بالعديد من الشيوعيين المصريين من مختلف المجموعات ومنهم المذكور » ( المؤلف ) ·

(٢) المرجع السابق ·

يقول ريمون أجيون « فى نوفمبر ١٩٣٩ تركت اتحاد أنصار السلام أنا ومارسيل اسرائيل وراؤول كوريبل وفتاة يونانية كانت تشتغل بالصحافة ٠٠ وكان مارسيل أكثرنا خبرة ، لكن خبرته كانت هى أيضا متواضعة وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جاكو دى كومب كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الأجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين ومشاكل مصر الحقيقية »(١) ٠

وبالاضافة الى مارسيل اسرائيل وريمون أجيون كان هناك راؤول مكاريوس وزوجته وسيدة ايطالية اسمها فاوستا تيرنى (٢) ٠

وقررت هذه المجموعة تأسيس مجموعة ماركسية ٠٠ « وبدأنا ، كان مارسيل يعمل فى مصنع قرب حلوان وكانت لديه بعض علاقات بالعمال ، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب وفى نفس الوقت تأسس النادى الديمقراطى وانضممنا اليه لنعمل فى داخله »(٣) لكن مارسيل مالبث أن اختلف مع ريمون وراؤول كوريبل بسبب الاتجاهات السياسية لمجلة « دون كيشوت » التى كانا يصدرانها فى ذلك الحين(٤) ٠ ثم ما لبث أن اختلف داخل الاتحاد الديمقراطى مع هنرى كورييل وهليل شوارتز حيث نهج كل منهما نهجا مختلفا فى محاولة تأسيس تنظيم شيوعى ٠

ويقول مارسيل « ركزت المجموعة المركسية على التكوين الماركسى للعناصر المصرية التى تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد الديمقراطى أو عن طريق « الفن والحرية » ونظمت دراسات فى الماركسية باللغة العربية ، وخلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه المجموعة أن تجند وتنظم العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية فى صفوفها ٠ وفى عام ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول الى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تمت خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف فى مصر وتقرير عن التنظيم ٠ قدمه مصرى كان عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى ) * وسميت المنظمة

---

(١) محضر نقاش مع ريمون أجيون — أجريت المناقشة فى باريس — ١٩٧٣/٤/٤ ٠

(٢) محضر نقاش مع راؤول كوريبل — أجريت المناقشة فى باريس فى منتصف نوفمبر ١٩٦٨ ٠

(٣) ريمون أجيون — المرجع السابق ٠

(٤) ريمون أجيون — المرجع السابق ٠

(*) هو تحسين المصرى وكان يدرس الهندسة فى باريس حيث انضم لفترة من الوقت الى الحزب الشيوعى الفرنسى ٠

التى أعلن تأسيسها « منظمة تحرير الشعب » وانتخبت لجنة تنفيذية ضمت ثلاثة من المصريين بالاضافة الى مارسيل اسرائيل ٠٠ »(١) ٠

وقد لعبت « تحرير الشعب » دورا هاما فى عديد من المجالات ، سواء فى النشاط العلنى فى الاندية والروابط « الخبز والحرية » و « ثقافة وفراغ » « لجنة نشر الثقافة الحديثة » وفى مجال الصحافة اليسارية والنشر « التطور » « المجلة الجديدة » « الأسبوع » « دار الفجر » أو فى النشاط السرى الذى نجح الى حد ما فى اجتذاب عدد من الكوادر المصرية مثل أسعد حليم ، صالح عرابى ، عبد العزيز هيكل ٠٠ وقد بذل مارسيل اسرائيل جهدا أساسيا فى تثقيف وتوعية هذه الكوادر المصرية ٠

يقول أسعد حليم « كان مارسيل المحرك والمنظم الفعلى لنشاطنا ، كان أكبرنا سنا وأوسعنا ثقافة وادراكا ، كانت الماركسية تبهرنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا بهرنا به ٠٠ والحقيقة أن مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدا خارقا فى تثقيف عدد من الكوادر المصرية ٠ لقد ثقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدا كبيرا فى اعدادها وكانت هذه المحاضرات تتضمن المادية والمثالية ، الجدلية ، المادية التاريخية وتطور المجتمعات ، المجتمع الرأسمالى وقوانينه ، صراع الطبقات ، الدولة ، الحرب ٠٠ ألخ (٢) ٠

وما لبثت « تحرير الشعب » أن تعرضت لضربات البوليس الذى قبض على حوالى عشرة من كوادرها وأغلق مقر نادى « ثقافة وفراغ » فى ١٠/١٥/ ١٩٤١ لكن التحقيق ما لبث « أن حفظ فى ١٩٤١/١١/٢٧ » (٣) ٠ وأفرج عن الجميع ما عدا مارسيل اسرائيل الذى أرسل الى معتقل الايطاليين ٠

« وفى يوليو ١٩٤٢ وخلال هجوم روميل على مصر تدخلت الحركة الايطالية المعادية للفاشية وتدخل أيضا الرفيق أبو بكر حمدى سيف النصر

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية ـ مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى ـ المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع أسعد حليم ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٦٩/١٠/٢٠ ٠

(٣) حكمدارية بوليس مصر ـ مذكرة معلومات عن هنرى دانيل نسيم كورييل ٠

ابن وزير الحربية حينذاك للافراج عنى ، وتحت هذا الضغط تسلمنى البوليس السياسى ليلا من المعتقل وصحبنى حتى أبعدنى خارج الحدود الى فلسطين »(١) .

وبعد هذه الضربة وبسبب ترحيل مارسيل خارج مصر تعرضت « تحرير الشعب » لفترة من التفكك والضعف ، بل ان بعض كوادرها انضم الى منظمات أخرى . ولكن مارسيل ما لبث أن عاد الى مصر فى عام ١٩٤٤ ليعيد تنظيم تحرير الشعب وفى هذه المرة يحرص مارسيل على التأكيد بأنه كان « العضو الوحيد غير المصرى فى صفوفها »(٢) .

.. « وكان نشاطى يقتصر على تدريس الماركسية ، وكنت مكلفا بالاتصال بـ ( ح.م ) وايسكرا »(٣) .

---

(١) مارسيل اسرائيل - تقرير مخطوط باللغة العربية - المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) مارسيل - رسالة الى المؤلف - المرجع السابق .

## منظمة القلعة :

كانت مصر هى تلك التى عرفناها فى الفصول السابقة ، وكان شبابها هم هؤلاء الذين تابعنا حركتهم فيما مضى من صفحات ..

وفى زاوية الطريق بين مسجدى الرفاعى والسلطان حسن بحى القلعة كانت مجموعة من طلاب المدارس الثانوية تلتقى بشكل عابر لتناقش عديدا من القضايا التى كانت تموج بها أفكار شباب هذه الفترة .

وحى القلعة كان مقرا للثكنات الاساسية لقوات الاحتلال البريطانى ، والى جواره تماما أى فى حى الحلمية الجديدة كان هناك المقر الرئيسى لجماعة الاخوان المسلمين وفيه أيضا فى شارع درب اللبانة كان « بيت الفن » الذى تحدثنا عنه .

وهكذا فالمكان مهيأ تماما للعمل السياسى والمناخ العام يحث هؤلاء الشبان على الاهتمام بالسياسة ، وأحدهم وهو مصطفى هيكل يسكن المنزل المجاور لبيت الفن — ويختلط بهؤلاء الفنانين والمثقفين التقدميين من أمثال كامل التلمسانى ورمسيس يونان ويوسف حلمى عن طريق أخوه أحمد هيكل الذى كان رساما يشارك فى نشاط بيت الفن(١) .

« وهكذا يتسرب الفكر التقدمى الى مناقشات هؤلاء الشبان ، وعن طريق أنور كامل ( بيت الفن ) التقى مصطفى هيكل بعبد العزيز هيكل ( الخبز والحرية ومنظمة تحرير الشعب ) ورغم انهما أبناء عم فان العلاقة السياسية لم تتوثق بينهما واكتفى عبد العزيز هيكل بأن أوضح له بعض الامور وأجرى معه بعض المناقشات »(٢) .

وهكذا بدأت هذه المجموعة من الشبان تتجه نحو الفكر الاشتراكى لكنها ظلت طوال عامى ٤٠ — ١٩٤١ مجرد مجموعة من ثمانية أشخاص ( خمسة من طلاب المدارس الثانوية وطالب أزهرى وعامل وحرفى ) تناقش فيما بينها أحوال الوطن وتطورات السياسية بمفهوم تقدمى .. ويأتى حادث ٤ فبراير ليهز وجدان هذه المجموعة من الشبان هزا عنيفا .. « وفى آخر فبراير ١٩٤٢ قررنا أن نكون تنظيما وكونا خلية واحدة كنت

---

(١) د. مصطفى هيكل . تقرير ( مخطوط ) بعنوان « حول منظمة القلعة الشيوعية » ، كتبه فى عام ١٩٧٢ بناء على طلب المؤلف .

(٢) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكل جلسة المناقشة الاولى — برلين فى ١٩٧٢/١٢/٧ .

أنا مسئولها ٠٠ وبدأت هذه الخلية توسع نشاطها فى اطار الحى وامتداداته وتبلور لنا برنامج يرتكز أساسا على المطالبة بالاستقلال الوطنى والاستقلال الاقتصادى والمطالبة بالتأهيل ( وقد استخدمنا هذا التعبير لان أحد زملائنا من الازهريين رفض تعبير التأميم نسبة الى الامة وفضل التأهيل نسبة الى الاهالى ) وهذا البرنامج لم يكن مطبوعا ويمكن القول بأنه كان برنامجا شفويا وكان لدينا كورس تثقيفى غير مكتوب »(١) ٠

وهذه المجموعة من الشبان التى قررت اقامة تنظيم شيوعى يستند الى برنامج شفوى وكورسات غير مكتوبة لم يكن لها اسم ، وكانت تتصور أنها التنظيم الشيوعى الوحيد القائم فى مصر ٠٠ وعندما اكتشفها الآخرون واكتشفت هى المنظمات الاخرى ظهر اسم « القلعة » لم تختره هى وانما أطلقه عليها الاخرون تهكما من أنها منظمة منحصرة فى حى واحد ٠ لكنها تمسكت بالاسم ، ولم تكن المنظمة فى بداية الأمر تستخدم الاساليب التنظيمية المتعارف عليها فى العمل السرى مثل الاسماء المستعارة ٠٠ ومرة ثانية أطلقت المنظمات الاخرى اسم « الباشا » على مصطفى هيكل فاذا به يتمسك بهذا الاسم ويستخدمه كاسم مستعار * ٠

ولم يكن للمنظمة أجهزة فنية ولا مجلة سرية ، لكنها مع ذلك واصلت النمو مستندة الى الارض الخصبة والى جموع الشباب التى تتجه يسارا ٠٠

وفى نهاية عام ١٩٤٢ دخل مصطفى هيكل الجامعة طالبا فى كلية التجارة كذلك دخل عبد العزيز بيومى ( أحد مؤسسى الخلية الأولى ) كلية الحقوق ٠ وكان هذا ايذانا بانطلاق المنظمة فى النشاط بين الطلاب واستطاعت خلال العام التالى أن تضم مجموعة لا بأس بها من الكوادر الطلابية مثل مصطفى أغا ، عادل سيف النصر ، عادل صدقى ، عبد الواحد بصيلة ، عبد الرحمن بصيلة ، فؤاد عبد الحليم ، حمدى عبد الجواد ، أحمد الرفاعى ٠

---

(١) محضر نقاش مع د٠ مصطفى هيكل ـ جلسة المناقشة الثانية ـ برلين الشرقية ـ ١٩٧٥/٣/٨ ٠

(*) لأن مصطفى هيكل هو ابن عم د٠ محمد حسين هيكل باشا قطب الأحرار الدستوريين وربما فى محاولة للتعريض به أطلق عليه هذا الاسم ، أما هو فقد تمسك به على أساس أنه مسئول « القلعة » ايماء الى أن والى مصر وكان مقره القلعة فى عهد العثمانيين كان يطلق عليه لقب الباشا ( محضر المناقشة الثانية مع مصطفى هيكل ) ـ ( المؤلف ) ٠

ثم ضمت القلعة أحد ضباط القوات المسلحة ( أحمد حمروش ) وقد تعرف عليه مصطفى هيكل عن طريق محمد خطاب* .

ورويدا رويدا بدأ اتساع العمل يفرض على هؤلاء الشبان اللجوء الى شكل التنظيم الهرمى . وبعد أن كان مصطفى هيكل مسئولا وحيدا تكونت مجموعة قيادية من خمسة .

وقد مارست القلعة دورا لا بأس به فى حركة الطلاب بالجامعة فى عامى ٤٥ – ١٩٤٦ ، ومن خلال الطلاب القادمين من الريف تكونت لها علاقات بالريف وأساسا بريف الدقهلية ( أحمد الرفاعى : قرية طناح ، مصطفى هيكل : قرية كفر غنام ) ووصل عدد أعضاء القلعة الى حوالى ١٥٠ عضوا(١) ، وقامت بنشاط واسع ، ومن خلال هذا النشاط والاتساع بدأت المنظمات الاخرى تحس بهذه المجموعة وتقيم معها علاقات وتدعوها الى الاتحاد معها ..

واتصل مصطفى هيكل بهنرى كورييل وأجرى معه مناقشات طويلة ، كذلك اتصل فؤاد عبد الحليم بعبده دهب وهنرى كورييل(١) .

وبدأت كوادر القلعة تسأل نفسها هل نواصل السير مستقلين ونعمل على بناء التنظيم وتوسيع قواعده أم نتحد مع منظمة أخرى ؟

ويبدو أن الجميع اتفقوا على فكرة الاتحاد مع منظمة أخرى لكنهم اختلفوا على اختيار المنظمة التى يتحدون معها ..

وكان مصطفى هيكل قد وثق علاقاته بايسكرا وبكوادرها الطلابية بالجامعة ثم بشهدى عطية الشافعى واتجه الى الوحدة مع هذه المنظمة . واذا كان مصطفى هيكل يقول « عرض علينا شهدى الانضمام الى ايسكرا ولما كانت ايسكرا تسعى للوحدة مع ح.م فقد قبلنا الانضمام اليها »(٢) بما يوحى أن القلعة كلها قد انضمت الى ايسكرا ، فان كلا من حمدى عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم يؤكد أن منظمة القلعة قد انقسمت الى مجموعتين مجموعة بزعامة مصطفى هيكل انضمت الى ايسكرا ومجموعة أخرى تضم فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد وآخرين انضموا الى ح.م.

---

(*) يقول مصطفى هيكل ( محضر المناقشة الثانية ) أن د. محمد حسين هيكل باشا هو الذى قدمه الى محمد خطاب . المؤلف .

(١) محضر نقاش مع محمود حمدى عبد الجواد – أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/٧/٧ .

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم – أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/١٢/٢٧

(٢) مصطفى هيكل – جلسة المناقشة الثانية – المرجع السابق .

**جماعة الفجر الجديد :**

**الطليعة الشعبية للتحرر ( ط٠ش٠ت ) :**

**طليعة العمال ( ط٠ع ) :**

فى الفصول السابقة تابعنا قصة المجموعة الماركسية الشديدة الحذر التى تولدت داخل اتحاد أنصار السلام تحت زعامة بول جاكو دى كومب ، وتابعنا بول جاكو وهو يؤكد « أنا مصمم على أننى لم أؤسس تنظيما ، أنا وضعت البذور ثم تركتها تنمو »(١) ٠

وكانت البذور ثلاثة من المتمصرين « صادق سعد ، ريمون دويك ، يوسف دزويش » ٠ أما بقية الاجانب فقد تجمعوا فى « جماعة البحوث » ٠٠ فكيف نمت هذه البذور ؟

الثلاثة أصبحوا أربعة بأن انضم اليهم أحمد رشدى صالح ٠ وقد اضطر الثلاثة اضطرارا الى ضمه اليهم ، يقول صادق سعد « كان أحمد رشدى صالح أكثر قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل له الحصول على ترخيص ٠٠ وفى جلسة لمناقشة كيفية اصدار المجلة أثار أحمد رشدى صالح مسألة التمويل وأبلغناه أننا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر رشدى صالح على معرفة مصدر التمويل ، واضطررنا أن نشرح له الامر وعلاقاتنا بالمجموعة الاجنبية السرية التى تعمل خلف « جماعة البحوث » وكيف أن هذه المجموعة هى التى ستمول اصدار المجلة ٠٠ ووافق رشدى صالح على الانضمام الى مجموعتنا الضيقة »(٢) ٠

ومنذ مايو ١٩٤٥ موعد صدور الفجر الجديد وحتى سبتمبر ١٩٤٦ ظلت المجموعة الرباعية كما هى ٠٠ لم تزد ولم تنقص ٠

حقيقة قام أفرادها بنشاط واسع فى صفوف لجنة نشر الثقافة الجديدة ، وفى صفوف حزب الوفد ، وفى مجلة الفجر الجديد ، ورابطة الشباب ( الوفدية ) ، ودار القرن العشرين للنشر ، ومجلة الضمير ، وفى صفوف الحركة العمالية ( لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية

---

(١) محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب ـ جلسة المناقشة الثانية ـ المرجع السابق ٠

(١) د٠ رفعت السعيد ـ الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨ ، ص ١١٤ ( نقلا عن محضر نقاش أجرى مع صادق سعد خاصا بموضوع مجلة الفجر الجديد ) ٠

للطبقة العاملة ) • لكن هذا النشاط والذى نجح فى أن يستجمع حوله أعدادا لا بأس بها من العناصر اليسارية أمثال ( أبو سيف يوسف ـ محمد اسماعيل محمد ـ نعما نعاشور ـ فى مجال المثقفين ومحمد يوسف المدرك ـ محمود العسكرى ـ طه سعد عثمان ـ فى مجال العمال ) لم يكن ليسمح لنفسه ـ وعن عمد ـ بأن يتحول الى تنظيم شيوعى ••

كانت هذه المجموعة تعيش مرحلة « العلنية بدون سرية » أى مرحلة النشاط الديمقراطى العلنى وترفض رفضا مطلقا أى حديث عن العمل السرى أو اقامة تنظيم شيوعى ••

ولعل هذ هو الذى دفع خصومها من تجمعات اليسار الاخرى الى التأكيد بأنها كانت من حيث المبدأ ضد فكرة أقامة تنظيم شيوعى وأنها كانت تسعى فحسب لتكوين جناح يسارى لحزب الوفد ••

ويقول مارسيل اسرائيل أنه خلال هجرة كثير من الاجانب واليهود الى فلسطين أثناء تقدم قوات روميل فى معارك العلمين تواجد فى فلسطين ممثلوا مختلف التجمعات الماركسية وأن « الحزب الشيوعى الفلسطينى دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث أسباب الانقسام ولمحاولة توحيدهم •• وفى هذه الاجتماع أعلن أعضاء مجموعة بول جاكو دى كومب أن الظروف الموضوعية فى مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعى »(١) •

ولقد طالعنا فى فصل سابق كيف هاجم رشدى صالح وعلى صفحات مجلة وفدية دعوة شهدى عطية الشافعى « يريد الشعب حزبا من نوع جديد » وكيف أن « صادق سعد » قال أن مجموعته كانت فى ذلك الحين ترى «أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد ، وفى هذا الوقت بالتحديد وبهذه الصيغة بالتحديد ، دعوة غير مقبولة »(٢) •

وسعيا وراء تحديد أكثر وضوحا لملامح الحقيقة أواصل أسئلتى لصادق سعد : « عندما قررتم أنتم الثلاثة الانفصال عن الحلقة الماركسية الأجنبية ، لماذا لم تعلنوا تأسيس تنظيم شيوعى كما فعل الاخرون ؟ ويجيب « لقد كان أمامنا هدف مزدوج » •

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شبريزى ) ـ تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد ـ المرجع السابق •

١ ـ فهم مصر على أساس رسم ما أسميناه السياسة الشيوعية المصرية بمعنى أننا كنا مقتنعين بانه لا توجد شيوعية بشكل مجرد ، وانما هناك سياسة شيوعية لكل بلد من البلدان . وأن الخطأ الرئيسى الذى وقعت فيه الحركة الشيوعية الاولى فى مصر ، والنشاط الشيوعى الاخر الذى كان موجودا وقتئذ كان يكمن فى عدم تفهم الطابع القومى الخاص والشخصية المتميزة والخاصة لمصر ..

٢ ـ ايجاد علاقات جماهيرية بالحركة الشعبية الوطنية والديمقراطية المصرية ... » .

ويواصل صادق سعد اجابته « وعلى هذا الاساس فقد منعنا أنفسنا عن وعى من اعلان تأسيس تنظيم شيوعى ، وكنا نعتقد أن تأسيس حزب شيوعى فى هذا الوقت كان سيشغلنا فى مهام تنظيمية تمنعنا بدورها من أن تحقق الهدفين السابقين » .

لكن صادق سعد يواصل اجابته « والحقيقة أننى ـ وبعد مراجعة متأنية لما حدث أعتقد أن موقفنا فى هذا الصدد كان خاطئا بشكل جزئى، ذلك أنه كان من الممكن بطبيعة الحال ايجاد تنظيم دون أن يمنع ذلك تحقيق الهدفين اشار اليهما »(١) .

والحقيقة أن كتابات أعضاء هذه المجموعة فى ذلك الحين تعكس هذا التصور فأحمد رشدى صالح يكتب فى مقدمة كتابه « كرومر فى مصر » .. « وجراثيم الوعى الشعبى هذه لا تولد فى محابر المثقفين ، لا تولد فى برامجهم ، لا تولد فى حيز أفكارهم ليتفضلوا بها على الطبقات الشعبية ، وهى بالمثل لا تستورد من الخارج . لا تأتى بها كاملة التيارات العالمية ، وأن أتت بعناصر بعضها ، ولاتترجم عن أمهات الكتب ، وعبقريى النظريات الفلسفية مادامت لا تكون نظريات مصرية حرة ، وانما هى تنبعث اليهم من وقع المجتمع المصرى » (١) .

ثم هو ينتقد سطحية التجمعات الأخرى ويعزوها الى « افتقارهم الى تراث مصرى فكرى حر . ولن يوجد هذا التراث ماداموا مكتفين بترجمة الأفكار ونقل الآراء الصادرة فى بلاد تختلف وضعيتها عن وضعيتنا » .

---

(١) المرجع السابق ..

(٢) أحمد رشدى صالح ـ كرومر فى مصر ـ دار القرن العشرين للنشر ـ ص ٩

وبرغم ما فى هذه الكمات من بعض الصحة فان أعضاء التجمعات الأخرى نظروا اليها باعتبارها ترديدا لاقاويل الاعداء عن « استيراد الافكار وترجمة النظريات » وباعتبارها تنصلا من الفكر الماركسى .

ولنعد الى الحوار مع صادق سعد فقد سألته رأيه فى أن البعض « يعزو أن عدم اتجاههم لتأسيس تنظيم شيوعى فور استقلالهم عن « جماعة البحوث » لم يكن للاستعداد ، وانما كان نتيجة أوهام تواجدت لديهم حول امكانية العمل فى صفوف حزب الوفد واستحداث جناح يسارى فى داخله » ويجيب « هذا غير صحيح » ويقدم عددا من الدلائل منها انتقادهم لحزب الوفد على صفحات « الفجر الجديد » ومنها نشاطهم فى صفوف الطبقة العاملة ، وبهدف ايجاد منبر مستقل فيها ، وتأسيس لجنة العمال للتحرير القومى التى حرص مؤسسوها على تسميتها « الهيئة السياسية للطبقة العاملة»

وحول هذا الموضوع يقول أبو سيف يوسف « انطلاقا من قناعة بناه ( الطليعة الشعبية للتحرر ) بأن الماركسيين المصريين هم أو يجب أن يكونوا ورثة أو الاستمرار الطبيعى للحركات الوطنية والشعبية .. حددت المنظمة أن حزب الوفد على الرغم من تذبذب قيادته بين قوى الاستعمار والسراى من ناحية والشعب ناحية أخرى ، يمثل القيادة التقليدية للحركة الوطنية وأنه يتمتع بتأييد أوسع قطاعات الرأسمالية الوطنية وصغار الفلاحين والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية وقطاع من الطبقة العاملة يمثلهم عمال الحكومة ( مثلا عمال الترسانة والسكك الحديدية وعمال المطابع الاميرية ) وأنه بناء على ذلك يتعين اقامة أشكال من التحالف والتعاون والتنسيق مع ممثلى قواعده الشعبية ( الطلاب المنظمين تحت قيادة لجنة الطلبة التنفيذية العليا ( الوفدية ) والقوى الديمقراطية والتقدمية الذين شرعوا يكونون تيار « الطليعة الوفدية » ثم فئات المهنيين وخاصة المحامين . من هذا المنطلق كانت منظمة الطليعة الشعبية أكثر المنظمات الماركسية تماسكا ومعارضة للاحزاب التى ضمت القوى غير الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة مثل حزب مصر الفتاة أو الاقسام المتخلفة من البرجوازية الصغيرة ( الاخوان المسلمون )»(١) .

---

(١) مخطوط ـ بعنوان « الطليعة الشعبية للتحرر ـ مسودة » من سبع صفحات فولسكاب ـ كتبه أبو سيف يوسف ووقعه بامضائه ـ مؤرخ فى ٩ ـ ٥ ـ ١٩٨٧ ـ بناء على طلب الباحث العراقى الدكتور طارق اسماعيل ( نسخة مصورة عن الاصل ) .

والحقيقة أن لجنة العمال للتحرير القومى التى أعلنت فى نفس يوم الغاء الاحكام العرفية ، والتى أصدرت برنامجا جيدا للعمل الوطنى والنقابى كانت بالفعل تعبيرا عن رغبة فى التمايز عن الاحزاب التقليدية لكنها كانت دعوة « عمالية » صرفة بمعنى أنها لم تكن تستهدف العمل ، أو حتى الدعوة لتأسيس حزب شيوعى أو يسارى وانما كانت دعوة لتيار نقابى متميز وفعال فى صفوف الحركة العمالية .. الامر الذى دفع أحد الباحثين الفرنسيين الى القول « لقد اكتفت لجنة العمال للتحرير القومى بنشر الافكار الجديدة داخل صفوف الطبقة العاملة ، ولكنها لم تحاول تنظيم هذه الطبقة »(1)

ولكن البرنامج الذى قدمته « لجنة العمال للتحرير القومى » والذى يعتبر أول وثيقة برنامجية تصوغها جماعة « الفجر الجديد » يستحق منا وقفة تؤكد فيها ايجابيته وتناوله الصحيح للعديد من القضايا :

والبرنامج يؤكد فى مقدمته أن اللجنة تهدف « الى تحرير مصر من الاستعمار والى تحرير الطبقات الشعبية من قبضة الفئات المستغلة الطاغية . وهى أقلية ضئيلة من سكان مصر . وهذا البرنامج شعبى يتجه الى شعب مصر ويهدف الى تحقيق مصلحته . وهو برنامج شعبى لانه لا يمكن تحقيقه بمناورات الساسة الرسميين أو من وراء الستار . برنامج سيحققه الشعب المصرى بنفسه وعلى رأسه الطبقة العاملة مؤيدا من الشعوب الأخرى . وتؤمن اللجنة ايمانا راسخا عميقا بأن وظيفتها هى فتح الطريق أمام الطبقة العاملة المصرية حتى ترجح بقوتها الهائلة فى ميزان السياسة المصرية كفة الشعب المصرى على كفة مستغليه .. » .

أما نقاط البرنامج فهى تبدأ بالتحرير من الاستعمار وتؤكد أنه « لا يمكن للطبقة العاملة أن تتحرر دون أن تحرر مصر من الاستعمار ودون أن يضع الشعب المصرى يده فى يد سائر الشعوب التى تكافح جميعها فى سبيل الحرية والاستقلال » .

وفى هذا الصدد يطالب البرنامج :

(أ) جلاء الجيوش الاجنبية عن مصر والسودان .
(ب) الغاء المعاهدة المصرية الانجليزية .
(ج) وضع قناة السويس فى يد مصر .
(د) تخليص الجيش المصرى والبوليس والادارة من الموظفين الاجانب وخاصة المتمصرين .

---

1) Jean - Pirre Thick - PP 122.

( هـ ) الاتحاد مع السودان بشرط أن يتمتع الشعب السودانى بجميع الحقوق والحريات الديمقراطية .. » .

ونلاحظ أن الموقف من السودان يقع فى نفس دائرة شعار « الوحدة » بينما كان موقف ح.م - كما سنرى - هو حق تقرير المصير للشعب السودانى .

ويواصل البرنامج مطالبه فينادى « بالتحرير من الجوع والحرمان » ويؤكد أنه « لا يكفى للطبقة العاملة لتتحرر من الجوع والحرمان أن تكافح الاستعمار السياسى بغير أن تقضى على الاستغلال الاجنبى والداخلى . ان الشعب المصرى وعلى رأسه الطبقة العاملة يريد أن يكون هو المستفيد من كده وعمله وليس أن يعمل لزيادة غنى الأقلية الرأسمالية » .

ويطالب البرنامج « بوضع حد أقصى للتملك ونزع الملكيات الكبرى وتوزيعها على صغار الفلاحين وقصر توزيع الاراضى الحكومية على فقراء الفلاحين وصغارهم » .

كما يطالب « بنقل المؤسسات ذات الامتياز والاحتكار الى الدولة وتمصير المؤسسات الكبرى فعليا »(١) .

وثمة وثيقة أمريكية تحدد أعضاء « لجنة العمال للتحرير القومى » وتورد ستة أسماء « محمد يوسف أحمد المدرك - محمود يوسف أحمد العسكرى طه سعد عثمان - محمد محمود قطب - محمد مدبولى سليمان - محمد حمزة » .

والاسماء الثلاثة الاخيرة لم ترد من قبل فى أية دراسة أو حديث عن هذه الجماعة .. (٢) وتخطىء الوثيقة خطأ فادحا اذ تنسب هذه الجماعة الى نشاطات هنرى كوريل بما يوحى بضعف مصادر السفارة الامريكية بالقاهرة فى هذا الصدد - كما أن ورود اسم محمد حمزة يلفت النظر لأنه أحد كوادر حدتو العمالية .

.. وعلى أية حال فقد نجحت هذه الكوادر العمالية التى أصدرت البرنامج فى أن تحدث فى صفوف الحركة النقابية حماسا لا بأس به وأن

---

(١) برنامج لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة - ( نسخة أصلية ) .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم
RG - 319 - 306836 A — 20 Sept 46.

تلعب دورا هاما فى صفوفها ويقال أن يوسف المدرك قد سافر « الى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمى ومعه ٧٠ ألف توقيع من مختلف النقابات فى مختلف المدن »(١)

ويأتى ١١ يوليو ١٩٤٦ ، ويوجه الطاغية صدقى ضربته لكل المنافذ الديمقراطية والعلنية للجماعة ويعتقل معظم كوادرها ٠

وهكذا تنتقل المجموعة الى مرحلة جديدة تماما ٠٠ من « العلنية بغير نشاط سرى » الى « السرية المطلقة بغير نشاط علنى ملحوظ » ٠

ويقول صادق سعد « بعد خروجنا من السجن اتفقنا نحن الاربعة ( كانوا لا يزالون أربعة ) على ضرورة تأسيس تنظيم » ويقول أنه « كان صاحب الفكرة » ويقول « اتفقنا أولا على اعداد الوثائق الاساسية للتنظيم وعملنا لائحة وخط سياسى وخط تنظيمى وخط جماهيرى وخط نقابى ٠ واتفقنا على الاتصال بعدد من الاصدقاء الذين كانوا على علاقة وثيقة « بالفجر الجديد والضمير » وعرضت عليهم الوثائق ، وجمعناهم مع عدد من الرفاق الاخرين اما على أساس جغرافى أو على أساس محل العمل ٠ وتمت الموافقة على الوثائق بعد ادخال بعض التعديلات عليها ٠ وقامت كل مجموعة بانتخاب مسئولها ، بعد أن قمنا نحن بتزكية عدد من المرشحين وهؤلاء المسئولين اجتمعوا فى سبتمبر ١٩٤٦ فى أحد مقاهى شارع الهرم ، وتمت فى هذا الاجتماع اقرار الوثائق واعتبر الاجتماع مؤتمر تأسيسى » ا٠

ويمضى الحوار :

« س : كم كان عدد أعضاء المؤتمر ، وما هى أسماؤهم ؟

ج : سبعة أو ثمانية أذكر منهم أنا – ريمون – يوسف – رشدى – محمود العسكرى ، وربما المدرك ولا أذكر الباقى ٠

س : من الذى كتب الوثائق ؟

ج : نحن الاربعة اشتركنا فى كتابتها »(٢) ٠

ويقول صادق سعد أن الاجتماع اختار للمنظمة اسم « الطليعة الشعبية للتحرر – ط٠ش٠ت٠ » وانتخبت لجنة مركزية من ثلاثة ( صادق سعد ، يوسف

---

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد – المرجع السابق ٠٠
(٢) المرجع السابق ٠

درويش ، محمود العسكرى ) ويقول « أعتقد أن رشدى صالح ضم للجنة المركزية بعد ذلك ٠٠ وكان صادق سعد مسئولا سياسيا ويوسف درويش مسئولا تنظيميا ومحمود العسكرى مسئولا للعمل الجماهيرى » ٠

واتفقت القيادة على أساليب السرية المطلقة والحذر التام التى وصلت الى حد عدم اعلان اسم التنظيم ٠٠ « فى هذا الوقت أو قبله بفترة كنا قد درسنا تجارب بعض الأحزاب وخاصة تجربة الزملاء اليونانيين فيما يسمى بقواعد السرية والامان ، وكانت هذه القواعد مستخلصة من تجارب العمل الشيوعى فى ظل الفاشية ٠٠ وكان هناك مبدأ أساسيا فى هذه القواعد هو « ما لا يفيد الحركة يضرها » ومن ثم سألنا أنفسنا ما فائدة اعلان الاسم ، ولما لم نجد فائدة امتنعنا عن اعلانه »(١) ٠

وكان عدد أعضاء هذا التنظيم لدى قيامه « ٢٥ أو ٣٠ شخصا »(٢) وقد نهج ـ كما يقول مسئوله السياسى ـ نهجا « متشددا فى السرية والامان » وقد وصل الامر الى حد أن كوادره التى أعتقلت فى حملة مايو ١٩٤٨ كانت ترفض أن تبوح أمام المعتقلين الاخرين باسم التنظيم أو بانتمائها اليه أو بعلاقاتها به وأقامت تجمعا فى معتقل الهايكستب يتزعمه محمود العسكرى يستهدف صرف أنظار المعتقلين بعيدا عن النقاش السياسى الى « الحوار حول الحياة المعيشية للمعتقلين » ومن الطريف أن محمود العسكرى كان يعلن أنه يتحدث باسم مجموعة هى « نحن »(٣) ومن ثم أطلق البعض ـ تهكما ـ على هذا التنظيم اسم « نحن » ٠

ولأن التنظيم لم يعلن اسمه ، ولانه قد غيره من الطليعة الشعبية للتحرر الى « طليعة العمال ـ ط٠ع » دون اعلان ، فقد تداول البعض أسماء غير صحيحة لهذا التنظيم والغريب أن الاسم السائد والذى أطلقه الجميع على التنظيم وهو « الديمقراطية الشعبية ـ د٠ش » لم يكن فى يوم من الايام ـ كما يؤكد صادق سعد ـ اسما للمنظمة « لم يكن هذا اسمنا ، ولم نطلقه على أنفسنا والذى حدث هو أننا يوما ما أصدرنا خطا سياسيا أو استراتيجية تأثرنا فيها الى درجة كبيرة بكتاب ماوتسى تونج « الديمقراطية الجديدة » وقلنا أن هدفنا هو اقامة حكم الديمقراطية الشعبية والناس قالوا اننا أصحاب نظرية الديمقراطية الشعبية ( د٠ش ) كذلك أطلقوا علينا اسم جماعة

---

(١) المرجع السابق ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل ـ جلسة المناقشة الثانية ـ ١٩٧٤/١٢/٢٩ ٠

« الفجر الجديد » والحقيقة لم يكن هناك أى تنظيم اسمه « الفجر الجديد » كذلك فان محمود العسكرى اخترع يوما ومن تلقاء نفسه اسم « نحن » واستخدمه البعض ضدنا »(١)

وبالنسبة للاجانب من أعضاء جماعة البحوث فقد ظلوا فى مجموعة مستقلة تستهدف إعداد دراسات للتنظيم وتقديم مساعدات مالية له دون أن تلعب أى دور فى صفوفه ، ويصف صادق سعد دورها بأنها كانت « خادمة للتنظيم » .

وكان التنظيم يصدر نشرتين ، مجلة داخلية اسمها « الهدف » ولم تكن توزع الا على الاعضاء ويعاد جمع نسخها مرة أخرى ثم تعدم وكان يطبع منها نسخ بعدد الخلايا ( حوالى خمسين نسخة ) ومجلة جماهيرية وكانت توزع خارج التنظيم واسمها « كفاح الشعب » .

وفى مايو ١٩٤٨ عندما بدأت حملة الاعتقالات كان اجمالى عدد أعضاء التنظيم كما يؤكد صادق سعد حوالى مائة عضو أعتقل منهم ١٠ أو ١٢ ويقول أن أقصى عدد للاعضاء فى تاريخ المنظمة كان فى عام ١٩٥٧ غداة عقدهم المؤتمر التأسيسى لحزب العمال والفلاحين وقد وصل الى حوالى ألف أو ألف ومائتى عضو(٢) .

وعن أساليب العمل الحزبى يقول « كانت لدينا ديمقراطية مركزية لكنها فى الحقيقة أوقفت لفترة طويلة غير أننا فى عام ١٩٥٧ أجرينا انتخابات من القاعدة للقمة » .

ولم تحدث فى صفوف هذه المنظمة انقسامات لكن صادق سعد يقول « حوالى عام ١٩٥١ أذكر أن قسم الطلبة عندنا أثار بعض المشاكل وأعتقد أنها كانت متعلقة بمسألة الوحدة ، واتخذنا ضدهم اجراءات بالغة العنف فقررنا حل قسم الطلبة ووزعنا أعضاءه على وحدات مختلفة » .

أما عن القضية الفلسطينية فقد وقف التنظيم ضد قرار التقسيم ( منفردا بهذا الموقف ) ونشرت مجلة « الهدف » افتتاحية كتبها صادق سعد ضد قرار التقسيم . وظل التنظيم على موقفه هذا حتى انتهاء الحرب فعاد يعلن تأيده لقرار التقسيم ويطالب بتنفيذه .

---

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد ـ المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

وفيما يتعلق بتوحيد الحركة الشيوعية يمكن القول بأن منظمة « ط٠ ش٠ ت » ثم « ط٠ع » كانت فى الاساس ضد الوحدة مع المنظمات الأخرى ٠

٠٠ « وعندما توحدت « ح٠م٠ مع ايسكرا » كانتا تهدفان الى توحيد ط٠ش٠ت الامر الذى يضع الاساس لتوحيد المنظمات الاساسية فى الحركة الشيوعية ، لكن هذا التنظيم ــ كما يقول أحد كوادر حدتو ــ سارع الى تجميع عدد من المنظمات الصغيرة ( العصبة الماركسية ) و ( اتحاد شعوب وادى النيل ) لتكوين ما سمى فى ذلك الحين بجبهة المعارضة لحدتو ، وشنت ضدها حملة ضخمة وكالت لها الاتهامات ، ورددت أخطر اتهام شائن فى تاريخ الحركة الشيوعية وهو اتهام منظمة بأسرها بل أكبر منظمة شيوعية وهى حدتو بالبوليسية ، ومن هنا وضعت بذرة استسهال اطلاق التهم والتشكيك ، ولقد كانت هذه الخطوط بداية تكريس الانقسامية »(١)

وردا على هذا الاتهام يقول صادق سعد أن منظمته كانت ترفض « أى نوع من التوحيد الوفاقى » ٠

ويقول « ولكى أكون واضحا فانا كنا نعارض بشدة أن تتولى « حدتو » الدعوة والادعاء بتأسيس حزب شيوعى أو أن يكون هذا الحزب استمرارا لسياستها وخلفيتها الايديولوجية »(٢) ٠

ومع ذلك ومع تصاعد الدعوة للوحدة فى نهاية عام ٤٨ وبداية عام ١٩٤٩ ومع قبول معظم المنظمات الدعوة لحضور « لجنة الوحدة » أرسلت « ط٠ش٠ت٠ » مندوبا عنها الى اجتماعات اللجنة لكن صادق سعد يؤكد ــ وبصراحة ــ « كان مندوبنا هو محمد اسماعيل محمد وقد أرسلناه كسد خانة وليعلم ماذا يجرى »(٣) ٠

ولعل فى هذا القول ما يكفى لتبيان موقف هذه المنظمة من قضية الوحدة ٠

٠٠ لكن هذا الموقف لم يلبث أن تغير فى عام ١٩٥٧ عندما قرر « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » الاسم الجديد للمنظمة الانضمام الى الوحدة والمشاركة فى تأسيس « الحزب الشيوعى المصرى » ٠

---

(١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل ٠ المرجع السابق ٠
(٢) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد ــ المرجع السابق ٠
(٣) المرجع السابق ٠

وقبل أن ننتقل لا بد لنـــا من أن نورد تقييما يثير المزيـد من الدهشة فى اعتقـادنا ، وتكمن أهميته فى أنه يأتى « الآن » من الرجل الاول فى هذه المنظمة « أحمد صادق سعد » الذى كتب يقــول :

« كانت حلقتنـــا تتصف بجمود تنظيمى وفكرى أشد من أغلب المنظمات الاخرى ، وبهذا المعنى السىء أيضا كنـــا يســـارها ، وسبق الاشارة الى بعض النواحى الايجابية لفكر الحلقة التنظيمى ، غير أنه ليست صدفة أن تكون هذه الحلقـــة قـد أسست تنظيميا بعـد المنظمات الاخرى بسنوات ، ولا انهــا لم تحصــد ثمار عملها الواسع حصادا تنظيميا • ومن الناحية السياسية أيضا يظهر المعنى السلبى ليساريتنا فى موقفنـــا من ثورة يوليو عنــدما قامت •• فبدأنا باتخـــاذ موقف الترقب ، فى حين ان احدى المنظمات ( منظمة الحـــزب الشيوعى المصرى ) رأت فيهــا الفاشية ، وأخرى « حدتو » أكدت أنهـــا وصلت الى السلطة ، ثم أخــذنا نفسر ثورة يوليــو بالتناقضـــات التى بين الـدول الاستعمارية فقط الامر الذى أصاب نشاط المنظمة بالانعزال ، الذى أدى الى انهيارها فى النهـــاية »(١) •

لكن الصورة لا تكتمل الا بتقييم آخر يتسم بالرؤية الايجابية ، صاحبه أيضا أحـد قـادة ط•ش•ت ، بل وأصبح فيما بعـد قائدها الاول وهو أبو سيف يوسف ، يقــول التقييم « أسهمت ط•ش•ت كواحـدة من المنظمات المـاركسية الرئيسية فى تسليح حركة التحرر الوطنى فى مصر بالشـــعارات الرئيسية التى ساعدت على تطور هذه الحركة واغنائها بمحتوى اجتماعى للامبريالية •• ولعبت ط•ش•ت دورا هاما فى معركة استقلال حركة الطبقـــة مناهض للنظــام الذى أقــامه كبـــار ملاك الارض والرأســــمالية التابعــــة العاملة المصرية عن الاحزاب البرجوازية وأكــدت على دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى والتقـدم الاجتماعى ـ ساهمت ط•ش•ت مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى صياغة العديد من القضايا التى شكلت فيمـــا بعـد وخاصــة فى الخمسينات والستينات ـ الاساس للبرنامج الوطنى والاجتماعى الذى تبنته وطورته ثورة يوليــو ـ كما ساهمت مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى بعث تيـــار اشتراكى أصبح أحـد التيـــارات الرئيسية فى الحيـــاة السياســـية والاجتماعية » •

ويلاحظ أبو سيف يوسف فى نفس الوقت « ان ط•ش•ت لم تنجح فى أن تتطور لتصبح على النطـــاق القومى المصرى ـ الحزب الاشتراكى الذى

---

(١) أحمد صادق سعد ـ صفحات من اليسار المصرى ـ المرجع السـابق ـ ص ٦٠ •

يوجد صفوف الطبقة العاملة والطبقات الثورية الاخرى تحت قيادته ولم تنجح
بالتالى فى تجاوز ظاهرة الانقسام »(١) ٠

ولنستكمل الصورة نعود الى الوجه الاخر فصادق سعد يعود فى تقييم
جديد ليؤكد ـ ربما فى تعال على كل شيء ـ ان هذه المنظمة قد لعبت
« دوراً رئيسيا ( عن طريق الفجر الجديد والضمير ولجنة العمال للتحرير
القومى ٠٠ الخ ) فى توضيح معالم جديدة للحركة الوطنية فى بعثها الجديد
فى الاربعينيات ثم فقدت البصر والبصيرة فجأة وأصبحت عاقما فى فترة
وجيزة » ٠

ويبرز صادق سعد ذلك بعدة أمور منها ما يسميه « التبسيطية ٠»
والجمود العقائدى و ٠٠ « ان الاستراتيجية التى كانت هذه المنظمة تسير
على هديها كانت مرسومة على أساس ان البرجوازية القومية هى القائدة
للحركة التحررية فى هذه المرحلة ، ولكن هذه القيادة فى خطها الهابط ، وان
القيادة التى سوف تأتى بعدها ـ كانت ـ حتما ـ قيادة الطبقة العمالية
ولم يكن مفهوما فى ذلك الحين ان هذه الاستراتيجية غير صائبة لان القيادة
الصاعدة فى ذلك الوقت كانت قيادة نوع من البرجوازية الصغيرة ( أقول
اليوم « نوع من الشعبوية » ) الامر الذى يقتضى اجراء تغيير كامل فى الخط
السياسى والتنظيمى والاهداف الخ ٠٠ »(٢) ٠

---

(١) مخطوط بعنوان « الطليعة الشعبية للتحرر ـ مسودة » ـ المرجع
السابق ٠

(٢) مخطوط بعنوان « على سبيل المراجعة » من خمس صفحات فولسكاب
كتبه أحمد صادق سعد ووقعه بامضائه وقدمه للباحث العراقى الدكتور طارق
اسماعيل ـ مؤرخ فبراير ١٩٨٧ ١٠ ( نسخة مصورة عن الاصل ) ٠

## ايسكرا شرارة *

٠٠ « ٠٠ وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة ، لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأذكر أنه قال ان لينين كتب مقالا فى العدد ٨٣ من مجلة ايسكرا قال فيه أنه يمكن لطلائع أجنبية أن تلعب الدور القيادى فى بلد متخلف » (١) ٠

هكذا بدأ الخلاف ٠٠ كوربيل يدعو الى التمصير ، وشوارتز يؤكد أن التمصير دعوة شوفينية ويدعو الى نظرية أسماها - فيما بعد - نظرية المراحل « فى المرحلة الاولى الاجانب ، ثم المثقفين المصريين ، ثم العمال »(٢) ٠٠

وهكذا كان الاسم الاجنبى « ايسكرا » ملائما تماما لتنظيم قرر أن يكون همه الاساسى - فى المرحلة الاولى على الاقل - تجميع الاجانب ، وظل قسم الاجانب فيه - وحتى النهاية أكبر الاقسام عددا ( ٤٠٠ عضوا من حوالى ٩٠٠) (٣) ٠

لكن ذلك الوعاء المكون أساسا من أجانب كان لا بد له من أن يقرر أساليب عمل تختلف كثيرا - ليس فقط - عن أساليب عمل المنظمة التى اختارت لنفسها اسما مصريا صرفا ووعاءا مصريا من العضوية ( الحركة المصرية للتحرر الوطنى ) ، وانما يختلف أيضا مع تقاليد المجتمع المصرى ككل ٠٠

وهكذا ترددت قصص كثيرة وربما مبالغ فيها عن الحفلات والاختلاط والرحلات ٠٠ الخ وفى بعض الاحيان تبرز هذه القصص لتغطى على الجوانب الاخرى من نشاط المنظمة ٠٠ وكان لا بد من أن نسأل كوادر **ايسكرا أنفسهم** ٠٠

---

* قد يلاحظ القارىء أننا حرصنا على مناقشة كل مؤسسى المنظمات الشيوعية المختلفة وعلى ايراد آرائهم وذكرياتهم باستثناء هليل شوارتز مؤسس ايسكرا ، والحقيقة أننا قد حاولنا جهد طاقتنا اقناع شوارتز بالحديث وسعيا وراء ذلك اضطررنا لزيارة باريس دون جدوى فقد صمم على أنه نسى كل شىء عن نشاطه فى مصر ولا يريد أن يتحدث عن هذا الامر ( المؤلف ) ٠

١ - محضر نقاش مع عبده دهب حسنين - المرجع السابق ٠

٢ - محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - جلسة المناقشة الأولى - القاهرة فى ١٩٧٦/١/٢٩ ٠

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق ٠

ويقــول أحــدهم ٠٠ « يمكن القــول بأن مناخا كهذا كان متواجدا بشكل عام ، أما فيما يتعلق بالحفــلات فالحقيقــة أن هنـــاك مبالغــات حولهــا فأنا شخصيا بقيت سنتين فى ايسكرا ولم أحضر سوى حفلة واحــدة وكانت حفلة سمر وأناشيد ثورية » ٠ أما فاطمة زكى فتتذكر حفلة أقيمت فى ٧ نوفمبــر ١٩٤٦ بمناسبة ثورة أكتوبر « وقــد أقيمت فى منزل زميل أجنبى هو أرمان بليسى وكان المنزل شديد الفخــامة وفى حى راق هو جاردن سيتى ولست أنكر أننى دهشــت لــدى دخــولى المكـــان » لكنهــا تؤكــد « أن هذه الحفـــلات كانت قليلة وبمناسبات محدودة »(١) ٠

أما البير آرييه فيقــول « كانت الحفــلات أسلوبا من أساليب العمل ، وكانت مجالا للتجنيــد ، وقــد كانت هذه الحفــلات فى اطار ظروفنا ووسطنا الأجنبى وسننا مهمة ، فقــد كنــا نقضى عدة ساعات فى مناقشات سياسية جامية بينمــا كان الشباب فى مثل سننا يذهبون الى حفــلات من نوع آخر »(٢)

أما محمد سيد أحمد ، فانه يروى قصة ذلك النادى الخاص الذى أقيم فى الهرم بجوار ملهى الاوبرج والذى أطلق عليه أيضا اسم « الأوبرج » حيث كانت تقــام حفــلات يلتقى فيهــا الشباب من الجنسين ــ وهو أمر لم يعتد عليه الشبان المصريين فى ذلك الحين ــ ويقول « من الخطــأ أن نأخذ هذه الحفلات فى اطــار خاص وأقــول أنهــا بروح التجمع الأجنبى أو بروح الحزب الشيوعى الفرنسى مثلا كانت صحيحة أما بروح المجتمع المصرى فى ذلك الحين فلم تكــن صحية وأثارت الكثير من الأقاويل » لكنــه يؤكــد « أن الحفــلات كـــانت جادة ــ وكانت تلقى فيهــا محاضرات مفيــدة وتجرى مناقشات مثمرة ، لكن فكرة الاختلاط بين شباب مصريين بورجوازيين صغار وبين فتيــات أجنبيات كانت تؤدى الى الكثير من سوء الفهم »(٢) ٠

ويقــول أحــد أعضاء ايسكرا انه كان لا بد لذلك « من أن يؤثر على نوعية العناصر التى جرى تجنيدها فى ايسكرا من الطلاب والمثقفين المصريين فالطــابع السائد فى صفوف المصريين الذين انضموا اليهــا كـــان هو أبنــاء الأثرياء ومعظمهم من أبنـــاء البرجوازية وأحيانا من أبناء البرجوازية الكبيرة وعلى أية حال ولكى أكون دقيقــا فان حكمى قاصر على معرفتى بقسم الطلاب »

---

(١) محضر نقــاش مع فاطمة زكى ــ أجريت المناقشــة بالقـــاهرة فى ١٩٧٥/٦/٣ ٠

( ٢ ) محضر نقــاش مع البير آرييه ــ جلسة المناقشة الثالثة ــ القــاهرة ١٩٧٥/٧/٢٧ ٠

ولا بد لنا أن نتوقف عند ظاهرة موضوعية وهى أن بدايات نشاط ايسكرا وسط الطلاب قد التقطت أولا مجموعات من أبناء الاثرياء ومن أبناء الجاليات الاجنبية ولذلك سبب موضوعى تماما وهو أن بدايات هذا النشاط كانت فى مدارس الليسيه حيث يتعلم أبناء الطبقات الراقية من المصريين أو أبناء الأسر الاجنبية أو « المتأجنبة » ( أى التى تمتلك وثيقة جنسية مصرية لكنها تنتمى بالاصل وأسلوب المعيشة ولغة التخاطب والوعاء الاجتماعى الى الروح الأجنبية ) .

.. ولكن لماذا مدارس الليسيه ؟ يجيب محمد سيد أحمد :

« كانت مدارس الليسيه مصدرا للثقافة الماركسية فقد كانت مركزا للعناصر المعادية للفاشية وبين هؤلاء تواجد مدرسون شيوعيون من أعضاء الحزب الشيوعى الفرنسى . وكان هناك أيضا ناد لخريجى الليسيه وقد أصبح منذ ١٩٤٤ مرتكزا لنشاط ثقافى ماركسى علنى .. وقد تواجدت ايسكرا فى اطار ذلك كله »(١) .

وكان قسم الطلاب القسم الثانى من حيث عدد الاعضاء فى المنظمة فقد بلغ عدد أعضائه ٣٠٠ عضوا (٢) أما عن أسلوب التجنيد فيقول أحد أعضاء ايسكرا « أهم ملاحظة عن أسلوب عمل ايسكرا بشكل عام هو أن المدخل الى التنظيم كان مدخل أيديولوجى ، ناجم عن القناعة الفكرية وليس من خلال العمل النضالى ، فالتركيز فى الاساس على الكورسات التثقيفية والمناقشات الدراسية ، وفى البداية ظللنا ولمدة عام تقريبا مستغرقين فى دراسة الكتب الماركسية والمناقشة حولها والامتحان فيها ، ولكن لم يكن هناك عمل نضالى أو جماهيرى بالمعنى المفهوم ولم يبدأ النشاط الجماهيرى الا بعد اشتعال الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ . كذلك كان هناك طابع عائلى ـ أى التجنيد من بين الاقارب وليس على أساس نضالى ـ فمثلا كان هناك من عائلتنا وحدها سبعة أعضاء » .

وتقول فاطمة زكى « لقد قضيت عاما كاملا أدرس الكتب الماركسية ألخصها أمام مجموعتى ، ولم أمنح العضوية الا بعد هذه الدراسة الطويلة والمركزة » لكنها تضيف « ولست أعتقد أن ذلك كان أمرا ضارا وخاصة فى البداية فقد كانت المرحلة تتطلب كوادر مصرية »(٣) .

---

(١) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ـ أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان فى ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٧٩ ـ محرر بالالة الكاتبة الانجليزية .

(٢) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/١/٢٩ .

(٣) محضر نقاش مع فاطمة زكى ـ المرجع السابق .

ولكن عضوا آخر فى خلية مدرسة الليسيه الفرنسية يعطى انطباعا مختلفا « أذكر أننى قرأت عددا كبيرا من كتب لينين بالانجليزية وكل ما أذكره عن ذلك هو الملل الذى كنت أشعر به فقد كانت هذه الكمية من الدراسة فوق مستوى اهتمامى ، خصوصا أن ذلك كله كان يتم بمعزل عن مشاكل الشعب المصرى وكنا نردد النظرية كالببغاوات »(١) .

وكان الكورس مكونا من حوالى ٢٧ كتابا وكان من الضرورى أن يدرس العضو معظم هذه الكتب وأن يلخصها وأن يجتاز امتحانا فيها وكذلك كان من الضرورى أن يدرس المرشح قبل أن يمنح العضوية « المادية الجدلية »(٢)

وبتكرين قسمى الطلبة والمثقفين تكون ايسكرا قد حققت المرحلة الثانية فى مخطط شوارتز لكنها لم تتح لها فرصة للوصول الى المرحلة الثالثة مرحلة « التعميل » ذلك أن التواجد العمالى فيها وحتى تمت الوحدة كان تواجدا رمزيا (٣) .

وعلى أية حال فان ايسكرا وبرغم الملاحظات السابقة استطاعت أن تثبت وجودها فى عدد من المجالات وخاصة فى مجال الطلاب والمثقفين وأن تقيم عددا من المنابر العلنية ذات التأثير الجاد مثل « مجلة الجماهير » التى كان يشرف عليها مكتب قيادى مكون من شوارتز - ليلى ميزان - شهدى عطية - عبد المعبود الجبيلى - محمد عباس سيد أحمد ثم ضم اليه محمود النبوى »(٤) .

والحقيقة أن ايسكرا قد ركزت الكثير من كوادرها للعمل فى « مجلة الجماهير » بحيث كان كل باب من أبواب المجلة يحرر بواسطة مكتب حزبى ، كذلك قامت كوادر المنظمة بالاشراف على عمليات التوزيع والطباعة والمالية الخ .. وكان من الضرورى ايجاد شكل حزبى للتنسيق بين هذه اللجان فتكونت لجنة أسميت « لجنة تنظيم اللجان » تحت اشراف سيدنى سلامون ..(٥) .

ويمكن القول بأن « الجماهير » كانت قفزة كبيرة فى مجال الصحافة اليسارية سواء من حيث المستوى الصحفى والفنى أو المستوى السياسى .

---

(١) محضر نقاش مع ألبير آرييه - المرجع السابق .
(٢) محضر نقاش مع خالد محيى الدين - المرجع السابق .
(٣) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق .
(٤) محضر نقاش مع ابراهيم المناسترلى - المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .

كذلك أقامت ايسكرا « دار الابحاث العلمية » التى كانت واحدة من أشهر الاندية الثقافية اليسارية فى مصر وأكثرها تأثيرا • وكان مظهر الاتجاه الى التعميل هو تأسيس « الجامعة الشعبية » تحت اشراف د• محمد الشحات بهدف تثقيف العمال حيث كانوا يتلقون دروسا فى القراءة والكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية وكان يقوم بالتدريس فيها عدد من كوادر المنظمة مثل منير ملطى ـ زاهر اسكاروس ـ أنور عبد الملك •

ومن المجالات العلنية التى تنفست منها ايسكرا أيضا « رابطة الطلبة المصريين » وهى تجمع تقدمى ويسارى يضم الطلاب من أصدقاء المنظمة والعاطفين عليها وكان مكتب الرابطة مكونا من جمال غالى ـ سعد زهران ـ جمال شلبى ـ عبد المنعم الغزالى وقد أصدرت الرابطة مجلة صوت الطالب التى أصدرت الاعداد الثلاثة الاولى منها مطبوعة بالمطبعة ووزعت بشكل شبه علنى ( ٥٠٠٠ نسخة ) وبعد مطاردة البوليس صدر العدد الرابع بالرونيو لكنها لم تواصل الصدور • كذلك أقامت دار نشر طلابية باسم « صوت الطالب » صدر عنها عدة كتيبات مثل « نريد أن نتعلم » و « ١٣ نوفمبر عيد الجهاد الوطنى »(١) والحقيقة أنه لا يمكن تصور النشاط التقدمى الجارف وسط طلاب الجامعة ولا الدور البارز الذى لعبه الطلاب الشيوعيون فى أحداث عام ١٩٤٦ وفى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بغير أن نضع فى الاعتبار هذا الدور الهام الذى قامت به ايسكرا فى مجال الطلاب ••

كذلك أصدرت « ايسكرا » كتيبا يتضمن ما يشبه البرنامج المرحلى تحت عنوان « أهدافنا الوطنية » •

وقد تعرض هذا الكتاب بالدراسة والتحليل لأهم القضايا الملحة وقدم فيها كلمة واضحة تعبر عن وجهة نظر ايسكرا •

فحول القضية الوطنية يقول « الجلاء العسكرى وحده لا يضمن استقلال وادى النيل ، انما نريد جلاء الاستعمار الاقتصادى الى جانب العسكرى والسياسى حتى يكون استقلالنا قائما على أسس متينة ، فكثيرا ما شاهدنا بلادا كانت تتمتع بسيادة كاملة عسكريا ولكنها لم تكن فى الواقع سوى مستعمرات اقتصادية ومالية » •

---

(١) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى ـ المرجع السابق ( وقد أكد عبد المنعم الغزالى أنه مؤلف كتاب « ١٣ نوفمبر » والذى صدر باسم سرى هو محمد حامد ) •

وعن وحدة وادى النيل « فانه مطلب يبدو جميلا ومعقولا ، ولكنه ينطوى على أخطار جمة قد تضر بقضية الشعبين المصرى والسودانى ، ففى السودان اليوم حركة ترى أن المطالب المصرية تخفى وراءها اتجاهات استعمارية من كبار رجال المال والصناعة المصريين ٠٠ ان الشعب المصرى لا يريد استغلال أحد ، وانما يريد سودانا حرا قد تخلص من كافة أنواع الاستعمار ، يريد اتحادا بين الشعبين المصرى والسودانى بما يحقق الرفاهية والتقدم للشعبين »(١) ٠

ولقد كان الكتاب معتدلا فى توجهاته الى الدرجة التى جعلته وهو يناقش السياسة الدولية لمصر ما بعد الحرب العالمية الثانية أن يطالب بالدخول « فورا فى مفاوضات مع الدول الكبرى أمريكا والاتحاد السوفييتى وفرنسا والصين لعقد معاهدات تحالف وصداقة ، ولاقامة علاقات اقتصادية وتجارية تقوم كلها على أساس الاحترام المتبادل مع عدم المساس بحريتنا وديمقراطيتنا وعلى أن لا يكون لايهما مركزا ممتازا فى مصر »(٢) ٠

ولم يتحدث الكتاب بسطر واحد آخر عن الاتحاد السوفييتى ٠

وعن الجامعة العربية « ان الشعب المصرى ليتمسك كل التمسك بالجامعة العربية ، ولكنه يرفض رفضا باتا ــ وتشاركه فى ذلك جميع الشعوب العربية ــ أن تكون الجامعة العربية أداة يستعملها المستعمر لكبت الحركات التحررية وللحيلولة دون نمو الديمقراطية ٠

ولن تغدو الجامعة العربية أداة كفاح الا اذا قامت الشعوب العربية جميعها قومتها ، مطالبة بحكومات ديمقراطية تمثل ارادة الشعوب ، وترفض كل تهاون أو مساومة مع المستعمر ٠

ولكى تزداد روح الكفاح فى داخل الوحدة العربية يجب أن يتسع نطاق التمثيل الشعبى فى داخلها ، فلا يقتصر على التمثيل الحكومى ، بل يجب أن يتسع ليصبح تمثيلا فعليا لنقابات العمال واتحاداتهم واتحادات الطلبة والمثقفين ومنظماتهم ولمنظمات الفلاحين والعمال الزراعيين الحالية والمستقبلة، على أن يكون هؤلاء الممثلون منتخبين انتخابا حرا لا قيود فيه ٠

وان الشعب المصرى ليدعو جميع الشعوب العربية الى تكوين جبهة متحدة

---

(١) محمد عبد المعبود الجبيلى ، شهدى عطيه الشافعى ــ أهدافنا الوطنية ــ مطبعة الرسالة ( ١٩٤٥ ) ــ ص ٩

(٢) المرجع السابق ــ ص ٢٨ ٠

للكفاح ضد الاستعمار والى تحقيق الديمقراطية الصحيحة واقامة اقتصاد شعبى وتعاون وثيق فيما بينهما على قدم المساواة »(١) ٠

وعن قضية فلسطين « ان حل القضية الفلسطينية لا يتحقق مطلقا الا بنمو الديمقراطية والتخلص التام من الاستعمار والصهيونية ، الامر الذى يقتضى حشد جميع القوى الشعبية ـ العربية واليهودية معا ـ لتحقيق استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وفلسطين المتحررة من الاستعمار بكافة ألوانه قادرة على حل مشاكلها باقامة حكومة ديمقراطية يتعاون فى ظلها العرب واليهود ٠٠ وقد أصبح ضرورة قومية ماسة أن يحارب الشعب المصرى كل اتجاه أو دعاية ترمى الى بذر بذور الشقاق بين الشعب العربى واليهودى فى فلسطين »(٢) ٠

٠٠ وفى السياسة الداخلية « انها لضرورة اقتصادية ملحة أن تكون نهضتنا الاقتصادية نهضة ديمقراطية صحيحة وذلك بأن تكون الصناعات الهامة الكبرى ملكا للدولة تديرها لمصلحة الشعب لتزيد من قوته الشرائية ورفع مستواه الاجتماعى ، وكى يتحقق هذا بصورة قاطعة يجب أن يشترك مندوبو العمال والفنيين فى ادارة المصانع جنبا الى جنب مع مندوبى الحكومة وموظفيها »(٣) ٠

« ولا يفتأ بعض الرجعيين يرددون نغمة قديمة وهى أن تأهيل الصناعة فى بلد كمصر ( أى جعلها ملكا للدولة )) انما هو اجراء اشتراكى أو شيوعى أو غير ذلك من الاسماء ، متناسين أن هذا مطلب ديمقراطى قديم أخذت به كثير من الدول الرأسمالية وان الحكومة المصرية بوضعها الحالى تملك مشروعات هامة كبرى كالسكك الحديدية والتليفونات »(٤) ٠

وعن المسألة الزراعية « الملكية الكبيرة أثر من آثار الاقطاع ، والتخلص من آثار الاقطاع شرط أساسى لكل استقلال كامل ٠٠ وعلى هذا يجب اعادة توزيع الملكية الزراعية باستيلاء الحكومة على الملكيات الكبيرة بعد حد معين وتوزيعها على الاراضى الحكومية وأراضى الاوقاف على فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين ٠٠ ولكن لا يجوز أن يؤدى هذا التوزيع الى تفتيت

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٣٥ ٠
(٢) المرجع السابق ـ ص ٣٨ ٠
(٣) المرجع السابق ـ ص ٥٠ ٠
(٤) المرجع السابق ـ ص ٥١ ٠

الملكية وحرمان البلاد من فوائد الانتاج الكبير فى الزراعة ٠٠ فيجب أن يشجع الفلاحون على استخدام الاساليب العلمية الحديثة فى الانتاج الزراعى ٠٠٠ وذلك بمساعدتهم على تكوين جمعيات تعاونية للانتاج الزراعى تمدها الحكومة بالقروض والالات ٠٠ »

« ويجب أن يطبق على العمال الزراعيين ما يطبق على العمال الصناعيين من حق تكوين نقابات للاجراء واتحادات لهذه النقابات »(١) ٠

ويمضى الكتاب ـ البرنامج متحدثا عن كافة مشكلات المجتمع ٠٠ الموظفين ، التعليم ، الصحة ، مساواة الجنسين والاقليات ٠٠ مقدما رؤية علمية هادئة لهذه المشكلات وحلولا سليمة لها ٠٠

وأخيرا ٠٠ « هذا هو البرنامج الذى يكفل قيام الاكثرية الساحقة من الشعب المصرى للكفاح فى سبيل الفوز بالاستقلال والحرية والديمقراطية ، وهذا هو البرنامج الذى يجب أن يتخذه الديمقراطيون أساسا للمعركة الانتخابية القادمة التى لابد لها أن تجرى دون أى مهلة أو تأخير »(٢) ٠

٠٠ وهكذا يتضح لنا ان الهدف من هذا الكتاب هو آعداد برنامج متكامل تتقدم به المنظمة نفسها الى الشعب المصرى ، وتجعله أيضا أساسا للمناداة بانتخابات جديدة تخوضها مسلحه بهذا البرنامج ٠٠ وهو الامر الذى لم يحدث ٠

٠٠ ويختتم الكتاب ـ البرنامج بالعبارات الاتية :

« فيا عمال مصر وفلاحيها ، ويا طلاب مصر ومثقفيها ، ويا مواطنات مصر ومواطنيها الى الكفاح صفا واحدا ، والى الكفاح الذى لا يلين فى سبيل الحرية والديمقراطية »(٣) ٠

هذا بالاضافة الى نشاط جماهيرى فى صفوف الاجانب مثل « رابطة خريجى الليسيه التى أقامت لها فرعا لطلاب الليسيه وقد نجح هذا النشاط فى أن يمتد الى معظم المدارس الاجنبية التى كانت تضم أبناء الجاليات

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٥٧ ٠
(٢) المرجع السابق ـ ص ٧٧ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٩١ ٠

الأجنبية وتضم معهم أبنـاء الارستقراطية المصرية ولعل هذا يفسر الطبيعة الطبقيـة للطلاب المصريين الذين ضمتهم ايسكرا • « وفي كل يوم سبت كنـا ننظم محـاضرة حـول موضـوعات اجتمـاعية وتربويـة وفلسـفية ومشاكل تهم الشباب والاسرة وتحـاول أن تقـدم لهـا حلولا ماركسية » لكن المتحـدث وهو أحـد منظمى هذه المحاضرات يواصل حديثه قائلا : « أود أن أقرر ان اهتمامنـا كان بعيـدا تماما عن الواقع المصرى ، وكنـا لا نقـرأ الا كتبـا فرنسية ومطبوعات الحزب الشيوعى الفرنسى ، وكان نشـاطنا لا يختلف من الناحية الفعلية عن نشـاط أى مجموعة فى الحزب الشـيوعى الفرنسى »(١) •

هذا عن النشاط العلنى فماذا عن العمل الحزبى ••

كانت هنـاك لجنة مركزية مكونة من هليل شوارتز – ايلى ميزان – سيدنى سلامون – عزرا هرارى – ارمان بيليسى – شهدى عطية – عبدالمعبود الجبيلى ونلاحظ أن التركيب هو عكس تركيب ل٠م الحركة المصرية ( اثنـان فقط من المصريين بينما فى ح٠م اثنان فقط من الاجانب ) ••

ويجمع كوادر ايسكرا على أن التنظيم كان برغم هذا النشاط الجماهيرى الواسع وبرغم الحفـلات والرحلات ، سريا للغـاية « كانت السرية فى ايسكرا شديدة ، الناس كانت تعرف بعضهـا البعض فى الحفلات ، لكن لا تعرف أى شىء عن الانتماء التنظيمى وأى خطـأ فى ذلك يعـاقب عليه بشدة »(٢) وبرغم طول فترة الترشيح ( يجمع كل من محمد سيد أحمد وفاطمة زكى والبير آرييه على أنهم قضوا فترة ترشيح لا تقـل عن عام ) فان المرشحين لم يكونوا يفاتحون بأن هنـاك تنظيما ما « عندما أبلغت بقبولى عضوا كان ذلك أول مرة أعرف فيهـا أن هنـاك تنظيما ، وأطلعونى على اللائحـة •• وكانت باللغة الفرنسية – وأذكر أن اسم التنظيم كان مشطوبا وسألت عن سبب ذلك فقـالوا للامان وأبلغونى شفويا أن اسم المنظمة هو ايسكرا وكانت أول مرة أسمع فيهـا هذا الاسم ، وبدأت نشرات الحزب ونشراته الداخلية تصلنا وكانت باللغة الفرنسية أيضا ثم دعيت الى مدرسة كادر وكانت مدرستنـا هى برت شوارتز زوجـة هليل شوارتز وقـد أعطتنا كورسا فى الاقتصاد السياسى ومحاضرتين فى الأسبوع لمدة عدة أشهر • وكانت النشرة الداخلية ضخمة جدا ومليئـة بالتحليلات السياسية •

---

(١) محضر نقـاش مع البير آرييه – المرجع السابق •

(٢) محضر نقـاش مع محمد سيد أحمد – المرجع السابق •

وكانت قواعد الامان متشددة الى درجة أنهم كانوا يشككونا فى أسرنا »(١)

واذا كانت النشرة الداخلية ضخمة جدا ٠٠ فان النشرة الخارجية كانت بدائية للغاية ٠٠ ولم تكن تحمل ما يشير الى انها تصدر عن منظمة محددة مكتفية باتخاذها اسم « الشرارة » وكانت تحمل كشعار شطر بيت شعر « اذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان » ٠

والنشرة بدائية للغاية ٠٠ مكتوبة بخط يد ردىء على الاستنسل ومطبوعة على رونيو بدائى ٠٠ والنشرات لا تحمل اسم المنظمة ولا تاريخ الصدور ولا رقم العدد ٠٠

وتحت أيدينا عددين أحدهما يحمل فى صدر صفحته الاولى عنوان « جبهة وطنية موحدة » ويبدأ المقال « وأخيرا وبعد تهادن طويل قررت حكومة الشركات النقراشية عرض القضية على مجلس الامن ، وقد جاءت عريضة الدعوى معبرة عن اتجاه السعديين والاحرار الدستوريين فهى تخدم الاستعمار البريطانى وتضر بقضيتنا ، تماما كالمذكرة الهزيلة الضعيفة التى سبق للنقراشى فى عهد وزارته الاولى أن قدمها ٠٠ »

ثم يؤكد المقال « ان الوضع الصحيح للقضية يجب أن يكون على أساس :

**أولا** : الجلاء التام عن مصر والسودان ٠

**ثانيا** : الاعتراف للسودان بالحكم الذاتى » ٠

ونقول « ان الاعتراف للسودان بحقه فى الحكم الذاتى مطلب منطقى وعادل فللسودان قومية مختلفة وقد قال ماركس ان شعبا حرا لا يمكن أن يستعبد غيره ٠٠ وتسهيلا لتأليف جبهة شعبية موحدة بين الشعبين المصرى والسودانى فعلى كافة الوطنيين وخاصة التقدميون أن يؤلفوا جبهة وطنية موحدة لاقامة هذه الحكومة »(٢) ٠

---

(١) محضر نقاش مع البير آرييه ــ المرجع السابق ٠

(٢) الشرارة ــ نشرة مطبوعة بالرونيو ومكتوبة بخط اليد ــ ( اسم التنظيم غير مذكور ــ التاريخ غير مذكور ــ رقم العدد غير مذكور ) ٠

وتضمن العدد مقالا عن الاتحاد السوفيتى ، ومقال بعنوان « منظمات ديمقراطية ورجعية » وفى الصفحة الاخيرة خبر مختصر عن اضراب عمال التلغراف بالقطر المصرى .

أما العدد الاخر فهو أيضا لا يحمل اسم المنظمة ولا تاريخ الصدور ولا رقم العدد .. وهو أيضا بدائى الطبع ومكتوب بخط ردىء وتحمل صفحته الأولى رسم شعلة ورسما بدائيا للغاية ( يشبه رسوم الاطفال ) للعم سام وعنوان المقال الرئيسى « عدو جديد » ويقول « حملت الينا الانباء أخيرا أن النقراشى يسعى للحصول على قرض من أمريكا وان الجيش المصرى سيحصل على أسلحته من أمريكا وسيستخدم كذلك بعثة عسكرية أمريكية ان هذه الاتجاهات النقراشية الرجعية نتيجة للقيود التى تحاول هذه الحكومات الاقطاعية تكبيل شعبنا بها » .. « مثل هذه القروض هى التى كبلت الشعبين اليونانى والتركى باستعمار حربى بغيض ، هذه القرض هى التى ما زالت تسيل الدماء فى الصين ، والان ما هو الثمن ؟ لن يسدد هذا الثمن النقراشى أو غيره وانما ستسدده جموعنا الشعبية من دمها ودمعها ، ستدفع الثمن غاليا وستفقد حريتها .. فلا بد للخادم الجديد النقراشى أن يكبل الشعب وأن يفقد حريته وأن يجعل من مصر قاعدة حربية ونقطة وثوب وتهديد للشعوب العربية والديمقراطية بأوروبا » .

ثم مقال بعنوان « التقدميون والحركة ( كلمة مطموسة عن عمد ) للطبقة العاملة » ومقال آخر بعنوان « قصة كتاب رجعى » يتحدث عن كتاب الشيوعية لالبير مزراحى ويقول « ان كاتبه الحقيقى هو مصطفى حمام الذى كتبه لمزراحى مقابل عشرة جنيهات » .

ثم مقال بعنوان « أيدوا أندونيسيا »(١) .

وكانت ايسكرا تقوم هى أيضا على أساس التنظيم الفئوى قسم الاجانب ( ٤٠٠ عضو قبيل الوحدة ) قسم الطلاب ( ٣٠٠ عضو قبيل الوحدة ) قسم المثقفين ، ثم قسما عماليا رمزيا للغاية .. وتحت كل قسم لجان فروع وتحت لجان الفروع خلايا .

وكان نشاط ايسكرا مركزا أساسا فى القاهرة والاسكندرية ولم تبد اهتماما بذكر العمل خارج هاتين المدينتين .

---

(١) الشرارة - نشرة مطبوعة بالرونيو ومكتوبة بخط اليد - ( اسم التنظيم غير مذكور - رقم العدد غير مذكور ) .

وفى الاسكندرية كان هنـاك عملا نشيطا مركزا أساسا فى أوسـاط الأجانب والطـلاب وخاصة طلاب كليتى العلوم والطب ومن المصريين الذين لعبوا دورا هاما فى هذا الصدد حسين كمال الدين ـ عبد المنعم خربوش ـ عبد العظيم أنيس ٠

وأخيرا فاذا كان أحـد الكتـاب قـد وصف ايسكرا بأنهـا « منظمـة تمثل أساسا مجاميع من المثقفين ذوى الصلة بالثقـافة الغربية ، طلبة ومدرسين ومهنيين ينشطون وسط المثقفين ومنعزلين الى حـد ما عن الجماهير ، ويهتمون أساسا بالدراسة والتثقيف ويجنـدون لتنظيمهم العنـاصر المثقفـة من خلال الصـلات الشخصية لا من خلال النشاط الجماهيرى »(١)

واذا كانت كوادر المنظمة الاخرى ( الحركة المصرية للتحرر الوطنى ) يقولون عنهـا « كانت ايسكرا منظمة مليئة بالأجانب والأغنياء »(٢) فان أحد كوادر ايسكرا يؤكـد أن مثل هذا التكوين الذى تسوده غالبية ساحقة من أبنـاء الطبقـات الغنية كان « بداية لاحداث رد فعل فى المستقبل هو الانحراف اليسارى الذى رفع شعار ١٠٠٪ عمال »(١) غير أن شهادة أخرى تقـدم ولا يمكن تجاهلهـا من احـدى كوادر المنظمة ، ففاطمة زكى تقـول « وبرغم كل شىء فان هذه العناصر سواء من الاجانب أو المثقفين أو أبناء الاغنيـاء قد أثبتت فى كثير من الأحيـان نضاليتهـا ٠ والذى أريـد أن أوضحه أن ذلك كـان طبيعيـا فى المرحلة الأولى »(٢) ٠

وبرغم ما قـد يبدو فى بعض ما سبق من لهجة انتقـادية لأسلوب تفكير ومنهج عمل منظمة ايسكرا فانه يتعين علينـا أن نؤكـد أنهـا قـد لعبت دورا هاما وبارزا فى عدد من المجـالات مثل الطـلاب والمثقفين ٠٠ لكن هـذا النشاط الجم وبرغم أهميته كان فى نظر البعض ـ وبسبب الجموع الغفيرة من الاجانب والبرجوازيين الصغـار وأبنـاء الاغنيـاء ـ بؤرة لتفريخ التكتلية والانقسامية والانحرافات اليسارية التى ما لبثت أن سادت الحركة الشيوعية بعـد فترة وجيزة ٠

---

(١) طارق البشرى ـ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ الهيئة المصرية العـامة للكتاب (١٩٧٢) ص ٨٣ ٠

(٢) محضر نقـاش مع مبارك عبـده فضل ـ جلسة المناقشة الاولى ـ المرجع السابق ٠

(١) محضر نقـاش مع محمد سيد أحمد ٠ المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقـاش مع فاطمة زكى ـ المرجع السابق ٠

## الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م ) :

كان تأسيس الاتحـاد اليمقراطى بداية لتجمع القوى الراغبة فى اقامة النشاط المـاركسى فى مصر ، ولكنه كان ـ أيضا ـ بداية لتمايزها ٠٠ ولقد تحـدثنـا أكثر من مرة عن الخـلافات التى فرقت بين هنرى كورييل وهليل شوارتز ومارسيل اسرائيل ٠

وقـد تمـايز كوريل عن الطرفين الاخرين بدعوته للتمصير وباللجوء الى جماهير الشعب من منطلقـاتها الحقيقية وبمراعاة مشاعرها القومية والطبقية والدينية ٠٠

ولعل اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى ٠٠ يبدو كافيا للدلالة على نوعية الاتجاه الذى اختاره مؤسسها ٠٠ لكن كيف كانت البداية ؟ ٠٠ لقد قرر كورييل تكوين تنظيم مصرى ٠٠ شعبى ، ولكن كيف ؟ ٠٠ ذلك هو السؤال الذى جابهه وهو يروى ذكرياته عن هذه الفترة قائلا « فى البداية كنا وحدنا » وخـلال أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وبينما كانت القـاهرة تموج بالمظـاهرات « طبعنا منشـورا باللغة العربية نقـول فيه للمصريين لا تتصوروا أن الألمـان أفضل من الانجليز » ويبدو أن عبارة « فى البداية كنا وحدنا » كانت حقيقية ذلك أن هنرى كورييل يمضى فى روايتـه « وخرجت لاوزع هـذا المنشـور بنفسى أنا وجورج بوانتيه وكان منظرا مضحكا أثنـان من الاجـانب يوزعـان منشورات باللغة العربية ٠ وقـد وزعنـا ٤٠٠٠ نسخة من هذا المنشور(١) » ثم تفرق الاثنان ، جورج بوانتيه فقـد الحماس للعمل على أرض مصر وتطوع للقتـال فى صفوف الفيلق الفرنسى واستشهد فى عام ١٩٤٣ أثنـاء تحـرير فرنسا ٠٠ أما هنرى كورييل فقـد ألقى القبض عليه وأودع فى معتقل الزيتون حيث أخـذ كما يقـول « حمام تمصير » وخرج من المعتقل ليخرج أيضـا « من جو النوادى والحلقات ذات الطـابع الاجنبى وبدأت على الفور فى تأسـيس حركة شيوعية مصرية منظمة وأسست ح٠م واتصلت بمجموعة من المثقفين المصريين وانطلقنـا فى عمل واسع وسريع جدا ومنتشر ، واتصلنا بعديد من العمـال وبعمال سلاح الطيران والسودانيين والنوبيين(٢) ٠

---

(١) محضر نقـاش مع هنرى كورييل ٠ جلسة المناقشة الاولى ـ باريس ـ الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

وسرعان ما ضمت هذه الحركة الوليدة الى أحضانها عناصر مصرية وعمالية ٠٠

« ففى أواخر عام ١٩٤٢ قامت ادارة الضبط فرع ب ببوليس مدينة القاهرة بمراقبة تنظيم شيوعى هو الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم قبض على زعمائه وهم توماس بلاموتيس وسلامون سيدنى وعلى أبو النيل وزكى عبده وادوارد عبده »(١) ٠

ويعلق أحد الباحثين على هذه الواقعة قائلا « وأهمية هذه القضية هو أن الثلاثة الأخيرين من المقبوض عليهم كانوا من العمال »(٢)

وقبل أن نواصل بحثنا عن نشاط كبرى المنظمات الشيوعية وأكثرها تأثيرا فى مسار الحركة الشيوعية بل والحركة الوطنية المصرية عموما يتعين علينا أن نتوقف لنسأل مؤسسها لماذا اخترت اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى وليس الحزب الشيوعى ؟ ٠٠ ويجيب « الحقيقة أن الكثيرين طالبوا باعلان الحزب فورا ، لكننا كنا نرى أن اعلان حزب يمكنه أن يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلب وقتا كثيرا وجهدا أكبر واعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوافرا لنا ٠٠ كنا فى بداية الطريق ،

ولم يكن من السهل أن نعلن للجماهير أن هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلى للبروليتاريا المصرية وهكذا أعلنا أننا حركة للتحرر الوطنى تستهدف تحقيق عدة أهداف من بينها :

١ ـ تكوين حزب شيوعى ٠

٢ ـ اصلاح زراعى ٠

٣ ـ تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السودانى(٣) ٠

---

(١) بوليس مدينة القاهرة ـ التقرير السنوى لسنة ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ـ ص ١٠٧ ٠

(٢) د٠ عبد الوهاب بكر ـ أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر ـ المرجع السابق ـ ص ٥٢ ٠

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ جلسة المناقشة الثانية ـ باريس ـ ١٩٧٠/١/٢٤ ٠

وكان قرار كوربيل ومجموعته بأن يؤسسوا تنظيما شيوعيا مجرد بداية ·· « أعلنا أننا شيوعيون ، لكن ما معنى أن نكون شيوعيين ؟ لا أحد يعرف ، ما هو الشيء الذى يتعين علينا القيام به ؟ لا أحد يعرف وقلت علينا أن ندرس ولكى ندرس يجب أن تكون هناك كتب ، وهكذا كانت أول خطوة هى العمل على افتتاح مكتبة ·· وفعلا افتتحت مكتبة الميدان »(١) ·

ولقد لعبت مكتبة الميدان دورا هاما فى جعل الفكر الماركسى متاحا فى مصر ·· ولعلها كانت نقطة تحول حقيقية فى هذا الصدد ·· ولعلنا نستطيع أن نستند فى تقييمنا للدور الذى لعبته مكتبة الميدان الى فقرة من تقرير « سرى - عاجل » أرسله المعتمد البريطانى اللورد كيلرن الى وزير خارجية بريطانيا أنتونى ايدن فى ١١ أبريل ١٩٤٥ ·· « افتتح السيد / كوربيل مكتبة تروج الكتب والادبيات الروسية · واذا كانت هذه الأدبيات لا تتخذ شكل الدعاية الشيوعية المباشرة ، فانها تقدم للقارىء جوانب الحياة والانشطة الاجتماعية فى روسيا ، وتقدمها له بصورة جذابة · وربما تجد هذه الادبيات قراءا عديدين فى صفوف الطلاب المصريين »(٢) ·

والحقيقة أن معظم كوادر الحركة الشيوعية فى ذلك الحين قد تلقت معرفتها الاولى بالفكر الماركسي من مكتبة الميدان · غير أننا نريد أن نلفت النظر الى نقطة هامة وهى نوعية التفكير العملى الذى تشير اليه المعادلة ·· « علينا أن ندرس ، ولكى ندرس يجب أن تكون هناك كتب ، وهكذا كانت أول خطوة هى العمل على افتتاح مكتبة » · هذا التفكير العملى ، المباشر ، الذى يعرف نقطة الانطلاق الحقيقية والعملية نحو الهدف ، ظل مميزا لكوادر ح·م ، ثم كوادر حدتو فيما بعد ·

وبعد المكتبة كان العمل التنظيمى والذى تمثل فى تجميع عدد من المصريين حول راية المنظمة الجديدة ·· ويمكن القول أن عملية التجميع

---

(١) المرجع السابق ·

2) F.C. 317 — 46003/9929 — (Secret) From Britsh Embassy in CAIRO 11 th APRIL 1945.

الأولى تمت على مرحلتين ·· المرحلة الاولى هى الوصول الى المصريين ··
وفى هذه المرحلة جمع هنرى كوربيل حوله عددا من المثقفين اليساريين المصريين
وربما كان يدرك أنهم لن يصمدوا معه طويلا فى المعركة الشاقة لتأسيس التنظيم
لكنهم كانوا بالنسبة له مرحلة ضرورية للوصول الى تلك النوعية الخاصة
من الكوادر التى يريدها ليخوض بها المعركة الحقيقية لتأسيس ح٠م ··

وهكذا وفى البداية كان هناك محمد زكى هاشم ، أحمد دمرداش تونى ،
د٠ فؤاد الاهوانى ، تحسين المصرى ، موسى عبد الحفيظ ·· ثم من هؤلاء الى
المرحلة الثانية الى الكوادر المصرية الشعبية التى اعتمد عليها حقا فى بناء
التنظيم ·· وأهم ما تميزت به عملية اختيار هذه الكوادر هو اجتذابها
من ميدان النضال الوطنى والطبقى ، وشعبيتها وانتمائها ( حتى المثقفين
منها ) الى الطبقات الكادحة والفقيرة ··

وهكذا تواجدت عناصر مثل سيد سليمان رفاعى ، ابراهيم العطار ،
سيد حامظ ، فؤاد حبشى ، يوسف مصطفى ، ابراهيم عرفة ( مجموعة ميكانيكى
الطيران ) ومن ابراهيم العطار ( ضباط الطيران ) الى شقيقه مختار العطار
( كلية الفنون الجميلة ) ومنه الى كمال شعبان ( نفس الكلية ) ومنها الى
مجال الطلاب ·

ومن عبده دهب ( نوبى سودانى فقير ) الى صالح عرابى الى مجموعات
السودانيين والنوبيين الذين استطاعوا من خلال كوادر مثل ( زكى مراد ،
مبارك عبده فضل ، محمد خليل قاسم ) أن يلعبوا دورا قياديا بارزا فى
الحركة النوبية وفى قيادتها ومنهم سودانيين مثل ( عبد الخالق محجوب –
محمد أمين حسين – التيجانى الطيب – عز الدين على عامر ·· ) الذين
أسهموا فى تأسيس القسم السودانى ثم الحزب الشيوعى السودانى ·

ومن محمد شبطا ( الذى برز خلال معارك اضرابات شبرا الخيمة والذى
أنتخب سكرتيرا للجنة عمال شبرا الخيمة بعد قيام السلطات بحل نقابتها )
ومن محمد حمزة ( أحد القادة المرموقين لعمال المحلة الكبرى وقائد اضراباتها
الشهيرة عام ١٩٤٦ ) الى صفوف العمال ·

ويتطلب الأمر وقفة للتأمل ··

فالأمر لم يكن مجرد البحث عن مصريين وانما مصريين مناضلين تابعين
من معارك نضالية ، وأيضا مصريين من أكثر فئات الشعب معاناة وفقرا ··

وبالاضافة الى هؤلاء نجح كورييل ، بمساعدة من سام بارزل الشيوعى الانجليزى الذى كان مجندا ضمن قوات الاحتلال ، فى أن يضم الى تنظيمه المجموعة التى صمدت من كوادر الحزب الشيوعى القديم ٠٠ ( د٠ عبد الفتاح القاضى ـ الشيخ صفوان أبو الفتوح ـ شعبان حافظ ـ عبد الرحمن فضل ـ د٠ حسونة ـ محمد دويدار وبقية أعضاء التنظيم الذى كانوا يقيمونه من أمثال عبد الفتاح الشرقاوى وكمال الحناوى والشيخ سعاد جلال ٠٠ الخ(١) ) ٠٠

وهكذا يوشك الحلم أن يتحول الى حقيقة ٠٠

لكن هنرى كورييل يعتبر أن التأريخ الحقيقى لتأسيس ح٠م هو تاريخ أول مدرسة للكادر ، لماذا لانه يعنى بالنسبة له الانتقال الكيفى نحو الكوادر التى أمكنها الانطلاق بالعمل التنظيمى بنشاط وديناميكية كانت الطابع المميز لكوادر ح٠م ثم حدتو من بعدها ٠

أنه يعنى بالدقة الانتقال من مرحلة ، «أى مصريين يساريين» الى مرحلة الكوادر الشعبية والعمالية التى جرى تجنيدها من خضم المعارك الوطنية والطبقية والمؤهلة فعلا للاستمرار فى العمل الثورى وتحمل تبعاته ٠٠

يقول كورييل « فى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر ٠ وكانت هذه المدرسة نقطة تحول هامة فقد حضرها الكادر الاساسى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح٠م »

فماذا عن هذه المدرسة ٠٠؟ ٠

عقدت فى يناير ١٩٤٣ ٠ فى عزبة يملكها والد هنرى كورييل فى المنصورية بمحافظة الجيزة وقام بالتدريس فيها هنرى كورييل ، محمد زكى هاشم ( وكان فى ذلك الحين وكيلا للنيابة ) ، أحمد دمرداش تونى ، تحسين المصرى ، جوماتالون ، موسى عبد الحفيظ ، أما الطلاب فكانوا وفقا

---

(١) راجع محضر النقاش مع د٠ عبد الفتاح القاضى ، أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢١ ـ ٩ ـ ١٩٦٨ ـ المرجع السابق ٠
ومع عبد الفتاح الشرقاوى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٣ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ المرجع السابق ٠

لرواية كوربيل ٢٥ طالبا منهم ، سيد سليمان رفاعى ، سيد حافظ ، ابراهيم العطـار ( عمال سلاح الطيران ) ، مختار العطار ، كمال شعبان ، صبحى زغلول ( الطلاب ) ، الشيخ عبد الرحمن ، وآزهرى آخر اسمه كمال ( من الازهر ) ، عبده دهب ( السودانيين والنوبيين ) وعدد آخر من العمال والمثقفين والموظفين لم يمكن الاستدلال على أسمائهم ٠

ولنترك أحـد طلاب هذه المدرسة ليروى لنـا انطباعاته « كانت المدرسة شيئا باهرا وكانت المحاضرات ذات مستوى مرتفع وأذكر أن محاضرة كل من زكى هاشـم وجومتالون كانتـا ممتـازتين بشكل خاص وأن أحمد دمرداش تونى ألقى محاضرة جيـدة عن الوضع الاقتصـادى فى مصر وعن الاقتصاد الزراعى لكنهـا كانت معقـدة بعض الشىء »(١) ٠

ويضيف هنرى كوربيل « أن برنامج الدراسة فى مدرسة الكادر كـان يتضمن محاضرات عن تاريخ مصر على ضوء المـادية التاريخية جغرافية مصر ـ الاقتصاد السياسى ـ المـادية الجدلية ٠ وكان نظـام المدرسة صـارما وبروليتاريا حقـا ، وكنـا ننشد نشيد الدولية الذى ترجم الى العربية وكـان مطلعه :

**يـا بؤسـاء الدنيـا قـوموا**
**قـوموا يـا محـرومين م الخـير**
**سخطـكم بقى رعـد يـالـلا قـوموا**
**ده الانتفـاض الأخـير »(٢)**

ويقـول سيد رفـاعى أن « عضوا بالحزب الشيوعى الانجليزى قـد حضر الجلسة الختـامية للمدرسة وألقى كلمة باللغة الانجليزية »(٣) ٠

ولأن المدرسة كانت نقطـة تحول حقيقيـة يضيف كوربيـل « وفى ختام المدرسة أعلنـا نحن المدرسين للطلبة أننـا قـد نكون أناسا ثوريين لكننـا لسنـا الأصحاب الحقيقيين للقضية وأنهم ـ أى الطلبة ـ هم الأصحـاب الحقيقيين لهـا »(٤) ٠

---

(١) محضر نقـاش مع سيد سليمان رفاعى ـ أجريت المناقشة بالقـاهرة فى ١٩٧٦/١/١٢ ٠

(٢) محضر نقـاش مع هنرى كوربيل ـ جلسة المناقشة الثانية ـ المرجـع السابق ٠

(٣) محضر نقـاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق ٠

(٤) محضر نقـاش مع هنرى كوربيل ـ المرجع السابق ٠

وبعد المدرسة صعد الى اللجنة المركزية للمنظمة عدد من الكوادر الجديدة بحيث أصبحت مكونة من « هنرى كورييل ، جو متالون ، تحسين المصرى ( مهندس ) ، موسى عبد الحفيظ ( موظف ) ، سيد سليمان رفاعى ( عامل ) سيد حافظ ( عامل ) ، كمال شعبان ( طالب ) ، مختار العطار ( طالب ) ، صبحى زغلول ( طالب ) ، عبده دهب ( عامل ) ، عبد الرحمن الثقفى (أزهرى) ، كمال ( طالب ازهرى لم يمكن الاستدلال على بقية اسمه ) ثم د. عبد الفتاح القاضى ( طبيب ) وقد ضم الى اللجنة المركزية كممثل للمجموعة التى انضم بها الى ح.م وتولى فى ح.م ( مسئولية قسم المثقفين ) . وفيما بعد ضم الى اللجنة المركزية محمد شطا ( عمال النسيج ) .

وانطلقت ح.م فى ساحة العمل الثورى والوطنى المصرى بكل قواها محققة نتائج باهرة .. ولعل خير تقييم لنشاطها فى هذه الفترة هو فقرة من تقرير أحد خصومها التاريخيين « مارسيل اسرائيل » يقول فيها « كانت ح.م أكثر المنظمات الشيوعية ديناميكية وحركة »(١) .

ولقد تعرضنا فى الفصول السابقة الى الانشطة العلنية والجماهيرية للحركة المصرية للتحرر الوطنى .. وسوف نكتفى هنا بالقاء نظرة على المنطلقات التنظيمية الاساسية التى تميزت بها ح.م وكانت محل صراعات وخلافات عديدة وسوف نركز أساسا على ستة محاور :

* التمصير .
* التعميل .
* الاهتمام بالفلاحين .
* التنظيم الفئوى .
* الاهتمام بالكوادر السودانية .
* التكوين النظرى .

ولقد كان التمصير معركة حقيقية ، لكنها كانت معركة ذات حدين ..

فكما خاض كورييل معركته فى الاتحاد الديمقراطى ضد هليل شوارتز الذى هاجم التمصير باعتباره موقف « شوفينى » فقد عانى هو

---

(١) مارسيل اسرائيل . تقرير مرفوع الى الحزب الشيوعى الايطالى المرجع السابق .

أيضا من هجمات عنيفة شنها ضده عدد من هؤلاء الذين أسهم هو فى تكوينهم وفى اقناعهم بأهمية التمصير ، فأولا وقبل كل شىء كان هنرى كورييل أجنبيا أو على الاقل من أصل أجنبى ·· ومن ثم فقد تعرض ومنذ الاتحادالديمقراطى لهجمات تطالب بالتمصير الكامل بمعنى ابعاده هو ·· تزعمها محمد نصر الدين ( المدرس بكلية البوليس ) ثم تزعمها بعد ذلك فى صفوف ح·م نفسها كوادر من أمثال د· عبد الفتاح القاضى ـ عبد الفتاح الشرقاوى ـ فوزى جرجس ·

ويروى لنا عبده دهب قصة أحد اجتماعات الصراع من أجل التمصير ، وكان ذلك فى البدايات الاولى وقبل تأسيس ح·م « وجهت لى الدعوة لحضور اجتماع فى منزل شخص عرفت فيما بعد أنه جو متالون وكان الاجتماع ساخنا جدا ودار فيه نقاش حاد ، وفى البداية أحسست أننى لا أفهم شيئا ، وبالتدريج فهمت أن هناك خلافا بين كورييل وشوارتز حول التمصير ··

وقف هنرى كورييل وفى يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فورا الى العربية وتحدث طويلا عن أهمية تشكيل تنظيم ليقود معركة التحرر الوطنى ، وتحدث عن أهمية تمصير هذا التنظيم بحيث تكون غالبية أعضاء اللجان القيادية من المصريين ·· وقال أنه يعلم أنه لا توجد كوادر مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية ··

وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين ، وأذكر أنه قال أن لينين كتب مقالا فى العدد ٣٨ من « ايسكرا » قال فيه أنه يمكن لطلائع أجنبية أن تلعب الدور القيادى فى التنظيم فى بلد متخلف · وتحدث جورج حنين قائلا : أن وجهة نظر كورييل صحيحة بشرط أن يتم ابعاد كورييل نفسه لانه أجنبى ، وتحدث كورييل قائلا بأنه مستعد لان يوجد فى اللجنة المركزية كعضو مرشح بدون صوت ، وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفردية » (١)(*) ·

---

(١) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين ـ أجريت المناقشة بالخرطوم فى ١٨/١٠/١٩٦٩ ·

(*) بعرض محضر النقاش مع عبده دهب على هنرى كورييل لم يبد اعتراضا على هذه الرواية ·

أما وجهة النظر الاخرى فيعبر عنها فوزى جرجس قائلا « لاحظت ان عدد الاجانب فى التنظيم لا يتناسب مع التركيب العام له ، فكتبت تقريرا مضمونه أننا فى معركة ضد الاستعمار ، وفى بلد القضية الوطنية فيه ملتهبة ومن الممكن أن أعداء الحركة الشيوعية يتهموننا بأننا نستمد تفكيرنا من الخارج • وقلت أنا لا أشك فى اخلاص هؤلاء الناس لكن عليهم هم أن يؤكدوا اخلاصهم بأن ينسحبوا من المراكز القيادية »(١) وبرغم رواية فوزى جرجس هذه فان سيد رفاعى يؤكد أن عدد الاجانب فى ح•م لم يكن يزيد على العشرة أشخاص وأنه ومع تقدم العمل لم يعد هناك أصلا قسم للاجانب(٢) •

والحقيقة أنه بالنسبة للحركة المصرية للتحرر الوطنى يمكن القول بأن عملية التمصير قد تمت على أفضل وأسرع وجه ممكن بحيث تم اختيار عناصر مصرية جادة وشعبية ونضالية ودفعت وربما بأسرع مما يجب نحو مراكز القيادة •• ولم يكن فى قيادة ح•م كما شاهدنا سوى اثنان فقط من الأجانب هما هنرى كورييل وجومتالون •

كذلك فانه وبرغم جدية بعض الاعتراضات على وجود أجنبى ـ مهما كان ـ على رأس تنظيم مصرى فاننا نلاحظ أن البعض قد استخدم «التمصير» حجة أو مبررا اما للانقسام أو التكتل أو حتى الهرب من ميدان الكفاح ، كذلك استخدمه البعض سلاحا فى الصراعات الايديولوجية والشخصية على السواء •

وفى اعتقادنا •• أن التمصير من القمة الى القاعدة كان ضرورة تاريخية وحتمية وخاصة فيما يتصل بموقع المسئول السياسى •

لكن ، المؤرخ ـ وحتى المؤرخ الشديد الحياد ـ لا بد له أن يتوقف ويتساءل كيف ولماذا ثارت مشكلة التمصير كقضية صراع ضد القيادة فى ح•م بينما لم يكن للاجانب فيها سوى عدد بالغ الضآلة ولماذا لم تثر فى ايسكرا تلك المنظمة التى قامت أساسا على الاجانب سواء فى القيادة أو القاعدة •• وحتى الكوادر المصرية لم تتذكر قضية التمصير والتعميل الا بعد الوحدة وبعد نشوب الصراعات الداخلية والتكتلات والانقسامات •

هذه المسألة تحتم علينا أن نتوقف لنتأمل المواقف •• ويبدو أن قضيتى التمصير والتعميل برغم حيويتهما وضرورتهما كانتا كأى شعار سياسى يمكن

---

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس ـ أجريت المناقشة فى ١٩٧٦/١/١٧

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق •

استخدامهما من الحدين ٠٠٠ أى من الحد الصحيح ومن الحد الخاطىء ٠٠٠ ويمكن أن تكونا ستارا لمواقف متطرفة وانفعالية وهروبية ٠٠ ولعل الامر يتضح أكثر فى قضية التعميل ٠٠

وكانت ح٠م أيضا صاحبة شعار التعميل ٠ وقد حققت فى هذا المجال نجاحات كبيرة استطاعت من خلالها أن تلعب دورا هاما ـ وبعد فترة قصيرة ـ فى الحركة النقابية المصرية وفى حركة الطبقة العاملة عموما ٠

إن نشرة « كفاح العمال » كانت أحد مظاهر تعميل أنشطة المنظمة وتوجيهاتها ٠٠ ولقد كان التعميل معركة ، لكنها كانت معركة من نوع أخر ، تتمثل فى الاختيار الجاد للقيادات النضالية فى مجال العمال وصقلها وتربيتها تربية شيوعية بحيث تؤهل ليس فقط لخوض غمار النضال الشيوعى وانما أيضا لقيادة هذا النضال ٠٠

وتحدث كورييل عن هذه المسألة قائلا ٠٠ « وبعد ذلك أعلنا هدف التعميل ، وتصورنا أنه يمكن انجاز مهمة التعميل بنفس الاسلوب الذى اتبعناه فى التمصير ٠٠ وقد وقعنا فى خطأ كبير فان عملية التمصير تمت بالتصعيد السريع لعناصر مصرية الى القيادة وتدريبها وتربيتها من خلال الممارسة نفسها ، وتصورنا أنه يمكن التعميل بنفس الطريقة أى أن نصعد عمالا بغض النظر عن مستواهم الفكرى الى صفوف القيادة ، وصعدنا الى القيادة عددا من العمال بقصد أن نشعر العمال بأنهم الملاك الحقيقيين للتنظيم » ٠

« لكن من هم العمال ؟ هذا هو السؤال الذى حاولنا أن نجيب عليه ٠ وقلنا أن التعميل بالمعنى النظرى والثورى هو ضم طلائع العمال فى المراكز العمالية الكبرى ، وهذا يعنى فى ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج ، وعمال النسيج المصريين كانوا فى ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشكل عام غير متعلمين وأدى التصعيد السريع للعمال الى اضعاف التكوين الفكرى لقيادة التنظيم فى ظروف كان قد بدأ يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية وتواجهه مشكلات نظرية وفكرية خطيرة ٠ كذلك فان المثقفين فى قيادة التنظيم قالوا أن المسافة الواسعة بين الاجنبى والمصرى حتمت التمصير ، لكن المسافة تقل كثيرا فيما بين المثقف والعامل المصرى »(١) ٠

---

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ جلسة المناقشة الثانية ٠ المرجع السابق ٠

والحقيقة أن هذه المشكلة لم تتفاقم الا بعد وحدة ح٠م مع ايسكرا فكوريبيل يؤكد أن التعميل قد تم فى ح٠م بنجاح وأن المثقفين من أمثال مختار العطار وغيره كانوا يتركون أماكنهم فى القيادة طواعية لاتاحة الفرصة لتصعيد العمال حتى أصبحت اللجنة المركزية مكونة أساسا من العمال (١) • ويقول سيد رفاعى « لم يكن التعميل مجرد ضم عمال أى عمال ، وانما كان هناك اختيار جاد للكوادر العمالية ، ولكن بعد الوحدة شوه شعار التعميل ، وحدث ابتزاز باسمه ، وصعد عمال غير جديرين بالقيادة ولا وزن لهم ولما حاولنا الاعتراض قيل انا ضد التعميل(٢) » •

وهكذا وكما قلنا من قبل ، يصبح الشعار السياسى ذو حدين ويمكن استخدامه من الحد الصحيح أو استخدامه من الحد الخاطىء بل القاتل ، فالعناصر البرجوازية الصغيرة تمادت فى شعار التعميل ، كما سنرى فيما بعد لتنادى بشعار ١٠٠٪ عمال •

وحتى بعض عمال ح٠م أنفسهم من أمثال محمد شطا ومحمد حمزة أمكن استدراجهم أيضا الى غمار الاعمال التكتلية والانقسامية فى هذه الفترة •

هذا عن العمال ، فماذا عن الفلاحين •• ؟

لم يكن الاهتمام بالريف غريبا ، بل كان ضرورة حتمية •

لكن نقطة البدء كما يقول هنرى كوريبيل « كانت محاولة تلمس وسائل الفهم وتحديد الاوضاع الطبقية وكان هناك اتفاق على الخريطة العامة للريف عمال زراعيين – فلاحين معدمين – فلاحين متوسطين – فلاحين أغنياء – اقطاع » لكن الخلاف نشب حول تحديد ماهية كل فئة « وقد لاحظت أن البعض يعالج الموضوع بالنقل من الكتب الاجنبية ففى الكلاسيكيات الاوروبية كانوا يقولون أن حدود الملكية المتوسطة هى ٢٠ هكتار وقد ترجمت هذه الفكرة الى العربية ليصبح الفلاح المتوسط هو من يملك عشرة أفدنة(٣) » •

---

(١) محضر نقاش مع هنرى كوريبيل – جلسة المناقشة الثالثة • المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى – المرجع السابق •

(٣) محضر نقاش مع هنرى كوريبيل – جلسة المناقشة الثالثة – باريس – ١٩٧٣/٤/٢ •

هكذا فان ح ٠ م قد رفضت مثل هذا التفكير الميكانيكى والمنقول ، وقدمت مفهوما آخر ٠٠ « الفلاح المعدم هو الذى يمتلك أو يستأجر أرضا لا تكفيه كى يتعيش منها ٠٠ وفى التطبيق العملى يعنى ذلك من يمتلك أو يستأجر فدانا فأقل ٠ أما الفلاح المتوسط فهو الذى يعيش أساسا من عمله بالأرض التى يمتلكها أو يستأجرها أى من يمتلك فدانين تقريبا ، أما الفلاح الغنى فهو الذى يعتمد فى زراعة الارض على العمل المأجور أكثر مما يعتمد على عمله بنفسه هو وأسرته ، أى أن العنصر الحاسم فى تفكير ح٠م هو أن كمية العمل المطلوبة للارض تزيد عن قدرة المالك وأن نسبة العمل المأجور أكثر من نسبة مشاركة المالك فى العمل (١)» ٠

ولا يمكن القول بأن مثل هذه الافكار قد تعرضت لخلافات أو اختلافات جادة معها لسبب بسيط وهو أن الاخرين كانوا ــ فى أغلب الأحيان ــ لا يهتمون أصلا بمشكلة الريف ولم تكن قد وضعت بعد فى جدول أعمالهم ٠٠

أما فؤاد عبد الحليم ، مسئول قسم الاقاليم فى ح٠م ، ثم دائرة الأقاليم فى « حدتو » فانه يروى لنا مدى تفاوت اهتمام القيادات المختلفة بالعمل فى الأقاليم وفى الريف عموما ٠٠

« بعد أن انضممنا الى ح٠م ( مع جزء من منظمة القلعة ) اهتم بى هنرى كورييل اهتماما كبيرا ، وقد لعب دورا فى دفعى للعمل الشيوعى وخاصة فى الأقاليم حيث عملت فى لجنة المناطق ( وهى المسئولة عن النشاط فى المناطق ، أى النشاط ما عدا ــ القاهرة والاسكندرية ) وهى اللجنة التى أسميت فيما بعد بلجنة الاقاليم ٠ وكان لها فى البداية نشاط محدود فى عدد من المدن الريفية : شبين الكوم ، شنوان ، الزقازيق ، الاسماعيلية ، المنصورة ــ ثم ما لبث النشاط أن اتسع بصورة كبيرة فى الاقاليم وامتد الى القرى من خلال حث الطلاب من أبناء الريف على النشاط فى الأجازات الصيفية » ٠

وبعد الوحدة أحس فؤاد عبد الحليم بتغيير غريب ٠٠ فجانب من القيادة لم يكن فقط غير مهتم بالنشاط فى الريف ، بل لعله كان يعتبره انحرافا غير محمود العواقب وكان يشعر « فى اجتماعات اللجنة المركزية بأن البعض غير راض عن اتساع النشاط فى الريف(٢) » ٠

---

(١) المرجع السابق ٠٠
(٢) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم ٠ المرجع السابق ٠

وبالنسبة « للحركة المصرية للتحرر الوطنية » أثير ويثار حتى الان الكثير من النقاش حول ما أسمى بالتنظيم الفئوى ٠٠

يقول فوزى جرجس « كان التنظيم الفئوى كارثة الكوارث »(١) ولقد هوجم التنظيم الفئوى من منظمات مختلفة البعض هاجمه على أساس أنه ضد النقاء البروليتارى للحزب بحجة أن الحزب هو حزب طبقة واحدة هى البروليتاريا والبعض هاجمه على أساس أن عزل المثقفين والطلاب والاجانب فى أقسام مستقلة قد أتاح للتيارات البرجوازية الصغيرة سرعة التوالد فى مناخ ملائم الامر الذى أدى الى سهولة الانقسامات والتكتلات ، والبعض هاجمه على أساس أنه ضد القواعد المتعارف عليها للتنظيم ٠

وكان لا بد من أن نلجأ الى سؤال قادة ح٠م حول هذا الموضوع ، وأن نبحث معهم عن المبررات التى أملت عليهم هذا النمط من أنماط التنظيم ٠٠

يقول هنرى كورييل « كانت هناك عدة أسباب لتفضيل هذا الشكل من أشكال التنظيم ٠ أولا أننا لاحظنا أن هناك توسع شديد فى بعض المجالات ، ولو فتح الباب أمام القادمين منها لاختل التوازن داخل المنظمة مثلا فى مجال الطلبة كان التجنيد واسعا جدا ، وكذلك فى صفوف الاجانب فى البداية ، فكيف نفتح الباب كى تصبح أغلبية المنظمة من الطلاب أو من الاجانب أليس فى ذلك خطر على اختلال التكوين الطبقى والسياسى والقومى للمنظمة ؟ ولهذا فصلت تنظيم الطلاب مثلا فى قسم خاص ، كذلك فقد كان النشاط فى مجالات محددة ومن كوادر من نفس المجال يتيح الفرصة لاحراز نتائج باهرة وسريعة ٠٠ شيوعيون طلاب يقودون طلابا شيوعيين وكان هذا الشكل يحقق تقدما كنا فى أمس الحاجة اليه ، وخاصة فى البداية ، وكان التخصص ضرورة لازمة ، كوادر تتخصص فى العمل فى مجال معين وتدرس كل أبعاده واحتمالاته وانعكاساته والفرص الثورية الكامنة فيه ٠ كذلك فقد كانت خطتنا بناء منظمة جماهيرية ديمقراطية لكل فئة ، فقد كانت مصر تفتقد المنظمات الجماهيرية مثل اتحاد طلاب ، اتحاد عمال ، اتحاد نسائى ٠٠ الخ ومن ثم فقد كان تكوين قسم طلابى شيوعى بقيادة من كوادر طلابية شيوعية مثلا خطوة هامة لخلق النواة القادرة على اقامة هذه المنظمات الجماهيرية(٢) ٠

---

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس ٠ المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل ، جلسة المناقشة الثانية المرجع السابق ٠

ويكمل سيد سليمان رفاعي الصورة موضحا كيف تمت صياغة الشكل التنظيمي الملائم لتنظيم الفئوى قائلا « كانت المشكلة هي كيف نفهم طبيعة مجالات العمل ، الامر الذى دفعنا الى عدم تشكيل مستويات متعددة ، كانت هناك اللجنة المركزية ثم الاقسام مباشرة ، والاقسام قيادات نوعية لمجال محدد ومن نفس المجال فكان هناك مثلا قسم الطيران وتحته مباشرة توجد الخلايا التابعة له » .

وهكذا كان الشكل التنظيمي للحركة المصرية للتحرر الوطني كالآتى :

لجنة مركزية لها سكرتارية مركزية من أربعة منهم : هنرى كورييل ، سيد سليمان رفاعى ، كمال شعبان ، ثم أقسام :الطيران ( ٨٠ عضوا موزعين على خلايا فى كل الاسراب والورش ) تم تحول قسم الطيران الى قسم الجيش ( بعد اتساع النشاط وسط الكتاب العسكريين والاسلحة الصغيرة ، وسلاح الاشارة وسلاح المهمات وموسيقات الجيش والصولات وادارة التجنيد ثم وهذا هو المهم وسط الضباط(١) وكان الاسم الحركى لهذا القسم فى بداية الامر « موسى » ثم قسم الطلاب وبعد اتساع النشاط فى الازهر تكون قسم خاص للازهر ( ٢٢ عضوا موزعين على خلايا فى كلية الشريعة ، كلية أصول الدين ، كلية اللغة العربية ، ومعهد القاهرة الدينى )(٢) .

وكان هناك قسم للعمال . ثم مع اتساع النشاط فى شبرا الخيمة استقل هذا النشاط بقسم خاص هو قسم شبرا الخيمة ثم قسم المحلة الكبرى مع اتساع النشاط العمالى هناك . وكان هناك قسم الأحياء لتنظيم خلايا الأحياء وقسم الاقاليم وقد بدأ أساسا بتجميع الخلايا المتواجدة فى عدد من المدن الريفية ( المنصورة ـ الزقازيق ـ كفر الزيات ـ شبين الكوم ـ طنطا ـ دمنهور ) . وقد تولى مسئولية هذا القسم فؤاد عبد الحليم بعد أن انضم الى ح.م قادما من « منظمة القلعة » ثم أيضا قسم النوبيين وقد نشط هذا القسم نشاطا واسعا فى أوساط النوبيين وفى تكوين الاندية النوبية وحشد جموع هذه الاقلية المظلومة والشديدة الفقر فى غمار العمل النضالى وفى نفس الوقت احباط المخططات الاستعمارية التى كانت تستهدف فصل النوبة عن مصر . ويتحدث مبارك عبده فضل عن هذه المعركة قائلا « كانت معركة دخلناها كشيوعيين على نطاق الجماهير النوبية ، فقد كانت هناك حملة من حزب الأمة لتشجيع النوبيين المصريين القاطنين

---

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق .
(٢) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل ـ المرجع السابق .

فى المنطقة بين حلفا والشلال على الهجرة الى السودان • وكنا نحن الشيوعيين نرفض ذلك بشدة ونقاومه وقد أسهمنا فى احباط محاولة نسم النوبة الى السودان » •

( وكانت قيادة قسم النوبيين فى ح•م مكونة من : زكى مراد ، مبارك عبده فضل ، محمد خليل قاسم ، حسين عبد الرحمن جاسر » • (١)

ومن النوبيين امتد نشاط ح•م الى السودانيين المقيمين فى مصر ، والحقيقة أن ح•م • قد أولت قضية السودان اهتمامها بالغا ، وقد بدأ اهتمامها ببحث هذه القضية عندما اتصل بها ضابط بالجيش من أصل سودانى هو محمد نجيب ليسأل عن رأى الشيوعيين فى القضية السودانية (٢) •

وبعد الدراسة قررت ح•م أن ترفض الشعار البرجوازى « نيل واحد • شعب واحد • ملك واحد » وأن ترفع شعار « الكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى ضد العدو المشترك » وقد بلغ من فرط اهتمام ح•م بالمسألة السودانية أن ركزت المجلتان العلنيتان الصادرتان عنها « حرية الشعوب » و « أم درمان » ، وبشكل أساسى ، على القضية السودانية وقضايا الكفاح المشترك بين الشعبين »

ويروى عبده دهب قصة تأسيس قسم السودان فى ح•م فيقول : « فى عام ١٩٤٣ كلفنى التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية وبعد ذلك كلفت بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا انها موجودة هناك • وفى الخرطوم قابلت أحد مؤسسى هذه المجموعة وهو ضابط انجليزى أسمه ( أستورى ) •• وقال لى أنه برغم كل ما بذل من جهود لم يستطع أن يجند سوى شخصين هما أحمد زين العابدين وحسن الطاهر زروق ، وطلب منى استورى أن أضم نشاطنا الى مجموعته التى يزمع أن يلحقها بنشاط الحزب الشيوعى الانجليزى • وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية وعارض كورييل بشدة وأكد على ضرورة الاسراع بتكوين قسم مستقل للسودانيين تمهيدا لتأسيس تنظيم مستقل فى السودان • وفعلا تكون هذا القسم سريعا وكان اسمه الحركى « شركة الملح والصودا »(٣) •

---

(١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل ـ المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل : جلسة المناقشة الثالثة • المرجع السابق •

(٣) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين ـ المرجع السابق •

وقد انضم الى هذا القسم عبد الخالق محجوب ـ د. عبد الوهاب زين العابدين ـ محمد أمين حسين ـ عبد الرحيم فودة ـ د. عز الدين على عامر ، عبد الماجد أبو حسبو ، حسن اسماعيل . وقد مثله فى لجنة ح.م المركزية اثنان هما عبده دهب وعبد الماجد أبو حسبو .

ثم ما لبثت ح.م أن انتقلت الى مرحلة أخرى : بأن أسهمت فى تأسيس التنظيم الشيوعى السودانى المستقل الذى كان نواة للحزب الشيوعى السودانى .

« وفى ١٩٤٥ وصل الى القاهرة شخصان هما حسن الطاهر زروق والمهندس عبد الأمين أبو القاسم ، وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى مجموعة الخرطوم وعدد من قادة ح.م هم هنرى كورييل و د. عبد الفتاح القاضى وتحسين المصرى . وقد تم الاجتماع فى منزل كورييل . وقدم المندوبان تقريراً يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مستقل له قيادة مستقلة ووافق المجتمعون على ذلك . واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون فى مصر أعضاء فى ح.م وفى حالة عودتهم الى السودان ينضمون فورا الى التنظيم هناك وفى نفس المستوى الذى كانوا يعملون فيه فى القاهرة . واتفق أيضا على أنه فى حالة انتقال أى شيوعى سودانى للاقامة فى مصر ولو بصفة مؤقتة ينضم الى المستوى المقابل فى ح.م واتفق على تسمية التنظيم السودانى الوليد باسم « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » ـ ( حستو )(١) » .

وهكذا ولد أول تنظيم شيوعى سودانى باسهام مباشر من ح.م . الأمر الذى يعتبر وبحق أحد مفاخر هذه المنظمة .

والحقيقة أن ح.م. لم تقصر اهتمامها على تجنيد السودانيين وحدهم فقد كونت أيضا عدة مجموعات من اليمنيين والليبيين والاثيوبيين .. وكان ذلك تعبيرا عن الادراك الواعى للدور الاممى للمنظمة .

لكننا لا نستطيع أن ننهى الحديث عن ح.م دون أن نعالج قضية بالغة الاهمية وهى موقف ح.م من الوعى النظرى ، لقد ردد بعض كوادر ايسكرا دعاوى بأن كوادر ح.م كانوا « عمليين » ولم يهتموا «بالوعى النظرى» وربما كان مصدر هذه الدعاوى هو أسلوب ح.م فى التجنيد وفى تربية الوافدين

---

(١) المرجع السابق .

الجدد بتكوينهم بروح الاهتمام بالعمل الجماهيرى ومشاكل الجماهير ودفعهم الى معترك الصراع وتثقيفهم أثناء ومن خلال المعترك ، بينما كانت ايسكرا تدخل المرشح الى « زنزانة » التثقيف كما يقول أحد كوادر ح٠م بحيث يتعين عليه أولا ولكى يثبت « جدارته » كشيوعى أن يدرس وأن « يلخص » عددا من الكتب • بل وأيضا أن يدرس المادية الجدلية وأن يوافق عليها كشرط لانضمامه الى المنظمة ، كانت ح٠م تبدأ الكورس التثقيفى للاعضاء الجدد بمحاضرة عنوانها « عيوب المجتمع » تناقش قضايا المجتمع المصرى ومشاكله وأساليب حلها ٠٠ ثم تطور المجتمع ، ثم صورة عن المجتمع الاشتراكى ثم محاضرة عن « خلية المنشأة » تناقش قضايا التجنيد والعمل الحزبى ٠٠ « وبعد هذا الكورس أبلغنا المسئول أننا أصبحنا أعضاء(١) »

غير أننا لا يمكننا أن نناقش قضية « الوعى النظرى » دون الاشارة الى حقيقة هامة وهى أن ح٠م كانت المصدر الاول والأساسى للنظرية الماركسية فى مصر • ففى البداية فتحت مكتبة الميدان ، ثم بعد ذلك قدمت لجمهور القراء التقدميين أهم سلسلة كتب نظرية مترجمة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية والتى اشتهرت فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية باسم « سلسلة الكتب الخضراء » •

وربما كانت هذه السلسلة أول جهد مكثف فى الوطن العربى كله لترجمة الأدبيات الماركسية وقد تناولت ح٠م هذه القضية بأكبر قدر من الاهتمام والعناية فخصصت مكتبا كاملا ( مكتب المثقفين ) للقيام بهذا العمل « وكانت الترجمة دقيقة جدا وتراجع أيضا بدقة من قبل متخصصين فى اللغة العربية ومتخصصين فى اللغة الانجليزية • بل أننا اعتمدنا فى عملية المراجعة على بعض أعضاء مجمع اللغة العربية(٢) » •

وقد أمكن للحركة المصرية ومن خلال هذا الجهد المكثف أن تقدم لكل المنظمات الشيوعية وللقراء المصريين عامة ثروه من الفكر النظرى مترجمة الى اللغة العربية ٠٠ وقد طبعت منهما كميات كبيرة وطرحتها للتوزيع بشكل نصف علنى ٠٠ وتضم هذه السلسلة ثلاثة عشر كتابا منها :

البيان الشيوعى ـ تعاليم كارل ماركس ( لينين ) ـ الى الريف الفقير ( لينين ) ـ عن التنظيم ( ستالين ) ـ أسس اللينينية ( ستالين ) ـ عن اللغة

---

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع فوزى جرجس ـ المرجع السابق •

( ستالين ) ـ المادية الجدلية والمادية التاريخية ( ستالين ) ـ الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية ( انجلز ) ـ العمل المأجور ورأس المال ( كارل ماركس ) ـ القيمة والثمن والربح ( كارل ماركس ) ـ الاقتصاد محرك التاريخ ( روجيه جارودى ) ـ المسألة الوطنية والمستعمرات ( ستالين ) .

وبهذه الحصيلة النظرية أمكن للشيوعيين المصريين أن يجدوا ولاول مرة ، سلاح الماركسية اللينينية متاحا فى أيديهم وباللغة العربية .

وكانت ح.م تصدر عديدا من النشرات الحزبية منهـا :

ـ « الحقيقـة » وهى المجلة الخارجية للتنظيم ( كانت تطبع بالرونيو وتوزع حوالى ١٠٠٠ نسخة ) .

ـ « الحيـاة الثورية » وهى توزع أيضا على غير الاعضاء وتتضـمن نمـاذج ملهـة من حيـاة المكافحين وبطولات الشيوعيين فى الحرب ضـد الفـاشية ( كانت تطبع بالرونيو وتوزع حوالى ١٠٠٠ نسخة ) .

ـ « كفاح العمـال » وهى مجلة للتوزيع الخـارجى وخاصة فى مجـالات العمال وكانت تهتم أساسا بالمشـاكل العمـالية ( كانت فى البـداية تطبـع بالرونيو ثم طبعت بالمطبعـة وكانت توزع حوالى ٣٠٠٠ نسخة(١) وفى بعض الأحيـان ارتفع توزيعهـا الى ٥٠٠٠ نسخة(٢) ) .

« الوعى » وهى مجلة نظرية للتوزيع على الاعضـاء ..

.. وبهـذا نقف بالحركة المصرية للتحرر الوطنى وهى على عتبـات الوحـدة مع ايسكرا .. وكان مجموع عضوية ح.م قبيل الوحـدة حوالى ٦٠٠ عضو(٣) .

**منظمة اتحـاد شعوب وادى النيل :**

من بين امتدادات الحزب الشيوعى المصرى ( القـديم ) كانت هنـاك مجموعة تضم د. عبد الفتـاح القـاضى ومحمود حسنى العرابى ( السكرتير

---

(١) محضر نقـاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق .
(٢) محضر نقـاش مع زكى مراد ـ جلسة المناقشة الثانية ـ القـاهرة ـ ١٩٧٤/١١/٢٥ .
(٣) محضر نقـاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق .

العام السابق للحزب ) وبعض الكوادر أمثال عبد الرحمن فضل ، محمد دويدار ، شعبان حافظ ، د. حسونة . الخ ، وفى نهاية الثلاثينات انضمت الى هذا التنظيم مجموعة من ثلاثة عبد الفتاح الشرقاوى ، عبد المغنى سعيد الشيخ سعاد جلال ، وكانت هذه المجموعة تؤمن بالماركسية فى جوانبها الاجتماعية والاقتصادية بينما ترفض الفكر المادى »(١) .

وما لبث حسنى العرابى أن انشق عن المجموعة كاشفا فجأة عن ميول فاشية صرفة واستمر هذا التنظيم الصغير فى التواجد محاولا ألا يثير أية خلافات نظرية فى صفوفه .

ومن خلال ضابط انجليزى شيوعى كان موجودا بمصر ضمن قوات الاحتلال اسمه سام باردل التقت هذه المجموعة مع منظمة ح.م . واتحدت معها (٢) .

لكن عبد الفتاح الشرقاوى قبل التواجد فى صفوف الحركة المصرية للتحرر الوطنى على مضض فقد كان لا يزال يؤمن باقامة منظمة ماركسية ترفض الفكر المادى وتتمسك بتعاليم الاسلام ، ومع ذلك فقد استمر فى صفوف ح.م وأصبح عضوا فى لجنتها المركزية .

ويقول هنرى كورييل « كان عبد الفتاح الشرقاوى متدينا وكان يقطع اجتماعات اللجنة المركزية ليؤدى الصلاة . والحقيقة انه انضم الينا وهو ضدنا لاننا غير مصريين ، ولكنه انضم الينا ليكسب الخبرة اللازمة لكى يؤسس تنظيما جديدا .. وكان الدين أحد أسباب الخلاف ، فهو لم يكتف بموقفنا الايجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما اسلاميا صرفا »(٣) .

ويؤكد عبد الفتاح الشرقاوى ذلك قائلا أن خلافه الاساسى كان يتركز حول موضوعى الدين وتواجد الأجانب فى التنظيم (٤) .

وانتهز الشرقاوى أول انعطافة فى العمل السياسى « للحركة المصرية للتحرر الوطنى عندما تنبأت بانفجار المظاهرات فى ٦ أكتوبر ١٩٤٥ ،

---

(١) محضر نقاش د. عبد الفتاح القاضى ــ المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل ــ جلسة المناقشة الثانية ــ المرجع السابق .
(٤) محضر نقاش مع عبد الفتاح الشرقاوى ــ المرجع السابق .

فلما لم تتحرك المظاهرات انسحب الشرقاوى معلنا فشل التنظيم ومؤكدا أن البلاد تمر بحالة جذر شديدة تتطلب عملا سريا صرفا ، وداعيا الى تأسيس تنظيم ماركسى يلتزم بتعاليم الاسلام .. أسماه « منظمة اتحاد شعوب وادى النيل » وأطلق عليه البعض من قبيل المزاح اسم « الحرب الشيوعى الاسلامى » .

وعلى أية حال فان الحذر الشديد والمبالغ فيه ( والذى جعل من هذه المنظمة مجرد توقعة بدون تأثير يذكر ) لم يفد صاحبه فكان أول من صدر حكم ضده بالسجن خمس سنوات فى قضية شيوعية عام ١٩٤٨ . وكان القبض على عبد الفتاح الشرقاوى هو النهاية لهذه المنظمة .

*** العصبة الماركسية .**

*** نواة الحزب الشيوعى المصرى .**

عندما انضمت مجموعة د. عبد الفتاح القاضى الى ح.م ، كان انضمامها مجرد تعبير عن الرغبة فى التوحد وفى الخروج من مأزق الحلقة الصغيرة غير القادرة على الاتساع أو الاستجابة لمتطلبات الوقت .

وكانت هذه المجموعة مكونة - على صغرها - من اتجاهين أولهما هو اتجاه الكوادر القديمة التى تعتبر امتدادا للحرب القديم وكانت هذه الكوادر تمتلك تحفظات عدة على ح.م ، لعلها كانت تعبيرا عن خبراتها المريرة الطويلة ويمكن القول بأن هذه التحفظات كانت تتلخص فى موضوعين :

( أ ) دور الاجانب فى التنظيم .

(ب) أساليب العمل التنظيمى ..

أما الاتجاه الثانى فهو الذى وصفه د. عبد الفتاح القاضى بأنه « جناح يمينى يؤمن بالماركسية دون الفكر المادى »(١) .. وعلى مضض بدأ الدكتور عبد الفتاح القاضى نشاطه فى صفوف ح.م حيث تولى قيادة قسم المثقفين فى المنظمة .. والتقى الدكتور القاضى بفوزى جرجس وهو موظف بسيط جذبه المناخ العام نحو « الاتحاد الديمقراطى » وهناك « وبعد محاضرة ألقاها الدكتور الاهوانى عن علم النفس ، جرت مناقشة حضرها

---

(١) محضر نقاش مع د. عبد الفتاح القاضى - جلسة المناقشة الثانية القاهرة فى ١٩٦٨/٩/٢٣ .

بعض الأجانب كان بينهم مارسيل اسرائيل الذى اهتم بى وضمنى الى النادى » ٠

« وبعد الاتحاد الديمقراطى انضممت الى نادى « ثقافة وفراغ » ، وعملت مع مارسيل وأحسست أن خلفه مجموعة من الناس ، ولكنه وبرغم ارتباطنا معا كان وثيقا فانه لم يفاتحنى فى أية مسائل تنظيمية »(١) ٠

ويبدأ فوزى جرجس فى دراسة الماركسية وتجمع حوله بعض المثقفين الشبان بلغ عددهم حوالى ١٥ شخصا « وأحسست بمسئوليتى تجاه هؤلاء الشبان ولجأت الى الدكتور القاضى لانضم الى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، وكان لجوئى اليه بسبب احساسى بعدم خبرتى التنظيمية ولثقتى الشخصية فيه »(٢) ٠

وربما كان انضمام فوزى جرجس الى ح٠م من خلال د٠ عبد الفتاح القاضى تعبيرا عن مشاركته له فى بعض أفكاره ، وربما كان هذا الانضمام بداية لان يلقن الدكتور القاضى للوافد الجديد الشاب تحفظاته التى يختزنها ٠ وبطبيعة الحال انضم فوزى جرجس الى قسم المثقفين حيث يبدأ مع الدكتور القاضى وبقية أعضاء قسم المثقفين فى ترجمة سلسلة الكتب الخضراء ، ولعل هذا الحماس الذى أتموا به هذا العمل الهام كان كما يقول فوزى جرجس تعبيرا « عن احساسنا بضرورة تثقيف الكادر المصرى »٠

وتظل هذه المجموعة على تحفظاتها التى يلخصها فوزى جرجس فى تحفظين أساسيين :

١ ـ تحفظ حول افتقاد القواعد والعلاقات التنظيمية الصحيحة ، وضرورة أن تكون العلاقات بين الكادر حزبية وليست شخصية ( وتقول هذه المجموعة أن هنرى كورييل كان يقيم علاقات شخصية مع بعض الكوادر ويربطها به على أسس شخصية )٠

٢ ـ تحفظ حول دور الأجانب ٠٠

---

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس ٠ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/١/١٧ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

ثم ما لبثت هذه المجموعة أن انقسمت معلنة تنظيم « العصبة الماركسية » .

وتتفق الروايات فى تحديد تاريخ هذا الانقسام تحديدا دقيقا فقد تم وبشكل مباشر فى أعقاب حملة الارهاب العنيف التى شنها اسماعيل صدقى فى ١١ يونيو ١٩٤٦ .

ويسود الحركة الشيوعية المصرية رأى بأن مجموعة العصبة انقسمت من ح.م بعد الضربة على أساس شعار « أحناء الرأس للعاصفة » .. ويؤكد من ناقشتهم من الكوادر هذه المسألة ..

يقول هنرى كورييل « فى ظروف الضغط الرجعى على الحركة تولدت تيارات يسارية تبلورت فيما بعد فى مجموعة م.ش.م واتجاهات يمينية مثل مجموعة فوزى جرجس التى رفعت شعار « احناء الرأس للعاصفة »(١) .

ويقول مبارك عبده فضل أن مجموعة العصبة « انقسام صغير من ح.م. خرجوا بعد حملة صدقى فى عام ١٩٤٦ مطالبين باحناء الرأس للعاصفة » (٢) .

أما سيد سليمان رفاعى وكان أحد الذين عاصروا عملية الانقسام من موقعه كأحد قادة ح.م فى ذلك الحين فيقول « بعد ضربة صدقى وضع د. عبد الفتاح القاضى وفوزى جرجس ( قسم المثقفين ) تحايلا يطالب بضرورة احناء الرأس للعاصفة ، وعقد عبد الفتاح القاضى اجتماعا لمن بقى من أعضاء المكتب السياسى بالخارج من خلف ظهرى وقد وافق الاجتماع على هذا الخط وكتب بيان يدور حول هذا المعنى ، فلما علمت بذلك هاجمتهم وقلت لهم أن هذا خط استسلامى وسحبنا البيان من الجهاز الفنى وكتبت بدلا منه بيانا عنيفا أؤكد فيه أن الشعب المصرى يستطيع أن يرد على هذه الضربة ، وتحديا للضربة ولهذا الخط الاستسلامى أسسنا جهاز طباعة بالحروف وأصدرنا عليه « كفاح الشعب » وهذا البيان .. »(٣) .

---

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ جلسة المناقشة الثانية ـ باريس . ١٩٧٠/١/٢٥ .

(٢) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل ـ جلسة المناقشة الأولى ـ ١٩٧٤/١٢/٢ .

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/١/١٢ .

لكن فوزى جرجس يصمم على نفى ذلك ويقول « أن ح٠م قد تفككت بعد الضربة ونحن كونا العصبة الماركسية لمواجهة الضربة » ويقول « ان شعار احناء الرأس للعاصفة هو محض اختراع وأنا لم أسمع به الا فى المعتقل »

ومع وضع تأكيدات فوزى جرجس فى الاعتبار ، فان كثيرا من الكوادر يؤكدون أن العصبة الماركسية قد تبنت قولا وفعلا شعار « احناء الرأس للعاصفة » عى الاقل فى الفترة التالية لضربة صدقى فى يوليو ١٩٤٦ ٠

والمهم أن تنظيما جديدا قد وجد فى يوليو عام ١٩٤٦ اسمه « العصبة الماركسية ، وكان مسئوله السياسى الدكتور عبد الفتاح القاضى والمسئول التنظيمى فوزى جرجس والقيادة المركزية مجموعها خمسة أشخاص أما اجمالى عدد التنظيم فكان حوالى ٦٠ عضوا »(١) ٠

أما المنهج الذى سار عليه التنظيم فيلخصه مسئوله التنظيمى فيما يلى:

١ ـ عدم ادخال أجانب فى التنظيم مطلقا ٠

٢ ـ الاهتمام بالتكوين العضوى للتنظيم ومراجعة قوائم العضوية باستمرار بحيث يكفل وعلى الدوام التوجه نحو العمال ٠

٣ ـ الغاء التنظيم الفئوى ٠

وكان للتنظيم نشرة خارجية اسمها « الأجير » ( توزع حوالى ٤٠٠ نسخة ) ونشرة داخلية ٠ ويقول فوزى جرجس « أن الاندفاع فى التنظيم لم يكن مرضيا وما لبث الكثير من المثقفين أن هربوا من الكفاح بما فيهم المسئول السياسى للمنظمة نفسه ، وكان الخطأ الاساسى والجذرى هو أن المنظمة لم يكن بها محترفين على الاطلاق » (٢) ٠

ثم مالبث هذا التنظيم أن تعرض لضربة من داخله أدت الى اصابة الكثير من كوادره بحالة من الشلل والتردد ويروى فوزى جرجس هذه الواقعة قائلا « عندما تكون ما أسمى بالحزب الشيوعى المصرى ، تكون فى شكل ديماجوجى وأشاعوا أن هناك تكليف للرفيق خالد من الحزب الشيوعى الفرنسى ( الذى قيل أنه المسئول عن متابعة نشاط الحركة الشيوعية فى الشرق الاوسط ) بالعمل على تكوين الحزب الشيوعى المصرى ، وأن كل من لا ينضم للحزب

---

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس ـ المرجع السابق ٠
(٢) المرجع السابق ٠

يعتبر خارجا على الحركة الشيوعية وخائن ، وقد تأثر بهذه الخدعة أحد المسئولين فى العصبة وهو طوسون كيرلس وكان مسئول الجهاز الفنى وقد خرج بطريقه مريبة ودون أن يثير معنا أى نقاش ، وقد أثار ذلك خوف عدد كبير من الكوادر فى المنظمة وقالوا أنه سوف يكشف كل أسرار المنظمة ، وبدأوا فى الانسحاب بهدوء .. »(١) .

ولا بد لنا أن نتوقف هنا لنلاحظ نوعية هذا الكادر ولنشير الى توافق مثل هذه النوعية مع شعار « احناء الرأس للعاصفة » .

وبعد هذا التفكك فى المنظمة يعيد فوزى جرجس فى نهاية عام ١٩٤٩ تجميع شملها باسم جديد تأثر طبعا باسم التنظيم الذى أثار كل هذا الارتباك فى صفوفهم وكان الاسم الجديد « نواة الحزب الشيوعى المصرى » ويقول فوزى جرجس « كانت النواة امتدادا للعصبة بأيديولوجيتها وتفكيرها » .

واستمرت النواة فى اصدار النشرة الخارجية « الأجير » ونشرة داخلية أسمها « الطليعة » .

وكانت جماعة العصبة ثم النواة فيما بعد تتمسك بوجهة نظر تجاه قضية الوحدة تتلخص فى ضرورة تحديد نقاط الخلاف وتصفيتها أولا من خلال صراع أيديولوجى مفتوح بين الكادر فى مختلف المنظمات على أن تشكل لجنة لادارة الصراع الأيديولوجى ثم يعقد مؤتمر للكادر .. والمؤتمر يحسم كل شيء .

ومن هنا فقد قاومت العصبة وحدة ح.م وايسكرا ، ومن هنا أيضا كان حماسها لفكرة « اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب الشيوعى المصرى » التى تكونت فى نهاية عام ١٩٤٨ واشتركت فيها ومثلها فوزى جرجس لكنه سرعان ما انسحب منها عندما حاولت المنظمات أن توحد نفسها لأنه اعتبر أن الصراع الايديولوجى لم يستكمل أركانه بعد(١) .

وظلت « النواة » تنظيما صغيرا ، يعانى من الحلقية والعزلة الى حد كبير حتى انضم الى تيار الوحدة فى عام ١٩٥٦ والذى تكون من خلاله « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » .

***

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

## * الطليعة ( ط ـ الاسكندرية )

منظمة صغيرة ، يقال انها نتاج لانشقاق صغير قاده د. حسونة * وهو أحد كوادر الحزب القديم التى انضمت الى ح.م ضمن مجموعة الدكتور القاضى وكانت بطبيعة الحال تحمل نفس التحفظات التى يحملها كل أعضاء هذه المجموعة . ولكن د. فؤاد مرسى يؤكد أنه أسس هذه المجموعة قبل سفره الى باريس عام ١٩٤٧(١) .

وقبيل انقسام الدكتور القاضى ( العصبة الماركسية ) كان الدكتور حسونة قد انشق ومعه أحد خلايا قسم المثقفين بالاسكندرية والاغلب أن مبررهم الاساسى كان حول دور الاجانب فى الحركة .

وقد استمرت هذه المنظمة فى التواجد كحلقة صغيرة تعمل فى اطار المثقفين فى مدينة الاسكندرية وحدها حتى أسميت ( طليعة ـ الاسكندرية ) . وكان مظهر التعديل الوحيد فيها هو عدلى جرجس موسى أحد قيادات رابطة خريجى المدارس الصناعية وعمال السكة الحديد .

وكانت تضم فى منتصف ١٩٤٧ أى عندما دعت للوحدة ما لا يزيد عن ٢٠ عضوا(٢) معظمهم من المثقفين وكانت قيادة هذه المجموعة ( د. حسونة ، يوسف موسى ( مدرس ) ، شخص يدعى عبد الحكيم ( مدرس ) ، شخص يدعى لطفى ( موظف بشركة مياه الاسكندرية ) ، عدلى جرجس ( عامل سكة حديد ) . ولم تكن هذه المجموعة تصدر أية نشرات لكنها كانت تعتمد على ما لديها من الكتب الخضراء (٣) .

---

(*) د. حسونة ـ صانع أسنان ـ أحد كوادر الحزب الشيوعى القديم . أرسل فى منتصف العشرينات الى موسكو للدراسة فى جامعة كادحى الشرق ، ثم عاد واستقر فى الاسكندرية حيث كون مجموعة كان لها نشاط محدود فى منتصف الثلاثينات واستمرت هذه المجموعة فى النشاط حتى التقت مع مجموعة الدكتور القاضى وعملا معا . وبعد أن انضمت المجموعة الى ح.م. عمل د. حسونة فى قسم المثقفين وقد أسهم بصورة أساسية فى تهيئة امكانيات طباعة بعض الكتب الماركسية التى صدرت ضمن المجموعة الخضراء ( المؤلف ) .

(١) د. فؤاد مرسى ـ حديث لجريدة الاهالى ١١ ـ ٩ ـ ١٩٨٥

(٢) محضر نقاش مع عدلى جرجس موسى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/١٦ .

(٣) المرجع السابق .

وعندما ارتفعت موجة الوحدة تميزت منظمة الطليعة عن شقيقتها العصبة الماركسية بأنها قبلت شعار الوحدة ، وسافر كورييل وسيد رفاعى الى الاسكندرية لمفاوضة قادة المنظمة الذين اشترطوا تمثيلهم فى القيادة ، ثم استقر الامر فى النهاية علي أن تمثل فى اللجنة المركزية للمنظمة الموحدة بشخص واحد هو لطفى موظف شركة المياه على أن يكون مسئول منطقة الاسكندرية الموحدة ولكن سرعان ما اكتشف الجميع أن طبيعة عمل لطفى فى شركة مياه الاسكندرية تعوق نشاطه فى اللجنة المركزية وحل محله شخص آخر من نفس المنظمة هو عدلى جرجس(١) ٠

***

٠٠ويبقى بعد ذلك أن نشير الى أن الرجعية المصرية لم تكن لامستريحة ولا غافلة عن هذا النشاط ٠٠ كذلك كان الاحتلال البريطانى والقصر الملكى يتابعان بقلق متزايد هذا النشاط ٠٠ ومنذ يونيو ١٩٤٥ تشكل جهاز بوليسى خاص لمقاومة الشيوعية ٠٠

وترصد السفارة الامريكية هذه الخطوة وترسل تقريرا الى وزارة الخارجية الامريكية جاء فيه :

« فى يونيو ١٩٤٥ تأسس قسم خاص بمقاومة ومتابعة النشاط الشيوعى فى البوليس المصرى وقد تكون هذا القسم فى أعقاب اجتماع عقد بين اللورد كيلرن ورئيس الوزراء النقراشى باشا ، وتلاه اجتماع آخر بين النقراشى وحسن رفعت واللواء فيتزباتريك وقد ترأس هذا القسم القائمقام حمدى بك الذى أشرف على عمليات القبض الاخيرة علي العناصر الشيوعية »(٢) ٠

ولا شك أن السفارات الاجنبية قد اهتمت هى الاخرى بهذا النشاط ، بل وسعت لأن تكون لها مصادرها الخاصة حوله ٠ والوثائق البريطانية تتضمن أحيانا اشارة الى « مصدرنا الخاص داخل الحركة » كذلك يبدو أن السفارة الامريكية قد فعلت نفس الشىء وربما من خلف ظهر البوليس المصرى —

---

(١) المرجع السابق ٠

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكيه تحت رقم :
--- RG 319 — OSS — Mis — 231423 BL — 26 DEC 45

ويلف النظر القبض على شخص يدعى « أ٠س٠ع » وكان يعمل بمكتب السفارة الامريكية مترجما فى الاستعلامات الامريكية ٠ ( وقد راعينا ألا نذكر الاسم كاملا رغم وروده بالوثيقة ٠ المؤلف ) ٠

وقد أرسلت السفارة الامريكية تقريرا الى واشنطن من ثلاث صفحات فولسكاب يتضمن دفاعا حارا عن الموظف المذكور ويوضح كيف تدخل «فرانك آلان» مدير مكتب الاستعلامات الامريكى أكثر من مرة لدى البوليس المصرى ولدى النيابة حتى تم الافراج عنه ٠ (١)

---

(١) وثيقة من ثلاث صفحات مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم :

— RG 319 Mis — 302100 — AL — 31 Aug. 46.

ومؤشر على هذا التقرير عبارة بخط اليد تفيد أنه حرر بمعرفة الكولونيل وليام ماكنون الملحق العسكرى بالسفارة ٠

.. الوحـــدة

وفي غمار هذا الكفـاح المحتـدم كانت قواعد المنظمات المختلفة تتلاقى فى العـديد من المجـالات وخاصة فى الجـامعة حيث تواجـد الكثير من كوادر « ح٠م٠ وايسكرا » ليكتشف كل منهم وجود الاخر ، وليكتشف أيضا أنـه لا توجـد خلافـات جادة فى السياسة تستدعى هذه الفرقـة ٠

٠٠ وكان المـد الجماهيرى عارما يحمل معه آفاقا نضالية رحبة ٠

٠٠ وقد حاول صدقى أن يضرب الحركة الوطنية والتقدمية ضربة قاصمة ٠٠ وفشـل ٠

٠٠ وكانت الأحزاب الشقيقة تتدخل ساعية لتوحيـد المنظمات المختلفة ، ومعروف أن الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وانجلترا ولبنان وفلسطين قد لعبت دورا فى الدعوة الى التوحيـد ٠

وهكذا تهيأ المنـاخ للوحـدة ٠٠

فماذا كانت المواقف حولهـا ؟؟

جماعة « ط٠ش٠ت » دعيت وحضرت الاجتماعات الاولى ثم انسحبت ، بل وحرضت الاخرين على الرفض والحقيقة أن جماعة ط٠ش٠ت لم تكتف بالانسحاب من الوحـدة وانما قامت بحركة غاية فى الخطورة وهى أنهـا جمعت معهـا عددا من المنظمـات الصغيرة ( العصبة المـاركسية ، منظمة اتحاد شعوب وادى النيل ، وجزء من تحرير الشعب ــ المؤلف ) ٠ وما أن تمت الوحدة فى يونيو ١٩٤٧ حتى فوجىء التنظيم الذى يجرى توحيده ببيان اسمه « بيان جبهة المعارضة » يهاجم الوحـدة ويصفها بالانتهازية ، ويهاجم المنظمة الجديدة هجوما عنيفا ٠ والغريب فى الامر أن « ط٠ش٠ت» لم تكن تعترف بمثل هـذه المنظمات ولكنهـا استخدمتها فقط لتكريس الانقسامية « ولقـد كان هذا البيان هو البداية الحقيقية لحملة الشتائم والمهاترات والاتهامات فى صفوف الحركة الشيوعية ، فقبلهـا كانت العلاقـات ودية بين الجميع »(١) ٠

وثمة رواية أخرى تعزز نفس الفـكرة « كان تيـار الوحـدة قـويا فى قواعـد مختلف المنظمات ، وحظى هـذا التيـار بتأييـد قيـادات الاحـزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية خلال مرورهم بالقـاهرة كذلك بتأييد عضوين من الحزب الشيوعى البريطانى ٠ وشـكلت لجنـة للوحـدة ودعيت كل من المنظمات الأربع ( ح٠م٠ ، ايسكرا ، تحرير الشعب ، ط٠ش٠ت ــ المؤلف )

---

(١) محضر نقـاش مع زكى مراد ــ جلسة المناقشة الثانية ــ القـاهرة ــ ١٩٧٤/١١/٢٥ ٠

الى الرسال ممثلين عنها فى تلك اللجنة لمناقشة الخلافات التى تفصل بين تلك التنظيمات ووافقت على ذلك جميع المنظمات ما عدا « ط٠ش٠ت » التى رفضت الاعتراف بأن المنظمات الثلاث الاخرى شيوعية ، ولكن المنظمات الثلاث قررت استئناف المناقشات فى موضوع التوحيد ، وقام على الفور تعاون وتنسيق على مستوى العمل العلنى ٠ وتكونت لجان فرعية للتنسيق ٠ وقد انضمت ط٠ش٠ت الى احدى هذه اللجان وهى اللجنة المختصة بتوجيه الصحافة العلنية ٠ وفى النهاية تعاونت التنظيمات الثلاثة فى اصدار نشرة شهرية أسموها « وحدة » ٠٠ وقد اصطدمت هذه المحاولة بالعناد الانفصالى لجموعة ط٠ش٠ت »(١) ٠

وثمة وثيقة أمريكية تمسك بهذا الخيط وتبدى اهتماما بالغا به ، فتشير الى تجمع « الهيئات الديمقراطية » والى عقدها اجتماعا مشتركا « ضم ممثلين للهيئات والتجمعات الاتية : مجلة أم درمان ( ومثلها عبده ذهب وأمين حسين ) مجلة الفجر الجديد ( ومثلها أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف ) رابطة فتيات الجامعة ( ومثلتها لطيفة الزيات ) لجنة نشر الثقافة الحديثة ( ومثلها سعيد عبد المعطى خيال ) دار الابحاث العلمية ( ومثلها شهدى عطية ) »(٢)

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن تعتبر السفارة الامريكية أن تجمع الهيئات الديمقراطية هو أخطر نشاط سياسى وقع فى الفترة الأخيرة ٠

أما صادق سعد فيقول انهم رفضوا هذا النوع « من التوحد الوفاقى والذى قد يقوم على أساس توزيع المناصب فى القيادة أو على أساس تنازلات غير مبدئية » ٠

وعن جبهة المعارضة ـ التى يؤكد الكثيرون صدور بيان باسمها ـ يقول صادق سعد « لا أذكر ٠ ولا أعتقد ٠ وكل ما أذكره فى هذا الصدد أنه فى يوم ما كانت محاولة من جانبنا للاتحاد مع تنظيم لا أذكر اسمه وانما أذكر أن سعيد خيال كان فى قيادته ( مجموعة من منظمة تحرير الشعب كانت تعمل أساسا فى لجنة نشر الثقافة الحديثة ـ المؤلف ) ٠٠ ولكن الاتصال بهم لم يثمر »(٣) ٠

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية ـ المرجع السابق ٠

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG 319 — 291034 — 30 June 46. — A1 T

(٣) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد ٠ المرجع السابق ٠

أما فوزى جرجس ( العصبة الماركسية ) فيفسر موقفهم من الوحدة كما يلى : لقد كان لنا مبدأ ، أنه قبل أى وحدة يجب أن تتم مناقشة أيديولوجية كاملة وتحدد نقط الخلاف تماما ، ثم تحسم المسألة عن طريق اجتماع الكادر ويقرر الكادر ما يراه • وهكذا كنا نرى عقد لجنة لادارة صراع فكرى ، ثم يعقد مؤتمر يقرر ما يراه »(١) •

وهكذا وفى نهايات ١٩٤٦ وبدايات ١٩٤٧ كانت خريطة الحركة الشيوعية المصرية فيما يتعلق بالوحدة كما يلى :

* ح•م• ، ايسكرا ، تحرير الشعب ، تناقش معا قضية التوحيد وتصدر نشرة اسمها « وحدة » وتنسق فيما بينها فى المجالات الجماهيرية ••

* منظمة القلعة ترى أن تيار الوحدة هو الاقوى ومن ثم تقرر الانضمام الى هذا التيار ثم تختلف كوادرها ، البعض ينضم الى ايسكرا والبعض الاخر الى ح•م •

* منظمة الطليعة ( الاسكندرية ) توافق على الوحدة بشرط تمثيلها فى القيادة •

* ط•ش•ت ترفض الوحدة على أساس أنها لا تتم بشكل مبدئى •

* العصبة الماركسية ومنظمة اتحاد شعوب وادى النيل ترفضان الوحدة بنفس الحجة ••

* مجموعة من تحرير الشعب تنشق عليها وترفض الوحدة •• وتحاول الاستمرار بنفس الاسم ثم تتوقف (٢) •

لكن هذه الصورة كانت تحتوى فى داخلها على بعض التناقضات •• فايسكرا ، كانت تخضع لضغوط شديدة من قواعدها من أجل التوحيد السريع والعاجل وقد وصل الامر الى حد إعلان بعض طلاب ايسكرا بزعامة عبد المنعم الغزالى تمردهم وتهديدهم بالانقسام ما لم تتم الوحدة فورا (٣) ويؤكد مثل هذا الموقف كادر آخر من كوادر ايسكرا هو محمد الجندى فيقول « كان موقف الجميع بشكل عام مع الوحدة • والحقيقة أن الاتجاه للوحدة كان هو المطلب الصحيح للتيار الثورى والذى ظل ثوريا ، والوحدة

---

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس ـ المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع سعيد خيال ـ المرجع السابق • وأيضا مارسيل اسرائيل ـ المرجع السابق •

(٣) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى ـ المرجع السابق •

تمت على أساس صراع بين مفاهيم ، وقد حسم الصراع لصالح مفاهيم ح٠م٠(١)» ٠ واذا كان قسم الطلاب بالجامعة قد تأثر بتيار الوحدة الى هذا الحد ، فان قطاعا من ايسكرا هو قطاع الأجانب لم يكن يدرى بشىء ، ذلك أن الطلاب قد شعروا بوجود كوادر ح٠م٠ معهم وبأهمية الوحدة معهم وبضرورتها ٠ أما أقسام ايسكرا الاخرى فلم تكن تعرف شيئا حتى عن مجرد وجود منظمات أخرى « وفجأة وفى أحد النشرات الداخلية بدأوا يتحدثون عن الوحدة ، عن المنظمة أ ، والمنظمة ب والمنظمة ج دون ذكر أية أسماء أو تفصيلات(٢) » ٠

بينما كان الوضع فى صفوف ح٠م ٠ مختلفا ٠٠

فأحد الكوادر الاساسية فى قيادة ح٠م٠ ( سيد سليمان رفاعى ) كان يرى « أن ايسكرا تنظيم غير ثورى وانما يضم عناصر ثورية ، وان واجب الحركة المصرية هو استخلاص العناصر الثورية من خلال الكفاح وضمها الى صفوفها وتصفية ايسكرا ٠ ومن هنا أنا كنت ضد الوحدة وكنت أشعر أن الوحدة كارثة وأعتقد أن الوحدة فرضت فرضا تحت مؤثرات خارجية فقبل الوحدة وصل بعض أعضاء الحزب الفرنسى وممثلين من الحزب اللبنانى والحزب الفلسطينى وعملوا مناقشات ٠٠ وكان رأينا أن ايسكرا تنظيم يتطور باتجاه غير نضالى وأنها مكونة أساسا من قسم أجانب يمكن أن يتحولوا جميعا الى عاطفيين »

وأعود فأسأله : من كان فى قيادة ح٠م مع الوحدة ومن كان ضدها ؟ ٠

فيقول « عند الوحدة كنت مسجونا فى السجن الحربى ، لكن اعتقادى أن أغلبية القواعد فى ح٠م كانت ضد الوحدة ولم ترحب بها ٠ وكان كوريل هو القوة التى جرت ح٠م٠ للوحدة (٣)» ٠

ويؤكد كادر آخر من كوادر ح٠م٠ هو فؤاد حبشى هذا الموقف(٤) » ٠

وكادر ثالث من عمال ح٠م٠ هو محمد شطا يؤكد أنه كان هناك تيار معارض للوحدة فى ح٠م٠ ويقول « لم نكن ضد الوحدة من حيث المبدأ

---

(١) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/٤ ٠

(٢) محضر نقاش مع البير آرييه ـ جلسة المناقشة الثالثة ـ المرجع السابق ٠

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق ٠

(٤) محضر نقاش مع فؤاد حبشى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/٢ ٠

ولكن كنا ضد نوعية كوادر ايسكرا وضد تكوينها العضوى وضد أساليبها ومنطلقاتها ، وكنا نطالب بتصفية ايسكرا وليس بالوحدة معها(١) » .

كان هذا هو منطق عمال ح.م لانهم ببساطة كانوا ينظرون الى ايسكرا كمنظمة من الاجانب والأغنياء ..

أما طلاب ح.م فقد وجدوا فى الجامعة عناصر نضالية من ايسكرا ومن هنا رحبوا بالوحدة معها ، بل نجدهم يقولون « أن الوحدة قد فرضت فرضا على شوارتز وأنه قبلها على مضض ، وهكذا وتحت ضغط قبلت قيادة ايسكرا الوحدة(٢) » .

ولكن فيم كان يتناقش المتفاوضون من المنظمات الثلاث ؟ ..

يقول زكى مراد « وبينما كانت الوحدة قد تمت كواقع عملى بين القواعد ، كانت القيادات تناقش ثلاث مسائل أساسية من الناحية النظرية :

(أ ) المركزية الديمقراطية وضوابطها .

(ب) التمصير وهل هو واجب فورى كما تطالب ح.م.

( جـ ) التعميل(٣) .

وبينما تجرى مباحثات الوحدة .. وبينما القواعد تعمل معا تشكلت ثلاث لجان واحدة فى مجال الطلاب زكى مراد ( ح.م. ) ، وجمال غالى ( ايسكرا ) - وأخرى فى شبرا الخيمة محمد شطا ( ح.م. ) ، ومصطفى بقشيش ( ايسكرا ) - وثالثة فى مجال المثقفين : شهدى عطية ( ايسكرا ) ، كمال شعبان ( ح.م ) وفجأة وبدون مقدمات أعلنت ايسكرا - وفى محاولة لاستجماع القوة فى مجابهة ح.م. - توحيد نفسها مع تحرير الشعب وجزء من « القلعة » .. معلنة منظمة الطليعة المتحدة .. ثم مالبثت أن توحدت مع ( ح.م. ) لتعلن قيام أكبر وأشهر منظمة شيوعية فى تاريخ مصر الحديث « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدتو » .

---

(١) محضر نقاش مع محمد شطا - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/٤ .

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد - المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

**الطليعـة المتحـدة :**

كانت « الطليعـة المتحـدة » ثمرة وحدة متعجلة بين « ايسـكرا » و « تحرير الشعب » ( أو بالدقة غالبية « تحرير الشعب » فقـد رأينـا أن قطـاعا من هذا التنظيم قـد رفض مبدأ الوحدة ) وبين مجموعة من منظمة القلعة ( فقـد فضلت مجموعة أخرى من نفس المنظمة الاتحـاد من خلال ح٠م ) :

وبرغم أن « الطليعة المتحدة » قد أعلنت عن نفسها كمنظمة مؤقتـة تماما وأن مهمة قيادتها تنحصر فى اتمام الوحـدة مع ح٠م » فان البعض يتهمهـا بأنهـا كانت ذات نتائج ومبررات سلبية تماما ، فهذا البعض يرى :

( أ ) أن « الطليعة المتحدة » نشأت دون مبرر الا الضغط على ح٠م٠ للاسراع بالوحـدة دون انضاج أية مناقشات حول القضايا المطروحة : المركزية الديمقراطية ـ التمصير ـ التعميل ٠ الأمر الذى أدى فى النهـاية الى اتفاقات شكلية وغير مبدئية ٠

(ب) أنهـا كانت محاولة لاستجماع قوى عددية ، والتظاهر بها فى مواجهـة كوادر ح٠م ضغطا للحصول على مراكز متساوية فى الهيئات القيادية الامر الذى أدى فى المستقبل الى شلل القيـادة عن اتخاذ اجراءات حاسمة ٠

وعلى أية حال فان هذه المنظمة التى قامت فى بداية عام ١٩٤٧ لـم تستمر أكثر من عدة أشهر ، ركزت فيهـا قيادتها على مسألة واحـدة هى انجاز الوحـدة مع ح٠م٠(١)

وقـد تشكلت القيـادة أساسا من كوادر ايسكرا ٠٠ وبعـد أن أضيف اليهم مؤسس « تحرير الشعب » مارسيل اسرائيل ٠ ولمـا كان مارسيل حريصا فى كل كتاباته على الاصرار على أنه كان ضـد وجود الاجانب فى القيـادة فقـد حرص على أن يقـول « وقـد انتخبت رغم ارادتى ومعارضتى فى قيادة الطليعة المتحدة(٢) » ٠

وحتى عملية الاندماج بين المجموعات التى كونت « الطليعة المتحدة » لم تنجز ٠ فقـد كان الجميع يشعرون أن الامر كله مؤقت ، وأن أى شىء لن يستقر

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) ـ رسالة باللغة العربية اجابة على أسئلة المؤلف ـ المرجع السابق ٠
(٢) المرجع السابق ٠

الا بانجاز الوحدة مع ح٠م ٠ يقول مصطفى هيكل « أستطيع أن أقول ان الاندماج لم يتم حقيقة الا خلال عملية الوحدة الشاملة(١) » ٠

وهكذا نوشك أن نتأكد من أن « الطليعة المتحدة » كانت مجرد خطوة مرحلية تستهدف فى الاساس الضغط على « ح٠م٠ » بسلاح الوحدة تفاديا للشروط التى كانت تتمسك بها قيادة ح٠م مقدرين مدى تشبثها بهذه الشروط وواضعين فى اعتبارنا حجم ضغوط الكوادر العمالية التى كانت ترفض الوحدة أصلا ٠٠

ولا نجد فى تاريخ « الطليعة المتحدة » كمنظمة شيئا يستحق الذكر الا أن مجلة « الجماهير » قد صدرت فى ظلها ٠

*** الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « حدتو » :**

وأخيرا تمكن الخصمان اللدودان هنرى كورييل وهليل شوارتز **من أن** يحققا فى مواجهة التناقضات السابقة وفى مواجهة الخلافات التى أبرزها وأكدها النقاش بأكثر مما حلها وفى مواجهة العداءات التاريخية ٠٠ تمكنا من أن يحققا اتفاقا تكونت على أساسه منظمة « حدتو » ٠ وكان ذلك فى يونيو — يوليو ١٩٤٧ ٠

ولكن حول ماذا كان يدور النقاش بين الخصمين ؟

لقد قلنا — فيما سبق — أن الخلاف قد تحدد حول قضايا ثلاث : المركزية الديمقراطية — التمصير — التعميل ٠ ولقد عرفنا فى الفصول السابقة الحجج والمقولات المختلفة حول قضيتى التمصير والتعميل فماذا عن المركزية الديمقراطية ؟ وعلى أى شئ كان يدور الخلاف ؟

كانت ايسكرا تطالب بالانتخابات فى صفوف المنظمة الموحدة وكانت ح٠م ترفض على أساس أن ظروف السرية تحول دون انتخابات حقيقية ٠ يقول أحد كوادر ايسكرا أن منظمته كانت ترى اجراء انتخابات من القاعدة للقمة ٠ وأسأله « وهل جرت انتخابات فى صفوف ايسكرا ذاتها ؟ » ويجيب « جرت انتخابات ، لكنها كانت شكلية تماما ، فقد كانت القيادة ترشح شخصا وتطلب من الاعضاء انتخابه »(٢) ٠

وأخيرا رضخ شوارتز لوجهة نظر ح٠م٠ فى هذه القضية ، وكان

---

(١) محضر نقاش مع د٠ مصطفى هيكل ٠ جلسة المناقشة الاولى — المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندى — المرجع السابق ٠

قد رضخ من قبل فى مسألة التمصير حيث ضم قبيل الوحدة بقليل الى صفوف قيادة ايسكرا اثنان من المصريين هما شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى ، ومن هنا يأتى القول بأن « الوحدة قد تمت على أساس مفاهيم ح٠م٠ »(١) ٠

لكن هذا الاتفاق كان شكليا محضا ، ذلك أن الخلافات والتناقضات كانت أعمق من أن تحصر فى هذه النقاط الثلاث ، وحتى فيما يتعلق بهذه فان الأمر لم يحسم بشكل محدد ٠

والحقيقة أن مسافة ما كانت قائمة بالفعل بين عقلية ومنهج وأساليب ونوعية كوادر المنظمتين ، وكان اغماض الأعين عن هذه المسافة غير قادر على انهائها ، بل ظلت متواجدة لتنفجر فيما بعد ٠٠

ولا بد لنا من أن نتوقف لنتأمل مكونات هذه المسافة ، ليس فقط سعيا وراء استكمال أكاديمى لبحثنا ، وانما كمدخل ضرورى لفهم الكثير من الأحداث التالية وخاصة تلك التى تتعلق بالتكتلات والانقسامات ٠٠

يلخص سيد سليمان رفاعى هذه المسافة قائلا « كانت « ايسكرا » مكونة من أجانب وأغنياء » ويؤكد هذا المعنى قيادى آخر من « ح٠م » هو محمد شطا ٠ لكن أحد قادة قسم الطلاب فى ح٠م وهو زكى مراد ( ونلاحظ أنه القسم الذى مارس أكبر قدر من الاحتكاك والتنسيق مع كوادر ايسكرا وأنه القسم الذى كان أكثر تحمسا للوحدة ) يقدم لنا صورة أكثر تفصيلا :

« وكانت « ايسكرا » و «ح٠م٠» تلتقيان فى أشياء وتختلفان فى أشياء ، كانتا تلتقيان فى نقطة تميزهما معا عن «ط٠ش٠ت» وهى فكرة المنبر المستقل ورفع شعارات مستقلة ٠ وهذا الالتقاء قرب بين ح٠م٠ وايسكرا فى العمل المشترك فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ٠ كذلك التقت ايسكرا و ح٠م حول شعارات سياسية مستقلة ومتميزة وبرامج مستقلة للعمل الجماهيرى ٠٠ وكانت هناك أيضا نقاط خلاف ، فكان هناك اختلاف فى أسلوب التناول نتيجة لاختلاف التركيب الطبقى لكل من المنظمتين ٠ واختلاف فى نوعية ومجال التوجه فمثلا ح٠م كانت قوية فى الاحياء السكنية بينما ايسكرا لم يكن لها نشاط تقريبا فى الأحياء السكنية ـ وايسكرا كانت أقوى فى مجال الطلاب و ح٠م٠ كانت موجودة ومؤثرة ولكن بنسبة أقل ، وكذلك فى مجال المثقفين والاجانب ٠ وفى مجال العمال كان

---

(١) المرجع السابق ٠

تواجد ح٠م فعليا ومؤثرا وذا جذور أما ايسكرا فيمكن القول بأنه كان لها تمثيل فى مجال العمال وليس تواجدا بالمعنى المفهوم ٠ وهذه الاختلافات فى التوجه نبعت من اختلاف التركيب الطبقى ثم انعكست مرة أخرى على التركيب الطبقى العام للمنظمة واهتماماتها والقادمين الجدد فيها » ٠

وتؤكد هذا القول وثيقة بريطانية تشير الى عملية الوحدة بين ح٠م٠ وايسكرا فتقول « ان قسم العمال فى حدتو يضم فى مجمله بشكل أو بآخر العناصر العمالية الاتية من منظمة ح٠م »(١)

ويمضى زكى مراد ٠٠ « وثمة خلافات مثل الموقف من الدين : كانت ح٠م٠ تضم عناصر متدينة ولم يكن لدى كوادرها أى استعداد لاستعداء الجماهير من هذه الزاوية ٠ أما ايسكرا فقد كانت تعتبر مسألة مناقشة الدين والتدين مسألة هامة وملحة » ٠

« كذلك كانت ح٠م تعمل وسط النساء ولكن باحتراس ورهبة ٠ وتفصل بين الاعضاء من الجنسين ٠ وكانت تعالج الامر معالجة يمكن وصفها بأنها « شرقية » ٠ أما ايسكرا فقد انعكس الطابع الاجنبى على أسلوبها فى هذا المجال وكان هناك « تحرر » و « حفلات » ٠

« وكانت ح٠م٠ تراعى السرية المطلقة ، والحقيقة أن كوادر ح٠م٠ لم تعرف بعضها البعض الا بعد الوحدة ٠ أما ايسكرا فقد كانت غالبية كوادرها تتواجد معا فى دار الابحاث وفى الحفلات والرحلات ٠

« أما نقطة الخلاف الاخيرة والحاسمة فكانت فى أسلوب تناول المسائل ، فكوادر ايسكرا اعتادت على النقاش المستمر والذى لا يوصل الى نتيجة ، كنا فى ح٠م٠ نناقش القضايا ثم نصل الى قرار سريع ، أما كوادر ايسكرا فان متعه النقاش لديهم كانت تدفعهم الى مناقشة الموضوع الواحد طوال جلسة ثم جلستين ثم ثلاثة وهكذا دون أن نصل الى أى اتفاق ٠ وبعد الوحدة استغرق الجميع فى النقاش ، ومارس أعضاء ايسكرا « هوايتهم » فى المناقشة الى أقصى مداها ، ورويدا رويدا بدأنا نشعر أن كمية النقاش زادت وان كمية العمل قد قلت »(٢) ٠

---

1) F.O. 371 — 69250 — From Cambell to Mr. Bevin — 10 March 1948 — Communism in Egypt .

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد ــ جلسة المناقشة الثانية ٠ المرجع السابق ٠

كل هذا بينما كان كوادر ايسكرا يملكون هم أيضا عدة تحفظات أهمها أن كوادر ح٠م٠ لا يهتمون بالوعى النظرى وأنهم « عمليين » وليسوا « نظريين » ٠ كذلك كانت ايسكرا تعتبر أن أسلوب عمل ح٠م٠ متعارض مع قواعد الأمن وكانت الخلافات فى موضوع الامن تتركز فى رغبة « ايسكرا » فى عدم اعلان اسم المنظمة وفى عدم اصدار جريدة سرية للتوزيع الخارجى »(١)

وفوق كل هذه الحساسيات بين كوادر المنظمتين المتحدتين ، فان المنظمة الموحدة قد بدأت عملها بدون أية وثائق ٠٠ لا برنامج ولا خط سياسى ولا لائحة ، وعندما بدأت فى اعداد هذه الوثائق فى فترة لاحقة ٠٠ بدأت التكتلات ٠

لكننا نود قبل أن نصل الى دراسة تاريخ « حدتو » لم تكن تجميعا لايسكرا و ح٠م٠ فقط بل كانت هناك مجموعات صغيرة ثلاث : تحرير الشعب ـ القلعة ـ الطليعة ، لكنها كانت أصغر من أن تلعب دورا مؤثرا فى الصراعات وتبعثر انتماء كوادرها بين التيارين الاساسيين ٠٠

ويحلو للبعض أن يؤكد أن الوحدة قد تمت بناء على اتفاق فوقى أو بالدقة ثنائى بين هنرى كورييل وهايل شوارتز اللذين اتفقا أو تظاهرا بالاتفاق وانتهى الامر ٠٠

وهذا القول غير صحيح ، ولقد يكون الاثنان هما اللذان لعبا الدور الحاسم الا أن لجان التنسيق القاعدية والتى قامت فى مجالات العمل قد لعبت هى أيضا دورا هاما فى حسم الكثير من القضايا ٠٠ وقد كانت هناك بالاضافة الى لجنة الوحدة الاساسية لجان التنسيق الثلاث السابق الاشارة اليها هذا بالاضافة الى لجنة التنسيق التى تشكلت فى فترة سابقة للاشراف على الصحافة العلنية ٠

وبرغم كل الملاحظات السابقة فان الجميع يؤكدون أن الوحدة قد تمت فى مناخ من البهجة العارمة ، والحماس الجارف ، وأنها قد حققت فى الفترة الاولى انطلاقا غاية فى القوة فى مختلف مجالات العمل وفى طاقات الأعضاء من مختلف الاتجاهات ٠

لقد انتصر تيار الوحدة ، وانتصر وفقا للاسس الاقرب الى الصحة وهكذا تواجدت فى مصر وبعد أعوام قليلة فقط من البدايات المتواضعة منظمة

---

(١) محضر نقاش مع البير آرييه ـ جلسة المناقشة الثالثة ـ المرجع السابق ٠

شيوعية ضخمة تضم حوالى ( ١٦٠٠ عضو ) ( ٧٠٠ من ح٠م٠ كلهم ، إلا أقل من عشرة أشخاص ، مصريون وكثير منهم عمال )(١) وحوالى ( ٩٠٠ من « الطليعة المتحدة » منهم ٤٠٠ أجنبى و ٣٠٠ طالب وكثيرمن المثقفين وعدد محدود جدا من العمال وان كان أحد كوادر ايسكرا ، وهو حسنين كمال الدين، يؤكد أنه شخصيا كان قبيل الوحدة مسئولا عن عدة خلايا من عمال النسيج فى منظمة ايسكرا بالاسكندرية »(٢) .

وانطلقت المنظمة الجديدة مدفوعة بطاقات هائلة من الحماس لتلعب دورا هاما ومؤثرا - ويصف أحد المؤرخين الاجانب هذه المرحلة قائلا أن الشيوعيين « سرعان ما انطلقوا بحماس ليعمقوا جذورهم فى صفوف الحركة العمالية والطلاب »(٣) .

وثمة وثيقة هامة من وثائق الكونجرس الامريكى تؤكد أن حدتو كانت « ذات نفوذ كبير فى صفوف الحركة النقابية العمالية »(٤) .

وكان المد الثورى عارما ، وخيوط الصراع الطبقى تتجمع فى الافق لتنسج ملاحم نضالية أسهم فيها الشيوعيون من كوادر « حدتو » بقسط كبير ففى سبتمبر ١٩٤٧ قاد كوادر « حدتو » اضرابا لعمال النسيج فى شبرا الخيمة ضم ٣٧٠٠٠ عامل ونظم أعضاء المنظمة فى السكة الحديد اضرابا ناجحا لعمال الاشارة كان الاول من نوعه (٥) . وفى يناير ١٩٤٨ نظم طلاب « حدتو » اضرابا فى جامعة القاهرة حول قضية السودان . وفى هذا الاضراب مزق الطلاب صور الملك فاروق وهتفوا بسقوطه(٦) . وعندما أضرب ضباط البوليس نظمت مظاهرات فى القاهرة والاسكندرية تأييدا لرجال البوليس المضربين

---

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع د. حسنين كما الدين . أجريت المناقشة بالاسكندرية فى ٧٦/٢/١٢ .

3) M.S Agwani — Ibid P. 44.

4) U.S Congress, House Committce on Foreign - Affairs, strategy and Tactics of World Communism; Report of Sub — Committee No: 5 (Washington D.C.) - 1949 - P. 20-21

(٥) محضر نقاش مع عدلى جرجس موسى : أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٧٦/٢/١٦ .

6) M.S Agwani — Ibid P. 44.

ol

واصطدمت برجال الجيش الذين حاولوا فض المظاهرة • وكانت المظاهرات التى نظمتها « حدتو » تهتف « نريد الخبز ، نريد العمل (١) •

ويروى د• عبد العظيم أنيس وهو أحد شهود وصناع أحداث الاسكندرية خلال يومى ٥ ، ٦ ابريل ١٩٤٨ •• أى خلال اضراب ضباط البوليس •• بعض الوقائع الهامة •• فحدتو وزعت منشورا طبع باسمها فى مطبعة علنية وكان عنوانه « تسقط الملكية وتحيا الجمهورية » ويقول ان بعض المظاهرات قد تحولت فى ذلك اليوم الى مظاهرات مشتركة بين الجماهير وجنود بلوك النظام الذين كانوا يسيرون فى المظاهرة حاملين أرغفة الخبز على « سونكى » البنادق •

وان بعض المظاهرة رفعت شعار المطالبة بالافراج عن طالب من حدتو سبق القبض عليه فى قضية توزيع منشورات تحض العمال على الاضراب فنزل « طلاب جامعة الاسكندرية بكامل ثقلهم فى مظاهرات المنشية ٥ ، ٦ ابريل يهتفون بشعار واحد « افرجوا عن سعد فريد » وقيل ان قسما من متظاهرى المنشية اتجه الى سجن الحدرة لاخراج سعد فريد وكان العمال يهتفون بشعارات تحسين الاجور واعادة المفصولين والتضامن مع جنود البوليس (٢) •

•• وهكذا وصل التصعيد الى قمته ، وبدأت الرجعية تستجمع كل مخاوفها من تصاعد وحيوية العمل الشيوعى •

---

(١) مجلة الطريق ـ اللبنانية ـ عدد ابريل ١٩٤٨ ، ص ١٠٦ •

(٢) الاهالى ـ ١٩ ـ ٣ ١٩٨٦ ـ د• عبد العظيم أنيس ( مقال ) • وقد عثرنا على نص هذا المنشور مترجما الى الفرنسية بمعرفة السفارة الفرنسية بالقاهرة ومودع بأرشيف الخارجية الفرنسية والعنوان الصحيح للمنشور هو « بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ـ فلتسقط حكومة النقراشى ـ عاش كفاح البوليس مع الشعب » ويعلن المنشور أن اليوم هو يوم النضال ضد الظلم والعبودية •• ويحيى المنشور نضال رجال البوليس من أجل مطالبهم العادلة ونضال الطلاب للافراج عن زميلهم سعد فريد •• وينتهى بشعارات تقول :

فلتسقط حكومة النقراشى المجرمة ـ عاش نضال جنود وضباط البوليس ـ عاشت الامة المطالبة بحقوقها ـ عاشت وحدة جنود وضباط البوليس مع العمال والطلاب » •

« وفى عام ١٩٤٧ قبض على بعض الكونستبلات بالبوليس وهم يوزعون نشرات « حدتو » • وتم قمع اضراب بين الكونستبلات فى ذلك الوقت على وجه السرعة »(١) •

وعندما أضرب ممرضوا القصر العينى كان قائد الاضراب ورئيس رابطتهم « عبد الغنى النشرتى » عضوا فى حدتو أيضا •• وأمسكت أجهزة الامن بخيط هام فقد استعادت واقعة القبض على اثنين من كوادر حدتو وهما ( مصطفى أغا المحامى وايلى رافول ) قبل الاضراب بثلاثة أشهر عندما كان الثانى يلتقط صورا داخل مستشفى القصر العينى لاغراض دعائية »(٢) •

وحتى فى المجالات الصعبة للعمل مثل تنظيم الباعة الجائلين بالقاهرة فى رابطة ذات نفوذ ، لعبت حدتو دورا هاما •• وعندما انعقدت أول جمعية عمومية للباعة الجائلين فى القاهرة انتخب شحاتة النشار ( حدتو ) أمينا للصندوق وانتخب ثلاثة من العاطفين على حدتو أعضاء فى مجلس الادارة (٣) كذلك قاد مصطفى طيبة أحد كوادر المنظمة اضرابا ناجحا نظمته «رابطة الفنون التطبيقية » وقد نجح هذا الاضراب فى تحقيق المطالب الاقتصادية والنقابية التى طالبوا بها(٤) •

ولم يكن ما سبق سوى نماذج قليلة اعتمدنا فيها على مؤرخين محايدين •• لكن الواقع كان أخصب من ذلك بكثير ، فان الاشهر القليلة التى تفصل بين موجتى الوحدة والانقسام كانت أشهرا مجيدة بالفعل واستطاع فيها الشيوعيون أن يثبتوا وجودهم كقوة فاعلة ومؤثرة فى أرض مصر ••

وكانت مجلة « الجماهير » ( ١٥ ألف نسخة ) القوة الضاربة العلنية للمنظمة ، بالاضافة الى نشراتها السرية والى الكتيبات النصف علنية ••

* * *

وقد تمت الوحدة على أساس عدة اتفاقيات تنظيمية •

---

(١) د• عبد الوهاب بكر ـ المرجع السابق ـ ص ٦٣ •

2) F.O. 371/69210 — J 2724 — 22 nd April 1948

مودعة بالمتحف البريطانى ـ الارشيف العام •

(٣) محضر نقاش مع شحاتة النشار ـ أجريت المناقشة فى ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٨٧ •

(٤) محضر نقاش مع مصطفى طيبه ـ أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان بتاريخ ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧٩ •

لجنة مركزية من ١١ ( ٥ ح٠م٠ ـ ٥ ايسكرا ـ ١ طليعة ) واتفق على أن يتولى كورييل المسئولية السياسية وشوارتز المسئولية التنظيمية واتفق على أن يتولى كوادر ح٠م٠ المسئولية السياسية والتنظيمية فى كل المستويات ، وأن يتولى كوادر ايسكرا المسئولية الدعائية ومسئولية العمل الجماهيرى ٠

وكانت اللجنة المركزية مكونة من احدى عشر شخصا كما قلنا وتضم فى أول تشكيل لها ٠٠ هنرى كورييل ، سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، كمال شعبان ، عبده ذهب ( من ح٠م٠ ) وهليل شوارتز ، شهدى عطية الشافعى ، عبد المعبود الجبيلى ، عبد الرحمن الناصر ، ايمى ستون ( من ايسكرا ) ولطفى ( من منظمة الطليعة )(١) ٠

واحتفظ التنظيم بالشكل الفئوى فكانت هناك عشر دوائر ( طلاب ، مثقفين ، عمال ، أجانب ، نساء ، السودانيين ، نوبيين ، الجيش ، أحياء وأقاليم ) وتحت الدوائر مناطق فأقسام ففروع فخلايا ٠٠ وقد تولى هنرى كورييل مسئولية الاشراف على الدوائر غير العمالية أما دائرة العمال فقد شكلت لها قيادة رباعية من سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، شهدى عطية ، عبد الرحمن الناصر (٢) ٠

ومع الحماس المتدفق ، واتساع النشاط ، وامتداد نفوذ المنظمة الى مناطق واسعة فى الاقاليم بدأت عناصر من الكوادر الشابة تتفرغ للعمل الحزبى وتكونت سكرتارية للعمل فى الاقاليم من : فؤاد عبد الحليم ، ومحمد الجندى ، وحمدى عبد الجواد وكان الثلاثة أول نواة من المحترفين الثوريين للعمل فى الريف المصرى ٠

ولسنا نريد أن نفيض فى تفاصيل هذا النشاط الذى نجح بالفعل فى أن يصل الى أعماق ريف مصر فى الدلتا والصعيد وأن ينتشر فى القرى والكفور ملهما التنظيم روحا جديدة ودماءا جديدة ، ويكفى لكى نعرف مدى العمق الذى وصل اليه هذا النشاط أن نقول أنه قد امتد عميقا فى قلب

---

(١) محاضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، محمد يوسف الجندى ، ألبير آرييه ـ المراجع السابقة ٠

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل ٠ جلسة المناقشة الخامسة ـ المرجع السابق

الصعيد ليصل حتى رهبان الدير المحرق الذين تشكلت منهم عدة خلايا ٠ بل أن أحدهم ما لبث أن ترك الدير ليحترف العمل الثورى (١) ٠

٠٠ وباختصار ـ وبعد أن نحذر القارىء من أن كل ما سبق لم يكن سوى محض اشارات ومجرد نماذج من نشاط جارف ـ فان شهورا قليلة قد مضت على الوحدة لتقدم لنا حالة كيفية جديدة ومنظمة عملاقة بالفعل بلغ عدد أعضائها ٤٠٠٠ عضو(٢) ٠

وفى غمار الصراعات الداخلية طرأت تطورات عدة على تركيب القيادة المركزية ٠ فقد اتفق على تضييق القيادة بحيث انخفض عددها من ١١ الى ٧ : هنرى كورييل ، سيد رفاعى ، محمد شطا ( ح٠م٠ ) ، شوارتز ، شهدى عطية الشافعى ، عبد المعبود الجبيلى ( ايسكرا ) وعدلى جرجس ( الذى حل محل لطفى فى تمثيل منظمة الطليعة ) ٠

ولكن مع اتساع مجالات النشاط المختلفة ، ومع الرغبة فى تمثيل مختلف المجالات تقرر توسيع اللجنة المركزية مرة أخرى وبلغ عددها فى هذه المرة ١٧ عضوا حيث ضم اليها قادة الانشطة المختلفة مثل فؤاد عبد الحليم ( الأقاليم ) ، عبد الخالق محجوب ( السودانيين ) عبد الفتاح الهنيدى ( الأجهزة الفنية ) الخ ٠٠ وتكونت سكرتارية مركزية من أربعة أشخاص تضم هنرى كورييل ( مسئول سياسى ) ، هليل شوارتز ( مسئول تنظيمى ) ، عبد المعبود الجبيلى ( مسئول دعاية ) سيد رفاعى ( مسئول عمل جماهيرى )، ويلاحظ أن التكوين ( ٢ ح٠م٠ و ٢ ايسكرا ) ومكتب سياسى من سبعة أشخاص هم الأربعة أعضاء السكرتارية يضاف اليهم محمد شطا وشهدى عطية الشافعى وعدلى جرجس ٠٠ (٣) ٠

* * *

وفى مواجهة صعاب جمة استطاعت « حدتو » أن تجعل من الأشهر القليلة التى أعقبت تأسيسها وسبقت قيام التكتلات والانقسامات أشهرا من العمل الخصب والاندفاع الثورى والعمل النضالى العارم ٠٠

---

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم ـ المرجع السابق ٠
(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ـ المرجع السابق ٠
(٣) محضر نقاش مع عدلى جرجس ـ المرجع السابق ٠

أن رؤية سريعة « لأدبيـات » حدتو سواء العلنية أو السرية منهـا لتعطى لنـا نموذجـا حيـا لهـذه الاندفاعة النضالية التى استطاعت أن تجعل من « حدتو » عنصرا هاما ومؤثرا فى العمل الوطنى والطبقى فى مصر ..

وتحت أيدينـا مجلة « الجمـاهير » وأيضـا نذر قليل من المطبوعات والبيـانات السرية التى صدرت عن « حدتو » ..

ولكنى أحذر القـارىء ، فما استطعنا جمعه من هذه « الأدبيـات » ليس سوى أقـل من القليل وما نورده من نماذج ليس سوى اشارات عابرة والحـديث المستفيض قـد يستحق أن يستغرق دراسة مستقلة ..

فاذا أخذنا المعركة الوطنية فانـا نجـد صفحات « الجماهير » ملتهبة بمقـالات عنيفـة ضـد الاستعمار ، مطـالبة بالكفـاح المسلح ضده وبتوحيد كل القـوى المعـادية له ..

« تذكروا أن الاستعمار لا يزال يحتل أراضيكم ويمتص دماءكم ويخنق حرياتكم ويحارب دستوركم ويستخدم نفس وسائل الغـدر والخيانة والتآمر عليكم . تذكروا أنه لن يخرجه الا كفـاحكم ولن ينجح كفـاحكم الا باتحادكم عمالا وفـلاحين وطلبة وصغار موظفين فى كتلة جبـارة تحت قيـادة جبهـة وطنية مخلصة . طهروا البلاد من الخونة . وهبوا ضـد العدوان الألـد .. الاستعمار »(١) .

والدعوة للجبهـة الوطنية مصحوبة ببرنامج تبرزه « الجماهير » فى صدر صفحاتهـا الأولى تحت عنوان « هذه هى مطـالب الشعب .. جبهة وطنية ضـد الاستعمار ، لا نريـد استئناف المفـاوضات . الغـاء معاهدة ١٩٣٦ واتفـاق ١٨٩٩ .. تنظيم ثورة وطنية عسكرية ضـد الاستعمار . نرفض قرضا أمريكيـا وبعثة عسكرية من أمريكـا . مقاطعة أعدائنا فى مجلس الامن اقتصاديا وسياسيا . وتوثيق العـلاقات بين مصر وأصدقائها روسيا وبولندا وسوريا »(٢) .

وتحاول « حدتو » أن تجمع الرأى العـام حول هذا البرنامج فتجرى استفتاءا شعبيا حول نقـاطه وتنشـر النتيجـة : ٩٥ر٧٪ ترفض عـودة

---

(١) الجماهير ١٩٤٧/٧/٧ .

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٩/٢١ . ( ويلاحظ أن هذه البلدان هى التى صوتت لصالح القضية المصرية فى مجلس الأمن ـ المؤلف ) .

المفاوضات ، ١ر٩٧٪ توافق على الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، ٢ر٨١٪ توافق على تنظيم ثورة وطنية وكتائب مسلحة ، ٧ر٩٣٪ ترفض قبول قرض أمريكى أو بعثة عسكرية أمريكية ، ٩٨٪ ترى ضرورة تدعيم العلاقات مع الدول الصديقة »(١) .

ولتحقيق هذا البرنامج تدعو « حدتو » الى جبهة وطنية تحدد معالمها وقواتها .. معلنة أن قوامها هو حلف بين « حدتو » ( كحزب للطبقة العاملة أو كما ذكرت فى المقال حزب الطليعة العمالية ) وبين الوفد .. « ان التحالف بين الحركة العمالية وطليعتها الواعية وبين الوفد شرط أساسى لاستعادة حريات الشعب المسلوبة ، والكفاح المشترك للعمال والجماهير الوفدية فى المدن والقرى هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التى تخنق حرياتنا » .. و « يعتبر التحالف بين الطليعة العمالية والوفد أمرا ضروريا لتوحيد صفوف الجماهير الشعبية وخلق الظروف المناسبة لتقدم نضال شعبنا » .

هكذا تمد « حدتو » يدها لحزب الوفد الذى كان يرفض هو الآخر سيطرة حكومات الأقلية ، لكنها تمد هذه اليد على أساس برنامج محدد .. ربما أكثر تحديدا من البرنامج العام الذى أشرنا اليه فيما سبق » ويجب أن يستند هذا التحالف الى برنامج وطنى مشترك يقوم على أساس حكومة ديمقراطية تعمل على :

- تحقيق الجلاء التام فورا عن وادى النيل دون أى تحالف مع مع الاستعمار .

- التوسع فى الحريات الديمقراطية كجزء لا يتجزأ من الاستقلال .

- تأهيل ( تأميم ) الصناعات الكبرى .

- توزيع الملكيات الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار »(٢) .

ولا بد لنا من أن نلمح بعضا من التطرف فى هذا البرنامج ، فاذا كانت اليد ممدودة أساسا لحزب الوفد كقوة رئيسية فى المعركة الوطنية

---

(١) المرجع السابق .
(٢) الجماهير ١٢/٥/١٩٤٧ .

فكيف يمكن تصور أن تقبل قيادة حزب الوفد بتركيبها الاجتماعى المعروف تأهيل الصناعات الكبرى وتوزيع الملكيات الزراعية ·· ؟

وخلال عرض القضية الوطنية أمام مجلس الأمن حاولت « حدتو » ارسال مندوب عنها لحضور المناقشات · وتقدم عبد المعبود الجبيلى عضو اللجنة المركزية الى السفارة الأمريكية طالبا تأشيرة دخول لكن السفارة ابلغته برفض طلبه · وعندئذ وجهت «حدتو» مذكرة الى الدول الاعضاء فى مجلس الأمن ثم طبعتها كمنشور · وقد بدأت هذه المذكرة بقولها « ان قضية مصر المعروضة عليكم قضية بسيطة وواضحة فالطلب الوحيد الذى يطالبه الشعب المصرى هو تطبيق مبادىء هيئة الامم المتحدة فى حل قضية وادى النيل واحترام بريطانيا لتعهداتها وواجباتها المترتبة على الميثاق » · وبعد أن تدين المذكرة مشروع صدقى ـ بيفن باعتباره خرقا لميثاق الامم المتحدة وبعد أن تستعرض الضغوط التى تتعرض لها مصر من قبل بريطانيا وتاريخ العلاقة المصرية ـ البريطانية تؤكد المذكرة « ان الشعب المصرى ليرفض رفضا قاطعا مبدأ التحالف مع بريطانيا » ·

وتختتم المذكرة بالمطالب التالية « أن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لتطالب :

أولا : بالجلاء التام الناجز عن وادى النيل دون شرط ودون تحالف عسكرى أو معاهدة ·

ثانيا : الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ ·

ثالثا : الغاء النظام الاستعمارى الحالى فى السودان ووصاية مصر تحت اشراف هيئة الأمم فى فترة انتقال تمهد للسودانيين حقهم فى تقرير المصير · والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ترفض رفضا قاطعا مشروع صدقى ـ بيفن وتعلن معارضتها التامة لمبدأ التحالف الثنائى وكل محاولة لاستئناف المفاوضات الا فيما يخص المسائل الفنية للجلاء السريع وبشرط أن تتم تحت اشراف مجلس الامن (١) ·

---

(١) منشور معنون « مذكرة مرفوعة من « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى مجلس الامن » ( مطبوع بالرونيو ـ نسخة أصلية ) ·

لكن « حدتو » تشن أيضا هجومها على مذكرة الى مجلس الامن وتصدر منشورا تبدأه قائلة « أيها المواطنون ٠٠ ان الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، الحركة التى آلت على نفسها أن تكافح مع المكافحين حتى تخلص وطننا من الاستعمار ، ترى لزاما عليها ، وحقا لكم ، أن توالیكم بشرح وجهة نظرها فى نواحى القضية المختلفة ، وتعاهدكم ، عهدا وثيقا أنها لن تنثنى عن الكفاح معكم حتى تحقق لوادى النيل استقلالا كاملا غير منقوص » ٠٠ ويمضى المنشور « ٠٠ يا شعب مصر بيقظتكم وكفاحكم ضد الاستعمار وأذنابه سجلتم الكثير من الانتصارات ، فاتطالبوا بالجلاء التام عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون أى تحالف مع الاستعمار ، ولتعلنوا رفضكم التام لمشروع صدقى ـ بيفن ، ولتعلنوا اصراركم على الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ ولتشنوا كفاحا لا يلين على المستعمرين وأذنابهم حتى تطهروا وادى النيل من كل أثر من آثار الاستعمار »(١) ٠

ولا بد لنا من أن نلاحظ أن شعارات الكفاح المسلح والغاء معاهدة ١٩٣٦ ورفض الاحلاف العسكرية التى أصبحت محور النضال الوطنى كله بعد سنوات قليلة قد ارتفعت فى سماء العمل الوطنى المصرى بمبادرة من « حدتو » ٠

وفى ذكرى اتفاقية ١٨٩٩ تصدر « حدتو » منشورا بعنوان : بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى الشعبين المصرى والسودانى ـ ذكرى اتفاقية ١٨٩٩ ، ذكرى الكفاح المشترك » جاء فيه « فى مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٩ أبرمت اتفاقية مشئومة تم بها للاستعمار البريطانى الغاشم السيطرة على وادى النيل شماله وجنوبه » ٠

وفى ختام المنشور « ان الاستعمار الذى يخنق العمال هنا ويسلبهم حقوقهم ويزج بهم وبالطلبة والمثقفين من أبناء الشعب المصرى فى غياهب السجون هو الذى يحرم السودانيين حقهم ويحيك حولهم المؤامرات ٠ عاش الكفاح

---

(١) منشور معنون « بيان ونداء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( مطبوع بالرونيو ـ مؤرخ ـ اليوم مطموس ـ الشهر : يوليو ١٩٤٧ ـ نسخة أصلية ) ٠

المشترك بين عمال مصر وعمال السودان . عاش الكفاح المشترك بين طلبة مصر وطلبة السودان »(١) .

والمعركة توجه ضد الاستعمار بكل أشكاله .. وبالدرجة الاولى ضد الاستعمار الامريكى الزاحف على مصر ..

ويكتب شهدى الشافعى فى « الجماهير » وتحت عنوان « اننا لا نريد أى استعمار انجليزيا كان أم أمريكيا » ليقول « الارتماء فى أحضان سيد جديد ، الاستعمار الامريكى ، هذا هو الاتجاه الخطير الذى ينهجه بعض الساسة المصريين فرئيس مكتب الدعاية فى مجلس الوزراء المصرى ... أمريكى ، والمستشار الرئيسى للوفد المصرى المسافر الى مجلس الامن .. أمريكى ، ووزارة الدفاع المصرية ترفع مذكرة تقترح انتداب بعثة عسكرية من كبار الأمريكيين لاعادة تنظيم الجيش المصرى » .

ثم يصف المقال الاستعمار الامريكى قائلا « أن أمريكا تواجه العالم وتعمل على تحويل شعوبه عبيدا لحفنة من الاحتكاريين الأمريكيين » .

ويختتم المقال « ان الشعب المصرى يريد الاستقلال الكامل والتخلص التام من الاستعمار . ان الشعب المصرى لا يريد أن يستبدل استعمارا باستعمار ولا أن يضيف استعمارا الى استعمار »(٢) .

وفى معركة الشعب الاندونيسى ضد الاستعمار الهولندى وقفت «حدتو» بكل قواها لتساند هذا الكفاح ولتحرم الاستعمار الهولندى من نقل امداداته وعتاده عبر قناة السويس ..

وتبدأ المعركة ببيان تصدره « حدتو » ، جاء فيه « ان الشعب الاندونيسى المحب للحرية يخوض اليوم كفاحا مريرا ضد الاستعمار الانجليزى والأمريكى ... لقد أثار الاعتداء الهولندى سخط العالم أجمع ، ولكن الطبقة العاملة فى كل مكان كانت أول من وقف لتأييد أندونيسيا المكافحة فى وجه الطغيان الاستعمارى ... يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا

---

(١) منشور معنون « بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى الشعبين المصرى والسودانى » ـ مؤرخ فى ١٨ يناير ١٩٤٨ ( مطبوع بالرونيو ـ نسخة أصلية ) .

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٧/٢٨ .

صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على حرية الشعب الاندونيسى . أوقفوا شحن السفن الهولندية والانجليزية المتجهة الى محاربة الشعب الاندونيسى .. لتحيا الحرية ، ولتحيا الطبقة العاملة فى نضالها ضد الاستعمار والاستغلال . لتحيا أندونيسيا المجاهدة(١)» . ولقد كانت استجابة عمال بورسعيد والسويس رائعة . فقد خاضوا بالفعل هم وكل شعب مدينة بور سعيد معركة مقاطعة السفن الهولندية بنجاح تام .

والمعركة ضد الاستعمار ترتبط بمعارك النضال اليومى فى الداخل .. وبالمعركة ضد السراى والطبقات الخائنة .. وفى يوم ١١ فبراير .. تصدر « حدتو » منشورا بعنوان « ١١ فبراير عيد الملك .. عيد الخونة » جاء فيه « أن السراى تفرض سلطانها الديكتاتورى على الشعب ، وتأتى بأذنابها الى الحكم ، وتحطم الحريات المكفولة فى الدستور ، ان السراى تمتلك مليون فدان من أراضى الفلاحين وتصرف سنويا من مالية الدولة ٢ مليون جنيه تمتصها من دماء الشعب » .

« .. ان السراى تنفذ رغبة الاستعمار فى توحيد صفوف الاحزاب الخائنة كى توقع معا على معاهدة العبودية والذل ، وهى تعمل بذلك على توحيد صفوف الخونة وعلى ربطنا بعجلة الاستعمار عدو الشعب » ويختتم البيان بالشعارات التالية : « فلنمرغ التيجان فى التراب ــ ليحيا نضال الشعب لاسقاط الاستعمار وديكتاتورية السراى ــ ولحيا نضال الشعب لاسقاط النظام الرأسمالى ولاقامة الديمقراطية الشعبية(٢) » ..

ومع العمال خاضت « حدتو » معارك اضرابية عنيفة تعتبر علامات بارزة فى كل تاريخ الحركة العمالية المصرية . : مثل اضراب عمال المحلة .. الذى مهدت له الجماهير بدراسة مستفيضة عن أحوال عمال المحلة ومطالبهم(٣) وقامت كوادر المنظمة بتكوين لجنة سرية لقيادة الاضراب برئاسة مسئول فرع المنظمة فى المدينة العامل محمد حمزة . ولقد استخدمت الحكومة العنف البالغ ضد العمال المضربين ( ٢٦ ألف عامل ) ووصل الامر الى حد استخدام دبابات الجيش ضدهم .. وكان العمال المضربين يحملون رايات حمراء

---

(١) منشور معنون « يا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس . كافحوا فى سبيل أندونيسيا » ( مطبوع بالرونيو ــ نسخة أصلية ) .

(٢) منشور معنون « ١١ فبراير عيد الملك .. عيد الخونة » ــ ( مطبوع بالرونيو نسخة أصلية ) .

(٣) الجماهير ١٩٤٧/٩/٢

صبغوهـا من دماء زملائهم القتلى وهم يهتفون « يسقط الاستعمار ـ لا استعمار بعـد اليوم ـ تسقط النقـابة الصفراء ـ تسقط لائحـة الجزاءات ـ نعيش أحرارا ٠٠ نموت أحرارا ـ الموت لأعداء العمال(١) » ٠

وتفتتح « الجماهير » اكتتابا لشهداء المحلة ، وتدعو الشعب والعمـال للتضامن معهم ٠ وتتحـرك مجموعات المنظمـة فى شبرا الخيمة حيث يعلن ٢٠ ألف عامل من عمال النسيج اضرابا تضامنيـا مع عمال المحلة (٢) ٠

ويضرب فى نفس الوقت عمال شركة ماتوسيان للسجاير مطالبين برفع الأجور ٠٠ وعمال النسيج بالأسكندرية وعمال الترام وعمال شركة شـل ٠ ومع تصاعد هذه الموجـة تكتب « الجماهير » تحت عنوان « موجة من الاضرابات فمن المسئول » لتقول : « سلسلة من الاضرابات فى كل مكان ٠٠ فلا يكاد يمر يوم حتى تنفجر فئة من الفئات ٠ فقد أضرب عمال المحلة وانفجر عمال شركة النسيج الاهلية بالاسكندرية ، ونفذ عمال شركة القنـال قرارهم بالامتناع عن العمل وشمل الاضراب عمال شركة النيل و شل وغيرها ٠٠ وامتدت الموجة الى طوائف شعبية أخرى كالمهندسين والمدرسـين والاطبـاء الشرعيين ٠٠ وحتى القضـاة قالوا لوزارة العدل : اما أن تجيبوا مطالبنا أو نمتنع عن العمل ٠٠

فما هو سر هذه الانفجارات وما سبب هذا التذمر ؟ انه شبح الجـوع والعرى والتشريد الذى يهدد العمال ٠ انه الضيق وسوء الحالة الاجتماعية التى تعانيها كل طائفة من الشعب ٠٠ »

وبعـد أن يتحدث المقـال عن الاستغلال البشع الذى تمارسه الشركات والاحتكارات الاستعمارية يقول « لقد أدرك العمال والموظفون أن السكوت أصبح لا يجدى ٠٠ ولقـد أخذ العمال والموظفون يدركون الصلة الوثيقة بين الأزمة التى يعانونهـا والاستعمار الـذى يتحـكم فى البـلاد والشركـات الاستعمارية الذى هى أحـد مظـاهر الاحتلال ٠ ثم هذا النوع من الحكومات المستسلمة كل هذا الاستسلام(٣) » ٠

والى الفـلاحين أيضا توجهت « حدتو » ٠ وفى مواكبة مع الاهتمام بارسال كوادر للريف واقـامة نقـاط ارتكـاز حزبية هناك قامت « الجماهير »

---

(١) الجماهير ١٩٤٧/٩/٦ ٠
(٢) المرجع السابق ٠
(٣) الجماهير ١٩٤٧/١٠/٥ ٠

بحملة لدراسة واقع الريف ومشاكله تنتهى بتحديد برنامج زراعى يطالب « بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة ، وزيادة الاراضى المزرعة ، وادخال الآلات الحديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين فى جمعيات تعاونية » .

واختتم « الجماهير » هذا البرنامج بنداء للفلاحين تقول فيه : « يافلاحى مصر .. أننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى تقاسونه ، تكافح من أجل نقابات لكم ، من أجل وحدة بينكم وبين العمال لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنابه(١) » .

وفى جبهة النضال ضد استغلال الرجعية للدين .. تخوض حدتو أيضا المعركة ، فمن كتاب « الاخوان المسلمون فى الميزان » ، الى حملات صحفية ناجحة فى « الجماهير » تفضح فيها موقف الاخوان المسلمين المخزى من القضية الوطنية وتحالفهم مع الطاغية صدقى بل ومع الاستعمار البريطانى .. الى تبنى المفهوم الصحيح للدين وجعله سلاحا ضد الرجعية والاستغلال .. واذا كان الكثيرون قد بهروا بالدور الذى لعبه الاستاذ خالد محمد خالد فى الخمسينات دفاعا عن فهم متقدم للدين فى كتابه « من هنا نبدأ » فان القليلين هم الذين يعلمون أن « الجماهير » كانت أول جريدة تفتح صفحاتها لصيحات الشيخ الشاب .. ليكتب أحاديث رمضان وليكتب تحت عنوان « جبهة دعاية للفقر » قائلا : « الفقر المحبوب ، هكذا يحدثنا علماؤنا المسلمون ، وأوجس المشفقون على دين الله خيفة أن يقول الناس ان الاسلام دين يمجد الفقر ويباركه ويجعله تذكرة الدخول الى الجنة ، وأنه ليروعنا أن نرى شيوخنا يكونون جبهة دعاية للفقر .. فلمصلحة من يا ترى تلك الجرعات المخدرة ؟ لقد صار واجب الغيورين على دين الله أن يواجهوا هذه الموجة الرجعية المجنونة قبل أن تجرف معالم الاسلام وتطمس حقائقه(٢) » .

.. وبعد فلم يكن ما سبق حصرا للاعمال والمواقف بقدر ما كانت اشارات ، ومجرد نماذج من موجة نضالية عالية حققت للمنظمة وخلال أشهر قليلة وجودا فعليا فى أرض النضال المصرى ..

* * *

---

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٥/١٢ .

(١) الجماهير ١٩٤٧/٨/١١ .

ولكن ٠٠ لم يكن الامر بمثل هذه السهولة ٠٠ فان « حدتو » التى قامت بكل هذه الأعمال كانت تحتوى فى داخلها على بذور التكتلية والانقسامية ٠
ومصر التى كانت تموج بالنضال الثورى كانت مقبلة أيضا على فترة جذر خطيرة تواكبت مع حرب فلسطين ٠٠

والحقيقة ان نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وحيوية كوادرها فى مختلف المجالات قد أفزع الرجعية المصرية وأفزع معها الاحتلال البريطانى ٠٠ ولم يكن اعلان الاحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ببعيد عن حالة الفزع هذه ٠

وفى مذكرة من السفارة البريطانية الى وزارة خارجيتها بعنوان « مذكرة ـ المبررات الهامة التى تحتم اعلان الاحكام العرفية فى مصر حفاظا على الامن العام » تشير السفارة كأحد أهم هذه المبررات الى نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وتقول « أنه ليس من قبيل المبالغة القول بأنها تضم عدة آلاف من الاعضاء منتشرين وسط مختلف الفئات »(١) ونلاحظ أن هذه المذكرة مؤرخة أول ابريل ١٩٤٨ أى قبل اعلان الاحكام العرفية بشهر ونصف ٠

وهكذا ولم يمض أقل من عام على قيام منظمة « حدتو » حتى تبدأ التكتلات والانقسامات وتبدأ معها ضربات عنيفة من السلطات وموجة من الجذر والانحسار فى العمل النضالى وتتعرض كبرى المنظمات الشيوعية المصرية لمحنة قاسية ٠

ويكفى للتعرف على حجم الضربات البوليسية التى تتالت على هذه المنظمة بالذات ان عدد القضايا التى حوكم فيها أعضاء حدتو خلال عام واحد ٤٨ ـ ١٩٤٩ كان ٥٠ قضية وبلغ عدد المقبوض عليهم فيها ٢٠٠ عضوا (٢) ٠ هذا بالاضافة الى مئات المعتقلين فى معتقلات هايكستب والطور وعيون موسى والنزهة ٠٠ الخ ٠

---

1) F.O. 371 — 80348 — XC/A 011783 — 1 April 1948.

(٢) وزارة الداخلية ـ ادارة عموم الامن العام ـ « تقرير عن حالة الامن العام بالمملكة المصرية عن سنتى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ » ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ـ (١٩٥٠) ـ ص ١٠٥ ٠

# الانقسام

وكانت « حدتو » تنمو ، وتنمو معهــا مشاكلها ‥ مشاكل التوحيـد غير المبدئى بين تيــارات غير متجانسة ، ومشاكل العمل الحزبى بغير مقومات، فلا برنامج ولا استراتيجية ولا تكتيك ولا حتى لائحة ‥ ومشاكل النمـو غير المتسق للاقسام المختلفــة ٠ ففى الوقت الذى كان فيه قسم الاجانب ( من ايسكرا أساسا ) يضم أعدادا كبيرة ، وأقســام الطلبة والمثقفين تتضخم كان قسم العمــال يعــانى من قلة المنضمين اليه وخاصة بعـد توالى الضربــات البوليسية للنشاط النقــابى والعمالى بشكل عام ( انخفض عدد الاعضاء فى شبرا الخيمة من ١٢٠ عضوا الى ٢٠ فقط(١) ) ، كذلك كان العمل فى الأقاليم عاجزا ـ برغم نموه ـ عن تحقيق توازن للتركيب الطبقى للتنظيم ٠

وباختصار بدأت حدتو تعــانى من مشكلات تحول تجمع المنظمــات الصغيرة الى منظمة كبيرة ، ذات مسئوليات قومية ووطنية ٠ وذات مسئوليات ازاء الاعضــاء والكــوادر وازاء متطلبات الصراع الفكرى الذى نجـم بصــورة عفوية عن حالة من الحيرة الفكرية ازاء قضايا ملحة ، تصادمت فيهــا مواقف حدتو المعلنة مع حركة الجماهير ‥ مثل قضية فلسطين ‥

وكان من الطبيعى وفى اطــار حركة وطنية عارمة أن يبرز تناقض فى صفوف القيــادة ، لعل مبعثه التحـدث كثيرا عن التمصير « فتصعد الكوادر المصرية ، وتصعد حتى المكتب السيــاسي لكنهــا تجـد حاجزا أجنبيا يمسك بالمفــاتيح الأساسية ‥ المسئولية السياسية والمسئولية التنظيمية ‥ ، ثم التحـدث كثيرا عنــد « التعميل » فتصعد الكوادر العمالية لتجـد حاجزا مبعثه غلبة التكوين البرجوازى الصغير للمنظمة » ٠

يقــول مارسيل تشيريزى « لقــد كانت قضيةتمصير القيــادة أمرا بالغ الحساسية ٠ وخاصة وأن الحركة الوطنية المصرية كانت تقف فى وجــه السيطرة الاجنبية عموما ‥ ومن ناحية أخرى فان مشكلة فلسطين ومواجهة الاعتــداء الصهيونى العالمى كانت تزيــد تعقيد الموقف ( هنــرى كوريـــل وشوارتز كانا يهوديين ) ٠ » ويضيف مارسيل « ان مشكلة مصرية القيــادة هى مشكلة قديمة فى مصر منذ الحزب الشيوعى ( الاول ) عنـدما رفض المصريون زعامة روزنتــال » ٠

---

(١) انطباعات أولية عن الوضع السياسى الحــالى فى مصر ـ تقرير بالآلة الكاتبة الايطــالية ٠ رفعــه مؤسسو التكتل الثورى الى الحزب الشــيوعى الايطــالى ـ مؤرخ فى فبراير ١٩٤٨ ٠ ( نسخة مصورة عن الاصل المودع فى أرشيف الحزب الشيوعى الايطــالى ) ٠

ويضيف مارسيل أن شهدى عطية قال له قبل ظهور أول تكتل فى حدتو « هل يصح أن يكون هناك تنظيم شيوعى بحجم حدتو ، ويلعب دورا قياديا فى الحركة الوطنية المصرية ، وله مثل هذا التأثير الكبير فى أوساط الطلاب والمثقفين والعمال بل والفلاحين ويبقى على رأسه أجنبيان ؟ » (١)

ويقول بعض خصوم كوربيل انهم قد لاحظوا أنه يمتلك قدرا من النفوذ داخل المنظمة يزيد عن نفوذ أى مسئول آخر وتشير احدى عضوات اللجنة المركزية فى حدتو فى حديث لها جرى مؤخرا مع مؤلف كتاب صدر عن هنرى كوربيل الى انه « كان يجمع كل شىء فى يده ، وكان هو الوحيد الذى يملك كل البيانات والمعلومات » .

ويضيف المؤلف وهو يمتدح كوربيل « وفى اللجنة المركزية والسكرتارية كان كوربيل دائما هو الذى يحرك الخيوط »(٢) .

لكن الكوادر المصرية .. بدأت تنمو وتتعلم وتنغمس فى غمرة النضال فتكتسب المزيد من الوعى بما يدفعها الى التناقض مع هذا الاسلوب . وهكذا بدأت المشكلات فى التفجر .

وكانت القيادة التى تعانى من تناقضات تاريخية بين قطبيها كوربيل هليل شوارتز ، والتى تعانى فوق ذلك من عجز تنظيمى وعدم قدرة على اكتشاف الاساليب الصحيحة للصراع الداخلى تعتمد أساسا فى محاولتها لتحكم فى التنظيم على « لجنة الرقابة الحزبية » والتى اشتهرت فى « حدتو » باسم « كوكو » وهى ترجمة حرفية لاختصار للاسم الفرنسى Commission de Controle أى " CO — CO " وكانت « كوكو » مكونة من تحسين المصرى ويوسف حزان ( ح.م. ) وأحمد فؤاد وارمان بليسى ( ايسكرا )(٣) . ونشطت اللجنة التى كانت بدورها تفتقد خبرة وتقاليد مثل هذا العمل وتصورت أن مهمتها هى أن تجعل لها عين فى كل قسم من أقسام المنظمة ، وأن تتابع حركة الاعضاء وأفكارهم .. وفى هذا المناخ فان نشاطا من هذا النوع يمكنه أن يصبح ضارا بأمن التنظيم وبوحدته .. بل ان أهم قادة « كوكو » مثل أحمد فؤاد وتحسين المصرى ما لبثوا أن انغمسوا هم أيضا فى مهاوى التكتلية والانقسامية .

---

(١) مارسيل تشيريزى ( اسرائيل ) ـ رسالة الى المؤلف ـ المرجع السابق .
2) Cilles Perrault — Un Homme a Part — Barrault, Paris (1984) P 195
(٣) محضر نقاش مع يوسف حزان ـ أجريت المناقشة فى أثينا بتاريخ ١٩٧٦/٣/٩ .

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة ، أن يقع كل هذا الارتباك فى ظل انحسار العديد من ممكنات العمل الديمقراطى ، وتصاعد موجة الارهاب الحكومى ، واعلان الاحكام العرفية ، وتصعيد العنف البوليسى فى مواجهة موجة الارهاب التى شنتها جماعة الاخوان المسلمين . وكان طبيعيا أن يتواكب مع ذلك كله حملة اعلامية ضارية ضد الشيوعية ..

وتكتب السفارة الامريكية تقريرا تغمره السعادة تبلغ فيه وزارة خارجيتها انه ابتداء من أول مارس ١٩٤٨ تصاعدت حملة الاعلام المعادى للشيوعية « فنشر العديد من المقالات والقصص والافتتاحيات التى توجه انتقادات عنيفة للشيوعية ، بما يوحى بوجود خطة موضوعة أو موجهة ليس فقط للدعاية ضد الشيوعية وانما لاستبعاد أية لمحات يسارية متطرفة فى الصحافة المصرية .. » .

وتمضى الوثيقة لتورد بعض مراكز العداء الاعلامى للشيوعية والجهات التى توجهها فتقول « ـ الاساس ( الناطقة بلسان الحكومة ) وتنشر مقالات لعباس محمود العقاد وهو كاتب مشهور معروف بعدائه للشيوعية .

ـ الزمان ( الحكومة ـ القصر ) تهاجم الاتحاد السوفييتى والشيوعية .

أخبار اليوم ـ آخر ساعة ( القصر الملكى ) وتنشر مقالات لمحمد التابعى .

ـ الأهرام ( مستقلة ) تصف ستالين بأنه مثل هتلر .

ـ البورص .. تصف ستالين بأنه مثل هتلر »(١) .

.. ولعل هذه الوثيقة كافية بذاتها ليس فقط لايضاح حقيقة الحملة المنظمة أو كما تقول الوثيقة « الخطة الموضوعة » لضرب الحركة الشيوعية .. وانما أيضا لكشف حقيقة القائمين عليها .

وقد أثبتت القيادة عدم قدرتها على التكيف مع الواقع الجديد ومواجهته .

وهكذا وبينما كانت قيادة « حدتو » تعانى من التمزق والعجز عن مواجهة متطلبات المرحلة .. طلب اليها وبالحاح شديد من القاعدة أن تعد المقومات الفكرية للتنظيم وأن تعد للمؤتمر ..

---

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
319 Mis — 449356 — March 9, 1948

وكان ذلك هو بداية النهـاية ٠٠

ففى محـاولة للاتفـاق على منهج للعمل ٠٠ وكمقدمة لاعداد تكتيـك للتنظيم أعـد كورييل ( ويقـال أن مصطفى طيبه قـد عاونه فى ذلك ) تقريرا اشتهر فى تاريخ هذه الفترة باسم « خط القـوات الوطنية والـديمقراطية » وقـد أثار هذا الخط كثير من الجـدل ٠٠ الكثيرون هاجموه دون أن يقرأوه ، واكتفوا بتعميمات ومواقف جامدة تجـاهه ، ذلك أن التقرير يقـول فى احـدى فقراته أن الحزب الذى يجـرى النضـال لتأسيسه هو « حزب الطبقـة العاملة والقوات الوطنية والديمقراطية » ٠

وبرغم تأكيـد كاتب التقرير على أن الحزب هو فى الجوهر حزب للطبقة العاملة ، وبرغم أن أكثر أقسام التقرير كانت عبارة عن اقتباسات من كتابات ستالين ٠٠ فان خصوم كـورييل التقطوا عبـارات من هنـا ومن هنـاك واستخدموها فى شن حملة عنيفـة لم تستند أبدا الى أية دراسة علمية حقيقية يقـول كورييل فى شرح فكرته « ان ظروف عالم ما بعـد الحرب العـالمية الثانية قـد خلقت واقعـا جديدا جذب الى العمل الثورى فى مصر قوى طبقيـة غير عمالية ٠٠ بمعنى أن الطبقـة العـاملة ليست الطبقة الثورية الوحيـدة فى مصر وانما هنـاك قوات ثورية أخرى وأنه مع الاعتراف بقيادة الطبقة العاملة يجب أن يكون الحزب حزبا لكل الجماهير الثورية ـ فى اطار المرحلة ـ حزبـا لمصر كلهـا ، أى أن الشعب كله يجب أن يشعر أن الحزب ملك له وليس للعمال وحـدهم(١) » ٠

ويقول البير آرييه « بعـد هذه السنوات التى مرت أقرر أن هذا النقاش كان يعبر عن تخلف « ولخبطة » فى التفكير العـام للتنظيم وفى الحركة الشيوعية عموما ٠ فكورييل أدرك ادراكا صحيحا طبيعة المرحلة وتفهم متطلبات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلد كمصر ، ولكنه وبرغم امتلاكه للاساس الصحيح عجز عن أن يشرح وجهـة نظره بأسلوب مقبول ، أو أن يقـدم الحجج النظرية والسياسية التى تؤيدها ٠ أما خصومه وخاصة « العادليين » نسبة الى عادل الاسم السرى لعبـد المعبود الجبيلى فقـد كانوا هم أيضا يتمسكون بعموميـات سليمة فى الاساس ولكن دون وعى نظرى حقيقى ، وكانوا مجرد أشخاص يرتلون نصوصا محفوظـة دون قـدرة على التطبيق الصحيح على الواقع المصرى وباختصار فاننى أعتقـد أن القيـادة ككل لم تكن لديهـا

---

(١) محضر نقـاش مع هنرى كورييل : جلسة المناقشة الخامسة ٠ باريس ٢/٤/١٩٧٣ ٠

المقومات النظرية والثقافية والتنظيمية الكافية لمجابهة ضرورات المرحلة(١) » .

أما محمد سيد أحمد وكان أيضا من خصوم كورييل فانه يقول الان « ان الهجوم المستند الى نصوص جامدة سهل للغاية على أفكار كتلك التى وردت فى خط القوات الوطنية الديمقراطية ، لكننى أقرر أن هذا الخط كان له منطقه المتسق فى ظروف مصر فى هذه الفترة ولم يكن من السهل رفض مثل هذا المنطق ، لكننا رفضناه بأسلوب كهنوتى لا يسمح باعمال العقل وانما بأعمال النصوص(٢) » .

وفوق كل الاسباب السابقة يضيف كل فريق من فرقاء هذه الفترة أسبابا .. لكل منها وجاهته يقول كورييل : « ان سبب تفشى التكتلية والانقسامية هو سيادة عنصر البرجوازية الصغيرة التى دب الرعب فى أوصالها من اقتراب فترة الجذر وبروز احتمالات فترة من الارهاب مع نشوب حرب فلسطين ، فآثرت الهرب بجلدها تحت شعارات براقة تدعى الثورية(٣) » .

بينما يركز محمد سيد أحمد على التناقض بين القيادات المصرية والقيادات الاجنبية ، ويقول أنه كان هناك احساس راسخ لدى المثقفين المصريين فى قيادة « حدتو » بأن القيادة ، بتكوينها الاجنبى عاجزة وأنها فوتت فرصة الاستفادة من الهبة الوطنية استفادة حقيقية . ويشير أيضا الى أنه « كانت هناك نغمة شوفينية واضحة لدى بعض الكوادر وخاصة بعض الذين كونوا « التكتل الثورى » ( سعد زهران ـ وحسين الغمرى ) برزت فى روح معادية لليهود نمت مع احتمالات حرب فلسطين ، وشعور هذا الكادر بأن مجرد وجود يهود فى القيادة عمل ضار ويخلق عقبات أمام التنظيم(٤) .

بينما يلمح محمد شطا الى أن بعض القادة لم يكونوا مرتاحين الى تنامى دور شهدى عطية الشافعى ( سليمان ) وبدأوا فى تجريده من مهامه كمسئول للعمل الجماهيرى ومنها الاشراف السياسى على مجلة الجماهير .. الأمر الذى فجر غضب شهدى ودفعه الى التكتل (٥) ..

---

(١) محضر نقاش مع البير آرييه : جلسة المناقشة الرابعة . أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٦/٧ .

(٢) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ، جلسة المناقشة الثانية ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٦/١٦ .

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل ـ المرجع السابق .

(٤) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ـ المرجع السابق .

(٥) محضر نقاش مع محمد شطا ـ المرجع السابق .

... وأسباب أخرى عديدة ٠

المهم أن « حدتو » كانت تموج بالغضب والحيرة والعجز عن مجابهة متطلبات المرحلة ٠٠ والقيادة تعانى من تناقضات بغير حل ، ومن تمايز فعلى فى المواقف ، بينما تسود حالة من الجذر تفقد الاعضاء قدراتهم على الحركة وسط الجماهير ، فبعد مظاهرات ٢١ فبراير ١٩٤٦ الصاخبة والتى هزت مشاعر كل مصرى دعت « حدتو » الى مظاهرة فى ٢١ فبراير ١٩٤٨ لم يحضرها سوى ٦٠ شخصا كلهم من أعضاء التنظيم ما لبثوا أن فرقهم البوليس بالقوة واعتقل بعضهم ٠

وفى هذا المناخ وبينما القاعدة تطالب بالمؤتمر كملجأ أخير ، ارتكب شهدى الخطأ القاتل باعلان « التكتل الثورى » الذى كان بداية لسلسلة من التفجرات فى صفوف « حدتو » أحالتها الى مجموعة من الشظايا الصغيرة سنحاول هنا أن نتتبع مسيرة كل منها بايجاز ٠٠

**التكتل الثورى ( تكتل سيف - سليمان ) :**

كان تقرير كوربيل المعروف باسم « خط القوات الوطنية والديمقراطية » قد وزع على أعضاء المكتب السياسى لحدتو ولم يطرح بعد للنقاش ٠

وفجأة أعلن شهدى عن تكتله ، ولعل هذا الموقف هو الذى دفع بالبعض الى ربط التكتل بعملية استبعاد شهدى من مسئولية الاشراف على مجلة الجماهير ٠

ولنترك واحدا من مؤسسى التكتل الثورى ليتحدث « لم أكن قد سمعت عن « خط القوات الوطنية » وكان الخط معروضا للنقاش فى القيادة فقط وأعتقد أن شهدى لم يشارك حتى فى النقاش وأكتفى بالتكتل ، واتصل بى أنور عبد الملك ( سيف ) فى نوفمبر ١٩٤٧ حيث دعانى للاشتراك فى التكتل ٠ وأعتقد أن شهدى ( سليمان ) كان يريد التكتل واتخذ الخط مبررا لتكتله(١) »

وكان التكتل تعبيرا عن فورة غضب تسودها روح البرجوازية الصغيرة التى لا تستشعر أى احساس بالمسئولية ، يقول محمد سيد أحمد « لقد اتبع التكتل الثورى أسلوبا مغامرا فى سرقة المطابع والاجهزة الفنية والمكتبات وكانوا يتهمون كل من يعارض هذا الاسلوب بأنه برجوازى وليس لديه حس طبقى ٠ وبهذا وضع التكتل بذور تقاليد سيئة فى التعامل بين

---

(١) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد المرجع السابق ٠

الشيوعيين . والغريب أنهم كانوا يخربون التنظيم ويمزقونه بحماس شديد وكلما مزقوا التنظيم أكثر كلما شعروا أنهم حققوا هدفهم(١) » .

ويقول البير آرييه « أذكر اننى تصفحت خط سليمان ( التقرير الذى كتبه شهدى ردا على خط كورييل ) وألاحظ عليه أنه ركز أساسا على الهجوم الشخصى وتجريح كل أشخاص القيادة . كذلك فان التكتل الثورى ركز على كشف كل أسرار التنظيم واباحة الاتصالات الجانبية واباحة التكتلات بحجة أن لينين تكتل وبرروا السرقات التى مارسوها بقصص انتزعوها من تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى . ومع تصاعد عمليات السطو على أجهزة التنظيم لجأت القيادة الى نفس الاسلوب فقام كورييل بنفسه على رأس مجموعة من رجال سلاح الطيران الاعضاء فى « حدتو » بملابسهم الرسمية بمهاجمة شقة فى عمارة الايموبيليا كانت مقرا للجهاز الفنى للتكتل الثورى واستعادوا ما بها من أجهزة(٢) » .

.. هكذا تولدت تقاليد جديدة سيئة لم تكن موجودة أصلا فى مناخ العمل الشيوعى بمصر .. فمن هم صناع هذه التقاليد ؟

كانت قيادة « التكتل الثورى » الأساسية من أربعة أشخاص شهدى، أنور عبد الملك ، سعد زهران ، حسين الغمرى .. ومعهم عدد آخر من الكوادر عبد المنعم الغزالى ، ميشيل عبد السيد ، محمد سيد أحمد ، الهام سيف النصر ، توفيق حداد ، نقولا ورد ، موسى عبد الحفيظ ( حسين كاظم ) .

وكان التكتل أساسا فى قسم الطلبة وقسم المثقفين وبعض الاجانب الذين كانوا معادين لكورييل بسبب انتمائهم لمدرسة « ايسكرا » . وقد رفعوا شعارات تتهم القيادة بالانحراف الاقتصادى وتهاجم التنظيم الفئوى وتدعو الى زيادة دور العمال فى القيادة . وانتشر التكتل الثورى سريعا كبالون يتضخم بقوة دفع غريبة ، ولم يلبث أن انفجر .

ويقول ألبير آرييه : « لم يبق « التكتل الثورى » سوى فترة وجيزة ثم تفكك سريعا ، لقد أنتشر بضجيج فظايع ثم مات بالسكتة القلبية بعد أن كرس الانقسامية وغرس بذورها ووضع أسوأ تقاليد الصراع الحزبى فى الحركة الشيوعية المصرية » .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع البير آرييه ــ المرجع السابق .

ويقـول محمد سيد أحمد « لقـد مزقوا « حدتو » وانتهت مهمتهم عنـد هـذا الحـد » .

وتبعثر البرجوازيون الصغار الذين تجمعوا سريعا ، ولم يبق منهم سوى مجموعة صغيرة جدا قوامهـا سعد زهران ، وداود عزيز . سنتركها الآن لنتابعها فيما بعـد .

*     *     *

وبينما كانت القيادة تحاول مجابهة الموجـة التكتلة مكتفيـة برفـع شعارات الانضباط الحزبى كانت هى ذاتها تعانى من انقسام خطير ، حيث تمايزت مجموعتى « ح.م. » « وايسكرا » فى تيارين متصارعين تزعم الأول كوربيل وأسمى تيار « اليونسية » وكان يضم من القيـادة كمال شـعبان ، عبد الخالق محجوب ، سيد سليمان رفاعى ، فؤاد وكمال عبد الحليم ، أحمـد حمروش ، عبد الفتاح الهنيدى ، وكلهم من « ح.م. » مضافا اليهم ايمى ستون ( وكانت من « ايسكرا » ) أما التيار الآخر فقـد تزعمه عادل ( عبـد المعبود الجبيلى ) وضم عبد الرحمن الناصر ، عبد المنعم البراهيـم ، عدلى جرجس ، محمد حمزة ، عامل اسمه الحركى « علام » محمد شطا والثلاثة الآخرين من « ح.م. » أما « شندى » ( شوارتز ) فقد فضل أن يلعب دورا مستقلا .

ثم خضعت اللجنة المركزية بعد ذلك لسلسلة من التوسيع والتضييق والاضافة والاستبعاد دون مبررات واضحة ، لكنها ظلت وعلى الدوام تحتفظ بنفس التوازن بين « اليونسيين » كأغلبية بفارق صوت واحد .. و «العادليين» كأقلية كبيرة .

ويمكن القول بأن هذا التمايز فى القيادة قد انعكس سريعا على كل التنظيم الذى عاد سريعا الى ما يشبه المعسكرين المنفصلين يتسم أولهما بأنه مكون أساسا من كوادر « ح.م. » السابقين مضافا اليهم عـدد قليـل من كوادر ايسكرا مثل ايمى ستون ومحمد الجندى وشريف حتاتة أما الثانى ( العادليين ) فكان أسـاسا من أعضـاء ايسكرا مضافا اليهم بعض العمال من « ح.م. » وكان ( العادليون ) يركزون هجومهم على « خط القوات الوطنية الديمقراطية » ويكررون بالحاح كهنوتى أن الحزب هو حزب الطبقة العاملة وحدها واضعين بذلك بذور أشد التيارات تطرفا تمثلت فيما بعد فى شعار ( ١٠٠٪ عمال ) . كذلك هاجم العادليون فكرة التنظيم الفئوى واتهموا كوربيل بأنه يروج لهـا كانعكاس لفكرته فى اضعاف دور الطبقة العاملة فى صفوف الحزب .

واستمر الصراع .. واتخذ مداه نحو القواعد .. فكانت تكتلات جديدة .

* * *

## صوت المعارضة :

وقد خرجت « صوت المعارضة » من صفوف قسم المثقفين كقوة ثالثة ترفض ( اليونسية ) و ( العادليين ) معا ، أى ترفض القيادة برمتها ، وتدينها وتدين معها التكتل الثورى . وترى أن المخرج الوحيد من أزمة التنظيم هو « المؤتمر » والمناقشات المفتوحة بين القواعد .

وكانت « صوت المعارضة » لا تعتبر نفسها تنظيما وانما مجرد منبر داخل التنظيم ولجنة للنشرة تستهدف الضغط على القيادة لاجبارها على عقد المؤتمر (١) .

وتكونت قيادة صوت المعارضة من أوديت حزان وزوجها سيدنى سلامون وعبد الواحد بصيلة ( قسم المثقفين ) ثم انضم اليهم بعض بقايا التكتل الثورى وبعض أعضاء أقسام الطلبة والنساء مثل سعد الطويل ، منير الطويل ، توفيق حداد ، محمد سيد أحمد ، كريم الخرادلى .. وأعداد كبيرة من قسم الاجانب .

والتقييم المتاح لهذا التكتل سلبى تماما .. يقول ألبير آرييه : « كانوا يعتمدون على النقل الحرفى من تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى والنقل عن وقائع الصراع بين الباشفيك والمنشفيك ، و « بصوت المعارضة » يبدأ تاريخ الجرائم الفعلية فى حق الماركسية وابتذالها وتحويلها الى مجرد نصوص كهنوتية ، لقد تجاهلوا واقع مصر تماما وأكتفوا بالنقل من وقائع تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى »(٢) .

ويقول مارسيل اسرائيل : « كان ( صوت المعارضة ) تنظيما ديماجوجيا ، ينادى بخط يقوم على قصر النشاط فى الأوساط العمالية ( مستندا الى تفسير لجملة وردت فى كتاب لينين « واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس »

---

(١) محضر نقاش مع فاطمة زكى ـ المحضر السابق .
(٢) محضر نقاش مع أبير آرييه ـ المرجع السابق .

وصار هذا التكتل الجديد بطلا لاكثر النظريات عبثا وطفولية ٠٠ وأكثرها يسارية ٠٠ وأكثرها تصفوية »(١) ٠

ويقول محمد سيد أحمد : ( أحد قادة صوت المعارضة ) « أنهم أخذوا « النقيض للخط اليونسى » خط القوات الوطنية والديمقراطية وأكدوا على تجنيد العمال والعمال فقط ومن لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح للانضمام للتنظيم أصلا »(٢) ٠

*** 

**نحو منظمة بلشفية ـ ن٠م٠ب :**

ويمتد اليأس والاتصالات الجانبية والتكتلية الى مختلف الأقسام ٠٠ وفى قسم الطابة انشقت مجموعة من ( ميشيل كامل ، مصطفى أمين ، أحمد شوقى الخطيب ، عبد الستار الطويلة ، سعيد رحمى ، الهام سيف النصر ، عبد الغفار خلاف ) وضمت اليها عدد من العمال والاجانب لتكون تكتلا جديدا « ن ٠ م ٠ ب ٠ » ٠

ويتحدث أحد مؤسسى التنظيم قائلا « قمنا بتكوين ما يمكن اعتباره منبرا متميزا ، وسادت فى ذلك الحين فكرة القاعدة المشتركة ، وكنا أيضا أصحاب هذه الفكرة ، وتقوم على أساس حق القاعدة فى المشاركة فى النقاش حول الخلاف الدائر بين القيادة ، وحق كل المنابر والتكتلات فى أن تعرض وجهة نظرها على كل القواعد وأصدرنا مجلة سرية بعنوان « نحو منظمة بلشفية » تدعو لعقد مؤتمر ومحاسبة القيادة وتعديل تكوينها الطبقى وباختصار كانت فكرتنا تقول أن سبب كل ذلك هو ضعف تمثيل الطبقة العاملة فى التنظيم وهكذا طرحنا شعار : ١٠٠٪ عمال » ٠

ويقول سعد رحمى « انفجرت أزمة حدتو ، وبدأت موجه صاخبة من الاتصالات الجانبية وتبلورت بعض هذه الاتصالات الجانبية فى علاقات تجمع بعضها فى جماعات صغيرة فمثلا كنا نحن مجموعة ترفض القيادة اليونسية وترفض التكتل الثورى ٠٠ وكنا عبد الغفار خلاف وأنا وميشيل كامل من كلية الطب ومصطفى أمين ( كلية التجارة ) حسين أمين ( كلية ) الحقوق وعامل نسيج

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شير يزى ) ـ تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ـ المرجع السابق ٠

اسمه عبد السلام زكى وكان معنا بعض المتعاطفين ، وعملنا برواز خشبى وبدأنا فى طبع نشرة بدائية وبدأت أول عملية طبع فى منزل منير الطويل وكانت تساعدنى سعاد الطويل وبدأنا فى اصدار نشرة داخلية ( خارج أطر التنظيم ) بكلية الطب (!!) واسميناها (ش٠ط٠ب) أى شيوعيو كلية الطب ٠ ثم اصدرنا نشرة بعنوان « ن٠م٠ب » ( نحو منظمة بلشفيه ) وكنت أكتب كل المطبوعات وأطبعها وقد صدرت منها عدة أعداد وكانت تتسم باليسارية والصبيانية والمراهقة »(١) ٠٠

وهكذا ومن قسم الطلاب بالذات ـ حيث تمركزت العناصر البرجوازية الصغيرة ـ نبتت أشد الأفكار تطرفا وخطرا ، ١٠٠٪ عمال !!! والغريب أن الذين طرحوا هذا الشعار كانوا جميعا من الطلاب !!

ثم هناك الفكرة الأشد خطرا ، « القاعدة المشتركة » والتى تعنى استباحة كل تقاليد العمل السرى بحجة أن كل شىء مملوك للقاعدة ، ويجب أن يطرح أمامها ٠٠ وهكذا استبيحت كل الأسرار الهامة وغير الهامة الشخصية والحزبية على الســـواء ٠

وكانت « ن٠م٠ب٠ » قمة التطرف الصبيانى العابث لعناصر البرجوازية الصغيرة التى تواجدت بكثرة غير محدودة فى صفوف منظمة شيوعية سرية ٠

*  *  *

وفى ذلك الحين كانت « حدتو » لا تزال تعانى من انقسام القيادة ٠٠ ومع تفتت القاعدة ازداد القادة عزلة فازدادوا تشبثا بخلافاتهم ، وتجاهلا للاساليب الصحيحة لحلها ٠

وكانت الاعتقالات تتوالى ٠٠ فقد قامت حملة بوليسية عاتية يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ صاحبت اعلان الحرب فى فلسطين وفتحت المعتقلات على مصراعيها لتستقبل أفواج الشيوعيين الذين مزقتهم خلافاتهم قبـل أن تمزقهم ضربات البوليس ، لكن الضربات البوليسية أسهمت أيضا فى عملية التمزيق وربما أدت ـ فى اعتقادنا ـ الى انجاح عمليات تسلل بوليسية تتستر خلف أشد الشعارات يسارية وتطرفا ٠٠ كذلك بدأت سلسلة من المحاكمات التى أتسمت بطابع الارهاب وكانت دائرة المستشار حسين طنطاوى تصدر أحكاما بالسجن والاشغال الشاقة لمدد طويلة كفيلة بأن تهز مشاعر الكثيرين ٠

---

(١) محضر نقاش مع سعد رحمى ـ أجريت المناقشـة بالقـاهرة فى ١٩٨٣/٩/٥

•• وكان كوريبل وعديد من أعضاء قيادة « حدتو » قد أعتقلوا منذ اليوم الاول ، وهكذا أنتقلت الصراعات الى أيدى العناصر الأقل خبرة ، والاقل دراية بأساليب الصراع الحزبى •

واستمر القطبان كما هما •• اليونسيين والعادليين وكان سيد سليمان رفاعى لفترة قصيرة بعد ضربة ١٥ مايو هو المسئول السياسى وحاول قدر طاقته ( كما يؤكد هو ) تلافى الانقسام •

وكانت كوادر « ح•م• » تلمح - ومعها حق فى ذلك - أن التكتلات وكل الاعمال الانقسامية قد أتت أساسا من صفوف كوادر « ايسكرا » وأعضائها ومع ذلك فقد حاولوا أن يجدوا مخرجا لازمة التنظيم •

وعرض سيد سليمان رفاعى على السكرتارية وكانت مؤلفة من ثلاثة هو وعادل وحميدو مشروعا للحفاظ على الوحدة يتكون من أربع نقاط :

١ - التسليم بأن هناك خلافات • وأن هذه الخلافات تحتاج الى مناقشة وحسم اما من خلال مؤتمر أو أى شكل مماثل • أما تحديد موعد للمؤتمر فهو مسألة صعبة الآن •

٢ - أن العمل اليومى والنضالى بين الجماهير هو الاساس وليس الخلافات الايديولوجية ومن ثم تصبح نقطة العمل النضالى هى النقطة رقم ١ فى جدول أعمال كل المستويات •

٣ - وقف التسابق على تعديل المراكز وتغيير تركيب المستويات •

٤ - ادانة الانقسام فى أية صورة (١) •

وكان العادليون يطالبون بالمؤتمر فورا وبالصراع الايديولوجى •• لكنهم وافقوا مبدئيا على المقترحات الاربعة السابقة • وأستمروا فى نفس الوقت فى اقامة تكتلات ومستويات جانبية وخلق تنظيمات موازية •

وعندما قبض على سيد سليمان رفاعى وقعت تعديلات أخرى فى القيادة •• ولاحظت الاغلبية أن العادليين يواصلون الاعمال التكتلية وتعديل المستويات واقامة تنظيمات موازية •

وفى محاولة أخيرة لتلافى الانقسام وافقت الاغلبية على مبدأ عقد المؤتمر وادارة الصراع الايديولوجى فورا •

---

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •

يقــول فؤاد عبد الحليم : « لم نكن نخشى المؤتمر فأغلبية الكوادر وأغلبية القواعــد كانت معنـــا ، لكننـــا كنا نعترض على عقــد المؤتمر فى مثــل هذه الظروف الصعبة ، فلما صمم العــادليون وافقنـــا على عقــد المؤتمر · لكننى أؤكــد لك أن الانقسام كان مصنوعا ، ومعدا ، ويجرى تنفيذه · ومع ذلك وحفاظا على الوحــدة وافقنـــا على المؤتمر وثار نقـــاش هل المؤتمر بالانتخاب أم بالتعيين؟ وفى كلتـــا الحالتين كنا نضمن الاغلبية . وحاولوا ابتزازنا بطلب انتخابات مباشرة من القواعــد ·· وعرضنا فكرة انتخابات من لجــان الدوائر ( المناطق ) ·· لكن ذلك كله كان قــد فات أوانه فالانقسام صنع ونفذ »(١) ·

وهكذا خرجت بقـــايا ايسكرا لتعلن قيام منظمة جديدة ·

***

**حدتو · ع·ث· ( حدتو العمالية الثورية ) :**

ومرة أخرى تستدرج الكوادر الاساسية تحت ضغط العناصر البرجوازية الصغيرة الى شعارات متطرفة · فاذا كانت « ن·م·ب » تلك المجموعة من الطلاب المشعوذين – ترفع شعار ١٠٠٪ عمال ) ، فان « البرجوازيين الصغار « الأكبر سنا كانوا أكثر تعقــلا فرفعوا شعار « تركيز العمل وسط العمال »، ولعلهم شعروا هم أيضا بحرج موقفهم فقــد كانوا فى الأغلب مثقفين ( عبــد المعبود الجبيلى ، مارسيل اسرائيل ، أحمد شكرى سالم ، عبد الرحمن الناصر، لطيفــة الزيات ، جمال غالى ·· الخ ) ·

لكن ظهور « ع·ث » فى الأفق أثار الكثير من الجدل ·· فهم يصممون على أنهم لم ينقسموا وانما طردوا بقرار ، وبأغلبية ٥ ضــد ٤ ، ويقولون ان الخمسة قــد خضعوا فى الاساس لاكثر العناصر تشددا فى ذلك الحين وهو عبد الخـــالق محجوب الذى كان يرفض استمرار الحوار مع « العادليين » وأنه كان يردد باستمرار شعار لينين « الحزب يتقوى بتطهير نفسه » ·

لكن أصحاب القرار يؤكدون أن قرار طرد « العادليين » كان مجرد اقرار لأمر واقع ، خاصة وأنهم كانوا قــد مارسوا الانقسام بالفعل وأقاموا أجهزة ومستويات موازية وأن استمرارهم فى التنظيم لم يكن يستهدف سوى شغل القيـــادة بمناقشات غير مجــدية وتحقيق المزيــد من التخريب بالداخل(٢) » ·

لكننـــا مع ذلك يتعين علينـــا أن نورد وجهــة نظر واحــد من زعمـــاء « ع·ث· » يقــول مارسيل اسرائيل : « وأخيرا وفى يوليو ١٩٤٨ وعلى

---

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم – المرجع السابق ·

(٢) محضر نقاش مع يوسف حزان – أجريت المناقشة فى أثينـــا بتاريخ ١٩٧٦/٦/٩ ·

أساس حجة سخيفة طرد اليونسيون العادليين ، وكان العادليون الذين يعتمدون أساسا على كوادر المكتب المركزى للدعاية قد قرروا تكوين لجنة تنظيمية لعقد مؤتمر لأعضاء « حدتو » ليقوم بتحديد خط التنظيم وانتخاب لجنة مركزية جديدة ، وكان ذلك قرارا صائبا وليس تكتليا ولا انقساميا ، ويقوم على أساس ادانة اللجنة المركزية القديمة وأن عقد المؤتمر انما يعكس رغبة الاعضاء وخاصة العمال ، وذلك تطبيقا للفكرة التى أوردها لينين عام ١٩٠٤ وقبلها مؤتمر ١٩٠٥(١) » .

المهم خرجت بقايا كوادر « ايسكرا » ( وباستثناء مجموعة محدودة ظلت ملتفه حول شوارتز الذى تباعد حتى الآن ملتزما الصمت ) من المنظمة رافعة أكثر الشعارات بريقا ، محاولة ارضاء نزعات البرجوازية الصغيرة .. المؤتمر المنتخب من القاعدة .. التركيز أساسا على العمال .. ناسين أن ذلك كله مستحيل فى ظل حملات الارهاب الضارية التى كانت تنتهز فرصة التمزق لتدفع كل يوم الى السجون والمعتقلات بعشرات من المناضلين الشيوعيين .

والغريب فى الأمر أن أعضاء « ع.ث » قد انقسموا وهم يرفعون شعار « الوحدة » فقد أصدروا عند انقسامهم بيانا يقول « أن الكفاح من أجل الوحدة يجب أن يكون متوقدا حماسا ، متدفقا لا يعترف بعقبة ، ولا يكترث بصعوبة ، انما هو أسلوب الحروب الصليبية ضد الروح الحلقية والنظريات الانقسامية والمناورات الانتهازية من أجل تحويل منظمتنا - كما كانت - الى مركز تعبئة للحركة الشيوعية بأكملها ، من أجل الوحدة وتأسيس الحزب .. نعم ان عملية توحيد الحركة وتأسيس الحزب أصبحت اليوم أصعب مما كانت عليه بالامس بفضل هذه الجماعات الانتهازية ولكن أعضاء العمالية الثورية وجميع رفاقهم المخلصين سيعرفون بلا شك كيف يحبطون مؤامرة تقسيم طليعة الطبقة العاملة المصرية ويقودون الحركة بأسرها الى مؤتمر تأسيس الحزب الشيوعى المصرى الموحد (٢) .. » .

---

(١) مارسيل اسرائيل ( شبريزى ) - تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى المرجع السابق .

(٢) نشرة بالرونيو صادرة عن منظمة حدتو العمالية الثورية بعنوان « بحث عن وضع الحركة الشيوعية المصرية وطريقة توحيدها » . وقد قدم هذا البحث الى كونفرنس « ع.ث » وأقر بواسطته . ويلاحظ أن مارسيل اسرائيل قد أكد فى رسالته الخطية الى المؤلف وفى تقريره المكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية ، أنه صاحب هذا التقرير .

وقـد أعلن قيـام منظمة ع٠ث٠ من خلال مؤتمر ( كونفرنس ) ٠٠ ففى يوليو ١٩٤٨ عنـدما أصدرت أغلبية القيادة فى « حدتو » قرارها بطرد العادليين عقد المؤتمر على الفور بما يؤكد أقوال عبد الخالق محجوب وفؤاد عبد الحليم وغيرهما بأن العادليين كانوا قد حققوا انقساما فعليا قبل طردهم وقـد اشتهر المؤتمر باسم مؤتمر الثلاثة والثلاثين اشارة الى عدد أعضائه ٠٠ وأن نظرة واحـدة على أسماء من حضروه تؤكـد أنه لا يمثل بأى حال من الأحوال الكوادر الحقيقية لحـدتو وانما مجرد شلة من المثقفين وأبناء الذوات والأجانب ٠٠ ( مارسيل اسرائيل ، أحمد شوقى الخطيب ، عبد المعبـود الجبيلى ، أحمد شكرى سالم ، لطيفة الزيات ، حمدى أبو العلا ، انجى أفلاطون أحمد فؤاد ، على الشلقانى ، محمود النبوى ، عنايات أدهم ، ظريف عبد الله، وأمثالهم بالاضافة الى عدد من العمال ) كذلك فان المؤتمر لم يحضره سوى أعضـاء من منطقتى القـاهرة والاسكندرية حيث تواجـد نشاط العـادليين بينما كان كل الوجهين البحرى والقبلى وكانا تحت القبضة المحكمة لكوادر الأغلبية وخاصة سالم ( فؤاد عبد الحليم ) وحمودة ( حمدى عبد الجواد ) ـ لم يحضر منهما أى مندوب ٠٠ ويؤكد مارسيل اسرائيل هـذه الحقيقـة ويضيف اليهـا أن هؤلاء الثلاثة والثلاثين كانوا يمثلون مائتى عضو فقط(١) بل أنـه يقـرر أن اللجنـة التى أعـدت للمؤتمر قـد « نهجت خطـا انقساميا بأن فرضت شروطـا مسبقـة للاشتراك فى المؤتمر ، وحددت موعدا لعقـد المؤتمر لا يترك الفرصـة عمليـا للاعداد الايديولوجى ٠ وبذلك فان المؤتمر الذى انعقـد كان من الناحية الواقعيـة مؤتمرا انقساميا أدى رغم أنفـه الى ميـلاد منظمة جديدة (٢) » ٠

ووفق رواية مارسيل تشيربزى ( اسرائيل ) فان المؤتمر ناقش تقريرين الأول قـدمه « عادل » وركز على مناقشة أساليب كوربيل فى فرض سيطرته على اللجنة المركزية وعلى مجمل المنظمة والآخر قـدمه « مرسى » ( مارسيل ) « يحلل أزمة حدتو وينتقـد خط القوات الوطنية الديمقراطية ٠ كخط جبهة ولا يصلح لحزب شيوعى ، ويقـدم حـلا للخروج من أزمة الحركة المصرية وليس حدتو وحـدها ٠ وهو اقتراح دعوة كـافة المنظمات الشيوعية فى مصر لارسال مندوبين للاشتراك فى لجنـة تحضيرية لمؤتمر تأسيسى للحزب تكون مهمتهـا التحضير الايديولوجى بمناقشة مشروعات البرنامج واللائحة والخط الاستراتيجى والتكتيكى المقـدمة من مختلف المنظمات ، على أن تشترك فيه

---

(١) مارسيـل اسرائيل ـ تقرير بالآلة الكـاتبة الفرنسيـة ـ المرجع السابق ٠

(٢) المرجع السـابق ٠

جميع المنظمات الشيوعية الموجودة فى مصر بلا استثناء وعلى قدم المساواة • وقد وافق المؤتمر بالاجماع على التقرير ••

وأقر المؤتمر فكرة أن عملية توحيد الحركة الشيوعية المصرية هى فى ذات الوقت عملية تأسيس الحزب الشيوعى ولتجنب شبهة الانقسام تقرر المؤتمر الاحتفاظ باسم حدتو مع اضافة بين قوسين « عمالية ثورية » وذلك لتأكيد ان هناك اتجاها جديداً • وأكد المؤتمر على ضرورة أن تنهى اللجنة التحضيرية وتدعو المؤتمر التوحيدى والتأسيسى فى موعد أقصاه ٣١ ديسمبر ١٩٤٨ •

وانتخب المؤتمر لجنة مركزية من خمسة ٢ عمال ( حميدو – علام ) وثلاثة مثقفين ( عادل – شكرى ) وسيدة هى لطيفة الزيات ) »(٢)

وهكذا انغمست « العمالية الثورية » • كلية فى مهمة التوحيد ، بعد أن كان كوادرها قد انغمسوا طوال الفترة السابقة فى مهمة التقسيم تاركين فى الحالين العمل الجماهيرى والنضالى منغمسين تماما فى المشكلات الداخلية للحركة ••

وبدأت مرحلة جديدة يمكن تسميتها مرحلة « الانكفاء الى الداخل » •• أى ترك كل عمل نضالى وجماهيرى وسياسى والاكتفاء بمهمة وحيدة هى توحيد الشيوعيين وعقد مؤتمر تأسيسى ••

وهكذا فان الذين شلوا نشاط المنظمة دعوة للانقسام ، قد عادوا ليشلوا نشاطها دعوة للتوحيد •

وكنموذج نقدم فقرة من احدى نشرات « ع•ث » توضح الدوامة التى أدخلوا فيها الاعضاء بحجة الاعداد للمؤتمر « دارت مناقشات تحضيرا للمؤتمر فى قسمى « م•و•س• » حول سياستنا لتأسيس الحزب الشيوعى المصرى تمثلت فى التقارير التى ننشرها فى هذا العدد وهى تشمل تقريرا من الزميل عادل فى « سويسرا » ( اسم رمزى لأحد المعتقلات ) وتقريرا كتبته قيادة « الأندلس » ( معتقل آخر ) ثم رد عليه من عدد من الزملاء فى «الأندلس» وكتبوا تقريرا مضادا ، ثم كتبت قيادة « الأندلس » ردا على التقرير المضاد وهذه هى التقارير(١) •• » •

---

(١) نشرة داخلية صادرة عن منظمة «ع•ث•» مطبوعة بالرونيو ( بدون تاريخ ) ••

وهكذا كانت ( الدوامة ) تدور بالجميع • وانغمست المنظمة تماما فى التقى تقارير مطولة يكتبها المعتقلون ليطبعها ويوزعها من بقى بالخارج •• دون أى كفاح جماهيرى أو عمل سياسى عام • وان كانت هناك محاولة لم تدم لاصدار نشرة خارجية باسم « الخبز والحرية » •

لكن « ع•ث » لم تبق طويلا فسرعان ما قبض على معظم القادة ، وسرعان ما تفكك المائتى عضو الذين تجمعوا على عجل ، وسرعان ما سرت موجة هروب الكوادر من أبناء الذوات الى الخارج بحجة استكمال دراستهم وأخيرا استقرت قيادة المنظمة التى كانت تدعى التمسك بالاغلبية العمالية فى أيدى خمسة ليس فيهم عامل واحد ( مارسيل اسرائيل ، أحمد شكرى سالم ، لطيفة الزيات ، ظريف عبد الله ، أسعد حليم - بعد هروبه من المعتقل ) •

يقول جمال غالى أحد كوادر ع•ث الاساسية « قبض على معظم كوادر ع•ث وكانت اللجنة المركزية خارج السجن مكونة من أربعة : لطيفة الزيات - أحمد شكرى سالم - مارسيل اسرائيل - أسعد حليم •

وبعد الخروج من المعتقلات أعد فؤاد سراج الدين خطة تستهدف تسفير واحتواء معظم القيادات المثقفة فأعطاهم جميعا منحا دراسية فى الخارج فان رفضوا تعقبهم وتوعدهم بالسجن وقد قابلنى شخصيا وعرض على منحة لدراسة الطب الشرعى بالخارج مدتها سبع سنوات ورفضت (١)»

وفى هذه الآونة بدأت مرحلة جديدة فى حياة « ع•ث• » يمكن تسميتها بمرحلة : اللجنة التحضيرية • حيث انهمكت قيادة « ع•ث • » الجديدة ( مارسيل اسرائيل أساسا ) فى محاولة جديدة لتوحيد المنظمات المختلفة على أساس تكوين لجنة تحضيرية تعد للمؤتمر التأسيسى للحزب •

وفى مارس ١٩٤٩ أعلن قيام اللجنة التحضيرية التى تضم ممثلين لمنظمات ( ع•ث - وطليعة الشعب للتحرر التى أكد أحد قادتها وهو أحمد صادق سعد أنهم لم يكونوا جادين فى السعى للوحدة وانما أرسلوا مندوبا لمجرد الاستطلاع - والعصبة الماركسية - تحرير الشعب - أو بالدقة بقايا هذه المنظمة - ن•ح•ش• ) واتفقت اللجنة التحضيرية على أن تصدر فى أول ابريل ١٩٤٩ العدد الاول من النشرة التى ستتولى ادارة الصراع

---

(١) محضر نقاش مع جمال غالى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٣ - ٢ - ١٩٧٦ •

الايديولوجى بين قواعد جميع المنظمات تمهيدا لعقد المؤتمر وأن ينشر فى هذا العدد مختلف البرامج المقترحة من كل المنظمات وأن يجرى تداول النشرة فى جميع القواعد ..

ولكن يد البوليس تمتد الى القوى المحركة للجنة التحضيرية ويلقى القبض على قيادة ع.ث . باستثناء أسعد حليم . ويضبط معهم فى ٢ - ٤ - ١٩٤٩ مشاريع الوثائق التى كانت ستقدم الى المؤتمر وهكذا تتفرق اللجنة التحضيرية ، وتتجه بقايا ع.ث . الى الوحدة م ح.ن.ح.ش .

***

*نحو حزب شيوعى . ن.ح.ش. :*

وأخيرا يعود شندى ( شوارتز ) للظهور بعد اختفاء طويل .. فقد ظل طوال فترة الخلافات بين « اليونسيين » « والعادليين » ، كامنا متواريا عن الانظار ، متباعدا حتى عن اجتماعات القيادة .. فما أن انقسمت ع.ث. حتى أعلن هو أيضا انقسامه معلنا بذلك انسحاب آخر بقايا ايسكرا باستثناءات قليلة ) من المنظمة.ومع شندى تجمع بعض الذين حضروا مؤتمر الثلاثة والثلاثين مثل ( حمدى أبو العلا ، انجى افلاطون ، أحمد فؤاد ، ابراهيم الناسترلى ) ليعلنوا قيام منظمة جديدة هى «ن.ح.ش» واعلنت المنظمة الجديدة عن موقفها فى تقرير أعده شندى نشر فى العدد «... الأول من نشرة « نحو حزب شيوعى » وقد جاء فى صدر هذا العدد « هدفنا هو تكوين حزب شيوعى .. نعم ، غايتنا توحيد الاشتراكيين الثوريين فى « حدتو » وفى كل الحركات الأخرى لتكوين الحزب الشيوعى المصرى »

ولسنا بصدد استعراض لهذا التقرير المليىء بالاخطاء النظرية والسياسية ولكننا سنكتفى بايراد أهم ما أثاره من قضايا مثل « المجتمع ينقسم الى طبقتين اثنتين البرجوازية والبروليتاريا » . ويركز التقرير بعد استعراض لتاريخ منظمة «ح.م.» وايسكرا على ادانة خط القوات الوطنية الديمقراطية « ان كفاحنا هو من أجل تكوين الحزب الشيوعى ، الحزب البروليتارى ، لا حزب القوات الوطنية الديمقراطية .. » أما الهدف الاساسى وهو الوحدة فانه يتحقق من خلال لجنة « اتصال بين كل التكتلات وعقد مؤتمر منتخب فى أسرع وقت ممكن لانتخاب قيادة جديدة وحيدة على أساس خط سياسى ثورى عمالى لتوحيد الحركة الشيوعية . وحتى يعقد المؤتمر اقترح التقرير ما أسماه بالوحدة الاسمية وتقوم على أساس « ادماج كل المنظمات

القاعدية وخلق مركز موحد تمثل فيه كل التكتلات بالتساوى يراقب اصدار نشرة مركزية وحيدة يعبر فيها كل تكتل عن رأيه كلما أراد (١)» ٠

وهكذا مزقوا الوحدة الفعلية ٠٠ ليدعوا الى وحدة اسمية ٠

وحتى هذه الوحدة الاسمية كانت بعيدة المنال ٠

❋ ❋ ❋

وبالاضافة الى كل ما سبق ظهرت عدة شظايا صغيرة كانت عبارة عن عدة أفراد اما شعروا باليأس من الجميع أو استهواهم تيار الزعامة فحاولوا اقامة تنظيمات مستقلة نشأت واختفت دون أن تترك أى أثر لكننا نوردها استكمالا للبحث الاكاديمى ٠٠ مثل فقاعة صغيرة كونتها ايمى ستون بالاشتراك مع شخص أجنبى اسمه الحركى «فودنس» باسم « هدف التوحيد » وفقاعة ثانية كونها ابراهيم عرفة ( وكان يتخذ لنفسه اسما حركيا فرعونيا هو « حوتر » ) بالاشتراك مع عبد القادر العايدى اسمها « الاتجاه الثورى » ما لبثت أن اتحدت مع مجموعة « العصبة الماركسية » ، وفقاعة ثالثة كانت تتواجد منذ فترة اسمها « جبهة التحرر التقدمى » « جات » وكانت تضم د٠ عصام الدين جلال ، أحمد طه ، صلاح سلمى ، يحيى المازنى ، وقد اتحدت مع « ع٠ث » ثم انفصلت سريعا ثم تفرقت أيضا ٠٠ وآخر هذه الفقاعات كان ما أسمى « تكتل المطبعة » وهى المجموعة التى كانت تشرف على الجهاز الفنى الاساسى لمنظمة «حدتو» ( مصطفى طيبه ، مصطفى الهنيدى ، عبد الفتاح الهنيدى ، وموريس يوسف ) وقد ظلت تتلاعب بمختلف الانقسامات مستخدمة ورقة الجهاز الفنى فى فرض شروطها التى كان أغلبها شخصى بحت ، ثم استقر بها الحال بعد فترة فى منظمة « نحشم » ، ثم انسحبت غالبيتها لتنضم الى المجموعة التى أعلنت فيما بعد ما أسمى « بالحزب الشيوعى المصرى » والذى أصطلح على تسميته فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية باسم « مجموعة الراية » ايماءا الى جريدته « راية الشعب » ٠

❋ ❋ ❋

---

(١) نشرة « نحو حزب شيوعى » ــ العدد الاول ، ١٤ أكتوبر ١٩٤٨ ، ( مكونة من ٢٥ صفحة فولسكاب مكتوبة بخط اليد ومطبوعة بالرونيو ) ٠

وفى هذه الأثنـاء خضعت مختلف الانقسامات لابتزازات متعددة الجوانب من أهمهـا ما أسمى بالتحكيم الخـارجى .. وبمنـدوبى الأمميـة ... ، لعل أبرزها تلك المحاولة التى قـام بهـا « الرفيق سعيد » وكان طالبا يعـد للدكتوراه فى فرنسا وحضر الى مصر فى أواخر عام ١٩٤٨ معطيا انطباعا لدى الجميع بأنه مكلف من قبل الحزب الشيوعى الفرنسى بدراسة خطوط المنظمات المختلفة والمفاضلة بينهـا . وبعـد جولة استطلاعية عاد « الرفيق سعيد » الى باريس ليعلن تفضيله لخط منظمة ن.ح.ش. ( ربما لعلاقة قرابة بواحدة من قادتهـا ) وما يلبث « سعيد » أن يعود فى نهـاية عام ١٩٤٩ ليشارك فى تأسيس جمـاعة « الحزب الشيوعى المصرى » .

****

*** حدتو . ش. ( حدتو الشيوعية ) :**

وفى مواجهـة كل هذه الاعاصير والانقسامات ، صمدت مجموعة من كوادر « ح.م. » وقلة من كوادر « ايسكرا » تحصنت أساسا فى عدد من المواقع العمـالية ( شبرا الخيمة ـ والاسكندرية ) وفى الاقاليم ( حيث لم يكن هنـاك نفوذ للانقساميين ) .

لكن هذه المجموعة كانت تتعرض لضغوط عديدة سياسية وتنظيمية ، الأمر الذى اضطرها كما يقـول أحـد قادتها ( فؤاد عبد الحليم ) الى ما أسمته « عملية مراجعـة » شاملة للفكـر والقواعـد التنظيمية وحتى للاسم ، وثارت تساؤلات عديدة « لمـاذا اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؟ ولمـاذا لا نعلن حتى فى الاسم اننـا منظمة شيوعية ؟ لمـاذا لا نضيف اسم الشيوعية الى المنظمة حتى ينعقـد المؤتمر ؟ ولمـاذا لا نسعى بالفعـل لعقـد المؤتمر ؟ ولمـاذا وقعت كل الاخطـاء السابقة ؟ ومن هو المخطىء الحقيقى ؟ وخـلال عمليـة المراجعـة هذه حدثت خلافـات بيننـا وبين قيـادة حدتو فى المعتقـل ، لكنهم ظلوا على علاقة حسنة بنا .. (١) » .

ويضيف محمد يوسـف الجنـدى « نقـدنا خط القـوات الوطنيـة والديمقراطية ، وأكدنا أن الحزب هو حزب الطبقـة العـاملة وحاولنـا أن نغير الاسم تماما فنسمى أنفسنا « المنظمة الشيوعية » وبعـد مناقشة أسمينا أنفسنا « حدتو ش » وقمنـا بتغيير شـكل التنظيم فألغينـا التنظيـم الفئوى(٢) » .

---

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم ـ المرجع السابق .
(٢) محضر نقـاش مع محمد يوسف الجنـدى ـ المرجع السابق .

وبغض النظر عن كل شيء فان هذه المجموعة من الكوادر التى استمرت تذود المنظمة ـ كانت فى اعتقادنا ـ الجزء المشرق الوحيد فى الحركة الشيوعية المصرية فى منتصف عام ١٩٤٩ .

فالجميع تقوقعوا الى الداخل .. يفرزون خلافاتهم على صفحات نشرات داخلية تستنزف كل جهودهم ، بينما كانت هذه المجموعة هى المجموعة الوحيدة التى استمرت فى مخاطبة الجماهير وفى محاولة تقديم خط سياسى نضالى لها .. وفى توزيع المنشورت والنشرات والمجلات على قدر استطاعتها .

وقد اعتمدت هذه المجموعة أساسا على نشاط « حدتو » فى منطقتى بحرى والصعيد حيث لم تنل يد الانقسامية من النشاط فيها .. ومارست عملا نضاليا شجاعا يستحق الاعجاب ..

كانت هناك نشرة « المقاومة » وشعارها « فى سبيل كفاح مسلح لطرد الاستعمار والقضاء على الملكية والرأسمالية المصرية الخائنة ، واقامة نظام الديمقراطية الشعبية » . وكانت « المقاومة » توجه نداءاتها الى « الشباب الوفدى » للمشاركة مع « حدتو . ش . » فى المعركة « ضد العهد الحاضر ودكتاتورية السراى . ومن أجل تحديد حد أقصى لساعات العمل وتحديد الملكية الزراعية (١) » .

وكانت تصدر نشرة عمالية باسم « كفاح شبرا الخيمة » شعارها « يا عمال شبرا الخيمة اتحدوا حول الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « الشيوعية » تصدرها لجنة شبرا الخيمة . ويتضمن العدد الأول من هذه النشرة افتتاحية تقول « ان جريدة كفاح شبرا الخيمة انبثقت من محيط العمال لارشادهم فى نضالهم المستديم ضد الاستعمار وديكتاتورية السراى ، وضد الاستغلال الواقع عليهم من أصحاب الأعمال . إن هذه الجريدة منبر شيوعى ثورى لطليعتهم المكافحة وهى ترتبط أمامها بميثاق العرق والدم والتضحية لاسقاط الاستعمار وديكتاتورية السراى والكفاح لاسقاط وتحطيم النظام الرأسمالى نظام العبودية والاستغلال » .

ويتضمن العدد أيضا مقالا بعنوان : « ماهية الاستعمار » جاء فيه :

---

(١) المقاومة ـ نشرة بالرونيو من ٥ ورقات عشر صفحات ) صادرة عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( الشيوعية ) ( نسخة أصلية ) .

« ان الاستعمار ليس مجرد وجود جنود أجنبية فى بلد ما وانما هو الرأسمالية، أنه بدون تحطيم هذا النظام لا يمكن الخلاص من الاستعمار (١) » .

وسيل من المنشورات .. أحداها بعنوان « لا معتقلات ولا منافى الشيوعيين وكل الأحرار » . « يسقط تجار الحروب جلادى الشعب » جاء فيه « ان الحكومة تخاف أن يتحرك الشعب ، وأن يتحد للقضاء على العهد الحاضر عهد الباشوات وأصحاب الاراضى الاقطاعية ، عهد العرى والجوع والأوبئة .. » . ويوجه المنشور اللوم الى قيادة الوفد لمهادنتها مع السراى معلنا ان هذا الموقف قد جعل « الشيوعيين وحدهم فى المعارضة » ودعا المنشور « الى تكوين جبهة من كل الاحرار ضد كل أشكال الظلم وضد العهد الحاضر والارهاب السياسى والاحكام العسكرية (٢) » .

وبالاضافة الى ذلك كانت قيادة « حدتو . ش . » قد حاولت أن تتلافى أخطاء القيادة السابقة فشرعت فى اعداد مشروع للبرنامج ومشروع اللائحة .. وأصدرت « مجلة الكادر » كنشرة داخلية تضمن عددها الاول نص مشروع للبرنامج جاء فى مقدمته .. « وليس أمام العمال من طريق سوى تنظيم وقيادة الكفاح المسلح من أجل القضاء على النظام القائم كخطوة أساسية نحو الاشتراكية الا أن ضعف الحالة الاقتصادية والنهضة الصناعية يجعل من المستحيل تأسيس الاشتراكية دفعة واحدة فيستلزم أن يمر الوطن بمرحلة اعداد تنمو فيها تلك القوى ، مرحلة تقوم فيها سلطة الشعب بعد استيلائها على جهاز الدولة باعداده للاشتراكية ، وهذه هى مرحلة الجمهورية الديمقراطية الشعبية (٣) » .

كذلك أصدرت ( مشروع اللائحة ) وقد جاء فى مقدمته « منظمتنا منظمة كفاحية سرية تهتدى بالنظرية الماركسية اللينينية ، وتستمد قوتها من وحدة الارادة والعمل ، وان تحقيق أهدافها يقتضى ضم خيرة أبناء الطبقة العاملة وخلق جبهة كفاحية وطنية ديمقراطية من العمال

---

(١) كفاح شبرا الخيمة . نشرة بالرونيو من ٤ ورقات ( ثمانى صفحات ) العدد الاول التاريخ لم يذكر — ( نسخة أصلية ) .

(٢) منشور مطبوع بالرونيو معنون « لا معتقلات ولا منافى للشيوعيين وكل الأحرار » موقع « اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، الشيوعية » ( نسخة أصلية ) .

(٣) الكادر : النشرة الداخلية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «الشيوعية» العدد الأول ( مطبوع بالرونيو من سبع ورقات ) — نسخة أصلية .

والفلاحين . » وترفض اللائحة فكرة الانتخابات فى تنظيم سرى وفى ظل موجة الارهاب القاسية فتقول تحت عنوان ( أسس التنظيم ) « ان القبول الاجبارى لقرارات الاجهزة العليا للمنظمة يكون وفق نظام حديدى يقبله الكل مختارين ... وأنه حينما تتغير الظروف السياسية تغييرا وضعيا يسمح لنا بأن نكون منظمة علنية وبالتالى يسمح لنا بالانتخابات الديمقراطية ، اذ أن الظروف السياسية الحاضرة هى التى تجبرنا على عدم مزاولة الانتخابات(١) » .

وظلت هذه المجموعة .. تخوض معركة النضال وتتعرض لاشد الهجمات من البوليس والسلطة ومن الانقسامات ، واستطاعت بتضحيات عديدة أن تواصل المسيرة حتى أوشكت فترة الارهاب الدموى على الانتهاء ، وأوشك الكادر المحتجز فى المعتقلات على الانطلاق مرة أخرى للحرية .

***

نحن الآن فى بدايات عام ١٩٤٩ تقريبا .

أى أن كل هذه الانقسامات والتكتلات قد وقعت فى أقل من عام ، ولعل ذلك يوضح لنا توالى وتداخل هذه التفجيرات والانقسامات ..

وبعد أن أشبع « البرجوازيون الصغار » نزواتهم الانقسامية ، بدأوا هواية جديدة هى « التوحيد » .

وقد تمت عدة وحدات بين عدد من هذه الانقسامات ولدت منظمات جديدة ..

***

*** المنظمة الشيوعية المصرية م.ش.م. :**

.. عندما وجهت الى أحد مؤسسى « ن.م.ب. » سؤالا يقول كيف اتحدتم مع صوت المعارضة ؟ أجاب : « رويدا ، رويدا استدرجنا من التكتلية الى الانقسامية ، فقد بدأنا فى اعداد برنامج لطرحه على القاعدة المشتركة وبعد أن انضم عدد كبير من الاعضاء لنا ولصوت المعارضة بدأت فكرة التنظيم المستقل تفرض نفسها من الناحية العملية ، ووجهنا الى قيادة

---

(١) مشروع لائحة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « الشيوعية » مطبوع بالرونيو من ١٤ صفحة ـ نسخة أصلية .

حدثو عدة نداءات مكتوبة للاعداد لعقد المؤتمر لكنها لم تستجب ، وهكذا وصلنا تدريجيا الى مرحلة عقد مؤتمر من أعضائنا وأعضاء « صوت المعارضة » وذلك بعد استكمال الوثائق الاساسية ، وانعقد المؤتمر وضم ٤٢ عضوا ، وأقر الوثائق بالاجماع وانتخب بالاجماع أيضا قيادة للمنظمة من أربعة أشخاص : أوديت حزان وزوجها سيدنى سلامون وفاطمة زكى وميشيل كامل ، وأقر اسم المنظمة » ٠

ويتحدث سعد رحمى عن هذا المؤتمر (!) فيقول « عقد المؤتمر فى شارع نخلة المطيعى فى مصر الجديدة وحضرة حوالى ٣٠ شخص ومن الحاضرين سيدنى سلامون ــ أوديت حزان ــ فاطمة زكى ــ محمد سيد أحمد ــ ميشيل كامل ــ مصطفى أمين ــ محمد عباس فهمى ــ عبد السلام زكى ــ سعدية عثمان ــ انا ٠ ٠ ٠

وأقر المؤتمر برنامج ولائحة وتقرير سياسى ٠٠ وأنا قمت بطبع الوثائق بعد اقرارها فى شقة بشارع السد انا وأحمد عبد العظيم عزت ٠ واقرر ان اللائحة كانت صبيانية للغاية وان البرنامج كان يساريا غاية فى التطرف اذ أكد ان البراجوازية كلها وبكافة أجنحتها خائنة وقد حدثت مناقشات ، لكن شخصية سيدنى واوديت كانت مسيطرة وخضع الجميع أو بالدقة استسلموا استسلاما مبنى على الانبهار والتسليم بتفوقهما النظرى ٠٠ وسيطرت عقدة الزعامة على أوديت فبدأت بعد المؤتمر فى تصفية العديد من الكوادر »(١) ٠

ويضيف نيقولا غازيس ان يونانيا قد حضر هذا المؤتمر ممثلا لمجموعة اليونانيين التابعين للمنظمة (٢) ٠

وهكذا فان أكثر المنظمات صراخا عن العمال والتى تمسكت بشعار ١٠٠٪ عمال ، قد حققت كل أمنياتها البرجوازية الصغيرة فتمردت على القيادة ، وعقدت مؤتمرا ، لتنصب قيادة جديدة من اثنين من الأجانب ( زوجة وزوجها ) ومعيدة بالجامعة وطالب ، ولا عامل واحد ٠

وعندما قبض على ميشيل كامل حل محله فى القيادة طالب آخر ولكن من أصل اقطاعى هو محمد سيد أحمد ٠٠ وقد ناقش المؤتمر مقترحات « أوديت سلامون » لتوحيد الحركة الشيوعية والتى تضمنت الثلاثة عشر

---

(١) محضر نقاش مع سعد رحمى ــ المرجع السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع نيقولا غازيس ــ أجريت المناقشة فى أثينا بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٠

شرطا الشهيرة التى يتعين على كل المنظمات قبولها أولا حتى يمكن للمنظمة أن تتفاوض معها بشأن الوحدة • وتقول فاطمة زكى « أن الذى تزعم المعارضة لهذا الخط كان هو مصطفى أمين لكن المؤتمر خذله »(١) وكان هذا هو القرار الوحيد للمؤتمر الذى لم يتخذ بالاجماع •

وهكذا ظهرت الى الوجود أكثر الانقسامات صبيانية وتطرفا فقد أحكمت « أوديت » قبضتها على المنظمة وأصدرت أوامرها بالكف عن تجنيد أى عنصر غير عمالى ، وعلى الجميع ، وكلهم شبان وشابات من الأجانب أو طلاب من أصول برجوازية أو برجوازية صغيرة ، أن يتوجهوا الى مقاهى الأحياء العمالية وأبواب المصانع ليجندوا العمال ، وذلك تحت شعار « من لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح لشىء » • واندفعت المجموعة فى طريق التطرف الصبيانى فرفعت شعار « اللجان النقابية السرية للعمال »(٢) •

واندفع شبان مثقفون وبعضهم ارستقراطيون أو أجانب ليقعوا فى الفخ والتقطهم البوليس من المقاهى ومن أمام أبواب المصانع •• تلقف البوليس أعضاء المنظمة وتسلل الى صفوفهم ونظم أوسع حملة اعتقالات شهدتها مصر فى ذلك الحين ••

وعندما عقد مؤتمر م•ش•م• كانت المنظمة تضم حوالى ٥٠٠ شخص وبعد حوالى ثلاثة أشهر فقط كان قد قبض على حوالى ٢٥٠ شخصا منهم ، وبعد عام واحد أى فى يناير ١٩٥٠ لم يكن قد بقى سوى حوالى عشرة أشخاص مبعثرين وعاجزين عن القيام بأى نشاط ••(٣) •

واشتدت سيطرة أوديت على المنظمة فلم تلبث أن طردت من القيادة فاطمة زكى ( أنزلتها بقرار منها من عضوة فى ل•م• الى مرشحة )(٤) ثم طردت محمد سيد أحمد ( بقرار منها أيضا ) وهكذا لم يبق فى القيادة سوى هى وزوجها ••

وأصدرت أوديت قرارا باحتراف جميع الكوادر وان يفصل فورا كل من لا يقبل الاحتراف • كذلك انعكس هذا التشدد الصبيانى الى أسلوب

---

(١) محضر نقاش فاطمة زكى ــ المرجع السابق •
(٢) محضر نقاش مع نقولا غازيبس ــ المرجع السابق •
(٣) محضر نقاش مع نقولا غازيبس ــ المرجع السابق •
(٤) محضر نقاش مع فاطمة زكى ــ المرجع السابق •

معاملة الكادر الذى أخضع لكهنوت تنظيمى صارم « ونجحت أوديت فى أن تجعل كل انسان يشك فى الآخر وفى أن تدمر ، وبعمد ، الكثير من الكوادر المخلصة »(١) ٠

ونفس الموقف اتخذ ضد المنظمات الأخرى فاما أن تخضع للشروط « الثلاثة عشر » خضوعا تاما دون نقاش واما أن تتهم بالبوليسية والخيانة٠ وحتى عندما خضعت « نحشم » لهذا الابتزاز الصبيانى وقبلت الشروط الثلاثة عشر على وهم أن ذلك قد يستدرج منظمة م٠ش٠م٠ الى خط الوحدة ، كان رد م٠ش٠م٠ مزيدا من الامعان فى التعنت الصبيانى ٠ فقد ردت عليهم فى نشرتها الداخلية بمقال عنوانه « م٠ش٠م٠ تفوز بانتصار كبير ٠٠ العادليون ـ الشنديون يقبلون مشروعنا للوحدة ، ولكن قبل ذلك نريد تصفية ديوننا »(٢)

وفى نشرة « النضال » تعلن م٠ش٠م٠ شروطا جديدة فتعلق على قبول « نحشم » للشروط الثلاثة عشر بقولها « اننا نرفض هذه المراءاة وقبل أن تتكون اللجنة التحضيرية نريد أن يحدد العادلو ـ شنديون موقفهم نهائيا وعليهم أن يقبلوا شروطا أربعة جديدة هى : ( أ ) أن يسحب العادلو ـ شنديون سياستهم ٠ (ب) أن يطردوا الأعضاء موجهى هذه السياسة وهم يسن وعلى ٠ ( جـ ) ان ينزلوا فى مصنع يكذبوا فيه الضجة المثارة حولنا ٠ ( د ) ان يصدروا بيان داخلى يؤكد أننا لسنا بوليس ٠ وهذا هو السبيل الوحيد اذا كانوا يريدون الوحدة الحقيقية معنا ٠ فلنصفى الحساب أولا ٠ ونحن نطالب بالرد على هذا خلال خمسة أيام »(٣) ٠

وكلما ازدادت عناصر تآكل المنظمة وتصفيتها ازداد عنف الاتجاه الصبيانى ووصل الى درجة اتهام كل عضو فى المنظمات الاخرى بالبوليسية ٠٠ ثم اتهام معظم أعضاء المنظمة ذاتها بالبوليسية ٠ وانتهى كل شىء بالقبض على أوديت وسيدنى سلامون ومحمد سيد أحمد ٠ وما لبثت أوديت بعد الافراج عنها أن تورطت فى بعض العلاقات المشبوهة(٤) ٠

---

(١) محضر نقاش مع أحمد نبيل الهلالى ( وكان مسئول لجنة الرقابة فى منظمة م٠ش٠م٠ ) ٠ أجريت المناقشة فى القاهرة بتاريخ ١٩٧٥/٦/٣ ٠

(٢) « النشرة الداخلية » ـ م٠ش٠م٠ العدد ١٦ ( نشرة مكتوبة على ثلاث ورقات على الوجهين بخط اليد ومطبوعة بالبالوظة ) ـ نسخة أصلية ٠

(٣) « النضال » من أجل وحدة الطبقة العاملة ومن أجل الاستقلال والديمقراطية الشعبية ـ م٠ش٠م٠ التاريخ ١٩٤٩/١٠/٢٩ (مطبوعة بالرونيو) ـ نسخة أصلية ٠

(٤) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ـ المرجع السابق ٠

ثم ما لبثت أن غادرت البلاد بعد أن تنازلت عن جنسيتها المصرية بحجة قيادة العمل من الخارج متذرعة بتجربة لينين فى هذا الصدد لكنها فى واقع الامر، كانت تريد الهرب بجلدها من تجربة فاشلة ٠

ويبقى أن نسأل أنفسنا كيف انهار كل هذا البناء وبهذه السرعة ٠ ٠ ويجيب أحمد نبيل الهلالى أحد كوادر م٠ش٠م٠ ومسئول لجنة الرقابة فيها قائلا « لا يمكننى أن أفسر ذلك الا بالنزعة البرجوازية الصغيرة ، ـ والذاتية المفرطة لقيادة « أوديت ـ سلامون » التى كانت تحرص على تدمير أى كادر يمكنه أن يتطور ليهدد مراكزها القيادية ، وعندما أصبح العمل صعبا أخذت أوديت فى الاستعداد لمغادرة مصر ، مصممة ـ فيما يبدو ـ على تصفية المنظمة وتفكيك روابطها عن عمد وسبق اصرار »(١) ٠

٠٠ ان الصبيانية اليسارية يمكنها ان تقود الى الكارثة ، هذه مقولة لا خلاف عليها ٠٠

والبرجوازيون الصغار الذين انقسموا مرتدين أكثر الثياب ثورية ، مرددين أعلى الشعارات صوتا ما لبثوا أن كشفوا عن صبيانية لا حدود لها ٠٠ ويسارية تثير الشك بأكثر مما تثير من الدهشة ٠٠

ولنستطيع أخيرا ـ ولكى لا نهتم بالمبالغة ـ الى أحد قادة م٠ش٠م٠ ، محمد سيد أحمد يروى تجربته الذاتية « كانت الزعيمة ( أوديت ) بارعة فى فرض زعامتها عن طريق جسارتها فى تحطيم الغير ٠٠ كنت اجد متعة خاصة فى تخيل أننى أقتل الزعيمة ، ووصلت بى الحالة الى أننى فقدت القـــدرة على الابتسام وحتى احيانا القدرة على النطق وكانت الزعيمة تلاحظ ذلك وتقول « آن الآوان لعقد جلسة اعترافات لتطهير مخك من الصديد الذى تراكم فيه ، وأعترف لها بأننى أجد متعة فى تخيل أننى أقتلها ٠٠ وكانت تعتبر جلسات غسيل المخ هذه مفيدة ، وتعبيرا عن حدة الصراع الطبقى » ٠

٠٠ انهـا محاولات مستميتة لتحطيم الكادر وتدميره ٠٠ وفى محاولة للانفراد بالكادر من أجل تدميره بدأت قيادة م٠ش٠م٠ فى « اتهام المنظمات الشيوعية الأخرى « بالتيتوية » وانتهت باتهامها بالبوليسية ٠ ذلك ان تيتو كان لابد أن يكون عميلا لوكالة المخابرات المركزية الامريكية ٠٠ وطولب جميع أعضاء التنظيم بمقاطعة الشيوعيين فى جميع المنظمات الأخرى باعتبارهم عملاء للبوليس »(٢) ٠

---

(١) محضر نقاش مع أحمد نبيل الهلالى ـ المرجع السابق ٠

(٢) الاهالى ١٩٨٧/٩/٩ ـ مقال لمحمد سيد أحمد بعنوان « صيغة شيوعية للتكفير والهجرة » ٠

وهكذا تم تحريض الكادر على الانقسام ، ثم تم شحنه بشعارات يسارية جوفاء ، وتم عزله عن مجمل الحركة الشيوعية المصرية ، وتمت محاولات لتدميره من الداخل .. وبعد ذلك كله هربت الزعيمة بعد أن فككت وعن عمد أوصال المنظمة وتركتها أشلاء من الكوادر المتشككة فى بعضها البعض ، والمنعزلة عن مجمل الحركة ..

وقبل أن تسافر الزعيمة توجت جريمتها بأن حرمت على الكادر أن يتصل ببعضه البعض الا بأمر منها وتركتهم دون اتصال .. فتوقفوا عن فعل أى شىء .. وانتهت منظمة م.ش.م. نهاية تليق بصبيانيتها وشعوذتها .

.. ولا شك أن مرارة تجربة م.ش.م. لا تقع مسئوليتها فقط على رأس الزعيمة « أوديت » وانما تقع أساسا على رأس الذين خضعوا لها واستسهلوا جريمة الانقسام وروجوا وبحماس مشعوذ لاشد الافكار صبيانية وعبثية ..

وهكذا طويت صفحة قاتمة من صفحات هيمنة فكر البرجوازية الصغيرة عى عقول بعض الشيوعيين المصريين .

* * *

*** نحو حزب شيوعى مصرى ( ن.ح.ش.م. ) :**

وأيضا كانت « ن.ح.ش.م. » تجمعا لعدد من الانقسامات بقايا « ع.ث. ، ن.ح.ش. » أساسا ، ثم مجموعة « المطبعة » التى انضمت اليهما لفترة ثم ما لبثت أن انسحبت بطريقة تآمرية لتسهم فى تأسيس تنظيم « الحزب الشيوعى المصرى » . وقد تمت هذه الوحدة فى ١٩٤٩/٩/٨ .

ونتيجة لسلسلة من الاعتقالات عاد شوارتز ( شندى ) ليتربع على عرش قيادة المنظمة من جديد والتى كونها من خلال عملية اجهاض لمشروع اللجنة التحضيرية ، وخلال فترة قيادته أدخل المنظمة فى دوامة من الانكفاء الى الداخل والابتعاد التام عن أى نشاط جماهيرى ، والاكتفاء بمعارك وهمية مثل تطهير التنظيم ، والاعداد للمؤتمر . وفى العدد الأول من نشرة « التنظيم » وهى النشرة الداخلية نجد العبارة التالية « سنقوم مباشرة بحملة تطهير بالنسبة لجميع العناصر التى لا تنطبق عليها شروطنا ، وتقوية اللجان باستبعاد جميع العناصر الضعيفة وتكليف المكتب المركزى بالتحقيق حول جميع العناصر التى

تحوطها الشبهات للقضاء على الجواسيس ومراقبة جميع الخلايا وجميع اللجان والأعضاء وانشاء « فيش » شخصى لكل عضو(١) » ٠

ويبدو أن القواعد تذمرت من عملية التطهير هذه ، فاننا نجد فى العدد الثالث من نشرة التنظيم مقالا بعنوان « تصفية أم تطهير » يقول : « أن عدد الذين طردوا من المنظمة بقرارات من ل٠م٠ كانوا ٥١ عضوا فقط » ويقول « نحن نترك لزملائنا الحكم على ما اذا كان تخلص منظمتنا من هؤلاء الاعضاء الاسميين ومن العناصر الضعيفة واللصوص والمخربين تصفية لمنظمتنا أم على العكس تقوية لها »(٢) ٠

والحقيقة أن بعض الذين طردوا كانوا يستحقون الطرد مثـل حـالة أوردتها ل٠م٠ فى معرض دفاعها عن نفسها وهى حالة « سلمى » ( ج٠ك ) والذى فصل لاختلاسه اشتراكات الاعضاء وبلغ مجموع ما اختلسه خمسـون جنيها »(٣) ٠

لكن مقاومة الأعضاء لأسلوب ل٠م٠ تستمر ، ففى العدد الثانى عشر من مجلة « الكادر الشيوعى » تقرير بقلم موريس ( البير آرييه ) بعنوان « أربعة أشهر من التصفية » يهاجم أسلوب العمل الذى يتجاهل قضايا الجماهير ٠ وتقرير آخر بقلم فكرى وشاكر بعنوان « لماذا يجب أن تعزل القيادة الحالية » يتهم القيادة بتصفية الكفاح من أجل الوحدة وتصفية الكفاح الخارجى والعمل على أضعاف التنظيم » (٤) ٠

وتستمر الدوامة بحجة التحضير للمؤتمر ، ويتركز نشاط المنظمة أساسا فى طبع تقارير وتقارير مضادة ، وتنسى تماما الكفاح الجماهيرى بحجة « أن المهمة الأساسية هى التحضير للمؤتمر » وضرورة « التركيز أسـاسا على التحضير للمؤتمر والسماح بنشر أى رأى معارض حول موضوعات المؤتمر ، وأصدار نشرة الكادر بانتظام مرة كل أسبوع مع ضمان وصولها الى كافة الأعضـاء

---

(١) « التنظيم » النشرة الداخلية لمنظمة « ن٠ح٠ش٠م٠ » العدد الأول ١٩٤٩/١٠/٢٢ ( نشرة مكتوبة على الآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ) ٠

(٢) « التنظيم » العدد الثالث ١٩٤٩/١٢/٥ ( نشرة مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو من عشر صفحات ) نسخة أصلية ٠

(٣) المرجع السابق ٠

(٤) « الكادر الشيوعى » النشرة الداخلية لمنظمة « نحو حزب شـيوعى مصرى » ٠ العدد ١٢ التاريخ ٢٠ يناير ١٩٥٠ ( نشرة بالرونيو مكتوبة بالآلة الكاتبة ، مكونة من ٢٢ صفحة ) ـ نسخة أصلية ٠

والمنظمات »(١) • وتتحول المناقشات عن المؤتمر الى سفسطة فالمقالات تناقش مسألة « تعليق شعارات على الحوائط أثناء الفترة الانتخابية للمؤتمر » وتثير قضايا مثل « الموقف من ل٠م٠ فى حالة خروجها عن التنظيم ورفضها عقد المؤتمر ، وكيفية تمثيل الرفاق بالمستشفيات ( أى السجون ) فى المؤتمر » •

وحتى فبراير ١٩٥٠ كانت نشرة الكادر الشيوعى قد صدر منها أربعة عشر عددا نشر فيها ١٣٥ مقالا ضمت حوالى ٤٥٠ صفحة تميزت كما وصفها أحد المشتركين فى تحرير العدد وهو الذى قام بهذا الاحصاء « بانخفاض المستوى »(٢) •

وفى ١٤ مارس ١٩٥٠ يلقى القبض على شوارتز وبعدها مباشرة يتم ضبط الجهاز الفنى للتنظيم(٣) •

وثمة وثيقة بريطانية تشير الى عملية القبض هذه ، ففى برقية من السفارة البريطانية الى وزارة خارجتها تقول :

« بالاشارة الى برقيتنا السابقة رقم ١٠٤ والمؤرخة فى ٢٨ فبراير والتى تلخص برنامج منظمة نحشم نشير الى أنه خلال حملة للبوليس على منزل فى أحد ضواحى القاهرة يوم ١٥ مارس قبض البوليس على من يعتقد أنهم الخمسة الذين يشكلون اللجنة المركزية لمنظمة نحشم • وكان البوليس قد فقد خلال الثلاث السنوات الماضية كل الخطوط المؤدية الى هايل شوارتز المسمى حركيا باسم « شندى » • ومنذ فترة وردت معلومات أن « شندى » قد شوهد فى حى هليوبوليس وبمراقبة دقيقة من جانب البوليس أمكن القبض عليه فى شقة فى هذا الحى وقد قبض معه فى ذات الشقة على أسعد حايم ـ جمال الدين غالى ـ عبد الحميد السحرتى ـ موريس يوسفدميان ـ •• وقبض على أربعة آخرين ترددوا على الشقة فيما بعد من بينهم اثنان من الارمن هما يعقوب بطمانيان ، وكران كيرازيان •• وقد ضبطت وثائق

---

(١) « الكادر الشيوعى » ـ العدد الحادى عشر ـ يناير ١٩٥٠ ـ (مطبوع بالرونيو ومكتوب بالالة الكاتبة ومكون من ١٩ صفحة ومرفق به ملحق من ٢٠ صفحة ) ـ نسخة أصلية •

(٢) « الكادر الشيوعى » ـ العدد الرابع عشر ، ١١ فبراير ١٩٥٠ ـ ( مطبوع بالرونيو ومكتوب على الالة الكاتبة ومكون من سبعة وعشرين صفحة ـ نسخة أصلية •

(٣)ملف القضية رقم ٢٣ حصر صحافة ١٩٥٠ •

ملأت ثلاث حقائب كاملة وثمة ورقة تشير الى أن ميزانية المنظمة هى ٣٥٠ جنيه شهريا وأن هناك ١٥ شخصا محترفا يتقاضى كل منهم راتبا قدره ثمانية جنيهات شهريا »(١) ٠

وبعدها يتضاءل نشاط نحشم ، وتتحول الى حلقة قليلة العدد ٠٠ ضئيلة النشاط ٠ ولا يلبث ما تبقى من كوادرها أن يتحد مع المنظمة الام « حدتو » فى فترة لاحقة ٠

وبينما كانت الضربات البوليسية تتوالى لتلاحق مختلف المنظمات ٠٠ كانت حيوية الشعب المصرى تتدفق عاتية مرة أخرى ، لتكتسح أمامها حكومات الأقليات البرلمانية ، والارهاب الدموى ، والاحكام العرفية والمعتقلات ٠

وتجرى انتخابات برلمانية يفوز فيها حزب الوفد فوزا كاسحا ٠٠ ويفرج عن المعتقلين جميعا باستثناء بعض الاجانب الذين تم ترحيلهم الى خارج البلاد ٠٠ ولا يبقى خلف القضبان الا المسجونين الذين صدرت ضدهم أحكام قضائية وقد كان عددهم كبيرا نسبيا ٠٠

ومع نسمات الانفراج تمايز موقفان ٠

هؤلاء الذين قادوا الموجات الانفعالية للعناصر البرجوازية الصغيرة والذين رددوا أكثر الشعارات تطرفا واندفاعا ٠٠ خرجوا من المعتقل «هادئين تماما » ، وكان فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فى حكومة الوفد بانتظارهم ليقدم لهم عروضا سخية ، وبما أنهم كانوا جميعا مثقفين فقد كان العرض فى أغلب الاحيان موحدا ، منحة دراسية للحصول على درجة الدكتوراه بالخارج ، واستهوى العرض الكثيرين وعلى رأسهم « عادل » فترك مركزه كسكرتير لذلك التنظيم الذى تجمع فى المعتقل من ٢٦ من كوادر « ع٠ث٠ » واتفقوا مع بعضهم البعض على كل شىء بالداخل ، فما أن أفرج عنهم حتى غر سكرتيرهم العام الى باريس بعد أن حصل من وزير الداخلية على منحة للدكتوراه »(٢) ٠

---

(1) F.O. — 371 — 80324 — J E 10111 — 6 — British Embassy Cairo — g, April 1950.

(٢) محضر نقاش مع جمال الدين محمود غالى ـ أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٢/٢٣ وأيضا محضر نقاش مع عدلى جرجس ـ المرجع السابق ٠

وقد تكرر نموذج عادل بكثرة بحيث أصبح من المستحيل تصور قيام ع·ث· أو أى امتداد لها ، واكتفى الطلاب والعمال الذين كانوا بهذه المنظمة اما بالتقوقع فى منظمة صغيرة أسموها « النجم الأحمر » أو بنقد أنفسهم والعودة الى « حدتو » · أما بقية المنقسمين ( أو غالبيتهم ) فانهم وبعد ان رددوا أكثر الشعارات تطرفا ومزقوا أوصال التنظيم رافعين شعارات براقة فقد عادوا وبهدوء الى طبقتهم وتوقف أغلبهم عن النضال ·· وهربوا من المعركة ·

·· أما التيار الثانى فكان مجموعة محدودة العدد من كوادر «حدتو» أساسا سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، كمال عبد الحليم ، مبارك عبده فضل ، فؤاد حبشى ثم انضم اليهم زكى مراد ، وأحمد الرفاعى ( فى عملية توحيد ضمت الى حدتو بقايا « ن·ح·ش·م· » ) وقد خاضت هذه المجموعة الصغيرة وبنشاط عارم معركة اعادة بناء « حدتو » من جديد ··

وفى نهايات عام ١٩٤٩ بدأ يتكون تجمع جديد ·· أسمى نفسه الحزب الشيوعى المصرى وأسمته الاطراف الاخرى « الراية » نسبة الى جريدة « راية الشعب » ·

وكان المد الثورى العارم يجتاح مصر ··

آثار نكسة حرب فلسطين ١٩٤٨ ، تلتقى مع غضبة الشعب ضد حكم الارهاب والاحكام العرفية وحكم الأقليات ، وتتوافق مع أزمة اقتصادية عنيفة ، وتتفجر من جديد المعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة وضد النفوذ البريطانى على حكم السراى ، بل ضد حكم السراى ذاتها ··

ويلتقط كوادر « حدتو » الخيط ·· وسرعان ما يعيدون رفع أعلام منظماتهم عالية بحيث تصبح ومن جديد كبرى المنظمات الشيوعية فى مصر ويلعبون دورا بارزا وهاما فى الحركة الوطنية وفى مختلف مجالات النضال السياسى والاقتصادى والطبقى ·

والى جوارها ٠٠ يوجـد عدد آخر من التنظيمات ٠٠

❋ « طليعـة العمال » : ذلك الامتداد المتميز دوما لجماعة « الفجر الجديد » والذى كان من حقه أن يزهو باستمراريته وبعـدم حدوث أى انقســـام فى صفوفه ٠

❋ « منظمة الحزب الشيوعى المصرى » : وقـد أمكنهـــا أن تحقق تقـدما ملحوظـا هى الأخرى ٠٠

وذلك بالاضـافة الى منظمتين صغيرتين هما « نواة الحزب الشيوعى المصرى » « والنجم الأحمر » ٠٠

❋ ❋ ❋

لكن الحديث يتعين عليه أن يتوقف ، ليتصل من جـديد فى كتـاب آخر يحـاول أن يتابع ٠٠ حلقـة جديدة من حلقـات هذه الرحلة المجيدة ٠٠

•• وليست خاتمة :

« انهم يقولون عنك يا أوزوريس ••

ولو أنك ترحل الا أنك تعود ثانية •

ولو أنك تنام الا أنك تستيقظ ثانية •

ولو أنك تموت الا أنك تبعث مرة أخرى •

قف ••

حتى يمكنك أن تسمع ما فعله حوريس لأجلك •

أن حوريس يجمع لك أضلاعك حتى يلم شمل أجزائك دون نقص فيك يا أوزوريس •

انهض ••

ان حوريس يحبك » •

« من نصوص الأهرام »

# ملاحـــق

ملحق رقم ( ١ )

## بيـــــان مشـــترك

### والمؤسسات الأهلية بالقطـر المصرى

### والمؤسسات الاهليه بالقطر المصرى

بيان الى العمال المصريين والشعب المصرى عن موجة الارهاب التى تجتاح البلاد ، احتجاج عمال سوريا ولبنـان عن اعتقـال الزميل ( محمد أحمد يوسف المدرك ) عضو المجلس العـام للاتحاد العـالمى للنقـابات ٠ والزمـلاء ( محمود محمد العسكرى ) مدير ادارة مجلة الضمير ؛ والزميل ( طه سعد ) ـ كرتير تحريرها ٠

الى اعمال والعـاملات فى المصانع وفى المؤسسات وفى النقابات ٠٠٠

الى كل مواطن مصرى يؤمن بحرية التفكير والكلام والاجتماع ٠٠٠

موجه من الارهاب توجه اليوم ضد الشعب المصرى ويتجه هذا الارهاب خاصة نحو الطبقة العاملة المصرية ويستهدف هذا الارهاب القضاء على حق كل مصرى فى الحرية ٠٠٠ حقه فى المطالبة بحقوقه المغتصبة ٠ ولا تقف موجة الارهاب هذه عند حد القبض والاعتقال والتهديد ٠ بل يتجاوز هذا الى الاعتداء على القوانين ٠ ولم تكتف الحكومة بان القوانين التى وضعتها دون رأينا تعطينا القليل وتسلبنا الكثير ٠ بل راحت تهدم هذه القوانين القائمة التى وضعتها متخطية سلطتها ٠ لا قضاء ولا قوانين استطاعت أن توقف موجـة الارهاب ان حياة كل مصرى وحريته اليوم فى خطر ٠

**١ ـ القبض على مندوب العمال فى الاتحاد العالمى للنقابات :**

بتـاريخ ١٩٤٦/١/٢ ألقى القبض على الزميل محمد المدرك مندوب نقابات العمال المصرية وعضو المجلس العام بالاتحاد العالمى للنقابات بتهمة التحريض على كراهية الرأسمالية لمحض انه يدافع عن حقوق العمـال وفى ١٩٤٦/١/٦ قرر القضاء المصرى العادل الافراج عن الزميل وبقية زملائه محمود محمد العسكرى مدير ادارة الضمير والزميل طه سعد سكرتير تحريرها اذ أن الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ليس بجريمة وقد عارضت النيابة فى أمر الافراج فتقرر استمرار حبسهم ومازالوا الزملاء فى سجنهم الى اليوم ٠

**٢ ـ الاعتداء على القوانين :**

( أ ) وجهت شركة مياه القاهرة تهمة التحريض على الاضراب الى رئيس وأعضاء مجلس ادارة عمال الشركة وقد قرر القضاء تبرئتهم فاصدرت الشركة

قرارا بفصلهم من عملهم متحدية بذلك قرار القضاء وقانون الاعتراف بالنقابات الذى ينص صراحة على تحريم فصل العمال لنشاطهم النقابى ٠

(ب) فصلت شركة أتوبيس القاهرة ٦٨ ثمانية وستون عاملا منهم رئيس وسكرتير نقابة الشركة لشل نشاطهم النقابى متحدية قانون النقابات الذى يحرم فصل العمال لنشاطهم النقابى وقانون عقد العمل الفردى الذى يحرم فصل العمال بالجملة ( المادة ٢٧ ) ٠

(ج) حلت النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى بشبرا الخيمة ٠

٣ - الاعتداء على حرية الاجتماعات القانونية :

١ - فى اليوم الاول والخامس من يناير سنة ١٩٤٦ صودر اجتماع نقابات عمال بور سعيد لانهم أرادوا التمتع بالحق الذى قرره قانون الاعتراف بالنقابات ( المادة ٦ ) والذى ينص على حق العمال فى تأليف اتحادات مهنية ٠

(ب) صودر اجتماع لنقابات عمال الفيوم لنفس الغرض السابق فى مايو سنة ١٩٤٥ ٠

( ج ) صودر اجتماع مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الاهلية فى ٣ يناير الحالى دون أى مبرر قانونى رغم مخالفة ذلك لنص الدستور المصرى الذى يكفل حرية الاجتماع ٠

( د ) صودر اجتماع نقابات عمال كفر الشيخ وتجاوزت المصادرة الى محاصرة دور النقابات بالبوليس ٠

( ه ) صودرت اجتماعات بعض نقابات دمنهور لمجرد عقدهم للجمعية العمومية السنوية العادية ٠

( و ) صودرت اجتماعات اللجنة التحضيرية لنقابات العمال لنشاطهم العادى ٠

( ز ) صودر اجتماع دعت اليه النقابات العمالية بالقاهرة للتشاور فى المطالب القومية ٠

( ح ) صودر اجتماع نقابة عمال شركة أتوبيس القاهرة لعقدهم الجمعية العمومية السنوية ٠

( ط ) أنذرت نقابة عمال شركة فورد بالاسكندرية بحلها اذا لم ترجع عن تزعم الحركة النقابية فى الاسكندرية ٠

**٤ – احتلال مناطق العمال بفرق الجيش :**

فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥ احتلت فرق من الجيش منطقة شبرا الخيمة بمدافع الهاون والترولييوزات والبنادق السريعة ارهابا للعمال لمطالبتهم بحقوقهم ولا زال هذا الاحتلال قائما الى الآن ٠٠

**٥ – اضطهاد مندوبى العمال فى الاتحاد العالمى فى مصر وحدها دون بقية العالم :**

ا – ما كاد مندوبى عمال مصر فى الاتحاد العالمى يعودون من باريس حتى قررت شركة مطبعة مصر فصل الزميل محمد عبد الحليم أحد المندوبين لمجرد تمثيله للعمال المصريين فى الاتحاد العالمى ٠

ب – اعتقل الزميل محمد يوسف أحمد المدرك رئيس وفد مندوبى عمال مصر فى الاتحاد العالمى وعضو المجلس العام للاتحاد العالمى للنقابات لايقاف نشاط الزميل فى سبيل مصلحة العمال وتنفيذه لقرارات الاتحاد العالمى للعمال ٠ وفى الوقت الذى يحدث فيه هذا فى مصر تكرم الحكومات الاخرى مندوبى عمالها فى الاتحاد العالمى ٠

**٦ – التفتيش والاعتقال والاعتداء على نساء العمال :**

أ – فتش البوليس منازل مئات العمال ممن يبدون نشاطا نقابيا قانونيا !!

ب – زج بعشرات العمال فى السجن بتهمة التحريض على الاضراب لاسيما عمال شبرا الخيمة ٠

جـ – أباح البوليس لنفسه حق خرق حرمة المنازل واستباح لنفسه الاعتداء على نساء العمال فقد ألقى القبض على عدد من نساء عمال شركة مياه القاهرة أثناء اضراب العمال واحتجازهن بمقر الشركة لارغام أزواجهن واخواتهن من العمال على العودة الى العمل ٠ وهذا أول حدث من نوعه فى تاريخ عالم اليوم ٠ ومن الأحداث المروعة أن يودى اعتداء البوليس على نساء العمال الى اجهاض احداهن ٠٠

**أيهـا الزملاء والزميلات ... أيهـا المواطنون :**

ان هذه الاعتداءات الوحشية وهذا الاستهتار بالقانون ليس بقضية خاصة بالعمـال وحدهم بل هى قضية الشعب المصرى بأجمعه . قضية حق كل منـا فى الحرية والحيـاة لان السكوت على هـذا الارهـاب لهو جريمة وطنية يرتكبها كل منـا فى حق نفسه وفى حق وطنه وتشجيع للمعتدين على استمرار الاعتداء والمؤامرة الارهـابية ضـد الشعب ولمصالح أعـداء الشعب المصرى المحليين والمستعمرين .

اننـا نناشد كل عامل وكل عاملة بل كل مواطن مصرى أن يقف محتجا على هذه المؤامرة ، اننـا نريد أن ننقـذ سمعة مصـر فى الخـارج بوقف هـذه الاعتداءات التى تنافى الديمقراطية والتى بذل ملايين العمال دماءهم فى هـذه الحـرب دفاعا عنهـا .

ان واجبنـا ابلاغ أنبـاء هذا الهجوم المنظم المباشر على الحقوق والحريات على العمـال وعلى الشعب الى دول العـالم الديمقراطية ، الى الاتحاد العـالمى لنقـابات العمال ، الى الرأى العـام العـالمى .

اننـا نطـالب بتأمين الحريات الديمقراطية ، حرية القـول والاجتماع ، حرية المطـالبة برفع مستوى الأجور وخفض ساعات العمل والدفاع عن مصالح الشعب .

اننـا نطـالب باحترام القوانين وضمان تنفيذها .

اننـا نطـالب مؤتمر هيئة الامم المتحـدة المنعقـد الان أن يدفع الحكومة المصرية عن طريق السفارات والمفوضيات فى مصر الى تنفيذ وتطبيق نظـام ديمقراطى يتفق وقرارات الهيئة التى أصبحت مصر عضوا فيهـا وعليها تنفيذ قراراتهـا .

اننـا نطـالب بمحو كل أثر للاعتداءات التى جاءت بهذا البيـان .

اننـا نطـالب بشدة بالافراج عن الزميل محمد يوسف المدرك ، مندوب عمـال مصر فى الاتحـاد العـالمى وزملائه وتأمين حقهم وحق كل نقـابى فى بذل نشاطه فى خدمة طبقته ومقـاومة الظلم الاقتصادى والوطنى الواقع على الشعب المصرى بأجمعه .

اننـا نطـالب الحكومة بتنفيذ قرارات الاتحاد العالمى للعمـال وتطبيق الحقوق المقررة لكـل عمـال العـالم على العمال المصريين اننا نتهم الاستعمار

البريطاني بالتحريض والاشتراك فى مؤامرة الارهاب ضد الشعب المصرى ونطالبه بزوال جيوشه وكابوسه عن البلاد ٠

اننا نحتج على تضليل الصحافة المصرية للرأى العام وامتناعها عن نشر احتجاجات العمال ٠

**أيها الزملاء والزميلات ٠٠ أيها المواطنون :**

اننا نجتاز امتحانا قاسيا ، اما أن نخرج منه بحرياتنا وتأمين حقوقنا ، أو لعبوديتنا واستغلالنا ٠٠٠ فلنتحد حول هذه المطالب ٠

غاش القضاء المصرى العادل ٠٠٠

عاشت الديمقراطية ، وليسقط الارهاب ٠٠٠

عاش الشعب المصرى الكافح فى سبيل حريته واستقلاله ٠

اللجنة التحضيرية

مؤتمر نقابات الشركات والمؤسسات

الأهلية ٠

**صورة الكتاب المقدم من صاحب التوقيع الى دولة رئيس مجلس الوزراء فى مصر :**

دولة رئيس الوزراء بالملكة المصرية المعظم ـ القاهرة

كان لحادث اعتقال المناضلين النقابيين المصريين السيدين محمد يوسف أحمد المدرك ومحمود العسكرى وللتدابير الارهابية التى اتخذتها حكومتكم ضد الحركات الديمقراطية الشعبية أثر سىء فى مختلف أوساط العمال فى سوريا وقد استنكر جميع أحرار العرب هذه الأعمال المنافية لابسط المبادى الديمقراطية

ان المناضل النقابى السيد محمد يوسف المدرك عضو المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى قد دافع عن استقلال مصر وحقها وحريتها أمام ممثلى عمال العالم وتعاون مع وفود عمال البلاد العربية فى مؤتمر النقابات العالمى فى سبيل قضايا البلاد العربية المشتركة كما أن السيد محمود العسكرى مدير جريدة الضمير لسان حال العمال المصريين يعمل بنشاط واستمرار فى سبيل خير الطبقة العاملة المصرية التى تؤلف جزءا كبيرا من الشعب المصرى الشقيق

ان اعتقال هذين المناضلين الجريئين لدفاعهما عن حقوق العمال الديمقراطية المشروعة هو من الاساليب الفاشستية التى يجب أن تزول من وجه الأرض بعد زوال الدول التى أوجدتها وهذا الاعتقال الذى لا مبرر له يسىء الى سمعة مصر فى البلاد العربية ويفقدها عطف وتأييد الرأى العام الديمقراطى فى العالم كما يضعف تضامن واتحاد الشعب المصرى فى هذه المرحلة الهامة من مراحل نضاله الوطنى ولا يخدم الا مصالح الاوساط الاستعمارية الباغية ·

ان عمال سوريا الذين يغارون على سمعة الشقيقة مصر لا يمكنهم اخفاء استيائهم من هذا التدبير الارهابى الذى اتخذ بحق قائدين نقابيين عرفا بالجرأة والاخلاص بالدفاع عن قضية بلادهم ومصالح شعبهم ـ لذلك وبصفتى عضوا فى مجلس اتحاد النقابات العالمى أقدم لدولتكم ـ هذا الاحتجاج على هذه التدابير المنافية لمبادىء العدالة ولابسط قواعد الديمقراطية طالبا الافراج عن السيدين المدرك والعسكرى وعن جميع المعتقلين الديمقراطيين فى مصر ·

وتفضلوا يا دولة الرئيس بقبول فائق الاحترام ،

ابراهيم بكرى

رئيس وفد سوريا فى مؤتمر العمال الدولى

عضو المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى

**الى رئيس الحكومة المصرية ورئيس مجلس النواب والصحف المصرية**

**البرقية التالية**

**دولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزارة المصرية**

**سعادة رئيس مجلس النواب المصرى**

اعتقال المناضل النقابى محمد يوسف أحمد المدرك واخوانه العمال تدبير ينافى قضية مصر الوطنية ويخدم الاستعمار الاجنبى · بصفتى مندوب الشرقين الأدنى والاوسط فى اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمى أحتج على اعتقالهم وأطلب الافراج عنهم صونا لسمعة مصر واحتراما لأبسط مبادىء الديمقراطية ··

**مصطفى العريس**

عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمى

رئيس اتحاد نقابات العمال فى لبنان

ملحق رقم ( ٣ )

## حيثيات الحكم فى قضية الشيوعية الكبرى «(١٩٤٦)»

وجهت النيابة الاتهام الى كل من :

١ ـ فتحى أحمد المغربى ٠
٢ ـ مصطفى كامل منيب ٠
٣ ـ أسعد حليم
٤ ـ محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمى ٠
٥ ـ أبو سيف يوسف أبو سيف ٠
٦ ـ نعمان سعد الدين عاشور ٠
٧ ـ صادق سعد ٠
٨ ـ أحمد رشدى صالح ٠
٩ ـ أحمد شكرى سالم ٠
١٠ ـ محمود فتحى الرملى ٠
١١ ـ أنور كامل ٠
١٢ ـ عمر رشدى ٠
١٣ ـ أنور اسكندر عبد الملك ٠
١٤ ـ كمال محمد عبد الحليم ٠
١٥ ـ عبد اللطيف دهب حسنين ٠
١٦ ـ هنرى كوربيل ٠
١٧ ـ سيد سليمان الرفاعى ٠
١٨ ـ شحاته هارون
١٩ ـ محمود صبحى زغلول ٠
٢٠ ـ حامد أحمد حمداى ٠

وحيث أن النيابة العمومية اتهمت المذكورين بأنهم خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ بمحافظة مصر ٠

أولا ـ المتهمون الاثنى عشر الأول حبذوا وروجوا علنا مذاهب ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالملكة المصرية بالقوة والارهاب وذلك على التفصيل الآتى :

**١ ـ المتهمون الأول والثانى والثالث :**

**أ ـ المتهم الأول :** ألف كتابا يحوى مجموعة أزجال وضع مقدمته المتهم الثانى وقد تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ فيه تمجيد للثورة

الشيوعية واشادة بنتائجها وتحبيذا لمنهجها الثورى واستعراض لأعمال القوة والاعتداء والعنف التى تمت خلال تلك الثورة ودعوة للشعوب الى ترسم خطاها لنيل النتائج التى أسفرت عنها ٠

**ب ـ المتهم الثانى** : ترجم كتب الزواج والأسرة والأمومة والعائلة والدين فى ظل النظام الشيوعى وقدم لكل منها بمقدمة تتضمن تحبيذا لذلك النظام والثورة التى قام عليها فى عام ١٩١٧ فى صورة دفاع عنه وقد تم طبع هذه الكتب ونشرها على الجمهور خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ٠

**جـ ـ المتهمان الثانى أيضا والثالث** : باعتبارهما ناشرين ومالكين لدار الفكر للنشر قاما بطبع ونشر الكتب المذكورة فى التهمتين السابقتين على الجمهور ٠

**٢ ـ المتهم الرابع** :

ألف ونشر كتاب « الشيوعية فى الاسلام » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال سنة ١٩٤٦ حبذ فيه الشيوعية ودعا لالغاء الملكية الفردية زاعما ان هذا نظام أقره الاسلام وتساءل لم لا تكون الارض كلها ملكا للامة وتكون القوامة للحكومة ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فى الارض فيشتغل كل بحسب طاقته وينال كل حسب حاجته ولم لا تكون جميع موارد الثروة ملكا للناس أجمعين ما داموا يساهمون فى تحصيل الارزاق واحداث الثروات مطالبا بأن تشاع مصادر الثروة والعقار بين الجميع قائلا ان الثروة كبيرة ولكن العدل قليل وان الحل والمخرج من هذه الظلمات المتراكمة والمفاسد المتلاطمة لا يكون الا بانتهاج النهج الشيوعى وأن الجواب سهل ويسير تدل عليه كلمة واحدة هى الشيوعية ٠

كما ألف ونشر كتاب « دورنا فى الكفاح الوطنى » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ ، أظهر فيه اعجابه بالنظرية الماركسية وحبذ الشيوعية والكفاح فى سبيلها قائلا انه مهما تعددت أشكاله وتنوعت مظاهره وأسماؤه فهو متحد فى الغاية وهدفه الانطلاق من القيود التى فرضتها الأنظمة الرجعية الاخرى سواء فى الاقتصاد والسياسة هو الذى يدعو لتضارب القوى الاقتصادية والسياسية وله أكبر الاثر فى خلق الصراع الدائم بين طبقتى العمال والفلاحين من جهة والبرجوازيين من جهة أخرى وان الانتصار محتوم فى هذا الصراع الطبقى للطبقة الفنية طبقة العمال والفلاحين وهذا هو الشأن فى جميع الثورات الاشتراكية وخص بالذكر ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ فى روسيا ونعى على رجال الدين محاربة تلك الثورة وتوجهتهم الرجعية فى ذلك ومناهضتهم عشاق الحرية والمساواة ٠

## ٣ ـ والمتهم الخامس :

ألف ونشر كتاب « حول الفلسفة الماركسية » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور فى عام ١٩٤٥ ضمنه تحبيذا وترويجا للشيوعية بدعوى أنه لا يمكن القول بأن الحريات الفردية فى مجتمع منقسم الى طبقتين وان الحريات بصفة عامة لا تكتسب الا عن طريق كفاح الشعوب ضد مستغليها وأنه فى الواقع من الامر لا توجد الحرية الحقيقية بالنسبة للغالبية العظمى فى ظل النظام الرأسمالى القائم على استغلال الانسان لاخيه الانسان والفلسفة الماركسية بمنهجها العلمى تعد فلسفة حركة وعلى حد تقدير المتهم لها تعد الفلسفة الأولى والوحيدة للحركة العامة حركة العقل البشرى فى محاولة استجابته للواقع الحقيقى ٠

## ٤ ـ المتهمون السادس والسابع والثامن :

**ا ـ المتهم السادس** : ألف مقالا بعنوان « ستالين فى الثورة الاشتراكية » نشر بالعدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٤٥ الذى طبع ووزع على الجمهور وقد حبذ المتهم فى هذا المقال الشيوعية وكفاحها الثورى ودعا لها مشيدا بالثورة الروسية التى قام بها الشعب الروسى فى أكتوبر سنة ١٩١٧ وبالنتائج التى نجمت عنها هذه الثورة وقال انها أشرقت على أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الأرض برئاسة لينين واعتبرها بدء لتاريخ الفقراء وقضاء على استغلال الانسان لأخيه الانسان وانهما فى الواقع تحقيق لحلم أجيال من النفوس الحرة التى ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ البشرى السحيق تنشد الحق وتأمل الخير وترووم للانسان حياة كريمة على الارض ويرجع ذلك حسب ادعائه الى نجاح الثورة فى روسيا حيث أشرف ليل الرأسمالية الطويل الحالك على النهاية ثم قال « ها هو نهار الاشتراكية يبزغ أخيرا والشمس تبزغ من الشرق » ٠

**ب ـ المتهم السابع** : ألف مقالا بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » وقد نشر هذا المقال بالعدد الثالث من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الذى طبع ووزع على الجمهور وقد حبذ المتهم فى مقاله هذا الشيوعية وكفاحها الثورى عن طريق امتداح ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ قائلا ان طبقة العمال وطبقة الكادحين استولت فى هذه الثورة على الحكم السياسى فى روسيا وفتحت هذه الثورة لاول مرة فى التاريخ المجال أمام العمال لخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة طفيلية فيه على انتاج الكادحين بل ينتج الشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف

عليه لان وسائل الانتاج ملك له لا لغيره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتحطيمه الاستغلال والطغيان وازالة نظام الطبقات أن ينظم الانتاج المادى والادبى وأن يوفر التعليم والراحة والطمأنينة للشعب ومن ثم فان ثورة أكتوبر تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ البشرية فهى أعمق فى مغزاها من تصورات الرجعيين لانها تؤكد للشعوب أن الحرية ليست بعيدة المنال وتضرب للشعوب كما يقول المثل التاريخى فى المنهج العلمى الذى يجب أن يتبع للحصول على الحرية الاشتراكية أى الحرية الكاملة .

**جـ ـ المتهم الثامن** : بصفته رئيسا لتحرير مجلة الفجر الجديد نشر بالعدد الثالث عشر من السنة الاولى الصادرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ المقالين سالفى الذكر .

**٥ ـ المتهم التاسع :**

ألف مقالا بعنوان « ماذا علمتنا الحرب » بالنشرة رقم ٥ من نشرات دار الابحاث العلمية التى تم نشرها وتوزيعها على الجمهور بغير تمييز خلال عام ١٩٤٥ ، ضمنها تمييزا وترويجا للشيوعية بأن قال **ان نظرة العالم** للشيوعية والاشتراكية تختلف الان اختلافا بينا عما كانت عليه قبل الحرب فالشيوعية الان هى قوة من القوى المنتصرة بل أنها فى طليعة القوى المنتصرة وانها ترمى الى ايجاد مجتمع ليس فيه مالك ولا مملوك .

**٦ ـ المتهم العاشر :**

ألف ونشر كتاب « أهداف الاشتراكية » الذى تم طبعه ونشره وتوزيعه خلال عام ١٩٤٥ حبذ فيه الشيوعية وكفاحها الثورى وروج لها قائلا أنه ليس ثمة فرق بين الشيوعية والاشتراكية فالكلمتان مترادفتان وكلاهما يهدف لغرض واحد وفلسفتهما واحدة والخلاف الوحيد بين الاثنين حسب دعواه فى الوسيلة فهو يرى أن الاشتراكيين يقولون انهم يؤمنون بمبادىء انسانية فيجب أن يكونوا انسانيين والشيوعيين يقولون انهم أكثر انسانية لانهم يريدون وضع حد لآلام البشرية فى أسرع وقت وهم فى هذا كالطبيب الذى يقوم بعملية جراحية قد يتأذى منها المريض ولكنها تنقذ حياته وتسعده ما تبقى حيا والثورة حسبما يرى المؤلف ليست أكثر من عملية جراحية لمجتمع مريض ثم عقب على ذلك بقوله أنه أراد أن يقرب الى الاذهان فكرة أولى عن أهداف الاشتراكية بسبب حرماتهم من ذلك زمنا طويلا نتيجة لتحكم السياسة الرجعية فى مصر تلك السياسة التى كانت تظن أنها تستطيع

حماية نفسها بإخفاء الحقائق عن الناس حتى اضطرتها ظروف الحرب الى التخلى عن ذلك ثم أشار بروح الاعجاب الى رأى الاشتراكية فى أن الملكية الفردية تؤدى الى شطر المجتمع الواحد الى طبقات والى انقسام الناس الى ملاك وعبيد أو رأسماليين وعمال وقد خلق هذا فى المجتمع تناقضا وصراعا هو سر ما يشكو منه الناس من آلام ومشكلات ثم رأى أن الملكية الفردية تنتهى الى تركيز الثروات فى يد طبقة ضئيلة هى حفنة من أصحاب الارض والمصانع وحرمان طبقة كبيرة هى الشعب كله الذى لا يملك شيئا من وسائل الانتاج ولا يسعه لكى يعيش الا أن يبيع جهده بأرخص سعر للطبقة المالكة ونعى على المجتمع نظام الطبقات ونظام الملكية الفردية .

## ٧ ـ المتهم الحادى عشر :

ألف ونشر كتابا سماه « لا طبقات » ثم طبعه ونشره ووزعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ جرى فيه اثارة النفوس ومخاطبة الفقراء فى مواضع كثيرة منه بعبارة « أيها العبيد » داعيا الى الغاء نظام الطبقات والغاء الملكية الفردية وجعل وسائل الانتاج مملوكة للدولة ..

## ٨ ـ المتهم الثانى عشر :

ألف ونشر كتابا أسماه « وطنيتنا » تم نشره وتوزيعه على الجمهور خلال شهر يولية سنة ١٩٤٦ حبذ فيه وروج للشيوعية وكفاحها الثورى بأن عالج فى كتابه المسائل الوطنية والحركات التحررية فى مختلف بلدان العالم وفى مصر على ضوء المذاهب الماركسية والشيوعية تسييرا الى قيام وترابط تام بين القضاء على نظام الطبقات والنظام الرأسمالى فى الدول وبين نجاح الحركات الاستقلالية ثم أوضح الدور الذى يجب على العمال القيام به فى الحركات التحررية ووجوب مراعاة واجبهما الاصلى فى الكفاح الطبقى العالمى ثم يستمر محبذا هذا الاسلوب فى مصر .

**ثانيـا** ـ المتهمون الثالث والتاسع أيضا والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر كونوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا على ارتكاب الجناية المنصوص عنها بالمادة ١٧٤ فقرة ثانية عقوبات وعلى الاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها وذلك بأن اتفقوا على نشر المبادىء التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالمملكة المصرية بالقوة والارهاب وذلك بأن عقدوا العزم على نشر هذه المبادىء فى مصر وأعدوا لذلك عدتهم ودونوا خلاصة تجاربهم فى سبيل تلك الدعوة فى تقارير عهدوا بها الى

أحدهم وهو المتهم الثالث أوضحوا فيها أسلوبهم فى الكفاح ومبلغ الخلاص كل منهم فى العمل على بث هذه الدعوة المحرمة ٠

**ثالثا - المتهم السادس عشر هنرى كورييل :** فى خلال الثلاث السنوات السابقة على خمسة ديسمبر ١٩٤٥ حبذ وروج علنا المبادىء التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة بأن أنشأ مكتبة واستخدمها الى ذلك الغرض واستورد واستعرض فيها للبيع للجمهور الكتب والمؤلفات والنشرات المبينة بمحاضر الضبط والاطلاع المرافقة للاوراق وهى تدعو الى مجتمع بلا طبقات تنزع فيها الملكية ورؤوس الاموال من أصحابها وتسوده عن طريق القوة والعنف وديكتاتورية الطبقة العاملة طبقا للتعاليم الشيوعية القائمة على ذلك ٠

**رابعا -** المتهمون السادس عشر أيضا والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون ٠ كونوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا على ارتكاب جناية تحبيذ وترويج المذاهب الشيوعية الثورية والاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها وهى مذاهب ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالمملكة المصرية بالقوة والارهاب الامر المعاقب عليه بالمادة ٢/١٧٤ عقوبات وكونوا من أنفسهم جماعة تعمل على نشر تلك المبادىء المحرمة بوسائل النشر والاذاعة ٠

**خامسا -** المتهمين جميعا فى التواريخ المبينة آنفا بدائرة محافظة مصر اشتركوا مع مجهولين فى اتفاق جنائى على تحبيذ وترويج المبادىء المغايرة للدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وذلك بطريقة النشر بأن اتحدت اراداتهم على ارتكاب الجناية المنصوص عنها فى المادة ٢/١٧٤ عقوبات وعلى ارتكاب الاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها بتكوين المنظمات والهيئات المحرمة وتأليف الكتب والمقالات لخدمة هذه الدعوى الثورية على ما سبق بيانه وطلبت النيابة من حضرة قاضى الاحالة احالتهم على محكمة الجنايات لمحاكمتهم بالمواد ١٧١ و ١٧٤/ عقوبات وعلى ارتكاب الأعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها بتكوين المنظمات والهيئات المحرمة وتأليف الكتب والمقالات لخدمة هذه الدعوى الثورية على ما سبق بيانه ٠ وطلبت النيابة من حضرة قاضى الاحالة احالتهم على محكمة الجنايات لمحاكمتهم بالمواد ١٧١ و ٢/١٧٤ و ١٩٥ و ١٩٨ عقوبات للاثنى عشر الاول و ٣٨ /٢ و ٢/١٧٤ و ١٩٦ عقوبات للثالث والتاسع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر و ١٧١ و ١٧٤ / ٢ و١٩٦ و١٩٨ عقوبات للسادس عشر و١/٤٨ و ٢ و ١٧٤ /٢ و١٩٨ / ٢ عقوبات للسادس عشر ايضا والثامن عشر والتاسع عشر

والعشرون وقد قرر حضرته فى ١٩٤٨/٦/٦ احالتهم على هذه المحكمة لمحاكمتهم بالمواد المذكورة ٠

وحيث أنه قد سمعت الدعوى تفصيلا كما هو مبين بمحاضر جلسات ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٥ ثم تحدد للنطق بالحكم جلسة اليوم ٠

ومن حيث أن المتهمين فتحى أحمد المغربى ومصطفى كامل منيب وأسعد حليم وأبو سيف يوسف وصادق سعد وكمال محمد عبد الحليم وعبد اللطيف حسنين وهنرى كوربيل والسيد سليمان الرفاعى وحامد أحمد حمدان قد تخلفوا عن حضور الجلسة رغم اعلانهم فيتعين الحكم فى غيبتهم عملا بنص المادة ٢٨٦ من قانون الاجراءات الجنائية ٠

وحيث ان وقائع الدعوى حسبما استظهرته المحكمة بالاطلاع على الاوراق وما اشتملت عليه من تقارير ونشرات ومذكرات وكتب ومقاولات صحفية وعلى التحقيقات التى تمت فى القضية ومن أقوال الشهود بالجلسة ومرافعة النيابة والدفاع تتحصل فى أنه تناهى الى فرع مكافحة الشيوعية بمكتب البوليس السياسى بمحافظة القاهرة ان أشخاصا من بيئات مختلفة يقومون بنشاط شيوعى فى البلاد ويروجون لمذاهب ترمى الى تغيير مبادىء الدستور الاساسية والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب فأخذ رجال المكتب السياسى يراقبون نشاط هؤلاء الأشخاص والاماكن التى يرتادونها والجماعات التى ينتمون اليها ومن يتصلون بهم من طلبة وعمال وصحفيين وحدث فى يوم ١٩٤٦/١٠/٢٠ ان ضبط رجال الشرطة بعض النشرات باسم الجبهة الاشتراكية يوزعها شخص اسمه على أحمد الصيفى بدائرة باب الشعرية وتتضمن هذه النشرات دعوة الناس للانضمام الى الجبهة الاشتراكية لان هذه الهيئة تعمل على رفع الظلم ومحاربة الاستعمار وانقاذ الفلاح ومكافحة الفقر والجهل وان هذه الجبهة تهزأ بالارهاب وتستعذب الآلام وترحب بالسجون ولا تخشى المشانق فى سبيل عالم جديد واقتيد على أحمد الصيفى الى النيابة لسؤاله فاعترف بانه كان يوزع هذه المنشورات على الجمهور وانه تسلمها من محمود فتحى الرملى ( المتهم العاشر ) منشىء هيئة الجبهة الاشتراكية وان غاية الهيئة المذكورة محاربة الاستعمار وتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق البرلمان وانه ليس لهذه الجبهة وسائل أخرى لتحقيق أغراضها ٠ ثم أمرت النيابة باجراء التحقيق مع المتهم العاشر وتفتيش منزله وقد قرر هذا المتهم ان النشرات التى ضبطت لم تخرج عن كونها استمارات للدعوة الى الاشتراك فى الجبهة الاشتراكية وان برنامج هذه الجبهة منشور فى صدر الاستمارة وان ما ورد بهذه النشرات لا يخرج عن كونه دعوة الى تحقيق أهداف الجبهة المشروعة بالاساليب

الديمقراطية وان ترشيحه للانتخابات فى سنة ١٩٤٤ كان تطبيقا عمليا لهذه الاساليب الديمقراطية وان ما ورد فى هذه النشرات من الترحيب بالسجون ومواجهة المشانق لا يخرج عن كونه احتجاجا على الحملة الارهابية التى يتعرض لها المتهم وزملائه من رجال البوليس ثم انه لا يدعو الى استعمال القوة أو العنف فى الدعاية لاغراض الجماعة . وقد ظهر أثناء التحقيقات ان المتهم المذكور محمود فتحى الرملى ألف ونشر كتابا سماه ( أهداف الاشتراكية ) وقد تم طبعه ونشره وتوزيعه فى خلال عام ١٩٤٥ تحدث فيه عن الشيوعية والاشتراكية وذهب الى انه لا فرق بين المذهبين وانهما يهدفان لغرض واحد وأن الخلاف بينهما فى الوسيلة اذ يرى ان الاشتراكيين يقولون انهم يؤمنون بمبادىء انسانية فيجب أن يكونوا انسانيين والشيوعيين يقولون أنهم أكثر انسانية لانهم يريدون وضع حد للالام البشرية فى أسرع وقت وهم فى هذا كالطبيب الذى يقوم بعملية جراحية قد يتأذى منها المريض ولكنها تنقذ حياته وتسعده ما بقى حيا . والثورة فى نظر الشيوعيين ليست أكثر من عملية جراحية بمجتمع مريض ونعى المتهم على المجتمع الحاضر نظام الطبقات ونظام الملكية الفردية . وقد رأت النيابة فيما ورد فى هذا الكتاب الذى ألفه المتهم العاشر وتم طبعه ونشره وتوزيعه تحبيذا وترويجا للمذهب الشيوعى والكفاح الثورى لتحقيق أهدافها عن طريق القوة فأسندت اليه التهمة الواردة فى قرار الاتهام . وقد أنكر المتهم ما نسب اليه وقرر أنه يدعو الى المبادىء الاشتراكية بالطرق السلمية ولا يرمى الى تغيير المبادىء الاشتراكية للدستور أو للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الثورة وان كتابة « أهداف اشتراكية » عبارة عن بحث علمى وتحليل ثقافى لمبادىء الشيوعية والاشتراكية ولا ينطوى على تحبيذ للمبادىء الهدامة . ثم اتجهت أنظار رجال البوليس السياسى الى مؤسسة تسمى ( دار الفجر ) كانت تصدر بعض المجلات والنشرات والكتب التى تروج للمذاهب التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية وتبين ان موظفا بدار الفجر اسمه فتحى المغربى ( المتهم الاول ) ألف كتابا يحوى مجموعة ازجال وقد تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ وينطوى على تمجيد للثورة الشيوعية واشادة بنتائجها ودعوة للشعوب التى ترسم خطاها لنيل النتائج التى حققتها . وقد وضع مقدمة هذا الكتاب مصطفى كامل منيب المتهم الثانى اتضح انه مدير « لدار الفجر والنشر » وقد اعترف المتهم الاول بانه مؤلف الكتاب المذكور وان المتهم الثانى قرظة وتولت الاتفاق على طبعه مؤسسة « دار الفجر » وانكر أنه يقصد من كتابه أى شىء يرمى الى تغيير مبادىء الدستور وانه تكلم فى ازجاله عن روسيا كما تكلم عن انجلترا وكانت روسيا من حلفائها اثناء الحرب وانه لا يعرف معنى الشيوعية ولم يدرسها وانه لا يقصد من ازجاله التوسل بالقوة أو الثورة لتغيير الوضع الراهن . ثم أخذ التحقيق يسير فى مجراه بينما واصل رجال مكتب مكافحة الشيوعية للتحرى عن الاشخاص المشتبه فى

قيامهم بنشاط شيوعى أو حركات ترمى الى تغيير مبادىء الدستور الاساسية والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية وكان ان تقدمت وزارة الداخلية ببلاغ مؤرخ ١٠/٧/١٩٤٧ الى النائب العام مرفق به قائمة باسماء ٦٦ شخصا دلت تحريات البوليس على انهم يقومون بالحركات السابق الاشارة اليها ومن بين هؤلاء الاشخاص المتهمون العشرون المقدمون فى هذه الدعوى فاصدر النائب العام أمرا بتفتيش منازل هولاء الاشخاص ومقار أعمالهم ومراكز الهيئات التى ينتمون اليها وهى جماعة « دار الابحاث العلمية » ولجنة نشر الثقافة الحديثة واتحاد خريجى الجامعة والجامعة الشعبية الاهلية وأسرة تحرير مجلة الفجر الجديد ودار القرن العشرين ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد ومجلة أم درمان ومركز الثقافة الشعبية ومؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ونادى الشرقية وقد اسفر التفتيش الذى تولاه رجال النيابة ورجال الضبطية القضائية عن ضبط مجموعة كبيرة من الكتب بينها بعض المؤلفات والنشرات والابحاث الخاصة بالنظم الاشتراكية والشيوعية وكان من بين المؤلفات المضبوطة هذا الكتاب «أنا العامل» من وضع المتهم الاول وكتاب « أهداف الاشتراكية » المنسوب الى المتهم العاشر والسابق الاشارة اليهما ما يلى :

أولا : تراجم كتب من الزواج والاسرة والامومة والعائلة والدين فى ظل النظام الشيوعى قام المتهم الثانى مصطفى كامل منيب بترجمتها وقدم كل منها بمقدمة رأت فيها النيابة تحبيذاً لذلك النظام والثورة التى قام عليها فى عام ١٩١٧ وقد تم طبع هذه الكتب ونشرت على الجمهور خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وقد اعترف المتهم بعمل هذه التراجم والتقديم لها وطبعها ونشرها بدار الفجر وقرر ان هدفه من ذلك هو استكمال النقص فى الثقافة العامة فى مصر لان هذه النواحى لم يكتب عنها من قبل وانه نقل هذه الكتب لكى يقف كل انسان عليها وله أن يكون رأيه كيفما شاء وانه لايدعو ولايحبذ الدعوة الى تغيير النظم الاساسية للدولة بالقوة أو العنف وانه يملك نحو ثلاثة آلاف كتاب تحوى ابحاثا فى مختلف النواحى فى العلم والادب ومن بينها الكتب الخاصة بالنظام الشيوعى فى روسيا وان اهتمامه بهذه الناحية لا يتجاوز اهتمامه بالنواحى الاخرى فى البلاد المختلفة وقد وجهت النيابة العامة الى المتهم الثالث أسعد حليم بالاشتراك مع المتهم الثانى تهمة طبع ونشر هذه التراجم وكذلك طبع ونشر مجموعة الازجال المنسوبة الى المتهم الاول باعتبارهما ناشرين ومالكين لدار الفجر والنشر .

ثانيا ـ كتاب « الشيوعية فى الاسلام » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال سنة ١٩٤٦ وكذلك كتاب « دورنا فى الكفاح الوطنى » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ وقد الفهما المتهم الرابع محمد أبو الحسن

جاد الله ورأت النيابة فى مضمون الكتاب الاول دعوة الى تطبيق النظام الشيوعى فى مصر تحبيذا له اذ عقد المؤلف مقارنة بين هذا المذهب وبين المبادىء الشرعية الاسلامية وقال ان النظام الشيوعى أقره الاسلام وتساءل لم لا تكون الارض كلها ملكا للامة وتكون القوامة للحكومة ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فى الارض فيشتغل كل حسب طاقته ويبذل كل حسب حاجته . وورد فى الكتاب الثانى ان الماركسية والشيوعية مهما تعددت أشكالها وتنوعت مظاهرها واسماؤها فهى متحدة فى الغاية وهدفها الانطلاق من القيود التى فرضتها الانظمة الرجعية البالية . وقد اتخذت النيابة من هذه الاقوال التى سجلها المتهم الرابع فى كتابه مادة لاتهامه بالترويج للمذهب الشيوعى والدعوة الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاجتماعية بالقوة . وأنكر المتهم هذه التهمة وقرر أنه لم يتخط فى وضعه لهذين الكتابين حدود البحث العلمى وأضاف بالجلسة أنه ألفهما أيام كان طالبا بالازهر وكان المامه بموضوع الكتابين محدودا وأنه لم يدرك حقيقة الشيوعية فى ذات الوقت ..

ثالثا — كتاب « حول الفلسفه الماركسية » وقد الفه ونشره المتهم الخامس ابو سيف يوسف ابو سيف وتم طبعه وتوزيعه على الجمهور فى عام ١٩٤٥ وقالت النيابة فى تقرير الاتهام أن هذا الكتاب يتضمن تحبيذا وترويجا للشيوعية لما ورد به من انه لا يمكن القول بالحريات الفردية فى مجتمع منقسم الى طبقتين وان الحريات بصفة عامة لا تكتسب الا عن طريق كفاح الشعوب ضد مستغليها وانه فى الواقع من الامر لا توجد الحرية الحقيقية بالنسبة للغالبية العظمى فى ظل النظام الرأسمالى القائم على استغلال الانسان لاخيه الانسان . وقد سئل المتهم فأنكر ما أسند اليه وقرر أن الكتاب المذكور يرجع تاريخه الى سنة ١٩٤١ حيث كان طالبا بكلية الاداب وكان يدرس المذاهب الاجتماعية المختلفة وان أستاذ علم الاجتماع بالكلية كان قد كلفه بعمل بحث عن مادة التاريخ خاصا بكارل ماركس كما كلف بهذا البحث جميع طلاب السنة الثانية بالكلية وأشار عليهم الاستاذ بقراءة مراجع عن مذهب كارل ماركس ومن ثم فهو لم يقصد من تأليف كتابه ونشره سوى مجرد البحث العلمى .

رابعا — نسخة من العدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وقد عثر فيها على مقال للمتهم السادس نعمان سعد الدين عاشور بعنوان ستالين فى الثورة الاشتراكية نشر بالعدد المذكور ووزع على الجمهور وجاء به ( أشرقت أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الارض برئاسة لينين وهى بدء التاريخ وقضاء نهائى على استغلال الانسان وتحقيق لظمأ أجيال من النفوس الحرة التى ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ

البشرى السحيق .. الى أن قال ها هو نهار الاشتراكية يبزغ أخيرا والشمس تبزغ من الشرق .. ورأت النيابة فى ذلك المقال تحبيذا لمذهب الشيوعية وكفاحها الثورى فوجهت التهمة الواردة فى قرار الاتهام الى صاحب المقال المذكور ( المتهم السادس ) الذى أقر بكتابته وأنكر أنه يقصد بذلك الدعوى أو الترويج للشيوعية عن طريق القوة أو الثورة والعنف .

خامسا ـ نسخة من العدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بها مقال من تأليف المتهم السابع صادق سعد بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » وقد نشر هذا المقال بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وجاء به ان طبقة العمال وطبقه الكادحين استولت فى ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ على الحكم السياسى فى روسيا وأصبحت هذه الثورة لاول مرة فى التاريخ المجال أمام العمال وخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة واحدة فيه على عرق الكادحين بل ينتج للشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه لان وسائل الانتاج ملك له لا لغيره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتحطيمه الاستغلال والطغيان وازالة نظام الطبقات ان ينظم الانتاج المادى والادبى وان يوفر الراحة والتعليم للشعب ورأت النيابة فى محتويات هذا المقال دعوة للشيوعية وتحبيذا لمبادئها فوجهت اليه التهمة الواردة فى قرار الاتهام وقد اقر بكتابه المقال المشار اليه ولكنه أنكر أنه يروج للشيوعية أو تحبيذ مبادئها أو يرمى الى تغيير النظام الاساسية للدولة أو مبادىء الدستور بالقوة والعنف .

وقد وجهت النيابة العامة للمتهم الثامن أحمد رشدى صالح بصفته رئيسا لتحرير مجلة الفجر الجديد تهمه نشر المقالين السالفين فى العدد الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ .

سادسا ـ نشرة صدرت من دار الابحاث العلمية بعنوان « ماذا علمتنا الحرب » من تأليف المتهم التاسع أحمد شكرى سالم وقد تم نشرها وتوزيعها على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ وقد ورد بهذه النشرة أن نظرة العالم للشيوعية والاشتراكية تختلف الآن اختلافا بينا عما كانت عليه قبل الحرب فالشيوعية الآن هى قوة من القوى المنتصرة وانها ترمى الى ايجاد مجتمع ليس فيه مالك ولا مملوك وقد نسبت الى المتهم المذكور على أساس ما تضمنته هذه النشرة تهمة الترويج للمذاهب الهدامة والدعوة الى تغيير المبادىء الاساسية للنظم الاجتماعية بالقوة وقد نفى المتهم انه يحبذ المبادىء الشيوعية وانه لا يمكن الاستنتاج من مقاله انه يروج للمبادىء الهدامة .

سابعا ـ كتاب أهداف الاشتراكية وقد تم طبعه ونشره وتوزيعه فى خلال عام ١٩٤٥ وهو من تأليف المتهم العاشر محمود فتحى الرملى كما سبق بيانه .

ثامنا ـ كتاب « لا طبقات » من تأليف المتهم الحادى عشر أنور كامل وقد جاء بهذا الكتاب الذى تم نشره وطبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ دعوة الى الغاء نظام الطبقات والغاء الملكية الفردية وجعل وسائل الانتاج مملوكة للدولة وترى النيابة فيما ورد بهذا الكتاب اثارة للنفوس فقد خاطب المتهم الفقراء فى مواضع كثيره من مؤلفة بعبارة ايها العبيد · وقد اعترف المتهم بتاليف الكتاب المذكور ونشره وقرر أن الذى يقصده من ذلك هو اعطاء فكرة للرأى العام عن مشاكل المجتمع المصرى كالفقر والمرض والجهل والبغاء لانها تتصل جميعا بسوء توزيع الثروات وانه ليس فى محتويات كتابة ما يتعارض مع قوانين الدولة وانه اشتراكى لا شيوعى ·

تاسعا ـ كتاب اسمه « وطنيتنا » من تأليف المتهم الثانى عشر عمر رشدى وقد تم طبعه وتوزع على الجمهور خلال شهر يوليو سنة ١٩٤٦ وعالج المؤلف فى هذا الكتاب آراء بعض الكتاب الاجانب والمسائل الوطنية والحركات التحريرية فى مختلف بلدان العالم وفى مصر على ضوء المذاهب الماركسية والشيوعية مشيرا الى قيام ترابط تام بين القضاء على نظام الطبقات والنظام الراسمالى فى الدول وبين نجاح الحركات الاستقلالية والدور الذى يجب على العمال القيام به فى الحركات التحررية ورأت النيابة فى هذا الكتاب تحبيذا وترويجا للشيوعية وكفاحها الثورى وقد اقر المتهم بانه وضع هذا الكتاب وانه اشتراكى وان وسيلته فى تحقيق اهداف الاشتراكية هى وسيلة سلمية بعيدة عن العنف والقوة · ولم يكن يهدف من وضع الكتاب سوى نقل النظريات الاشتراكية وما يراه واضعو هذه النظريات فى تطبيق مبادئها وليس ما يراه هو ( أى المتهم ) وانه لم يخرج عن دور الملخص والمترجم الامين لهذه النظريات ·

وبتاريخ ١٩٤٦/١٢/٥ بينما كان الكونستابل سيد مصطفى سيد يمر مصادفة بصحبة البوليس الملكى نسيم صليب بشارع سليمان بالقاهرة راى المتهمين هنرى كوريل ( السادس عشر ) والسيد سليمان الرفاعى (السابع عشر) وشحاتة هارون ( الثامن عشر ) ومحمود صبحى زغلول ( التاسع عشر ) وحامد أحمد حمدان ( العشرين ) يجلسون حول مائدة فى مقهى ( بج بن ) ويتهامسون فاشتبه فى امرهم وقبض عليهم واقتادهم الى نقطة بوليس كوسيكا حيث بوشر التحقيق معهم وقد أسفر التحقيق عن اتهامهم بأنهم يزاولون نشاطا شيوعيا نظرا لوجود هنرى كوريل معهم الذى حامت حوله شبهات سابقة بانه يتزعم الحركة الشيوعية فى مصر وقد استخلصت النيابة من أجتماع هؤلاء الاشخاص بهنرى كوريل فى البار وتحدثهم معه ووجود بعض الكتب والنشرات فى منازلهم عند تفتيشها تتناول بالبحث المبادىء الشيوعية وامتلاك هنرى كوريل لمكتبة تجارية تحتوى على مجموعة من المؤلفات والكتب الشيوعية يعرضها للبيع

للجمهور والعثور على أوراق تحوى بعض الرموز والاسماء الغير مفهومة ومذكرات عن وجوب مساهمة الطبقة العاملة فى الحركات الوطنية ووجوب بناء النظرية الماركسية وتكوين اداه سرية وكادر شيوعى ودروس شيوعية ومن خريطة عثر عليها بمنزل المتهم محمود صبحى زغلول تنطوى على رسم لبعض المبادىء العامة واشارة الى منشورات تلصق بها أوراق أخرى وبحث فى حالة الاتحاد السوفيتى ومزايا علاقته بالشعوب فى الشرق الاوسط استخلصت النيابة من هذه الوقائع عناصر مادية فى نظرها لتوجيه تهمة تكوين الاتفاق الجنائى على ارتكاب جريمة تحبيذ وترويج المذاهب الشيوعية والثورية الى هؤلاء المتهمين الخمسة ( ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ ) كما وجهت الى المتهم السادس عشر هنرى كوربيل تهمة التحبيذ والترويج علنا للمبادىء الهدامة التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسيه للهيئه الاجتماعيه بالقوة تأسيسا على واقعة انشائه مكتبة تجارية عرض فيها للجمهور الكتب والمؤلفات والنشرات المبينة بمحاضر الضبط وهى تدعو الى مجتمع بلا طبقات تنتزع فيه الملكية الفردية ورؤوس الاموال من أصحابها وتسود ، ديكتاتورية الطبقة العاملة طبقا للتعاليم الشيوعيه القائمه وقد انكر المتهمون جميعا تهمه الاتفاق الجنائى المسندة ودفع المتهمون الحاضرون بالجلسة ببطلان القبض والتفتيش الذى أجراه الكونستابل ضدهم وما ترتب على ذلك من أدلة قبلهم لانهم كانوا يجلسون بالمقهى « بج بن » جلسة عادية دون تآمر أو اتفاق سابق ولم يصدر عنهم ما يدعو الى اتخاذ هذه الاجراءات ضدهم وأنكر المتهم هنرى كوربيل فى التحقيقات تهمتى التحبيذ أو الترويج للشيوعية والاتفاق الجنائى المنسوبين اليه وقرر أنه صاحب مكتبة تجارية وأنه يقوم بعمل تجارى ولا يروج للشيوعية

وفى ١٩٤٦/١١/١٤ ضبط المتهم أسعد حليم ( الثالث ) بمحطة حلوان ومعه بضعة تقارير تتضمن مراحل التحقيق الذى بوشر مع المتهمين أحمد شكرى سالم ( التاسع ) وأنور اسكندر عبد الملك ( الثالث عشر ) وكمال محمد عبد الحليم ( الرابع عشر ) وعبد اللطيف دهب حسنين ( الخامس عشر ) وكيفية معاملتهم فى السجن وقرر أسعد حليم فى التحقيقات أن هذه التقارير كتبها المتهمون المشار اليهم وأنكر هؤلاء صدورها منهم وقد أجريت مضاهاة خط المتهمين بالخط الذى كتبت به هذه التقارير فى طريق القسم المختص بمصلحة الطب الشرعى فتبين أن احدها كتب بخط المتهم أنور اسكندر عبد الملك وأما باقى التقارير فلم يثبت أنها كتبت بخط أى من المتهمين الباقيين وقد استخلصت النيابة من واقعة ضبط هذه التقارير مع المتهم أسعد حليم وما اشتملت عليه من معلومات وملاحظات عن التحقيقات التى تجريها النيابة مع باقى المتهمين فى هذه الدعوى ومن تقارير البوليس السياسى عن نشاطهم دليلا على وجود رابطة بينهم وتداخلهم فى مؤسسات ومنظمات واحدة تدعو

الى تحبيذ وترويج المبادى الشيوعية الامر الذى يؤيد فى نظرها قيام جريمة الاتفاق الجنائى المسندة اليهم فى قرار الاتهام • وقد أنكر المتهمون هذه الواقعة ودفع الحاضر عن أسعد حليم ببطلان القبض عليه وتفتيشه فى محطة حلوان ومع اعتراف المتهم المذكور بوجود هذه التقارير فى حوزته فانه يقرر انه بصفته صحفيا أراد أن يجرى تحقيقا عن المتهمين وعن طريقه معاملتهم فى السجن فجمع معهم هذه المذكرات أو التقارير للاستئناس بها فى تحقيقه الصحفى •

وحيث أن النيابة العامة ختمت قرار الاتهام بتوجيه اشتراك المتهمين جميعا مع مجهولين فى اتفاق جنائى على تحبيذ وترويج المبادىء المغايرة للدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وذلك بطريق النشرات واستندت فى ذلك الى القول بأنه ثبت بالنسبة للمتهمين جميعا انهم يتصلون ببعضهم وانهم يسعون لهدف واحد وتجمعهم رابطة ثقافية واحدة ودللت على ذلك بما ورد بالتقارير الصادرة من البوليس السياسى والتى تشير الى اتفاق هؤلاء جميعا على نشر المذاهب الشيوعية وتداخلهم فى مؤسساته ومنظمات واحدة •

وحيث أن سلطة الاتهام قدمت المتهمين للمحكمة على أساس ما جاء بأقوال الشهود فى التحقيقات وبالجلسة وما قدمته من كتب ومقالات منسوبة الى هؤلاء المتهمين بانهم ألفوها وعرضوها للبيع ونشروا بعضها فى مجلة الفجر الجديد وأن هذه الكتب والمقالات والفقرات التى أوردتها فى تقرير الاتهام وفى ملحوظاتها فى قائمة الشهود واستخلصت منها حسب تقديرها أن المتهمين يروجون للمذهب الشيوعى بطريق القوة والارهاب •

فقد شهد اللواء أحمد حمدى وكان يشغل وظيفة مفتش الضبط بفرع ب بحكمدارية بوليس القاهرة ان المتهم السادس عشر هنرى كورييل هو الرأس المحرك لكل الحركات الشيوعية فى مصر وأنه يروج للشيوعية عن طريق مكتبته التى تبيع الكتب الشيوعية بميدان مصطفى كامل وعن اتصالاته بزملائه سواء بالمكتبة أو تليفونيا أو خارج المكتبة وبسؤاله عما اذا كان هناك علاقة بين هنرى كورييل وباقى المتهمين فى القضية الحالية أجاب بأنه يعتقد بوجود هذه العلاقة لان كورييل متصل بلجنة نشر الثقافة الحديثة ودار الابحاث العلمية واتحاد خريجى الجامعة ولجنة أم درمان والمتهمون أعضاء فى هذه اللجان وأضاف الشاهد بأن جميع المتهمين متصلين بعضهم ببعض ويساهمون بنشاطهم فى منظمات ومؤسسات متصلة وتجمعهم رابطة الهدف الاتفاق على نشر المذهب الشيوعى بمصر •

وشهد الكونستابل سيد مصطفى السيد أنه كان يمر يوم ٥ من ديسمبر ١٩٤٦ حوالى الساعة ٤٥ر٤ بشارع سليمان باشا بدائرة قسم عابدين حيث وجد المتهم السادس عشر هنرى كوربيل مع المتهمين سليمان الرفاعى « السابع عشر » وشحاتة هارون ( الثامن عشر ) ومحمود صبحى زغلول ( التاسع عشر ) وحامد أحمد حمداى ( العشرين ) يجلسون حول مائدة فى مقهى « بج بن » على شرفة فى مدخل المقهى وكان كوربيل ممسكا بورقة أمامه على المائدة يتحدث مع رفاقه وكان يشرح مشيرا الى تلك الورقة وقد لفت نظر الكونستابل أن أحد هؤلاء الاشخاص وهو سودانى وتبين فيما بعد أنه المتهم العشرين حامد أحمد حمداى كان يلبس زيا ملفتا للنظر « قميصا أخضر » ( فاشتبه فى أمرهم لكثرة الحوادث المثيرة التى وقعت — ولما هم بالقبض عليهم فر هارون ( الثامن عشر ) متجها الى ميدان سليمان باشا • فأرسل خلفه البوليس الملكى نسيم صليب الذى تمكن من استحضاره ثم اقتاد الجميع الى نقطة بوليس كوتسكا حيث أبلغ الامر للضابط حسين محمد حسين فقام بتفتيش هؤلاء المتهمين ووجد معهم بعض الاوراق كما أنه ضبط مع كوربيل المنشور المعنون « نظرة الى السياسة الداخلية » وقد أكد الشاهد أنه لم يكن يعرف أحد من هؤلاء المتهمين قبل القبض عليهم ولم يكن لديه معلومات عنهم أو عن نشاطهم وانه لاحظ أنهم يشتركون فى حديث واحد مما يدل على أنهم فى جلسة واحدة مع بعضهم وبسؤال الشاهد عن الورقة التى كانت موجودة على المنضدة أمام المتهمين قرر بأنها اختفت وقت الضبط ولا يعلم أين ذهبت ووصفها قائلا انها عبارة عن ورقة صغيرة مربعة تشبه صندوق السجاير وانه لم يتحقق ان كانت عليها كتابة أم لا وانه وقت أن داهم المتهمين كان كل همه أن يضبطهم فلم يلاحظ أين اختفت هذه الورقة ولم يسمع الحديث الذى كان دائرا بين المتهمين •

وشهد البوليس الملكى نسيم صليب عبد الملاك فى التحقيقات بأنه بينما كان يمر مع الكونستابل سيد مصطفى أمام مقهى « بج بن » بشارع سليمان باشا لاحظ وجود خمسة أشخاص جالسين حول مائدة فاشتبه فيهم لانهم كانوا يتحدثون بصوت خافت فداهما هؤلاء الاشخاص اذ دخل الكونستابل من الباب الأيمن والشاهد من الباب الأيسر وقد حاول أحد المتهمين ( الاستاذ شحاته هارون ) الهرب فتبعه الشاهد بناء على تعليمات الكونستابل واستحضره بينما تولى الكونستابل القبض على الباقين ثم اقتاد الجميع الى نقطة كوتسكا •

وشهد الضابط حسين محمد حسين أنه بينما كان يباشر عمله فى نقطة كوتسكا مساء يوم ٥ ديسمبر ١٩٤٦ اذ حضر له الكونستابل سيد مصطفى

والبوليس الملكى نسيم صليب وخمسة أشخاص وعلم منهما أنهما ضبطا المتهمين الخمسة بمقهى بج بن بشارع سليمان باشا رقم ١٨ بنوع الاشتباه وان الذى أثار هذه الشبهة هو أن أحدهم وهو كورييل كان يشرح لباقى المتهمين وهم ينصتون اليه ولما رأوا الكونستابل توقفوا عن الحديث ونظروا اليه بحالة تلفت النظر وقرر الشاهد بأنه أجرى تفتيش المتهمين وضبط معهم بعض الاوراق المبينة بالمحضر منها منشور وجده مع كورييل وعنوانه « نظرة الى السياسة الداخلية » ولما حاول سؤال المتهمين امتنعوا عن الاجابة بناء على مشورة هنرى كورييل وشحاتة هارون ٠

وشهد ثيو باباساتس عامل مقهى « بج بن » فى التحقيقات أنه رأى المتهمين الخمسة ( من السادس عشر الى العشرين ) جالسين بالمقهى على منضدة واحدة وأن الكونستابل قد ضبطهم وهم على هذه الصورة وقادهم الى مخفر البوليس ٠

وعلاوة على ما جاء بأقوال هؤلاء الشهود فقد استندت سلطة الاتهام الى الادلة المستمدة من الكتب والمقالات المسندة الى كل منهم وحددت على الوجه الاتى الفقرات التى اعتبرتها تحبيذا وترويجا لمذاهب ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ٠

**١ ـ بالنسبة للمتهم الاول فتحى أحمد المغربى :**

وقد ورد بكتابه « أنا العامل » الذى ألفه والذى يحوى مجموعة أزجال ما نصه فى صحيفة رقم ١٥ :

**« فاتت سنين وأجيال قضيتها فى استعباد**
**ما نفوق مانصحى النوم حارب فى الاستبداد**
**ليه اتخلقنا لنسعدهم ونجوع**
**ونعيش فى ذل الذل وعيالنا تتصاع**

وفى صحيفة ١٧ :

**لحد امتى حنبقى لعبة فى ايديهم**
**سنين فاتت ودايسنا برجليهم**
**بكرة لابد نكسدهم ونعميهم**

وفى صحيفة ٣٣ بعنوان « روسيا » ترجمة حرفية لقصة شعب تحرر من قيود العبودية فى الوقت الذى كان عندهم راجل أمين :

**فى الوقت ده كان عندهم راجل أمين**
**وأمن على مبدأ نضاله فى الحياة**

نـــادى باسما مبـدأ فى الوجـــود
هـــوه النظـام الاشتراكى فى البـــلاد
أحسن نظـام سجل تاريخـه للخلـود
ويخلـى كـــل رأســمالى كالجمـــاد

وفى صحيفــة ٣٤ :

وعن تـاريخ روسيا يبـــان لنـــا شــعبها
أحسن شعوب الدنيا فى الـروح والكفـــاح
علشـــان كده مبـادئها ســامية نحبهـــا
والدنيـــا تعــرف أنهـــا أم الصـــلاح
سبعة نوفمبر شـعب روسـيا هـاج ومـاج
وجـــاءت قــوة فــوق عزيمـــة واندفـــاع
والثـورة قـامت دغـرى عملت ارتجـــاج
وصـل خبـرها للامم حـــالا وشـــاع
تبص ونلقـــى يومهـــا قصـــر الكرملـين
سلخـانة فيهـا النـزع والموت بالرصــاص
والشــعب كلـه متبـع خطـــة لينـــين
ويسددوا داخـل على البلاد دخلت حمـاس
وستالين هو ولينـــين لهـــم آثـــار
فى قلب روســيا ولا فيش هنـــاك شــقاق
الاشتــراكية عــدالة نظـــامها مش خفــى
لهـا ناس بيكفـــى للشــعوب المظلـومين
أفكـــارها تفيـــدها دروس ومنهـا نستقى
كل المبـــادىء لاجـــل يبقـــوا منتمـين

٢ ـ بالنسبة للمتهم الثانى مصطفى كامل منيب :

أولا : أنه وضع مقـدمة كتاب أنا العامل « الذى ألفه المتهم الأول ».

ثانيا : ترجم كتب « الزواج والاسرة فى الاتحاد السوفييتى » و « الزواج والأمومة والعـائلة فى التشريع السوفييتى » و « الدين فى الاتحاد السوفييتى » وهى الكتب التى صدرت عن دار الفجر للنشر ـ التى يملكها مع المتهم الثالث وقـد تم طبعهـا وتوزيعهـا على الجمهور وقـدم لكـل منهـا بمقدمة لتضمن تحبيذا لذلك النظام وقـد جـاء فى مقـدمة الكتـاب الاول فى الصفحة ٧ ما نصه

« وقـد أصبح باديا للعيـان ولكل الشعوب أن التعليم والثقافة فى الاتحاد السوفييتى أرقى وأعظم منهـا فى أى بلد آخر وحسبنا دليـلا على ذلك القضاء

على الأمية هناك قضاء مبرما ونشوء ثقافة جديدة رائعة لم توجد فى غير الاتحاد السوفييتى وهى الثقافة الاشتراكية » ٠

**وقال فى صحيفة رقم ٩ ما نصه :**

« لقد كان من أبرز نتائج ثورة أكتوبر التغيير الهائل الذى طرأ على الحياة الأسرية بالاتحاد السوفييتى وعلى مركز المرأة فى المجتمع الجديد اذ تطورت أحوال الاسرة وأصبحت الاسرة نواة سليمة قوية ٠

**وقال فى صحيفة رقم ١٠ ما نصه :**

« ويأتى فى صدر الافتراءات التى كانت تختلق على الاتحاد السوفييتى قولهم بأن الناس هناك ينبزون أطفالهم ويتخلون عنهم كلية للحكومة وانه لما كانت الحكومة الشيوعية عاجزة سيئة فقد كان مصير الأولاد دائما هو الهيام على وجوههم فى الطرقات والخلاء والواقع أن هذا الادعاء لاينطوى على ذرة من الحقيقة » ٠

**وقال فى صحيفة رقم ١١ ما نصه :**

« ان هذا النظام قد انطلق يعالج المشكلة باخلاص واقتدار ٠ » ٠

**وقال فى صحيفة رقم ١٥ ما نصه :**

« اذا كان هناك نفر من الناس قد جبلت نفوسهم على الذل والاستبعاد ولا يرون غير الاستغلال ـ فليختصروا الطريق وليقولوا صراحة نحن نكره حرية المرأة ونحن نبغض النظام السوفيتى لانه يوفر الحرية للمرأة » ٠

وجاء فى صحيفة ٧ من مقدمة كتاب « الدين فى الاتحاد السوفييتى » وما نصه :

« أفترانا نعجب بعد ذلك اذا كان العالم قد شهد فى السبعة والعشرين سنة الاخيرة فيضا من الاباطيل والاكاذيب قد اختلقه الرجعيون عن حقيقة الأحوال فى الاتحاد السوفييتى وعن النظام الجديد الذى انبثق عن ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ٠

**وقال فى صحيفة رقم ١٢ :**

« ومن الاتهامات التى يختلقها بعض الحكام لمناوأة التطور والتجديد زعمهم أن الشيوعية تحارب الدين وان الشيوعيين يحتقرون الاديان ويعملون

على نقيضها وانهم يسومون المتدينين العذاب والهلاك وقد لا يكون هناك اتهام أوقع من هذا الاتهام بل نحن لا يمكننا أن نتصور افتراء يمعن فى المغالطة مثل هذا الافتراء العجيب اذ لم يحدث مطلقا أن حارب الشيوعيين الاديان لمجرد كونها أديانا بل ليس من أصول الشيوعية مطلقا محاربة الدين ٠

ثالثا : باعتباره ناشرا ومالكا لدار الفجر للنشر قام بطبع ونشر الكتب المذكورة ٠

**٣ ـ وبالنسبة للمتهم الثالث أسعد حليم :**

أولا ـ باعتباره ناشرا ومالك لدار الفجر للنشر قام بنشر وطبع الكتب السابق بيانها ٠

**ثانيا** ـ فيما يتعلق بتهمة الاتفاق الجنائى بينه وبين المتهمين التاسع والثالث عشر والخامس عشر فقد ضبط معه أربعة تقارير كتبها كل من المتهمين التاسع أحمد شكرى سالم والثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك والرابع عشر كمال محمد عبد الحليم والخامس عشر عبد اللطيف دهب حسانين عن المدة التى قضوها بالحبس الاحتياطى وفيها اشارات صريحة الى ميولهم الشيوعية واعتناقهم لها وتحليل لما قام به أفرادهم خلال حبسهم وموقف منظماتهم وأحوالها ووجوب التماس العبرة مما مر عليهم فى نضالهم المستقبل وانهم بوصف كونهم شيوعيين يتعين فى دعوتهم اتخاذ الحذر والاستفادة من كل خطأ مر بهم ٠

ووجدت معه أيضا مذكرة من سبع عشرة صحيفة فيها اشارة الى حاجة مصر الملحة الى تأليف حزب شيوعى ٠

**٤ ـ بالنسبة للمتهم الرابع محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمى :**

**أولا** : ألف ونشر كتاب « الشيوعية فى الاسلام » وقد جاء بالصحيفة رقم ٥ ما نصه : « لماذا لا تكون الارض كلها ملكا للامة وتكون الحكومة قيمة عليها ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فيها فيشتغل كل حسب طاقته ثم يأخذ كل بحسب حاجته ٠ ولماذا لا تكون المصانع والمعامل وجميع موارد الثروة ملكا للجميع فما دمنا مشتركين فى تحصيل الارزاق واحداث الثروات فالواجب يقضى باقتسامها من كل والى كل ٠ ولماذا لا تشاع الابنية والدور بين الناس وما دمنا مشتركين فى بنائها واقامة جدرانها وتشييد

حجراتها من كل والى كل مثل الماء والهواء والشمس مشاعة بين الجميع من كل والى كل » .

وقال فى صحيفة ٦ :

« سيقول السفهاء من الناس أن الارض قليلة لا تكفى حاجة البشر » الى أن قال فلا حجة بقلة الانتاج فالانتاج كثير والثروة كثيرة ولكن البذل قليل والنظام والافراد فى جور وخطر واذ سلمنا بهذه المظالم وسلمنا بفساد هذا المجتمع فما هو الحل وما هو المخرج من هذه الظلمات المتراكمة والمفاسد المتلاطمة والجواب عن ذلك سهل ويسير فتش عنه أبحث عنه نقب عنه سوف تجده فى كلمة واحدة هى الشيوعية » .

وقال فى صحيفة ٨ :

« وليست الشيوعية فوضى واضطراب وجنون واباحية كما يريد البرجوازيون تشويه الحقائق والباس الحق ثوب الضلال » .

وقال فى صحيفة ١٠ :

« وقد نسوا وتناسوا انهم عالة على المجتمع وجرثومة فساد تنخر فى عظم الحياة بعيدين عن روح الاسلام وأوامره ونواهيه الذى ينادى بالنداء الذى أدت به الشيوعية من يعمل يأكل ومن لا يعمل يموت فسحقا لهم وترحا وبعدا لهم كما بعدت ثمود » .

وقال فى صحيفة ١٢ :

« واذن فالشيوعية طبقت فى الإسلام فترة من الزمن كان الظرف الاقتصادى يتطلب هذا النظام وليست المشكلة اليوم مشكلة نظام طبقى فقط ولكن المشكلة التى تهم كل باحث ومفكر أن يمنع الاسلام أهله من أن يعيدوا بناء المجتمع على أسس الشيوعية الاولى وهل يمانع الاسلام فى تطبيق هذا النظام مرة ثانية والجواب طبعا لا يمانع ولا مانع وانى اذ أضع هذه الحقيقة لا أعرف ما هى ولا ما الذى يترتب عليه من نقد ولوم وتعنيف » .

ثالثا : ألف أيضا ونشر « دورنا فى الكفاح الوطنى » وقد جاء بالصحيفة الأولى ما نصه :

« ليشهد العالم ويسجل التاريخ لونا آخر من ألوان الحياة بدخول الأمم جمعاء فى الأقطار المتقدمة والمتأخرة القوية والضعيفة فى مرحلة أخرى من مراحل النضال والكفاح نضال مهما اختلفت مظاهره وتنوعت أشكاله وتعددت أسماؤه فانه متحد فى الغاية متفق فى النهاية لاتفاقه فى الهدف وهو تحرير الانسانية من آلام العوز ومخاوف المرض ومصائب الجهل والانطلاق من القيود التى فرضتها الانظمة الرجعية البالية » •

وقال أيضا فى صحيفة ٢ :

« ولا يوجد شئ يعيق الانسانية عن بلوغ هدفها والوصول الى غايتها مثل الاستغلال وهو فى مظهره الوقوف فى طريق الطبقات الشعبية ومنعها من أن تمارس حقها اللائق بكدها وتنعم بحياة سياسية واقتصادية تساوى ما تبذله من عرق ودماء •

وقال أيضا فى صحيفة ٢ :

« فنضال هذه البلاد اذن نضال ضد الاستعمار ولكنه نضال ضد بقايا الاقطاع والاشكال الاجتماعية الرجعية الاخرى سواء أكانت فى الاقتصاد أو السياسة » الى أن قال « ولقد يدرك القارئ من هذه الكلمة الموجزة صدق النظرية الماركسية وعمقها تلك التى ترى العالم وحدة متماسكة تتأثر كل بقعة منها بعدت أو قربت بالاحداث والحركات التى تقع فى أى جزء من أجزاء العالم » •

وقال أيضا فى صحيفة ٣ :

« وقد كان لتضارب القوى الاقتصادية والسياسية أكبر الاثر فى خلق هذا الصراع الذى تشهده الانسانية اليوم بين معسكرات العالم المتبادلة » •

وقال فى صحيفة ٦ :

« فلا غرو اذا وجدنا الصراع الطبقى بين القوتين يكاد يؤدى بأحدهما ولن يكون البقاء الا للقوة الفتية النامية ومن هنا تجد الجماعات الشعبية تتكتل فى اتحادات قومية لتصل الى الحكم عن طريق الحياة الديمقراطية وسبل التشريع » •

وقال فى صحيفة ٣٥ :

أما فى ثورة أكتوبر الاشتراكية فقد حاربت الكنيسة الثورة والثوار ولعنتهم « الى أن قال : فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول ان الاشتراكية عدوة للاديان أم الاجدر بنا أن نعرف أن كبار رجال الدين كانوا يهاجمون جموع العمال والفلاحين وهم الذين يصبون اللعنات على كفاح من أجل خيرهم وحريتهم • »

٥ ـ بالنسبة للمتهم الخامس أبو سيف يوسف أبو سيف :

ألف ونشر كتاب « حول الفلسفة الماركسية ردا على العقاد وقد جاء بالصحيفة ٣٧ ما يأتي :

« التاريخ اذن يعلمنا أنه لا وجود للحريات الفردية طالما انقسم المجتمع الى طبقة تستغل وغالبية تخضع وتشقى وأن هذه الحريات ان كان قد اكتسب بعضها فلم يكن ذلك الا عن طريق كفاح الشعوب ضد مستغليها » الى أن قال « اننا نعلم حق العلم انه فى ظل النظام الرأسمالى القائم على استغلال الانسان لأخيه الانسان لا يمكن أن توجد حرية حقيقية بالنسبة للغالبية العظمى وذلك لسببين الاول هو أن الحريات فى المجتمع البرجوازى حريات ورقية وهى تفسر فى هذا المجتمع لصالح طبقة معينة دون الطبقة الكادحة . »

وقال فى صحيفة ٥٣ و ٥٤ بعنوان الماركسية فى التطبيق ما نصه :

« وقد زعم العقاد ان قادة الاتحاد السوفييتى الماركسيين قد آمنوا ببعض مبادىء ماركسية ثم عدلوا عنها عندما فشلوا فى تطبيقها فعادوا وأقروا حق التملك والتوريث والفروق فى المعاش واعلان العصبية القومية ولكن العقاد للاسف يستغل ثقة قارئه به عندما يتحدث عن العشرين سنة من التجارب الفاشلة ولكن يحق لنا أن نسأله بدورنا أية تجارب فاشلة . ان القارىء يستنتج من كلامه أن الماركسية تنكر حق الملكية الخاصة وأنها ترمى الى محو كل شكل من أشكالها والواقع أن هذا غير صحيح بالمرة فقد كان انجلز يعترف منذ البداية أن الملكية الخاصة هى الدافع الى الابتكار والاجادة ولكنه فى الوقت نفسه ينكر أن يكون هذا الحق الطبيعى فى التملك وسيلة لان يستغل الانسان انسانا آخر ولقد لاحظ انجلز أيضا أن تسعة أعشار المجتمع الذى نعيش فيه محرومين من الملكية الخاصة وبالتالى كان العشر الباقى يمارس هذا الحق ممارسة سيئة تحول بين التسعة أعشار وبين الارتفاع الى مستوى لائق يبشر به وقد طبق هذا المبدأ الماركسى فى الاتحاد السوفييتى بكيفية تتفق مع ظروف المجتمع الداخلية والخارجية هناك الى أن قال « وفى الاتحاد السوفييتى يتقاضى العامل أجره بحسب عظم المسئولية الملقاة عليه وتبعا لكيف وكم العمل الذى يؤديه .. » .

وقال فى صحيفة ٥٥ :

« فالماركسية اذن لم تنكر هذا الحق المقدس فى التملك ولكنها تنكر أن يؤدى الى استغلال الانسان للانسان » .

وقال فى صحيفة ٥٧ :

أن الماركسية بمنهجها العلمى الدياليكتيكى تعد كما لاحظ بحق زيبيه موبيليا فلسفة حركة بل لعل الافضل أن يقال أنها الفلسفة الاولى والوحيدة للحركة العالمة حركة العقل البشرى فى محاولته أن يتوافق مع الدافع الحقيقى توافقا وثيقا .

**٦ ـ بالنسبة للمتهم السادس نعمان سعد الدين عاشور :**

ألف مقالا نشر بمجلة الفجر الجديد ( العدد ١٣ السنة الاولى ) بعنوان « ستالين فى الثورة الاشتراكية » وقد جاء بالصحيفة ١٨ ما نصه :

« كانت شمس أكتوبر قد أشرقت على أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الارض برئاسة لينين وهكذا بدأ تاريخ الفقراء من هذا اليوم وما بعده وقضى نهائيا فى سدس الكرة الارضية على استغلال الانسان وتحقق فى النهاية حلم أجيال من النفوس الحرة ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ البشرى السحيق تنشد الحق وتأمل الخير وتروم للانسان حياة كريمة على الارض بنجاح الثورة البروليتارية الاشتراكية ودخلت الانسانية فى عصر جديد أشرف ليل الرأسمالية الطويل الحالك على النهاية وها هو نهار الاشتراكية يبزغ أخيرا والشمس تبدو من الشرق » .

**٧ ـ بالنسبة للمتهم السابع صادق سعد :**

جاء فى مقاله المنشور للفجر الجديد فى العدد الثالث عشر من السنة الأولى بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور تحت عنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية . »

« ان طبقة العمال وطبقة الكادحين استولت فى هذه الثورة على الحكم السياسى فى روسيا وقد أفسحت هذه الثورة لاول مرة فى التاريخ المجال أمام العمال بخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة طفيلية فيه على عرق الكادحين بل ينتج الشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه لان وسائل الانتاج ملكا له لا لغيره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتحطيمه الاستغلال والطغيان وازالة نظام الطبقات أن ينظم الانتاج المادى والادبى وأن يوفر التعليم والراحة والطمأنينة للشعوب .

« ومن ثم فان ثورة أكتوبر تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ البشرية فهى المحقق فى مغزاها من تصورات الرجعيين لانها تؤكد للشعوب أن الحرية ليست بعيدة المنال وتضرب للشعوب المثل التاريخى فى المنهج العلمى الذى يجب أن يتبع للحصول على الحرية الاشتراكية أى الحرية الكاملة » .

**٨ ـ بالنسبة للمتهم الثامن أحمد رشدى صالح :**

نشر المقالين الصادرين من المتهمين نعمان سعد الدين عاشور وصادق سعد بمجلة « الفجر الجديد » وهو رئيس تحريرها .

**٩ ـ بالنسبة للمتهم التاسع أحمد شكرى سالم :**

**أولا ـ بالنسبة للتهمة الأولى :** جاء بالمقال الذى نشره بعنوان « ماذا علمتنا هذه الحرب صحيفة ٢٢٢ بالنشرة الخامسة من البحوث الاجتماعية والسياسية والعلمية الذى أصدرتها دار الابحاث العلمية والتى تم طبعها وتوزيعها على الجمهور سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

« لقد أظهرت لنا هذه الحرب الاتحاد السوفييتى بشكله الحقيقى كقوة شعبية الى أن قال كقوى ترمى الى ايجاد عائلة من بنى الانسان يعيشون على قدم المساواة فى عالم حر ليس فيه مالك ولا مملوك فنظرة العالم الى الاشتراكية والشيوعية الان هى قوة من القوى المنتصرة بل تقف فى طليعة القوى المنتصرة .

**ثانيا بالنسبة للتهمة الخاصة بالاتفاق الجنائى :** حرر هذا المتهم مذكرة عن الظروف التى مرت به عن اعتقاله على ذمة هذه القضية ومراحل التحقيق معه وحرر صورة بقدر ما دعته ذاكرته وسلم هذه الأوراق الى المتهم الثالث أسعد حليم وقد ثبت نسبة هذه الاوراق اليه من مضاهاة البيانات الواردة بها على ما تم معه من تحقيق فقد ثبت بالاوراق أن كاتبها معيد بكلية العلوم وأن حضرة وكيل النيابة الذى قام بتفتيشه لم يعثر على شىء وانه لم يقبض عليه عقب التفتيش مباشرة وثبت فى محضر استجوابه الساعة السادسة والنصف صباحا أن حضره وكيل النيابة أرسل ضابطا لاستدعائه ثم استجوبه وألقى القبض عليه وثبت بالاوراق المنسوبة لاحمد شكرى سالم أيضا أنه بقى بالسجن مدة عشرة أيام بعد القبض عليه ثم استدعته النيابة وحقق معه حضرة الاستاذ أحمد موافى وكيل النيابة وتبين فعلا أن أحمد شكرى سالم حقق معه الاستاذ أحمد موافى وكيل النيابة فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٦ وكان قد قبض عليه فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ وقد ثبت أيضا بالتقارير المنسوبة لاحمد شكرى سالم جميع الاسئلة الموجهة اليه بالتحقيق وتبين أنها صورة طبق الأصل مع اختلاف طفيف مرده ما قد يكون قد استعصى على ذاكرته .

١٠ - بالنسبة للمتهم العاشر محمود فتحى الرملى :

جاء بكتاب « هدف الاشتراكية » الذى ألفه محمود فتحى الرملى « وتم طبعه وتوزيعه على الجمهور بالصحيفة ٢ ما يأتى :

« ليس هناك مبدآن اذن اشتراكية وشيوعية وليست الأولى كما تظن الناس تحقيقا للثانية كلا فكلاهما له أهداف واحدة وفلسفة واحدة هى التى نستعرضها فيما يلى بايجاز ولكن الخلاف الوحيد بين الاثنين فى الوسيلة فالاشتراكيون يقولون اننا نؤمن بمبادىء انسانية فيجب أن نكون انسانيين فى طريقة تنفيذها والشيوعيين يقولون أكثر انسانية لانهم يريدون أن يضعوا حدا لآلام البشر فى أسرع وقت وانهم فى هذا كالطبيب الذى يقوم بعملية جراحية قد يتعب منها المريض ربع ساعة ولكنها تنقذ حياته وتسعده وتريحه مدى الحياة وليست الثورة أكثر من عملية جراحية لا بد منها لمجتمع مريض ٠

وجاء بصحيفة ٤ :

« ومن هنا يرى الاشتراكيون أن ظهور الملكية الفردية قد شطرت المجتمع الواحد الى طبقات وان انقسام الناس الى ملاك وعبيد أو رأسماليين وعمال قد خلق فى المجتمع تناقضا وصراعا » ٠

الى أن قال فى صحيفة ٨ :

فليس ثمة طريق للاصلاح اذا سرى الغاء الملكية الفردية لتلغى وجود الطبقات فى المجتمع ٠

وقال فى صحيفة ١٦ :

والتطور يجرف كل هؤلاء أمامه ويكتسحها اكتساحا فى سبيل أن يفرض نفسه والويل للغبى الاحمق الذى يخيل اليه أن يوقف عملية التطور أو يؤخر دوراتها دقيقة واحدة ٠

١١ - وبالنسبة للمتهم الحادى عشر أنور كامل :

فقد صدر كتابه « لا طبقات » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور بالعبارة الآتية « أيها الزميل اقرأ هذه الرسالة على أكبر عدد ممكن من أصدقائك ولا تنس أن ترسلها الى الأقاليم ٠

وورد فى الصحيفة السادسة :

« ما السر فى تمتع الاقلية الضئيلة بخيرات الارض وما تحتها وما فوقها وحرمان الاغلبية الساحقة من هذه الخيرات كلها ، السر فى هذا هو نظام الطبقات والسر فى هذا هو التوزيع الطبقى لوسائل الانتاج » .

وقال أيضا : « أعراض ثلاثة لمشكلة واحدة تستمد بذورها من هذا النظام الاقتصادى البائد القائم على تقسيم المجتمع الى طبقات مستغلة ووضعت بالقوة أيديها الجشعة على وسائل الانتاج وطبقات مستغلة يحرمها المستغلون من كل شىء الا من قوة العمل الكامنة فى سواعدهم أو فى كفاءتهم الذهنية » .

وجاء فى صحيفة ١٩ ما نصه :

« نحن صوت الجماهير صوتها الصاعق الحار ينادى بتحقيق الاشتراكية بتحقيق الملكية العامة لوسائل الانتاج وتطبيق قانونها العادل من كل حسب قوته ولكل عمله أما تلك الطفيليات التى لا تعمل شيئا فهؤلاء لا يأكلون .

**١٢ ـ بالنسبة للمتهم الثانى عشر عمر رشدى :**

فقد ورد بكتابه « وطنيتنا » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور فى الصحيفة السادسة اقتباس من عبارات كارل ماركس ما يأتى :

« بقدر ما يوضع حد لاستغلال الفرد بواسطة فرد آخر بقدر ما ينتهى أيضا استغلال شعب لشعب آخر وبمقدار ما تزول الخلافات بين الطبقات فى الأمة بمقدار ما تتلاشى عداوة أمة بأخرى . »

وورد فى الصحيفة الثانية :

« فانتهى عهد المنافسة الحرة وبدأت الرأسمالية الاحتكارية تأخذ سبلها معتمدة على الامبريالية التى هيأت لها وسائل استغلال مئات الملايين من سكان المستعمرات ومن هنا نشأت الوحدة بين التحرر الوطنى والتحرير الطبقى وأصبح للطبقة العاملة فى الامة الغاصبة والشعب المستعبد فى الامة المغلوبة على أمرها عدو مشترك واحد هو الامبريالية والرأسمالية والاحتكارية .

ثم رتب المؤلف على ما أوردناه فى البند السابق نتيجة يجب اتباعها فى كل الحركات القومية مؤداها أن تراعى طبقة البروليتاريا فى

مساهمتهـا فى الحركات التحريرية الوطنية وأجبها الاصلى فى النزاع الطبقى العـالمى فقـال فى الصحيفة الثالثة والرابعة من كتابة دون شك يجب على البروليتاريا أن تقـاوم الاستعباد القومى فمسائل القمـع الذى يلجـأ اليهـا الاجـانب تضر مصالحها أكثـر ممـا تضر مصالح البرجـوازية وتؤخـر تقدمها الفكرى رغم ان انغمارها فى هـذا الكفـاح القومى يصدر عن كفاحهـا الطبقى ويتيح للبورجوازية اللئيمة أن تردد أناشيد المصالح المشتركة بين أبناء الشعب الواحـد ويتحتم عليـه الحـذر تلبية سياسة البورجوازية الخبيثة التى ترى من مصلحتهـا اثارة النزاع القومى واطـالتـه وزيادة اشتعاله ثم اقتبس من البيـان الشيوعى العبارة الاتية : « يتميز الشيوعيون عن غيرهم من أحزاب العمال الاخرى بهذا فقط :

أولا : يبينون ويبرزون المعـارك القوميـه بين البوروليتاريا فى مختلف البلدان والمصالح المشتركة للبروليتاريا جميعا مستقلة عن أية قومية ·

ثانيا : يمثلون دائما فى كل مكان مصالح الحركة ككتلة واحدة فى مختلف مراحل التقدم التى يمر بهـا كفـاح الطبقة العاملة ضد البورجوازية ·

ثم عالج المسألة الوطنية المصرية والسابق شرحها فقال انها تتناقض مع الامبريالية لانهـا لا تعيش الا على الاستغلال والاستعمار وتتفق مع الشيوعية التى تسعى الى القضاء على الأثنين معا ومن هنا يجب محاربة النزعات الوطنية الخاطئة أو النزعات الاستعمارية المريبة حتى يدرك ان من يسمون أنفسهم اشتراكيين تتعارض توجهاتهم مع قضية البروليتاريا العالمية · ثم ختم كتابه بالعبـارات الآتية :

« ما أبلغ ستالين حين يقـول أن مصير الحركات القومية التى هى أصلها حركات بورجوازية مرتبط ارتباطا طبيعيا بمصير البورجوازية ولا يستطاع زوال الحركات القومية نهائيـا الا بزوال البورجوازية فالسلام الدائم لا يمكن اقامته الا فى ظل الاشتراكية » ·

**١٣ ـ بالنسبة للمتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك :**

حرر هذا المتهم مذكرة عن المدة التى قضاها فى الحبس الاحتياطى على ذمة هذه القضية وقد صدرها بالغرض من تحريرها وهو استفادة الرفاق فيما سوف يلاقون فى المستقبل من اضطهاد وهى واضحة الدلالة على ميوله الشيوعية واشتغاله بترويجها فقـد ذكر أنه مع زملائه فى السجن كانوا يعملون على تقوية روحهم المعنوية بالقـاء الاناشيد الشيوعية بصوت خافت ثم فحص موقف زملائه

الشيوعيين جميعا بالسجن فنعى على بعضهم قعود الهمة ووصف غيرهم بأنهم فاشرين وأشاد بالباقين قائلا أن لديهم روحا ثورية كفاحية عالية ثم استخرج العبر مما مر من تجربة داعيا الرفاق الى الاستفادة منها فى المستقبل ولخص عمله كشيوعى بما قاله لينين « أعمال الشيوعية عبارة عن دراسة ودعاية وتهييج وتنظيم » ٠

وقد سلم تقريره هذا الى زميله المتهم الثالث أسعد حليم مع بقية زملائه الآخرين الذين دونوا مثل هذه التقارير ٠ وقد أنكر أنور اسكندر عبد الملك صدور التقرير منه الا أن البيانات الواردة به تقطع أنه هو الذى حرره فقد ثبت بالتقرير أن التفتيش الذى أجرى معه قام به أحد حضرات الضباط وأنه بعد أن فتشه نقله الى سجن الأزبكية ثم بعد ذلك نقل الى سجن الاستئناف واستجوبه حضرة وكيل النيابة أحمد مختار قطب ثم حقق معه حضرة وكيل النيابة الاستاذ أحمد موافى على مرحلتين وهذا ما وقع فعلا بالنسبة لانور اسكندر عبد الملك وثبت أنه المتهم الوحيد الذى استجوبه حضرة وكيل النيابة أحمد مختار قطب وحقق معه الاستاذ أحمد موافى ٠

وعلاوة على ما تقدم فقد استكتب أنور اسكندر عبد الملك بمعرفة حضرة الطبيب الشرعى بعض عبارات التقرير فتبين كنتيجة للمضاهاة أن التقرير بخطه وبالاضافة الى ما تقدم فقد ضبط مع أنور اسكندر عبد الملك بداخل شنطة يحملها تقرير باللغة العربية بالآلة الكاتبة مؤرخ ١٩٤٦/١١/٣٠ عنوانه : « تقرير اللجنة المركزية لمؤتمر الكادر الخامس » وهذا التقرير يعلق على الحركة الشيوعية فى الشرق الأوسط والحركة الشيوعية بصفة خاصة فى مصر وموقف المنظمات المختلفة وطرق التنسيق بينها ومدى توصل الشيوعيين المصريين فى الحركات الوطنية وضبط معه أيضا تقرير باللغة الانجليزية من خمس عشرة ورقة فيه بحث فى الحركات الشيوعية ٠

**١٤ ـ بالنسبة للمتهم الرابع عشر كمال محمد عبد الحليم :**

حرر هذا المتهم مذكرة بخطه عن المدة التى قضاها بالحبس الاحتياطى على ذمة هذه القضية وقد ضمن هذا التقرير ملاحظاته على ما مر به خلال مرحلة التحقيق ووصف زملائه فى الحبس الاحتياطى ناعيا على بعضهم أنهم مع كونهم من الشيوعيين القدماء فانهم يتصرفون تصرفات لا تتفق مع ميولهم وسياق هذه المذكرة يدل على أن صاحبها يعتنق المذهب الشيوعى ويدعو له وقد ضمنها كمال محمد عبد الحليم من طريق دلالة الوقائع التى تضمنها ما يدل على شخصه فقد وضح بها أن كاتبها طالب بكلية الحقوق وأنه فتش بمعرفة البوليس

وان من بين الكتب المضبوطة عنده كتاب ( روح الاشتراكية ) لغوستاف لوبون وهذه الوقائع كلها تتفق مع ما حدث لكمال محمد عبد الحليم وثابت بالمذكرة أن كاتبها دافع عن نفسه بالنسبة للكتب الشيوعية وحيازته لها بأنه فعل ذلك بحكم دراسته القانونية بكلية الحقوق وتبين فعلا أن كمال محمد عبد الحليم التزم هذا الدفاع فى التحقيق الذى أجرى معه وأثبت كاتب المذكرة أنه قد أثار اشكال بالنسبة له فى التحقيق خاصا بترجمة كلمة معينة وأنه تنصل من هذه الترجمة وطالب بمضاهاة الخط وقد وقع هذا فعلا مع كمال محمد عبد الحليم .

**١٥ - بالنسبة للمتهم الخامس عشر عبد اللطيف دهب حسانين :**

حرر تقريرا من ستة ورقات عن المدة التى قضاها بالحبس الاحتياطى وفيه شرح كيفية القبض عليه وكيف فتش منزله وعالج موقف زملائه الذين كانوا بالحبس الاحتياطى معه ونعى على بعضهم الانحلال وأشاد بارتفاع الروح المعنوية عند الآخرين وقد سلم هذا التقرير الى زميله أسعد حليم وقد ثبت نسبة هذا التقرير الى عبد اللطيف دهب حسنين من دلالة الوقائع الثابتة بالمذكرة على شخصيته فقد ثبت من هذه المذكرة أن كاتبها قد ضبط عنده كتاب « الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية » وان حضرة وكيل النيابة الذى استجوبه هو الذى استجوب رمسيس يونان وان رمسيس يونان أجاب أنه بعد عن السياسة من زمن بعيد ويعمل بالفن فقط وأنه سجن بسجن الاستئناف وان حضرة وكيل النيابة الذى حقق معه سأله عن مقالات كتبت فى أم درمان وعن عمله فى السودان ووضع الهيئات السودانية وعضويته فى دار الابحاث ولجنة نشر الثقافة وعلاقته بهنرى كورييل وقد ثبت أن هذه الوقائع كلها حدثت مع عبد اللطيف دهب حسنين وبالاضافة الى ما تقدم فقد ضوهى التقرير الصادر من عبد اللطيف دهب حسنين مع الطلب الذى تقدم به المذكور بخطه الى حضرة صاحب السعادة « وكيل وزارة الداخلية » لفتح مكتبة أم درمان فتبين لحضرة الطبيب الشرعى ان خط الطلب الذى كتبه عبد اللطيف دهب حسنين يتفق مع خط التقرير المنسوب اليه عن المدة التى قضاها فى السجن .

**١٦ - بالنسبة للمتهم السادس عشر هنرى كورييل :**

ما ذكرته النيابة من أنه ثبت أن هذا المتهم يدير مكتبة وقد استخدمها لبيع الكتب الشيوعية وقد أرفقت الأوراق محاضر بالاطلاع على مضمون الكتب وثبت أيضا أنه ساهم فى العمل فى مجلة « حرية الشعوب » وقد خصصت هذه

جانبـا من نشاطها للعمـال ومنحتهم امتيازا عنـد اشتراكهم فيهـا بتخفيض هذا الاشتراك الى نصف القيمة وكانت بعض مقـالاتها تشير الى نظـام جديد لم تحدده وفى احدى المرات وفى مجال دفاعها عن طبقة العمال وصفت طبقة الخادمين بأنهم أسياد المخدومين وحدث أن ضبط هنرى كورييل فى ليلة ٥ ديسمبر ١٩٤٦ مع السيد سليمان رفاعى ( السابع عشر ) وشحاته هارون ( الثامن عشر ) ومحمد صبحى زغلول ( التاسع عشر ) وحامد حمداى ( العشرين ) وهم باحدى الحانات يتدارسون ولـما فتش زملائهم تبين أنهم يحوزون أوراقـا تدل دلالة واضحة على ميولهم الشيوعية واشتغالهم بترويجها ٠

**١٧ ـ بالنسبة للمتهم السابع عشر والسيد سليمان الرفاعى :**

ضبط هذا المتهم مع هنرى كورييل وشحاته هارون وصبحى زغلول وحامد أحمد حمداى بحـانة « بج بن » يتدارسون وتبين أن هذا المتهم له نشـاط شيوعى من ديسمبر ١٩٤٥ وأنه خال عمله بالجيش شـكت ادارة المخـابرات الحربية أنه يعمل على ترويج المذهب الشيوعى وقـد ضبط فى منزل أحد زملائه المشتبه فى أمرهم وضبطت فى هذا المنزل أيضا كتب وأوراق تبحث فى الشيوعية وأوراق تدل على وجود منظمات شيوعية ونسخة من مجلة أسمها « الواقع » وهى مجلة سرية تدعو للشيوعية ٠

وقـال هذا المتهم عند استجوابه بمعرفة النيـابة لـما ضبط مع هنـرى كورييل والاخرين أن علاقته بهنرى كورييل مردها رغبته فى التزود بمعلومات عن المذاهب الشيوعية وأنه قصد مكتبته « مكتبة الميدان » واشترى منهـا كتابين لهـذا الغـرض وكان فوق ذلك يلتمس من هنـرى كورييل ليوجد له عملا ٠

**١٨ ـ بالنسبة للتهم الثامن عشر شحاته هارون :**

ضبط هذا المتهم مع هنرى كورييل فى حانـة « بج بن » كما وضحنا آنف وقـد أسفر التفتيش فى منزل شحاتة هارون عن ضبط أوراق بها بعض رموز وأسماء غير مفهومة ومذكرات عن وجوب مساهمة الطبقة العـاملة فى الحركات الوطنية ووجوب نقاء النظرية المـاركسية والنظرية الثورية نظرية الطبقـة العاملة ويكون هذا بتكوين أداة سرية والعمل على تكوين كادر شيوعى ودروس شيوعية يظهر أنهـا تلقى فى مكـان معين وكتب تبحث فى الشيوعية ٠

**١٩ ـ بالنسبة للمتهم التاسع عشر محمود صبحى زغلول :**

ضبط هذا المتهم مع هنرى كورييل بحانة « بج بن » على النحو السابق ذكره وقـد أسفر تفتيش منزله عن حيـازته كتب شيوعية وأوراق تشير الى

عنايته بترويج المذهب الشيوعى وقد وجدت معه أوراق بها رسم لبعض الميادين العامة واشارة الى منشورات تلصق بها أوراق تتضمن بيانات غامضة عن الأمان والغياب والحضور والتنظيم وبحث حالة الاتحاد السوفيتى ومزايا علاقته بالشعوب فى الشرق الاوسط ٠

**٢٠ - بالنسبة للمتهم العشرين حامد أحمد حمداى :**

ضبط مع هنرى كورييل ومحمد صبحى زغلول والسيد سليمان رفاعى وشحاتة هارون فى حانة « بج بن » على نحو ما وضحنا وقد ضبطت معه أوراق تشير الى ميوله الشيوعية والى عمله على الترويج لها من محاضر جلسات الى بحث مقالات وبحث طريقة نشرها بالمجلة السرية ٠

وحيث أنه علاوة على ما تقدم بيانه فان النيابة العمومية تتهم المتهمين جميعا بأنهم يتصلون ببعضهم وأنهم يسعون لهدف واحد وتجمعهم رابطة اتفاق واحدة وتستخلص ذلك مما ورد بالتقارير التى ضبطت مع أسعد حليم من ذكر المنظمات واتحاد أشخاصها واستعراض لأسماء المتهمين واحدا واحدا وذكر أوجه النظر والملاحظات بالنسبة لهم وما يمكن أن ينتظر من كل واحد منهم فى هذا الكفاح كما نستخلصه أيضا من تقارير البوليس السياسى التى تشير الى اتفاق هؤلاء الاشخاص جميعا على نشر المذاهب الشيوعية وقد دلت التحقيقات على وجود هذه الرابطة بينهم من أقوالهم وتداخلهم فى مؤسسات ومنظمات واحدة ٠ وحيث أن ممثل النيابة العمومية قد أوضح فى مرافعته أن وصف الجريمة المعاقب عليها بالمادة ٢/١٧٤ ع لا يقتصر على من يحبذ بنفسه استعمال القوة لتغيير نظم الهيئة الاجتماعية الاساسية أو مبادىء الدستور الاساسية بل يتناول كذلك من ينشر أو يحبذ المذاهب التى ترمى الى تغيير هذه المبادىء أو هذه النظم بالقوة ولو لم يفصح بنفسه باستعمالها وأن المقصود هو مكافحة الدعايات الهدامة لا محاربة البحث العلمى الخالى من الايحاء والترويج وأضاف أن الكتب فى ذاتها تعتبر دليلا على ميل الشخص وهوايته وأنه لا يكفى لتبرئة المتهم فى هذه الحالة القول بأنه لم يشر باستعمال القوة أو أنه كان يحارب الملك والفساد مادام المذهب الذى يحبذه يقوم على أساس التذرع بالقوة والارهاب وما دام القانون قد فرق بين مبادىء الدستور والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية كالملكية الفردية ونظام الطبقات وغيره فالدعوة لالغائها محرمة فى العهد الحاضر كما كانت محرمة فى الماضى ٠

وحيث أن المتهم التاسع أحمد شكرى سالم قد دفع بعدم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها اذ سبق أن حوكم بتهمة الانضمام الى منظمة

شيوعية والترويج للمبادىء الشيوعية فى القضية رقم ٣٦ الرمل ١٩٤٩ لـ٩٠/٤٩ عسكرية عليا وحكم عليه فى ١٩٤٩ بالسجن لمدة سبع سنوات عن تهمة الانضمام لمنظمة شيوعية ٠

وحيث أن الحاضر عن المتهم الثالث أسعد حليم فى التحقيقات قد دفع ببطلان القبض عليه والتفتيش فى محطة حلوان وقد تمسك الدفاع عن المتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك بهذا الدفع لما له من مصلحة فيه واستند الى أن المخبر عبد العليم على النجار الذى أجرى ضبط أسعد حليم اتخذ هذا الاجراء دون مبرر ودون شبهة اذا لم يكن هذا المتهم فى حالة تلبس أو فى احدى الحالات التى يبيح فيها القانون مثل هذا الاجراء وانه يترتب على بطلان هذا القبض والتفتيش بطلان ما يترتب عليه من اجراءات ٠

ومن حيث أن المتهم الرابع محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمى قد دفع أيضا ببطلان التفتيش والتحقيقات الاولى ذلك لانه لم يكن موضوع أى اتهام ٠ ومن حيث أن المتهمين من السادس عشر الى العشرين قد دفعوا أيضا ببطلان القبض عليهم بمقهى « بج بن » وببطلان أمر التفتيش اللاحق لانهم لم يكونوا فى حالة تلبس ولا فى أى حالة من الحالات التى يجيز فيها القانون مثل هذا الاجراء ٠

ومن حيث أن جميع المتهمين قد أنكروا تهمة الاتفاق الجنائى سواء كان فى نطاق واسع أو فى نطاق ضيق أنكروا وجود أية صلة أو علاقة بينهم وانه لا دليل على وجود مثل هذه الصلة ولا على اتحاد اراداتهم وان أركان جريمة الاتفاق الجنائى غير متوفرة وأما بالنسبة للمتهمين من السادس عشر الى العشرين الذين ضبطوا بمقهى « بج بن » فان مجرد وجودهم جالسين فى هذا المقهى لا يعتبر دليلا على قيام اتفاق جنائى بينهم خصوصا وأنه لم يثبت وجود صلة سابقة على واقعة الضبط وان هذه المقابلة قد تكون لغرض صحفى أو غير ذلك من الأسباب المشروعة ولم يعثر معهم على أية ورقة تثبت قيام الصلة بين هؤلاء المتهمين الخمسة أو بينهم وبين أية منظمة وألا تتوفر جريمة الاتفاق الجنائى الا اذا كان لها قوام زمنى وتنظيمى ٠

وحيث أنه عن موضوع الكتب والمقالات المضبوطة وتهمة الترويج لمذاهب ترمى الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب فيخلص دفاع المتهمين فى شرح الظروف التى وضعوا فيها هذه المؤلفات على اثر الحرب وقتئذ ان كانت روسيا حليفة الديموقراطيات وقد خرجت منتصرة من الحرب الاخيرة بعد دفاع باسل فكان الجميع يشيدون بفضلها فمثل هذه

الكتب كانت معروضة فى كل مكان ولا عقاب على حيازتها • وأما عن مؤلفاتهم فقد قصدوا منها مجرد البحث العلمى والتاريخى لا الترويج فأكد المتهم الرابع ان كتابه عبارة عن بحث دينى اذ سرد المؤاخاة الاسلامية وما اتخذه الرسول من نظام اقتصادى وأن الدين الاسلامى الحنيف فيه من النظريات السياسية والاقتصادية ما يسمح بالتطور ومن هذه الناحية فهو بحث دينى وعلمى ولا بد من النظر الى جميع مؤلفات المتهم وأبحاثه وهو عالم بكلية أصول الدين وواضع كتب ومؤلفات عديدة لامكان تقدير ثقافته وتحديد غرضه •

وأشار الحاضر عن المتهم السادس نعمان سعد الدين عاشور الى أن موكله حائز على ليسانس الاداب - ويشغل وظيفة رئيس قسم السينما والاعلان بوزارة الشئون الاجتماعية فهو أديب لا سياسى ويقوم بتحرير الصحيفة الادبية فى عدة جرائد ومجلات كما أن مجلة الاذاعة ومجلة التحرير ينشران له قصص وتراجم • أما الكتاب المسند اليه فى القضية الحالية فما هو الا ترجمة لستالين وهذا الكتاب عرض تاريخى بأسلوب أدبى وشعرى ولم يجاوز حدود روسيا اذ حدد ذلك بعبارة « فى سدس الكرة الأرضية » •

وقدم الدفاع عدة نشرات فى موضوعات مماثلة نشرت فى الجرائد السيارة ونشرات السفارات الأجنبية وغيرها •

وذكر الدفاع عن المتهم الثامن كيف أن القضية الحالية نشأت فى وقت ارهاب وضعت فيه تقارير زائفة قصد بها ارضاء الحاكم وتعطلت الصحف وصودرت عدة مجلات لحملتها على الحكومة القائمة فى ذلك الوقت وهى وزارة اسماعيل صدقى التى أصدرت فى هذه الظروف المرسوم بقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٤٦ وأشار الى الاستجواب الذى وجه للحكومة بمجلس الشيوخ والحملة الشعواء التى أثارتها ضدها المعارضة وذكر بأن المتهم أحمد رشدى صالح نشر بمجلة « الفجر الجديد » ثلاث وعشرين مقالا فى محاربة الوزارة والمطالبة بحكومة ديمقراطية فكان أول داعية للتمسك بأسس الدستور كما أنه ألف عدة كتب وطنية وثقافية أما المقالين موضوع الاتهام فهى تقرير للواقع وبحث علمي عن ثورة روسيا كما أنه سبق أن كتب عن ثورة انجلترا وفرنسا وغيرها من البلدان فليس فى ذلك أى ترويج أو تحبيذ •

وذكر الدفاع عن المتهم الثانى عشر محمود فتحى الرملى أن كتابه موضوع هذه القضية ما هو الا سرد نظرية علمية بحتة وأن له أبحاث ونشرات عديدة فيجب التفرقة بين عمله الثقافى وعمله السياسى وهو كرجل سياسى قد روج علانية لمبدأ الاشتراكية وأوضح أغراضها فى نشرة وزعها على الشعب

بمناسبة ترشيحه للانتخابات على هذا المبدأ الذى روج له وبين صراحة ما يسعى اليه بالطرق السلمية المشروعة ٠

وذكر الدفاع عن المتهم الحادى عشر أنور كامل أنه ليس فى كتابه أية عبارة يمكن اعتبارها ترويج للمذهب الشيوعى بل أن للمتهم كتاب آخر انتقد فيه الشيوعية صراحة ونعتها « بأفيون الشعوب » وأوضح ثقافة المتهم وسعة اطلاعه وهو يشغل وظيفة رئيس مكتب العمل بشركة السكر بنجع حمادى وقد أرسلت الشركة للمحكمة برقية تشيد فيها باستقامته وجده فى العمل ٠

وذكر الدفاع عن المتهم الثانى عشر عمر رشدى أن كتابه عبارة عن بحث علمى بحت وانه لا يحل للافتراض أن الشيوعية لا بد أن تلازمها القوة فالشيوعية نظام اقتصادى فى حين أن البلشفية هى النظام السياسى الذى يرمى الى استعمال العنف ٠

وذكر الدفاع عن المتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك ان هذا المتهم قد فوجىء بتفتيش مكتبه بالبنك الذى كان يشتغل فيه ومنزله بمعرفة النيابة دون أن يعثر على شىء ما ٠ أما المذكرة المسندة اليه والتى ينكرها المتهم ففضلا عن أنها ضبطت فى تفتيش باطل فهى لا تعتبر دليلا على قيام اتفاق جنائى خصوصا وأن الشخص الذى وجدت معه لم ينسبها لهذا المتهم وذكر صراحة بأنه باعتباره صحفيا قد قصد من هذه التقارير اجراء تحقيق صحفى عن المتهمين وعن طريقة معاملتهم فى السجن ٠

وذكر الدفاع عن المتهم الثامن عشر الاستاذ شحاته هارون المحامى أن ما ضبط عنده من كتب ومجلات أغلبها باللغة الفرنسية لا يعتبر دليلا على اتجاه معين وأن البحث العلمى يقتضى الاخذ بكل الثقافات فمكتبته تجمع ألف وخمسمائة مؤلفا وقد أصر على أن المذكرات التى ضبطت عنده ليست بخطه وقد تأيد ذلك بتقرير الخبير وأما عن علاقته مع كورييل فلا تعدو علاقة المحامى بموكله وليس فى مقابلاته العرضية له بمقهى « بج بن » المجاور لمنزله ما يدل على قيام أى اتفاق جنائى بينهما ٠

وذكر المحامى عن المتهم التاسع عشر محمود صبحى زغلول أنه لا دليل على الاتفاق الجنائى ولا صلة بينه وبين المتهمين الذين ضبطوا بالمقهى وان الكتب المضبوطة عنده معروضة فى كل مكان ولا عتاب على حيازتها ٠

وطلب جميع المتهمين الحكم ببرائتهم مشيرين الى أن كل منهم قد أصبح رب عائلة ويشغل منصبا هاما وانه لم يبدر من أحد منهم خلال العشر سنين الماضية أى نشاط ضار أو تحبيذا أو ترويج للمبادىء الهدامة ٠

وحيث أنه للحكم على التهم المسندة للمتهمين من حيث ثبوتها أو عدم ثبوتها ترى المحكمة لزاما عليها بادىء ذى بدء أن ترجع النظر الى الوقت الذى نشر فيه المتهمين كتبهم ومقالاتهم المقدمون على أساسها للمحاكمة وأن تستعرض الاحداث التى كانت جارية فى ذلك الوقت والملابسات التى حدت بهم الى نشر ما نشروه فقد كان على رأس الدولة ملك أخذ الملك على أنه سلطات غير محدودة يتصرف فيها كيف يشاء تحقيقا لمآربه الخاصة وأما الدستور فقد اتخذته الأحزاب وسيلة للوصول الى كراسى الحكم وخدمة الانصار والمحاسيب وضاع الصالح العام بين الفريقين أى الملك والاحزاب وجمع الملك السابق هواه فأخذ ينزلق فى مهاوى الفساد خطوة بعد خطوة وأمكن لبطانة السوء أن تلتف حوله فصارت تزين له سبل الغواية حتى تمكنت منه نزعة الاستبداد وانطلق يوغل فى طريق الموبقات لا يقيم وزنا لاى اعتبار وجعل هو وحاشيته من ورائها شتى الحكومات يظهرون أمام الناس فى صورة ظاهرها الورع وحب الخير وباطنها اقتناص الفرص واستغلال النفوذ واقتناء الاموال من غير طريقها الحلال والعبث بكل المقومات وتجاذب الطرفان نصوص الدستور وأساء تأويلها وتطبيقها حتى عمت الفوضى وجعلت الاحزاب تتداول الحكم الذى أصبح فى يد الاحزاب من وسيلة الى غاية وصار الحزب الحاكم يحرص على كراسيه ويعض عليها بالنواجذ ويضحى فى سبيل الاحتفاظ بها بكل مرتخص وغال وكان الملك السابق قد عرف سر الاحزاب ولمس مواطن الضعف فيها فجعل يضرب بعضها ببعض ويعبث بكرامتها واحدا فى أثر واحد حتى دانت له جميعا وجعلت تتنافس فى التقرب اليه واظهار الولاء له وهانت على نفسها فسهل على الملك أمر الاستهانة بها وفى هذا المضمار انطلقت الحكومات سعيا وراء مرضاة الملك وبرعت فى ابتداع أسباب هذا الرضاء نابذة أصول الدين والخلق والدستور والقوانين وكان من فرط هول هذا الفساد أن بعث اليأس والقنوط فى الكثرة العظمى من مواطنى هذا البلد الأمين ولولا رعاية من الله لأحاطت به شرور هذا العهد البغيض وجثمت عليه عشرات السنين وفى هذا الجو الخانق انفجر مرجل الكتاب والمصلحين وصار كل منهم يدلى بما عنده من آراء أو ما نقله عن غيره من الكتاب الأجانب فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أن ذلك أغضب الملك الطاغية وبوليسه السياسى فلاحقتهم الحكومات وضيقت عليهم الخناق ونكلت بالكثيرين منهم من غير تفريق بين من يبغى اصلاحا لهذا البلد اعزازا لشأنه أو من يقصد منهم الصيد فى الماء العكر بنشر الفوضى وسيادة المبادىء الهدامة بالطريق الثورى ٠ وفى هذا المعمعان أدلى كل من المتهمين

بدلوه فى هذا الولاء ونشروا ما نشروا من آراء متأثرين بهذه البيئة التى بصروا فيهـا متبرمين من هذا الفساد الذى نشر لواءه خفـاقا فى البلاد يكون لهـذا الفسـاد علاجا ناجحـا وأخذتهم حماسة الشباب المتأججة فى صدورهم الى تصور أن ما نشروه أو نقلوه عن الكتب الاجنبية عن الاشتراكية والماركسية ما قـد يكون فى بعض نواحيه مستحقا للدراسة أو البحث من الناحية العمليـة لعل الامور تنصلح وتستقر فى وضع كريم من النظم الديمقراطية التى نص عليها الدستور نفسه وقـد أنتجت هذه الآراء نتاجها فقـامت الثورة وقضت على هذا الفساد المستشرى وحطمت النظم البالية العتيقـة فالغت الاقطـاع ووزعت الأراضى على صغار الفـلاحين وألغت الألقـاب وقربت بين الطبقـات وأخذت فى تصنيع البلاد بخطى حقيقية وأشعرت العامل والفلاح بأنهما على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين كما أجلت المستعمر عن أرض الوطن وبذلك تكون هذه الثورة المباركة قـد حققت ما كان يصبو اليه المتهمون وغيرهم من المفكرين من اصـلاح وما كانوا يرددونه من آراء .

هذا ما كانت عليه مصر وقت أن نشر المتهمون كتبهم ومقـالاتهم التى يحاسبون عنهـا اليـوم بعـد أن حققت الثـورة ما حققته من اصلاح شامل فى كـافة مرافق الحيـاة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهناك عامل آخر خطير لا يقل عن عامل الفساد الذى كان يسـود مصر فى ذلك العصر البائد مما حدا بالمتهمين الى كتابة ماكتبوه ونشر مانشروه وهو انتهاء الحرب العالمية الثانية بنصر الحلفـاء على قوات هتلر وما بذلته روسيا من مجهود حربى ضخم كان له أثر فعـال فى كسب الحرب فأخـذ الكتاب فى مختلف الدول وفى مصر نفسها بالاشادة بروسيا وبرجالها وبنظـامها وأسرفوا فى المـديح وغالوا فيـه فظن المتهمون أن هذا النوع من الكتابة مبـاح وأنه لا غبـار عليه من ناحية القانون

وقد كان لهم من الكتاب الحكوميين وبعض رجال البرلمان أسوة فنسجوا على منوالهم ونافسوهم فى هذا المضمار ومن أمثلة ما كان ينشر فى الوقت مانشر فى مجلة الشئون الاجتماعية فى العـدد الثانى عشر من السنة السادسة سنة ١٩٤٥ وهى المجلة التى تنشرها وزارة الشئون الاجتماعية مقـال عن الاصلاح الزراعى فى روسيا فذكر الكاتب ما يأتى :

« نحمد الله أن أصبح لنـا من النضج فى التفكير ومن الشعور بالذاتية القومية ما يسمح لنـا بمعـالجة الموضوعات التى تتصل بالاتحاد السوفيتى على صفحات مجلاتنا وجرائدنا وكانت من قبل من الموضوعات الشائكة التى يتحرج الكـاتب من الكتابة فيهـا أو الاشارة اليهـا ورأيى فى هذا أن من حق المصريين وقـد شعروا أنهم يتقـدمون نحـو الاصلاح بخطوات واسعة أن يطلعوا

على ما تم فى الأمم الأخرى فى سبيل اصلاحها • واستطرد الكاتب بعد أن وصف حالة روسيا من الناحية الزراعية والصناعية قبل الثورة الروسية فقال « تلك صورة عامة للحالة التى كانت عليها روسيا فى الفترة التى سبقت الاصلاح ومنها ترى أن الطريق الى الاصلاح فى الروسيا لم يكن ممهدا معبدا كما يظن البعض بل ان العقبات والصعوبات التى اعترضته كانت من الخطورة بحيث لو ألقينا نظرة عاجلة بعد ذلك على تاريخ الاصلاح الروسى لما استطعنا أن نكتم شعور الاعجاب بهذا الشعب الذى تبوأ مكانه بين الدول العظمى بين غمضة عين وانتباهتها وتاريخ الروسيا فى هذه الناحية نموذج طيب للنهضات الاجتماعية الناجحة التى ترتفع بالامم من الحضيض الى أعلا عليين وهذا حافز طيب للامم الصغيرة لتنهض • بدأت الحكومة السوفيتية بأن قامت بتوزيع الأراضى توزيعا عادلا فأعطت الفلاحين الذين لم يكونوا يملكون شيئا فيما مضى نصيبهم فى الاراضى وقضت بذلك على التفرقة الهائلة التى كانت قائمة بين كبار الملاك والفلاحين •

وعرب الدكتور راشد البراوى وهو الآن مدير البنك الصناعى كتاب «لينين» « الاستعمار أعلا مراحل الرأسمالية » وقد جاء فى هذا الكتاب فى الصفحة السادسة ما يأتى « هكذا نرى كيف تحولت الرأسمالية الصناعية منذ أواخر القرن التاسع عشر الى رأسمالية احتكارية مدت شباكها الى مختلف أرجاء العالم فكان ذلك التوسع الاستعمارى الضخم ومن هنا حق لمؤلفه لينين أن يتحدث عن الاستعمار بأنه أعلا مراحل الرأسمالية أو التطور المنطقى لنمو الرأسمالية والواقع أن الامبريالية ان هى الا رأسمالية احتكارية هذه الطبقة التى لمسها ماركس وانجلز فى أواخر أيامها والتى درسها لينين دراسة وافية مستفيضة تكشف الغطاء عن حقيقة الرأسمالية فى مرحلتها الاخيرة وتلقى الضوء على جوهر الاستعمار وحقيقته واذ تعرف الشعوب المستعمرة هذه الحقيقة فانها تدرك الوسائل التى يتعين عليها اتباعها حتى تتخلص من يد الاستعمار » •

وقد أفاض كثير من الكتاب والنواب والعلماء والشعراء فى اطراء روسيا وزعمائها سواء قبل الثورة أو بعدها فوقف الاستاذ محمد خطاب فى مجلس الشيوخ ينادى بضرورة تحديد الملكية الزراعية وألا يزيد ما يمتلكه أى فرد عن خمسين فدانا ونشر فى الصحف والمجلات أراءه فتكلم عن الاقطاع وزواله وتطور الرأسمالية الى أن قال : « وظلت المعركة ناشبة بين العمال وأصحاب الاعمال الى أن أفلحت فى كل البلدان المتمدينة عن انتصار العمال وتقرير حقوق إنسانية كاملة لهم أما فى مصر فقد كانت بمنأى عن هذه الحركات الاجتماعية الانسانية وأسدل حكامها على اختلاف أجناسهم ستارا فولاذيا

بين المصريين وبين هذا التقدم الذى عم العالم بالتطور حينا وبالثورة حينا آخر ( تراجع الجمهورية عدد ٢٩ يناير سنة ١٩٥٤ - ونشر الدكتور طه حسين مقالة بعنوان ستالين بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٥٣/٣/٧ مجد فيها ستالين وقيادته وسياسته كما مجد زعماء الشيوعية - ونشرت مجلة روز اليوسف حديثا للفريق عزيز المصرى بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٥٤ تحت عنوان العمل والشرف يواجهانك فى روسيا - المأكولات متوفرة والسجون تحولت الى مطاعم - وطريقة الحكم لا هى ارهابية ولا ديمقراطية - بل انسانية - ونشرت أخبار اليوم عدد ٩ يناير سنة ١٩٥٤ حديثا للفريق عزيز المصرى تحت عنوان فى روسيا صحافة ممتازة ونشرت الجمهورية بعدد ٥ يناير سنة ١٩٥٤ حديثا أيضا لعزيز المصرى تحت عنوان روسيا بلد محب للسلام وتؤيد القضايا الوطنية ونشرت جريدة الجمهور المصرى عدد ٨ فبراير سنة ١٩٥٤ مقالا تحت عنوان ( صحف العالم تتحدث عن الرجل ) وهذا المقال كله تمجيد للينين ونشرت صورا له أثناء طفولته وكهولته والمنزل الذى ولد فيه وغير ذلك من عشرات المقالات والابحاث التى نشرها الكتاب فى مختلف الصحف عن ستالين وتطور النظام السوفيتى ونظرية تروتسكى يضاف الى ذلك نشرات الدعاية المختلفة التى تنشرها سفارات الدول التى تدين بالمذهب الشيوعى - فى مصر من ذلك نشرة الانباء التى تصدرها سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والنشرة الاخبارية لمفوضية الجمهورية الشعبية البولونية وهى تحوى دعايات كثيرة عما وصلت اليه تلك البلاد من تقدم ورقى فى مختلف النواحى وجميعها تصدر باللغة العربية ·

وحيث أنه بمقارنة ما نشره المتهمون ويحاكمون من أجله من أجله بما نشره غيرهم من الكتاب والتى أوردت المحكمة بعض كتاباتهم على سبيل المثال لا تجد فارقا بين أسلوبهم وأسلوب هؤلاء الكتاب ولا فرقا فى المعانى التى أبرزوها أو - الابحاث التى طرقوها وهى لا تتعدى السرد التاريخى أو البحث العلمى وما وصلت اليه تلك البلاد من التقدم ومما يؤيد هذا النظر الاستجواب الذى وجه فى مجلس الشيوخ الى المرحوم اسماعيل صدقى رئيس الوزارة حينذاك فى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٦ عن تعطيل الصحف فذكر المرحوم محمد صبرى أبو علم ما نشرته مجلة الشئون الاجتماعية وهى مجلة تصدرها الحكومة عن الشيوعية وهى تحض على البلشفية ( عدد ديسمبر سنة ١٩٤٥ ) وما نشرته جريدة الاجيبشيان جازت بعددها الصادر فى ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ والذى جاء فيه ان السؤال الجرىء هو الى متى ستتجاهل مصر أن ما يقرب من ثلاثة أرباع سكانها يعملون من شروق الشمس الى غروبها لمصلحة أفراد قلائل وقد قال المرحوم اسماعيل صدقى بأنه قد يكون فى روسيا أنظمة طيبة ورد الاستاذ محمد حسن العشماوى وزير المعارف حينذاك بأن ما نشرته

مجلة الشئون الاجتماعية هو بصدد شرح ظاهرة اقتصادية فى روسيا وهذا الذى ذكره رئيس الوزراء والذى ذكره وزير المعارف هو ما ردده المتهمون فى كتاباتهم بأنه قد يوجد فى روسيا بعض أنظمة طيبة تستأهل الدراسة والبحث والتمحيص ؟ .

وحيث أن للحكم على المتهمين باعتبارهم شيوعيين يدعون بطريق الثورة والعنف الى ترويج وتحبيذ المبادىء الشيوعية يتعين دراسة كتاباتهم مجموعة مكملة لبعضها لا أن تجتزأ بعض فقرات من هذه الكتب أو المقالات وهذه الدراسة الشاملة يتبين على ضوئها مراميهم وميولهم ومقاصدهم وعما اذا كانوا يدعون الى الشيوعية حقيقة أو أنهم كانوا يبغون الاصلاح الدستورى وترسم خطة الامم التى سبقتنا فى تدعيم مبدأى ( تحقيق ) الديموقراطية وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات وهو ما حققته الثورة فعلا .

وحيث أن المتهم التاسع أحمد شكرى سالم دفع بعدم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها وأسس دفعه على أنه سبق الحكم عليه فى الجناية ٥٨٣٩ الوايلى سنة ١٩٤٨ ـ ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ فى تهمة الانضمام الى عضوية منظمة شيوعية والترويج للشيوعية بموجب المواد ٩٨أ و ٩٨ب و ٩٨ هـ والمادة ٢/١٤٧ من قانون العقوبات وقد قضت المحكمة العسكرية العليا على المتهم المذكور بالسجن لمدة سبع سنوات وبغرامة قدرها مائة جنيه وصدق على الحكم وأنه ما زال موجودا بسجن مصر لتنفيذ هذه العقوبة .

وحيث أنه تبين من الاطلاع على الاوراق والقضايا المنضمة أنه قبض على المتهم فى المذكور فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ ثم أقيمت ضده الدعوى العمومية فى الجناية رقم ١٩٤٩ سنة ١٩٤٦ وهى الجناية الحالية بتهمة الترويج للشيوعية وطالبت النيابة عقابه بمقتضى المادة ٢/١٧٤ عقوبات ثم قبض على المتهم بعد ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٤٨ وأقيمت هذه الدعوى العمومية فى الجناية رقم ٥٨٣٩ الوايلى سنة ١٩٤٨ ووجهت اليه تهمة الانضمام الى منظمة شيوعية والترويج للشيوعية .

وطالبت النيابة بعقابه بمقتضى المواد ٩٨أ و ٩٨ب و ٩٨ هـ و ٢/١٧٤ من قانون العقوبات .

ثم قبض على المتهم المذكور أيضا مرة ثالثة فى أبريل عام ١٩٤٩ وأقيمت ضده الدعوى العمومية فى الجناية رقم ٢٦ الرمل سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٠ عسكرية عليا سنة ١٩٤٩ ووجهت اليه كذلك تهمة الانضمام الى منظمة شيوعية والترويج للشيوعية .

وبتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٤٩ نظرت الجناية ٥٨٣٩ ـ ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ أمام المحكمة العسكرية العليا وقضت حضوريا على المتهم بالسجن لمدة سبع سنوات وبغرامة قدرها مائة جنيه وصدق على الحكم وما زال المتهم موجودا بسجن مصر لتنفيذ هذه العقوبة •

وبتاريخ أغسطس سنة ١٩٤٩ عرضت القضية ٣٦ الرمل سنة ١٩٤٩ ـ ١١٠ عسكرية عليا سنة ١٩٤٩ أمام المحكمة العسكرية العليا ودفع المتهم بعدم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها وحيث أنه وقد تبين أن التهمة الموجهة الى المتهم التاسع فى الجناية سابقة على التهمة التى حوكم من أجلها فى الجناية ٥٨٣٩ وايلى سنة ١٩٤٨ ـ ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ ولما كان الموضوع واحدا وأن الجريمتين قد ارتكبتا لغرض واحد ومرتبطتين ارتباطا لا يقبل التجزئة فكان من المتعين ضم التهمة المنسوبة الى المتهم فى الجناية الحالية للجناية التى حوكم من أجلها والاكتفاء بالعقوبة المقررة لأشد تلك الجرائم وهى العقوبة التى صدرت ضده وذلك تطبيقا لنص المادة ٢/٣٢ من قانون العقوبات •

وحيث أن رفع الدعوى الحالية مستقلة عن الجريمتين الاخريين اللتين حوكم المتهم من أجلهما مع كونها سابقة عليهما ومرتبطة بهما ارتباطا لا يقبل التجزئة وقد قضى بعقوبة الجريمة الاشد فان الحكم الصادر منهما يمنع من العودة الى محاكمة المتهم عن التهمة الحالية وفقا للمادة ٢/٣٢ عقوبات ومن ثم يكون الدفع فى محله فيتعين قبوله والحكم بعدم جواز نظر الدعوى بالنسبة لهذا المتهم لسابقة الفصل فيها بالنسبة لتهمة الترويج والتحبيذ وأما بالنسبة لتهمة الاتفاق الجنائى فحكمه فيها حكم باقى المتهمين كما سيلى بيانه فى التطبيق القانونى •

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الأول فقد أنكر فى التحقيقات أنه شيوعى أو يروج للشيوعية وقرر أنه كان عاملا بمصانع النسيج ثم اشتغل بعد ذلك مراسلا لعدة صحف ثم موظفا بنقابة السينمائيين واعترف بأنه ألف كتاب « أنا العامل » وقال أنه كتب عن روسيا كما كتب عن انجلترا فى نفس الكتاب وان ما كتبه ملخص عما قرأه فى الصحف المصرية وقال ان روسيا كانت مع الحلفاء وانتصرت وان جميع الكتاب كانوا ينظرون اليها باعجاب ونفى التهمة الموجهة اليه •

وحيث أن المتهم الثانى اعترف فى التحقيقات بأنه نشر هذا الكتاب وكتب مقدمته وأن موضوع الكتاب هو نوع من الادب العمالى كتب بيد عامل وأنه ليس فى الكتاب ما يؤاخذ عليه من الناحية القانونية وأن الغرض منه

ألفـات نظر الحكومة الى تنفيذ قوانين العمال بدقة واعطاء العمال حقوقهم المنصوص عليهـا فيهـا • وجاء هذا الدفـاع أيضا فى أقوال المتهم الثالث فى التحقيقـات ـ وأما فيما يتعلق بكتب الزواج والاسرة فى الاتحاد السـوفيتى والزواج والامومة والعـائلة فى التشريع السوفيتى وهى الكتب التى صدرت عن دار الفجـر للنشر التى كان يملكهـا المتهمان الثانى والثالث •

فقـد ذكر المتهم الثانى فى دفـاعه بأن هذه الكاتب هى كتب علمية وقانونية وأنه لم يكن يقصـد من نشرها الدعوة لمبدأ اجتماعى معين وهو القـائم فى الاتحـاد السوفيتى بل كان قصـده ايقـاف الرأى العـام من الناحية العـامية على الحقيقـة وهى أن الزواج والامومة فى الاتحـاد السوفيتى مثلها مثـل الزواج والامومة فى أى دولة أخرى متحضرة وقد ردد المتهم الثالث هذا الدفـاع أيضا فى التحقيقـات •

وحيث أنه بالنسـبة للمتهم الـرابع فقـد كـان وقت أن ألف كتـابه « الشيوعية فى الاسلام » طالبـا بكلية اللغة العربية وأصول الدين بالازهـر وهو الان مدرسا للغـة العربية وآدابها بمدارس الليسيه وقـدم للمحكمة مؤلفاته فى اللغـة والنحـو والمطـالعة والادب وقـدم تقريرا من مفتش وزارة التربية والتعليم بأنه ممتـاز فى كتاباته وأنه يقوم بعمله على أحسن وجه وقـد نفى المتهم بأنه كان يروج للشيوعية بل أبان فى كتابه المؤاخاة والشورى فى الاسلام وأن الدين الاسلامى دين غير جامد يصلح لكل عصر وأن تعـاليمه السمحة تدعو الى المساواة والبر بالمعوزين والفقراء وأنه عنـدما ألف هذا الكتاب لم يكن يعلم ما هى الشيوعية ـ وأما كتابه الثانى « دورنا فى الكفـاح الوطنى » فان ما حواه لا يدل بأى وجه على أنه يحبذ للشيوعية بل توجيه للنضال فى سبيل حريـة البـلاد وتحرير الانسانية من آلام العوز ومخاوف المرض ومصائب الجهـل والانطـلاق من القـود التى فرضتها الانظمة الرجعية البالية ـ وهذه هى نفس الالفاظ التى عبر بها المتهم عن آرائه وعن غرضه وقد شهد لصالحه الدكتور مظهر سعيد الاستاذ بكلية أصول الدين وقسم التخصص بالازهر وقال أنه يعرف هذا المتهم معرفة تامة وأنه بعيد عن الشيوعية بل أنه كان يحـارب المبـادىء الهـدامة وقـال أنه اطلع على كتاب الشيوعية فى الاسلام وأنه لمس منه أنه مجـرد مقـارنة علمية لا أكثر ولا أقل •

وأنكر المتهم الخامس فى التحقيقـات ما نسب اليه وأجاب عن الكتب التى ضبطت بمنزله أنه يرجع تاريخ حيـازتها الى وقت أن كان طالبـا بكليـة الآداب سنة ١٩٤١ وأنه كان يدرس المذاهب الاجتماعية المختلفة فكلفه أستاذ علم الاجتمـاع هو وغيره من الطـلاب بعمل بحث عن كارل ماركس وقـد أشار

عليهم الاستاذ بالمراجع وهى بعض الكتب التى ضبطت عنده وقال بأنه لم يقم بأى نشاط شيوعى وأنه على العكس من ذلك كان يدافع عن الدستور فى المقالات التى كان ينشرهـا فى مجلة الفجر الجديد ثم قال انه كان يشتغل مدرسا بالمدرسة الثانوية بالمحلة الكبرى ثم محـررا بمجلة الراديو المصرى بمحطـة الاذاعة لمدة سنة ونصف ٠ وقـال أنه ألف كتابه حول الفلسفة المـاركسية ردا على الاستاذ العقـاد وادعائه أنه أكبر عالم وأكبر فيلسوف وقد رأى أنه ينشر آراء عن الفلسفة المـاركسية لا يمكن أن يقبلهـا بأى حال من اطلع على كتاباته وقال ان الاستاذ العقـاد فى كتابه « فى بيتى » قال ان كارل ماركس كان فيلسوفا آليـا فى حين أن جميع مؤرخى الفلسفة يتفقون على أن فلسفة ماركس فلسفة ديالكتيكية وليست آلية ولذا رأى أن يرد عليه فى الموضوع ومن هذا يتبين أن هذه الكتابات ما هى الا آراء علميـة ٠

وحيث أنه بالنسبة للمتهم السادس فقـال أنه لا يروج للشيوعية وأنه يدعو الى الديموقراطية وأنه لم يقصـد بمقالاته فى الصحف وفى مجلة الفجر الجديد سوى سرد تاريخى للثورة الروسية ـ وقال أنه كتب فى جملة مواضع فى مختلف الصحف وأذاع جملة اذاعات فى محطـة الاذاعة قـدم ما يدل على أنه أذاع بتاريخ ١٩٥١/٨/١٨ بحث عن عبد الله النديم والثورة العرابية وبتاريخ ١٩٥١/١١/٥ عن جان جاك روسو بتاريخ ١٩٥٢/٢/١٨ عن رفاعة الطهطاوى وبتاريخ ١٩٥١/١١/٢٧ عن الجبـرتى وبتـاريخ ١٩٥٣/١/١٤ عن قيصـر وكليوباترا وبتاريخ ١٩٥٣/٣/١١ عن تلميذ الشيطان وبتاريخ ١٩٥٣/١٠/٦ عن نتيريا وأنه كان يكتب فى الصحف عن مختلف الموضوعات وقـدم مجلـة التحرير عدد ٢١ أكتوبر ١٩٥٣ وبه مقـالا من تأليفه تحت عنوان «رداء الحرية» أديب واستعمار وثورة وهو عن الثورة العرابية وعبد الله النديم ٠

وقال الدفاع عن المتهم المذكور بانه اديب وليس سياسى وانه تخرج بكليه الاداب ثم التحق بوزارة الشئون الاجتماعية حتى وصل الى وظيفه رئيس قسم السينما والاذاعه بالوزاره المذكوره وكان يعمل سكرتيرا صحفيا لكل من الوزراء زهير جرانه وفؤاد جلال والدكتور عباس عمار والصاغ كمال الدين حسـين وقت أن كانوا وزراء لوزارة الشئون الاجتماعية وان هؤلاء الوزراء لو كانوا قد استشعروا فيه اى نزعه شيوعية لمـا منحوه ثقتهم وائتمنوه على اسرارهم وهو فوق ذلك يقوم بتحرير الصفحة الادبية بجريدة الجمهورية كما يكتب فى مجلة التحرير ٠

وانكر المتهم الثامن ما نسب اليه وقال الدفاع عنه ان سر اتهامه انه كان يهاجم المرحوم اسماعيل صدقى ويهاجم سياسته فى جريدته كما كانت تهاجمه

معظم الصحف الاخرى وانه قبض عليه مع الصحفيين من بينهم محمد زكى عبد القادر وسلامة موسى ومحمد مندور وأن المقال الاول الذى نشره كان عنوانه « نريد حكومة ديموقراطية » وكان حملة شديدة ضد الحكومة والحكم وانتهى الى أن الحكومة حجرة عثرة فى سبيل التحرير وفى سبيل التعاون مع الشعوب العربية وأنه كان يدعو الى التمسك بأصول الدستور والمقال الثانى « هذه الوزارة يجب أن تستقيل » وهو منشور بتاريخ ١٩٤٦/١/٣٠ قال فيه أن الحكومة فشلت وليس أمامها الا أن تستقيل وعلى الامة أن تقاوم الاستعمار والمقال الثالث كان هجوما على الصحافة التى كانت تآزر المرحوم اسماعيل صدقى وأنه كتب ٢٣ مقالة فى مختلف الموضوعات عن الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وعن الثورة الروسية سنة ١٩١٧ على سبيل العرض التاريخى والبحث العلمى كما كتب عن الثورة الفرنسية والثورة الانجليزية ومن هذا يبين أنه لم يكن متجها فى كتاباته اتجاها معينا ( بالذات ) نحو الترويج للشيوعية بالذات ٠

وحيث أن المتهم العاشر وهو صحفى قد نشر عدد من الكتب فى مختلف المواضيع وأنه رشح نفسه فى الانتخابات فى ديسمبر ١٩٤٥ على أساس المبادىء الاشتراكية ووزع منشورات بها برنامجه وهو يتحصل فى تحديد الملكية وضمان الحريات العامة والعناية بالطبقات الفقيرة والعاملة والغاء الرتب والالقاب ومجانية التعليم والغاء البوليس السياسى وهذا هو اتجاه المتهم السياسى وقد أوضحه فى برنامجه ولا يمكن أن يقال بأن هذا البرنامج هو برنامج شيوعى أو أنه يحبذ الشيوعية أو يروج لها وله نشاط آخر ثقافى فقد ألف بعض الكتب منها كتاب « أهداف الاشتراكية » وهو جزء من سلسلة العمل الثقافى الذى كان يقوم به وقد دأب هذا المتهم على معارضة المرحوم اسماعيل صدقى ومهاجمة سياسته فوضعه فى القائمة السوداء ٠

وحيث ان المتهم الحادى عشر أنور كامل أنكر أنه كان شيوعيا وان غرضه كان الاصلاح والقضاء على الفساد وأنه قد ألف جمعية باسم « الخبز والحرية » واتهم بأنه يسارى وقدم الى محكمة الجنايات فقضى ببرائته ومما يقطع بأنه ليس له نشاط شيوعى أنه ألف كتاب ( أفيون الشعوب ) بعد كتاب ( لا طبقات ) موضوع الاتهام فى هذه القضية وقد حمل فى هذا الكتاب على الشيوعية والا لما وكل له هذا العمل الذى يعمل به والذى يتصل اتصالا مباشرا بالعمال حيث يوجد المجال لترويج ما يحلو له من الافكار والمبادىء ٠

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الثانى عشر فان موضوع الاتهام بالنسبة له ينحصر خلاف تهمة الاتفاق الجنائى فيما نشره فى كتيب « وطنيتنا » وهذا

الكتيب يعالج المسائل الوطنية والحركات التحريرية فى مختلف بلدان العالم على ضوء المذهب الماركسى من الناحية العلمية والسرد التاريخى وان هذا الكتاب لا يعبر عن آرائه وانما يعالج وجهة نظر الماركسية من الناحية العلمية فى جملة مسائل فقد جاء به « يتساءل ستالين فى مقال بعنوان « الماركسية والمسألة الوطنية ) ويشير وينترتيز فى مستهل كتابه الماركسية والمسألة الوطنية : « ويقول ماركس فى الجزء الاول من كتاب أعمال مختارة ويقول مادحا أستاذ الاقتصاد السابق بجامعة بودابست فى كتاب « نظامان » الاقتصاد الاشتراكى والاقتصاد الرأسمالى » فالكتيب قطعا عرض لوجهة نظر الماركسية فى المسألة الوطنية والحركات التحريرية وليس فى الكتاب تحبيذا أو ترويج للشيوعية بطريق العنف ٠

المتهم الثالث عشر وجه اليه الاتهام على أنه عضو فى دار الابحاث وأن هذه الجماعة كانت تبحث فى كافة العلوم المختلفة ومنها الشئون الوطنية والسياسية وقد حصل على شهادة من جامعة لندن وعلى ليسانس الآداب من جامعة الجيزة وهو يشترك الآن فى تحرير مجلة « الاكتواليتيه » ويلقى دروسا فى اللغة الفرنسية والفلسفة وأن النيابة تؤيد اتهامها على أساس أنه كتب تقريرا وهو فى الحبس الاحتياطى يسرد فيه هذه المرحلة من الحبس وحالته وقد ضبط هذا التقرير وتقارير أخرى لبعض المتهمين مع المتهم الثالث أسعد حليم وقد قرر هذا الاخير أن هذه التقارير عملت لتحقيق صحفى ـ ومع التسليم بأن هذه التقارير فيها نقد وتعريض للحكومة التى كانت قائمة وقت الحادث فانه لا يمكن أن يكون محل اتهام فى تهمة اتفاق جنائى لانها مجرد دعوة لم تصل الى من وجهت اليه فالاتفاق الجنائى يعتبر فى هذه الحالة من الناحية القانونية غير موجود كما أن هذه التقارير خالية من الدلائل المثبتة لتوافر أركان الجريمة المنصوص عنها فى المادة ٣/١٧٤ عقوبات وقد رفع هذا المتهم دعوى أمام محكمة القضاء الادارى برقم ٦/١٨٤٥ ق ضد وزير الداخلية لمنعه من السفر للخارج وحجز جواز سفره وقد قضت المحكمة بتاريخ ١٩٥٢/١٢/٣٠ ٠ بالغاء قرار الامتناع عن اعطائه جواز السفر وجاء فى أسباب حكمها أنه لو صح أن يكون لاتهامه فى احدى القضايا الشيوعية شىء من الجدية لما ترددت السلطات فى ملاحقته وتعقبه بالقصاص وسلبت ذلك الاستقرار والطمأنينة فى عمله داخل المجلة والحال بخلاف ذلك ٠ وحيث أنه بالنسبة للمتهم الثامن عشر فان الاتهام موجه اليه على أساس :

**أولا** ـ أنه ضبط فى بار « بج بن » مع المتهمين السادس عشر والسابع عشر والتاسع عشر والعشرين وان هذا يكون على حسب وصف النيابة اتفاقا جنائيا على ارتكاب الجناية المنصوص عليها فى المادة ٢/١٧٤ عقوبات ٠

ثانيا ـ أنه ضبط فى منزله بعض الكتب الشيوعية وقد أنكر المتهم ما وجه اليه من اتهام وقال انه كان مجتمعا فى البار حقيقة مع المتهم السادس عشر لانه محاميه وكان يوكله فى بعض القضايا وأما بالنسبة للكتب المضبوطة فانها كتب أجنبية باللغة الفرنسية تبحث فى الاشتراكية وغيرها من الناحية العلمية وان بمكتبته ما ينيف على الالف وخمسمائة مجلد فى مختلف العلوم والمواضيع فلم تقتصر حيازته لهذا العدد الضخم من الكتب فى العلوم والفنون والاداب والقانون على الكتب الماركسيه وان هذا لدليل على صحة دفاعه وان نشاطه لم يكن موجها لتحبيذ الشيوعية والترويج لها ومع ذلك فان مجرد حيازة الكتب الشيوعية فى منزله أو مكتبه الخاصة لا جريمة فيه ولا عقاب عليه طبقا للقانون القائم وقت الحادث ٠

وحيث أن الدليل القائم ضد المتهم التاسع عشر لا يخرج عن الدليل القائم ضد المتهم الثامن عشر وهو ضبطه فى بار « بج بن » مع المتهمين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والعشرين ثم ضبط كتب شيوعية فى منزله وما يقال بالنسبة لهذا المتهم من حيث الثبوت هو ما قيل بالنسبة للمتهم الثامن عشر بأنه لا دليل على أن اجتماع البار كان الغرض منه ارتكاب الجناية المنصوص عليها فى المادة ٢/١٧٤ عقوبات وان ضبط الكتب الشيوعية فى منزله ليس ممنوعا طبقا للقانون القائم وقت الحادث ٠

وحيث أنه بالنسبة للمتهم السابع وهو لم يحضر جلسة المحاكمة فانه منسوب اليه أنه ألف مقالا بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » وقد نشر فى مجلة الفجر الجديد فى سنة ١٩٤٥ ٠

وقالت النيابة أن هذا المقال تحبيذا للشيوعية وكفاحها الثورى مع أنه يبين من الاطلاع على هذا المقال بأنه سرد تاريخى لجزيات الحوادث فى روسيا وما تمخضت عنه ثورتها من تولى الطبقة العاملة للحكم وليس فى هذا المقال ما يوحى بأنه يحرض على نشر الشيوعية فى مصر بالعنف وقد انكر هذا المتهم فى التحقيقات بأنه يروج للشيوعية وقال أنه يدعو الى تحسين حالة الطبقات الشعبيه الفقيرة ٠

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الرابع عشر فان دليل اتهامه المقدم به هو أنه قد نشر الدعوى الشيوعية فى تقرير كتبه أثناء وجوده بالسجن وقت أن كان محبوسا احتياطيا وأنه دون فى تقريره هذا خلاصة تجاربه فى سبيل تلك الدعوى وقد أنكر المتهم المذكور أنه يروج للشيوعية ومجرد كتابة متهم تقريرا وهو فى السجن دون به بعض ملاحظاته عن الحالة السياسية وقت

وجوده بالسجن لا يمكن أن يعتبر فى حد ذاته اشتراكا منه على اتفاق جنائى لارتكاب الجناية المنصوص عليها فى المادة ١٧٤/٢ ع ٠

وحيث أن الدليل المقدم به المتهم الخامس عشر وهو نفس الدليل الذى قدم به المتهم الرابع عشر وهو كتابة تقرير أثناء وجوده بالسجن وما قيل فى صدد الثبوت القانونى بالنسبة للمتهم الرابع عشر هو نفس ما يقال عن المتهم الخامس عشر ٠

وحيث أنه بالنسبة للمتهمين السابع عشر والعشرين فان الدليل المقدم ضدهما هو وجودهما فى بار « بج بن » مع المتهمين السادس عشر والثامن عشر والتاسع عشر وقد أوضحت المحكمة قيمة هذا الدليل وناقشته عند الكلام عن المتهمين المذكورين ٠

وحيث أنه يبين من ذلك أن ما نشره المتهمون أو كتبوه فى كتبهم ومقالاتهم السالف الاشارة اليها لا يعدو أن يكون سردا تاريخيا لثورة روسيا أو بحثا علميا عن آراء ماركس وانجلز فى الاشتراكية والشيوعية أو مقارنة فلسفية بين الاسلام وبين هذه المذاهب وان هذه الابحاث فى جواهرها ومجموعها الغرض منها اصلاح حال الطبقات العاملة واخراج المستعمر من البلاد واعادة تكوين الدولة على أساس من مبادىء الحرية والعدل والمساواة وهو ما قامت الثورة من أجله وحققت كثيرا من هذا الاهداف ٠

وحيث أن المتهمين جميعا مقدمون بالمادة ١٧٤/٢ من قانون العقوبات وهى التى تنص على أنه يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز خمس سنين وبغرامة لا تقل عن خمسين جنيها ولا تزيد عن خمسمائة جنيه من ارتكب باحدى الطرق المنصوص عليها فى المادة ١٧١ فعلا من الافعال الاتية : تحبيذ أو ترويج المذاهب التى ترمى الى تنفيذ مبادىء الدستور الاساسية والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو بالارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة ٠

وهذه المادة تعاقب على حالتين الاولى للتحبيذ أو الترويج لتغيير مبادىء الدستور الاساسية والثانية تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية ، والتحبيذ وهو الاستحسان بغية الايحاء والدعاية وهو ضرب من التحريض فلا يكفى لتوفر فعل التحبيذ مجرد الدفاع أو التعليق أو مجرد الموافقة على نقطة فقط أو نقط من البرنامج أو المذهب ولا اظهار العطف على ناحية من النواحى ما لم يكن مصحوبا بالاستحسان المنطوى على الايحاء والتحريض

والترويج وانما هو كل دعوة أو تلقين لمذهب أو برنامج ويشترط للعقاب فى كلا الحالتين أن يكون التحبيذ أو الترويج بطريق العنف أى بالقوة أو الارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة ويفاد ذلك أن من يدعو الى تغيير مبادىء الدستور الاساسية أو النظم الاجتماعية دون عنف أى بالوسائل السليمة لا عقاب عليه بمقتضى هذه المادة ولذلك لاحظ المشرع هذا النص فاستن تشريعا جديدا لاحقا للمادة ٢/١٧٤ ففى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٦ صدر المرسوم بقانون ١١٧ سنة ١٩٤٦ باضافة المواد ٩٨أ و ٩٨ب و ٩٨ج و ٩٨د و ٩٨ ﻫ بعد المادة ٩٨ من قانون العقوبات وقد نصت المادة ٩٨ ب على العقاب متى كان استعمال القوة أو الارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة ملحوظا فى ذلك أى فى تغيير مبادىء الدستور أو النظم الاجتماعية الاساسية ويعتبر العنف ملحوظا اذا كان يمكن أن يخفى على المتهم أن تحقيق هذه الاغراض يستحيل أن تحصل بطريقة خالية من العنف بالنظر الى المقاومة التى لا بد أن تبديها النظم الاساسية أو الاقتصادية فى وجه كل محاولة لقلبها وهذا يختلف تماما عن نص المادة ٢/١٧٤ عقوبات فالنصان يختلفان تمام الاختلاف فنص المادة ٢/١٧٤ عقوبات يشترط أن يكون التحبيذ أو الترويج بطريق القوة أو الارهاب أو أى طريق آخر غير مشروع كالحض على القوة أو الانقلاب المسلح لتنفيذ الدعوة الى تغيير نظم الدستور أو الهيئة الاجتماعية الاساسية فلا يكفى لوجود الجريمة واستحقاق العقاب مجرد تحبيذ النظام الشيوعى وما حققته الثورة الروسية من اصلاح دون أن يكون ذلك مصحوبا بالدعوة الى استعمال القوة ٠

وأما نص المادة ٩٨ب فلا يشترط استعمال القوة أو العنف فى الترويج أو التحبيذ بل يكفى أن يكون استعمال القوة ملحوظا فى ذلك بمعنى ان من يدعو الى الشيوعية وتحبيذ الثورة الروسة يكون مستحقا للعقوبة ولو لم يفصح هو بنفسه باستعمال القوة لان تحبيذ الشيوعية يتضمن فى ذاته ملحوظية ان هذا المذهب كما حصل فى روسيا لا يمكن أن يتم الا بطريق الثورة – ومن ثم يكون اعجاب المتهمين بالنظام الشيوعى وحتى تحبيذهم لهذا النظام والثورة الروسية دون أن يشيروا الى تتبع خطى هذا النظام وفرضه بطريق العنف لا جريمة فيه ولا عقاب عليه فى حكم المادة ٢/١٧٤ عقوبات

وحيث أن ما جاء بكتابات المتهمين قد خلا من أية اشارة يفهم معها التجاؤهم الى القوة أو الارهاب أو أية وسيلة أخرى غير مشروعة لفرض ارائهم الامر الواجب توفره للعقاب على الجريمه المرفوعه بها الدعوى وان العبارات الغامضة التى جاء فيها لفظ الثورة الروسية فى بعض الكتابات لا يعنى توسل المتهمين بالقوة ٠ وحتى العبارات التى جاء فيها لفظ الثورة

االروسية لا يعنى توسل المتهمين بالقوة فى تحبيذ الشيوعية بل هو مجرد سرد تاريخى وبحث علمى لا أكثر ولا اقل اسوة بالابحاث والموضوعات الاخرى التى كتبوا فيها والبعيدة كل البعد عن الشيوعية ٠

وحيث انه بالنسبة للكتب والمطبوعات التى ضبطت بمنازل المتهمين أو مكاتبهم الخاصه فان اقتناء مثل هذه الكتب والاطلاع عليها مهما بلغ الامر من تطرفهما لا يعاقب عليه القانون المطبق ومما يؤيد عدم كفاية الحيازة فى اثبات عنصر الترويج أو التحبيذ أن الحكومة لاحظت عدم كفاية القانون القائم فى سد هذا النقص فعالجته بتشريع لاحق حديث روعى فيه أن مجرد حيازة أو احراز مكاتبات أو مطبوعات أو نشرات يتضمن تحبيذا أو ترويجا للشيوعية جريمة معاقبا عليها ومن ثم فالقانون القائم وقت الحادث لا يعاقب على مجرد احراز مثل هذه الاوراق ٠

وحيث أنه بالنسبة للكتب التى ضبطت بمكتبة المتهم السادس عشر هنرى كوربيل فان بعض هذه الكتب وهى التى كتبها ونشرها باقى المتهمين فقد وضح مما سبق بيانه أنها لا تحبذ المذهب الشيوعى أو تروج له بطريق العنف فيكون عرضها بالمكتبة لا جريمة فيه ولا عقاب عليه وأما بالنسبة للكتب الأجنبية الاخرى فهى بلغات أجنبية غير معروفة للغالبية العظمى من الشعب وقد أوضحت المحكمة الظروف التى كانت سائدة وقت الحادث وتراخى السلطات فى الاعتراض على عرض مثل هذه الكتب للبيع بسبب انضمام روسيا للحلفاء ومساهمتها فى كسب الحرب العالمية الثانية واحراز النصر مما حدا بالكتاب العالميين الى الاشادة بروسيا ورجالها وهذه الكتب لا تتعرض لمصر ولا تدعو الى تغيير نظمها الدستورية أو الاجتماعية الاساسية كما هو ظاهر من عناوينها بل هى تبحث فى الاشتراكية والماركسية من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو العلمية هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هذه الكتب لم تعرض على المحكمة حتى تتبين مدى تطرفها أو خروجها على المألوف ومهما قيل عن هنرى كوربيل أو كما وصفته النيابة بأنه على رأس الحركة الشيوعية فى مصر وقد يكون هو كذلك غير أن الدليل القائم ضده فى هذه الدعوى بالذات لا يعدو أن يكون شبهات عن ميوله الشيوعية والتشريع الذى كان قائما وقت الحادث لا يعاقب على ذلك وقد لاحظت الحكومة هذا النقص فعدلته بالتشريعات اللاحقة لمعالجة مثل هذه الحالة للقضاء على المبادىء الهدامة بالحزم الواجب ٠

وحيث أنه متى انهار الاتهام المؤسس على المادة ١٧٤/٢ من قانون العقوبات بالنسبة لجميع المتهمين انهارت تهم الاتفاق الجنائى المؤسسة على هذه المادة والمنسوبة الى المتهمين الثالث والتاسع والثالث عشر والرابع

عشر والخامس عشر ثم الاتفاق المنسوب الى المتهمين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ثم الاتفاق المسند الى جميع المتهمين باشتراكهم مع مجهولين على تحبيذ وترويج المبادىء المغايرة للدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب ٠

وحيث أنه زيادة عما تقدم فانه يشترط فى الاتفاق الجنائى أن يكون الاتفاق بين شخصين فأكثر وهو انعقاد العزيمة أو اجتماع الارادة بين شخصين أو أكثر ولا يتوفر هذا الاتفاق بمجرد توارد الخواطر بين عدة أشخاص أى اتجاه ارادة كل منهم مستقلة عن ارادة الاخر الى غرض واحد وكذلك لا يتوفر الاتفاق بمجرد دعوة أحد من الاشخاص آخرين لعقد اتفاق دون أن تنتج هذه الدعوة هذا الاتفاق وبذلك لا يدخل فى حكم المادة ٤٨ ع اتحاد الارادات الذى يحدث بمجرد الصدفة ووقتيا فقط فيكون محله المادة ٤٠/٢/ع ٠

وجريمة الاتفاق الجنائى من الجرائم العمدية فلا تتوفر الا بتوفر القصد الجنائى ، والقصد الجنائى فى هذه الجريمة هو أن يشترك المجرم فى الاتفاق وهو عالم بالقصد منه أى وهو عالم بأنه يرمى الى ارتكاب جناية أو جنحة أو الى التسهيل لارتكابها ولم تقدم النيابة الدليل على توفر أركان تهم الاتفاق الجنائى المنسوبة الى المتهمين اذ أن مجرد اجتماع خمسة منهم فى بار اجتماعا عاديا لا يمكن أن يؤدى بأية حال الى أن ارادة كل منهم قد اجتمعت على ارتكاب جناية تحبيذ وترويج المذاهب التى ترمى الى تغيير مبادىء الدستور والنظم الاجتماعية الاساسية بالقوة وكذلك ضبط المتهم الثالث فى الطريق العام ومعه تقارير عن حالة المتهمين التاسع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر أثناء وجودهم بالسجن لا يمكن أن يكون جريمة الاتفاق الجنائى بينهم لعدم ثبوت الركن الاساسى للجريمة وهو اجتماع ارادة كل منهم مع ارادة الاخرين على ارتكاب الجريمة السالفة الذكر وكذلك علم كل منهم بأن الغرض من الاتفاق هو ارتكاب الجناية المشار اليها بالنسبة للاتفاق العام المنسوب الى جميع المتهمين فان هذا الاتفاق لا دليل على قيامه لان كثيرا من المتهمين لا يعرف بعضهم البعض الاخر كما جاء فى أقوالهم فى التحقيقات وفى الجلسة ولم تثبت النيابة عكس ذلك ولا يتصور وجود اتفاق جنائى بين أشخاص لا تربطهم رابطة المعرفة ومجرد اتجاه ارادة كل منهم مستقلة عن غيره من المتهمين الى الترويج للشيوعية لا يكون جريمة الاتفاق الجنائى كما سبق بيانه ٠ ومتى وضح أن أركان جرائم الاتفاق الجنائى المسندة الى المتهمين غير متوفرة لا ترى المحكمة محلا للخوض فيما أثاره المتهمون من دفوع ببطلان ضبط وتفتيش المتهمين فى « بج بن » وضبط

المتهم الثالث أسعد حليم بالطريق العام ومعه التقارير المضبوطة • وضبط الكتب الشيوعية فى منازلهم •

وحيث أن المتهمين لا شك يستفيدون من قيام الثورة والأحداث التى تلاحقت بعدها من الغاء الدستور الذى كان قائما وهم متهمون بتحبيذ تغيير مبادئه الاساسية وكان من أهم أسسه النظام الملكى ونظام توارث العرش وقد حل محله النظام الجمهورى ويستفيدون من الانقلاب الذى حدث فى النظم الأساسية للنظام الاجتماعى من الغاء الاقطاع وتحديد الملكية وانصاف الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين واتاحة الفرص لهم للعيش عيشة انسانية وهذه الاصلاحات التى حققتها الثورة كانت من أهداف المتهمين ومن المواضيع التى كتبوا فيها ولعله مما يقنع المحكمة بأن المتهمين لم يكونوا شيوعيين انهم من وقت اتهامهم فى هذه الجناية حتى الآن أى منذ عشر سنوات لم يزاولوا أى نشاط شيوعى ولم يوجه اليهم أى اتهام من هذا القبيل ومعظمهم الآن يشغلون مراكز هامة فى الدولة أو المحاماة أو المعاهد العليا أو المؤسسات التجارية والصناعية وهم محل ثقة رؤسائهم وأصبحوا مواطنين صالحين •

وحيث أنه من كل ما تقدم يكون ما نسب الى المتهمين غير ثابت ثبوتا قاطعا كافيا يتعين برائتهم عملا بالمواد ١/٣٠٤ ، و م ٣٨٠ من قانون الاجراءات الجنائية •

## لهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المادتين ١/٣٠٤ و ٣٨١ من قانون **الاجراءات** الجنائية بالنسبة لجميع المتهمين والمادة ٣٨٦ من نفس القانون بالنسبة للمتهمين الأول والثانى والثالث والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والعشرين حكمت المحكمة حضوريا بالنسبة للمتهمين الرابع والسادس والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثامن عشر والتاسع عشر وفى غيبة بقية المتهمين ببراءة جميع المتهمين •••

# المراجع

## مراجع عربية :-


- أبو الحسن الغنيمى ـ الشيوعية فى الاسلام •
- أحمد حسين ـ ايمانى
- أحمد حمروش ـ قصة ثورة ٢٣ يوليو •
- أحمد صادق سعد ـ صفحات من اليسار المصرى •
- أحمد رشدى صالح ـ كرومر فى مصر •
- أحمد رشدى صالح ـ مسألة السودان •
- أحمد محمد غنيم وآخر ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر •
- اسحق موسى الحسينى ( دكتور ) ـ الاخوان المسلمون ، كبرى الحركات الاسلاميه الحديثة •
- انور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون • ( مترجم )
- انور كامل ـ أفيون الشعب •
- ايغور بيليايف ( دكتور ) وآخر ـ مصر فى عهد عبد الناصر ( مترجم )•
- بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية (١٩٤٧ ) •
- جلال الدين الحمامصى ـ معركة نزاهة الحكم •
- جمال الدين محمد سعيد ( دكتور ) ـ التطور الاقتصادى فى مصر منذ الكساد العالمى •
- جمال سليم ـ قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير •
- حافظ عفيفى ( باشا ) ـ على هامش السياسة المصرية •
- حسن البنـا ـ مذكرات الدعوة والداعية •
- حسين فهمى مصطفى ـ حركة التحرير فى العالم •
- حكمت كامل آدم ـ الناس والدنيا ( رواية ) •
- دافيد لاندز ـ بنوك وباشوات ( مترجم ) •
- راشد البراوى وآخر ـ التطور الاقتصادى فى مصر الحديثة •
- رفعت السعيد ( دكتور ) ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ •
- رفعت السعيد ( دكتور ) ـ اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ •
- رفعت السعيد ( دكتور ) ـ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية •
- رفعت السعيد ( دكتور ) ـ الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨
- رفعت السعيد ( دكتور ) ـ عصام الدين حفنى ناصف •

- رمسيس يونان – غاية الرسام العصرى .
- رؤوف عباس ( دكتور ) – الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ – ١٩٥٢
- رؤوف عباس ( دكتور ) – جماعة النهضة القومية .
- سلامة موسى – حرية العقل فى مصر .
- سمير غريب – السيريالية فى مصر .
- سيد مرعى – الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى القطر المصرى .
- شهدى عطية الشافعى – تطور الحركة الوطنية المصرية .
- شهدى عطية الشافعى ، ومحمد عبد المعبود الجبيلي – أهدافنا الوطنية
- صلاح نصر ( يوزباشى ) ، كمال الدين الحناوى ( يوزباشى ) – الشرق الأوسط فى مهب الريح .
- طارق البشرى – الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢
- عاصم الدسوقى ( دكتور ) – كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى .
- عبد الحميد عنيفى مطر – التعليم والمتعطلون فى مصر .
- عبد الحميد المشهدى – صحيفة سوابق .
- عبد العظيم رمضان ( دكتور ) – تطور الحركة الوطنية فى مصر .
- عبد المنعم الغزالى – ٢١ فبراير ١٩٤٦ .
- عبد المنعم الغزالى – تاريخ الحركة النقابية المصرية .
- عبد المنعم فوزى – مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث .
- عبد الحليم الياس نصير – عهد الاستقلال .
- عبد الوهاب بكر ( دكتور ) – أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر ١٩٢١ – ١٩٥٠ .
- عصام الدين حفنى ناصف – عاصفة فوق مصر ( رواية ) .
- على ابراهيم عبده ( دكتور ) – ، خيرية قاسمية – يهود البلاد العربية .
- على رفاعة الانصارى – فى طريق الحرية .
- فتحى المغربى – أنا العامل ( ديوان ) .
- فؤاد المرسى خاطر ( دكتور ) – العلاقات المصرية – السوفيتية ١٩٤٣ – ١٩٥٦ .
- فوزى جرجس – دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى
- قسطاكى الياس عطارة – تاريخ تكوين الصحف المصرية .
- قلينى فهمى ( باشا ) – آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع .

- مرافعــات الرئيس أحمد حسين فى عهــد حكومة الوفــد - من كفــاح مصر الفتــاة .
- مريت بطرس غالى - سياسة الغــد .
- مريت بطرس غالى - الاصلاح الزراعى - الملكية ، الايجار ، العمل .
- مشاكل العمــال فى مصر - بحث مقــدم من جماعة الخبز والحرية .
- محمد أنيس ( دكتور ) - ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى .
- محمد حسن أحمد ( اسم سرى ) - الاخوان المسلمون فى الميزان .
- محمد زكي عبد القــادر - أقــدام على الطريق .
- محمد زكى عمر - ربع قرن فى مفاوضات .
- محمد على علوبة - مبادىء فى السياسة المصرية .
- محمد عوده - سبعة باشوات وصور أخرى .
- محمود حسين - الصراع الطبقى فى مصر من ١٩٤٥ - ١٩٧٠ .
- محمود عزمى - الأيام المــائة - على هامش التاريخ المصرى الحديث .
- مجمود على السيد ( دكتور ) - النهضة الصحية الروسية .
- محمود كامل المحامى - مصر الغــد تحت حكم الشباب .
- مصطفى محمود فهمى المحامى - الحــالة الاجتماعية فى مصر .
- مصطفى مؤمن - صوت مصر .
- مورو بيرجر - البيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة ( مترجم ) .
- فوزى جرجس - دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى
- يس مصطفى ، محمد فتحى - النصيحة الى عمال مصر .
- يوسف نحاس ( دكتور ) - القطن فى خمسين عاما .

**- مخطوطات ، وأوراق قضائية ، ونشرات وتقــارير سرية ، ووثائق مختلفة :**

**أ - مخطوطــات :**

- أبو سيف يوسف ، الطليعة الشعبية للتحرر - بخط اليــد .
- أحمد صادق سعد ، على سبيل المراجعة - بخط اليــد .
- مارسيل اسرائيل ( تشيريزى ) - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - بالآلة الكــاتبة الفرنسية - تقرير .
- مارسيل اسرائيل ( تشيريزى ) ، رسالة الى المؤلف تتضمن ردا على أسئلة وجههــا له - بخط اليــد .
- مارسيل اسرائيل ( تشيريزى ) ، رسالة الى المؤلف يعلق فيهــا على الطبعة الأولى من هذا الكتاب .
- مصطفى هيكل ( دكتور ) - حول منظمة القلعة الشيوعية - ( بخط

اليـد ) ـ ردا على أسئلة للمؤلف ٠
- نيقولا بباريدوتى ـ لمحة مختصرة عن نشاط الحركة الشيوعية اليونانية بمصر ـ بالآلة الكاتبة الفرنسية ـ بناء على طلب المؤلف ٠

**ب ـ أوراق قضائية :**

- قرار اتهـام النيابة العمومية فى قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعـام ١٩٣٩ ٠
- محضر تحقيق النيابة العمومية فى قضية الشيوعية الكبرى ( ١٩٤٦ )
- حيثيـات الحكم الصادر من محكمة جنايات مصر فى قضية الشيوعية الكبرى لعـام ١٩٤٦ ٠
- ملف قضية الاشتراكية المتهم فيهـا أنور كامل وأعضاء جماعة الخبز والحرية ٠
- ملف قضية الشيوعية بمدينة المنصورة المتهم فيهـا ماهـر قنـديل وآخرون ـ عام ١٩٤٩ ٠
- ملف القضية ٢٧ حصر صحافة لعـام ١٩٥٠ المتهم فيهـا هليـل شوارتز وآخرون ٠
- مذكرة مرفوعة من يوسف درويش الى دولة الحاكم العسكرى العام ( ١٩٤٩ ) بالتظلم من أمر اعتقـاله ٠
- مذكرة مرفوعة من مجموعة من أصدقاء يوسف درويش الى الرئيس جمال عبد النـاصر تظلما من صدور أمر باعتقـاله ( ١٩٥٦ ) ٠

**جـ ـ نشرات وتقـارير وبيانات سرية :**

- الشرارة ـ نشرة صادرة عن منظمة أيسكرا ( مجموعة ) ٠
- انطباعات أولية عن الوضع السياسى الحـالى فى مصر ـ التكتل الثورى ـ باللغة الايطـالية ٠
- بحث عن وضع الحركة الشيوعية المصرية وطريقـة توحيـدها ـ حدتو الشيوعية ٠
- بيانات ونشرات الحركة الـديمقراطية للتحـرر الوطنى ـ حدتـو ( الأرشيف الكـامل ) ٠
- بيانات ونشرات منظمة العمالية الثورية ـ ع٠ث ( مجموعة ) ٠
- بيانات ونشرات منظمة نحو حزب شيوعى ـ ن٠ح٠ش ( مجموعة )
- بيانات ونشرات منظمة نحو حزب شيوعى مصرى ـ ن٠ح٠ش٠م٠ ( مجموعة ) ٠
- بيانات ونشرات المنظمة الشيوعية المصرية ـ م٠ش٠م ( مجموعة )٠

### د ـ أوراق قانونية وتقارير حكومية :

ـ مجلس النواب ـ مضابط الجلسات من سنة ١٩٣٣ حتى ١٩٣٧ ٠
ـ مجلس الشيوخ مضابط جلسات دور الانعقاد الخامس عشر والسادس عشر والثاني والعشرين ٠
ـ المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ والخاص بانشاء مجلس أعلى للاصلاح الاجتماعى ٠
ـ المذكرة الايضاحية للمرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى ٠
ـ بحث فى مجالس الجيش وهيئة أركانه ـ رئاسة الجمهورية ـ ملفات الحكومة ٠
ـ محفوظات مركز تاريخ مصر الحديث ـ وثائق قصر عابدين ٠
ـ وثائق وزارة الداخلية المصرية ـ ادارة الضبط فرع ب ٠
ـ تقرير عن حالة الامن العام بالمملكة المصرية ٤٨ ـ ١٩٤٩ وزارة الداخلية ـ ادارة عموم الامن العام ٠
ـ تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الاخيرة ٠
ـ تقويم النقابات والاتحادات العمالية فى جمهورية مصر ـ وزارة الشئون الاجتماعية ٠

### هـ ـ محفوظات :

ـ الأرشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية ـ المتحف البريطانى ـ لندن ٠
ـ أرشيف وزارة الخارجية الأمريكية ٠
ـ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ٠
ـ أرشيف الحزب الشيوعى الايطالى ٠
ـ أرشيف جماعة أصدقاء هنرى كوريل ( باريس ) ٠

### و ـ وثائق أخرى :

ـ قانون الوفد المصرى ٠
ـ مجموعة وثائق وبيانات عن الحركة العمالية ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ٠
ـ عريضة مرفوعة الى جلالة القائد الاعلى للجيش من الاتحاد العام لصولات وضباط الصف بالجيش المصرى ٠
— Art et Liberté ( عددان مطبوعان بالرونيو )
— VIVE l'art Degnere ( منشور مطبوع بالرونيو )

**صحف ودوريات :**

- الأهرام ١٩٣٥ ـ ١٩٥٠
- الأهـالى ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦
- البلاد ( لندن ) ١٩٨٦
- البلاغ ١٩٣٧
- البنك الأهلى المصرى ـ النشرة الاقتصادية ـ ١٩٤٧
- التطور ١٩٤٠ ـ ١٩٤١
- الجهـاد ١٩٣٦
- الجماهير
- أخبار اليوم ١٩٤٧
- آخر ساعة ١٩٣٦
- السياسة ١٩٣٦
- السياسة الدولية ١٩٧٠
- الصرخة ١٩٣٣
- الضمير
- الطليعة ١٩٧٥
- الطريق ( بيروت ) ١٩٤٨
- الفجـر الجديد
- الفـلاح المصرى ١٩٣٨
- الفنـون ١٩٧١
- الكـاتب ١٩٧١
- اللطـائف المصورة ١٩٢٧
- أم درمان
- المصرى ١٩٣٧

- المصور ١٩٣٦
- المقطم ١٩٣٢
- المؤتمر ١٩٤٦
- الوفد المصرى ١٩٤١
- اليقظة العربية ١٩٨٧
- بحوث علمية ـ نشرة دار الابحاث العلمية ـ ١٩٤٥
- حرية الشعوب
- روزا اليوسف ١٩٧٢
- مصر الفتاة ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩
- ريفولوسيوني فوستوك ( الشرق الثورى ) ـ ١٩٣٢ ( باللغة الروسية ) .

— The Labour monthly (1927-29)

— The Communist international (1939)

— International Press correspondence (1928)

— L'Egypte Contemporaine (1931)

— L'Egyptienne (1931)

مراجع أجنبية :


— Abdel-Razek Hassan - Some U.A.R Ecomnomic Features.

— AFAF LUTFI ALSAYYID — Egypt and Cromer

— ALBERT HOURANI - Arabic thought in the Libral age

— Alexandrian - Georges Henien.

— Boris Ponomaryov - Some Problems of the revolutionery movement.

— Department de La statique general (1944)

— DOREEN WARRLNER - Land reform and development in the Middle East.

— GABRIEL BAER — A history of Land-owner ship in modern Egypt.

— G.E. Von GRUNEBEUM — Modern Islam.

— GILLES PERRAULT — UN Homme a Part.

— G. Kirk — The Middle East in the war 1939-1945.

— HENRY HABIB AYROUT — The Egyptian Peasant.

— IVOR SPECTOR — The Soviet Union and the Muslim World, 1917-1958

— JEAN Lacoture — NASSER.

—JEAN & Simone Lacouture — Egypt in transition.

— JEAN-PIERRE THIEIC - La Journée de la 21 Fevrier 1946.

— KEITH WHEELOCK — Nasser's New Egypt.

— KILLERN (LORD) - The Killern Diaries.

— M.S. AGWANI — Communism in the Arab East.

— P.J. VATIKIOTIS — The Egyptian army in Politics.

— P.M. HOLT — Political and Social Change in modern Egypt.

— RASHID AL BARAWY (Dr.) — Economic Development in The U.A.R.

— RICHARD MITCHELL — The Society of The Mouslem Brothers.

— U.S. CONGRESS HOUSE — Committee of Foreign **affaire** — Report of Sub Committee No 5 (1949)

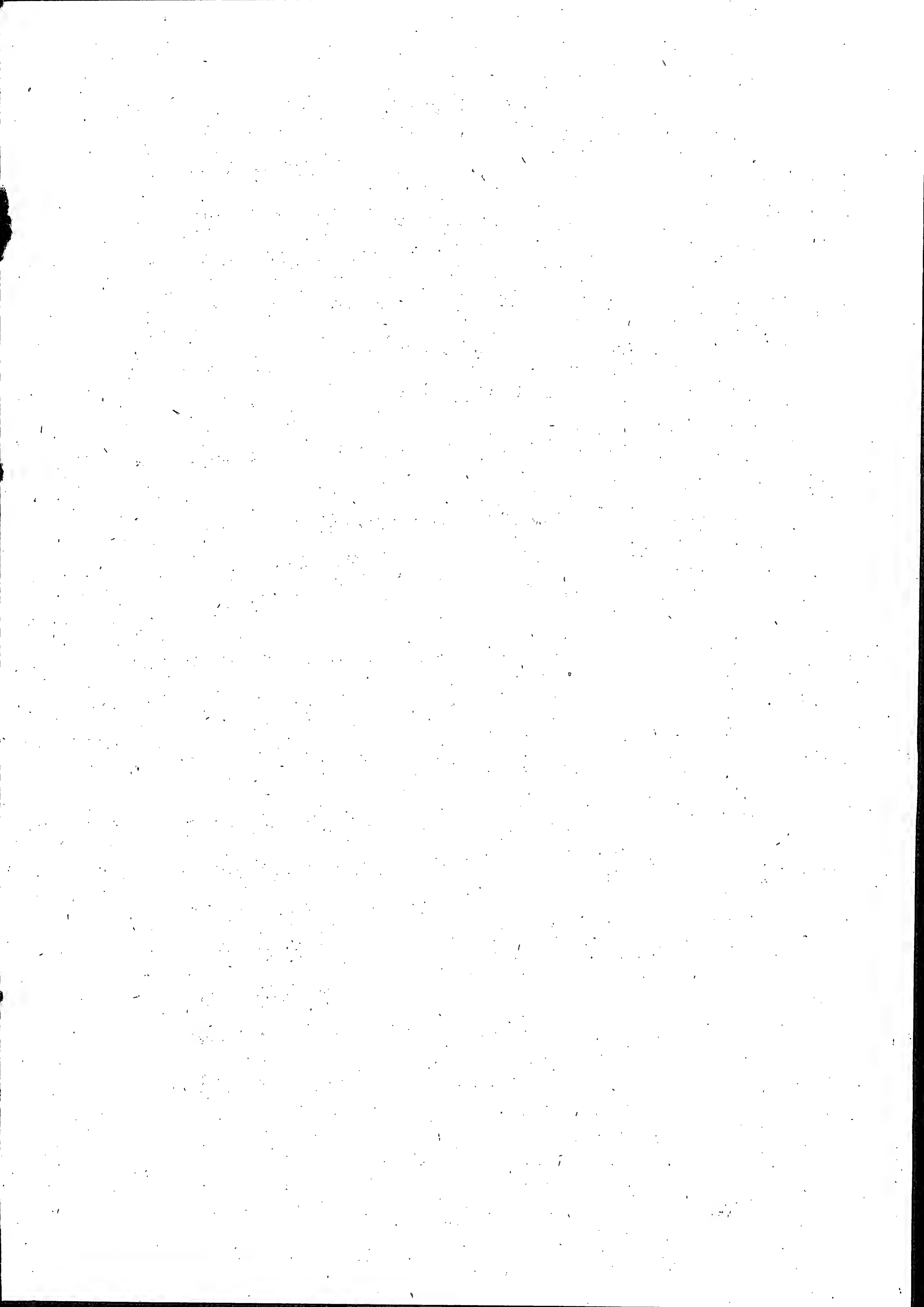
— WALTER LAQUER — Communism in the Middle East.

## محاضر نقاش :

- ابراهيم المناسترلى
- أحمد صادق سعد
- أحمد نبيل الهلالى
- ادوارد ليفى
- أسعد حليم
- ألبير آرييه
- أنور كامل
- ايلى ميزان
- بول جاكو دى كومب
- جمال غالى
- حسين كمال الدين ( دكتور )
- حلمى يس
- خالد محيى الدين
- دينا فورتى
- راؤول كورييل
- ريمون أجيون
- زكى مراد
- سعد رحمى
- سعيد خيال
- سيد سليمان رفاعى
- شحاتة النشار
- شحاتة هارون سلفيرة
- عبد الفتاح الشرقاوى .

- عبد الفتاح القاضى ( دكتور ) .
- عبده دهب حسنين
- عبد المجيد نعمان
- عبد المنعم الغزالى
- عدلى جرجس موسى
- فاطمة زكى
- فتحى الرملى
- فؤاد حبشى
- فؤاد عبد الحليم
- فوزى جرجس
- لطيفه الزيات ( دكتورة )
- مارسيل ميسيكوا
- مبارك عبده فضل
- محمد سيد أحمد
- محمدا شطا
- محمد يوسف الجندى
- محمود حمدى عبد الجواد
- مصطفى طيبه
- مصطفى هيكل ( دكتور )
- نقولا غازيس
- هنرى كورييل
- يوسف حزان
- يوسف درويش .

## فهرس الكتـــاب الأول



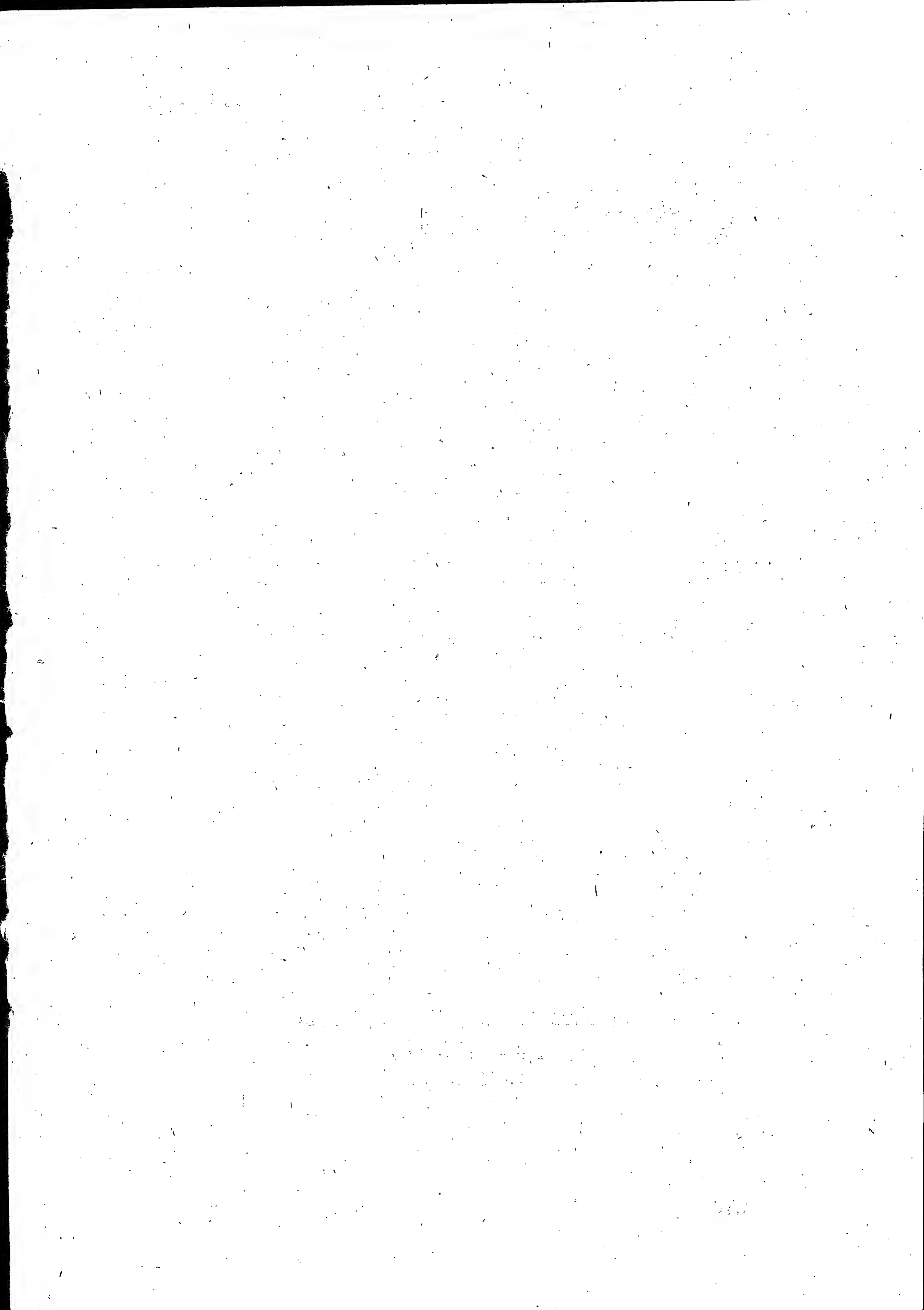
الكتاب الثاني

د. رفعت السّعيد

# اليسار المصري والقضيّة الفلسطينية

تعليق خالد محيي الدين

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن
دار الفارابي - بيروت
سبتمبر ١٩٧٤



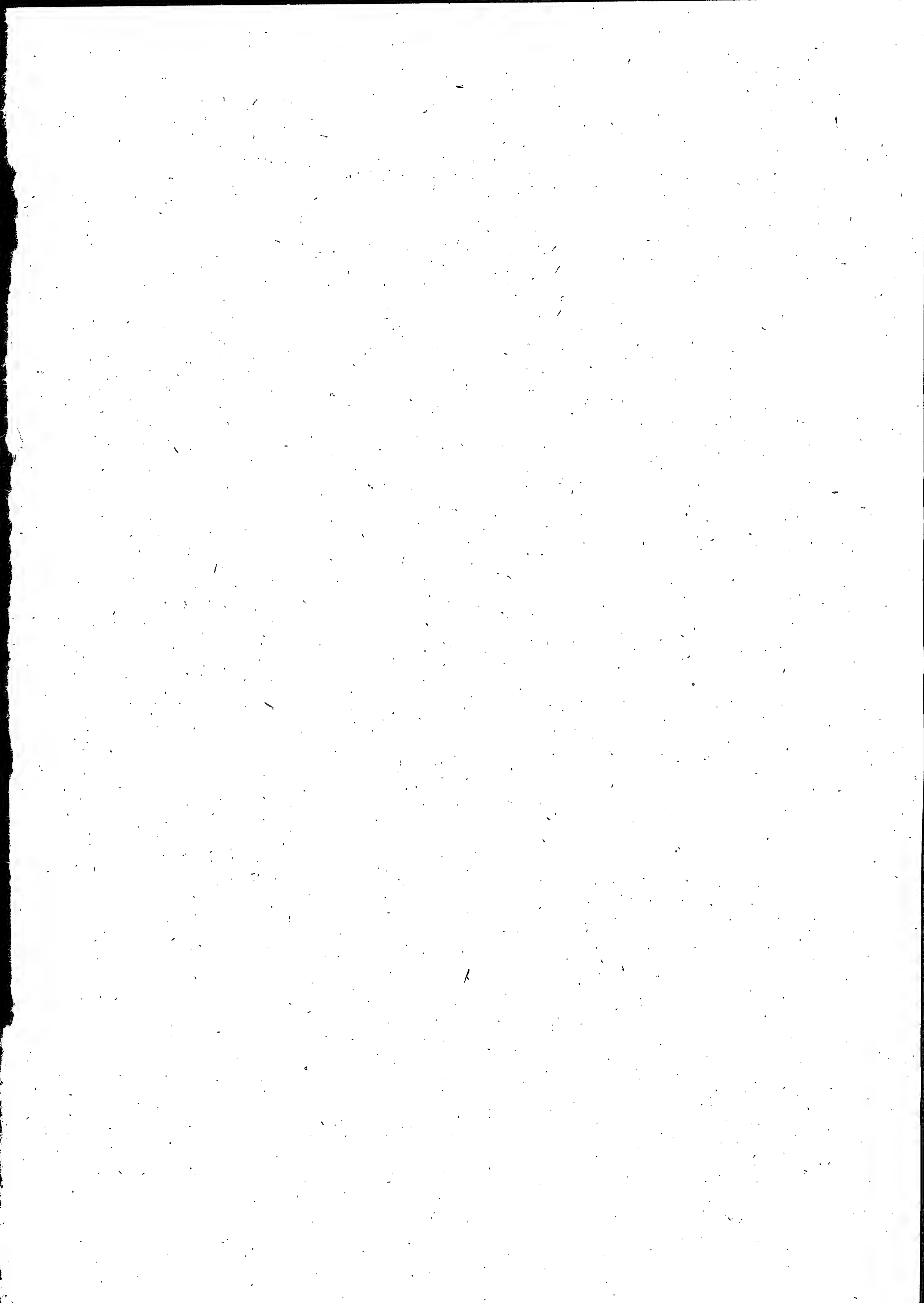
الى

**الاهـداء**

الى زوجتى مرة ثانية

فهى تستحق أكثر

**رفعت السعيد**

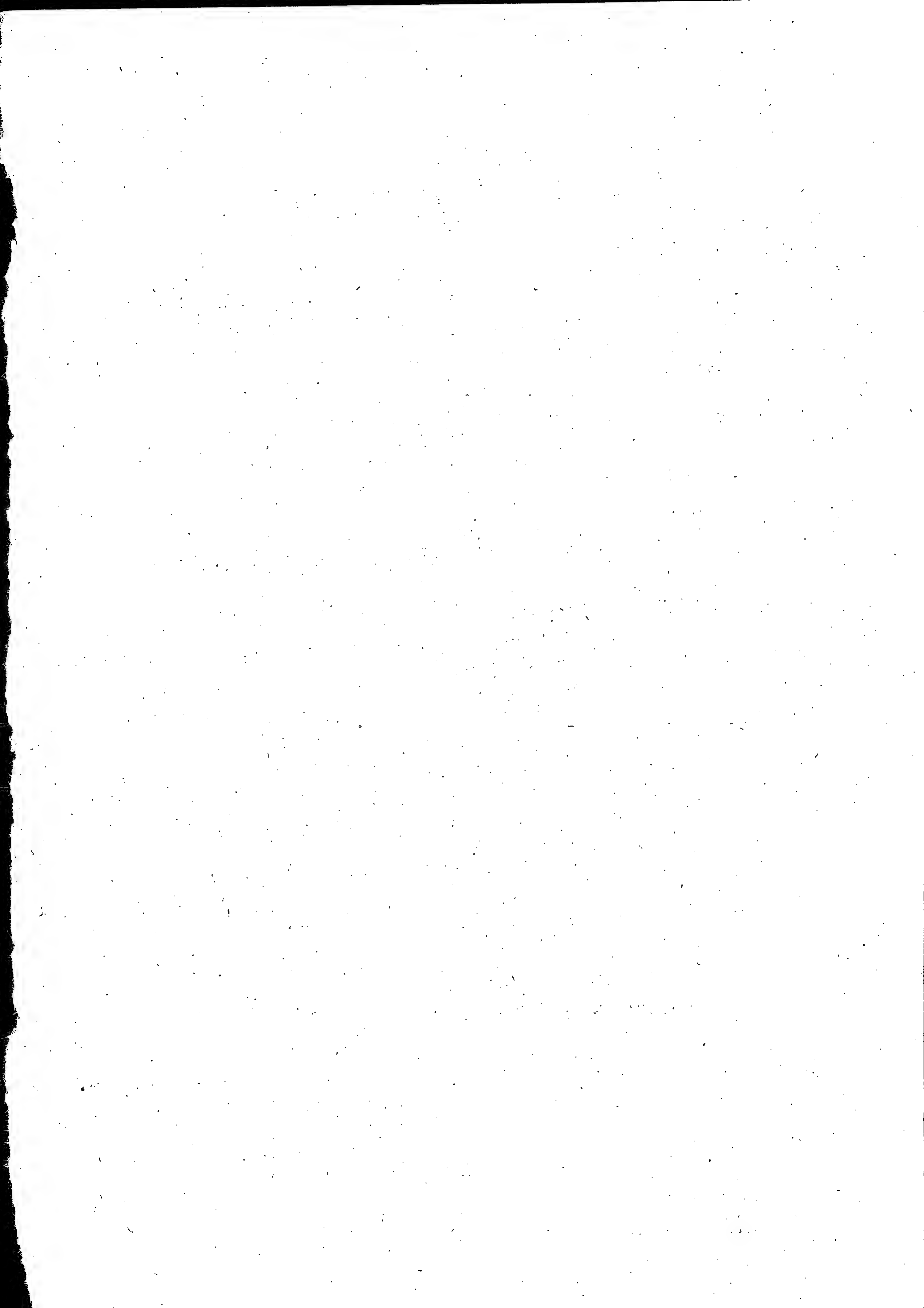


لمـــاذا

لأولى

## مقدمةبعة الأولى

لمـــاذا ؟



لم أزل أذكر ذلك اليوم ..

كنا لم نزل بعد شبانا صغارا ، أو بالدقة أطفالا كبارا ، وعام ١٩٤٨ يأتي بأحداثه المتلاحقة الجسيمة ، ومجموعتنا الطلابية التي أصبحت بحيويتها ونشاطها وتميزها عن كل من عداها ملء السمع والبصر ، كانت تجابه تطورات الموقف بحماس يفوق الحد ..

كنا نقاوم الاستعمار والحكم الرجعي والدعاوي العنصرية معا ، وكنا نلهب حماس جماهير الطلاب والشعب في مدينتنا الصغيرة بحماسنا الدافق ضد الاستعمار والسراي والحكم العميل للاستعمار .

وكنا نقاوم العنصرية ، ونحمي معبد اليهود القريب من مدرستنا من هجمات الاخوان المسلمين ، وتشابكت أيدينا مع أيدي مئات من الطلاب رفاقنا وأصدقائنا لنحيط بمحل حلواني يهودي مواجه للمدرسة حاول أعضاء الاخوان المسلمين ومصر الفتاة تدميره .

كانوا يهتفون « فلسطين الجريحة نفتديك » وكنا نهتف « الجلاء التام عن مصر وفلسطين » كانوا يصيحون « الي فلسطين لنطرد اليهود » وكنا نهتف « الي القناة لنطرد الانجليز .. لنحرر مصر وفلسطين من الاستعمار » ..

كانت دعاواهم عنصرية ، وكانت منطلقاتنا وطنية ، وتصادمنا وتضاربنا ، واختلت توازنات القوى كثيرا ، وفي مرات عديدة كانوا يخرجون بالألوف يصيحون صيحاتهم ، وكانت شعاراتنا تضيع وسط زحام الحناجر ..

وذات يوم جاءت « الجماهير » المجلة العلنية للتنظيم ، وقمنا بتوزيعها كالعادة ، وكانت مئات الايدي لا تزال تتلقفها ، وفي « الجماهير » استلفت

نظرى عبارة ، ربما لانهـا كانت ذات طابع دراسى ، وربما لانها لخصت كل صعوبة الموقف .. « ليشهد التاريخ ولتشهد الشعوب العربية ، اننـا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربقـة الاستعمار ، ومن أجل حيـاة سعيدة ، حرة ، ديمقراطية » ..

وأحسست يومها برغم صـغر سنى أن المسـألة أكبر من مصـادمات طلابية فى مدرسة ثانوية ، وان تنظيمنـا مقبل على خوض محنة ، يقتحمها بارادته الحرة مبتغيـا قـول الحقيقـة وصون مصالح الشعب ، حتى ولو كانت الرجعيـة قـد استطاعت جذب تيـار كبير من الجماهير تحت شعاراتها ، وتعلمت يومهـا أنـه قـد يحتم على السياسى أن يتشبث بقشة موقف صحيح قـد تدفعه بعيدا عن التيار ، ولكنها تنجيـه فى نهاية الأمر ..

كان الدرس صعبا وقاسيا وانتهى بى وبالكثيرين غيرى الى المعتقلات ونحن لم نزل بعـد دون السادسة عشر .

❋ ❋ ❋

وبعـد أكثر من ربع قرن ، ظل فيهـا موضـوع القضـية الفلسطينية مطروحـا وباستمرار على مائدة السياسة العربية ، وظل خاضعا أيضا لكثير من العمل والفحص والنقاش ، وامتزجت فيه وحوله الصراعات بشتى أنواعها ابتداء من الشعارات الحماسية الى دماء الشهداء ، وتراوحت المواقف وتصاعدت واشتبكت مع بعضها اختلافا أو اتفـاقا .

وبعـد مسيرة طويلة ، بذل البعض فيهـا دماءهم واكتفى البعض ببذل كلماتهم بدأت الامور تتضح وبدا الحق بينـا ، والباطل بينـا ..

ومع ذلك كله ، فلم يزل موقف اليسـار العربى والمصرى على وجـه الخصوص محطـا لتشويهـات متعمدة ، فالرجعية التى دبرت الجرم ، وشاركت فى المؤامرة ، واعتلت موجة المتاجرة بالكلمات والحقوق معـا ، لا زالت وحتى الآن تمارس نفس التجارة .

واليـوم ، ونحن مقبلون على تطورات هامة ، والفلسطينيون يقفـزون بقضيتهم التى طالمـا أهملت وأغفلت .. الى سطح الاحداث ، اليوم ومستقبل فلسطين يوشك أن يتحدد أعتقـد أنه من الضرورى أن نعيـد فتـح الـدفاتر القديمة ، لنتحاسب .. وليقـدم كل منـا كتابه ولنر من منـا سيؤتى كتابه بيمينه .

الآن .. الوقت مناسب تماما ، بالأمس لم تكن الامور قد نضجت بعد ، وفى الغد يكون الوقت قد فات ..

الآن ، يتعين علينا أن نقدم حسابنا لشعبنا وأمتنا ، ومن ثم فقد كان من الضرورى فى اعتقادى بذل جهد خاص فى استخراج وثائق اليسار المصرى الخاصة بالقضية الفلسطينية ونشرها على الملأ ..

***

ولقد تعمدت أن أقدم النصوص الكاملة للوثائق ..

فلسنا فى مجال يسمح بالاجتزاء ، أو التشكك فى الاجتزاء ، نحن نقدم كل ما أتت أيدينا ، ولسنا ممن يقولون كلمة فيندمون عليها ، أو يوارونها بعد زمن طال أم قصر ،

ولسنا ممن يخافون شيئا فيخفون أشياء ، بل نحن نقدم هذه المجموعة الكاملة من الوثائق ونحتكم بها الى « الضمير العربى » منتظرين حكمة ، مؤلين - فقط - أن توضع هذه الوثائق عند دراستها ، وهذا حقنا ، وحق البحث الصحيح فى اطارها الزمنى والتاريخى .

ولهذا فقد كتبت دراسة تمهيدية تستهدف فقط توضيح الخلفية التى تحركت الاحداث حولها وفى اطارها ، ولقد تعمدت أن أوجزها ، والا أتعرض فيها للوثائق حتى لا يتصور البعض أن قراءتها قد تغنى عن دراسة الوثائق ذاتها ، فهى مجرد تهيئة للمسرح واعداد للذهن كى يبدأ شريط .. الوثائق ..

والوثائق أنواع .. مقالات ظهرت فى صحف اليسار ، ودراسات أعدها ، وتقارير داخلية ، ومنشورات ، وبيانات ، ورسائل ، ولقد حاولت جهدى أن أستكملها وبذلت فى ذلك جهدا لا أود الافاضة فيه ، فهو واجبى كباحث ، وهو واجبى كسياسى ، لكننى فقط أود أن أقول ان ما جمعته هو أقصى ما استطعت ، وأن هناك بغير شك وثائق أخرى عديدة آمل أن يستطيع غيرى التوصل اليها .. ونشرها .

ولقد كانت هناك بدائل عديدة لترتيب هذه الوثائق ، لكننى آثرت فى نهاية الامر أن أرتبها - قدر الامكان - وفق الترتيب الزمنى لصدورها وهى تشمل فترة تمتد من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٥٦ .

وليس من الضرورى أن تكون كل وثيقة من هذه الوثائق قد مثلت وقت صدورها - وبشكل تام - موقف اليسار المصرى كله ، فلا شك أن بعضا من هذه الوثائق قد أثار - وقت صدوره وبعده - جدلا ونقاشا بل واختلافا ، بل أن بعضها قد عبر - وفقط - عن وجهة نظر كاتبيه ، ولكنه وفى نهاية الأمر كان يمثل أحد الآراء التى تفاعلت على أرضية اليسار فأسهمت فى تكوين الصورة العامة لموقفه ..

وعلى أية حال ، فانه يمكن القول - وباطمئنان - أن هذه الوثائق تمثل فى مجملها وبشكل عام ، الاتجاهات التى كانت سائدة فى صفوف اليسار المصرى حول القضية الفلسطينية .

وتضم الوثائق أيضا عددا من محاضر النقاش أجريتها مع عدد من الأفراد الذين عاشوا غمرة أحداث صراعات اليسار المصرى ضد الصهيونية ونشاطها المحموم فى مصر ، معبرين بذلك عن اخلاص غير محدود لمبادئهم ولمصر ..

ولا بد لهذه « المحاضر » أن تحتوى على ذكريات بعضها غير مرتب ، وبعضها قد يكون غير دقيق تماما - بحكم الفترة التى مضت عليها - لكنها فى مجملها يمكن الاعتماد عليها كوثائق تاريخية ذات دلالات هامة ، ويمكن - فى الأساس - أن تعطى صورة أشبه ما تكون باللوحات الفوتوغرافية التى تصاحب الوثائق كوسائل ايضاح أو كمحاولة لتوضيح الخلفيات التى صدرت الوثائق فى اطارها ..

وقد إعتقدت أيضا أنه من المفيد أن نلقى على هذه الوثائق نظرة معاصرة ، بهدف رؤيتها بعين الحاضر . ومحاولة تقييمها على ضوء تجارب وأحداث ربع القرن الذى مضى ، ذلك أن المقياس الحقيقى للموقف السياسى الصحيح هو قدرته على أن يكتسب بمضى السنين مزيدا من الثبات والجدة .

ومن ثم فقد كان التعليق على هذه الوثائق ضروريا ، فهو فى اعتقادى يمثل نوعا من فتح نوافذ الحاضر على بهو قديم فلا يزيده الضوء المعاصر الا جدة وتألقا .

* * *

لكننى لا أستطيع أن أخفى سببا آخر لاهتمامى بهذه الدراسة ، فالقارىء يعلم اننى ومنذ مدة قد أنجزت جزأين من دراستى عن تاريخ الحركة

الشيوعية فى مصر* • واننى ، أو من المفترض اننى بصدر اعداد الجزء الثالث وهو ذلك الذى يتناول بالدراسة تاريخ الحركة اليسارية فى مصر طوال فترة الأربعينيات ••

ولقد خضت خضم هذا البحث الملىء بالصعوبات ، ومن خطوطه المتشابكة التقطت فى البداية خيط دراسة مستقلة عن « الصحافة اليسارية »•

ثم هذه الدراسة عن « اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » •

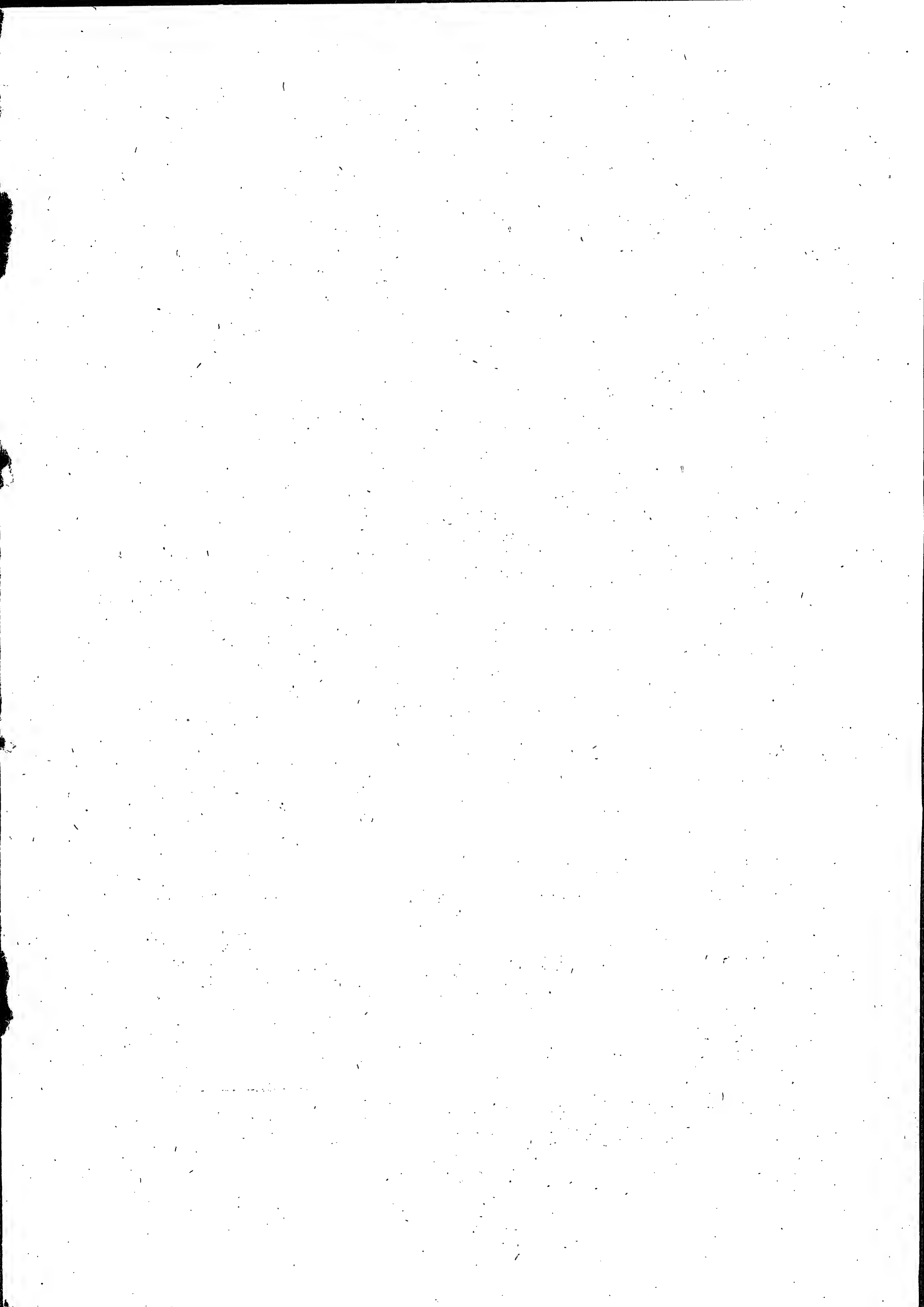
واذا كانت « الصحافة » أحد المحاور الاساسية للاعلام والفكر والصراع الايديولوجى لليسار المصرى فى الاربعينات فان « القضية الفلسطينية » كانت أحد أنضايا الهامة فى كفاحه وعمله وفكره فى هذه المرحلة أيضا •• وهكذا أكون بهاتين الدراستين قد أوفيت جزءا من الدين ، وتخففت من بعض العبء وتهيأت بالفعل لانجاز الواجب الصعب الذى ينتظرنى ••

ذلك عهدى أمام نفسى وأمام القارىء ••

**القاهرة مايو ١٩٧٤**

---

* تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ ـ دار الفارابى ـ بيروت ـ واليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ـ دار الطليعة ـ بيروت •



تمهيـدية

دراسة تمهيـدية

.. وليس من الممكن أن نتعرف على أبعاد وحقائق موقف اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية ، بغير أن نعود بضعة خطوات الى الوراء ، نعود الى تلك السنوات التى تبلورت فيها وبسرعة مذهلة شخصية الفكر المصرى الحديث ، والتى وقفت فيها مصر « لبرهة قصيرة » تتلفت .. وتفتش فى أعماقها .. وتتطلع الى خارج حدودها عبر المتوسط شمالا نحو أوروبا . ثم عبر البحر الاحمر شرقا نحو مكة .. ثم عبر الجنادل والصحراوات جنوبا نحو السودان ، ثم .. وفجأة ، وكعادة مصر جمعت أطراف ثوبها ودون أن تعلن اختيارا محددا ، انطلقت فى الطريق الذى أرادت .. وكان طريقا مصريا صرفا . أقول .. ليس من الممكن أن نتعرف على الصورة الحقيقية لموقف اليسار تجاه فكرة العروبة بغير أن نعود الى الفترة التى شهدت مولد القرن العشرين على أرض مصر ..

ففى هذه السنوات وبينما كانت أفكار العروبة تتبلور سريعا فى المنطقة التى اصطلح المصريون على تسميتها بالشام ( سوريا - لبنان - فلسطين ) وفى أماكن عربية أخرى ، كان العمل الوطنى المصرى يدور حول محاور مختلفة تماما .

ذلك أنه بينما كان رواد فكرة العروبة فى ذلك الحين يدفعون فكرتهم للصراع ضد ما اسموه بالانحرافات المحلية المناهضة للعروبة ، فان الصراع المصرى كان يجرى أساسا بين فكرتين « الاسلامية » و « المصرية » ولم تكن فكرة العروبة واردة أصلا .

وربما كانت الاسباب التى ادت الى ذلك عديدة ، وربما احتاجت الى دراسة مستقلة لكننا سنحاول هنا أن نعبر عليها سريعا ..

* فمصر بكيانها الكبير وتعداد سكانها وحضارتها القديمة كانت تستشعر القدرة على الحركة الذاتية المستقلة .. وكانت تبدو وكأنها لا ينقصها شىء سوى طرد المحتلين لكى تصبح شيئا هاما فى ذلك العالم .

* ومصر التى تقف باقدامها فى قلب افريقيا وتطل بشواطئها على البحر الابيض المتوسط وتلمس جوانب البحر الاحمر وتتحكم فى عديد من الطرق الهامة ، تستشعر ويستشعر مثقفوها - وربما حتى الان - لذة الحديث عن الحضارات الفرعونية ، الاغريقية ، الرومانية ، فمصر برغم كل شىء افريقية - اسيوية - فوق هذا كله ترفرفت فى سماء فكرها حضارات البحر

الابيض المتوسط العريقة ٠٠ ويقدم د٠ جمال حمدان تصوره لتأثير موقع مصر الجغرافى والحضارى على تكوينها الفكرى فيقول « اننا ازاء حالة نادرة من الاقاليم والبلاد من حيث السمات التى تشترك فيها مصر مع هذه البلاد أو تلك ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقا فريدا فذا حقيقة ، فهى بطريقة ما تكاد تنتمى الى كل مكان دون أن تكون هناك تماما ، فهى بالجغرافيا تقع فى افريقيا ، ولكنها تمت أيضا الى آسيا بالتاريخ ٠٠ هى فى الصحراء وليست منها ، فرعونية بالجد ولكنها عربية بالاب ، ثم أنها بجسمها النهرى قوة بر ، ولكنها بسواحلها قوة بحر ٠ وتضع بذلك قدما فى الارض وقدما فى الماء ٠ وهى بجسمها النحيل تبدو مخلوقا أقل من قوى ، ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسا أكثر من ضخم ٠٠ وهى توشك بعد هذا كله أن تكون مركزا مشتركا لثلاث دوائر مختلفة بحيث صارت مجمعا لعوالم شتى ، فهى قلب العالم العربى وواسطة العالم الاسلامى وحجر الزاوية فى العالم الافريقى »(١)

ألا تكفى مثل هذه الكلمات كى توضح الى أى حد يتوله المثقف المصرى فى حب مصر ، وفى البحث عن مميزاتها وعبقريتها بحيث تبدو فى نظره كما يقول د٠ حمدان « فلتة جغرافية لا تتكرر فى أى ركن من أركان العالم » وبحيث تصبح « ملكة الحد الاوسط » و « سيدة الحلول الوسطى » كما يقول أيضا ٠ (٢)

※ ومصر بحبها العميق لنهر النيل واحترامها بل وتقديسها له ، تطلعت عبر قرون طويلة جنوبا تأمل فى وحدة هذا المجرى العظيم ومن ثم برز شعار « وحدة وادى النيل » ٠

※ وأسباب أخرى عديدة دفعت طموح البرجوازية المصرية الناشئة الى التطلع جنوبا وجعلت من وحدة وادى النيل شعارا لكل حزب سياسى بينما كان زعيم مصرى كسعد زغلول وهو بعد يسعى للاعتراف باستقلال وطنه فى متاهات مؤتمر باريس بعد الحرب العالمية الاولى يرفض مبدأ الجلوس مع الزعماء العرب معلنا واحدة من عباراته الشهيرة ٠

« صفر + صفر = صفر » ٠

---

(١) د٠ جمال حمدان ــ شخصية مصر ــ دراسة فى عبقرية المكان ــ سلسلة كتاب الهلال العدد ١٩٦ يوليو ١٩٦٧ ٠ ص ١٣ ٠
(٢) المرجع السابق ص ١٤ ٠

* والاسلامية وجدت أيضا ما يبررها ، فالسطوة العثمانية خفت قبضتها كثيرا من حول أعناق الشعب المصرى • وجاء الاحتلال الانجليزى ليثير مشاعر اسلامية ووطنية معا •

والأزهر يتحول ليصبح قلعة دينية بل ووطنية هائلة التأثير •

وشيوخ المسلمين المصريين خاضوا مع شعبهم معارك التحرر وتمردات الغضب ضد الاحتلال وضد الظلم ••

وتتعلق آمال البعض بوحدة اسلامية كبرى تقهر كل ماعداها • ونطمح « مصر » كى تلعب دورا فى هذه الوحدة •

ويتبلور ذلك كله صراعا بين تيارين يتواجدان فى أكثر الاحزاب المصرية وطنية وراديكالية •• هو « الحزب الوطنى » ذلك الحزب الذى كان برغم ضعفه وأخطاء قادته مدرسة للوطنية الحقة •

فمصطفى كامل زعيم الحزب الذى « ناور » طويلا مع السلطان العثمانى الماكر محاولا أن يكسب شيئا لوطنه ، يفقد الامل فى أى شىء يمكن أن يعطيه السلطان الضعيف فيقف فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ فى آلاف من جماهير حزبه التى نفضت عنها كل الآمال « العثمانية » ووقفت تهتف « تحيا مصر » •• يقف الزعيم ليصوغ مرارات هذه المناورة التى لم تأت له بشىء سوى وسام يعطيه لقب « باشا » •• وقف يصوغ ذلك كله فى كلمات تحولت الى أنغام عاصفة فى قلوب الشباب المصرى المحيط به « بلادى بلادى •• لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فأنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » •

ويمضى مصطفى كامل فى خطابه قائلا « رمانا الطاعنون بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيها لتركيا ، وما هذه التهمة الا تصريح بأن معرفتنا لحقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا أن نكون عبيدا أرقاء • فليعلم أعداء مصر اننا نطلب لها الاستقلال ، ونطلب لها ذلك الاستقلال بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الارض كلها واننا اذا أخلصنا الود لأمة أو لدولة فانما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة بأن من اتفقت مصالحهم يجمعون ويتناصرون ، أننا نعلن للملأ كله أن الحزب الوطنى مستقل عن كل الدول والحكومات والملوك والأمراء »(٣) •

---

(٣) على فهمى كامل • سيرة مصطفى كامل • جـ١ • ص ٣٧٨ •

لكن تيارا آخر داخل صفوف نفس الحزب كان يتواجد بزعامة الشيخ عبد العزيز جاويش الذى كان ينادى « لا وطنية فى الاسلام » **وكان يتمسك** بشعار « الجامعة الاسلامية » وهو شعار ينادى بحق الامة المصرية فى الحرية والدستور والجلاء فى ظل وحدة العالم الاسلامى ممثلة فى الدولة العثمانية التى يتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمزيقها ، فان تمزيقها ضياع للوطن كله . (٤)

والحقيقة أن الاتجاه الاسلامى قد وجد صدى لبعض الوقت فى نفوس الشباب المصرى الامر الذى « أكتسب الحزب الوطنى بعض الجماهيرية التى مكنته فى بعض الوقت من أن يملأ شوارع القاهرة بمظاهرات صاخبة ، لكنه — وفى الوقت نفسه — قد أفقده تأييد عناصر كثيرة »(٥) .

وبعد وفاة مصطفى كامل تولى محمد فريد زعامة الحزب وزعامة التيار المناهض « للاسلامية » وأخذ يقاوم آراء جاويش كاتبا فى مذكراته « ان حب الشيخ جاويش للدولة العثمانية أدى به الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبح يقول أن مصر للمسلمين لا للمصريين ، وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن ينصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه فى جنيف والمكتوب عليه « مصر للمصريين » والذى قررنا أن يكون شعار المصريين المخلصين ، وقال أن منظره فى صدرى وصدر اخوانى يغيظ العثمانيون كما يغيظهم محافظتى على قومية مصر »(٦) .

وفى موضع آخر من المذكرات يقول محمد فريد « أن جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية فى الاسلام وقد قال أخيرا فى برلين لاحمد بك أن يقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية قائلا انه لا وطنية فى الاسلام »(٧)

ولسنا نستطيع أن ننتقل من هذه النقطة — وهى بطبيعتها نقطة تمهيدية — بغير أن نشير الى أثر المفكرين والمهاجرين الشوام الذين وفدوا الى مصر بأعداد كبيرة بعد الاحتلال الانجليزى وهربا من الاضطهاد العثمانى فى الموقف المصرى العام من فكرة العروبة ..

---

(٤) أنور الجندى . عبد العزيز جاويش . ص ٨٣ .

5) J. A. Ahmed — The intellectual Origines of Egyptian Nationalism. Oxford. 1960 — P.78.

(٦) محمد صبيح — مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية . ص ٢٨٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٣١٨ .

فهؤلاء المفكرين بغض النظر عن اختلاف مواقعهم الفكرية والطبقية ، وبغض النظر عن تمسك عدد لا بأس منهم بأفكار تقدمية بل واشتراكية فى بعض الاحيان ، فان الكثيرين منهم قد تشبثوا بموقفين أساسيين ميزا حركة المفكرين الشوام فى مصر ..

ـ العلمانية ورفض الفكر الدينى الامر الذى أثار عليهم حفيظة كثير من المصريين المسلمين الذين وجدوا فى ذلك تحديا للدين قادما من مفكرين غالبيتهم من المسيحيين . وكان من الطبيعى أن تتوارد تفسيرات شتى لهذا الموقف الجاف والعنيف الذى اتخذه مفكرو الشام من الاديان عموما فيقول جمال أحمد انهم « تزعموا اتجاها علمانيا يتصور أن الدين يعيق العرب عن النهوض الى مستوى الحضارة الغربية ، وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخليص المجتمع من نفوذ الدين »(٨) .

ويقول د. كامل عسلى « ان الارساليات البروتستانتية والكنيسة المارونية التى مارست نفوذا كبيرا فى لبنان قد خلقت جوا من الارهاب كى تحكم قبضتها على أتباعها وقد أدى هذا بالمفكرين اللبنانيين الى أن يشنوا هجمات عنيفة على التعصب والطائفية » .(٩)

أما العقاد فيشير الى نفس السبب تقريبا فيقول ان رجال الدين المسيحى فى منطقة الشام « ربما كانوا أقوى الطوائف الدينية فى العالم وأوسع رعاة الكنائس اشرافا على حياة أتباعهم . فقد جمعوا بين الزعامة فى الدين والزعامة فى السياسة والزعامة فى العلم . وناهيك بها من سطوة هائلة تغرى بالتحدى وتغرى بالمناجزة »(١٠) .

وأيا كان السبب فان هذه التوجهات « العلمانية » بالرغم من تقديرنا لها، قد أتت فى وقت ربما كان غير مناسب وعلى أيد لم تكن مناسبة على الاطلاق .. مفكرين شوام .. ومسيحيين الامر الذى ادى الى تشكك المسلمين المصريين فى هذه الدعوة ..

---

9) Jamal Ahmed. Ibid. P. 41.

(٩) كامل عسلى . الاتجاهات التقدمية فى الفكر العربى الحديث ـ رسالة دكتوراه غير منشوره . ص ٢٦٣ من النص الانجليزى المودع بجامعة برلين .

(١٠) البلاغ ـ ٥ مارس ١٩٢٤ .

اما الموقف الثانى فقد كان اكثر خطرا واكثر مدعاة لعزلة هؤلاء المفكرين ونفور المصريين منهم وهو أنهم فى حمأة معاداة « العثمانية » التقوا مع المحتلين الانجليز .. بعضهم محتفظا « بتقدميته ! » والبعض الاخر محتفظا فقط « بعلمانيته » مرتميا نهائيا فى أحضان الانجليز ..

فاذا أخذنا مفكرا تقدميا مثل « شبلى شميل » نجده يقول « ان مصر تحت سيطرة الانجليز انتظم ريها واتسعت زراعتها وأثرى فلاحها ، وصارت حياته ذات قيمة ... وبلغت الحرية فيها مبلغا تفتحت له أبواب السجون » (١١) .

وعندما هبت مصر كلها ترفض مد امتياز قناة السويس تحديا للانجليز عارض شميل هذا الموقف صراحة قائلا « حقوق الامم هى فوق حقوق كل فرد مهما تعاظم ، وحقوق العالم أجمع فوق حقوق كل مملكة »(١٢)

ويحنق المصريون عليه ويكتب له أحدهم « اليوم الوحيد الذى فازت الأمة فيه على الحكومة قمت يا حضرة العالم والفيلسوف تنتقد عملنا فدعنا فى جهلنا ودع علمك لبلادك »(١٣) .

أما « ولى الدين يكن » فقد كتب كتابا رائعا مليئا بالدعاوى التقدمية هو كتاب « المعلوم والمجهول » لكنه صدر صفحاته بصورة عدو مصر الاول اللورد كرومر واصفا اياه بأنه « مصلح مصر » .

ويصدم المصريون . ويشعر الرجل بهول الصدمة فيكتب فى مقدمة الجزء الثانى من نفس الكتاب « نظر أناس فى الجزء الاول من المعلوم والمجهول فرأوا صورة اللورد كرومر وقد كتبت تحتها « مصلح مصر » فألقوا بالكتاب جانبا وأطبقوا جفونهم وولوا عنه هاربين »(١٤) .

---

(١١) شبلى شميل ـ مقال نظرة هامة فى مسألة عامة ـ الجزء الثانى من مجموعة أعماله . ص ٢٠٧ .

(١٢) شبلى شميل ـ مقال العالم بعد ٦٠ سنة ـ المرجع السابق ص ٢٩٣ .

(١٣) شبلى شميل ـ مقال حرية الطباعة ـ المرجع السابق ص ٣٣٢ .

(١٤) ولى الدين يكن ـ المعلوم والمجهول ـ الجزء الثانى . مطبعة المعارف عام ١٩١٩ . ص ٢ .

ولسنا نريد أن نفيض فى الحديث عن هذا الموقف اذ يكفى أنه قد عزل هؤلاء المفكرين ووضع كل ما رددوه من أفكار موضع الشك والريبة ٠٠

ويشعر شبلى شميل نفسه بذلك فيصوغ نقده الذاتى لهذا الموقف شعرا :

فيا وطنى ما خاننى فيك خائن
من الحب لو انى رضيت به ندا
أريدك فى عز ولكننى أرى
على غير ما أرضى ، أرى العز قد ندا
فان جرت فى حكمى فما أنا جائر
وما أنا الا باحث لم يجد بدا(١٥)

واذا أردنا ختاما لهذه الفقرة أن نصور موقف الوطنية المصرية من دفاع « بعض » المفكرين الشوام عن الاحتلال الانجليزى ٠٠ فلنأخذ مثالا واحدا لعله يكفى ٠٠ ولنتأمل هذه العبارات التى هاجمت بها احدى صحف الحزب الوطنى جريدة « المقطم » والعنوان « لا كرامة لمأجور ، فليخرس المقطم » ثم يمضى الهجوم « ما بال أولئك الغرباء عن جميع الاوطان كلما رفع وطنى صميم صوته فى شأن من شئون وطنه صاحوا بأنكر الاصوات ناقمين ؟ وما حكوه طاعنين ؟ وسخروا منه حاقدين ؟

عرفت الامة هؤلاء الاعداء لا يهنأ لهم عيش الا اذا ضاع لها حق ٠ وعرفت صحيفتهم الصفراء بوقا للاحتلال يصوت فيها فيتردد صداه ، وآلة يديرها مستدير ٠٠ ألا فليخرس المقطم فانه أحقر عند الامة من أن تلقى له بالا أو تقيم لحماقته وتضليله وزنا »(١٦) ٠

ولكى نكون منصفين فان كثيرا من المفكرين الشوام قد تركوا ــ برغم كل شىء ــ أثرا ايجابيا هاما فى تطور الفكر المصرى ، ولكى نكون منصفين أيضا فاننا يجب أن نقول ان الاستعمار الانجليزى قد سعى دوما بالوقيعة بين المثقفين المصريين والمفكرين الشوام لاعبا طورا على قصة « الدين » وطورا آخر على كونهم « شواما » ٠٠ وقد وقع فى أحبولة هذه المؤامرة الكثيرون من الطرفين على السواء ٠

---

(١٥) شبلى شميل ــ المرجع السابق مقال انحطاط الشرق الادبى والعقلى ص ١٩٤

(١٦) أنور الجندى ــ المرجع السابق ص ١٠٥ ٠

وعلى أية حال فان ما يعنينا هنا هو أن الفكر المصرى الحديث قد صدم فى مرحلة تكوينه الأولى فى بدايات القرن العشرين بالتحدى لوطنيته ولصراعه ضد الانجليز قادما من أناس ينادون « بالعروبة » ·· ولابد لذلك كله من أن يترك أثرا انعزاليا على « المثقف المصرى » ·· ويتضاعف هذا الاثر عندما يقع فى فترة التكوين الحقيقية ، بحيث يبدو الامر – فى نظر البعض – وكأنه لم يكن محض مصادفة ·

***

واذا جاز لنا أن نلجأ الى التبسيط فى تحديد ردود الافعال فان « الاسلامية » والتمسك بها هى رد فعل طبيعى لمهاجمة الدين ومن جانب عناصر مسيحية تجعل من هدم الدولة العثمانية هدفا اساسيا لها · كذلك فان التمسك « بالمصرية » يمكن أن يكون رد فعل طبيعى أيضا للجوء عدد كبير من المفكرين الشوام المنادين « بالعروبة » الى تأييد الانجليز طعنا فى العثمانيين ·· لكن الامور لم تكن – مطلقا – بمثل هذا التبسيط ، ذلك أن للمناداة بالمصرية أو بالاسلامية ، جذورا امتدت عميقا فى تربة مصر ووجدانها ، وكان انتصار شعار « مصر للمصريين » على كل ما عداه تعبيرا واقعيا تماما عن حركة التاريخ المصرى الحديث بحيث يمكن للباحث أن يجزم بأنه لم يكن من الممكن أن تسلك مصر طريقا آخر ، ومهما كانت الأفعال وردود الافعال ·

ونعود فنستقرىء كل ما أوردناه من أسباب نأت بمصر لفترة من الزمن عن فكرة العروبة ومكنت حكامها من أن يخوضوا بها غمار حياة منعزلة الى حد كبير عن التيار العربى · بحيث لم تكن « العروبة » ترد الا عرضا ودون أن تترك أية مؤثرات جادة على الوجدان المصرى عموما ·

ورسخ « الاقطاع » هذا الموقف بتطلعاته جنوبا حيث السودان المطمح السهل المنال – أو هكذا خيل اليهم – والذى « لو تركته مصر فانه لن يترك مصر » كما قال الامير عمر طوسون ، والذى يتضمن امتدادا طبيعيا وهائلا للرقعة الزراعية ولوادى النيل ·· ولمجرى النيل ذاته ··

ورسخه الاستعمار محاولا أن يعزل مصر عن التيار العربى ·· خوفا من أن تصبح مصر العربية « كيفا » جديدا يقلب موازين القوى فى المنطقة ·

ورسخته مختلف الاحزاب الوطنية المصرية التى ربطت فهمها للوطنية بشعار « مصر للمصريين » متأثرة فى ذلك بتنامى الدور الاستغلالى لعدد من الرأسماليين وكبار الملاك الشوام الذين اغتنموا فرصة « الامتيازات

الأجنبية » وفرصة كونهم رعية فرنسية أو انجليزية أو غيرها وعاشوا ينهبون مصر مع غيرهم من الناهبين الاجانب ، فكان المطلب الداوى الذى يهز أوتار قلب كل مصرى يرى أجنبى ( بمعنى غير مصرى سواء كان أوربيا أو عربيا ) يتمتع بامتيازات تكبل حركة مصر وتصمها بالمهانة .. هو مطلب « مصر للمصريين » وتوارى شعار « الاسلامية » أما شعار « العروبة » فانه يمكن القول بأن ظل لفترة طويلة وكأنه لم يخطر لاحد على بال .

* * *

وبدون أية محاولة للتحيز يمكن القول بأن القوة السياسية المصرية الوحيدة التى التقطت خيط العروبة وتمسكت به أملا لتضامن كفاحى ضد الاستعمار والصهيونية كانت قوى اليسار المصرى .

وبادىء ذى بدء فان اليسار المصرى كان قد اتخذ موقفا أكثر صحة من فكرة « وحدة وادى النيل » ورفع بديلا عنها شعار « الكفاح المشترك ضد الاستعمار وحق تقرير المصير للشعب السودانى »(١٧) .

وبالمقابل فان الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس فى أغسطس ١٩٢١ قد بدأ فى التعرف على واجباته « العربية » سريعا .
وبدأت شعارات وحدة الشعوب العربية فى الكفاح ضد الاستعمار تتردد فى كثير من بياناته ..

وعندما تأسست « عصبة النضال ضد الامبريالية » League Against Imperialism فى بروكسل لعب الشيوعيون المصريون دورا نشيطا فى دعم أفكارها على نطاق الوطن العربى كله محاولين تأسيس شعبة لها فى مصر تضم ممثلى مختلف القوى الوطنية ، ثم شعب مماثلة فى مختلف البلدان العربية على أساس أن تتكون منها قيادة مركزية عربية يمكن أن تسمى « عصبة تحرير البلدان العربية » .

---

(١٧) نشر النص الكامل لبرنامج الحزب الشيوعى المصرى لعام ١٩٣١ فى :

Ivor Spector — The Soviet and the Muslim World 1917 - 1958, University of Washington, Press Scattle, 1959 — P. 141-156.

والبرنامج معنون « برنامج عمل للحزب الشيوعى المصرى ــ النضال من أجل حل ثورى للازمة » . وينص البرنامج على : « الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان ــ مع الضمان الكامل لحق السودان فى تقرير مصيره » .

وتتحدث وثائق وزارة الخارجية البريطانية المودعة الآن فى المتحف البريطانى عن هذه المحاولة وتقول « أنه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لتكوين فرع للعصبة بالقاهرة • وان هناك اقتراحا بعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية بالقاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى المشترك •• »

وتقول الوثيقة ان « اتصالا تم بعدد من الشخصيات المصرية لبحث مسألة عقد هذا المؤتمر معها ومن بين هذه الشخصيات عضو فى البرلمان المصرى • وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين وأندونيسيا وانجلترا والهند •• »(١٨) •

ولا بد من أن نلاحظ أن الحزب الشيوعى المصرى قد واكب بموقفه هذا الموقف العام الذى اتخذته الحركة الشيوعية العالمية والذى كان ينسجم تماما ـ والى فترة من الوقت ـ مع الدعوة للوحدة العربية ••

بل ان بيانا صادرا عن « العصبة المناهضة للامبريالية » نشرته بالنشرة الرسمية الدولية " International Press Correspondence " تحت عنوان « النضال من أجل حرية الشعب العربى »(١٩) ( ونلاحظ أنها المرة الاولى التى تستخدم فيها نشرة شيوعية تعبير « الشعب العربى » ) ويقول البيان « لقد أوضحت أحداث فلسطين الاخيرة حقيقة أن القضية الوطنية العربية تشكل فى الوقت الراهن أحد القضايا الهامة فى السياسة العالمية • **والعرب يمتلكون كل الحق فى القضاء على تقسيم وطنهم وأن يكونوا دولة موحدة ، قوية ، مستقلة ، وحرة تماما ، دولة عربية عظمى ـ يحدد شكلها ومستقبلها ليس بواسطة الامبرياليين الاجانب ، وانما وفقا لمصالح وارادة الجماهير العربية الكادحة ، فلاحين وعمالا وبدوا »** •

وتمضى هذه الوثيقة البالغة الاهمية قائلة : ان العصبة المناهضة للامبريالية وقد تابعت باهتمام المظاهرات الرائعة التى تفجرت يوم ٢

---

(١٨) وثيقة معنونة « وثائق وزارة الخارجية ـ مكتب السجلات العامة ـ سرى للغاية ـ لا يجوز تداوله ولا تصويره الا باذن خاص » • ومرقمة كما يلى :

F.O. 377 — Egypt and Sudan — File No. 101 — Date : 26-7-1927.

19) International Press Correspondence — English Ediotion ( Unpublished Manuscripts — Please Reprint ) — Vol. 9. No. 64-15 th November 1929. P. 1371.

نوفمبر فى فلسطين كتعبير عن النمو الهائل للحركة الوطنية فى البلدان العربية جميعها لترسل بأحر تحياتها الى المناضلين دفاعا عن حقوق الامة العربية ( نلاحظ أيضا أنها المرة الاولى التى تستعمل فيها وثيقة شيوعية تعبير الأمة العربية ) » ٠

ثم تمضى هذه الوثيقة لتدعو العرب فى كل مدينة وقرية الى تكوين لجان قاعدية لمناهضة الاستعمار على أساس برنامج وطنى ، وبحيث تنتخب هذه اللجان ممثليها للجنة أعلى حتى تتكون لها قيادة ثورية فى كل بلد عربى ثم « على هذه اللجان أن تنتخب المجلس الوطنى العربى » (All Arab National Council) ومثل هذا التنظيم يبنى على أساس تعبئة كل القوى الشعبية فى مجرى التحرر الوطنى ، ليخوض كفاحا لن ينتهى الا بالنصر الحقيقى ٠

ويختتم النداء بالشعارات التالية :

عاش النضال التحررى للشعب العربى ٠٠ فليسقط الامبرياليون ، وليسقط انقسام البلدان العربية ٠٠ ولتحيا الدولة الفيدرالية العربية الموحدة الحرة » ٠

وثمة وثيقة أخرى لعل عنوانها بذاته يوحى بأهميتها « مهمات الشيوعيين فى الحركة القومية العربية »(٢٠) والوثيقة صادرة عن كونفرنس ممثلى الحزب الشيوعى فى سوريا والحزب الشيوعى فى فلسطين ٠ وتبدأ بالعبارة التالية « نظراً للاهمية المتزايدة للحركة الثورية فى البلدان العربية يبدو لنا من الضرورى اعطاء تقييم للوضع فى هذه البلدان من وجهة النظر الشيوعية ٠٠٠ » ٠

٠٠ « ان احدى المهمات الجوهرية فى نضال التحرر الثورى ضد الامبريالية على امتداد منطقة الشرق الادنى هى حل المسألة القومية العربية » ٠٠ « ان طموح الجماهير الشعبية العربية الى الوحدة القومية ضمن حدود دولة تقام ، ليس حسب تعليمات الامبريالية ، بل على أساس القرار النابع من هذه الجماهير ذاتها ، والمتخذ بحرية ، والمرتبط بلا فكاك بطموحها للتخلص من نير الامبريالية ٠٠٠ ان الجماهير الشعبية العربية تشعر بأنه يتوجب

---

(٢٠) المراسلات الصحفية الاممية ـ العدد الاول ٤ يناير ١٩٣٣ ( الطبعة الانجليزية ) ص ٨ ٠

عليها ، من أجل اتقاء نير الامبريالية ، أن توحد جهودها فى ما هو مشترك بينها من وحدة اللغة والشروط التاريخية واضعة نصب عينيها عدوها المشترك ان تلاحم هذه الجماهير فى النضال الثورى ضد الامبريالية واتساع نضالها هذا ، يظهران أنه تتوفر لدى الشعوب العربية كل الشروط التى لا غنى عنها من أجل ازالة النير الامبريالى ، والحصول على الاستقلال الوطنى وخلق دول عربية تتمكن بعد ذلك ، على أساس قرار متخذ بحرية أن تتوحد على أسس فيدرالية » .

وأيضا « ان هيمنة الطبقة العاملة لا يمكن أن تتحقق بدون نضال البروليتاريا الصلب من أجل الاستقلال الوطنى وحريتهم القومية ، ومن واجب الشيوعيين خوض النضال من أجل استقلالهم الوطنى ووحدتهم القومية ليس فقط ضمن الحدود الضيقة والمصطنعة التى خلقتها الامبريالية ومصالح الاسر المالكة فى كل بلد عربى ، بل أيضا على النطاق العربى من أجل الوحدة القومية للشرق كله ، ان الحركة الثورية المضادة للامبريالية يجب أن تجد قوتها وتكتسب اتساعا ثوريا حقيقيا ، وتصبح مركز جذب لاوسع الجماهير بتصفية الحدود المصطنعة .. لا يمكن أن يحدث انفجار فى الحركة الثورية المضادة للامبريالية فى مصر وفلسطين أو أى بلد عربى آخر بشكل منعزل دون دعم البلدان العربية الاخرى . ان الاحزاب الشيوعية مدعوة لتصبح منظمة للنضال من أجل التحرر الوطنى ومن أجل الثورة المعادية للامبريالية على النطاق العربى » .

ثم تحدد الوثيقة عددا من الواجبات أولها « تطوير حملة واسعة جماهيرية قائمة على أهداف ومهمات حركة الإنعتاق القومى المضاد للامبريالية ، مع الترفيق بينها وبين المهمات الانية لحركة العمال والفلاحين فى البلدان المعينة . فى خوض النضال من أجل قلب نير الامبريالية . فى كل بلد يجب ربط هذا الشعار بالنضال من أجل تقرير المصير الوطنى الحر للشعوب العربية وفى هذا المضمار يقوم الشيوعيون بالدعوة من أجل الوحدة القومية المتخذة شكل اتحاد عمالى - فلاحى على النطاق العربى » .

ولست أعتقد اننى بحاجة الى مزيد من التعليق على هذه الوثائق البالغة الاهمية فلعلها بموقفها الواضح والجلى - تسجل سبقا حقيقيا لليسار العربى على كل الاحزاب .. القومية والبرجوازية الصغيرة ، التى تتجاهل التاريخ وتتناساه ، بل وتستغل تناسينا نحن للتاريخ لتحاول أن تزعم لنفسها سبقا فى هذا الميدان ..

فها هو موقف اليسار العربى ككل ، مسجلا فى وثيقة رسمية ، محددة التاريخ ( ١٥ نوفمبر ١٩٢٩ ) ٠٠ وها هى مواقفه تجاه الوحدة العربية ٠٠ وتجاه قيام الدولة العربية الواحدة ٠٠

وينزعج الاستعمار من هذا الموقف أيما انزعاج وتتوالى الضربات على الحزب الشيوعى المصرى لتجهض أول محاولة لخلق مؤتمر شعبى عربى مناهض للامبريالية ٠٠ كتعبير عن وحدة النضال العربى ضد الاستعمار ٠٠ وينجح الاستعمار والرجعية هذه المرة أيضا فى عرقلة عقد المؤتمر ٠

وبرغم الضربات والصعوبات تستمر مظاهر التوجه العربى من جانب الحزب الشيوعى المصرى فى العشرينات والامثلة عديدة ٠

ولنأخذ ـ كمثال ـ الموقف من القضية الفلسطينية ٠٠ وينبغى ان نوكد هنا انه فى ذلك الحين كانت البرجوازية المصرية والاقطاع المصرى لا يبديان اى اهتمام بهذه القضية ، وكانت المنظمات الصهيونية تمرح سافرة على الارض المصرية داعية لاقامة وطن قومى على أرض فلسطين محتمية تارة بالاحتلال الانجليزى المهيمن تماما على مفاتيح السلطة وتارة أخرى بالدور الذى كان يلعبه أثرياء اليهود فى الاقتصاد المصرى بحيث تحول الكثيرون من الرأسماليين المصريين والحكام المصريين الى شركاء لهم فى مشاريعهم ٠٠ وفى ظل هذا التغاضى عن النشاط الصهيونى بل وتشجيعه أحيانا كان اليسار المصرى هو وحده الذى امتلك عن جدارة شرف مقاومة الصهيونية ورفضها والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطينى ٠٠ ولنأخذ مثالا من أمثلة عديدة ٠٠ مقال فى جريدة « الحساب » الجريدة العلنية التى كان الحزب الشيوعى المصرى يصدرها عام ١٩٢٥ ٠٠ والمقال بعنوان « بلفور يزور ضحيته ٠ وفلسطين تقابله بالاضراب العام » ويقول كاتبه « احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول ابريل الجارى فدعوا لحضور احتفالهم ذلك ، نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى ٠ وكان فى مقدمة المدعوين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية ٠٠ والذى بموجبه أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون ٠

وقد لبى بلفور الدعوة فقابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل والمعتدى لضحيته ٠

فقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فأغلقت المتاجر والمصانع والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب الى مدارسهم ·· ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على دورهم ومتاجرهم »

« ·· وانا لنحيي هذه النهضة البديعة فى فلسطين ، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى كل طبقة من طبقات العمال فى أى بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان ، وكل مظلوم للمظلوم نسيب »(٢٢) ·

ولم يكن هذا هو موقف الشيوعيين المصريين وحدهم ، بل لعله كان امتدادا لموقف أصيل هو موقف الشيوعيين الفلسطينيين والاممية الثالثة ككل ··

فالاجتماع التوحيدى « التأسيسى » الذى انبثق عنه الحزب الشيوعى الفلسطينى أكد فى الوثيقة الاساسية الصادرة عنه ادانة الحركة الصهيونية بوصفها « حركة تتجسد فيها تطلعات البرجوازية اليهودية » وباعتبارها تقف من الناحية السياسية « فى جبهة واحدة مع الاستعمار حيث ربطت مصيرها فى فلسطين بمصير المحتلين الامبرياليين » ودعا الاجتماع الى ضرورة النضال ضد الحركة الصهيونية « بصفتها رسول الاستعمار البريطانى » ودعا الى مقاومتها « بواسطة العمل الاعلامى بين العمال اليهود ، والى توجيه النضال بشكل خاص ضد الصهيونية البروليتارية »(٢٣) ·

وكان تحليل الحزب الشيوعى الفلسطينى يستند الى مقولة أن الصهيونية الممثلة لمصالح البرجوازية اليهودية تقوم بدعوة العمال اليهود الى التخلى عن النضال الطبقى فى أماكن تواجدهم ، والهجرة الى فلسطين « لبناء المستقبل الافضل فى أرض الميعاد » وبذلك تحولت البرجوازية اليهودية الصهيونية « الى قوة رجعية مضاعفة وذلك لكونها حليفا لحكومات بولندا ورومانيا ( الرجعية ) حيث تسكن أعداد كبيرة من اليهود ·· وعدوا لحركة الجماهير الكادحة فى فلسطين »(٢٤) .

---

(٢٢) الحساب ١٠/٤/١٩٢٥ ·

(٢٣) مائير فلنر ـ خمسون عاما من نضال حزبنا الشيوعى ـ منشورات اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى ( راكاح ) ـ ( ١٩٧٠ ) ص ٣٩

24) International Press Correspondence - English Edition. No 65-20 Aug-1925 P. 629

•• وفى مقــال آخر نقرأ رأيا هاما يقول : لقـد تمكنت الحركة الصهيونية عن طريق نشاطهـا الاستيطـانى الاستعمارى فى فلسطين من تحويل المهاجرين اليهود •• « الذين هم فى الغـالب من العمال الى قوات بوليسية تستعملها المنظمة الصهيونية ضد الفـلاحين العرب »(٢٥)

لكن الحزب الشيوعى الفلسطينى كان واضحا تماما فى التأكيـد على أنه ليس كل يهودى صهيونى ، بل أنه كان يستند الى نضال العنـاصر اليهودية التقـدمية والمعـادية للصهيونية ولنقرأ •• « ليس كل العمال اليهود صهيونين ، كما أنه أنه ليس كل العمال العرب يناصرون اللجنة التنفيـذية العربية فى مبدئها ، اذا يوجـد كثير من العمال اليهود لا يصادقون على أعمال الصهيونيين وعلى تنفيذ مآربهم فى هذه البلاد وفى البلدان الاخرى ، •• ومن الضرورى لكـل عامل راشـد مدرك لمعنى طبقته أن لا يتحـد مع الصهيونيين ، مهما كانت قوميته يهوديا كان أم عربيا ، لان الاتحاد مع الصهيونية هو مظهر من مظـاهر الاتحاد مع البرجوازيين أى أعداء الطبقــة العاملة بأسرها ، وينجم هذا الضرر العظيم أيضا فيما اذا اتحـد العـامل العربى مع الاقطاعيين والملاكين والمتمولين العرب أيضا »(٢٦)

•• وبمناسبة زيارة اللورد بلفور وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى فلسطين ( فرع الاممية الشيوعية ) منشورا بعنـوان « ضـد الاحتـلال الانجليزى ــ الصهيونى لفلسطين » جاء فيه « ان الجماهير العاملة اليهودية تعلم أن الخـلاص الوحيـد بالنسبة لهـا ولجميع الجماهير العاملة الاخرى يكمن فى التحرير الذاتى ، الذى لا يمكن أن يتحقق الا بالثورة البروليتارية •• التى ستكسر القيود الرأسمالية وتحطم الحكم الامبريالى •• وتقيم وحدة أخوية مع جميع الجماهير المسحوقة •• ويتوجه الحزب الشيوعى فى فلسطين الى جميع العمال اليهود قائلا : حذار من المغامرة الانجليزية ــ الصهيونية الجديدة ، لا تكونوا أدوات عميـاء فى أيدى السوفيتيين ، لا تشتركوا فى الاحتفـالات الخاصة باللورد الامبريالى ، لا تشتركوا فى المظـاهرات الصهيونية » ثم يتوجه البيـان الى « العمـال والفـلاحين والمواطنين الشرفاء » فيحذرهم من المحرضين

---

(٢٥) المراسلات الصحفية الاممية ــ الطبعة الانجليزية ــ مقال بقلم ج•ب ــ بعنوان « الارهـاب الصهيونى فى فلسطين ــ العدد ٥ ــ ١٥ يناير ١٩٢٥ ــ ص ٤٤ نقـلا عن د• ماهر الشريف ــ الشيوعية والمسألة القومية فى فلسطين ــ مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية فى العالم العربى ( ١٩٨٦ ) ــ ص ٢ •

(٢٦) حيفـا ــ العدد ١٨ ــ ٢١ آيـار ( مايو ) ١٩٢٥ ــ ص ١٤٤ مقـال بعنـوان « حول مسألة التفـاهم والاتحاد بين العمال » •

على ترك العدو الامبريالي وتنظيم المذابح ضد الجماهير اليهودية • « لا تسمحوا لأنفسكم أن تضللوا بالاثارة الشوفينية العمياء •• تظاهروا من أجل وحدة الجماهير العاملة العربية ـ اليهودية العريضة • ينبغي على العمال اليهود والعرب أن يسيروا ليس مع البرجوازيين الصهاينة ضد الجماهير الفقيرة ، وليس مع الاقطاعيين المتزمتين ، ولكن بوحدة أخوية ، يدا بيد ، في نضال مشترك ضد أعداء طبقتهم تحت راية الحزب الشيوعي » •

وأخيرا •• « تسقط الامبريالية ، ليسقط وعد بلفور ـ ليسقط الاقطاعيون المتزمتون ـ ليسقط المغامرون الصهاينة ـ عاشت البروليتاريا الموحدة في فلسطين ـ عاش الاتحاد المستقل الحر للعمال والفلاحين لجميع الاقطار العربية ـ عاشت الثورة البروليتارية بقيادة الاممية الشيوعية ـ عاش الحزب الشيوعي في فلسطين »(٢٧) •

وبالاضافة الى ذلك « فان الاممية قد أسهمت اسهاما كبيرا في تكوين العديد من الكوادر الشيوعية العربية • واقبال العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين العرب على الانخراط تدريجيا في صفوف الاحزاب الشيوعية ، من خلال النضال الوطني والاجتماعي اليومي ، ووضوح سياسة هذه الاحزاب وخطتها الوطنية والاستقلالية »(٢٨) •

*  *  *

فاذا انتقلنا الى الثلاثينات نجد الشيوعيين المصريين يواصلون المسيرة نفسها تمسكا بالتوجه العربي واهتماما به ••

ونطالع في برنامج الحزب الصادر عام ١٩٣١ وفي البند الثاني منه النص التالي : « **النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعماري ، ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة** » •

وأكاد أوقن أنها المرة الاولى التي يتضمن فيها برنامج سياسي لأي حزب مصري نصا بمثل هذا الوضوح وهذا التحديد حول قضية الوحدة العربية ••

---

(٢٧) د• ماهر الشريف ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ •

(٢٨) محمود الاطرش ـ رسالة بخط اليد مؤرخة في ٢٧ ـ ٧ ١٩٦٩ •
أرسلها الى ( المؤلف ) بناء على طلب سابق والرسالة بعنوان « دور الاممية الثالثة في تطور الوعي الوطني والاجتماعي لدى الطبقة العاملة والشعوب العربية » ص ٩ من المخطوط •

وفى الثلاثينات أيضا بدأ اليسار المصرى فى اقامة علاقات ـ ذات مغزى ـ مع الشيوعيين والقوى التقدمية العربية وبدأت صحفه تهتم أبلغ الاهتمام بأخبار البلدان العربية وتطورات الامور وبدأ كتابه ينشرون عديدا من المقالات فى عدد من الصحف العراقية والسورية واللبنانية .. وهكذا نجد ضمن ملفات قضية الشيوعية التى أتهم فيها عصام الدين حفنى ناصف فى ١٩٣١ مخطوطات لمقالات نشرها عصام فى مجلة « الحديث » اللبنانية وعندما سئل عن سر اهتمامه بالكتابة فى هذه المجلة قال انها مجلة تجديدية ، ثم أصول لمقالات نشرت فى « الاخاء الوطنى » العراقية و « القبس » البيروتية ، و « ألف باء » السورية .. الخ .

وعلى صفحات « الاخاء الوطنى » العراقية نطالع وعلى امتداد عدة سنوات تالية العديد من مقالات عصام الدين ناصف ، وتقدمه « الاخاء الوطنى » للقراء العراقيين قائلة « ان عصام الدين ناصف شاب مصرى أشرب النزعة الحرة والتفكير الجرىء وسلك فى خدمة قومه مسلكا قوميا بنشر الافكار الجريئة بين ظهرانيهم وبث الثقافة القومية التى تستند الى المبادىء العلمية والدراسات الاجتماعية العميقة »(٢٩) .

وفى صفوف عدد من الاحزاب الشيوعية العربية وخاصة الحزبين اللبنانى والفلسطينى عملت الكوادر المصرية التى طردت من مصر أو جردت من جنسيتها انتظارا لفرصة سانحة كى تعود من جديد لتناضل على أرض مصر ..

والنماذج عديدة نكتفى منها بمحمد دويدار الذى خاض طريق الاهوال بحثا عن مسلك يعود به الى أرض الوطن بعد أن جرد من جنسيته ، وفى طريقه عبر تركيا الى سوريا ثم الى لبنان قدم نفسه الى قيادة الحزب هناك حيث عمل مسؤولا للاجهزة الفنية لفترة من الزمن حتى قبض عليه وحكم عليه بالسجن وأبعد من البلاد فاتجه الى فلسطين حيث شارك بدور نشيط فى أحداث ثورة ١٩٣٦ وبقى هناك أيضا عاملا فى صفوف الحزب الشيوعى الفلسطينى الى أن وجد فرصة سانحة عاد بها الى أحضان وطنه . (٣٠) .

وبالمقابل قدمت الى مصر كوادر شيوعية عربية تسهم فى محاولات البناء الحزبى الصعبة بل والشديدة الصعوبة فى فترة الثلاثينات .. فاذا ماعدنا الى الوثائق السرية بوزارة الخارجية البريطانية والتى سمح بعرضها مؤخرا

---

(٢٩) الاخاء الوطنى ٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٤ .

(٣٠) لمزيد من التفاصيل راجع محضرى النقاش معه فى د. رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ـ المرجع السابق . ص ٢٢٩ .

في المتحف البريطاني نجد وثيقة بعنوان « التقرير السنوي المرفوع من السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية البريطانية عن عام ١٩٣٣ » وفي هذا التقرير فقرة معنونة « تقرير عن الشيوعية في مصر عام ١٩٣٣ .. » .

وتشير هذه الفقرة الى وجود كوادر شيوعية من البلاد العربية تعمل في صفوف العمال المصريين من بينها شيوعي سوري اسمه سالم يوسف واسمه الحقيقي محمد وهيب المالك .

وثمة وثيقة أخرى عبارة عن ملاحظات مختصرة أوردها الرفيق سبانو* في أحد تقاريره وتشير الى سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري قائلة « أنه العجوز ابراهيم – من الزقازيق – رفيق طيب ، ونشيط جدا متأثر بالرفاق السوريين » .

* * *

فاذا طوينا صفحة الثلاثينات تأتي الاربعينات ومعها الموجة العارمة من النشاط اليساري الجارف في مصر ..

ومنذ اللحظات الاولى كان اليساريون المصريون حريصين على الاهتمام بالتوجه العربي وتنميته في وجدان الشعب المصري كله .. وفي وضع مفاهيم صحيحة لهذا التوجه ..

واذا ما حاولنا أن نقلب وبسرعة صفحات المجلات اليسارية في مطلع الاربعينات فاننا نلاحظ اهتماما عارما بالقضايا العربية وبضرورة توحيد كل الشعوب العربية في معركتها ضد الاستعمار وبضرورة توحيد كل القوى الثورية العربية في المعركة الموحدة ضد الرجعية العربية ..

والامثلة عديدة بغير حصر .. وايرادها يستغرق مجلدات كاملة وليس مجرد دراسة موجزة .. وهكذا لا يبقى أمامنا سوى الاكتفاء بايراد بعض الأمثلة مؤكدين أنها مجرد نماذج من طوفان جارف من الاهتمام بالقضايا العربية والمصير العربي الواحد .

* ولنبدأ بالجامعة العربية التي استقبلتها الصحف اليسارية « كخطوة ايجابية ، وحدث دولي له مغزاه وآثاره ، فبهذه الخطوة تتجمع الدول العربية وتتكتل في تعاقد وثيق تصوغه وحدة شعوبها

---

(*) الرفيق سبانو أحد قادة الحزب الشيوعي الايطالي وقد وفد الى مصر حوالي عام ١٩٣٦ حيث أقام كلاجيء سياسي لعدة سنوات وهذه الملاحظات عبارة عن مذكرات مختصرة رفعها سبانو الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي عن النشاط الشيوعي في مصر في ذلك الحين . وهي مودعة في أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي .

فى مصالحها الاساسية ومثلها العليا ٠٠ والاثر البارز لجامعة الدول العربية هو أنها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصيغة التى غلبت عليها الى الآن ٠٠ صيغة التفكك والتجزؤ » ٠

ويمضى المقال المنشور فى مجلة « الفجر الجديد » ليؤكد أن أول واجبات الجامعة العربية هو حل القضية الفلسطينية « وفلسطين هى التى ستسجل دون ريب أول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التى ترمى الى استغلال شعبها العربى واستعباده ٠ وحينذاك سيخلد للعرب فى تاريخ التقدم الانسانى فضل القضاء على ركن قوى من أركان الاستغلال الاستعمارى فى العالم » ٠

ويطالب الكتاب المهيمنين على الجامعة العربية بأن « يشعروا الشعوب العربية بأن سياسة الجامعة انما تجرى لصالح المجموع ٠٠ لصالح الشعوب ، لا لمنفعة فئات ضئيلة منها لا يعنيها الا الاستغلال والاثراء »(٣٢) ٠

لكن نفس المجلة تهاجم الجامعة العربية لانها تتجاهل قضية سوريا ولبنان وتنعى على الجامعة أنها « اتحاد دول ٠٠ أى اتحاد طبقات حاكمة وليست اتحاد شعوب »(٣٣) ٠

وفى مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية فى الجامعة العربية » تقول الفجر الجديد « ولكن جامعة الدول العربية ٠٠ جامعة دول ـ كما سميت بحق ـ وقد تغاضت عن مطالب الشعوب العربية الاقتصادية وأغفلت تغلغل الرأسمال الاجنبى فى حياتها الاقتصادية ولم تبال بأن الاستعمار يخنق الان الطبقات الشعبية العربية ٠ لماذا ؟ لان هذه الجامعة جامعة دول وليست جامعة شعوب ، فهى تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها ٠٠ وبهذا يتضح ان حل المسائل الاقتصادية للشعوب العربية معقود بتحرر هذه الشعوب من الاستعمار تحررا لا يتسنى عن طريق الزعماء والساسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبى نفسه »(٣٤)

وتؤكد « الفجر الجديد » فى موضع آخر « ان شعوب الشرق الطامحة الى الحرية لا تنتظر شيئا من الجامعة العربية الا اذا أصبحت جامعة للشعوب

---

(٣٢) الفجر الجديد ١٦ ـ ٥ ـ ١٩٤٥ ٠
(٣٣) الفجر الجديد ١ ـ ٧ ـ ١٩٤٥ ٠
(٣٤) الفجر الجديد ١٦ ـ ٩ ـ ١٠٤٥ ٠

العربية تمثل فيهـا شعوب الشرق العربى تمثيلا صحيحا فتعمل على توثيـق العـلاقات بينهـا والتضامن ضـد الاستعمار »(٣٥) ٠

وتلوم « الفجر الجديد » مجلس الجامعة لانه بتكوينه الحالى يقف حائلا بين الشعوب العربية وبين التحرر ٠٠ ان مجلس الجامعة غير جاد فى محـاربة الاستعمار ومتراخ فى محاربة عميلة وصنيعة الاستعمار الا وهى الصهيونية»(٣٦)

واذا كان اليسار المصرى قـد نعى على جامعة الدول العربية أنها جامعة دول ولا تضع وزنـا للشعوب فقـد ركز كثيرا من جهـده من أجل ايقاظ روح التضامن والتآخى بين الشعوب العربية ٠٠

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن اليسار المصرى كان صاحب فكرة تأسيس اتحـاد للعمال العرب ٠٠

فعندما انتهت أعمال مؤتمر نقـابات العمال العالمى الذى عقـد بباريس فى سبتمبر ١٩٤٥ وجهت « لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقـة العـاملة » وهى منبر يسارى عمالى الدعوة للوفود العربية فى المؤتمـر للمرور بالقـاهرة حيث استقبلت من جانب الجماهير العمالية استقبالا حافلا ٠ وفى حفل الاستقبال الذى نظمته نقـابات العمال بالاسكندرية تكررت النداءات والخطب مطـالبة « بوجوب تأليف اتحـاد عام لعمال الشرق العـربى »(٣٧) وسرعان ما تبنت « الضمير » وهى مجلة يسارية عمالية هذا المطلب كواحـد من الشعارات الهـامة التى رفعهـا اليسار المصرى فى ذلك الحين ٠٠

وعلى صفحات « الضمير » يمكننـا أن نطـالع مقـالات عديدة لعـديد من النقـابيين العرب ابراهيم بكرى ( سوريا ) مصطفى العريس ( لبنـان ) مخاص عمرو وبولس فرح ( فلسطين ) ٠٠

والى جـانب المنـاضلين العـرب وقف اليسـار المصرى مدافعـا وحاشدا كل قواه وقوى شعب مصر استنكارا لحملات الاضطهاد ضدهم ٠٠

ومرة أخرى نحن مجبرون على اختيار مثال واحد ٠٠

فعندما نظمت الحملة الارهابية ضـد الشيوعيين العراقيين عام ١٩٤٧ ، وقفت مجلة « الجماهير » وكانت المنبر العلنى لمنظمة « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ـ حدتو » بكـل قواهـا استنكارا لهذا الارهـاب ٠ وتبدأ الحملة

---

(٣٥) الفجر الجديد ١ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ ٠
(٣٦) الفجر الجديد ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥ ٠
(٣٧) الضمير ٧ ـ ١١ ـ ١٩٤٥

بمقـال كتبه حمدى ( الاسم المستعار لشهدى عطية الشافعى ) بعنوان « حملة صليبية فى العراق » تحدث فيهـا عن حملة الارهاب التى شنها النظام الرجعى بالعراق ضـد كل القـوى الوطنية هنـاك » .. وكان نصـيب الشـيوعيين العراقيين من الارهـاب كبيرا ، فقـد شنت ضـدهم حربا واسعة شاملة وانتهى المطاف بالقبض على « يوسف سليمان » سكرتير الحـزب الشيوعى .. انهـا حملة صليبية خاسرة جربهـا هتلر وموسولينى فكـان مصيرها الهزيمة الساحقة .. وكان النصر للشعوب » (٣٨) .

وعنـدما حكم بالاعدام على الرفيق فهـد ورفاقه شنت « الجماهير » حملة عنيفـة وتخرج بافتتاحية عنوانهـا « ينصبون المشانق للوطنيين » جاء فيها « حكم رهيب .. لم يسبق قط لمحكمة فى الشرق العربى أن أصدرته . حـكم بالاعـدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مـدى خمسة عشر عاما وبأحكام أخرى مختلفـة على آخرين .. بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ أى جريمة ارتكبهـا القـوم ... » .

وتحذر « الجماهير » القـوى الوطنية فى العراق فاذا « كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى أشد المعارضين صـلابة بحجة أنهم شيوعيون فلن تلبث الضربة أن توجه فى الغـد الى كـافة أحزاب المعارضة العراقية ... اننـا نهيب بالضمير المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصريـة والجـامعة العربية والحكومة المصرية أن ترفع صوت الاستنكار يصـك آذان المستبدين والطغـاة ..

انهـا ليسـت مسـألة العراق ، وانمـا هى مسـألة الشـرق العـربى ومكانته أمام الشعوب الاخرى مسألة الحريات المقدسة . فليـدو صـوت الشعوب العربية صارخا : الغوا حكم الاعدام .. انقـذوا هذه الرقـاب .. امنعـوا اقتراف الجريمة »(٣٩) .

وفى الصفحة نفسها كاركاتير يصـور الرجعية العراقيـة والاسـتعمار البريطـانى ينصبون مشنقة ويقولون « لكـل دوره .. ولنبدأ بالشيوعيين » .

وفى نفس العـدد صفحة كاملة عنوانهـا « يا أيهـا الوطنيون فى مصر والشرق العربى . أوقفوا هجوم الاستعمار . طالبـوا بزوال المشانق من العراق أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » وبداية الموضوع فقرة تقـول ان الشرق

---

(٣٨) الجماهير ٩ ـ ٦ ـ ١٩٤٧
(٣٩) الجماهير ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٤٧ .

الأوسط قد تحول بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقال ·· ثم تنتقل « الجماهير » الى دراسة الوضع فى العراق وكيف تسلطت حكومة نورى السعيد على الحكم لتقود البلاد الى أحضان الاستعمار ·· ثم تتحدث عن أحكام الاعدام على الشيوعيين فتقول « اننا لنحس فى مصر معنى شنق الوطنيين ، فما يزال فى ذاكرة شعبنا حادثة دنشواى · ولا أحسب أن جماهير شعبنا تغمض العين عن دنشواى العراق »(٤٠) ·

وفى العدد نفسه أيضا قصيدة « العدالات والمواثيق » لمحمود توفيق ·· وفى عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم « وتعدلون فيأتى عدلكم عجبا »(٤١) والتى أهداها كاتبها الى الرفيق فهد وزملائه ·

وفى أعداد تالية تواصل « الجماهير » حملتها · وعندما يمر الامير عبد الاله الوصى على عرش العراق ونورى السعيد بمصر وكانا فى طريقهما لانجلترا تستقبلهما « الجماهير » بمقال عنوانه « ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون المشانق – يعلنون الاحكام العرفية – مفاوضات على غرار صدقى – بيفن »(٤٢)

واذا تحدثنا عن التوجه العربى والاهتمام بقضايا الوحدة العربية والتضامن العربى فان القضية المحورية فى ذلك كله كانت فى نظر اليسار المصرى هى قضية فلسطين ·

ومرة أخرى نود أن نؤكد أن زمنا طويلا – حتى فى الاربعينات – قد مضى واليسار يقف وحده تقريبا مدافعا – بصدق ومن منطلقات صحيحة – عن الحق العربى فى فلسطين وأنه وحتى – فى الاربعينات – كانت الرجعية المصرية الحاكمة تتعاطف مع الصهيونية وتحميها من هجمات اليسار المصرى عليها ·· لكننا لا نريد أن نستبق الاحداث فان فى الوثائق – التى هى دعامة هذا الكتاب – ما يكفى لتأكيد ذلك ·

✻ ✻

لكننا برغم كل ما سبق ، لا نستطيع أن ننتقل الى تأمل « الوثائق » والتى تتضمن استعراضا للموقف المتكامل لليسار المصرى ازاء القضية الفلسطينية ، بغير أن نلقى بقعة صغيرة من الضوء على بعض الحقائق الهامة ·· نعتقد أنها لازمة وضرورية لوضع مواقف القوى السياسية فى اطارها العام ·

---

(٤٠) المرجع السابق ·
(٤١) الجماهير ٢٤ – ٧ – ١٩٤٧ ·
(٤٢) الجماهير ٢١ – ٧ – ١٩٤٧ ·

ولنبدأ بالطـائفة اليهودية ، التى ظلت لفترة طويلة قليلة العدد ـ ٧٠٠٠ نسمة ـ(٤٣) ثم تزايد عددها فجأة بعد الاحتـلال الانجليزى لمصر ليصل الى ٢٥ر٠٠٠ نسمة(٤٤) ، ومع ترسيخ « الامتيازات الاجنبية » التى منحت للمستثمرين الاجانب حقوقـا قانونية واقتصادية غير محدودة تزايدوا أيضا . ثم تزايـدوا مرة أخرى عنـد اندلاع الحرب العـالمية الاولى ، فمع احسـاس الدولة العثمانية بخطورة النشاط الصهيونى فى فلسطين والشام عموما « أصدر الوالى العثمانى أحمد جمال باشا فى يناير عام ١٩١٥ ـ أمرا بتحريم نشـاط العنـاصر الهدامة التى تسعى لانشاء حكومة صهيونية فى أرض فلسطين واتخذ جمال باشا سلسلة من الاجراءات العنيفـة انتهت بهجـرة العـديد من اليهود الى مصر »(٤٥) .

وثمة احصاء عن تطور حجم الطائفة اليهـودية فى مصر يورد الارقـام التـالية :

**عدد أفراد الطائفة الاسرائيلية فى مصر (٤٦)**

| السنة | العـــدد |
|---|---|
| ١٨٣٥ | ٥ر٠٠٠ |
| ١٨٩٧ | ٢٥ر٢٠٠ |
| ١٩٤٧ | ٦٤ر٤٨٤ |

وثمة احصاء ورد فى أحـد وثائق السـفارة الامريكية يقـول ان عدد اليهود فى مصر ( عام ١٩٤٧ ) يتراوح ما بين ٧٥ر٠٠٠ و ٨٠ر٠٠٠ أى حوالى ٤ أو ٥٪ من مجموع السكان ، ويقيم ٤٥٪ أو ٥٠٪ منهم فى القـاهرة وحوالى ٣٥٪ أو ٤٠٪ بالاسكندرية(٤٧) .

---

43) A.B. Clot Bey — Apercu General cur l'Egypte — Paris, 1840 — Vol, 1, P. 243.

44) P.M. Holt-Political-Social change in Modern Egypte — Oxford — 1968, P. 198.

(٤٥) أحمد محمـد غنيم ، وأحمد أبو كف ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ كتاب الهـلال . يونيو ١٩٦٩ : ص ٢١ .

(٤٦) د. على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ـ يهود البـلاد العربية ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ دراسات فلسطينية ـ ٨ يونيو ( حزيران ) ١٩٧١ ـ ص ١٥٩ .

47) 319/431992 — 12/22/47.

لكن العبرة ليست بالارقام ، وانما بثقل وحجم النشاط السياسى والاجتماعى ، ذلك أنه فى غيبة الشعور بالعروبة لدى حكام مصر استطاعت القوى الصهيونية أن تمارس نشاطا واسعا دونما عائق أو رقيب ٠

وفى ١٩٠٨ تأسست فى الاسكندرية جمعية « بنى صهيون » والتى أعلنت تأييدها لبرنامج المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال فى ١٨٩٧ ٠ وفى الاسكندرية أيضا تأسست جمعية أخرى أسمها « زئير صهيون » (٤٨) بل أن الصهيونيين فى الاسكندرية قد قاموا بحملة علنية بعد الحرب العالمية الاولى لجمع أموال لشراء أرض فى فلسطين لحساب الحركة الصهيونية وقد جمعوا مبلغا قدره ١٣ ألف جنيه(٤٩) ٠

بل لقد وجد الصهيونيون الجرأة لاصدار صحف صهيونية صرفة تدعو للمبادىء الصهيونية مثل « الرسول الصهيونى » و « المنبر اليهودى » ٠٠ الخ ٠

وهناك أيضا جريدة « ليبيرتيه » التى أصدرها عام ١٩٢١ « ليون كاسترو » وهو شخصية محيرة ، فقد كان صديقا لسعد زغلول ، وأعتبر نفسه وفديا ، وأسهمت جريدة « ليبيرتيه » فى الدعوة للوفد الى حد أن البعض تحدث عنها قائلا « صاحبها يدعى المسيو ليون كاسترو ، وقد نهض بسياسة زغلول ، ويقال أن لها من الوفد معونة » ٠

غير أن الكاتب نفسه يمضى قائلا « اقتصرت هذه الجريدة على معالجة المسائل التى تمس اسرائيل ، على أن شيئا من جموح قلم أحد المحررين أو غضبه أثارها تعريض اللورد توكليف بالصهيونية أثناء مروره بأورشليم أظهرت طرف الاذن السامية »(٥٠)

لكن الثقل الاساسى للطائفة أتى فى نموها الاقتصادى ومن سيطرتها على أعصاب حساسة فى الاقتصاد المصرى ٠ « ومع مضى الزمن بدأ تواجد اليهود يتزايد خلال عمليات تطوير البنوك والتجارة وفى صناعات معينة وخاصة صناعة السكر والقطن والفحم والسكك الحديدية »(٥١)

فقد قيل أن ٩٨٪ من العاملين فى البورصة المصرية كانوا من اليهود(٥٢)

---

(٤٨) أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف المرجع السابق ص ٢٠

(٤٩) د٠ على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ١٧٩

(٥٠) المرجع السابق ٠ ص ١٣٠ ٠

51) Murray Harris — Egypt under Egyptians — London — 1925 — P. 163

(٥٢) د٠ على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ، المرجع السابق ص ٦٢ ٠

وقيل أيضا « أنه فى عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يشاركون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ شركات هى كل الشركات الموجودة فى مصر آنذاك • وفى ميدان النشاط المالى ساهم اليهود فى انشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين وأهمها البنك العقارى المصرى ، البنك الاهلى المصرى ، البنك البلجيكى ، البنك التجارى المصرى ، شركة الاسكندرية للتأمين وشركة التأمين الاهلية المصرية »(٥٣) •

بل ان البعض يؤكد أن نفوذا كبيرا قد مارسه كبار الرأسماليين اليهود داخل بنك مصر نفسه • ٥٤)

« وفى مجال الاستغلال الزراعى أنشأ يهود مصر عددا من شركات الاراضى الزراعية التى تعمل على امتلاك الاراضى واستغلالها والمضاربة فيها ، وتمويل المشاريع العقارية والصناعية ومنها شركة البحيرة المساهمة ، وشركة وادى كوم أمبو ، وشركة أراضى الدلتا ( أسسها موصيرى عام ١٩١١ وكانت تملك ضاحية المعادى ) وشركة لتجفيف الاراضى كانت قد أسستها عائلة سموحة عام ١٩٣٠ » (٥٥) ، كذلك كانت الاسر اليهودية الغنية مثل أسر قطاوى وهرازى ورولو وموصيرى وسوارس تلعب دورا هاما فى النشاط الزراعى والعقارى (٥٦) •

ولقد تعمدت أن أورد هذه المعلومات لسبب بسيط ، وهو ان كبار الرأسماليين اليهود كانوا هم أنفسهم ـ فى أغلب الاحيان ـ كبار الصهيونيين ، وان عوامل التغاضى عن النشاط الصهيونى الذى اتسع نطاقه فى الاربعينات فى مصر لم تكن ناجمة فقط عن فقدان الاحساس العربى لدى حكام مصر من بورجوازيين وكبار ملاك ، ولم تكن فقط بسبب سيطرة الانجليز على أجهزة الامن المصرية ، وانما أيضا ـ وهذا هام جدا ـ لانه كان هناك تلاحم عضوى وتشابك فى المصالح الاقتصادية بين الفئات العليا من البرجوازيين ، وقد أدى هذا التشابك الوثيق فى المصالح الاقتصادية الى حماية كثير من العناصر الصهيونية حتى بعد أن تاجرت الرجعية بشعارات العداء للصهيونية •

لقد أدى التشابك فى المصالح الاقتصادية والاجتماعية ، الى تحالف غريب أدى بدوره الى نتائج أغرب •

---

(٥٣) المرجع السابق ص ١٦٥ •

(٥٤) راجع محضر النقاش مع البير آربيه •

(٥٥) د• على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية ـ المرجع السابق ص ١٦٦

56) Gabriel Bear — A history of landownership in modern Egypt, 1800-1950 (London — 1962) — P. 30

فقد تأسس فى مصر وعلنا وفى الاربعينات « الاتحاد الصهيونى بمصر » وهو منظمة صهيونية سافرة لم تخف وجهها وكان مقرها معروفا للجميع .. أما نوعية هذه المنظمة وطبيعة نشاطها وأهدافها فاننا سنلجأ للتعرف عليها من واقع وثيقة هامة هى « لائحة » هذا التنظيم ..

وتقول : ان لائحة « الاتحاد الصهيونى بمصر يتكون من تجمع الصهيونيين المقيمين على أرض مصر . وهو يمثل الفرع المصرى فى المنظمة الصهيونية العالمية » وتمضى مادة ١ من اللائحة قائلة « ويسعى الاتحاد لتوحيد جهود الصهيونيين الموجودين بمصر بهدف تحقيق الافكار الصهيونية وتأكيد برنامج « بازل » والقرارات التى يتخذها المؤتمر الصهيونى والقيادة التى يختارها هذا المؤتمر » .

.. أما المادة الثانية فتقول « يتكون الاتحاد الصهيونى بمصر من ثلاثة فروع :

- فرع القاهرة .
- فرع الاسكندرية .
- فرع بور سعيد .

ومن غيرها من الفروع التى سوف تنشأ فى المدن الاخرى بمصر »(٥٧)

أما المادة ٢٢ فتنص على أن الاتحاد الصهيونى بمصر « يختار مندوبيه الى المؤتمر الصهيونى العالمى » .

ولعل من حق اليهود المصريين علينا أن نذكر لهم انهم لم يكونوا جميعا يؤيدون خطط الصهيونية - على الاقل بالنسبة لتهجير الشباب اليهود الى فلسطين .

وتحت يدنا عدد وثائق تؤيد ذلك .

فثمة رسالة من رينيه بك قطاوى رئيس الجالية اليهودية بمصر موجهه الى « ليون كاسترو رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيونى بمصر » وتحذر هذه الرسالة من خطر الممارسات الصهيونية فى مصر « بما يؤدى الى تشكيك الشبان اليهود فى ولائهم للبلد الذى نشأوا فيه والذى عاملهم بترحاب » .

وقال « ان مثل هذه الممارسات والتى يتحمل الاتحاد الصهيونى مسئوليتها تؤدى الى استفزاز الرأى العام المصرى »(٥٨) .

---

(٥٧) وثيقة باللغة الفرنسية مكتوبة بالالة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ومعنونة :

Statuts de la Fédération Sioniste d'Egypte

(٥٨) رسالة بالالة الكاتبة الفرنسية مؤرخة ١ يناير ١٩٤٥ موقعة « رئيس الجالية - رينيه بك قطاوى » مودع صورة منها بالارشيف العام بالمتحف البريطانى تحت رقم F.O — 371 — 45404

وثمة رسالة أخرى وجهها رينية بك قطاوى رئيس الجالية اليهودية الى ليون كاسترو ولكنه وجهها اليه هذه المرة بصفته « ممثل الوكالة اليهودية بفلسطين فى القاهرة » .

وهذه الرسالة تنتقد بشدة عملية تهجير « الشباب اليهود من الجنسين وتقول ان الحاخام الاكبر لليهود فى مصر قد تلقى عدة شكاوى من عديد من الاسر بسبب الدعايات التى تدعو أبناءهم من الجنسين للهجرة الى أرض الميعاد وترك عائلاتهم .. وتقول الرسالة :

« ان جاليتنا تعتبر أن مثل هذه الدعايات تضر بالعلاقات الاسرية وتهدد استقرار الأسر تهديدا خطيرا » .

وتمضي الرسالة « اننا كيهود ، وكمواطنين فى بلد ديمقراطى نعتقد أن لكل يهودى كامل الحرية فى اعتناق ما يشاء من أفكار ، ولكننا كمسئولين عن الدفاع عن مصالح الجالية اليهودية بمصر فان مجلسنا لا يمكنه أن يقبل بالأنشطة اليهودية الجماعية التى تضر باستقرار الجالية ، أو التى تضر بغالبية المجتمع المصرى التى تعتبر الجالية اليهودية نفسها جزء منه »(٥٩) .

وثمة وثيقة ثالثة هى برقية من السفارة الامريكية بالقاهرة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تقول :

« قام عدد من كبار أعضاء الجالية اليهودية فى بورسعيد بزيارة محافظ القنال سعادة فؤاد شيرين باشا فى ٣١ مايو ١٩٤٨ وسلموه وثيقة تؤكد ولاء كافة أعضاء الجالية اليهودية فى بورسعيد وتؤكد معارضتهم لقيام دولة اسرائيل وتؤكد الوثيقة أنهم قد عوملوا على الدوام معاملة طيبة من جانب السلطات المحلية المصرية وانهم لا ينتمون الى أى وطن آخر غير مصر وقد وقعت هذه الوثيقة من كل من :(٦٠)

---

(٥٩) رسالة بالالة الكاتبة الفرنسية مؤرخة فى ١١ أكتوبر ١٩٤٤ موقعة « رئيس الجالية – رينيه بك قطاوى – وبرغم أنها ليست موجهة الى شخص محدد بالاسم الا أن صورة الرسالة المودعة بالمتحف البريطانية مؤشر عليها بالحبر « رسالة الى ليون كاسترو » والرسالة مودعة تحت رقم
F.O — 371 — 45404 ( ذات الرقم السابق ) .

(٦٠) الوثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم
319 — 468587 — 6/6/48

– دافيد حزان – مدير الشركة الفرعونية .

– سالمون سوريانو – موظف بشركة قناة السويس ( وقد ورد اسم سالمون سوريانو فى تقرير « سبانو » عن الحركة الشيوعية المصرية المحفوظ بأرشيف الحزب الشيوعى الايطالى ويؤكد سبانو أن سالمون سوريانو وشقيقه ادوارد سوريانو كانا شيوعيين* وثمة اشارة أخرى فى محضر نقاش مع ايلى ميزان يقول فيها ان ادوارد سوريانو كان شيوعيا وقد تعاون مع الحزب الشيوعى الفرنسى فى أصدار كتاب بعنوان الادب والاستعمار ) **

– حزاقال باروخ – تاجر والوكيل المحلى لافلام كوداك .
– بيهور شيمون .
– انو بيندرلى – شريك فى محل سيمون آرت .
– جاك كانوب – مدير مبيعات شركة سوكانى فاكوم .
– ايزاك مصرى – تاجر .
– أهارون جوروفنتش – صاحب مطبعة .
– فيتا جولدمان – تاجر »

ولكن ، وعندما تقدم الشيوعيون اليهود للصراع ضد النشاط الصهيونى ، كانت أجهزة الامن تقف الى جانب الصهيونيين وتحميهم ..

وتنشر جريدة « صوت الامة » ( الجريدة الوفدية المعارضة ) فى محاولة يائسة لاستثارة الشعور القومى لدى حكام مصر خبر المعركة التى نشبت فى نادى « مكابى الظاهر » وكيف تجمهر الشيوعيون اليهود واقتحموا النادى الذى أغلقت أبوابه بتعاون وثيق بين الصهيونيين والبوليس المصرى ، وهتف الشيوعيون « تسقط الصهيونية » « يحيا الشعب المصرى » وتمضى « صوت الأمة » لتروى واقعة خطيرة فتقول « ولقد بلغت القحة بأحد الصهيونيين وهو البرت خانتشويل الى حد الاعلان أمام رجال البوليس المصرى بأنه صهيونى لحما ودما وأنه ينتمى الى عصابة شتيرن ، وانه سيمضى فى طريقه ولن تستطيع قوة أن تحد من عمله »(٦١) .

---

* لمزيد من التفاصيل راجع د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الشيوعية المصرية – ( المجلد الاول ) ١٩٠٠ – ١٩٤٠ – دار الامل – القاهرة (١٨٧) – ص ٥١٧ .

** لمزيد من التفاصيل – المرجع السابق ص ٦٦٧ .

(٦١) صوت الامة ٢٦ – ٤ – ١٩٤٧ .

ولم تحرك الحكومة ساكنا ..

ويعود الشيوعيون الى التحذير مرة أخرى ، ولا يكتفون بالكتابة فى مجلاتهم وانما ومن خلال تحالف محدود مع بعض العناصر الوفدية يكتب أحد كوادرهم سلسلة من المقالات المثيرة بعنوان « أوكار الصهيونية فى مصر »(٦٢) .

ولم تحرك الرجعية المصرية الحاكمة ساكنا ..

ويقبض البوليس المصرى وبالمصادفة البحتة « فى أكتوبر ١٩٤٦ على ثلاثة أشخاص حاولوا شراء ستمائة مسدس من أمين أحد مخازن الاسلحة الحكومية وكان هؤلاء الثلاثة ينوون تهريبها الى الحركة الصهيونية فى فلسطين »(٦٣) .

بل أن الامر قد وصل الى حد أن القطن المصرى كان يصدر الى اسرائيل بعد أن قامت كدولة وبعد أن خاض الجيش المصرى معارك القتال الدامى ضدها ..

وكان ذلك بالتحديد فى أوائل عام ١٩٥٠ ..

وقد كشفت هذه الواقعة ـ عرضا ـ دون أن يهتم بها أحد لا قبل أن تكشف ولا بعد أن كشفت وكأن الامر طبيعيا تماما .

والواقعة تبدأ عندما اتهمت جريدة « آخر لحظة » حكومة الوفد بأنها تفرض رقابة على التليفونات ونفى وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ذلك ، بل ورفع دعوى على رئيس تحرير آخر لحظة .. واستحضر رئيس التحرير عديدا من المسؤولين السابقين كلهم يؤكد قصة الرقابة على التليفونات وكان زكى عبد المتعال باشا واحدا منهم ، فأكد أنه عندما كان وزيرا للمالية عرضت عليه فى فبراير ١٩٥٠ تسجيلات لمكالمة تليفونية لشخص أجنبى ، قامت بتسجيلها « مراقبة التليفونات » .

---

(٦٢) صوت الامة ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٤٧ ( وقد نشرت المقالات دون توقيع لكن الباحث الفلسطينى عبد القادر يس أورد فى دراسة أعدها عن الرابطة الاسرائيلية المناهضة للصهيونية فى مصر أن كاتب هذه المقالات هو المحامى مصطفى كامل منيب ) .

(٦٣) صوت الامة ـ ١٩ ـ ١٠ ـ ١٩٤٦ .

وسأله الدفاع « ما الذى كشفت عنه المحادثة التليفونية التى رفعت اليك ؟ » .

وأجاب الرجل ببساطة شديدة « الحديث الذى رفع الى كان عن صفقة القطن الذى للشركة التى يمثلها ذلك الشخص الاجنبى وهل من الافضل تصديرها من مصر الى فرنسا ومنها الى تل أبيب ، أو تصدر من مصر الى ايطاليا ومنها الى تل أبيب »(٦٤)

والغريب فى الامر .. ان هذا الحديث العابر لم يلفت انتباه أحد .

ولم يحرك حكام مصر ساكنا .. كانت كل حركتهم موجهة ضد اليسار وحده ، بل ولحماية النشاط الصهيونى من هجماته ولسوف نرى فى « وثائق » هذا الكتاب الكثير الكثير من حملات الحكومات الرجعية ضد أى تحرك يسارى يدين الصهيونية أو يفضح نشاطها .

* *

وفى ٢ نوفمبر ١٩٤٥ برزت ظاهرة جديدة على مسرح العمل السياسى المصرى ربما كانت الاولى من نوعها فى التاريخ المصرى الحديث ، وهى محاولة بعض الاحزاب السياسية ( الاخوان المسلمين ، ومصر الفتاة بالتحديد ) تحويل الصراع ضد الصهيونية والكفاح لتأييد حقوق شعب فلسطين ، الى عمل عنصرى موجه ضد اليهود كيهود .

وفى ذكرى وعد بلفور ١٩٤٥ ، حاول المتظاهرون المنتمون الى هذين الحزبين القيام بعمليات تخريب ضد المحلات والمنشآت المملوكة لليهود ..

وكان ذلك تطورا خطيرا لاساليب التناول السياسى للقضية الفلسطينية أو للقضايا العربية عموما .

وحتى بعض الصحف الوفدية تورطت هى أيضا فى الخلط بين الهجوم على الصهيونية وهو أمر مفترض وبين الهجوم على اليهود كيهود ..

---

(٦٤) من كتاب أصدره عام ١٩٥٢ حزب الاحرار الدستوريين ، وكتب مقدمته ابراهيم دسوقى أباظة باشا . والكتاب بعنوان « على هامش قضايا الغدر . نعلم من هنا » . ص ١٢٨ .

وتشير برقية من السفارة الامريكية الى وزارة خارجيتها الى هذه الواقعة قائلة « البلاغ وهى الجريدة الوفدية المسائية ، وكذلك الزمان وهى جريدة جديدة موالية للقصر نشرتا مقالات وافتتاحيات تهاجم اليهود . وقد شاركت جريدتنا الاخوان والمصرى فى هذه الحملة . »(٦٥)

وبصلابة وشجاعة جابه اليسار المصرى هذه الدعاوى العنصرية ، ليس فقط تمسكا بالجانب المبدئى من سياسته وهو رفض العنصرية بكل أشكالها ، ولا تمسكا بالتقاليد العريقة لشعب مصر ، وانما أيضا استشعارا لخطورة هذه الدعاوى على موقف يهود مصر أنفسهم ، ذلك أن هذه الحملات العنصرية ، كانت متفقة اتفاقا زمنيا غريبا بل ومريبا مع تزايد النشاط الصهيونى لحث شباب اليهود المصريين على الهجرة لفلسطين ..

وكان اليسار المصرى يدرك أن العنصرية لا تجر وراءها سوى العنصرية وأن موقفا عنصريا من طرف سوف يجر حتما موقفا مماثلا من الطرف الاخر.

وفتح اليسار المصرى ميدان معركة جديدة .. فأدان هذه المواقف العنصرية مؤكدا أن الصهيونية « قد استفادت من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة خاطئة ، اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية : انها لا تحترم الاقلية اليهودية وأنه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحد »(٦٦) .

وكانت الخطوة التالية التى لجأ اليها اليسار فى مجابهة الدعاوى العنصرية ، هى تأسيس « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وذلك لاقناع جماهير الشعب المصرى بخطأ الدعايات الفاشية ولتعميق الفرق الواضح بين من هو يهودى ومن هو صهيونى .. كذلك استهدفت الرابطة استقطاب تيار يهودى يرفض الهجرة ويتشبث بالبقاء فى مصر ..

ويكفى أن نقول أنه برغم كل النشاط الصهيونى الذى تركز ـ لاسباب عديدة ـ على مصر وخاصة فى فترة الحرب العالمية الثانية فقد نجح اليسار المصرى مستندا الى تراث وتقاليد مصر فى افشال محاولات تهجير الشبان اليهود من مصر الى فلسطين .

---

(٦٦) الفجر الجديد ـ العدد رقم ١٣ ـ وقد صدر بغير تاريخ . لكن المؤكد أنه العدد التالى مباشرة لاحداث ٢ نوفمبر ١٩٤٥

وبرغم هذا النشاط الصهيونى المتزايد ، والذى قوبل بتساهل مريب من السلطة الرجعية والتى اتخذت موقف « السكوت دليل الرضى » • وبرغم الحملات العنصرية التى نظمها أعضاء الاخوان المسلمين ومصر الفتاة التى استهدفت « تطفيش » يهود مصر واقناعهم بصحة الدعاوى الصهيونية فانه وحتى عام ١٩٤٨ لم يهاجر الى فلسطين من مصر الا « عدد ضئيل » (٦٧)

ووفقا لرواية أخرى تحاول أن تعطى رقما دقيقا بلغ عدد المهاجرين ١٨٤٥ شخصا فقط(٦٨) •

وحتى عندما تمت هجرات جماعية من يهود مصر فان معظمهم لم يتجه الى اسرائيل ونعود مرة أخرى الى الارقام « فى أغسطس ١٩٤٩ أعلنت الحكومة المصرية رفع القيود على السفر ، وكانت قد فرضتها مع الاحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ ، وقيل أنه قد ترك مصر فيما بين أغسطس ١٩٤٩ ونوفمبر ١٩٤٩ ـ ٢٠٫٠٠٠ يهودى ، وصل منهم الى اسرائيل ٧٢٦٨ فقط »(٦٩)

وهكذا يمكن القول بأن نشاط اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية فى ذلك الحين كان يدور حول المحاور الثلاث الاتية :

* الكفاح ضد الصهيونية وفضحها ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود المصريين •

* الكفاح ضد الرجعية وفضح تحالفها مع الصهيونية ، وفضح تبعيتها الكاملة للاستعمار ومخططاته ، لدى بحث أى حل للقضية الفلسطينية

* الكفاح ضد الدعاوى العنصرية ، وكشف وجهها الاستعمارى والرجعي باعتبارها خير مشجع على انجاح مخططات الصهيونية

وثمة وثيقة أمريكية تؤكد « ان أكثر الهيئات المصرية نشاطا فى الدفاع عن عرب فلسطين هى الهيئات الديمقراطية ( التى يقودها الشيوعيون ) ومنها مجلة أم درمان ( عبده دهب • محمد أمين حسين ) ، مجلة الفجر الجديد ( أحمد رشدى صالح ـ أبو سيف يوسف ) ، رابطة فتيات الجامعات ( لطيفة

---

(٦٧) راجع محضر النقاش مع البير آرييه •
(٦٨) د• على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ـ المرجع السابق ص ١٨١
(٦٩) المرجع السابق ص ١٨٤ •

الزيـات ) لجنة نشر الثقـافة الحديثة ( سعيد خيال ) ، دار الابحاث العلمية ( شهدى عطية ) (٧٠)

* *

وبغض النظر عن أن اليسار المصرى قـد ثابر منذ البداية على المطـالبة باستقلال فلسطين وانسحاب قوات الانتداب البريطـانى منها واقامة « دولة موحـدة ديمقراطية مزدوجة القـومية فيهـا » .

وبرغم أنه حذر ، وحذر فى عشرات من بياناته ومنشوراته من أن الدعاوى العنصرية التى تروج لهـا الصهيونية من جانب ، والرجعية العربية من جانب آخر لن تؤدى الا الى افشـال فكرة « الدولة الواحـدة » ، والا الى بث روح عداوة بين العرب واليهود فى فلسطين يصبح من المستحيل معهـا اقـامة هذه « الدولة الواحـدة » .

وبرغـم تحـذيراته هذه ، وبرغم اعـلانه المتكـرر أن الدعـاوى العنصرية ليست خطـأ مبدئيـا فحسب ، وانما هى جريمة سياسية يروج لها الاستعمار .

.. « ان استقلال فلسطين يستلزم جهـادا متصلا من سكان فلسـطين واتحـاد صفوفهم ، وتخلصهم من النفوذ الصهيونى أداة الاستعمار من جانب ، والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر .. ان قضية فلسطين تتلخص فى كلمتين كفـاح من أجل الجـلاء والديمقراطية » (٧١)

.. « ان حل مشكلة فلسطين يتلخص فى شىء واحـد .. هو جلاء الجنود الامبريطانيين عن فلسطين هو قيـام فلسـطين الحرة الديمقراطية التى تستطيع فى ظلهـا جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها .. وأن تعيش فى سـلام ووئام لصالح الملايين ، لا لصالح حفنة من الاحتكـاريين »(٧٢)

... « ان زعماء العرب وزعماء اليهود قـد رفضوا التعاون ، ورفضـوا اقتراح غروميكو الذى تقـدم به منذ ١٤ مايو المـاضى والذى يرمى الى انشاء دولة موحـدة ثنائية مستقلة .. هنـاك لم يكـن بـد أمام الديمقراطيين ومحبى الشعوب ، وأعداء الاستعمار الا أن يقبلوا حل التقسيم كأساس لاعلان استقلال

70) — R.S. 319 — 291034 — 30 June 46

(٧١) الجماهير ٥ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ .

(٧٢) الجماهير ١٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ .

فلسطين ، وقد اعترف غروميكو نفسه بأنه حل ردىء ، ولكنه الحل الوحيد الذى يؤدى الى انهاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين •• ويخرج أحمد حسين ليقول : ان ما يطرب له كل أوروبى وأميركى أن تنتزع فلسطين من يد العرب والمسلمين لتعطى الى اليهود •• كلا أيها الفاشى أننا لا نريد انتزاع فلسطين من يد العرب والمسلمين لنعطيها لليهود ، اننا نريد انتزاعها من يد الاستعمار لنعطيها للعرب واليهود دولة مستقلة ديمقراطية ، ويجب أن يعلم أحمد حسين وأمثاله اننا لا نوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين وكأساس لاستقلال فلسطين ، وأمامنا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل للتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما فى دولة واحدة مستقلة ديمقراطية » (٧٣) •

ولكن الامر لم يكن مجرد موافقة على قرار التقسيم من منطلق سياسى وقومى وباعتباره « حلا رديئا » لكنه الحل الوحيد المتاح ••

فان للموضوع ملابسات عديدة أخرى يتعين أن نضعها أمام أعيننا ونحن نعيد دراسة الامر فى محاولة لتقييم موقف اليسار المصرى تجاه هذه القضية

فالجامعة العربية ممثلة الرجعية العربية فى ذلك الحين لم تكن ضد « التقسيم » فقد أعلنت موافقتها على مشروع موريسون ( وينص على أن تتكون منطقة عربية تشغل ٣٨٪ من مساحة فلسطين ، ومنطقة يهودية تشغل ١٧٪ والباقى يبقى تحت ادارة بريطانية مباشرة ) •

هم اذن وافقوا على التقسيم مشترطين بقاء قوات الاحتلال ••

والذين قبلوا « مشروع موريسون » صمموا على الحرب رفضا لمشروع أفضل منه هو مشروع التقسيم الذى أقرته الامم المتحدة ••

لكن من هم هؤلاء الذين قرروا الحرب •

هنا يتعين على أى سياسى أن يزن الامور بميزان دقيق ، أية حرب هذه التى يخوضها الملك فاروق والملك عبد الله والامير عبد الاله •• ضد من ؟ ومع من ؟ ولصالح من ؟ ••

وتتساءل مجلة « الجماهير » « وقرأ الشعب عن سفر جيشنا الى العريش

---

(٧٣) الجماهير ٢٣ ــ ١١ ١٩٤٧

فتساءل عجبا ! أذهب جيشنا المصرى الى العريش دون أن يمر على فايد وقنال السويس ألم ير فى طريقه جنودا بريطانية تحتل أراضينا المقدسة »(٧٤)

والحرب ليست عبثا بالكلمات والسياسة ، انها مصائر شعوب وأقدار بشر ، ومستقبل أمة ، ومن هنا فقد كان على كل القوى السياسية أن تزن الأمور بميزان الجد ، وأن تعرف الى أين تساق قواتنا المسلحة ، وضد من ؟ ولحساب من ؟ وهل هى مستعدة لمعركة أم انها تساق لمذبحة ؟ وعلى كل قوة سياسية أن تزن هذه الامور بميزان يتسم بالشجاعة والامانة ، وألا تنساق خلف شعارات براقة ليس من ورائها سوى ٠٠ الهزيمة ٠٠

ولكى لا أطيل - واذا جاز لى أن أستعير كلمات من على أمين - فسوف أورد روايته عن حرب فلسطين وملابساتها وكيف أقحم الجيش المصرى فيها ٠٠ وعلى غير استعداد ، وكيف أن الامر كله كان هزلا ٠٠ لا جدا ٠٠

٠٠ « فى عام ١٩٤٨ طار الامير عبد الاله الوصى على العراق الى القاهرة ، وقابل الملك السابق فاروق ٠ وقال ان جيوش العراق والاردن ستزحف على فلسطين يوم جلاء الانجليز عنها وهى قادرة على الاستيلاء على كل شبر من أرض فلسطين ، ومع ذلك فانه يهم العراق أن يحطم أعصاب الصهيونية ، ولذلك فهو يطلب من الجيش المصرى أن يقوم بمظاهرة عسكرية على حدود جنوب فلسطين ٠٠ واعترض يومها رئيس الوزراء النقراشى باشا وقال أنه يعارض ارسال الجيش المصرى خارج الحدود ، لان الجيش البريطانى لا يزال يحتل قناة السويس ، واذا خرج الجيش المصرى من وراء الحدود سيصبح تحت رحمة مدافع الانجليز ، وقال النقراشى باشا أن الجيش المصرى غير مدرب لهذه الحرب ، وأن أسلحته قديمة جدا ، ومعلومات مصر أن أسلحة العصابات الاسرائيلية سرقت منمخازن الجيش البريطانى ، وهى أسلحة حديثة جدا وأكد الامير عبد الاله لفاروق أن الجيش المصرى لن يدخل حربا ، وانما سيقوم بمظاهرة ، وأصدر فاروق بصفته القائد الاعلى للجيش المصرى أمره بتحرك الجيش المصرى ٠ واستقال رئيس الوزراء ! والتف حوله الوسطاءوطلبوا منه أن يسحب استقالته ، لان هذه الاستقالة ستحطم روح الجنود المعنوية ثم انهم لن يحاربوا ، انها مجرد مظاهرة وتم الاتفاق على أن يسحب النقراشى استقالته ثم قدمها بعد انتهاء المظاهرة ٠ وسارت المظاهرة نحو حدود اسرائيل (٧٥)

---

(٧٤) الجماهير ١٩ - ١٠ - ١٩٤٧

(٧٥) مقال « على أمين يكتب الف باء السياسة المصرية » الاهرام ١٢ - ٤ - ١٩٧٤ ٠

وأكتفي بذلك بغير تعليق ..

كذلك فان على اى حزب سياسى ان يزن الأمور من كافة وجوهها .. فهؤلاء الذين يسيرون الجيش « غير المستعد » و « غير المسلح » و « غير المدرب » لمعركة ضد الصهيونية ، هم انفسهم الذين يحمون الصهيونية ونشاطها واجهزتها ومؤامراتها على ارض مصر ! هم الذين يقيمون علاقات الصداقة الحميمة والروابط الاقتصادية الوثيقة مع شيكوريل واوفاديا سالم وغيرهما من اقطاب الصهيونية ؟

فكيف يستقيم الامر ..

وهؤلاء الذين يدعون للحرب ، هم عملاء سافرون للاستعمار ، ذلك أمر لم يختلف عليه اثنان .. فكيف اذن يستقيم الامر ..

وهؤلاء الحكام ، كانوا يستعدون للحرب بأقل القليل من الجهد ، لكن الجهد الأساسى كان مركزا ومبيتا لاستغلال آثار اشتعال الحرب فى ضرب الحركة الوطنية كلها .. وفتح المعتقلات والسجون لتضم آلافا من الشباب المصرى المناهض للاستعمار الذى كان متواجدا بنفوذه ورجاله فى كل قرار يتخذه هؤلاء الحكام .

.. هكذا يمكننا أن نفهم معنى تلك الكلمات ذات الطابع الدرامى « ليشهد التاريخ .. ولتشهد الشعوب العربية ، اننا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربقة الاستعمار ، ومن أجل حياة سعيدة ، حرة ، ديمقراطية »(٧٦)

* *

وبهذا أكتفي ..

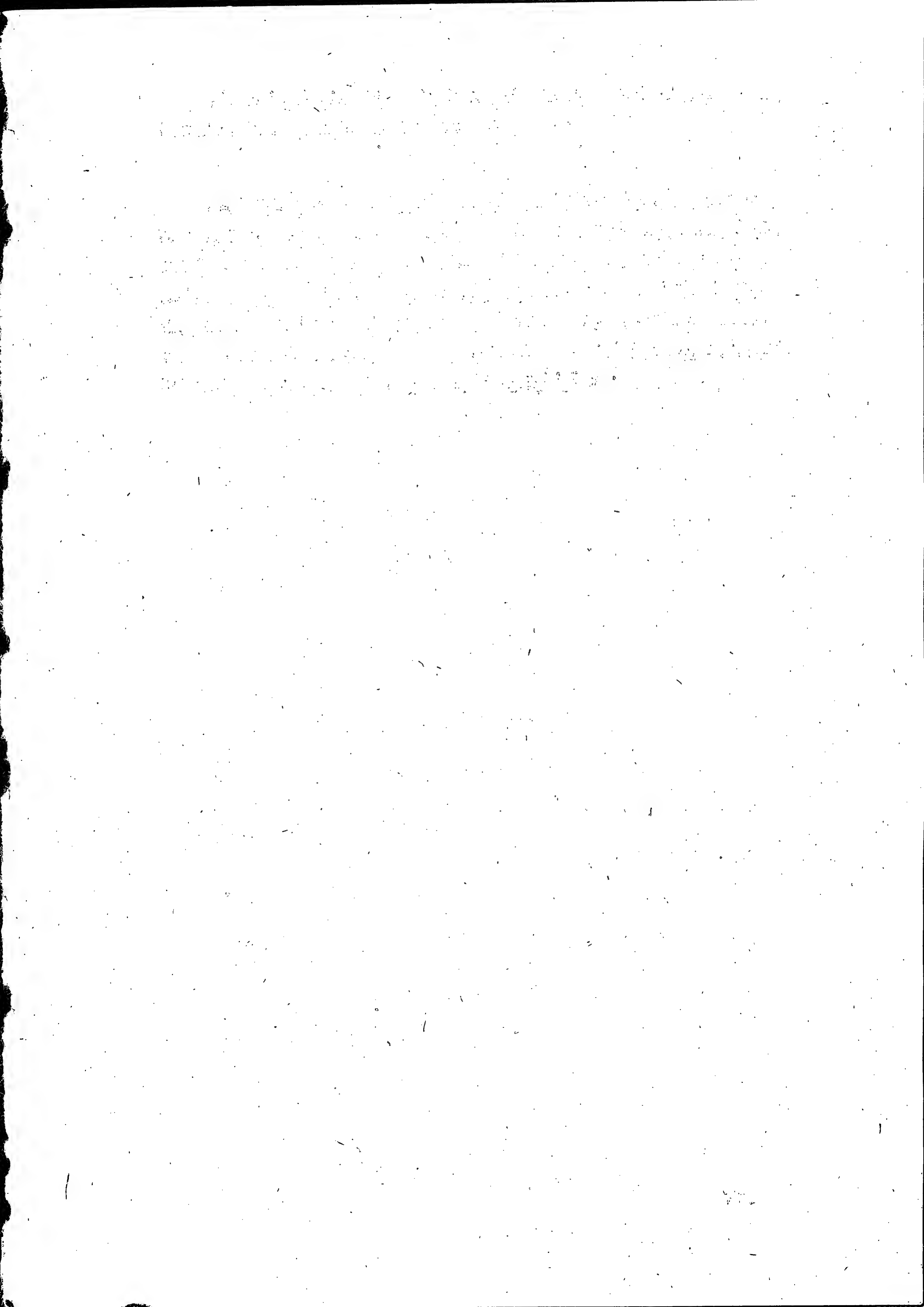
فلست أريد بأى حال من الاحوال أن تكون هذه الدراسة التمهيدية بديلا عن الوثائق ، ولقد تعمدت اختصارها ، وتعمدت تجنب الاشارة لما تحتوى الوثائق من معلومات وحقائق .

---

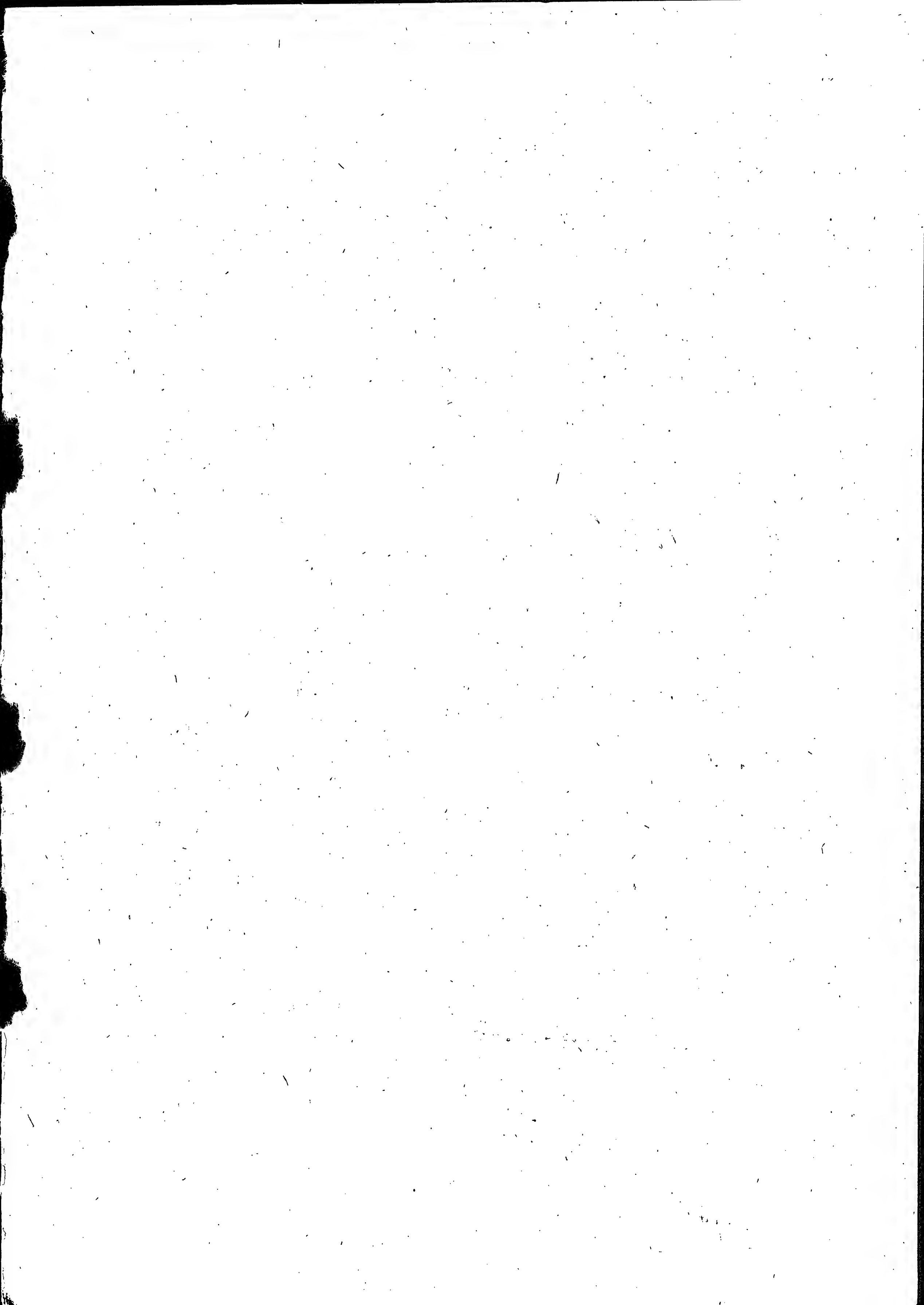
(٧٦) الجماهير ٢٣ - ١١ - ١٩٤٧ .

ولست أريد بأى حال ـ أن أفرض على القارىء انطباعا معينا ، ففى اعتقادى أن مجرد قراءة الوثائق تكفى وتزيد ..

وهى توضح كيف أن الرجعية المصرية قد ارتكبت الجرم ومهدت له ، ثم « رمتنا بدائها وانسلت » ، وهى على أية حال كفيلة بمجرد نشرها بأن تنقل موقف « اليسار المصرى » من القضية الفلسطينية من منطلق الدفاع الى منطلق الهجوم .. وأن تؤكد بالفعل وليس بالقول فقط صدق تلك العبارة ، التى تعمدت الاشارة اليها أكثر من مرة « ليشهد التاريخ ولتشهد الشعوب العربية ، اننا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربقة الاستعمار ، ومن أجل حياة سعيدة حرة ، ديمقراطية » .



# وثائق



بعد أن نشبت الحرب العالمية الثانية وجد مؤسسو اتحاد أنصار السلام ( بول جاكوب دى كومب وزملاؤه ) انه لا مجال للعمل تحت هذا الشعار وهكذا أسسوا جماعة جديدة أسموها « مجموعة الدراسات » .

وخلف « مجموعة الدراسات » التى كانت تستهدف اعداد دراسات عن مصر وتعريف الاجانب بتاريخ وحضارة شعب مصر ، وتمكين أعضائها أنفسهم من التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مصر .. خلف هذه المجموعة كانت هنـاك مجموعة ماركسية سرية ( بغير اسم ) وكان يعمل ضمن هذه المجموعة ثلاثة أشخاص يمكن اعتبارهم المعبر بين هذه المجموعة الاجنبية وبين بعض قطاعات المثقفين المصريين ذوى الثقافة الأجنبية ، هؤلاء الثلاثة ( صادق سعد — ريمون دويك — يوسف درويش ) كانوا يمثلون قطاعا وسطا فى المجتمع المصرى بين الجاليات الاجنبية وبين المثقفين المصريين ذوى الثقافة الاجنبية وكانت معرفتهم باللغة العربية وقربهم من المجتمع المصرى عامة قد جعلت منهم كنزا فى نظر « بول جاكوب دى كومب » الذى ظل لفترة طويلة يعانى من وطأة العزلة بسبب اللغة ، وبسبب الديانة وبسبب الاصل والاسم الاجنبيين وبسبب البعد التام عن مشكلات ووجدان المجتمع المصرى .

وهكذا طلب « بول جاكوب » الى هؤلاء الثلاثة أن ينفصلوا عن مجموعته الأجنبية وأن يحاولوا السعى وسط المصريين لتأسيس منظمة ماركسية ..

وانطلق هؤلاء الثلاثة مسلحين بتعليمات « بول جاكوب » التى توصى بالحذر والحذر الشديد . وبقى الثلاثة ، ثلاثة كما هم ، وأخيرا أضافوا اليهم رابعا هو « أحمد رشدى صالح » .

وباسمه حصلوا على ترخيص لمجلة « الفجر الجديد » .. وحاولوا أن يجعلوا منها منبرا يساريا تتجمع حوله عناصر من الشباب المثقف ويتمكنوا من خلاله من دراسة مشاكل المجتمع المصرى المختلفة .

أما « يوسف درويش » فقد كلف بالعمل وسط العمال باعتباره محاميا عماليا • وأثمرت جهوده فيما بعد عن تكوين « لجنة العمال للتحرر القومى » التى أصدرت مجلة « الضمير » •

ومجلة « الفجر الجديد » لم تكن مجرد لسان حال لجماعة يسارية لكنها كانت فى ذاتها نواة لتنظيم ماركسى تميز فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية بأسماء عدة فيما بعد منها « الديمقراطية الشعبية ـ د•ش » و « طليعة العمال ـ ط•ع » ثم « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » •

ويمكن القول بأن هذه الوثائق سواء منها التى نشرت فى مجلة « الفجر الجديد » أو مجلة « الضمير » تمثل وجهة نظر هذه الجماعة فى حدود هذه المرحلة الزمنية أى ( ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ ) •

## كفاح فلسطين الوطنى الديموقراطى *

يتجه كفاح فلسطين الوطنى الديمقراطى الى الحصول على الاستقلال ، والتخلص من الطغيان الصهيونى ، واقامة الديمقراطية السليمة فيها وتهب على فلسطين الان ريح وطنية قوية لا نظن أنها عرفت مثلها من قبل ، فمن أهم خصائص الحركة الفلسطينية فى الوقت الحاضر انها نجحت فى ايقاظ جميع طبقات الشعب العربى واستطاعت أن تستعين بقواه فى الكفاح فى سبيل تحرير فلسطين ولا شك أن أنشط طبقة من هذه الطبقات وأكثرها أهمية فى الكفاح الوطنى فى فلسطين ، هى طبقة العمال العرب ، فهى تعرف تمام المعرفة أن مستوى معيشتها لا يمكن أن يتحسن الا اذا حكمت البلاد حكما وطنيا غير خاضع للرأسمال الاجنبى أو الصهيونى . وهى تعرف تمام المعرفة أيضا أن لها - كما لجميع الطبقات الشعبية الفلسطينية - حقوقا سياسية ديمقراطية لن تحصل عليها الا اذا حكمت البلاد حكما وطنيا غير خاضع للرأسمال الاجنبى أو الصهيونى . فتصدر جمعية العمال العربية بيانا حول أزمة البلدية ، تطالب فيه بانتخابات ديمقراطية للبلدية ، وتستقبل الطبقة العمالية وفدها - الذى اشترك فى مؤتمر النقابات الدولى بلندن - استقبالا وطنيا رائعا جعل جريدة الدفاع تقول بهذه المناسبة :

« وقد تبين أن الحركة العمالية العربية لم تعد حركة محلية لا قيمة لها ولا وزن ، وانما غدت جزءا لا يتجزأ من نضال البلاد فى سبيل استقلالها وكيانها » .

وتطالب الحركة الوطنية فى فلسطين - بحق تنظيم النقابات العمالية ، وبفتح مدارس جديدة كثيرة ، لا سيما فى القرى ، وبناء المستشفيات والملاجىء ، وبفرض الضرائب التصاعدية بحيث لا يرهق العمال والفلاحون وصغار الموظفين . والحركة الوطنية الفلسطينية لا تطالب بهذه المطالب المادية لتحسين

---

* الفجر الجديد - ١٦ يونيو ١٩٤٥ .

حالة الشعب فحسب بل تطالب بالدرجة الاولى بحكم ديمقراطى تمثيلى. فالهيئات التمثيلية الوحيدة الموجودة الان فى فلسطين هى البلديات ومع ذلك فقد مر على بلدية حيفا - مثلا - ١١ عاما دون أن يعاد انتخاب أعضائها ، وكذلك بلدية الناصرة فقد بقيت ٨ سنوات « لم تسع فى خلالها الحكومة - لاعادة تأليف المجلس البلدى بواسطة الانتخابات الشعبية » وأما مسألة بلدية القدس التى حاولت السلطات أن تعين أعضاءها تعيينا - فلا تزال حية فى الاذهان ، هذا كله قد جعل الفلسطينيين المخلصين يطالبون بايجاد مجلس نيابى ٠ وهذه « عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين » تقول انها « تضع أمام الشعب العربى الان ، هدف السعى لايجاد مجلس نيابى فى البلاد يمثل الشعب تمثيلا ديمقراطيا ويمكن جميع السكان من الاشتراك فى ادارة شئونه كخطوة تقربه أكثر فأكثر من هدفه النهائى : الاستقلال والسيادة الوطنية » ٠

وأما الذى يشجع هذه الحركة الوطنية المباركة فهو الاتجاه الامى العام ، اتجاه الشعوب الى الاستزادة من الحريات الديمقراطية ، تعلق جريدة «فلسطين على انحدار النازية الالمانية بقولها :

« ومن الدكتاتوريات المستترة ، تحكم الدول القوية بالدول الصغيرة ، وتقييد حرية التفكير والتعبير ، ونظم توزيع الثروة فى أشكالها الحاضرة » ، بينما تكتب جريدة الدفاع ٠٠ « نريد تجارة حرة واجتماعات حرة ، ورأيا عاما حرا ، نريد أن تستأنف الحكومة عملها جريا على سياسة الكتاب الابيض نريد أن تحول ميزانية الحكومة الضخمة الى تنفيذ مشروعها الانشائى ليعم الرخاء ويستتب الامن وتتوفر للجميع أولى ضروريات الحياة الشريفة » ٠

ومن أول ما تصطدم به الحركة الوطنية العربية - الصهيونية ، « فالصهيونية حركة استعمارية ليست فى الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار أكثر ما يمكن من منابع المواد الاولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة والصهيونية بطبيعتها التى أشرنا اليها معارضة لحركة العرب وللديمقراطية ، وهذا مؤسسها هرتزل يقول فى « الدولة اليهودية » « أن الامم الان لا تستاهل أن تحكم حكما ديمقراطيا غير محدود ، وان استعدادها هذا سيقل أكثر فأكثر فى المستقبل » والصهيونية تستثمر ١٠٥ ملايين من الجنيهات فى فلسطين لحساب أمثال « شركة البوتاس » و « شركة الكهرباء » وروتشلد وغيرها من المؤسسات الرأسمالية التى تعتصر الشعب الفلسطينى كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠٠ والصهيونية تجد سندا قانونيا فى تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين

ويربطها هذا بالانتداب ويكون سببا من الاسباب التى تحمل بها على الحركة الوطنية فى فلسطين ·

ولذا يقاومها العرب ·· غير أن كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعنى كفاح اليهود اطلاقا · فتكتب مجلة « الاتحاد » النقابية :

« ان الصهيونية لم تكن فى يوم من الايام لتدافع عن اليهود أو لتحارب أعداءهم انما كانت فى الواقع الصحيح الصريح تستغل آلامهم وتستفيد من مآسيهم ومصائبهم لتستعمر فلسطين ولتستغل مواردها » والحقيقة أن هذا الموقف قد بدأ يؤثر فى يهود فلسطين أنفسهم فبدأ يفهم بعضهم أن مصيرهم مرتبط بدرجة اشتراكهم فى الحركة الوطنية التحررية - مع العرب وضد الصهيونية ، وقد نشرت الصحافة الفلسطينية منذ مدة قصيرة احتجاجا لليهود الشرقيين فى فلسطين يرفضون فيه الحركة الصهيونية ويطالبون بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، كما نشرت تلك الصحافة أيضا احتجاج العمال اليهود الذين يعملون فى شركة « يورشليم كوهين للحبال » على طرد عمال عرب من تلك المؤسسة لا بسبب الا لكونهم عربا ···

فالصهيونية تتصدع ، ويتمسك الشعب الفلسطينى بمطالبه التحررية الديمقراطية وهل يمكن أن يقف حائل دون تحقيق مطلب ذلك الشعب الباسل ؟»

**وطنى**

# نــــداء *

لا يكـاد يصل هذا العـدد الى أيـدى القـراء الا وتكون الاستعدادات قـد اتخـذت للاحتجـاج على تصريح بلفور المشؤوم الصادر فى ٢ نوفمبـر سنة ١٩١٧ ٠

وانيا اذ نستنكر وعـد بلفور ، ونسجل ألاعيب الاستعمار الطاغية ، نلاحظ مستبشرين تزايـد وعى الشعوب العربية بأهـداف الصهيونية وعقيدتها ، فهى ليست دعوة دينية فى شىء ٠ الصهيونية حركة عنصرية ٠٠ وانها باعتدائها على الشعب الفلسطينى العربى ، لا تمحو الاعتداء الواقع على اليهود ٠ وانها بتعاونها مع الاستعماريين البريطـانى والاميركى ، لا تحل قضية اليهود وانما هى تدعم بطش الرأسمالية بالشعوب أيا كانت ٠

انا نحيى الشعب العربى المناضل فى كفـاحه التحريرى ونكرر استنكارنا للصهيونية الآثمة المعتدية عنحيى الاحرار المقاومين للاستعمار أيا كان لونـه والاستغلال فى أى شكل وجـد ٠٠ »

مصرى

---

* الفجر الجديد أول نوفمبر ١٩٤٥ ٠

حوادث ٢ نوفمبر *
جهـــاد **

نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطنى مجيد يجب أن نقوم به فى حزم وقـوة • فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الامريكى والبريطانى الآن لتثبيت دعائمها فى بلادنا العربية •• ولكننا نؤمن بالمثل أن عدونا الاول هو الاستعمار البريطـانى فيجب أن لا نتحول لحظـة واحـدة عن مناهضته ومقاومته •

وان أى تمييع فى حركتنا الوطنيـــة أو أى تحـول فيهـا انمـا ينيـل الاستعمار مكسبا ضـد قضيتنا الوطنية •

وليس من شك فى أن الاستعمار لا يرغب فى مقـاومة الصهيونية رغبـة أكيـدة فاذا هو أراد أن تتحول حركتنا الوطنية الى مناهضة الصهيونيـة فـلانه يسعى الى صرفنـا عن مكافحته فى وقت ضعف فيه أشد الضعف بفضل التيارات الشعبية المعارضة له فى أوروبا والحركات الوطنية فى غيرها ••• لقـد راوغنـا الاستعمار كلما ضغطنـا عليه ولقـد اختلق المعاذير وانتحل الاسباب • ولكنـه لم يعـد يتخـذ موقفـا ما بالنسبة لاحتجاجاتنا على تصريح ( بلفور ) الذى خلقـه هو •

هذا من ناحيـة ـ ومن ناحيـة أخرى جاءت تصرفات الحكومة الحـالية منسجمة مع رغبـة الاستعمار فى تحويل حركتنا الوطنية • ولعل سببا هاما دعاها الى ذلك ـ أن الحركة الوطنيـــة تهـدف الى تدعيم الديمقراطية واجراء انتخـابات حرة جديدة •• فهـى لهذا السـبب ولارتكـازها على الفئـات الرأسمالية متداخلة المصـالح مع الاستعمار ••• تفزع من حركتنا الوطنيـة

---

* الفجر الجديد العدد ١٣ بدون تاريخ •

** جهـاد هو الاسم المستعار لاحمد رشدى صالح •

وتحاول أن تكبتها بالقوة كلما بدرت ظواهرها الجادة ... أو بغير القوة من وسائل أخرى .

وليس من شك أيضا أن الرجعية المصرية قد أفزعتها هذه الحركة التى تقوم اليوم على أسس شعبية أنضج بكثير من أسسها السابقة . تريد الحصول على حقوق وحريات لا توافق مصالح الرجعيين ... فلا غرو أن انسجمت رغبة الرجعية المصرية مع رغبة الاستعمار والحكومة القائمة فى تحويل حركتنا الوطنية .

وهناك « العناصر الفاشية » التى أخذت تتحرك فى نشاط واضح فى الفترة الأخيرة - تريد أن تستغل حالة القلق التى تسود الجماهير الشعبية فتطويها تحت قيادتها ... وهذه العناصر التى خدمت الاستعمار الفاشى - أرهب استعمار بالامس - تتحرك اليوم فى انسجام مع ما يريده الاستعمار ... وهى تخدمه بحركاتها وسياستها قصدت الى ذلك عن وعى أو اتجهت اليه بغير وعى ...

هذه التيارات جميعا التقت عند هدف مشترك : تحويل حركتنا الوطنية عن مجراها الحالى ضد الاستعمار البريطانى - والاستبداد الرجعى ... الى حركة عنصرية ... ولقد كانت قيادة اضرابات ٢ نوفمبر فى يد هذه الفئات الرجعية ولذا فهى لم تفد الطبقات الشعبية شيئا - وأفادت الاستعمار كثيرا - وثبتت أقدام الحكومة أكثر من ذى قبل ، فراحت تضيق الحريات وتكبت الحركة الوطنية وتمنع سيرها . وأفادت الرجعية المصرية - ولو مؤقتا -

ولكن بقى الجانب الاكبر من الذين اشتركوا ووجهوا الاضرابات . هذا الجانب هو الجماهير الشعبية التى يدل تصرف أجزاء منها ضد التجار على حقائق دامغة : أنها لا تؤمن بالعنصرية البغيضة فهى قد عاملت التاجر المسلم والمسيحى واليهودى بوصف أنه تاجر فحسب ، ويدل هذا على أنها جائعة عارية .. أحقدها على هذه الفئة الجشعة سنوات سوداء قضتها بين السوق السوداء . والاسعار الفاحشة ..

وهى بعد هذا كله قد غيرت من مضمون قوتها التى لو وجهت توجيها صائبا قوميا لاستفادت منه حركتنا التحريرية أفضل استفادة .

لقد تفاهمت الفئات الاولى أن تحول حركة شعبنا تحولا معرقلا لنهضتها - ونجحت فيما أرادت لان الحقوق الديمقراطية الممنوحة ضيقة ضعيفة

ولان « الفاشيين » أحرار حلفاء يعملون ما يريدون ويشجعون عليه • ولان العناصر الديمقراطية المخلصة مقيدة مكبلة ، ترصد لمحاربتها الميزانيات الضخمة وتعد عليها الكلمات والحركات • نجحت لان الطبقات الشعبية يائسة منكودة أشقتها سنو الحرب وأنواع المضاربة والاستغلال ••

ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة خاطئة اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية ،• انها لا تحترم الاقلية اليهودية وأنه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحد •

نجحت هذه الفئات جميعا : ولكن أى نجاح •• مئات الآلاف من المصريين المخلصين الراغبين فى القيام بعمل وطنى عميق • يوجهون وجهة عنصرية •• يحولون من مناهضة الاستعمار ••• نعم أى نجاح ؟ الحكومة الرجعية قائمة تبطش وتحكم ••• الجماهير الشعبية قد زاد شكها فى القيادة التى وجهتها وما تزال • وهذا آخر دليل لديها على ضلال هذه القيادة •

انه نجاح لا يعنى الا هزيمة نكراء لحركتنا التحريرية ••• ولا يخلق الا عراقيل وعقبات فى طريقنا ••• ولقد وضح الان أن العلاج الحاسم هو أن تنطلق حرياتنا السياسية فيمارسها الجميع وأن ترفع القيود عن الديمقراطيين الأحرار فيصلون الى شعبنا المحتاج اليهم أشد الحاجة • وأن تنظم الطبقة العاملة فهى متى نظمت تكون الضمان الوحيد ضد الحركات الفاشية والرجعية •

وان اجراء انتخابات حرة شرط مبدئى فى سير حركتنا • وهى التى تطالب بأن تظل فى سيرها تهدف الى محق الاستعمار وتدعيم الديمقراطية •

**جهاد**

## قراء الفجر يعلقــون
## على حوادث ٢ نوفمبر

**ميشيل اسكندر**

دلت الحركات الشعبية التى حدثت يوم ٢ نوفمبر على ما يلى :

١ ـ أن الكثيرين ما يزالون يخلطون بين الصهيونية الاستعمارية واليهودية

٢ ـ ظهرت وحدة الشرق العربى ازاء الخطر الاستعمارى أيا كان نوعه ٠

**محمد حسن عواض**

« أكتب هذه الكلمة والقلم لا يطاوعنى من هـول الجـرم الـذى ارتكبته الفاشية التى أرادت أن تستغل الحركة الشعبية مطيـة لبلوغ أغراضها » بهذا بدأت الرسالة الثانية واستمر كاتبهـا يعـدد معـالم الحركة ملقيـا تبعـة ما حصل على العناصر الفاشية وحـدها ومعلنـا تبـرأ الشـعب المصرى من الاعتداءات ٠

**ابراهيم فؤاد**

يرى أن هذه الحركات فجـر جديد لانتفاض الجمـاهير اليائسـة المظلومة ضـد مسـتغليها ولقـد كانت هذه الرسالة احـدى الكلمات التى وصلتنا عن حوادث ٢ نوفمبر وكانت فى مستوى آخـر غير سابقتيهـا من حيث الانـدفاع والحماس لقـد رأى الكـاتب فى الحوادث والاعتداءات جانبها الثورى لا غير ٠ وحرى بنـا جميعـا أن نراهـا من كل وجوهها خاصة توجيهها الخاطىء وقيادتها المضللة ٠

---

* الفجر الجديد العدد ١٣ ـ بدون تاريخ ٠

## بريد الفجر الجديد
## ليست الصهيونية حركة تقدمية

علق الاديب أ٠م٠ بالاسكندرية على المقال المنشور فى العدد الحادى عشر تحت عنوان « احتضار الصهيونية » بتأكيده أن الصهيونية هى حركة اليهود القومية ولذلك فان « كانت هذه الحركة يستغلها رأسماليون فهذا شىء آخر لا يسمح لنا ان نحكم على الحركة القومية بالاعدام » ثم اكد ايضا ان « الصهيونية ينبوع خير للعرب » وقال عن ازدياد حركة الاضراب بفلسطين انه « يحسن ان تعلموا ان اغلب هذه الاضرابات نظم بمعرفة وقيادة الهستادروت التى هى ٠٠ الرابطة الفلسطينية للعمل التى انخرط فى سلكها العرب الذين يتعاونون مع العمال اليهود الصهيونيين » ، ثم نفى أ٠م٠ أن الهستادروت تقبل مبدأ تعاون الطبقات ، وانتهى من هذا كله الى انه « يجب ان تحث الشعوب العربية على مؤازرة الشعب اليهودى فى تشييد حياته القومية فى فلسطين من جديد ليكون امة محبة للسلام تتعاون مع سائر البلاد فى إقامة السلم والخير فى العالم كله » ٠

ونحن نأسف اسفا عميقا على ان الدعاية الصهيونية المغرضة أستطاعت ان تخدع الاديب ا٠ م٠ الى تلك الدرجة الظاهرة فى خطابه فاما ان الحركة الصهيونية حركة قومية لليهود ، فهذا يحتاج الى اثبات ان اليهود امة وهو بعيد عن الحقيقة كل البعد لافتقار اليهود الى « وحدة المنطقة واللغة والروابط الاقتصادية » ( راجع ستالين : المسألة الوطنية ) ٠ واما ان الصهيونية بزيئة من اعمال الرأسماليين والاستعمار فهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد ايضا ، اذ ان الصهيونية قامت على اكتاف الرأسماليين ( وجه تصريح بلفور الى لورد روتشيلد الرأسمالى الكبير ) ٠ واما ان الصهيونية نهضت بالعرب فهذا يشبه كثيرا قول الاستعمار بأنه رقى مصر لانه أتى الينا ببنوكه وسياراته وعلم مقاولينا بناء العمارات الضخمة والطرق المعبدة ولكن فقر الفلاحين العرب بفلسطين وضغط الديون عليهم وتفشى الأمراض بينهم وبين العمال العرب وقلة التعليم الحر أمور تظهر للعين المجردة ( راجع « تقرير سمبسون » و « التعليم فى فلسطين » و « فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية » الخ ) ٠ واما ان الهستادروت تتعاون مع الرأسماليين فيكفى أن يعرف الاديب ا٠ م٠ ان الهستادروت بدأت تشترى أخيرا المنشآت الرأسمالية الكبرى فى فلسطين ( منها مثلا شركة « شيمين » التابعة لشركة « يونيلفر » الاحتكارية الانكليزية التى يديرها رئيس « جمعية الصداقة الانكليزية الالمانية ) ٠

---

* الفجر الجديد العدد ١٣ ( بدون تاريخ ) وتتضمن تعليقا على مقال نشرته الفجر الجديد فى العدد ١١ بعنوان « احتضار الصهيونية » والعدد غير موجود بالمجموعات المتاحة ومن بينها المجموعة الموجودة بدار الكتب والوثائق القومية ٠ وذلك بسبب مصادرة البوليس له ٠ ( المؤلف )

## بريد الفجـر الجديد *

من اهم الرسائل التى وصلتنا أخيرا كلمة للأستاذ « عادل أحمد ثابت » نفى فيها ما يقال من ان اضرابات ٢ نوفمبر كانت تحمل فى جانبها الاعتدائى اصبع الاستعمار والفاشية وقال ( لا شك فى ان الحركة كانت قومية عربيـة بحتة قامت بها عناصر قومية عربية بحتة ) — ووصفها بانها ( كانت على اروع ما يمكن من النظام ) — ويهمنا قبل ان نعرض لآرائه ان نلاحظ ان المصريين المخلصين يوافقونه على ان من واجبنا الوطنى ان نعضـد قضية الشعب الفلسطينى وكفاحه ضـد الاستعمار والصهيونية سواء بسواء ، ونتفق معه فى وجوب مقاومة هذا الاستعمار والصهيونية ، كيفما كان لونهما — هجـرة كان — ام تدفق رؤوس أموال — ام استعباد للشعب الفلسطينى ·

ولكن هناك فرق بين تأييد الشعب المصرى لحركة الفلسطينيين التحريرية ، وبين الاعتداءات التى حدثت يوم ٢ نوفمبر والتى أجمع المخلصون على انهـا أريد بها أن تشـوه جـلال تعضيدنا لقضية فلسطين · واما أن الحركة كانت منظمة بشكل رائع فهذا ما لا نوافق الاستاذ عليه — ودليلنا الواضـح ان الاعتداءات التى حدثت لم تكن فى مقصود الجماهير الشعبية التى اشتركت فى الاضراب كما انها كانت علامة على آفلات الزمام من يد الذين كانوا يخلصون فى توجيه هذا الاضراب ·

واذا كانت بعض الاقلام الحرة قد نبهت الى محاولة الاستعمار ان يشوه حركتنا الشعبية فى ٢ نوفمبر وان يصرفنا عن كفاحنا الوطنى ضده — فهى

---

* الفجر الجديد ٦ ديسمبر ١٩٤٥ ·

تعرف تماما أن عدونا الاول هو الاستعمار ، عدونا نحن ، وعدو فلسطين ـ وان الصهيونية ذاتها شكل من اشكال هذا الاستعمار ٠

ولا نظن الأستاذ يغيب عن دقيق ملاحظته الفرق بين النشـاط الذى أبدى فى الاحتجاج على الصيهونية وبين الخمود الذى يعـم حركتنا الوطنية الآن ـ كما انه لابد اذكر ان اعتداءات مماثلة لما وقع فى مصر وقعت فى ليبيا وحاولت بعض العناصر ان توقعها فى لبنان وغيرها من الشرق العربى الرازح تحت ضغط الاستعمار البريطانى خاصة ٠٠ واخيرا نختتم كلمتنا بما قاله الزميل نفسه فى خطابه من ان ( مقاومة الاستعمار والصهيونية يعتبر نجاحا لقضية الديمقراطية والحرية ليس فى الشرق الاوسط فحسب بل فى العالم أجمع ) ٠

# يقاومون الهجرة الى فلسطين*

نشر هذا المقال التالى بجريدة الاتحاد الغراء —

ولقد رأت لجنة التحرير ان تنقل فقرات منه لقراء الفجر الجديد ودحضا لما قد يكون شائعا بين بعض الاحرار فى مصر والبلاد العربية من ان موقف الاحرار من الهجرة يجب ان يكون مختلفا عن موقفهم من الصهيونية ذاتها .

ويجدر بنا ان نتذكر قرار الحزب الشيوعى الفلسطينى الاخير بمعارضة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ذلك القرار الذى ووفق عليه بالاجماع .

مما لا شك فيه ان تعاليم النازية قد تركت أثرها ، الا ان شعوب أوروبا اليوم ، وعلى وجه الخصوص أقطارها الشرقية ، أخذت تنشىء لها نظما ديمقراطية شعبية تهدف الى القضاء على جميع أنواع الاضطهاد والتعذيب .

ان الانباء التى تردنا عن انتعاش الديمقراطية فى تلك الاقطار والتغيرات الاقتصادية الديمقراطية التى تقود الى ازدياد الحريات العامة والطمأنينة ، هذه الانباء توضح أمام اليهود السبيل لتأمين مستقبل عادل لهم فى أوروبا .

ومن الامور الحيوية الهامة بالنسبة الى اليهود ، ان يوقفوا جهودهم ونشاطهم اليوم على مساعدة النظم الديمقراطية المناهضة للفاشستية التى تنشأ اليوم فى اوروبا . بحيث تؤمن لهم هذه الديمقراطية العيش بسلام ومساواة عادلة فى أوطانهم الأصلية .

---

* الفجر الجديد ٦ ديسمبر ١٩٤٥ .

بيد أنه لا يزال حتى الآن ثمانون ألف لاجىء يهودى يقيمون فى المعسكرات ، ولم يجدوا بعد الطريق الذى يوصلهم الى أوطانهم الأصلية ٠

ولم تعط أرقام حتى الآن عن مصادر هجرة هؤلاء اللاجئين وأوطانهم الأصلية ، ولكن من المعلوم أن أكثرهم ألمان ونمساويون وبعضهم بولنديون ، وآخرون من دول البلقان ، ومن شرق أوروبا ٠

والحقيقة : ان السلطات المسؤولة عن هؤلاء اللاجئين ( وهى سلطات بريطانية واميركية ) لم تعن بهؤلاء اللاجئين الاعتناء الكافى ولم تعر قضيتهم الخاصة اهتمامها المطلوب ولم تتخذ اجراءات سريعة لتأمين عودتهم الى اوطانهم الأصلية فان هذه السلطات تعاملهم حتى الآن معاملة تخلو من العطف ومن بعد النظر ٠

وهناك حوادث طرد فيها اليهود من خدمة السلطات العسكرية البريطانية فى المانيا ووضع مكانهم نازيون ٠

مثل هذه الحوادث تعيد الثقة للنازيين بأنفسهم وتشجع على مواصلة دعايتهم العنصرية المعروفة ، ومثل هذه المعاملة لا تقود الى حل مشكلة هؤلاء اللاجئين ٠

والحكومات الجديدة التى نشأت فى الاقطار التى جاء منها هؤلاء اليهود اللاجئون انشغلت بتنظيم اقطارها وتنفيذ مشاريع البناء التعمير ، حتى انها لم تستطع بذل الجهد الكافى لاقناع هؤلاء اللاجئين بضرورة العودة الى أوطانهم ٠

ومن الناحية الثانية نشطت الدعاية الصهيونية بين اللاجئين ويدعى الصهيونيون الآن ان حوالى ستين ألف يهودى منهم يريدون الهجرة الى فلسطين ٠

ان هدفنا الأساسى نحو قضية هؤلاء اللاجئين أن يؤيدوا بكل قواهم الديمقراطية الحقيقية التى بدأت تنشأ فى أوروبا الوسطى والشرقية ، وهكذا يصبح فى مقدورهم أن يتفهموا امكانيات عيشهم الواسعة فى ظلال هذه الديمقراطية الجديدة ، ومن ثم يعودون الى أوطانهم فلا تعود هناك مشكلة ٠

أما الصهيونيون ، برفضهم رؤية هذا الامكانيات الواسعة بتوجيههم كل الانظار نحو فلسطين ، يؤيدون عمليا جميع القوى التى تناهض النظم الديمقراطية الجديدة والتى تعرقل انشاء هذه النظم والتى تريد الرجوع بأوروبا الى عهود العبودية والعنصرية ٠

أما واجبنا السريع تجاه هذه المشكلة فهو أن نؤمن المساعدة وامكانيات العودة لليهود اللاجئين الذين هم اليوم فى حالة صحية وعقلية لا تسمح لهم بتقرير مصير مستقبلهم ٠

وبينما تجرى المساعدات التى أشرنا اليها ونؤمن امكانيات العودة ، من الواجب ان ينظم نقل قسم من هؤلاء اللاجئين الى الاقطار المستعدة لقبولهم ٠ وبهذا نضع حلا لمشكلة هؤلاء اليهود الذين لا يريدون بحال من الأحوال العودة الى أوطانهم الأصلية ٠

وقد يفضل بعضهم فلسطين على غيرها من الاقطار ، ربما لان لهم اقارب هناك ، أو لانهم يعتقدون ان عيشهم بين بنى جنسهم سيكون أكثر أمانا ٠

أو قد يكونون من الصهيونيين السياسيين الذين يرون فى فلسطين تحقيقا لامانيهم السياسية ٠

هذا هو القسم تعتمد عليه الدعاية الصهيونية فى طلبهـا فتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية وفى تقرير مستقبل فلسطين ومستقبل اليهود كما تشـاء وتهوى ٠

وهكذا يظهر بوضوح ، من متابعة ملاحظاتى السابقة ٠ ان قضية اللاجئين اليهود تنفصل تمام الانفصال عن قضية فلسطين ومستقبلها ٠

واصرار الصهيونيين على ان حل قضية اللاجئين اليهود لا يمكن أن يكون الا بحل قضية فلسطين كما تريد الصهيونية وتهوى ٠ لن يكون من أثره اخر الامر الا ان لا تحل اية قضية من هاتين القضيتين ٠

أما قضية الهجرة الى فلسطين فلا يمكن ان تحل الا على اساس ديمقراطى أى ان يتفاهم على حلها سكان فلسطين أنفسهم ٠

وأما قضية فلسطين : حاضرها ومستقبلها وهى القضية الاوسع فهى قضية متصلة تمام الاتصال بمستقبل الشرق الاوسط كله ٠ ومن الواجب ان تحلها الامم المتحدة مجتمعة اما ان يفرض حل هذه القضية الآن فرضا بطلب شهادات لمائة الف مهاجر جديد الى فلسطين فلن يكون من أثره الا عرقلة المساعى التى تبذل لاعادة اللاجئين اليهود الى أوطانهم الأصلية ٠

ان الطريق لحل هذه القضايا كما يظهر يكون على أساس الخطوط العريضة التاليـة :

١ ـ تسليم المسئولية فى معاملة هؤلاء اليهود اللاجئين ـ وهى الآن

بيد السلطات البريطانية والاميركية ــ الى سلطات مدنية خاصة تشمل ممثلين عن منظمات اليهود فى بريطانيا وغيرها من الاقطار الديمقراطية ٠

ومن الواجب مد هذه السلطات المدنية بالاعانات المالية ــ وقد يكون ذلك من مؤسسة الانعاش والتعمير للامم المتحدة ( أونروا ) ــ حتى تستطيع تأمين العيش لهؤلاء اللاجئين ٠ وأن تقدم لهم فى الوقت نفسه الثقافة والتدريب الذين يساعدانهم على العودة الى أوطانهم الأصلية ٠

٢ ــ أن يسمح للرعايا البريطانيين الذين لهم أقارب بين هؤلاء اللاجئين ان يدعوا اقاربهم الى بريطانيا ٠ ويقيموا فيها حتى تنظم أمور عودتهم الى أوطانهم الأصلية ٠

٣ ــ فى خلال هذه المرحلة ــ أى قبل عودتهم الى أوطانهم ــ يكون من أهم الواجبات على السلطات المدنية تثقيف هؤلاء اليهود بضرورة عودتهم الى أوطانهم الأصلية وأنا على تمام الثقة بأن هؤلاء اليهود اللاجئين حين يحاطون بحقائق الأحوال فى أوطانهم الأصلية سوف يعودون حالا ٠

٤ ــ وبعد ذلك اذا بقى من لا يرغب فى العودة الى وطنه الأصلى ٠ من الواجب تأمين الملجأ له فى الاقطار الديمقراطية المتعددة ٠

وبعد ذلك ــ وبعد ذلك فقط ــ اذا بقى من يرغب فى الهجرة الى فلسطين يجب ألا يسمح له بالهجرة الا بعد أخذ موافقة سكان فلسطين موافقة ديمقراطية غير اجبارية ٠

٥ ــ من واجب الحكومة البريطانية ان تقوم بالاجراءات الديمقراطيــــة اللازمة لخلق تفاهم بين العرب واليهود فى فلسطين وذلك بالتشاور مع ســـكان فلسطين تشاوراً ديمقراطيا صرفا ٠ وبالتعاون مع جميع الامم المتحدة يكون من واجب بريطانيا ان تضع الخطة لمستقبل فلسطين ٠ خطة تقودها الى حريتها ورخائها ٠

## الجـامعة العربـية فى دورتهـا الحـاضرة *

**على الكـاتب ****

جاء فى رد مجلس جامعة الدول العربية على بيان مستر بيفن ، ان الجامعة العربية ( واثقة ان الحق لا يتجزأ وان المبادىء الديموقراطية التى عليها نظام الامم المتحدة الذى تشترك فيــه الدول العربية لا يدع مجالا لأى شك فى حـق عرب فلسطين فى توجيه حياتهم الوجهة التى يريدونها وهى استقلال فلسطين الذى ينتظر العرب تحقيقه بأسرع ما يمكن ) . هكذا يبدو الحل الوحيد اخـر الامر للجامعة العربية ـ ولقد كنا نرجو ان تظهر الجامعة فى صراحة وعـزم مسؤولية الانتداب فى ازمة فلسطين الحاضرة ، وأن تطالب فى قوة بمنح الشعب الفلسطينى حرياته التى تتمشى مع كفاحه المجيد وتتلاءم مع مقرارات المؤتمرات الدوليــة .

ثم ان من يقرأ رد الجامعة يدهش لذلك الروح الرخو المستخذى الذى يسود ذلك الرد ، ويعجب كيف يمكن لمجلس الجامعة ان يرد بهذه اللهجـــة الفاترة على خطاب الوزير البريطانى الذى أعلن فى بيانه استنجاد بريطانيا الاستعمارية بأمريكا الاستعمارية « لحل » المشكلة الفلسطينية . حلها على أى اساس ؟

الغاء الكتاب الابيض الذى قبله العرب سنة ١٩٣٩ مترددين .. والسماح للمزيد من الصهيونيين بدخول القطر الغربى المنكوب وتأليف لجنة بريطانية امريكية « محايدة » للتحقيق فى مسألة رغبة اليهود المضطهدين فى النزوح الى فلسطين أو البقاء فى أوطانهم التى أخرجوا منها .

---

* الفجر الجديد . ١٦ ديسمبر ١٩٤٥ .

** على الكاتب هو الاسم المستعار للدكتور على الراعى .

ويجدر بنا أن ننبه الى أهمية « استدعاء » أمريكا للمعاونة فى حل القضية الفلسطينية فى هذه الفترة وبالذات من تاريخ العالم ......

ذلك ان الصحف تتحدث فى هذه الايام عن وجود تكتلات من الدول تنضم الى أى واحد من المعسكرين الذين تفترض وجودهما أى « المعسكر السلافى » و « المعسكر الانجلو سكسونى » وتتحدث عن رغبة ساسة الدول العربية فى الاتحاد ازاء المطامع الاستعمارية التى تتهدد الشرق العربى ، والتى تقول تلك الصحف انها تتمثل فى « التدخل » السوفيتى فى ثورة أذربيجان ...

وتتخذ هذه الرغبة لدى ساسة الدول العربية شكل محاولات لضم تركيا الى ميثاق سعد أباد ، وتحدث فى تركيا مظاهرات ظاهرة الافتعال ضد الشيوعية توصف رسميا « بأنها انفجار فى الشعور العام » ويعود مشروع سوريا الكبرى الى الظهور ، فيقول الامير عبد الله بوجوب العمل على تحقيقه للدفاع عن مصالح العرب ، ويسمح لرئيس جماعة مصر الفتاة الفاشية بالسفر الى فلسطين للدعوة لهذا المشروع .

وهنا تظهر – كما قلنا – أهمية « استدعاء » أمريكا للمعاونة فى حل قضية فلسطين فأمريكا الاستعمارية تأتى لتظاهر بريطانيا الاستعمارية فى الشرق الاوسط ضد خطر المعسكر السلافى التى تفترض وجوده .

وبريطانيا تكتل القوى الرجعية فى الشرق العربى ليكون نطاقا صحيا اخر حول النفوذ السوفيتى . ويأخذ هذا التكتيل أحد اشكاله فى جامعة الدول العربيــة ...

جاء فى ختام رد مجلس الجامعة على بيان بيفن « وان مجلس الجامعة يغتنم الفرصة ليؤكد لسعادتكم رغبته فى ان يسود العلاقات العربية والبريطانية دائما حسن التفاهم وان يكون تناول المشاكل وحلها على ضوء المبادىء السامية الانسانية التى لابد من قيامها فى الدنيـــا كلهـــا للتغلب على ويلات العصر الحاضر ... » فما هى هذه المبادىء ؟ ان الاغفال هنا مقصود ، فلا يمكن أن يقول مجلس الجامعة ان هــذه المبــادىء هى تخلص الشـعوب العربيـــة من الاستعمار ، لان المجلس يريد أن « يتفاهم » مع الاستعمار .

ولا يمكن ان يقول ان هذه المبادىء هى تحرر الشــعوب العربية من الاستغلال الداخلى لأن المجلس يمثل حكومات ولا يمثل شعوبا – بل ان المجلس بتكوينه الحالى يقف حائلا بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل فى ذلك اساليب وفنون من الكبت والاضطهاد تقربها كثيرا من الفاشية التى تراها

فى الصهيونية ولا تراها فى نفسها .. ان مجلس جامعة الدول العربية غير جاد فى محاربة الاستعمار كله ، ومتراخ فى محاربة عميلته وصنيعته ألا وهى الصهيونية هذه حقيقة بالغة تصدمنا صدما فى كل تصرفاته . فسعادة أمين الجامعة يطير الى لندن ليقابل مستر بيفن ثم يقول للصحفيين « لقد اجتمعت مع المستر بيفن مدة طويلة وأنا واثق بأنه سيرشدنا بنصائحه القيمة وارشاداته السامية فى كل المصاعب التى تعرضنا » . ويقول أيضا « اننا ننتظر العدل والانصاف من بريطانيا » أى من الاستعمار البريطانى .. !

وهذه وكالة الانباء العربية التى نصبت من نفسها بوقا للدعاية « للغرب » تقوم بدور خطير هو تخدير الوعى العربى العام بما تنقله من أخبار وردية متفائلة عن انحياز الانجليز الى العرب » وتحول الامريكيين عن مناصرة الصهيونية ، فى الوقت الذى تحبس فيه اخبار النشاط الصهيونى فى أمريكا - مثلا - وهو النشاط الذى يستعمل المحاضرات « العلمية » والنشرات والراديو والسينما لنشر أكاذيب الصهيونية بين الامريكيين ... وفى الوقت الذى تضاءل فيه نشاط مكتب الدعاية العربى فى وشنجتون .. وهو يقتصر على اصدار نشرات متقطعة .

ان الصهيونية لا يكافحها مجلس من حكومات عربية متهادنة مع الاستعمار ، أو غير جادة فى محاربته بل يحاربها نشر الوعى فى الشعوب العربية وذلك بتعميق الديموقراطية فيها واطلاق حرية الصحافة والرأى والاجتماع والخطابة .

أما « مقاطعة البضائع الصهيونية » فتستحق فعلا تلك السخرية المرة التى واجهه بها الصهيونيون متحدثين عن عقم تنفيذه ، وتفاهة أثره .

وأما توحيد الاحزاب العربية الرسمية فى فلسطين وتجاهل القوة الوحيدة التى بح صوتها بالدعاء الى تكوين جبهة وطنية - ونعنى بها عصبة التحرر الوطنى - فتكتيل آخر فى صالح الاستعمار للقوى الرجعية المتهاونة معه ، واضعاف من جهة أخرى للقوى الشعبية التى هى القوى الوحيدة القادرة على مكافحة الصهيونية .

ان حل قضية فلسطين ومكافحة الصهيونية لن يتم الا بمكافحة الاستعمار أولا وقبل كل شىء والنهوض بالشعوب العربية واطلاق حريتها الى اخر مدى .

## رسالة الى رئيس التحرير *

## قضية فلسطين

جاءتنا رسالة بامضاء ( فلسطيني ) نقتطف منها انه دعى لسماع محاضرة عن ( قضية فلسطين ) فى احدى الجمعيات الثقافية الديموقراطية وقد هاله وقوع المحاضر فى أخطاء كثيرة يخشى أن تكون نتيجة لدعاية صهيونية وبسط الزميل الفلسطينى حالة اليهود فى القطر الشقيق فقال ان جمهرتهم تعيش على نهج قريب بالنظام ( الاشتراكى الوطنى ) وتخضع هذه الجمهرة للاراء العنصرية التى تبثها دائرة المعارف اليهودية ـ وهى الهيئة الثقافية التابعة لحفنة الصهيونيين وبعض الرأسماليين الانجليز ـ وقد كان للنشاط العنصرى والدعاية العدائية أثرها البارز فلم ينضم يهودى واحد الى عصبة التحرر الوطنى وهى الحزب الديموقراطى فى فلسطين . ثم ان الوكالة اليهودية هى بعينها التى أسست « الهستدروت » المنظمة العمالية اليهودية ـ التى تحاول جاهدة ان توجه العمال اليهود وجهة خاطئة ـ ولقد كشفت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الغراء الغطاء عن « الهستدروت » فى عدد من مقالاتها الرائعة ولا نحسب ان عربيا ديموقراطيا واحدا يوافق « المحاضر » الكريم فى موقفه من الهستدروت ـ ويقول الزميل كاتب الرسالة انه يأسف حقا لان المحاضر وقع فى خطأ نظرى جسيم اذ فصل الهجرة عن الصهيونية ـ فى حين ان نضال العرب يجب ان يتجه ضد الاستعمار والصهيونية والهجرة سواء بسواء ـ وعرض الزميل حالة اليهود بعد انهيار الفاشية فقال ان الاضطهاد قد زال عنهم فى أوروبا ، وأمامهم ان يدعموا الديموقراطية فى تلك البلاد بأن يساهموا فعلا مع غيرهم فى القضاء على بقايا الفاشية ، وأشار الزميل الى بعض ما جاء فى « ديلى وركر » جريدة الحزب الشيوعى البريطانى من ان تشجيع الهجرة الى فلسطين يعتبر بطريقة غير مباشرة طعنة موجهة الى الدول الديموقراطية التى

---

* الفجر الجديد ١١ أبريل ١٩٤٦ .

تحتاجهم والتى تقف الديموقراطية الشعبية فيها موقف الامتحان - وأخيرا نقد الزميل رأى المحاضر فى ان هناك طبقة بورجوازية فى فلسطين تداخلت مصالحها مع الاستعمار - فقال ان هذا تحليل خاطىء لحالة المجتمع - فلم يحدث ان تحولت حركة الطبقة البورجوازية العربية الى احضان الاستغلال الاستعمارى وانما هى كادت ان تبتدىء فى بعض أجزائها - ومن ثم نرى ان عصبة التحرر الوطنى - وهى طليعة الشعب الفلسطينى تؤيد « اللجنة العربية العليا » التى تعبر عن الطبقة البورجوازية ذات المضمون الوطنى - وهذا عكس الموقف الذى يتخذه الديموقراطيون فى مصر من الهيئة السياسية التى تمثل طبقة بدأت بالفعل تتداخل مصالحها مع الاستعمار .

## تقـــرير لجنـــة التحقيق
## مواصـــلة لمجهودات الاستعمار
## ضـــد بلادنا العربية *

**الآن أيضا فضحت امانة الجامعة العربية ، وكشفت العناصر العربية المهادنة مع الاستعمار .. أولئك الذين مجدوا لجنة التحقيق وأطروا الصداقة البريطانية الأمريكية لبلادنا ..**

**لـماذا جاء التقرير بهذا المضمون ؟**

أولا لأن لجنة التحقيق كانت موفدة من أكبر البلدان الاستعمارية فى الوقت الحاضر وهما انجلترا والولايات المتحدة ، بل قل بشـكل أدق ، ان هذين البلدين يؤيدان الصهيونية تأييدا قويا فعالا ، ويعارضان اسـتقلال فلسطين معارضة قوية ، ذلك بأن الاستعمار البريطانى هو الذى قبض على فلسطين بقبضة من حديد وهو الذى وعد بهـا وطنا قوميا للصهيونيين ، وعمل على تحقيق هذا الهدف ، وأما الاستعمار الامريكى فموقفه واضح من مطالبته بهجرة صهيونية متدفقة قوية ، ولذلك فالاستعماران الامريكى والانجليزى طرف من طرفى النزاع فى فلسطين ، ذلك النزاع الذى يتصارع فيه الاستعمار من جهة والحركة الوطنية العربية من جهة أخرى ، فكان حتما ان تصدر لجنة التحقيق تقريرها هذا الذى يؤيد الاستعمار ، ويطلب بابقاء سيطرته على فلسطين ، وباستمرار حكم الانتداب ..

وثانيا لأن الاستعمار فى حاجة جوهرية للمحافظة عى فلسـطين حتى يجعل منها محورا لمناوراته ، ومؤامراته ضد الحركات الوطنية والتحريريـة فى الشرق العربى ، وضد الاتحاد السوفيتى ، ثم ان لفلسطين مركزا استراتيجيا ممتازا فى سلسلة « المواصلات الامبراطورية » اذا لم يعد الاستعمار البريطانى يتسلط عليه هدد استغلاله لشعوب الشرق العربى والهند والشرق الأقصى .

---

* الفجر الجديد ٧ مايو ١٩٤٦ .

والمعروف ان الشعوب العربية جميعا تقوم الآن قومة كبرى لتتحرر من الاستعمار البريطانى ، وهذا يشعر بضرورة تنازله فى بعض الاحيان امام ذلك الضغط الشعبى المتزايد كما حدث بالفعل فى سوريا ، ولذلك لابد وان يحتفظ الاستعمار بقوات مسلحة كبيرة فى فلسطين حتى يستطيع ان ينقض منها على الشعوب العربية المجاورة فيبتز منها ما يريده من عرق هذه الشعوب وكدحها ، فاذا ما أضفنا الى هذا ان الاستعمار البريطانى يؤيد الدول الفاشية أو نصف الفاشية فى حوض البحر الابيض المتوسط ـ تركيا ـ اليونان ـ أسبانيا رأينا كيف انه يعمل لتشكيل كتلة تعادى الاتحاد السوفيتى ، ولا شك أن الاستعمار البريطانى والامريكى يرون فى فلسطين قاعدة حسنة يستطيعان أن يركزا فيها القوات العسكرية التى سوف تهاجم وطن الاشتراكية من الشرق ·

وأما السبب الثالث فهو محاولة الاستعمار ان يظهر الحركة الوطنية العربية كحركة عنصرية دينية موجهة ضد اليهود ، كما وضح هذا فى المطالبة الملحة بفتح أبواب فلسطين لهجرة ضخمة ، وبترك بيع الأراضى للصهيونيين حرا من جميع القيود القانونية ·

وخلاصة القول أن لجنة التحقيق أرادت بتقريرها أن تحول أنظار الحركة الوطنية العربية فى فلسطين من مكافحة الاستعمار البريطانى ـ كهدف رئيسى ـ الى النضال ضد مسائل ثانوية ترتكز على الاستعمار ارتكازا كليا ، مثل الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، حتى تتحول تلك الحركة العربية من حركة وطنية الى حركة عنصرية دينية مصيرها الضرورى الفشل المحتوم ·

**خطورة التقرير**

وهكذا يجب ان لا نعتبر التقرير مجرد محاولة لجس النبض ، اذ هو فى الواقع يكشف عن نوايا الاستعمارين البريطانى والامريكى الحقيقية ، انهما يريدان ان يفتكا بالشعب العربى فى فلسطين ، وأن يبقيا قبضتهما عليه بالحديد والنار ، وأن يعتصراه مع الاستعمار الصهيونى ، وانهما يستفزانه بأقصى ما يمكن ان يصل اليه الاستفزاز حتى تقوم الاضطرابات الدينية والعنصرية بينه وبين الكادحين اليهود فى فلسطين وحتى تمتد هذه الاضطرابات الى الشرق العربى كله ·

**موقف الساسة الرسميين والحركات التحريرية من لجنة التحقيق :**

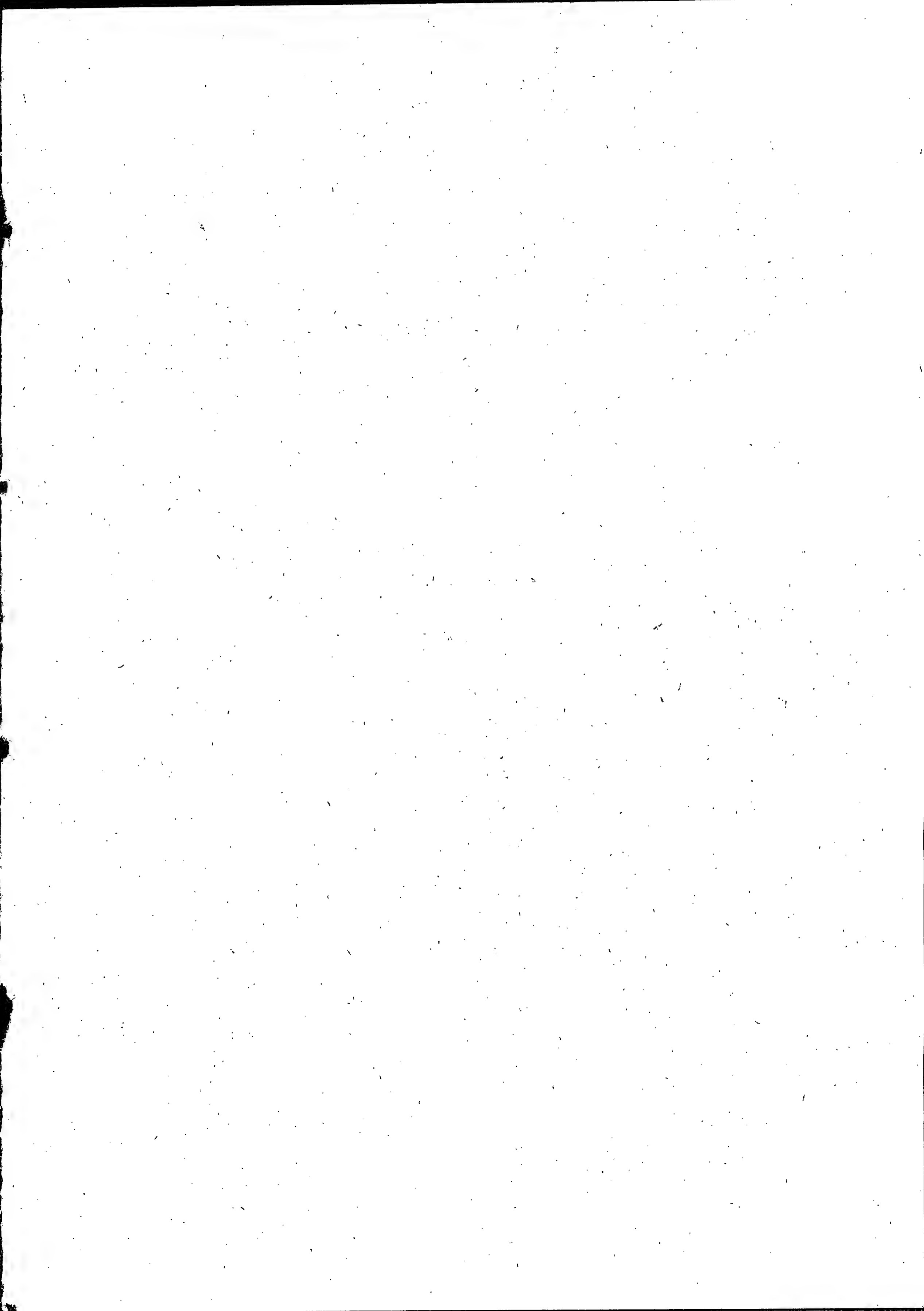
وقد ظهر للرأى العام أن الساسة العرب الرسميين ـ ولا سيما الرجعيون منهم ـ قد وقفوا من لجنة التحقيق عند قدومها الى الشرق العربى موقفا غير وطنى ، فرحبوا بها وتحدثوا عن « صداقة » بريطانيا وأمريكا التقليدية للعرب ، وعن ثقتهم الكاملة بأنها ستخرج من التحقيق بقرارات عادلة بالنسبة الى قضية العرب ، وكان أوضح رمز لهذا الموقف المتهاون مع المستعمر ذلك

الموقف الذى وقفه أمين الجامعة ( المبجل ) ، وهذا هو التقدير ، وهذه هى توصياته فما رأى هؤلاء السادة الذين تشبثوا بصداقة بريطانيا وأمريكا الاستعماريتين للشعوب العربية المستعبدة ؟

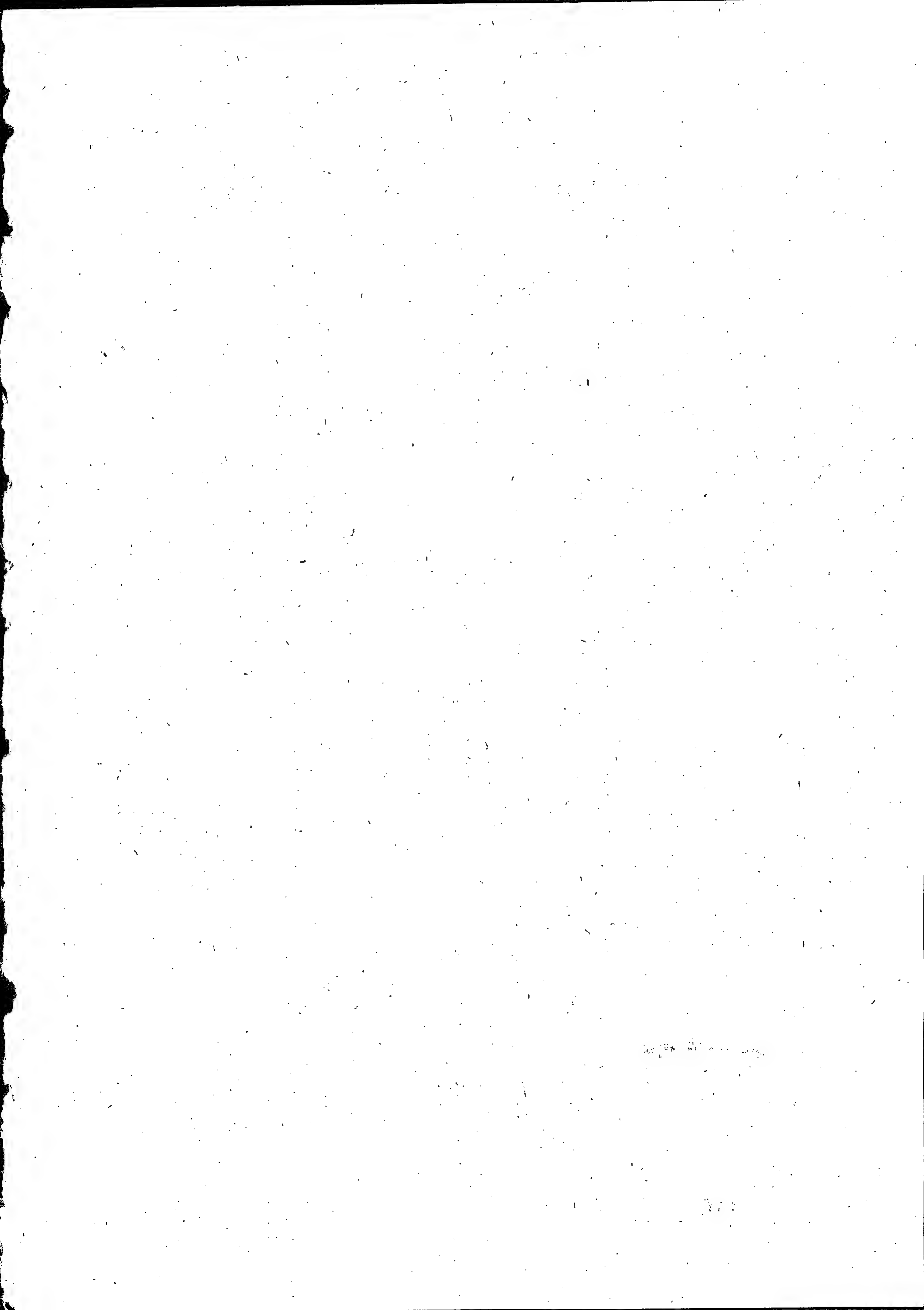
أما الحركات التحريرية الشعبية فى البلاد العربية فقد تنبأت بنتائج « للتحقيق وأخذت منه الموقف الوطنى الصحيح بمقاطعة اللجنة » ، هذا ما فعلته ـ بشكل خاص ـ عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين ، منذرة بأن هذا التحقيق الثامن عشر الذى يقوم به الاستعمار البريطانى فى فلسطين ما هو الا مناورة جديدة من جهته فى سبيل تحويل الحركة الوطنية العربية من أهدافها الحقيقية الاصيلة : تحرير فلسطين من الاستعمار وحصولها على حكم ديمقراطى سليم • وها هى ذى الوقائع تثبت خصائص الاستعمار ، والذى لا يتهاون مع المستعمر ولا يساوم معه فى حقوق الشعب العربى ومصالحه الجوهرية •

**فلسطين فى كفاحها**

وكان موقفنا ، والعناصر الديموقراطية مؤيدا تماما للخطة التى أخذت بها « عصبة التحرر الوطنى الفلسطينية » ••• ولقد أوضحنا مرارا ان هناك مؤامرات يدبرها الاستعمار وأذنابه لبلادنا العربية ـ انهم بعد ما فشلوا فى تكوين كتلة ( غربية ) لاتجاه فرنسا الى اليسار أخذوا يكونون هذه الكتلة الشرقية فمنحت شرق الاردن استقلالها ( العجيب ) ، وها هى ذى المفاوضات تدور مع مصر ، وعما قريب مع العراق بشأن ترتيب ( معاهدات ) صداقة جديدة •• وان الشرق العربى فى نهضته الحالية ، وفى استهدافه التحرر من الاستعمار تكال له الدسائس ، وتحاك حوله المؤامرات •• واخرها هذا ( التقرير ) الذى فصلناه ـ ولا شك ان للاستعمار مصلحة كبرى ـ بل المصلحة كلها ـ فى ابقاء الحالة فى فلسطين ـ وفى مصر والشرق العربى ان استطاع ـ على ما هى عليه من اضطراب ، وعدم استتباب الامور ـ كما ان للاستعمار المصلحة كلها فى ان يتشبث بفلسطين ، بعد ما جلى عن سوريا ، وآذن بالجلاء عن لبنان ، ـ ولسنا نعتقد ان استقلال البلاد العربية تحررا من خطر الاستعمار اذا ما بقى قلبها ـ فلسطين ـ مركز التجمعات ، والحشود العسكرية البريطانية ـ وحرى بنا أن لا نقع فى الخطأ الجسيم ، فنتحول بكفاحنا وانتباهنا كله الى قضية فلسطين ـ حرى بنا ان نضع نصب أعيننا دائما ان نضالنا لتحرير وادى النيل من الاستعمار مساهمة كبرى فى طرد الاستعمار من فلسطين وغيرها من دول الشرق العربى ـ حرى بنا أن نتبين أن المحاولات التى يقوم بها الاستعماريون والفاشيون لتركيز اهتمام الجماهير على مواضيع غير نضالنا المباشر ضد الاستعمار ـ خدمة كبرى له فلنكافح الاستعمار الجاثم على صدورنا ، ولنكافح أذنابه خائنى وطننا ولنستمر ونشتد فى تأييدنا لفلسطين المناضلة •



# وثائق



كانت « الضمير » الشقيقة الصغرى « للفجر الجديد » فعندما انفصل الثلاثى ( صادق سعد – ريمون دويك – يوسف درويش ) عن المجموعة الأجنبية الماركسية اختص يوسف درويش باعتباره محاميا عماليا بالعمل بين صفوف العمال .

وبعد سلسلة من الاتصالات نجح فى تكوين « لجنة العمال للتحرير القومى – الهيئة السياسية للطبقة العاملة » وأصدرت لجنة العمال للتحرير القومى مجلة « الضمير » كلسان حال لها . وكان رئيس تحريرها محمود العسكرى بينما كان يوسف درويش مشرفا سياسيا على المجلة وكان يكتب مقالاته باسم مستعار هو « خيرى محمود » وفيما يلى مقال نشر فى افتتاحية عدد الضمير الصادر فى ١٧ – ١٠ ١٩٤٥ .

وسوف نكتفى بهذا المقال باعتباره مجرد استكمال لمواقف مجلة الفجر الجديد .. ذلك ان الاثنين معا يشكلان الموقف المتكامل لجماعة « الفجر الجديد » .

## لن تمـــروا ...

بقلم الزميل خيرى محمـــود

هى الكلمة التى صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩٣٦ .. يوم ان هجمت عليهم الفاشية العالمية بدباباتها وأسلحتها ، وألوانها المختلفة النازية والموسولينية ، وجنرالها فرانكو . هى الكلمة التى تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية فى وجه الصهيونية . صيحة واحدة ترددها الشعوب الحـرة فى نضالها ضـــد الاستعمار والاستغلال ، ضد التضليل والتدجيل . ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة ـ الاستعمار ، الاستغلال الجشع .. فالفاشية اداة الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدجيل والارهاب لتستمر فى استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية اداة الاستعمارية العالمية لجأت للتدجيل على شعوب العــالم والكادحين اليهود ، وتلجـأ اليـوم للارهاب واستعباد الشـــعوب العربيـــة .

ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود فى البلاد التى يساد فيها حكم الارهاب . فهى والفاشية مرتبطان ارتباطا وثيقا لا يحله إلا النضـــال ضـــد أسبـــاب الاضطهاد والتعسف ، والدفاع عن الحـــريات الديمقراطية ..

**ان الصهيونية لا تحـــل بالمرة مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف اديانها فى سبيل حريتها وديمقراطيتها .**

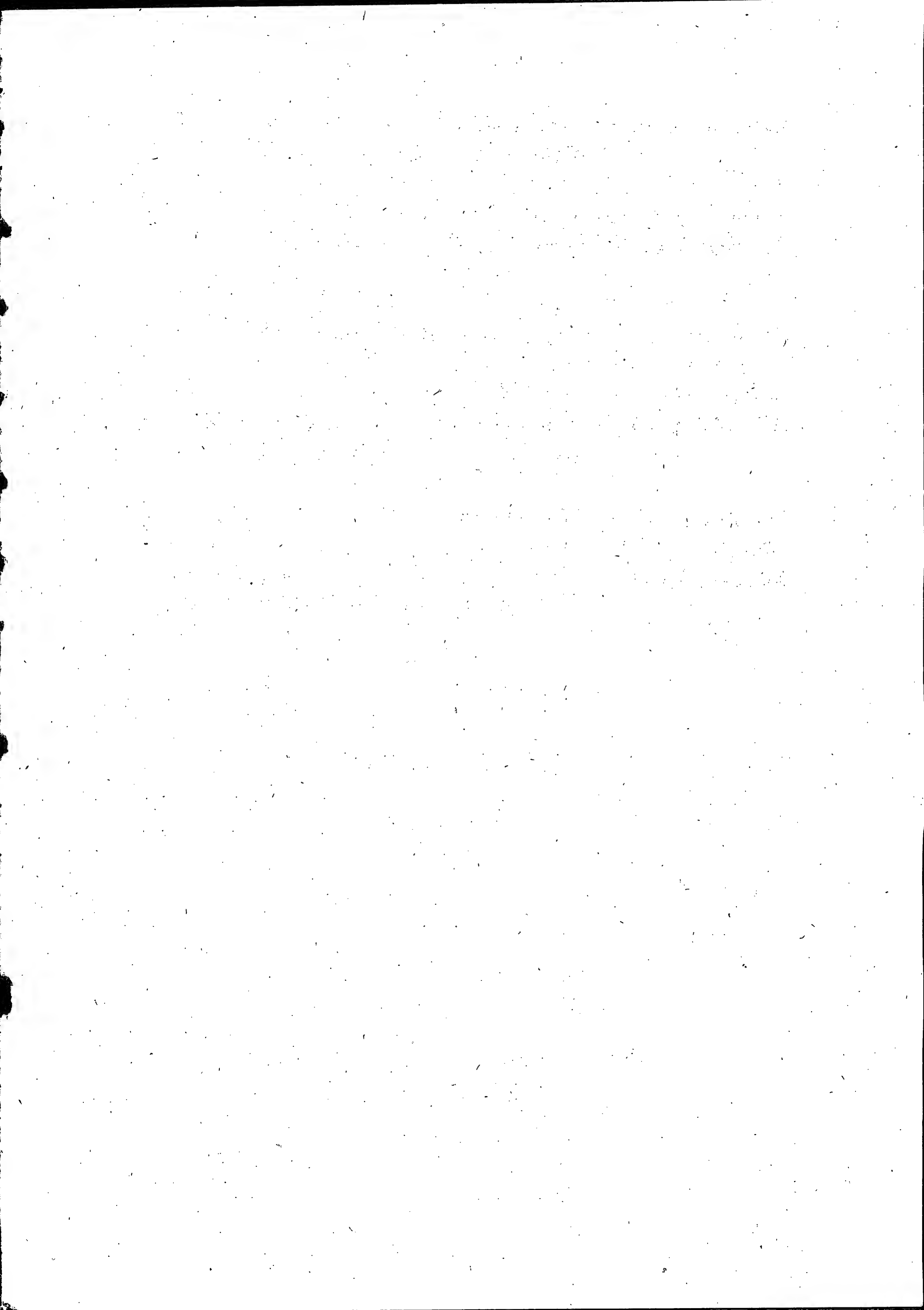
( عصبة مكافحة الصهيونية ـ العراق ) ان الشعوب العربية لما أيقنت أن الصهيونية ليست فقط خطرا على فلســـطين ، ولكن ايضـــا على الشرق الاوسط ، على الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان ، أسرعت فى تنظيم النضال .. فهناك شعب لبنان انتقل من الاحتجاج على صفحات الصحف والكتب والمنشورات بالتظاهر فى الشوارع واعلان استيائه بالاضراب .. وذاك العراق قد إنبأتنا البرقيات ان شبابه الاسرائيلى الحر ، كـــون ( عصبة مكافحة الصهيونية ) وفى مصر اجمعت الاحزاب وعلى رأسها اللجنة التحضيرية

مندوبى نقابات العمال المصرية فى مؤتمر باريس ( ولجنة العمال للتحرير القومى ) على استنكار الصهيونية ووجوب محاربتها ..

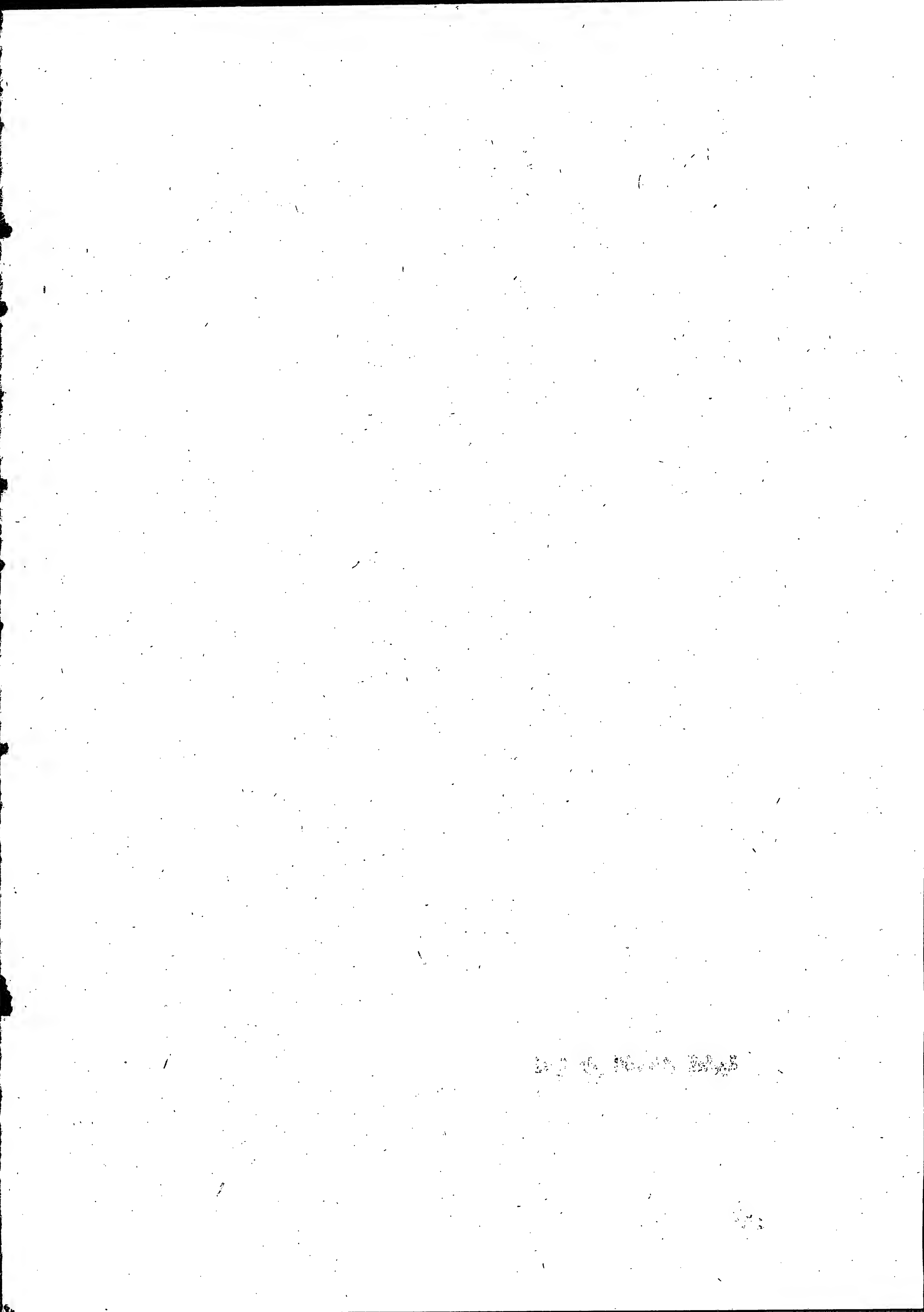
ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديمقراطية الأخرى ان توقف خطر الصهيونية الداهم .

وأذا كانت « جامعة الدول العربية » لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذى كان يتطلب منها فى هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة فى وفود العمال العرب فى مؤتمر نقابات العمال العالمى بباريس امكنها باتفاقها أن تشعر عمال العالم بخطر الصهيونية على الاسبانية .. وأمكنها أن تمنع دخول مندوب العمال الصهيونيين فى لجنة الاتحاد التنفيذية ...

والشعوب العربية ممثلة فى نقابات العمال لها كبير الامل بعد ان نالت هذا الفوز ، وبعد ان وضعت القضية الفلسطينية على بساط البحث امام ممثلى عمال العالم ان تنال فوزا اخرا فى مؤتمر النقابات العالمى ـ استنكار الصهيونية ومناصرة فلسطين المستقلة الديمقراطية الحرة .



# وثائق



كانت دار الابحاث العلمية ناديا ثقافيا يشكل واجهة علنيــة لمنظمــة « الشراره » ( ايسكرا ) وفى هذه الدار كان مثقفوا اليسار المصرى يجتمعون فى ندوات ومحاضرات لتبادل الرأى حول العديد من القضايا . وكانت « دار الابحاث العلمية » تصدر نشرة غير دورية تعكس نشاطاتها المختلفة ..

والوثيقة التى نقدمها الآن هى عدد من اعداد هذه النشرة غير الدورية ( منزوع الغلاف والصفحة الاخيرة .. ) ويتضمن مجموعة من « الكلمات » تقدم بها ممثلو جميع المنظمات الماركسية أو التى كان الماركسيون المصريون يمارسون دورا سياسيا فيها . وهى دار الابحاث العلمية ( ايسكرا ) ، رابطة فتيات الجامعة والمعاهد لطيفة الزيات ( ايسكرا ) ، مجلة الفجـر الجـديد ( جماعة الفجر الجديد ) ، لجنة نشر الثقافة الحديثة ( تحرير الشعب ) ، جماعة ام درمان ( الحركة المصرية للتحرر الوطنى ) .

ورغم ان هذه الوثيقة غير مؤرخة فان استقراءها يقطع بان النـدوة قد عقدت فى مطلع عام ١٩٤٦ وقبل ( يونيو - يوليو ١٩٤٦ ) حيث تمت الوحدة بين ايسكرا و ح . م . وايضا قبل ان تغلق الدار بناء على قـرار صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .

ولأن الصفحة الأخيرة مفقـودة فان كلمـة عبده ذهب ممثل جمـاعة أم درمان ( ح.م ) ناقصـة . وكانت مجلة أم درمان لســان حال القسـم السودانى بالحركة المصرية للتحرر الوطنى ومن هنا فقد وجـه عبده ذهب كلمته فى الندوة باسم الشعب السودانى .

**كلمة تاريخية عن**
**مشكلة فلسطين**
**عبد الرحمن الناصر**
**عن دار الأبحاث العلمية**

تمضى عشرات السنين وفلسطين الشهيدة تعانى وتقاسى ذل واضطهاد الاستعمار والصهيونية ‥ استعمار بغيض ، وصهيونة آثمة ‥ غرضها استنزاف دماء الشعب الفلسطيني وكبت حرياته وخفض مستوى معيشته واذلاله ٠ كل هذا لصالح حفنة قليلة من أصحاب المال والبنوك ‥

ان الشعب الفلسطيني قد خرج من كبت استعمار تركى ليقع فى براثن استعمار بريطانى أشد وأنكى ‥

لقد كانت فلسطين جزءا من التركة العثمانية ، وكان شعبها الابى لا يفتأ من القيام بالثورات مطالبا بحريته واستقلاله ، وقد استغل فرصة ضعف الاستعمار التركى وقيام الحرب العظمى ليهب خائضا غمار القتال ضد هذا الكبت الاستعمارى الجاثم على أنفاسه ، المعرقل لتقدمه ونموه ، السالب لجميع حقوقه وحرياته ٠

لقد هب الشعب الفلسطينى والتجأ الى أعداء الاستعمار التركى من بريطانيين وفرنسيين فقدم لهم يد المعونة فى حربهم املا فى ان يجد منهم العون فى نكبته والمنقذ له من آلامه واستغل هؤلاء الاستعماريون هذه الفرصة وقدموا الوعود والعهود للعرب وراحوا يمنونهم بالحرية والاستقلال ٠

فنرى انه بينما كان الاستعمار الانكليزى ممثلا فى السير هنرى ماك ماهون المندوب السامى فى مصر يعقد اتفاقا مع الشريف حسين شريف مكة خاصا باعتراف بريطانيا باستقلال الدول العربية بل اعلانها عدم عقد أى صلح الا اذا كانت حرية الشعب العربى واستقلاله من السيادة التركية شرطا حيويا فيه ٠ فى نفس هذا الوقت كانت هناك اتفاقية أخرى سرية تعقد بين

الاستعمارين البريطانى والفرنسى تعرف باسم اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦ لتقسيم البلاد العربية بينهما ٠٠ ! فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا ٠

وهكذا ينثر الاستعمار وعودة باليمين ليسلبها ثانية بالشمال ، غير عابىء بمصالح الشعوب وغير مكترث بقوتها فى تحطيمه ان آجلا وان عاجلا بل الادهى والامر من ذلك ان يرضخ الاستعمار لضغط الصهيونيين والى حاجته الى تأييدهم المالى ٠ فيعلن المستر بلفور تصريحه المشئوم سنة ١٩١٧ الذى جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى واستخدام كافة التسهيلات لتحقيق هذا الهدف » ٠

وهكذا دق الاستعمار أول اسفين له فى قضية الشعب الفلسطينى ٠٠٠ هذا الاسفين الذى لا زال يعتمد عليه الى الآن فى تثبيت اقدامه فى فلسطين ٠ هذا الاسفين هو « الصهيونية البغيضة » سلاح الاستعمار القذر ٠

ولكن الاستعمار رجل شريف ، لا يحب ان يخرق القوانين الدولية ٠ بل يرى مراعاتها فى جميع أعماله العدوانية لذلك تجده قد ألف عصبة الامم ، بل قل « عصابة الامم » تحت قيادته يستعملها لتحقيق اغراضه وتنفيذ مآربه تحت ستار القانون الدولى ٠

فتسلمت هذه العصابة صك استعمار فلسطين تحت اسم « انتداب من قبل عصبة الامم » لرفع مستوى الشعب الفلسطينى !

نعم ٠٠٠ لقد رفعه ٠٠ وكيف لم يرفعه والاحصاءات الحكومية تثبت ان ٥٢٪ من السكان يعيشون بمعدل ٤ اشخاص فى الغرفة الواحدة و ٣٥٪ من السكان فى حالة ضنك شديد حيث يسكن أكثر من نصف السكان كل أربع أشخاص فى الغرفة الواحدة بينما فى انكلترا نسبة الذين يعيشون بمعدل ٤ أشخاص فى الغرفة الواحدة هى نصف فى المائة ٠ بل لا زال العامل والفلاح يئنان من استغلالين : استغلال الاستعمار والصهيونية واستغلال صاحب الارض ٠ وصاحب المصنع ٠٠ كيف لم يرفع الاستعمار فلسطين الى مصاف الامم الراقية وهو يستعمل سلاح الصهيونية لاثارة الفتن الطائفية والدعاية الخبيثة العنصرية ٠٠ بل لقد قوى الاستعمار الحركات الفاشية التى وجدت مرتعا خصبا لنموها ، ووجدت البذرة الصالحة لدعايتها للتفرقة بين العرب واليهود باسم الدين ، وتبذر الارهاب والفزع فى طول البلاد وعرضها ٠٠٠

كل هذا ليبقى الاستعمار مسيطرا على البلاد ، مثبتا أقدامه فيها ، مستغلا شعبها البشع استغلال •

ولكن العرب واليهود قد بدآ كفاحهما من زمن بل اشتد كفاحهما منذ انهزام الفاشية فى أوربا ، وصمما اما نيل الحرية والاستقلال ، واما الفناء فى كفاح الشعب الفلسطينى كفاحا مريرا حتى يقضى على كافة انواع الاستغلال تصميما نهائيا على التخلص من الاستعمار والاستغلال والصهيونية وسيستمر ان فلسطين – والشعوب العربية من ورائها تشد ازرها – قد صممت سبيلهما •

ولن يستطيع الاستعمار البقاء فى فلسطين الا اذا أفنى شعبها عن بكره ابيه ••

## ماهى الصهيونيـــة ؟
## عن رابطة فتيات الجامعــة والمعـاهد
## لطيفـــة الزيـات

الصهيونية كلمة تذكر فيذكر معها الاســتعمار والرجعيــة فالصهيونية هى خليفـــة الجشع والاستعمار وعميلة الاحتكار والاستبداد ٠

والصهيونية كلمة طالما اختلطت على الكثيرين منـا فخلطوا بينهـا وبين اليهودية وحسبوا أن الصهيونية اسما لمسمين ودلالة على شبيهين ٠ ولا عجب فى هذا فقد اراد الاستعمار هذا الخلط فكان ٠ ولكن هل الصهيونية هى حقا اليهودية ؟ وهـل نشأت الصهيونية مع نشأة اليهودية ؟

لقد عرف العالم اليهود اجيالا وقرونا ونال اليهود من العذاب الوانا وصنوفا وقاسى اليهود من الحرمان أنواعا وضروبا ٠ ولم تنشأ الصهيونية ، ولم تعرف الا فى اواخر القرن التاسع عشر ، نمت فى ظروف خاصة وبفعل قوى خاصة نفخت فيها فكانت الصهيونية وكان الوطن اليهودى ٠

فى اواخر القرن التاسع عشر يتحول النظام الرأسمالى من قوة ناهضة متقدمة الى قوة احتكارية رجعية ٠ ففى اواخر هذا القرن تتدهور الرأسمالية وتشيخ وتروح تتخبط فى بحر من الطغيان والكبت والاستبداد وهى تتشبث فى جنون بذلك النظام الرجعى المتعسف ، ذلك النظام الذى حكمت عليـه متناقضاته بالفناء ٠

وتتنبه الهيئات الحاكمة فاذا بالشعب من حولها ساخط ثائر فتخشى ان يهتـــدى الى الداء وان يتلمس الدواء ، تخشى ان يدرك ان النظـــام الاستعمارى الاحتكارى هو دؤاه وان النظام الديمقراطى الحق هو داؤه ٠٠٠ تخشى كل هذا فتلعب لعبتها القذرة لتحرف كفاح الجماهير عن طريقـــه الصحيح ، ولتوجه الجماهير الى علل تافهة تخلقها خلقا ضـــارية على الوتر الحساس مثيرة للنعرة الدينية مرة والوطنية اخرى والجنسية ثالثة ، عازفة

على تلك النغمات التى لا تفيد الا الطبقات الاحتكارية والقوى الرجعية • وقد وجدت الطبقة الاحتكارية فى اليهود كبش الفداء والهدف الصالح الذى توجه اليه سخط الجماهير • ولقد قالها هتلر : « ان اليهود نعمة من السماء ارسلت الى فلو لم يكن اليهود لما استطعت اليوم ان اقوم بدورى فى المانيا ولما حزت مثل هذا النجاح وباليهود سألعب دورى فى اوروبا يوما » ونجحت القوى الرجعية الاستعمارية فى لعبتها القذرة ، وبدأت فى اواخر القرن التاسع عشر فى اوروبا ـ موطن المدنية ـ مذابح اليهود وسالت دماء اليهود تصرخ فى وجوه مسببيها • سنفنى ولكن ستعى الشعوب يوما ، وسنقضى ولكن ستكشف الجموع عن الاعيبكم حتما ، وسقطت الرقاب تحكى قصة المستبدين الدجالين الذين استحلوا دماء اليهود ليتشبثوا بنظام كتب عليه الفناء ••

اما يهود العالم فقد كان خطبهم جليلا ، دهاهم ما دهاهم فترك جماهيرهم مشتتة مضطهدة معذبة يسهل تضليلها والتغرير بها ، وفعلا ظهر عملاء الاستعمار امثال هرزل ووايزمن ، اولئك الذين كانوا يرتعون فى احضان تشمبرلن والسلطان عبد الحميد وقيصر روسيا ، ظهر اولئك الخونة ليظلموا اليهود المعذبين ويصرفوهم عن علة دائهم واساس بلائهم الا وهو النظام الاحتكارى الاستعمارى الظالم يصرفونهم عن دواء هذا الداء عن الهدف الحقيقى الذى يجب ان يرنوا اليه الا وهو تدعيم الديمقراطية التى لا تعرف لونا ولا جنسا ولا دينا • الديمقراطية التى تكفل لهم الحرية والمساواة والكرامة • يصرفون اليهود عن الكفاح الحقيقى الى أحلام زائفة ، وآمال باطلة الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، فلسطين بلد الميعاد وهكذا ظهرت فكرة الصهيونية وليس من الغريب ولا من المستغرب ان يرحب بها مستر تشمبرلن وزير المستعمرات الانكليزى وان يصدر وعد بلفور يعلن ان بريطانيا تؤيد كل التأييد قيام وطن يهودى فى فلسطين • فقد ارتاع الاستعمار البرطانى من تلك القوى التحريرية النامية فى الشرق العربى ، ورأى الصهيونية فرصته السانحة لتوجيه كفاح العرب بعيدا عن وجهته الصحيحة ضد الاستعمار والاستغلال الى كفاح عنصرى بغيض يفنى فيه العرب ويفنى فيه اليهود ويرتوى الاستعمار بدماء العرب واليهود ، فينمو ويزدهر ويتشبث بفلسطين بدعوى انه حامى حمى الاقليات وأنه ناشر لواء السلام فى أرض الميعاد •

وسرعان ما يكشف الاستعمار عن وجهه الغطاء ، وسرعان ما تنهال رؤوس الاموال البريطانية على فلسطين تنشب مخالبها فى اقتصادها الوطنى فتستنزف دماء أهلها • وراح الاستعمار يعمل من وراء الصهيونية يقاسمها جشعها واستغلالها واستعبادها للشعب الفلسطينى حتى بلغت نسبة رؤوس الاموال البريطانية فى فلسطين ٨٨ فى المائة من مجموع رؤوس الاموال فيها •

وتم الإرتباط بين الاستعمار البريطانى والصهيونية حين بدأت النازية فى المانيا وحين بدأت المذابح اليهودية على نطاق لم يعرفه العالم من قبل وهنا بدأت الهجرة المنظمة تحت اشراف الاستعمار البريطانى وتم تحويل فلسطين الى قلعة استعمارية بريطانية ومركز استراتيجى خطير يهدد الشرق العربى بأجمعه ٠

وقد أنزل الاستعمار البريطانى وعميلته الصهيونية أضرارا فادحة فقد استذل العرب فى ديارهم وطرد فلاحيهم من الاراضى واستغل عمالهم أسوأ استغلال وأحل لهم الجوع والدمار وحول كفاحهم للخلاص من ربقة الذل والاستعباد الى كفاح عنصرى بغيض ٠

اما اليهود فقد حشروا حشرا فى فلسطين وبلغ عدد العاطلين منهم ٣٠ الف عامل ويعمل الكادحون منهم تحت ظروف من العمل القاسية شديدة القسوة ٠ ارتضوا كل هذا فى سبيل الوطن اليهودى المنشود ، فى سبيل الحلم الذى لن يتحقق ، فى سبيل الخيال المضلل ٠ بينما يغنى كبارهم ويغنمون ٠ بينما يحول الرأسماليون اليهود عرق العمال ذهبا ويبلغون القمة على أكتاف العمال واليهود ٠

فالاستعمار البريطانى يستخدم الصهيونية لينمو على حساب العرب واليهود ثم يلقى بالفتات الى قلة من كبار صهيونيى اليهود قلة تتمرغ تحت قدميه وترتمى فى احضانه وتصلى فى محرابه ٠

ولكن العرب يقظون لا يخدعون فالمحن والخطوب لا تمر بالشعوب مر الكرام وانما تتعلم منها الشعوب عبرا وتخلص منها بعظات وعظات فقد آمن العرب واليهود اخيرا ان النظام الاستعمارى والاحتكارى يجر فى اذياله الطغيان والاستبداد وان الديمقراطية وحدها هى الكفيلة بتحقيق الحرية والكرامة والمساواة ٠

وبدأ الوعى يدب فى الجموع يجمع من شتاتها ويضم صفوفها ويقوى من عضدها لتضرب الاستعمار وعميلته الصهيونية الضربة القاضية وقامت المظاهرات من العرب واليهود تعلن ان شعب فلسطين يريد ان يحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ونير الصهيونية والاستغلال وان شعب فلسطين يريد اقرار حقه فى الحياة الحرة الكريمة ، وان شعب فلسطين يريد تحقيق الديمقراطية ٠

قام احرار الفلسطينيين قومتهم الحقة فى وجه الاستعمار ، قاموا رجالهم ونساؤهم ومدت المرأة الفلسطينية يدها الى الرجل تعاهده على الكفاح ، وستمضى المرأة الفلسطينية فى كفاحها حتما فالمرأة الفلسطينية تعرف ان لا كرامة لها ووطنها مستعمر مستغل وان لا حياة ووطنها ذليل مستعبد انها لترنو فى ايمان الى اليوم الذى تتحقق فيه لفلسطين الحرية والديمقراطية ٠

## فلسطين ومناورات الاستعمار

صادق سعد
عن أسرة تحرير الفجر الجديد

يريد الاستعمار البريطانى ان يبقى قبضته الحديدية على فلسطين بأى ثمن ، حتى تضمن له هذه القبضة أرباحه الاحتكارية الطائلة وسيطرته على الشعوب المستعمرة المستعبدة فى الشرق الاوسط والهند والشرق الاقصى ، وحتى يحول فلسطين الى مركز وثوب ضد شعوب شرق البحر الابيض المتوسط وشعوب الاتحاد السوفياتى . على انه ليس من السهل عليه ان يقوم بهذا كله مكشوفا أماما الرأى العام العربى وامام الرأى العام العالمى الحر الديمقراطى . وليس من السهل على الاستعمار البريطانى ان يعتذر عن احتلال فلسطين باحتياجات طبقاته الاحتكارية الانانية . فاذا قالت الحكومة البريطانية اليوم انها تصر على احتلالها لفلسطين حتى تضمن قبضتها الاستبدادية على شعوب الشرق العربى وغير العربى ، قامت ضدها شعوب العالم كله ـ بما فيها الشعب البريطانى الكادح ذاته ـ واصبحت فى مركز حرج ليس بعده من حرج ، اذن فلابد من عذر للاستعمار البريطانى حتى يبقى سيطرته الفولاذية على البلاد العربى الشقيق ، عذر معقد يدخل فيه اعتبارات انسانية عاطفية واعتبارات سياسية تبدو معقولة مثل ضرورة الدفاع عن شعوب لا جيش لها ، عذر معقد يخلقه الاستعمار بيده ويزيد من تعقيداته بيده ثم يعلن ضرورة الحيلولة دون الحكم المستقل الديمقراطى فى فلسطين حتى تحل هذه العقدة . اما العقدة فهى ان تكون فلسطين مركزا للاضرابات الدينية والعنصرية . والسبيل الى ذلك هو تقديم فلسطين لقمة سائغة للاستعمار الصهيونى . وفعلا ماذا حدث منذ ان احتلت الجيوش البريطانية تلك البلاد الشقيقة سنة ١٩١٧ ؟ صدر تصريح بلفور وبدأ تدفق الرأسمال الاجنبى على فلسطين ، وانتقل جزء كبير من أرضها الى ايدى المستعمرين وطردت آلاف العائلات الفلاحية العربية من الارض التى كانوا يزرعونها ، واستقرت رؤوس الاموال الاحتكارية على قوى فلسطين الطبيعية ومرافقها ، وحرم الاستعمار البريطانى عرب فلسطين من الحكم الديمقراطى ، فكانت حكومته فى فلسطين ديكتاتورية لا تعبر عن احتياجات

الشعب ومصالحه بل وتعمل على تدفق الارباح فى ايدى المستعمرين والاحتكاريين ، حكومة لا تفكر فى مصالح الطبقات الشعبية الجوهرية انما تعمل بشكل منظم على حرمانه من التعليم وعلى حرمانه من وسائل الصحة الاولية وعلى تخفيض مستواه المادى والثقافى تخفيضا مستمرا • وقابلت حكومة فلسطين الاستعمارية جميع محاولات العرب ومساعيهم المشروعة للتحرر والانعتاق بارهاب بوليسى وعسكرى منظم ، بفرض الاحكام العرفية ، بالزج بالوطنيين العرب فى السجون دون محاكمة وباعدامهم بعد حكم سريع كان الاستعمار فيه قاضيا ونائبا عموميا • واثارت الصهيونية متضامنة مع الاستعمار الثورات والفتن الدينية البغيضة • وقسمت الجماهير الكادحة الى قسمين - عربى ويهودى - بارهابهم المنظم على يهود فلسطين • والاستعمار البريطانى فى ذلك كله يتخذ منصب الحكم المحايد ، يشير الى الاضطرابات الدينية التى خلقها بيديه فيقول : « يستحيل أن يوجد حكم ديمقراطى فى هذه القلاقل ولا ان تمنح فلسطين الاستقلال وفيها هذه الفتن ، لان ذلك يعنى ترك العرب يفتكون باليهود فتكا • لا العرب ولا اليهود يستحقون حكما شعبيا ، لانهم لا يعرفون كيف يستعملونه ! » •

---

والاستعمار يجد لهذا كله أعوانا أقوياء فى الرجعيين من العرب ، هؤلاء الذين يرهبون الحكم الشعبى الديمقراطى كما يرهبه الاستعمار ذاته ، هؤلاء الذين يخافون على ارباحهم الطائلة التى اعتصروها من الشعب كما يخاف الاستعمار على ارباحه الطائلة التى اعتصرها من الشعب : هؤلاء الرجعيون من العرب هم الذين يثنون على صداقة بريطانيا التقليدية لانهم يحتاجون الى قواتها المسلحة كى تحميهم من كفاح الشعب وضغط الشعب وغضب الشعب ، هم يخدمون الاغراض الاستعمارية بان يحاولوا ان يوجهوا كفاح العرب التحريرى ضد الاستعمار واعوانه نحو كفاح اليهود كطائفة دينية فى فلسطين والبلاد العربية الاخرى • ألم تر فلسطين نورى السعيد ينصح عربها سنة ١٩٣٦ بان يتخلوا عن حركتهم الوطنية قبل ان يتراجع الاستعمار قيد أنملة ؟ ألم ير العرب جميعا نورى السعيد يقترح انشاء سوريا الكبرى ويعمل لها ويضمن هذا مشروع تقسيم فلسطين الى قسمين : احدهما عربى والاخر يهودى ؟ ألم تثر الهيئات الفاشية المصرية الاضطرابات الدينية فى القاهرة والاسكندرية فى ٢ نوفمبر الماضى - فى ذكرى وعد بلفور - بدلا من ان تطالب بتحرير فلسطين من الاستعمار ؟ أننا لا نعجب لهذا كله ، فالرجعية والفاشية - عربية كانت ام انكليزية ام عالمية - الرجعية والفاشية حليفتا الاستعمار فى كل مناسبة من المناسبات التحريرية ، فى كل مناسبة من مناسبات الكفاح الوطنى العربى المجيد •

واليوم تتكرر مناورات الاستعمار ، ولكن بشكل اشمل وعلى نطاق أوسع ذلك لان القضاء العسكرى على الفاشية فى اوروبا قد حرر الجماهير اليهودية الاوروبية من الاضطهاد العنصرى الحكومى المنظم فهدد بقطع المعين الذى يغذى الصهيونية بالرجال والقوى المعنوية والحرب التحريرية الاخيرة قد أيقظت قوى شعبية هائلة فى كل مكان فكانت الحركة الوطنية العربية من الحركات الشعبية التى نمت وازدهرت فى الايام الاخيرة . وان الاستعمار البريطانى ليواجه هذه الحركات جميعا ويقاوم النهضات الوطنية جميعا ، تلك النهضات الوطنية التحررية التى تكيل له الضربة تلو الضربة فى اندونيسيا والملايو والهند وايران والعراق والمشرق ومصر ، تلك الحركات العادلة السليمة التى تتوثق الروابط بينها يوما بعد يوم ، تلك الحركات الشعبية التى دفعت بحكوماتها دفعا الى ميدان التعاون الدولى والتى ضغطت عليها ضغطا الى ان انشئت منظمة الامم المتحدة ، يواجه الاستعمار العالمى كل هذا فلابد ان يقوم مرة اخرى بمناوراته الجديدة القديمة التى اعتادها ليخدع الشعوب ، فان كان الاستعمار البريطانى يستعمل الاسلحة الفتاكة جهارا ضد الشعب الاندونيسى الا انه لا يستطيع ان يقمع الحركة الوطنية فى الشرق العربى بذات الشكل المكشوف ، فلا سبيل أمامه الا أن يلبس أغراضه الاستعمارية ثوب الشرعية والحق انه يعلم تمام العلم ماهية القضية الفلسطينية . ولكنا نراه اليوم يرسل مع زميله الاستعمار الامريكى لجنة مشتركة للتحقيق فى قضية فلسطين ، مهمة لجنة التحقيق الرسمية ان تبحث وتفحص وتستمع الى الشهادات الرسمية وغير الرسمية ، الشهادات العلنية والسرية ولكن الغرض الحقيقى من ايفادها هو اثارة الفتن والاضطرابات الدينية والعنصرية فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد العربية . فان كانت هناك مشكلة فى فلسطين كان على المسئولين عن الانتداب ان يعرضوها على منظمة الامم المتحدة أو على مجلس الامن . وان كان الانتداب البريطانى قد أظهر فشله التام فى حل المشكلة الفلسطينية ، فعلى مجلس الوصاية ان يأخذ المسألة فى يديه فيحرر الشعب الفلسطينى من الحكم الاستعمارى ويتركه يبنى منشآته الديمقراطية الذاتية . ولكن الاستعماريين البريطانى والامريكى قد انكرا سلطة منظمة الامم المتحدة ، والاستعماران الانجليزى والامريكى قد عينا لجنة التحقيق فى حين انهما خصم فى المشكلة فكيف يلعبان دور الحكم ؟ أليس الاستعمار البريطانى هو الذى وعد ان تصبح فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين ؟ أليس هو الذى حرم العرب من الحكم الديمقراطى المستقل ؟ اذن فهو سند الصهيونية الرئيسى ، فكيف يعطى له حق الفصل فى النزاع بين العرب والصهيونيين ؟ وقل نفس الشىء عن حكومة الولايات المتحدة التى تطالب الآن بادخال ، ١٠٠٫٠٠٠ مهاجر جديد فى فلسطين . هذان الاستعماران كلفا اللجنة بالتحقيق فى مسألة فلسطين ، فى حين ان هذه المسألة لا تحتاج الى تحقيق جديد ، بعد التحقيقات السبعة عشر التى عرفتها فلسطين منذ الاحتلال البريطانى ، هل تحتاج قضية

شعب يهدف الى التحرر والديمقراطية الى تحقيق ومن الذى يحقق ؟ مستعبدوه ومستغلوه ان قضية الشعب الفلسطينى هى قضية تقرير المصير التى وقعت هذه الحرب باسمها ، فليس أوضح ولا أعدل من أن يطبق هذا المبدأ على فلسطين ٠

نحن نرى للجنة التحقيق غرضا مزدوجا أولا ان تربط قضية فلسطين بقضية اليهود المضطهدين أو المشردين فى اوروبا ٠

فتشريد اليهود فى اوروبا وبقايا الاضطهاد العنصرى التى تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطية فى أوروبا ٠ لا بالاحتفاظ بالقوات النازية فى المانيا كما تفعل كل من انكلترا وأميركا الآن ٠ وان لم يكن بد من ايواء اليهود المشردين فى بلاد غير اوروبا نفسها ، فلم لا تقبلها انكلترا أو الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ؟ الا أن الاستعماريين البريطاني والأميركى لا يريدان فى الحقيقة ان يقوما بعمل انسانى - بمساعدة اليهود المشردين - وانما يريدان أن يدخل مهاجرون فى فلسطين ، أو على الاقل ان يهددا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسألة الهجرة لا مسألة الحكم الديمقراطى المستقل فى فلسطين ، والاستعمار يرمى فى هذه المناورة الى تسوية قضية فلسطين أمام الرأى العام العالمى ، اذ ان العرب سوف يرفضون كل هجرة جديدة - لان كل هجرة جديدة معناها تقوية الغزو الصهيونى - وعندئذ سيظهر الاستعمار الحركة الوطنية فى فلسطين كحركة وطنية متعصبة ، حركة أناس لا احساس لهم ولا مشاعر انسانية عندهم ٠

والاستعمار بهذه المناورة لا يرمى فقط الى تشويه قضية فلسطين فى نظر الرأى العام العالمى ، وانما يرمى ايضا الى تشويهها فى نظر العرب أنفسهم ، فقضية الهجرة الصهيونية ما هى الا قضية ثانوية فرعية بالنسبة الى القضية الرئيسية الجوهرية ، قضية التحرر من الاستعمار البريطانى تحررا كاملا ، فالهجرة الصهيونية الى فسلطين قد نمت تحت الحكم البريطانى دون سواه والقوانين واللوائح التى وضعها هذا الحكم فى فلسطين هى التى تنظم الهجرة الصهيونية ٠ ووجود القوات المسلحة البريطانية فى فلسطين هو الذى يجعل من الهجرة اليهودية اليها غزوا أجنبيا ، ونظام الاحتكارات فى أيدى الماليين الكبار ، ذلك النظام الذى ادخلته بريطانيا فى فلسطين والذى تحميه بريطانيا بجيوشها ودباباتها وطائراتها ، هذا النظام يجعل من الهجرة اليهودية غزوا أجنبيا واحتلالا اقتصاديا ٠ ووجود نظام حكم ديكتاتورى غير تمثيلى أو ديمقراطى حكم فى يد الحكومة البريطانية الاستعمارية ، هو الذى يجعل من الهجرة غزوا سياسيا ويوجد الارهاب الفاشى فى صفوف اليهود فى فلسطين وهو الذى يسلح هؤلاء اليهود ضد العرب ، ويسلح أفرادا من العرب الفاشيين ضد اليهود ٠

اذن فقضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ان هى الا قضية ثانوية فرعية ، فى حين ان قضية تحرير فلسطين من الاستعمار وايجاد حكم ديمقراطى فيها ، هذه هى القضية الرئيسية الجوهرية ، ولذلك علينا أن نعتبر تقديم المسألة الفرعية الثانوية الى المقام الاول مناورة من الاستعماريين البريطانى والاميركى ، مناورة لكسب الوقت والتهرب من الالتزامات الدولية ، مناورة لتشويه القضية الفلسطينية وتحويل الكفاح الوطنى فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد العربية من كفاح موجه ضد الاستعمار ، الى كفاح موجه ضد اليهود الى كفاح دينى عنصرى ، مصيره الفشل المحتوم ٠

وكان الوطنيون العرب المخلصون قد رأوا هذا كله ، فنادوا بمقاطعة لجنة التحقيق حتى تحبط مساعى الاستعمار ، ولكن الساسة العرب الرسميين أبوا الا المثول امام اللجنة فماذا كانت نتيجة التحقيق ؟ جاء تقرير اللجنة مطابقا تماما لما توقعه الوطنيون العرب المخلصون ابان الانتداب ، أى حرم الشعب الفلسطينى من الحكم الديمقراطى المستقل الذى يبغيه ، وافسح المجال امام الغزو الصهيونى ، اذ طالب باباحة بيع الاراضى الى الصهيونيين اباحة تامة ، وطالب بتوثيق التعاون بين حكومة فلسطين الانكليزية وبين الوكالة اليهودية ، وحبذ هذا التصريح بشكل غير مباشر استمرار التوتر الدينى والعنصرى بل كأنه يطالب فعلا بتوسيع مداه الى أقصى الدرجات اذ أوصى بادخال ١٠٠،٠٠٠ مهاجر يهودى جديد الى فلسطين ، وهو ، اذ يؤكد ضرورة هذه الهجرة الجديدة ، انما يصرح فى الوقت ذاته انها لن تحل مشكلة اليهود المشردين فى أوروبا ، اذن فلماذا يطالب التقرير بها ؟ واضح انه يريد ان تتحول الحركة الوطنية العربية فى فلسطين وغير فلسطين من مهاجمة الاستعمار البريطانى الى كفاح ضد الهجرة والى مهاجمة اليهود ، الى كفاح دينى وعنصرى خاطىء لا امل له فى النجاح !

وقد أثار هذا التقرير موجة واسعة عميقة من الضجة والاحتجاجات والاضرابات فى الشرق العربى كله ، فأرهبت الاستعماريين الانكليزى والاميركى اللذين لم يجرآ على تطبيق توصيات التقرير مباشرة ، بل جعلا يبحثان عن طريقة يخدعان بها العرب واخيرا قالا : « نريد ان نستشير زعماء العرب فى هذا التقرير » ٠ كأنما قضية فلسطين لا تزال غامضة ، وكأنما أهل فلسطين لا حق لهم فى ان يقرروا مصيرهم بانفسهم ولا حق لمنظمة الامم المتحدة فى ترتيب العلاقات بين اهل فلسطين والاستعمار ، ان هذه اللعبة الجديدة استمرار للمناورات الاستعمارية السابقة لانها تحتفظ للاستعمار بسلطة تقرير مصير فلسطين ، نعم ان استشارة العرب مناورة وليدة ولكنها ليست جديدة فقد عرف الشعب العربى مثيلاتها وخبر فشلها والتواءها ولقد صحت اليوم الدعوة التى علا بها صوت الديمقراطيين العرب بان تحطم الحلقة الفولاذية الاستعمارية فتعرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة ٠

**الحركة الوطنية فى فلسطين**

**عن أسرة تحرير الفجر الجديد**

**أحمد رشدى صالح**

الشعب وحدة الخالد وكل ما عداه عرض زائل · يعلمنا الشعب العربى الفلسطينى بكفاحه البطولى ضد الاستعمار والصهيونية أن حيوية الشعوب لا تنفذ وقدرتها على النضال لا تحد فهذا البلد الصغير الذى لا تزيد مساحته على ١ من ٣٨ من مساحة بلادنا · وهذا الشعب الصغير الذى لا يتجاوز كثيرا ١ من ١٧ من عدد مواطنينا الذى يعيش على ارض زراعية أقل من ٢ من ١٥ من ارضنا الزراعية ، هذا البلد الصغير مسرح معركة جبارة فاصلة فى تاريخ الاستعمار وهذا الشعب الصغير هو رأس رمح المقاومة فى هذه المعركة الجبارة الفاصلة · ان الصراع الدائر الان فى فلسطين بين العرب والاستعمار والصهيونية صراع على الحياة ذاتها · اما ان تنجح الحركة الوطنية فيحتفظ الشعب العربى بالارض التى نشأ عليها وامتزجت بزرعها وتربتها عظام اجداده وآبائه واما ان ينتصر الاستعمار والصهيونية فيتشرد ويفنى ، ولقد اتخذت المعركة وجها جديدا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية · فالاستعمار اليوم يحضر لحرب عالمية ثالثة · ويبنى خط هجوم اقليمى فى الشرق الاوسط ويتخذ فلسطين القاعدة الاولى فى هذا الخط · فالمعركة اذا ازدادت سعيرا والصراع اذا اشتد عمقا وخطورة ولكن الشعب العربى الذى تمرس على أساليب الكفاح الثورية والسلمية سيستمر فى نضاله لا يلين · فمعركة فلسطين ليست معركة الارض الزراعية التى يستلبها الاستعمار الغاصب ، ولا الوطن اليهودى الذى تبنيه الصهيونية على اشلاء ضحاياه ، وانما هى معركة الشعوب العربية ضد تغلغل الاستعمار ، بل معركة شعوب المستعمرات فى الشرق الاوسط والاقصى ضد سارقى كدها ومسخريها ·

ولقد يظن البعض ان الحركة الوطنية فى فلسطين ابتدأت بعد الانتداب أو ظهرت مع وجود الصهيونية بها ، ولقد تروج الاوساط الاستعمارية هذا الظن حتى يعتقد الناس ان الحركة الوطنية فى فلسطين موجهة منذ بدئها ضد الصهيونية أو اليهودية ·

الواقع انها أعرق من كلا من الاحتلال والصهيونية • ففى ظل الحكم التركى أخذت القومية العربية تنتعش وتعبر عن وجودها بهذا الانتاج الأدبى الذى غزا مصر وغيرها اواخر القرن الماضى وبهذه الجمعيات الثقافية التى رسمت لنفسها غاية قومية هى بعث ودراسة الاداب العربية • ثم اشتد وضوح الروح القومية العربية بانشاء الجمعيات السياسية فى اوائل هذا القرن كعصبة الوطن العربى التى أسست فى ١٩٠٥ واتخذت شعارها « البلاد العربية للعرب » اساسا لنشاطها ولجمعية الاخاء العربية المؤسسة فى ١٩٠٨ وجمعية الجامعة العربية وغيرها وما لبثت هذه الحركة القومية ان انعكست فى تغيير اخر اذ عقد المؤتمر العربى الاول فى باريس عام ١٩١٣ وأصدر بيانه الذى يقول فيه : من المهم أن يكون للعرب التمتع بحقوقهم السياسية بان يشتركوا فى الادارة المركزية ، اذن فالقومية العربية اتخذت طريق النضال ضد الاتراك قبل أن يعلن الانتداب ويصدر وعد بلفور بل بدت تباشير هذه القومية قبل أن يعلن هيرزل مؤسس الصهيونية دعوته ، فالحركة الوطنية العربية فى فلسطين اذن ذات جذور وطنية عريقة ، وكفاحها اذن كان ضد المستعمر التركى قبل أن تحتلها الجيوش البريطانية بعشرات السنين •

ولكن هذه الحركة الوطنية العربية ، التى استهدفت التخلص من السيطرة الاجنبية اتجهت بعد الاحتلال وجهة خاطئة وذلك خضوعا لضغط القيادة الاقطاعية العربية التى كانت تتولاها حتى قيام الثورة ذاتها •• فقد اتسمت السنوات التى اعقبت الاحتلال بسمات كثيرة :

( ا ) طغيان الكراهية الدينية والحزازات الطائفية • وشدة حدة هذه الكراهية ولا شك ان الاستعمار والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب هم المسئولون عن المذابح المتكررة التى قامت بها بعض الجماهير العربية ضد اليهـــود •

وأما الرابح من هذه المذابح والكراهية الدينية فهو الاستعمار الذى نجح فى تحويل الانظار بعيدا عنه ، وهو الرأسماليون الصهيونيون الذين نجحوا فى اجتذاب عطف وحماس جماهير اليهود وزجهم فى المعركة لتثبيت أقدام الاستغلال الصهيونى فى فلسطين وهم الاقطاعيون العرب الذين ألقوا بالجماهير العربية فى المعمعة ، فى حين أنهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ويبيعون أرض فلسطين للسماسرة الصهيونيين •

(ب) وتتسم هذه الفترة أيضا باتساع نطاق بيع الاراضى للصهيونيين بحيث باع الاقطاعيون العرب خمس الاراضى للرأسماليين الصهيونيين • حقا

ان الذين أوقعوا بالعرب عامة والمزارعين خاصة أضرارا فادحة هم طبقة كبار الملاك الاقطاعيين الغرباء عن البلاد الذين باعوا مساحات شاسعة من أخصب الاراضى الفلسطينية لليهود وأما المزارع العربى فهو شديد الوطنية لا يبيع أرضه لخصمه الا بعد أن تسد جميع أبواب الرزق أمامه ٠

(ج) وفى أثناء الازمة الاقتصادية العالمية وبعدها ازدادت الحدة بين العرب واليهود وأصبح كفاح الشعب العربى موجها الى اليهود وحدهم وذلك بتوجيه الفاشيين اليهود والاقطاعيين العرب ٠

غير أن القيادة الاقطاعية للحركة الوطنية ما لبثت أن ظهر لها منافس قوى تلك هى القيادة البرجوازية التى كانت قد بدأت تعبر عن وجودها مبكرة جدا ، وأخذت تتجمع فى الوقت الذى تتسم فيه القيادة الاقطاعية للحركة الوطنية بالضعف - بالثورة الفلسطينية تتحطم سلطة القيادة الاقطاعية وتبدو القيادة الثانية قوية - توجه الجماهير الى طلب الاستقلال - الى منازلة الاستعمار الى المطالبة بحكومة برلمانية والمطالبة باحتجاز مرافق البلاد كى تستغلها رؤوس الاموال الوطنية - لقد اتخذت الحركة الوطنية فى المرحلة الثانية طريقا مغايرا الى حد كبير للطريق الاول - أصبحت شعاراتها « الاستقلال » و« الحكم النيابى ومقاومة الاستغلال الأجنبى » ٠

ولعبت القيادة البورجوازية دورا عظيما فى اثارة الجماهير فأضربت النساء العربيات لاول مرة وظهرت الاحزاب السياسية وتكونت اللجنة العربية العليا وبرنامجها الدعوة الى تشكيل حكومة نيابية فى فلسطين ووقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضى وتأليف الحرس الوطنى الذى أصدر بيانا ذا مغزى هام يقول فيه « ان المستعمرين هم الاصل فى قضيتنا واليهود الفرع الاستعماريون هم الذين رمونا بالصهيونية وهم الذين يهددون دماء أبنائنا » ٠

هكذا دخلت الحركة طورها الثانى تقودها البورجوازية ٠٠ ولكن الثورة هى عمل الجماهير الشعبية ، فها هى ذى حركة الاضرابات تبدأ من يافا المدينة الصناعية الكبرى - وها هى ذى جماهير الفلاحين تحمل الاسلحة دفاعا عن أرضها ٠٠٠ ان تدفق الجماهير الى المعركة وتحولها الى نضال ثورى ، وطول مداها ، قد ألقى الفزع فى قلوب جزء من القيادة البرجوازية فحدث انشقاق فى اللجنة العربية العليا ، وقال قائلهم مشيرا الى تغلغل العمال والفلاحين فى النضال الثورى « أية هيبة تبقى للاراضى المقدسة فى نظر الزوار عندما يقدمون الى هنا ويرون الشيوعية منتشرة فيها كما فى سائر البلاد أو أكثر ٠ هذه الشيوعية التى ألقت التشويش فى شعبنا البسيط الوادع »

ولم تصدع الحركة الوطنية العربية صفوف قيادتها العليا فقط ، بل صدعت صفوف الصهيونيين أنفسهم ··· ولكن تخاذل القيادة وضغط الاستعمار الغاشم قد فكك الثورة بعد خمسة أشهر من أندلاعها ·

والتطور الاخير للحركة الوطنية فى فلسطين يصطبغ بازدياد دور الطبقات الشعبية من عمال وفلاحين ومثقفين أحرار وبانتقال ثقل التوجيه والاثارة الى القيادات الشعبية وهى عصبة التحرر الوطنى ورابطة العمال ورابطة المثقفين العرب ـ وهذه القيادات وجهت النضال وجهته السليمة فأبرزت خطورة تحويله الى الكفاح ضد الصهيونية منفصلة عن الاستعمار أو الهجرة مستقلة عن الاستعمار أو اليهود اذا لم يكونوا صهيونيين · ان أهداف التحرر الوطنى هى استقلال فلسطين وانشاء حكومة ديمقراطية تمثل الشعب الفلسطينى تمثيلا ديمقراطيا واشاعة الحريات الديمقراطية فى البلاد ليتمنى للشعب تقرير شئونه وايقاف الهجرة وفصل قضية فلسطين عن قضايا اللاجئين اليهود والفرق واضح بين هذا التوجيه والتوجيه الخائن الاقطاعى أو التذبذب البورجوازى ·

فالقيادة الشعبية ترى أن « مطالب العمال اليومية واحتياجات الفلاحين العادلة مطالب استقلالية تناضل فى سبيلها نضالا شعبيا دائما » وهى ترى « أن قضية فلسطين فى سبيل الحرية هى قضية نضال ضد الاستعمار وأعوانه وليست نضالا ضد عرق أو جنس » وتدعو الى توحيد أعداء الاستعمار أيا كانوا يهودا أم عربا ، ذلك لان جماهير « العرب واليهود تتلاقى فى مصالحها وأهدافها فى تأمين نظام ديمقراطى عادل يضمن عملا للعمال وأسواقا للمزارعين وآفاقا جديدة للمنتجين » انها تدعو الى توحيد الصفوف حتى مع القيادات التقليدية ذلك « بأن الاحزاب التقليدية برغم ضعفها ما زالت ثورية تستهدف الاستقلال والحرية » ·

ان خطة القيادة الشعبية هى تجمع أعداء الاستعمار حول النضال من أجل فلسطين حرة ديمقراطية وهذا التوجيه يلقى عضدا قويا يزداد يوما بعد يوم ـ لا بين العرب وحدهم بل وبين اليهود انفسهم ـ لقد تعلم الشعب الفلسطينى ان الاستعمار هو أصل بلائه هو الذى يبيع مرافق بلاده للاحتكارات والرأسماليين الصهيونيين ، هو الذى يرهقه بالرسوم والضرائب ليحمى صناعات الرأسماليين والاحتكاريين هو الذى يحكمه بقانون أصدروه ودون تمثيل ولا رجوع اليه هو الذى يستبد به ويمتص كده ويحرمه حتى الوظائف الحكومية فيحتجز للبريطانيين واليهود ٦٥ فى المائة منها ، ويفرض ضرائب مباشرة تقع على عاتق فلاحيه وعماله واجرائه وكادحيه ـ يصرف على البوليس والسجون اضعاف ما يصرفه

على الصحة وسبعة اضعاف ما ينفقه على التعليم ـ هو السبب في ان ٧٥ فى المـائة من أطفاله محرومون من التعليم و ٨٦ فى المـائة من بالغيه جهلة ـ وهو السبب فى انخفاض اجرة عماله وارتفاع اجـرة الصهيونيين الى الضعف أو الثلاثة اضعاف أحيانا ٠

ان نمو الطبقة العمالية وانقلاب صغار الفلاحين العرب الى اجراء واستغلال الجماهير العربية وهذه المظالم التى لا تنتهى ، قد فتحت امام القيادة الشعبية آفاقا واســـعة ٠

ولقد أثبت الشعب العربى وطليعة اليهود ان تحرير فلسطين رهن باتحاد أهلها وسيرهم تحت قيادة وطنية شـعبية وأثبت تاريخ الحركـة الوطنيـــة الفلسطينية أن الاستعمار الغاشم يركز أقدامه فى هذه المنطقة ويتوجه باعتداءات منها الى بلادنا العربية بل انه ليعدها لتكون حصنا له فى اعتداءاته على الدول الديمقراطية الاخرى ، فليكن نضالنا فى البلاد العربية تدميره وحرمانه من أية قاعدة يريدها ٠ ولنقو كفاحنا من أجل بلادنا حـرة ديمقراطية ومن أجـل فلسطين حرة ديمقراطية ٠

الدول العربية وفلسطين
مصطفى كمال العيوطى
عن دار الأبحاث العلمية

قد يظن البعض أن الدوافع التى تحدونا — نحن المصريون — لدراسة مشكلة فلسطين انما ترجع الى اسباب دينية أو عنصرية أو عاطفية وهو ما ليس صحيحا بالمرة فمشكلة فلسطين اعمق من هذا كله اذ انها ترتبط تمام الارتباط بقضايا الشعوب العربية ارتباطا يحتم علينا — نحن شعوب الشرق الاوسط عامة — أن نسعى جادين لحلها ·· يتمثل ارتباط مشكلة فلسطين بمصالح شعوب الشرق الاوسط عامة ثلاث نقاط هامة ينبغى الالتفات اليها وهى :

١ — لقد نجح الاستعمار — نتيجة للسياسة التى اتبعها فى فلسطين — فى تفرقة الصفوف التى ينبغى ان تتوحد ضده فاصبح العرب يحاربون اليهود وأصبح اليهود يحاربون العرب دون أن يلتفت الفريقان الى محاربة عدوهما المشترك : الاستعمار ، فكانت النتيجة الحقيقية لذلك أن اصبحت الحركة الوطنية ضد الاستعمار فى فلسطين أضعف منها فى سائر بلاد الشرق الاوسط عامة ومصر وسوريا ولبنان على وجه التخصيص لذلك سوف تكون فلسطين الملجأ الذى يركز فيه الاستعمار قواته اذا ما اضطر الى الجلاء عن مصر مثلا — وقد انتقل اليها فعلا من سوريا — وبذلك يتخذ من فلسطين قاعدة له للهجوم على الحركات التحريرية الديمقراطية فى بلاد الشرق الاوسط الاخرى · اذن فلن تتحقق للمصريين السيادة التامة فى وطنهم اذا ما بقيت الاداة الحربية البريطانية فى فلسطين كذلك لن تسلم الحركة الديمقراطية فى سوريا ولبنان من التهديد المباشر من ناحية فلسطين ·

٢ — يتوسل الاستعمار للتمكن من سلطانه فى فلسطين باداة بغيضة قاتلة هى الصهيونية المحتمل أن يمتد تأثيرها من فلسطين الى شرق الاردن ومنها الى بقية البلاد العربية ·

٣ — ترتبط محاولة بريطانيا للسيطرة على بترول الشرق الاوسط كله تمام الارتباط باهتمامها بتعزيز نفوذها على فلسطين · فلكى تحتفظ بريطانيا

بسيطرتها على البحر الابيض المتوسط تهتم بالاحتفاظ باسطول ضخم فى هذا البحر ، ولكى يكون هذا الاسطول قادرا على القيام بتنفيذ ما يلقى اليه من مهمات القرصنة فى ذلك البحر يلزم لبريطانيا امدادها من بترول العراق وايران ويقتضى ايصال البترول منها الى الاسطول ليتزودمنها بالزيت • وما تلك الموانى الا موانىء فلسطين ، ويعنى هذا أن تكون سيطرة بريطانيا على فلسطين عاملا هاما فى تسهيل استغلالها للعراق وايران •

فاذا كان هذا هو مقدار اتصال قضية فلسطين بقضايا الشعوب العربية الاخرى فلنا ان نتساءل عن مدى قيام حكومات الدول العربية بالدفاع عن قضية سكان ذلك القطر من الشرق الاوسط وعن عملها على تحقيق استقلال فلسطين الذى يعتبر فى الواقع بمثابة الاساس فى بنـاء استقلال الشعوب العربية •

لن نتعرض للمحاولات التى يقوم بهـا اذناب الاستعمار فى مختلف بلدان الشرق الاوسط لترويج السياسة العنصرية التى ابتدعها الاستعمار لتوسيع شقة الخلاف بين العرب واليهود ولن نتكلم عن مطاردة الديمقراطيين الاحرار الذين يقع على كاهلهم عبء الكفاح من اجل تحرير فلسطين ولن نتكلم عن تشجيع الاستعمار واذنابه للفاشست فى حملتهم ضد اليهود والاقليات فى مصر وسوريا ولبنان وفلسطين اذ ان هذا معروف للجميع مما لا يقتضى شرحه فى هـذا المقام ولكن سوف نتناول فى تلك العجالة موقف حكومات بلاد الشرق الاوسط مجتمعة فى جامعة الدول العربيـة •

مضى على انشاء جامعة الدول العربية ما يزيد على السنة ورغم ذلك ما زالت مشكلة فلسطين كما هى قبل انشائها فقد ظن الكثيرون انها سوف تمضى قدما فى سبيل تحقيق مصالح الشعوب العربية التى طالما كافحت الشعوب من اجل تحقيقها • وكانت مشكلة فلسطين اول امتحان اعترض سبيلها فكان من المنتظر ان تضرب الاستعمار فى الصميم بالكفاح من أجل استقلال فلسطين ولكن حدث غير ما توقع الناس وانتظروه فقد طعنت الجامعة قضية الفلسطينيين المتطلعين الى التحرر فى الصميم • فقد احتوى ميثاق الجامعة العربية على ملحق خاص بفلسطين هو عبارة عن درس فى تاريخ فلسطين مما يرد فى الكتب المدرسية التى يقرؤها الصبية فى المدارس الابتدائية استنتج منه واضعوه من حيث لا نـدرى أن فلسطين بلد قاصر ما زال يحبو فلا يصح ان يكون له ممثل فى الجامعة وبذلك استبعدت فلسطين من جامعةالدول العربية وحرم قادة العرب الفلسطينيين من ان يرتفع صوت فلسطين عاليا من فوق منصة جامعة الدول العربية حتى يسمعه الاستعمار الذى لا يبغى الاستماع اليه وهنا ينبغى أن نتساءل : فى مصلحـة

من هذا الاستبعاد ؟ هل هو فى مصلحة سكان فلسطين ام هو فى مصلحة من لا يريدون أن يكون لفلسطين صوت مسموع ؟

فلما اشتدت حدة الازمة الفلسطينية دعى مجلس الجامعة الى الاجتماع فتوافد على مصر القاصى والدانى وعقد الاجتماع تلو الاخر وتناقش المجتمعون وكثر الاخذ والرد ـ أو هكذا تخيلنا ـ وصدرت التصريحات تبشر الناس بقرب اعلان قرار خطير بحل المشكلة بين عشية وضحاها فاهتم الناس وأنصتوا ما وسعهم الانصات وطفقوا يتنسمون الاخبار ويعلقون على اجتماع القادة العظام الامال الكبار وطال الاجتماع فحسب الناس ان مصير العالم يتقرر فى المحادثات التى تجرى فيه وخصوصا وان المؤتمرات الدولية الهامة مثل طهران أو يالتا لم يكن كل منهما يستغرق اكثر من ايام ثلاثة أو اربعة ... واخيرا صدر القرار وقرأه الناس فى الصحف المرة تلو الاخرى علهم يجدون فيه حلا للقضية أو شيئا من ذلك الحل فما وجدوا فيه شيئا يستحق ثمن الصحيفة التى نشر فيها . ولا أخالكم الا ذاكرين ذلك القرار ـ قرار مقاطعة البضائع الصهيونية ومشروع انشاء صندوق الاعانة ـ أو قل صندوق الاحسان ـ ولا أخالكم ايضا الا ملاحظين أنه قرار فاشل لم يحل من المشكلة شيئا بل رجع بها الى الوراء وذلك يحرف انظار الجماهير عن الحل الصحيح للمشكلة .

ثم كان أن رغب الاستعمار فى التظاهر بحل المشكلة بغية تخدير اعصاب سكان فلسطين كى يتنفس الصعداء بعض الوقت فألف لجنة التحقيق ـ أو قل لجنة التلفيق الانكلو امريكية . وقد وضحت منذ البداية مهمة تلك « اللعنة » ووضحت كذلك للعيان صنعتها السياسية . فما لجنة يختارها السادة الحكام من تجار الحرب فى محور لندن ـ واشنطن من اتباعهم الا لجنة استعمارية غرضها التوصية بما يتعارض واستقلال فلسطين . وما لجنة تتألف من دولتين من بين الدول الخمس الكبرى دون زميلاتها لحل مشكلة لها خطرها وأهميتها بالنسبة للسلم والامن الدوليين الا لجنة غير شرعية ينبغى مقاطعتها وقد اعترف الامين العام للجامعة فعلا ان تلك اللجنة لجنة غير رسمية ودهش الكثيرون ممن تتبعوا « كفاح » الجامعة العربية من اجل خير الشعوب العربية وأعجبوا بشجاعة عزام باشا فى هذا السبيل وراجعوا تفكيرهم علهم كانوا مخطئين بادىء الامر فى الحكم على الرجل لما أظهره سعادته من روح كفاحية باعترافه هذا . ولكن ما أن شرفت لجنة التلفيق القاهرة حتى تبدل عزام باشا واصبح رجلا غير الرجل وكأن يد ساحر قد مسته وكأن ما نشر فى الصحف عن اعترافه بعدم شرعية تلك اللجنة كان من الاكاذيب الصحفية فهرول فى سرعة يحسد عليها الى الادلاء بشهادته امام اللجنة وهرول وراءه زملاؤه من مندوبى سائر بلاد الشرق الاوسط فألقى كل منهم خطبة مسجوعة عنى فيها باختيار احسن الفاظ التعصب والعنصرية مما

يطرب له الاستعمار واخذ الامين الخطير وزملاؤه يتبادلون الطرائف مع اعضاء اللجنة وانقلبت الجلسات الى حلقات للسمر عوضت على أعضاء اللجنة ما تكبدوه من مشقة ابان السفر ولماذا لا يسمرون وهم الزعماء المسيطرون على مصائر الملايين من شعوب البلاد العربية أليس من حقهم الضحك بعد ان جاهدوا فى الدفاع عن قضية فلسطين امام اللجنة المبجلة مما اثار شفقة اعضاء اللجنة فوعدوهم بالحل العادل • ازاء ذلك التلطف من جانب المفقين اعضاء لجنة التلفيق لم يسع الجامعة العربية الا ان تنتظر تقرير اللجنة علة يكون حاويا لحل المشكلة من وجهة نظرهم فاذا ما سألنا انفسنا ـ ويظهر اننا سنسأل انفسنا كثيرا ـ فى مصلحة من هذا الاعتراف بتلك اللجنة فلسطين أم من بعثها من سادة الحرب فى بريطانيا واميركا ؟ كان الجواب واضحا كل الوضوح بحيث لا يحتاج الى شرح • فهذا فى مصلحة من ارادوا ان يكون لتلك اللجنة صفة رسمية شرعية •

ثم كان ان اعلنت اللجنة تلفيقاتها المشوؤمة بما فيه من استهتار مشين بمصالح فلسطين وسكانها وكان أن حنق الرأى العام العربى على التقرير وهاجمه بشدة فما كان من الامين الا أن يندمج فى التيار • فهاج وماج ثم أعلن انعقاد مجلس الجامعة يوم ١٨ مايو للنظر فى ذلك التقرير ولكن يظهر ان عزام باشا يؤمن ايمانا مطلقا بالمثل القائل « فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة » اذ اجل الاجتماع ولم ينعقد بعد حتى كتابة هذه السطور •

ومن الواضح فى سياسة الجامعة العربية ازاء مشكلة فلسطين انها تنظر اليها نظرة غريبة حقا من وجهة نظر الشعوب التى تكافح من اجل التحرر ، فهى دائما تنظر الى المشكلة كأنها مشكلة هجرة وبيع أراض وانه اذا حلت تلك المشكلة كان فيها حل مشكلة فلسطين وينسى زعماء الجامعة ان المشكلة مشكلة استعمار ليس الا • وما مسألة الهجرة وبيع الاراضى الا فخاخا ينصبها للوطنيين العرب واليهود كى يقعوا فيها فيلتفت العرب لمحاربة اليهود ، ويلتفت اليهود لمحاربة العرب دون محاربة أس البلاء •

ذلك هو موقف الجامعة العربية ـ التى تعبر عن رأى حكومات الدول العربية ـ فى مشكلة فلسطين ، وهو موقف يتنافى تماما والاهتمام بتحقيق أمانى الشعوب العربية • فلماذا وقفت الجامعة مثل ذلك الموقف ؟ ولماذا يراعى متزعموا الجامعة مصالح بريطانيا دون مصالح الشعوب ؟ ان ذلك راجع الى ان الجامعة ليست جامعة شعبية مبنية على أساس جماهيرى متين يجعل لها من القوة ما يساعدها على كسر شوكة الاستعمار ، ذلك هو الجانب القاتم من الموضوع ولكن هناك ناحية تبشر بالخير الا وهى ازدياد قوة الديموقراطيين داخل البلاد العربية وهجومهم المستمر على الاستعمار واذنابه ودفاعهم عن

فلسطين وسكانها وعدائهم للصهيونية وقد وضح فى السنين الاخيرة مدى تأييد شعوب الشرق الاوسط لقضية الحرية والديمقراطية فى فلسطين فقد اشتركت البلاد العربية فى النضال الوطنى فى فلسطين سنة ١٩٣٦ ضد الاستعمار البريطانى وذلك بالرجال والعتاد وكان قائد الثورة الفلسطينية اذ ذاك أحد المجاهدين العراقيين وتألفت فى العراق أحزاب ديمقراطية كان من بنود برنامجها : الكفاح من اجل فلسطين حرة ديمقراطية كما تألفت فيها جماعة من المعادين للصهيونية من يهود العراق لكافحة الصهيونية وتحطيمها • وقد تألفت فى سوريا ولبنان لجنة من الاحزاب للدفاع عن فلسطين ويعطف سكان الجزيرة العربية على قضية اخوانهم فى فلسطين عطفا لا يفوقه عطف ويؤيد الشعب المصرى قضية فلسطين تأييداً تاما كما وضح فى الاضراب الاخير الذى نادت به اللجنة الوطنية للعمال والطلبة احتجاجا على تقرير لجنة التلفيق وان اختلفت تلك المظاهر المتعددة من التأييد الشعبى فانها تشترك فى الجوهر الا وهو توجيه الثقل ضد الاستعمار لا ضد اليهود كما يريد الاستعمار وفى هذا يتضح التناقض الواضح بين النظرة الحكومية والنظرة الشعبية •

ويعمل الديمقراطيون الآن فى اكتساب اكبر ما يستطاع كسبه من الحقوق الديمقراطية للشعوب كى تكون لها الكلمة العليا فى منظمة الجامعة العربية • وهم دائبون على نشر الوعي بين الجماهير وتوضيح جوهر قضية فلسطين وارتباط قضايا الشعوب العربية بها وينشرون الدعاية اللازمة لنبذ قرا رلجنة التلفيق نبذ النواة •

ان قضية فلسطين ليست قضية سكانها فحسب بل هى قضية شعوب الشرق الاوسط أجمعها • ان قضية فلسطين حلقة يسهل منها كشف الاستعمار وفضحه لا ينبغى أن تفوتها •

فيا شعوب الشرق الاوسط • !

اتحدوا فباتحادكم لا يكون من السهل على المستعمر ان يحطكم الواحد بعد الآخر وتعاونوا فان تعاونكم ضربة للاستعمار الغاصب •

وتكتلوا كى تكونوا الصخرة التى تتحطم عليها سفينة الاستعمار البالية •

عاش اتحاد الشعوب العربية لتحقيق الحرية والديمقراطية •

## لهـــذا نحن نناضـــل مع فلســطين

ســعيد خيــال
عن لجنـــة نشر الثقــافة الحديثة

لمـاذا نناضل فى سبيل القضية الفلسطينية ؟

ما هى الاسباب التى تدفعنا للوقوف مع الشعب الفلسطينى الباســل فى كفاحه للتخلص من الاستعمار والصهيونية وبنــاء دولة وطنية ديموقراطية فى فلســطين ؟

تنادى الاوساط الرجعية التى ينطقها ويسكتها الاستعمار البريطانى ، بأن اساس كفاحنا فى فلسطين هو الدين المشترك ، والعروبة المشتركة كأصــل عرقى نتوارث عناصره فى دمنا فيجمعنا نحن والفلسطينيين فى واحد ، ويميزنا عن غيرنا من شعوب الارض وذلك بصرف النظر عن تعاقب الاجيال وتقلب الاوضاع • هذان عند المستعمر وشيعته هما المحركان الحقيقيان لوقوفنا جنبــا لجنب مع شعب فلسطين المناضل اما ما عداهما فباطل وقبض الريح •

يريد الاستعمار بذلك ان يصم كفاحنــا التحريرى بالتعصب الدينى والعنصرى ، لتسخط علينا الدنيا ، فننعزل عن وجهة الحرية العالمية وينفرد هو بنا ليضربنا بوحشيته المعروفة ويبرر ضرباته بأنها عمل انسانى نبيل •

ويريد الاستعمار أيضا أن يحول القضية الفلسطينية من قضية وطنيــة تحريرية هو المجرم الاول فيها ، الى قضية دينية عنصرية ، مركزه فيها مركز الحكم المحايد • وذلك يلقى تبعة نكبتها على الاقليات الدينية والاجنبية لينصرف اليها النضال وتقع الفتنة ، ويبقى المستعمر آمنا ثابت القدم فى فلسطين •

اما الاوساط الرجعية فلها ــ فضلا عن فتات المستعمر ــ مصالح اخرى • انها تحاول الباس جميع قضايانا ثوب الدين والعنصرية ، واخضاع كافــة مشاكلنا لمعاييرها المصطنعة الزائفة ، بغية ستر جرائمها عن أعين الجمــاهير

الكادحة ، وسد منافذ الحرية فى وجوههم • وبذلك يسهل علينا تضليلهم وتحويل ضرباتهم بعيدا عن رؤوسها المظلمة •

اننا نحن لانهتم ببيان هذه الحقائق هنا لانها فقط حقائق يحاولون طمسها وانما لانها مرتبطة بألاعيب استعمارية ورجعية ينبغى كشفها • ولكن ليس هذا فقط ، بل اننا نحن نهتم بتبديدها لاننا نود ان يعلم الجميع ، ان الحنين الغامض والانفعالات العاطفية المتقلبة والنظريات الرجعية الكاذبة الباطلة ، ليست هى الاساس الذى نقيم عليه نضالنا التحريرى فى أى وجه من وجوهه بل اننا نؤسسه ونقيمه على حقائق راسخة ، لتضمن هى بذاتها استمراره وتعاظمه ، فيكون نضالا خليقا بشعبنا ، نضالا بطوليا عارما لا يهين أو يحطمه الاعداء ، وسيحطم كافة الاعداء •

ان شعب فلسطين يناضل ليفوز بحقه المطلق فى تقرير مصيره حرا ديمقراطيا ، انه يناضل لتخليص فلسطين من الاستعمار البريطانى ، ولتطهيرها من الصهيونية ، ونحن نقف معه ، فى نضاله هذا لاننا اعداء للاستعمار والصهيونية ولاننا وطنيون احرار ، نحترم حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ونبذل ما وسعنا البذل لتوفير هذا الحق وتأمينه ، يقينا منا ان الحرية وحدة لا تتجزأ ، وان انتهاكها فى أى مكان هو اضعاف للجبهة الشعبية الساعية لعالم أفضل وتقوية لاعداء التقدم ومستغلى الشعوب • ألا يقف شعبنا فى طليعة هذه الجبهة •• ألا يلقى ما تلقاه من هؤلاء الاعداء ؟

ان فلسطين تقع على حدودنا العامرة ، ولذلك يشكل الاستعمار البريطانى الجاثم فيها خطرا ماحقا على حركتنا التحررية ، ألم يصرح الاستعماريون بان مركزهم فى فلسطين يجعلهم على بعد ساعتين فقط من القاهرة ؟ وبذلك يبقى سيفهم معلقا فوق رقابنا حتى جلائهم عن أرضنا • ويتمكنون من التسلط علينا والتحكم فى شؤوننا الداخلية والخارجية •

لهذا نحن نناضل لكى تتحرر فلسطين ، فيتم لنا التحرر •

ان فلسطين العزيزة هى التى تصل بين وادى النيل وبقية البلاد الشقيقة ، فطرق المواصلات تمر جميعها عبر فلسطين • ويستطيع الاستعمار البريطانى الكامن فيها ان يقطع علينا الطريق ، وبذلك يتعذر علينا ان نتبادل المساعدات عند الحاجة ، كما يتعذر علينا تبادل التجارة ، وفى هذا اضعاف كبير لنا ولهم • الا يؤدى هذا الى شل الجامعة العربية ؟ أليس هذا سيفا استعماريا معلقا فوق رؤوسنا ؟ نعم ونريد ان نحطمه • ولهذا نناضل مع شعب فلسطين •

ان فلسطين موقع استراتيجى يشرف على شرق البحر الابيض ويتحكم فى قنال السويس • ألم يصرح الاستعماريون أن مركزهم فى فلسطين يجعلهم على بعد ساعة واحدة من القنال ؟ وبذلك يكون الاستعمار البريطانى النازل بها فى مركز يساعده على محاصرتنا لا سيما وهو متحكم فى غرب البحر الابيض ، وفى شماله وجنوبه على العموم • ان الحلقة الاستعمارية المضروبة حولنا تكاد ان تخنق انفاسنا • فلنناضل مع فلسطين الابية لتحطيم عقدة هذه الحلقة •

ان الاستعمارية البريطانية لتكذب كذبا مفضوحا حين تعلن انها آمنة مطمئنة من شعوب البلاد العربية ، وانها انما تحتفظ بجيوشها المحتلة فيها بقصد حماية هذه الشعوب من خطر محتمل من الخارج • كذبت بريطانيا • انها تخشى أول ما تخشى شعوب الشرق الاوسط على العموم ، وشعبى وادى النيل على وجه الخصوص ، لان هذه الشعوب لم تهادن الاستعمار ولم تسكت عنه • انها تناضل لاستقلالها وتحررها من نيره • وتحررها معناه ضياع مصالح بريطانيا الاستعمارية القائمة على استغلال هذه الشعوب وحكمها بالحديد والنار •

وان مصر لتقف فى طليعة شعوب الشرق الاوسط فى النضال ضد بريطانيا الاستعمارية وذلك بحكم المرحلة التى بلغتها من التطور وبحكم عدد شعبها ونمو الطبقة العاملة وتعمق وعيها • نعم ايها الاخوان ، فالتناقض بيننا وبين الاستعمار يظهر حادا فاصلا لا سبيل اليوم الى تخفيفه أو المصالحة فيه • وهذا ما يشعر به الاستعمار ويحسب له ألف حساب • ولذلك فهو متشبث ببقائه فى فلسطين ، ليركز مدافعه هناك ويصوب فوهاتها الى قلوبنا •

ولهذا فنحن نخوض مع فلسطين معركة واحدة ضد عدو مشترك •

أيها الوطنيون : ليس الاستعمار البريطانى هو وحده عدو فلسطين وعدونا ، ان الصهيونية لتنشب أظافرها فى قلب فلسطين العزيزة • واذا كان الشعب الفلسطينى الباسل يرمى بثقل نضاله فوق رأس المستعمر البريطانى باعتباره أصل الداء ، الا أنه لا يهادن الصهيونية بل يقاومها بغير هوادة • ونحن نقف مع الشعب الفلسطينى فى محاربته للصهيونية المجرمة فما أسباب ذلك ؟

ان الصهيونية حركة رأسمالية عدوانية تساعد الاستعمار البريطانى وتعتمد عليه فى نهبها لفلسطين • انها تسعى لاخراج أهلها من ديارهم

وديار آبائهم وأجدادهم الاولين • ثم انها تسعى لفرض دولتها الرأسمالية الارهابية على فلسطين وجيرانها من بلاد العرب • ولذلك يحاربها الفلسطينيون وتحاربها الشعوب العربية ونحاربها نحن معهم دفاعا مشروعا عنا وعنهم ، وعداوة منا للرأسمالية العدوانية •

ان الصهيونية فى احدى مظاهرها حركة دينية عنصرية متعصبة • فهى تساعد على بذر بذور التعصب الدينى والعنصرى بين أفراد شعبنا • وتساعد على قيام الحركات الفاشية عندنا • فتتيح للاستعمار وشيعته فرصة اثارة الفتنة بيننا ، وتحويل أنظار الجماهير عن أعدائهم الحقيقيين وصرفهم عن التفكير فى الاوضاع المرة التى يواجهونها ويحيون فيها •

ولذلك يهمنا اقتلاع الصهيونية من جذورها ولهذا فنحن نناضل مع شعب فلسطين •

وان الصهيونية بما لها من نفوذ فى العالم تعمل دائما على اثارة العداوة ضدنا وعرقلة مصالحنا المشروعة • انها تشترك مع الاستعمار البريطانى فى حبك المؤامرات لنا وانها لتحثه على البقاء فى مصر وتقوم له بدور الطابور الخامس • وثمة أمر آخر ، لقد سعت خائبة لمنع مؤتمر سان فرانسيسكو ، الذى سبق نشأة هيئة الامم المتحدة من الاعتراف بميثاق الجامعة العربية •

وان الصهيونية خطر كبير على اقتصادنا الوطنى • انها كحركة استعمارية رأسمالية • تتمتع بسلطان الاستعمار البريطانى وامتيازاته • وتعتصر موارد فلسطين وقواها ، وهى فى مركز يساعدها على احراج كياننا الاقتصادى وتخريب صناعتنا الوطنية والهبوط بمستوى معيشة شعبنا الكادح

ولهذا نحن نعاديها ونكافحها •

ثم ان الصهيونية كحركة دولية تقوم على تفريق الطبقة العاملة واضعاف كفاحها التحريرى ضد قوى الظلام ، ولقد رأينا كيف أن وحدة الطبقة العالمية وكفاحها المجيد يساعدنا مساعدة جدية فى نضالنا الديمقراطى • ألم يقف اتحاد النقابات العالمى فى صف عمالنا المناضلين فى سبيل اسعاد شعبنا وتحرره ؟

الاستعمار البريطانى وشريكته الصهيونية هما العدوان الاصيلان لفلسطين ولقد رأيتم أيها الاخوان أنهما هما ألد أعدائنا ، وان قضية

فلسطين هى قضيتنا ، قضية استقلالنا وسيادتنا ، قضية خبزنا وحريتنا • واذا كان نضالنا الوطنى يهدف الى تحقيق استقلالنا التام ، فان نضالنا الديمقراطى يهدف الى رفعة شعبنا وسعادته ، فان نضالنا فى سبيل القضية الفلسطينية هو لكفالة هذه الرفعة وتأمين تلك السعادة •

اننا نرى أن احدى وسائل النضال الفعالة هو أن نعرض قضيتنا على مجلس الامن ، فهنالك ملتقى أنصار الحرية وأعداء الاستعمار ، وهناك تنكشف الحيل وتبطل الالاعيب •

وان الجبهة العربية العليا التى تضم خيرة الوطنيين الفلسطينيين وتمثل مصالح فلسطين وشعبها أصدق تمثيل لترى مثل هذا الرأى أيضا بالنسبة للقضية الفلسطينية فلنضغط ضغطا هائلا حتى يتم عرض القضيتين على مجلس الامن ، ولنرفض فى حزم موقف المتفرج الذى يراد لنا أن نقفه من مناورات المفاوضات التى تقوم على مهادنة الاستعمار ومشاركته •

اننا ندرك حقا أن عبء نضالنا ضخم وان تبعاتنا التاريخية جسيمة واننا لنؤمن بقوة شعبنا ونؤمن كذلك بحقنا المطلق فى الاستقلال والديمقراطية • ثم اننا لسنا وحدنا ••• ان فى العالم قوى شعبية تحريرية تتعاظم يوما بعد يوم ، وتدك صروح الاستعمار والرجعية فى كل مكان ، وعلى رأس هذه القوى يقف مارد جبار هو الاتحاد السوفياتى نصير الشعوب ، الذى كان لقوته الفضل الاول فى ابادة القلعة المحورية ، والذى ناضل ويناضل فى معارك السلم كما فى معارك الحرب لتبديد قوى الظلام ، وتأمين حق كل شعب فى أن يقرر مصيره بنفسه •

اننا أقوياء بشعبنا ، أقوياء بصلابة ارادتنا وتبصرها وأقوياء بحلفائنا فلنضرب الاستعمار وشيعته ضربة الواثق الجرىء ، ولنرتفع بفضل نضالنا الى ذروة البطولة ولنتقدم لنصنع تاريخنا بأيدينا • سنقول له كن وسيكون :

الموت للاستعمار ، الموت للصهيونية ،

عاشت فلسطين المناضلة ، وعاش تضامننا معها فى النضال •

## قصيدة
## لعبد الرحمن الشرقاوى

كم ذا تخون بطولة الشهداء
يا موغر الموتى على الاحياء

فيما الضحايا القاطنات مع الصبا
وأدى الظلال النائح الافياء

وتخطف الدنيا الخراب وزلزلت
أعماقها بفجائع سوداء

ومشى بها الحرمان مربد الخطا
كالهول فى كسف من الظلماء

عجبا أخاضتها جحيما ساحقا
ليعود الاستعمار بالبلواء

ماذا تريد ؟ وكل ما فوق الثرى
قدر من الحرية البيضاء

هل كانت الالامَ الا وثبة
لعالم المترنم الوضاء

كانت لكى تحيا الشعوب جميعها
صنوان تحت القبة الزرقاء

أتظنها أكذوبة مشؤومة
كم ذا تخون مرامى الشهداء

يا خائن الالام ، والدم ، والمنى
تلك الحقائق من لظى ودماء

ماذا تريد ‥ وباسم أية خدعة
تلوى الشعوب ‥ وتحت أى طلاء

الشرق يأبى أن تعربد فوقه
أبد الزمان ‥ وآخر الاناء

والنيل قد حمل اللواء لشدة
كبرى ‥ فأية شدة ولواء !!

قد ثار منذ اليوم من هول الضنى
فتهضبت غضباته فى الماء

أزعمت انك بالرفاه تحيطه
اغرب ‥ فانك أنت بيت الداء

أنظر الى الفلاح ينخره البلى
ويسير من نار الى رمضاء

أنظر الى العمال كيف ترنحت
خطواتهم ملتاثة الاعياء

الكادحون سرقتهم حيواتهم
وأضفتها نعماء على نعماء

أو ما سفحت دماءهم وجعلتها
ارهاقة للقلة الفضلاء

مرغت أهل الشرق فى خبل الطوى
وخلقت أجيالا من العظماء

لن يصنعوا التاريخ فى عليائهم
فليترك التاريخ للدهماء

هو ملكها ‥ وقضاؤها يجرى به
عبر الحوادث ـ فوق كل قضاء

يا أيها المستعمر امض الى مدى
نكد على طبق من الاشلاء

وخذ الضحايا سادرا ، ومضللا
وأرم السلام بكفك الشلاء

قد جئت فى الشرق الكريم بعصبة
زودتها بالمال والاجراء

نهضت فلسطين الجراح ‥ وربما
أنت ‥ فقيل تعصب الجهلاء

همان ·· صهيونية مدفوعة  مجنونة للتخريب والافناء

ونكير بطشك فوق أعراف الربى  كالعار يرهق خاطر العذراء

لتضلل الاحرار فى ضرباتهم  ما تلك غير خديعة شمطاء

أو لست ظفر الغول ينفخ باللظى  أو لست ناب الحية الرقطاء

ان الغلالات التى استرهقتها  لتظل فوق التربة الخضراء

تهتك الاسداف عما خلفها  وتبين عن أطماعك العمياء

ماذا تريد وها هناك ·· وها هنا  تتفجر الدنيا من الغلواء

جرح يسيل من الجحيم وهزة  تفضى الى الحرية الحمراء

كم وثبة تحت الضلوع كليمة  مشحونة بالانة السجراء

ناحت بها الجنبات وهى كظيمة  فتطلقت كالذرة الهوجاء

قد ألهب السوط الظهور ودمدمت  تحت الجوانح رعدة البغضاء

فالأسد فى وديانها مشبوبة  والجن منتفض من الصحراء

حمم من الويل يفجرها الجوى  من منبع الحرمان والبأساء

لا آمن منذ اليوم قد جن الظما  ومقامنا الصديان فوق الماء !

وقد التقى الاحرار بعد تباعد  نكر ·· فأى مدى ·· وأى لقاء !

فستبلغ الايام من تفريقهم  ما يبلغ الصياد من عنقاء ··!

ما أروع الاحرار فى ضرباتهم  كالسيل لا ·· كالزعزع النكباء

طاقات امكان ستنشىء فى غد  دنيا تسير على ود واخاء

أما لنهدم عالما مترنحا  وغدا سنبنيه وأى بناء

نبنيه من دمنا · ومن زهر الصبا  يتأود الأنغام والأضواء

**تحيــة الشعب السودانى**
**عبــده ذهب**
**عن جماعة أم درمان**

أيتها الزميلات ، أيهــا الزملاء :

خلقت عصبة الامم نظــام الانتداب ، وبمقتضاه وضعت فلســـطين الشقيقــة تحت الانتــداب البريطانى وبمعنى آخر تحت استغلال بنــوك انجلترا الخمسة ولخــدمة الامبراطورية البريطانية البرية ٠

وقبل ذلك بعقــدين كان الانجليز قــد اكتسحوا مصر ، ثــم السودان لاستغلال أشنع ٠

وقبل ذلك وبعــد ذلك كانت الاستعمارية الانجليزية مصطحبة برفيقتها الفرنسية قــد طوقت العــالم بسلسلة واحــدة طلاؤوها الظــاهر ، الاخذ ــ كما ادعوا ــ بأيدى البــلاد المتأخرة الى مدارج الرقى والحضارة ، وجــوهرها الاستغلال المفضوح ٠

ولكن الشعوب لم تهــدأ يوما : ففى مصر حدثت ثورة عام ١٩١٩ وفى السودان اشتعلت أخرى عام ١٩٢٤ وفلسطين لم تنم منذ اقرار الانتداب ٠

ومما زاد الطين بلة ذلك الوعــد المشؤوم وعــد بلفور ، بجعل فلسطين وطنــا قوميــا لليهود الوعــد الذى قابله الشعب الفلسطينى قرابة نصف قرن بالكفاح والكفاح وكاد أن ينتصر لولا تلك العنصرية البغيضـــة التى أخذ الاستعمار وربيبته الصهيونية تفرق بهــا بين جماهير اليهود البائسة ، وجماهير العــرب الشقية ٠

والى عهــد قريب ، أيتها الزميلات وأيها الزملاء كان الشعب السودانى يشترك اشتراكا عاطفيــا فى حوادث فلسطين المكافحــة ضــد الاستعمار ، اذ أنه كان يحس بأنه مظلوم وأن فلسطين مظلومة مضطهدة مثله ٠

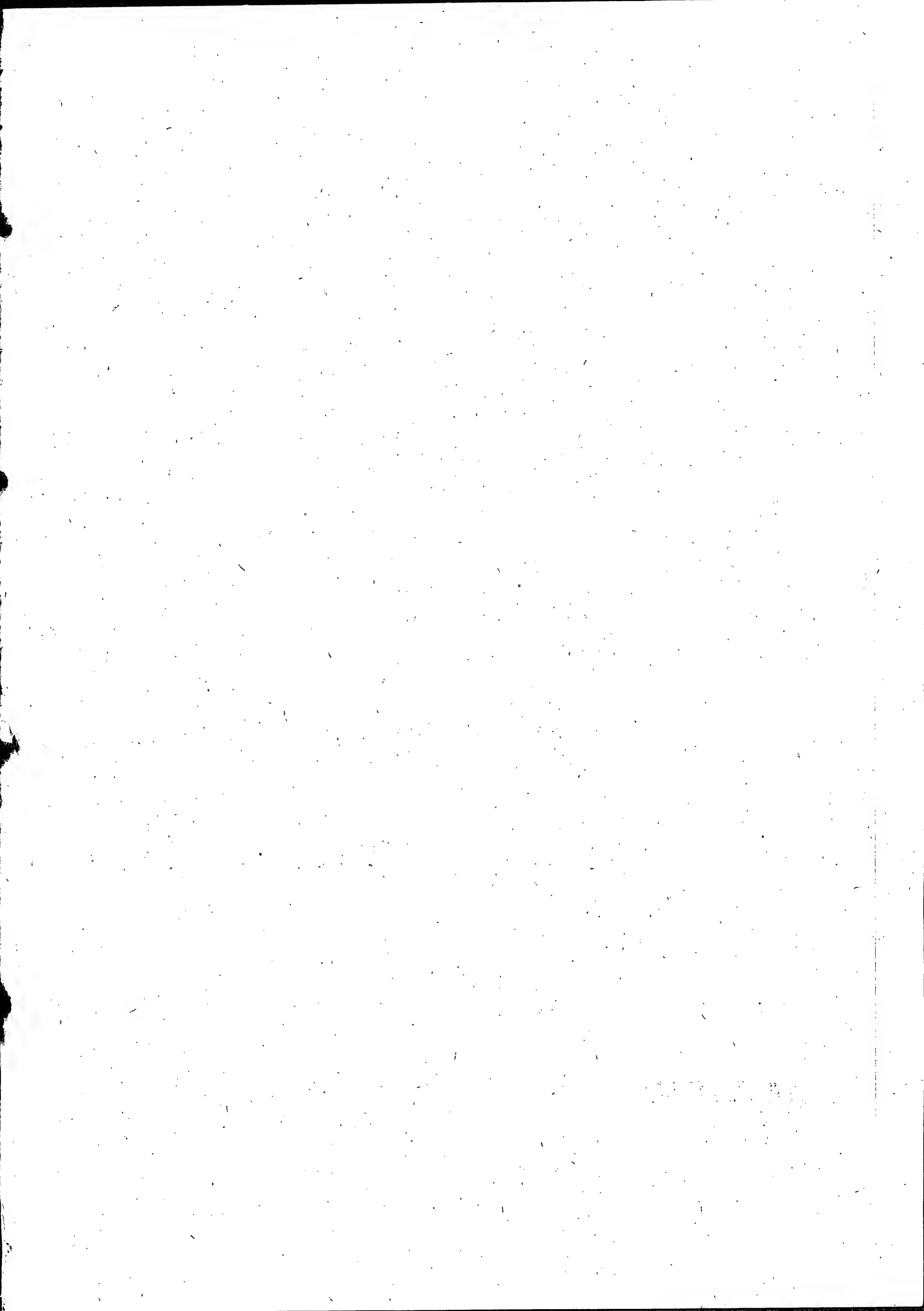
ولم يكن الشعب السودانى ليظل عاطفى المساهمة فى حوادث فلســطين الى أبد ٠٠٠ *

---

* بقية الصفحات منزوعة ٠

# وثائق

الحركة المصرية للتحرر
الوطنى



وقد اعتاد كوادر الحركة الشيوعية المصرية على تسميتها (ح٠م) أو ( حمتو ) ، ويمكن القول بأنها كانت من أوائل المنظمات الشيوعية التى نشأت فى مطلع الاربعينيات وأكثرها شعبية ٠

وقد تميزت « ح٠م » فور نشوئها بتبنيها لشعار « التمصير » بمعنى أن يكون الكادر الاساسى كله أو غالبيته العظمى من المصريين ، وبعد « التمصير » كان هناك أيضا شعار « التعميل » بمعنى الاسراع بكسب وتربية كوادر عمالية ودفعها لاحتلال مكان القيادة فى المنظمة ٠

وقد جابهت هذا التنظيم منذ قيامه مهمة تحديد موقف متميز من قضايا عديدة قومية ووطنية واجتماعية واقتصادية وتحديد شعارات متميزة عن شعارات البرجوازية تجاه هذه القضايا ٠٠

وقد اعتادت قادة « ح٠م » أن تكلف أحد أعضاء قيادتها بدراسة القضية موضوع النقاش واعداد تقرير مفصل عنها ثم تقديمه كمادة للنقاش أمام اللجنة المركزية للتنظيم ٠

وهذه الوثيقة التى نقدمها الآن هى التقرير الاول الذى طرح على اللجنة المركزية للتنظيم لدى مناقشة القضية الفلسطينية ، ومن هنا تكتسب هذه الوثيقة أهميتها التاريخية ذلك أنها توضح الخلفية الفكرية للقرارات والمواقف التى اتخذها هذا التنظيم فى هذه الفترة وما تلاها ٠

وان كنا لا نقرر أن التنظيم قد وافق على مجمل هذه الوثيقة انما هى مجرد أفكار لاحد قادته أعدت كمشروع للمناقشة ٠

ولعل هذه الوثيقة ـ وبغض النظر عما احتوته من آراء قد يختلف أو يتفق معها القارىء ـ توحى بعمقها وبالجهد المبذول فيها ، بالجدية التى أخذت بها « ح٠م » القضية الفلسطينية ـ وتطوراتها ٠

## المشكلة الفلسطينية *

## : التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى للبلاد

## ب : الهستادروت والتعاونيات

الموقف الراهن فى فلسطين هو بطبيعة الحال نتاج للتطورات السياسية والاجتماعية التى حدثت هناك خلال العشرين عاما الاخيرة ، فعندما حلت انجلترا مكان تركيا فى ممارسة القهر بدعم من المستعمرين الصهيونيين ، غدا تطور البرجوازية الوطنية الصناعية تطورا طبيعيا أمرا شديد الصعوبة بالنسبة لبلدان الشرق الاوسط الاخرى .. وقد أدى ذلك أيضا الى صعوبة تكون طبقة من المثقفين الوطنيين المستنيرين تستطيع ممارسة الحكم . وهكذا فان الطبقة التى كانت تمارس القيادة خلال الاحتلال التركى والتى انبثقت أساسا من الطبقة الاقطاعية قد استمرت فى التصدر مع قليل من التكيف مع الظروف الجديدة ( أى الرأسمالية ) ، وهكذا فقد باشرت استغلالها للفلاحين من خلال شكل الرأسمالية الزراعية لكبار ملاك الاراضى العرب . وكان هؤلاء هم الذين يشكلون ـ والى وقت قريب ـ العامل الأساسى فى تحديد السياسة الفلسطينية من جانب السكان العرب .

---

* عثر على أصل هذه الوثيقة ضمن بعض الاوراق الشخصية لهنرى كورييل ، أحد مؤسسى تنظيم ح.م. وثمة دلائل عديدة تؤكد أن كورييل هو صاحب هذا التقرير ، وهو الذى قدمه للجنة المركزية للتنظيم ، كأساس لسياسة التنظيم تجاه القضية الفلسطينية ، والاصل الذى عثرنا عليه عبارة عن نسخة كربونية من تقرير مكتوب بالالة الكاتبة الفرنسية . وعنوانه : Le Probleme Palestinien وتنتهى الوثيقة بعبارة
وقد قمنا بترجمته الى اللغة العربية مراعين الدقة الواجبة التى تحفظ للوثيقة قيمتها التاريخية .

وكانت قاعدتهم الاقتصادية تقوم على أساس زراعة واحدة هى الموالح وبذلك أصبح التطور الحديث للامة العربية الفلسطينية ناقصا مثله مثل تطور بقية جيرانها من العرب فى منطقة الشرق الأوسط ٠

أما عن التطور الصناعى للبلاد فقد تأثر منذ عام ١٩٢٠ بهجرة اليهود الذين حملوا معهم رؤوس أموالهم ، وتأثر أيضا بتصدير رأس المال الانجليزى الى البلاد بتزايد مضطرد وهذه الاموال الانجليزية كانت اما تستثمر مباشرة بواسطة شركات انجليزية ، أو يتولى استثمارها المهاجرون اليهود ٠ وهكذا أبعد العرب عن السيطرة على أهم القوى الانتاجية فى بلادهم ٠ ولم تستطع البرجوازية اليهودية التى نشأت فى مثل هذه الظروف ـ أو بالدقة لم تنشأ ـ أن تستعين بحركة الشعب الفلسطينى للعمل لتحرير البلاد ، خاصة وأن الشعب كان يتكون أساسا من العرب ، ولم يكن باستطاعته الوثوق باليهود وهم عناصر أجنبية منعزلة عن حركته ٠ وكان المهاجرون اليهود فى هذه المرحلة خاضعين لسيطرة الانجليز خضوعا تاما وكانوا مجرد أداة فى يد الاحتلال ٠ فى حين ظهرت فى صفوف الشعب ـ بعد ذلك ـ طبقة عاملة منظمة ( أغلبها من اليهود ) وقدمت مطالب مستقلة ، وكان تنظيم مثل هذه الطبقة يمثل خطرا داهما على البرجوازية ٠

لقد كان الصهاينة منذ البداية ، أى منذ عام ١٨٣٨ أداة دعم ومساندة وعمالة للامبريالية فى فلسطين ( راجع كتاب ريناب من ص ٧٥ حتى ص ٨٠ ) وكان الصهاينة يشكلون الاغلبية الساحقة ليهود فلسطين ، ويتطلعون دوما لتعزيز مركزهم تجاه السكان العرب ، والعمل على احكام قبضة استغلالهم لهم ٠ أما كبار الملاك العرب فكلما ازداد عداء اليهود لهم كلما ازداد بحثهم عن حماية امبريالية أخرى وهكذا لعبت الامبريالية الالمانية دور الملهم لكبار الملاك العرب ، ثم ما لبثت الفاشية أن لعبت دورها أيضا ٠

## كيف كان الموقف الاقتصادى فى عام ١٩٣٦ ؟

وصل رأس المال الانجلو ـ أميركى فى ذلك الحين الى ٣٠ مليونا من الجنيهات ومما يذكر فى هذا الصدد ، ان اهتمام اميركا بفلسطين يرجع الى عام ١٩٢٤ ، ان لم يكن قبل ذلك ٠ ففى تلك السنة ، وقعت الحكومتان الانجليزية والاميركية اتفاقية تضمن عدم الشروع فى اعداد اجهزة ولوائح الدولة الفلسطينية دون اتفاق مسبق بينهما ٠

وكانت الامتيازات تمنح منذ أمد لاستغلال البحر الميت ، وبناء مولدات للكهرباء على ضفاف نهر الاردن ، وأقيم مصنع للاسمنت بالقرب من حيفا ٠

وكان رأس المال الانجليزى يحتفظ لنفسه فى كل مكان بنصيب الاسد ؛ ليس هذا فحسب ، بل أنه كان يسيطر أيضا على واردات فلسطين ، ولما كانت واردات فلسطين أكثر من صادراتها فقد حصل الرأسماليون الانجليز - وباستمرار - على اعتمادات دائمة بالعملات الانجليزية على حساب الشعب الفلسطينى ، وبتزايد الواردات على الصادرات تأثرت أيضا حصيلة البلاد من الجمارك ، ويكفى أن نسبة الواردات الى الصادرات وصلت فى فلسطين عام ١٩٣٥ الى ٥٥٠٪ ٠

**الحصيلة الجمركية السنوية**
**الوحدة المستعملة ( مليون ليرة فلسطينية )**

| السنة | الحصيلة |
|---|---|
| ١٩٢٤ - ١٩٢٥ | ٦،٣ |
| ١٩٢٥ - ١٩٢٦ | ٥،٣ |
| ١٩٢٦ - ١٩٢٧ | ٤،٥ |
| ١٩٢٧ - ١٩٢٨ | ٥،٣ |
| ١٩٢٨ - ١٩٢٩ | ٥،٤ |
| ١٩٢٩ - ١٩٣٠ | ٥،١ |
| ١٩٣٠ - ١٩٣١ | ٤،٢ |
| ١٩٣١ - ١٩٣٢ | ٤،- |
| ١٩٣٢ - ١٩٣٣ | ٧،٩ |
| ١٩٣٣ - ١٩٣٤ | ١١،٣ |
| ١٩٣٤ - ١٩٣٥ | ١٣،٥ |

وبطبيعة الحال فان النسبة العالية من هذه الواردات كانت تستورد من انجلترا ومن ثم فان العائد الاكبر من الفائدة كان يرجع اليها ، فمن بين ستين دولة تورد منتجاتها الى فلسطين تحتل انجلترا المركز الاول (٢٥٪) بينما تورد ألمانيا (١٢٪) والولايات المتحدة ( ٨٪ ) ٠

وكانت حصيلة الجمارك تشكل فى فلسطين فى عام ١٩٢٠ نسبة ٢٣٪ من ايرادات الحكومة ، أما فى عام ١٩٢٥ فقد ارتفعت هذه النسبة الى ٥٠٪ ومن ثم فقد وجد فائض فى الايرادات كان يتزايد باستمرار فقد بلغ عام ١٩٣٢ مبلغا قدره ٤٩٩ر٥٢٣ ليرة فلسطينية ثم وصل الي ٢ر٢٢٢ر٦٢٣ ليرة عام ١٩٣٥ ٠

وهكذا فاننا نجد أن هذا السيل من الواردات يتفق تماما مع المصالح البريطانية ، خاصة واذا وضعنا فى الاعتبار نوعية هذه الواردات التى تتضح من الجدول التالى :

**( بالليرة الفلسطينية )**

| **السلعة المستوردة** | **القيمة عام ١٩٣٠** | **القيمة عام ١٩٣٤** |
|---|---|---|
| **مواد استهلاكية** | ٥،٤٦٠،١٤٤ | ١٢،١٢٠،٠٠٠ |
| مواد أولية ومنتجات مصنعة | ٥٩٧،٥٧٤ | ١،٠٦٠،٠٠٠ |

وتنقسم الواردات الى ما يلى :

| السلعة | النسبة المئوية |
|---|---|
| مواد غذائية | ٢٣٪ |
| منتجات مصنعة | ٥٤٪ |
| موارد أولية | ٨ ٪ |
| خلافه | ١٥٪ |

كذلك فان بريطانيا تستأثر بالميزات الاساسية فى مجال الصادرات الفلسطينية أيضا ، فهى تحتل المرتبة الاولى أذ تنال ٥٧،٩٤٪ من الصادرات الفلسطينية ، تليها ألمانيا ( ١٨٪ ) - وتستوردان أساسا الموالح والصابون والزيوت وتشكل الموالح بشكل عام العنصر الاساسى فى الصادرات الفلسطينية وتتزايد نسبتها باستمرار من هذه الصادرات كما يتضح من الجدول التالى :

**نسبة صادرات الموالح الى اجمالى الصادرات**

| **السنة** | **النسبة المئوية** |
|---|---|
| ١٩٣٠ - ١٩٣١ | ٤٨٪ |
| ١٩٣١ - ١٩٣٢ | ٥٦٪ |
| ١٩٣٢ - ١٩٣٣ | ٧٢٪ |
| ١٩٣٣ - ١٩٣٤ | ٧٥٪ |

وابتداء من عام ١٩٣٦ بدأت مرحلة جديدة من مراحل التطور فى فلسطين فقد تهيأت الاسباب اللازمة لتحققه ، وبدأت الطبقات الغنية فى الاستقرار والثراء ، وكان طبيعيا أن تحاول الخروج من السيطرة الاستعمارية . لقد نمت البرجوازية ، ونمت معها الصناعة . وبينما كان رأس المال المستثمر فى الصناعة ( بخلاف الحرف ) ٣،٠٠٠،٠٠٠ ليرة فلسطينية ، زاد فى ١٩٣٥

الى ٧،٥٠٠،٠٠٠ ليرة فلسطينية ، وذلك بسبب التزايد المستمر فى رؤوس الأموال المستثمرة .

وقد وصل عدد المهاجرين ( اليهود ) الذين يمتلك كل منهم ألف ليرة فلسطينية على الاقل الى ٧٢٧ شخصا عام ١٩٣٢ ، وارتفع الى ٣٢٥٠ شخصا عام ١٩٣٣ ، ثم الى ٥١٢٤ شخصا عام ١٩٣٤ ، ٦٢٠٩ شخصا عام ١٩٣٥ ، أما الودائع فى البنوك الفلسطينية فى ذلك الحين فقد تصاعدت خلال هذه السنوات أيضا من ٤،٥٠٠،٠٠٠ليرة الى ٧،٠٠٠،٠٠٠ ليرة ثم الى ١٢،٥٠٠،٠٠٠ ليرة ، ثم الى ١٦،٠٠٠،٠٠٠ ليرة فلسطينية .

وقد جاء فى مجلة « اقتصاد فلسطين » عام ١٩٣٦ وفى المقال الخاص بالاستثمارات اليهودية أنه « يمكن فى كثير من الاحيان الحصول على قروض قصيرة المدى من أغلب البنوك ، وتتصدر قائمة هذه البنوك ، عدد من البنوك الكبرى مثل بنك الانجلو فلسطينى ، وبنك باركليز والبنك العثمانى ، وبنك روما » وتقول المجلة نفسها « ان عملية اعادة بناء جهاز الدولة تسمح بدفع فوائد عالية على القروض الامر الذى يعنى أن فلسطين تجذب دائما المزيد من رؤوس الاموال ، التى يمتلكها حتى هؤلاء الذين لا يقيمون فيها ، وبرغم ارتفاع نسبة الفائدة ، فان الضمانة جدية ، فنحن نجد مثلا أنه فى حالة الرهن فان القرض لا يزيد عادة عن ٥٠٪ أو ٦٠٪ من قيمة البناء ودون احتساب لقيمة الارض » . وهناك امكانيات عديدة لاستثمار رؤوس الاموال والحصول على ربح جيد ومضمون فى مجال الزراعة ، فالعائد المرتفع لحدائق البرتقال ونظام الرهن ونظام الضرائب تجعل من هذه الاستثمارات شيئا مغريا بصفة خاصة ، وهناك فوق ذلك كله العنصر الايديولوجى .. هذه بايجاز لمحة عن موقف أصحاب رأس المال الصهيونيين ونشاطهم .

وهناك سمة مميزة لنظام الضرائب فى فلسطين وهى انخفاض نسبة الضرائب المباشرة وارتفاع نسبة الضرائب غير المباشرة ، ذلك أنه عند وضع أسس هذا النظام كان الريف فقيرا الى درجة تجعله عاجزاً عن دفع المزيد ، ومن ثم فقد ألقى العبء على سكان المدن فى صورة ضرائب غير مباشرة . وقد وصف الدكتور جرانوفسكى ممثل الوكالة اليهودية حالة الفلاح فى فلسطين فى عام ١٩٣٦ فقال « ان الفلاح فى حالة بؤس شديد ، الى درجة أن أية زيادة ولو طفيفة فى الضرائب سوف تؤثر فيه وتفيض بكأس بؤس » وقال زميله أوسسكين فى أحد خطبه « اذا ما تحسنت أوضاع الزراعة ، فسوف تسوء احتمالات شراء الاراضى » وهذان التصريحان

يفضحان تماما أهداف زعماء الوكالة اليهودية ، ويجب أن نقول ان حكومة فلسطين كانت تساعد على تحقيق هذه المطامع ٠

وفى صفحات مقبلة سوف نتعرض بالدراسة للوضع الاقتصادى الراهن فى فلسطين أما الان فلنعد مرة أخرى الى منتصف عام ١٩٣٦ فقد تدهور الوضع السياسى الى درجة كبيرة بسبب التدخل الفاشى فى الشرق الاوسط، والسهولة الفائقة التى تحقق بها هذا التدخل ، وبسبب احتلال أثيوبيا ، وكان هناك أيضا تزايد تدخل الولايات المتحدة فى النواحى الاقتصادية وخاصة بعد أن استعاد الاقتصاد الامريكى مكانه بعد أزمة وول ستريت وقد أدى ذلك كله الى تغير موقف بريطانيا تجاه الصهيونية ، فلم تؤيدهم ، ولما ازدادت أحاديث السكان الفلسطينيين عن التعاون العربى ـ اليهودى أثارت سلطات الانتداب القلاقل التى شكلت جوا ممتازا للالاعيب الرجعية ٠

وعندما بدأ نجم الفاشية فى الافول بعد يونيو ١٩٤١ أخذ الرجعيون العرب يبحثون عن وصاية جديدة ، ومن ثم فقد بدأوا ـ هم أيضا ـ فى التقرب الى الامبريالية الانجليزية فلقد وجدوا أنه يجب وأنه يمكن عقد صفقة معها ٠

ولقد وجدوا أن مثل هذه الصفقة ضرورية لمجابهة ذلك التأييد الذى اتخذ طابعا عالميا واسعا ـ للرأسمالية اليهودية فى فلسطين ، وذلك بعد أن ثبتت قابلية فلسطين لاستقبال رؤوس الاموال ، وكانت هذه الصفقة ضرورية أيضا لان الرجعية العربية لم تكن قادرة على الصمود وحدها أمام الاضطرابات المتزايدة فى صفوف الشعب العربى ومع احتمالات خروج السكان اليهود من تحت سيطرة الوكالة اليهودية ليتحولوا الى قوة ديمقراطية لايمكن أن تعارضها ٠

وكانت هذه الصفقة ممكنة ـ لان سياسة الامبريالية ، أو بمعنى أدق أسلوبها قد تغير ، ذلك أن انجلترا لم تعد تتعامل فى فلسطين مع رأسماليين يهود مبتدئين وانما مع طبقة نشيطة ذات صلات دولية واسعة ، وغدا من الصعب التحكم فى انطلاقها ذى الطابع الدولى ، هذا بالاضافة الى أنه كان يتعين عليها مجابهة تصاعد قوى وطنية نشيطة فى فلسطين ، وهناك أخيرا ذلك التقليد المعروف والذى يدفع الامبريالية الى مساعدة مختلف المعسكرات بحثا عن توازن للقوى ينهك أعداءها ويشكل أفضل الضمانات بالنسبة لها ٠

لكل هذه الاسباب وبالرغم من وعد بلفور ، ووجود حزب حاكم موال للصهيونية لم تقدم انجلترا أي تأييد للاهداف الصهيونية ، ولعل هذا دليل

آخر على أن الحزب الحاكم لا قيمة له ، وان النظريات لا تكفى وحدها ، وان سياسة الدولة تتحور وفقا لارادة الطبقة الحاكمة ، وما على الحزب الحاكم سوى التنفيذ .

على هذا الضوء يمكننا أن نفهم طبيعة زيارة الوفد الاقتصادى العربى الى لندن مؤخرا ، أما الجامعة العربية فهى تساير السياسة الامبريالية الانجليزية ، ولعل خير دليل على ذلك هو موقف عزام بك ، فهو يدافع بشدة عن فلسطين ضد التهديد الصهيونى والتدخل الاميركى ، ولكنه يبدو متسامحا للغاية حينما يتعلق الامر بانجلترا ، وتدل تصريحاته العديدة على ذلك بوضوح .

وبعد أن جاء دور الرجعية العربية فى فلسطين للتعاون مع انجلترا ، سارعت الرجعية اليهودية فربطت مصيرها بالإمبريالية الأميركية ، وبدأ السياسيون الاميركيين المهرة يبدون اهتماما خاصا بالقضية الفلسطينية ، وفى نوفمبر ١٩٤٤ نشر « المجلس الاميركى للشئون العامة » دراسة تقول « ان الرخاء والسلام العالميين يتطلبان قيام سياسة أميركية بناءة تجاه المشكلة الفلسطينية » وأوردت الدراسة اشارات لاتجاهات أميركا فى التدخل فى هذه المشكلة منها « ممارسة ضغط متزايد على انجلترا حتى توافق على قبول عدد أكبر من اللاجئين فى فلسطين الا اذا فضلوا الاقامة فى أماكن أخرى » ..

وأيضا « وهكذا تأكد أن الظروف لن تستقر فى الشرق الاوسط الا اذا وضعت سياسة مستقرة تجاه كل دولة من دول المنطقة » وأخيرا « ان للولايات المتحدة مصالح اقتصادية أساسية فى الشرق الاوسط » (البروجريه ايجبسيان ٢٩ - ١١ - ١٩٤٤ ) .

ثم تخرج جريدة « جويش كرونيكل » الصادرة فى لندن فى ١٥ - ١٢ - ١٩٤٤ لتعزز هذا الموقف الاميركى بالتدخل فى القضية الفلسطينية بقولها « سوف يطمئن العالم الى أن الولايات المتحدة تهتم بالدول الاجنبية حين يعرف أن لها لصالح عملية ومستمرة فى فلسطين » .

وشعرت لندن بالقلق حيال كل هذه الدعاوى التى تفتح الباب أمام التدخل الاميركى فقال لورد سترابولجى فى ديسمبر ١٩٤٤ أمام « رابطة الدومنيون الفلسطينية » التى يرأسها ، أن اليهود سوف يزدادون فى فلسطين بحيث سيصبحون أغلبية فيها خلال عشرة سنوات أو أقل من ذلك . وقال ان العرب يواجهون بذلك صعوبات ومخاوف وأن المخرج الافضل للقضاء على مخاوف العرب هو أن تتبع فلسطين الامبراطورية البريطانية وتكون منطقة ذات حكم ذاتى ( لابورص ) اجيبسيان ٢١ - ١٢ - ١٩٤٤ ) .

واشتعل الصراع بين الامبرياليتين الانجليزية والامريكية فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية ، وأعلنت الصحف فى ١٧ ـ ٩ ـ ١٩٤٥ أن ترومان أرسل خطابا شخصيا لاتلى يطلب فيه السماح « لحوالى مائة ألف يهودى من سجناء معسكرات الاعتقال الالمانية بالهجرة الى فلسطين » وقالت أيضا « ان مستر بيرنس وزير الخارجية يتفاوض مع الحكومة البريطانية بشأن مستقبل فلسطين » .

ولا شك فى أن هجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين يقضى على السياسة الانجليزية بدون أى مقابل . كذلك فاننا يتعين علينا أن ندرك أن أمريكا والصهاينة يلحون الان بشدة على تهجير هؤلاء اليهود الذين عذبوا فى معسكرات الاعتقال مستخدمين مأساتهم التى هزت المشاعر ، وذلك قبل أن يخبوا تأثير مأساتهم ، ويتلاشى فى أذهان الناس مبرر تهجيرهم لفلسطين ، ولعل هذا هو السبب فى أن القوات الامريكية قد أحاطت بالمعسكرات مانعة اليهود المعتقلين فيها من مغادرتها حتى تظل مشكلتهم ملتهبة ، ولهذا السبب قال أيزنهاور فى تقرير له نشر مؤخرا « ربما أثار قيام قواتنا بحراسة المعسكرات التى كان الجستابو الالمانى يحرسها ، اختلاطا فى الأذهان » ( لابورص أجيبسيان ) ومع ذلك فقد رأينا كيف أفاضت الصحف الصهيونية والامريكية فى الحديث عن المعاملة الوحشية التى تعرض لها اليهود فى معسكرات الاعتقال . وكانت عناوين هذه الموضوعات تلاصق عادة عناوين مقالات أخرى تطالب برفع القيود البريطانية على استغلال بترول الشرق الاوسط وكان الهدف من هذه الحملة هو التأثير فى الرأى العام ، فلما تحقق التأثير المطلوب جاءتنا برقية عن وكالة يونايتدبرس فى ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ تقول أن الجنرال والتر سميث يضع طائرته الخاصة تحت تصرف الصحفيين للقيام بجولة فى معسكرات اعتقال اليهود فورا .

فما معنى ذلك كله ؟

معناه هو ممارسة ضغط عنيف على الحكومة البريطانية لاجبارها على ارخاء قبضتها عن فلسطين .

والحقيقة أن الظروف المعيشية فى معسكرات الاعتقال لم تكن ـ تحت الحراسة الامريكية أى بعد بعد هزيمة النازية بالسوء الذى تحدثت عنه الصحف ، فهى لو كانت سيئة لما أمكن الاستمرار فى اقناع هؤلاء « الضيوف » بالاستمرار فى الاقامة فيها ، ويمكن القول بأن ظروف المعيشة فى هذه المعسكرات لم تكن أسوأ من ظروف الحياة بالنسبة للكثيرين من سكان بلدان أوروبا التى تعرضت للغزو الالمانى . واشتدت الحملة فى الولايات

المتحدة وأخذ أعضاء مجلس الشيوخ ، وبعض الوزراء يقيمو ضجة مفتعلة حول هذا الموضوع ، واشترك فى الحملة عدد كبير منهم ، ولكن عناصر معينة كانت تنشط بشكل خاص فى هذا الصدد ، فكثيرا ما تردد اسم ماك كورمير وآخرين أما باقى أعضاء مجلس الشيوخ فقد كانوا يكتفون بالتوقيع على العريضة تلو الاخرى .

وربما ثار سؤال لماذا كان يمكن اقناعهم بمثل هذه البساطة ؟ وكيف أمكن جر الكثيرين منهم تحت دعاوى الحق والعدل كى يعملوا فى خدمة أيديولوجية عنصرية تضر بكل الشعب العربى .

وللاجابة على هذه السؤال يتعين علينا أن نعود فنذكر بالدراسة التى أعدها « المجلس الأميركى للشؤون العامة » والتى تتحدث عن مصالح الولايات المتحدة فى فلسطين بل وفى منطقة الشرق الاوسط كله . غير أن الامبريالية الاميركية وجدت أنه من الافضل والاسهل أن تحقق مصالحها فى المنطقة بادعاء العمل « لتخفيف آلام آلاف من البؤساء » .

وهكذا فرضت الامبريالية الاميركية على السياسة البريطانية أن تتخذ موقعا أكثر تسامحا وذلك باعلان الرجعية الاميركية بوضوح أنها قد اتخذت قرارا نهائيا ، وبنجاحها بمهارة فى أن تكسب الى صفها جزءا كبيرا من الرأى العام العالمى ، بل وتأييد بعض الاجزاء المتخلفة من الطبقة العاملة ، ولم يعد أمام بريطانيا من طريق ، فهناك « الدمنيون » وهو يتطلب موافقة هيئة يختارها الشعب الفلسطينى بحرية تامة ، وهناك السماح لبضعة آلاف من اليهود بالهجرة الى فلسطين وهو اجراء لا يرضى أحدا ، وهكذا أجبرت السياسة البريطانية على قبول مشاركة الولايات المتحدة لها فيما أسمى بمسؤولياتها فى فلسطين .

وحتى هذا الموقف المتراجع لم يقبله الاميركيون ، فما أن أذيع النبأ حتى سارع الاميركيون باعلان رفضهم له ، واضطر ترومان شخصيا الى تكذيب نبأ لجوء بريطانيا رسميا الى أميركا ، وغدا واضحا من مناقشات مجلس الشيوخ أن هناك — فقط تأييد لفكرة ارسال قوات مسلحة اذا ما تعلق الأمر بوقف اندلاع ثورة عربية قد تنشب بسبب هجرة اليهود (من تصريح للسناتور جونسون ) وأصبح واضحا تماما أن الولايات المتحدة قد قررت انتهاز هذه الفرصة لوضع أقدامها فى الشرق الاوسط .

ومن هنا يتعين على المخلصين من اليهود أن يدركوا أن الامبريالية الاميركية انما تسعى لمصالحها هي ، وانها قد تتخلى دفاعا عن هذه المصالح

عن الصهيونيين كما فعلت بريطانيا من قبل ، بل قد يأتي يوم تحمل فيه يهود العالم مسؤولية توتر علاقاتها مع بريطانيا ، ومن هنا يجب أن نلح فى ابراز خطر تجاهل المتحدثين الرسميين باسم اليهود فى بعض الدول للمهمة التاريخية الملقاة على عاتق اليهود اليوم ، وهى تدعيم المعسكر المناهض للامبريالية فى بلادهم وفى العالم أجمع وتجنيد كل الجالية اليهودية فى بلادهم فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى وانهاء الظلم الاستعمارى ٠

وقد عقد اليوم مؤتمر بترولى بين المستر أيك والمستر شنويل وربما اتسع نطاق مثل هذه المباحثات ، خاصة وأن موضوع فلسطين هو أهم نقطة فى جدول الاعمال فى هذه المفاوضات ٠ وسوف يحاول المستر أيك فى هذا المؤتمر التوفيق بين المشروعات البترولية الامريكية فى الشرق الاوسط وبين الترتيبات السرية البريطانية لمستقبل المنطقة ويقترح الامريكيون بناء خط لأنابيب البترول طوله ١٣٠٠ ميل ويمتد من الخليج الفارسى الى البحر المتوسط على أن تقوم بتنفيذه شركة استاندارد أويل أوف كاليفورنيا ، وشركة جولف أويل كوربوريشن ، اللتين تتمتعان بامتيازات بترولية فى المملكة العربية السعودية والبحرين وأم القوين ٠ والمطلوب ألا يمر هذا الخط بالعراق وانما فقط بالسعودية والضفة الشرقية لنهر الاردن وفلسطين ، وربما أنشىء له فرع يمر بسوريا ولبنان ( طرابلس ) وربما كانت أهم النقاط المناقشة فى هذه المفاوضات هى مطالبة أمريكا بالحصول على قاعدة بحرية على سواحل منطقة الشرق الاوسط ٠ وهذه مسألة ذات أهمية كبرى بالنسبة للسياسة الأمريكية والخاصة بمسألة هجرة اليهود الى فلسطين وباحتمالات اقامة دولة يهودية ( فلسطين بوست ١٩ ــ ٩ ــ ١٩٤٥ ) ٠

ومع ازدياد ضغط الاميركيين بدأت المقاومة الانجليزية تضعف وخاصة بعد وقف قروض الاحتكارات ولا شك فى أن الاميركيين قد أقحموا المسألة الفلسطينية فى المساومات الضمنية التي تجرى بينهم وبين الانجليز فى واشنطن ٠٠ ولنحاول الان أن نرى ماذا بقى لدى الانجليز من امكانيات للمقاومة ؟

هناك أساليب مؤقتة ٠ مثل اثارة القلاقل ، أو تنشيط دور الجامعة العربية بهدف تأجيل عملية الهجرة اليهودية ، وافقاد الثقة فى السياسة الأميركية فى المنطقة ٠ كما يمكن للانجليز أن يسعوا لنشر سياسة معاداة السامية فى الدول العربية كى يستخدموا بعد ذلك ــ ضدها الدبابات ، محاولين أن يظهروا للعالم أن باستطاعتهم ــ هم أيضا ــ مساعدة اليهود حين يتهددهم الخطر ، ومستغلين هذه الفرصة لتحطيم كل امكانيات حركة المقاومة التى بدأت تتضح معالمها فى مصر حيث يحاولون حث الشباب اليهودى والجالية اليهودية كلها على القيام بنشاط صهيونى صاخب ٠

***

وبعد أن تابعنا تطور المشكلة الفلسطينية فى اطارها الامبريالى ، فسوف نحاول الان أن نتابع تطوراتها فى الاطار الداخلى ٠

ولقد اتخذ هذا التطور بطبيعة الحال نفس السمات التقليدية لبلاد محتل ٠ قمع وحشى لاية حركة تقدمية ( ذلك أننا لم نر اضطهادا مماثلا فى وحشيته للاضطهاد الذى تعرض له الشيوعيون فى فلسطين الا فى البلدان الفاشية ) ـ عدم وجود تشريع عمالى جدى ٠٠ الخ ٠

ولقد تأثر النضال من أجل التحرر الوطنى على الدوام بالهجرة الجماعية الى هذا البلد الصغير المتخلف الذى يعيش فيه سياسيون برجوازيون ذوى أيديولوجية صهيونية والحقيقة أن كون الصهيونية لا تستند الى أى أساس علمى لا يجردها مطلقا من فاعليتها الايديولوجية ، ذلك أن فعاليتها الاساسية تنبع من كونها قد تغلغلت فى صفوف الجماهير اليهودية فى فلسطين وفى دول أخرى عديدة ٠ ولا شك فى أن مثال الفاشية لا يزال ماثلا فى الاذهان موضحا لنا مدى النتائج الضارة التى يسببها انتشار أيديولوجية خاطئة فى صفوف جماهير معينة ، وأثر ذلك على الشعور بالعداء بين العرب واليهود ويلعب دورا فى ذلك الطابع « البرجوازى » للبروليتاريا اليهودية فى فلسطين ، وخاصة فى موقفها من التعاونيات ، واتجاه العمال اليهود الى النشاط الحرفى والتجارى ما أن تسنح لهم الفرصة بذلك ٠

وهكذا ينشأ من ضعف البروليتاريا العربية وضعف البروليتاريا اليهودية أيضا موقف متطرف تتأثر به الجماهير ذاتها ، مثل الارهاب المناهض لليهود والذى تمارسه بعض العصابات العربية والتى تلقى ـ أحيانا ـ تأييدا من الجماهير العربية ، ومن ناحية أخرى مثل المطالبة بانشاء دول يهودية ، وهو مطلب يوافق عليه أغلب السكان اليهود ٠ بيد أن الصهاينة الفعليين لا يعنون بالدولة اليهودية ، دولة مستقلة ، بل دولة يطرد منها العرب ويحرمون من العودة اليها ٠

وأيا كان الامر فاننا يجب أن نعترف بأن هذه السمات قد أثرت حتى على الاوساط التقدمية اليهودية والعربية معا ، والتى اتضح ارتباطها ـ بشكل أو بآخر ـ بأفكار طبقتها البرجوازية ٠ بل لقد أدى ذلك الى انقسام تام فى صفوف الحزب الشيوعى تمثل فى تجمع العرب وحدهم واليهود وحدهم منذ عام ١٩٤٣ ٠

ولكى نفهم هذه الظاهرة يتعين علينا أن نرجع ٢٥ عاما الى الوراء بذور الايديولوجية التقدمية Poale Sion Smol حينما أدخل أنصار حركة

الى فلسطين ، ثم انفصل من هذه الحركة أفضل عناصرها وشكلوا مجموعة جديدة تحولت الى حزب شيوعى فيما بعد • واضطر الحزب للعمل فى سرية تامة ، وبسبب أصل كوادره وضعف ارتباطها بالجماهير ( وخاصة العربية ) سرعان ما اتخذ موقفا انتهازيا تجاه الصهيونية • فأدى به هذا الموقف الانتهازى الى مزيد من الضعف • ويتلخص الموقف الانتهازى لهذا الحزب فى عدم قيامه بتحليل طبيعة الصهيونية تحليلا عميقا ودقيقا ، وكان فى أحيان عدة يتغاضى عن طابعها الرجعى ، بل ويتقرب اليها ، وفى أحيان أخرى كان يلجأ الى الارهاب لمحاربتها وازدادت أخطاؤه التكتيكية وتراكمت بسبب تذبذبه وضياعه المذهبى ، وانتهى الامر الى أن ادانته الدولية الثالثة فى مؤتمرها السابع ( أشار أعضاء الحزب الى هذا الامر دون أن يقدموا ايضاحات كافية ) ، وبالرغم من ذلك عجز الشيوعيون الفلسطينيون عن اتباع خط أكثر فاعلية فيما بعد • وثمة سبب آخر لضعف الحزب الشيوعى هو أن أفضل الكوادر اليهودية كانت تبعد عن البلاد ( الى بلادها الاصلية ) عقب القاء القبض عليها ، وبذلك حرم الحزب من التجربة الجماعية المستمرة وتعرض دائما للاستنزاف ، وكثيرا ما شعرت الكوادر الباقية بهبوط حاد فى معنوياتها •

وتبلور الوضع فى ١٩٤٠ عاكسا كل الماضى الثقيل على النحو التالى :

١ ــ أظهرت بعض العناصر ــ وخاصة العربية ــ اتجاها شوفينيا اذا كانت لا ترى فرقا بين يهود فلسطينيين عامة وبين الصهيونيين خاصة وأن مجرد وجود هؤلاء اليهود فى فلسطين كان يعنى أن لديهم صلات تتفاوت قوتها بالصهيونية • ومن الملاحظ أن نفس هذه العناصر أظهرت موقفا سلبيا تجاه كثير من المواقف النضالية • وترتكب هذه العناصر خطأ كبيرا ألا وهو تجاهل تعاليم ستالين التى تقول ان الشيوعيين يجب أن يهاجموا بورجوازيتهم أولا • ولكن ما الذى يفعله الشيوعيون العرب ؟ أنهم يملاون صفحات جرائدهم بهجوم على الصهيونية ويتركوا جانبا مهاجمة الرجعية العربية وهم بهذا انما ينفذون الاهداف الرجعية ، ذلك أنه لن يمكنهم أبدا أن يرفعوا أصواتهم ضد الصهيونية أكثر مما تفعل البرجوازية العربية وصحفها وهم على أى حال لن يصبحوا بهذه الطريقة مؤهلين لاى كفاح جاد •

ويتفق السكان العرب جميعا على ادانة الصهيونية فما جدوى أن يضاعف الشيوعيون العرب هذه الادانة ؟ ان الواجب عليهم أن يعملوا على ألا تتحول معاداة الصهيونية الى معاداة لليهودية •

كما ينسى الشيوعيون العرب أن المشاكل العربية قد تطورت فى العشرين عاما الأخيرة وأن الشيوعيين لا يمكن أن يظلوا على نفس موقفهم الماضى تجاه

يهود فلسطين اذ يوجد اليوم سكان يهود فى فلسطين لهم سمات مميزة تختلف تماما عن يهود الدول الأخرى وهم سكان لهم ثقافتهم الخاصة ولغتهم الخاصة ومؤسساتهم الخاصة • سكان يتكون ربعهم على الأقل من العمال والفلاحين وأخذوا يتخذون سمة الشعب العامل ، والسكان اليهود فى فلسطين يحتلون مركزا هاما فى الصناعة ولهؤلاء حقوق قومية لا يمكن لأى دولة ديمقراطية أن ترفض منحهم اياها وعلى الشيوعيين النضال من أجل ذلك عليهم منح هؤلاء السكان كل حقوقهم السياسية بما فى ذلك حق الانفصال • ولكن ما الذى يقوله الشيوعيون العرب ؟ ان فلسطين دولة عربية يجب أن ظل كذلك ، وهم بذلك ينكرون الواقع أيا كانت الأسباب التى فرضته وبذلك ينكرون النظرية الستالينية •

٢ – ومن الناحية الأخرى يبرز فى صفوف اليهود اتجاه يضم كل التيارات ( الصهيونية ) سواء فى صفوف يهود العالم أجمع أو فى صفوف يهود فلسطين والمهاجرين ، ويذهب هذا الاتجاه الى حد انكار السمة الأساسية الرجعية للصهيونية • قد تغيرت طبيعة المشكلة اليهودية فعلا من جراء هذا الاتجاه • ففى أوربا أصبح العديد من اليهود غير مرغوب فيهم لانهم لا يستطيعون التكيف مع الظروف الجديدة وأصبحوا يشكلون عبئا على الشعوب • وفى فلسطين يقول هذا الاتجاه كانت الصهيونية رجعية طالما كانت تنفذ أغراض الامبريالية البريطانية وتستغل الأيدى العاملة العربية ( التى تتقاضى أجورا أقل والمتوفرة بأعداد أكبر بالنسبة للأيدى العاملة اليهودية النادرة ) • ولكن الآن وبينما أصبحت الصهيونية على ما يبدو فى تعارض مع الامبريالية البريطانية وبدأت تعمل على تكوين بروليتاريا يهودية والعديد من التعاونيات الانتاجية والتعاونيات الاستهلاكية وعلى تطوير الزراعة وبعد أن تشكلت قومية يهودية فى فلسطين فقد غدا من الضرورى اتباع موقف جديد تجاهها • هذا هو ملخص ادعاءاتهم •

ولكن ينسى أصحاب ومؤيدو هذا الاتجاه **أولا** : أن الناحية الرجعية القديمة فى الصهيونية لم تختف كما يدعون بل أزدادت كثافة وعمقا •

فقد تعززت علاقاتها بقوى امبريالية أكثر خطرا وأصبحت بالفعل عميلا للامبريالية الأميركية كما أن أصحاب هذا الاتجاه لا يرون أن الصهيونية تستغل الأوضاع الراهنة فى فلسطين لزيادة استغلال الطبقة العاملة التى تكونت حديثا •

ولقد ذهب الجناح المتطرف لهذا الاتجاه الى أن الانفصال عن الحزب وتكوين حزب Ahjyout A, Communisti الذى يشن هجوما شديدا

على الحزب الشيوعى الفلسطينى حتى انه ليبدو أن هذا هو السبب الوحيد لقيـــامه ٠

كما انفصلت عنه مجموعة صغيرة هى جمـــاعة EMET وقـد تبـلور الانقسام الفعلى فى الحـزب عام ١٩٤٢ بعـد اثارة قضية هل يتعين على الحزب الاشتراك أو عدم الاشتراك فى الاضراب الذى نظمه الهستادروت ٠

والحقيقة أن تطورات الحرب ونتائجها لم تعدل كثيرا من موقف هـذه الجماعات ، والجناح الاول من الشيوعيين والذى يصدر صحيفة « الاتحـاد » ويتمسك بمـا ورد فيهـا من آراء يرى أنـه من حـق اليهـود الهجـرة الى فلســطين ولكـن من يعيش منهـم فيهـــا أصـــلا يجب أن يتمتع بالحقوق الديمقراطية التى يمكن أن يتمتع بها الجميع فى كل الدول الاخرى : فمن حقهم مثلا أن يصبحوا مواطنين فلسطينيين بعـد أن تغدو فلسطين دولة مستقلة وديمقراطية ٠ ولهذه الجماعة صلات عمالية كبيرة فى أوساط البروليتاريا العربية ( ١٠٠،٠٠٠ ) يشترك ١٨،٠٠٠ عامل منهم فى جمعية العمل وهى منظمـة نجحت مؤخرا فى استبعاد العناصر الرجعية من صفوفها ويتمثل هذا الاتجاه فى عصبة التحرر الوطنى ( العرب ) وتشرف اللجنة المركزية لهذه الحركة على صحيفة « الاتحاد » ٠ وهناك أيضا رابطة المثقفين العرب التى تزداد نموا والتى يتجمع أنصارها حول مجلة أسبوعية تدعى « الجهاد » يبدو أنه سيكون لها شأن هام فى المستقبل ٠

أما الجناح الثانى فيتمثل فى الحزب الشيوعى ( اليهود ) وهو يرى فى أن الجالية اليهودية ( التى تزيد عن ٧٠٠ ألف نسمة ) ليست مجرد أقليـــة ليس لها حقوق قومية ، خاصة وأنها تسيطر على أغلب الانشطة الاقتصادية فى الدولة ويميل هذا الاتجاه الى فكرة « القومية الثنائية » ( وربما كان يعنى بذلك وجود ادارتين مستقلتين تماما لهما جهاز تنفيذى مشترك أو حتى ليس لهما مثل هذا الجهاز ) بعد التحرر من يد الاستعمار ٠

وقد أعلن الحزب الشيوعى ( اليهود ) فى آخر مؤتمر له عقده فى سبتمبر ١٩٤٥ معارضته للكتاب الابيض ( مع العلم بأن جماعة جريدة « الاتحـاد » توافق على العمل « بالاجزاء البناءة فيه » ) ووجهة اعتراضاتهم على الكتـاب الابيض هو انه يتضمن فى وجهة نظرهم :

( أ ) استمرار الظلم والنظام الاستعمارى ( أى النظام الذى لا يشترك فيه الصهاينة ٠ ونحن نعلم كيف يمكن أن تصبـح الهجـرة مع وجود أوروبا ديمقراطية اذا توقفت الوكالة اليهودية وتوقف بعض موظفى وكالة الغوث عن التدخل فى هذا الأمر ) وذلك لاستمرار وجود المندوب السامى وغياب الانتخابات والمؤسسات الحرة ٠

(ب) ينص الكتاب الابيض على عدم « حرية الهجرة والمقصود بكلمة « حرية » هنا الحرية التى ينظمها الصهاينة » وهذا اجراء غير ديمقراطى فى نظرهم ٠

(ج) منع حرية بيع الاراضى لليهود حتى يحولوها الى مزارع جماعية مثلا فى حين انه لا يحرم تجريد الجزء الأكبر من صغار الملاك العرب من أراضيهم لصالح كبار الملاك ( ليس صحيحا أن هذا القانون قد طبق على اليهود فعلا : فقد صرح جرانوفسكى من الوكالة اليهودية فى تقريره السنوى فى سبتمبر ١٩٤٥ بأن مساحة الارض التى أصبحت « ملكا قوميا » تعدت ٨٠٠ ألف دونم تم الحصول على ٣٣٠ ألف دونم منها منذ بداية الحرب ) ( فلسطين بوست ٢٠/١٠/١٩٤٥ ) ٠

ومن ناحية أخرى انضم الحزب الشيوعى ( اليهود ) منذ مايو ١٩٤٥ الى الهستادروت وأخذ يدعو البروليتاريا اليهودية فى فلسطين الى النضال من أجل تحسين ظروف معيشتها ومن أجل دعم فكرة « الوطن القومى » والتعاون مع النقابات العربية والنضال ضد السياسة العنصرية التى تتبعها Kibouche Avoda ( وهى التى تنص على طرد العمال العرب من العمل لمساعدة الأخوة اليهود فى دول أوروبا المحررة عن طريق طفرة يقوم بها كل Yishour

ومن أجل تعاون كل القوى المناهضة للرابطة الحالية الموجودة فى الهستادروت والتى تؤيد سياسة الوفاق مع الرأسماليين مع غياب الديمقراطية فى هذه المؤسسة وموافقتها على برنامج بلتيمور ( الذى يطالب بالتطبيق الفورى للائحة الكومونولث فى فلسطين ) ثم يمضى تقرير مؤتمر الحزب الشيوعى ( اليهود ) قائلا :

« بالرغم من الاختلافات الايديولوجية القائمة فهناك العديد من المهام الوطنية والاجتماعية المشتركة التى يمكن - بل ويجب - أن تدفع أجزاء كبيرة من الطبقة العاملة الى التعاون الوثيق داخل الهستادروت » ٠

هذا هو برنامج الحزب الشيوعى ( اليهود ) ولكن يبدو أن أعضاءه المسؤولين لا يدركون أنهم باشتراكهم مع الصهاينة فى معارضة الكتاب الابيض وبانضمامهم للهستادروت ( الذى سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد ) الى جانب الصهاينة ، وبنضالهم من أجل حرية الهجرة انما يسيرون بخطوات تبعدهم عن العرب ( كما يود الصهاينة ) خطوات تضلل الجماهير اليهودية المترددة وتؤخر بذلك عزلة الصهاينة التى تعتبر شرطا أساسيا لكل تقدم اجتماعى أو سياسى فى هذا البلد ٠

ولم يعد الصهاينة ـ بعد أن زادهم اشتراك الحزب الشيوعى معهم فى الخطوط العريضة لسياستهم الرامية الى عزل العرب والحصول على تأييد ايجابى من الامبريالية قوة وبأسا ـ يخشون هذا الحزب بل احتضنوه فى الهستادروت وأصبح فى امكانهم اخفاء وجود أى خلاف فى صفوف الطبقة العاملة والتقدم للمؤتمرات الدولية العمالية وغيرها مدعين الحديث باسم كل البروليتاريا الفلسطينية ـ أما داخل فلسطين فقد نجحوا بذلك فى تضليل المزيد من العمال اليهود ٠

هذه هى نتائج الخط الذى يتبعه الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى يدعو دائما الى ضرورة النظر الى « المشكلة بنظرة عالمية » ٠ ونجد أن قراراته الصادرة فى أغسطس ١٩٤٥ تتضمن دعوة للشعب اليهودى كله للنضال من أجل « اعادة الممتلكات المسلوبة منهم مع تعويضهم » ٠ الدفاع عن الحقوق الديمقراطية والوطنية للشعب اليهودى ومطالبة مجلس الامن الدولى بمنحه ضمانات فى هذا السبيل حتى يتمتع اليهود فى شتى الدول بامكانيات التطور الوطنى والاقتصادى والثقافى الحر » ٠

« السعى للحصول على مساعدة عاجلة لاقامة واسكان آلاف اليهود الذين لا يستطيعون ـ لسبب أو لآخر ـ العودة الى بلدانهم الاصلية ويريدون الهجرة الى دول أخرى ومن بينها فلسطين » ـ « مساعدة يهود فلسطين فى كفاحهم ضد الكتاب الأبيض ومن أجل اقامة « وطن قومى حر » ٠

كما جاء فى هذه القرارات ما يلى :

« تعتمد الايديولوجية التى تقول انه يتعين على يهود العالم أن يعزلوا أنفسهم كما يجب أن يطبق عليهم كلمة « خارجين من أوروبا » على القوى الرجعية بما يتعارض مع مصالح اليهود فى شتى الدول الأوربية ويتعارض مع واجباتهم ونحن نرى أن انتصار الاشتراكية سوف يحل المشكلة اليهودية تماما » ولكن يبدو فيما يتعلق بتنفيذ هذه القرارات أن الحزب الشيوعى ينسى تماما معنى هاتين الجملتين الأخيرتين ٠

ونشعر فى نهاية الأمر أن الحزب الشيوعى اذ يترك ضعفه العددى يحاول تحطيم عزلته بأية طريقة ٠ ويتخيل متحججا بسياسة « الجبهات الوطنية » أنه يمثل هو الآخر تجمعا حزبيا حين ينضم للهستادروت دون أن يضع فى الاعتبار موقف الأحزاب التى يتحالف معها أو حجم القوة التى يتمتع بها ٠ ولكن كيف يمكنه تفسير مسلكه هذا للجماهير الكادحة فى فلسطين ؟ هذا ما لم يحاول الحزب الشيوعى تبريره فى أى منشور على حد علمى ٠

ولقد فضل الحزب الشيوعى ابرام اتفاق مع كل الاتجاهات الشوفينية والرجعية الممثلة فى الهستادروت بدلا من الانضمام « لعصبة التحرر الوطنى » التى تسمح أهدافها الوطنية بتحقيق تقدم فلسطين فى مجال القضاء على الآفات التى يعانى منها الشعب .

وقد جاء فى قرارات مؤتمر الحزب الشيوعى « ان النضال من أجل التعاون اليهودى والعربى والمساواة فى الحقوق الوطنية فى الدولة من أهم الوسائل لتحقيق الديمقراطية والاستقلال فى فلسطين – أن نظام الحكم الديمقراطى المستقل يعتبر بالتالى أساسا للاخاء بين شعوب هذه الدولة ... سيحرز النضال من أجل ديمقراطية واستقلال بلدنا الانتصار عندما نخوضه سويا يهودا كنا أو عربا » ... لكنه يبدو لنا أن هذه الجمل قد أفلتت خلسة وسط قرارات لها اهتمامات أخرى تماما والا فما هى الترجمة العلمية لخط سير الحزب ؟ فى الاستعراضات التى أقيمت بمناسبة يوم النصر كانت شعارات الحزب محاطة بالاعلام الاجنبية وتتعلم الشبيبة الشيوعية أغانى بشتى اللغات ولكنهم على حد علمى لم يتعلموا أغنية واحدة منها باللغة العربية ولم يطلب منهم أبدا « مخاطبة العرب » ان الحزب الشيوعى بسياسته الحالية يسهل عمل الرجعية ولا يقاومها الا فى أضيق الحدود .

ولا داعى للقول بأن العناصر التى تعمل على استمرار تقسيم وتفتت طليعة الشعب العامل الفلسطينى ، العناصر التى تعتقد أنه يمكنها انكار العامل اليهودى أو تتخيل أنه يمكنها التقدم بدون الحركة العربية ، يجب أن تثوب الى رشدها بأسرع وقت ولو أدى الامر الى استبعادها تماما حتى تصبح الامكانيات العديدة التى تفتحت منذ هزيمة الفاشية حقيقة واقعة على أرض فلسطين .

ويتعين علينا أن نلاحظ فى هذا الصدد أن الكتاب الابيض البريطانى الذى وافق عليه البرلمان كان يتضمن بالرغم من كل نقاط ضعفه ضمانا للحرية المستقبلية لو اتحدت صفوف الشعب اذ يشير الكتاب الأبيض الى أن الهدف الذى تسعى الحكومة الى تحقيقه هو « انتشار دولة فلسطينية مستقلة يتمتع الشعبان بالحكم فيها بطريقة تحمى المصالح الحيوية لكل منهما » وسيتم بناء هذه الدولة خلال عشر سنوات » ( أى عام ١٩٤٩ ) ويتم ادارتها عن طريق « العلاقات التعاقدية مع الامبراطورية البريطانية بما يضمن المصالح التجارية والاستراتيجية للدولتين بطريقة مرضية » .

ويعين الفلسطينيون بعد استتباب النظام ، فى شتى الاجهزة الحكومية ، ويتم بعد خمس سنوات تشكيل هيئة تمثل الشعب الفلسطينى لتضع

الدستور • هذه هى الامكانيات التى أصبحت الآن منسية بسبب تفتت الشعب الفلسطينى وتقع مسؤولية هذا التفتت على طليعة الشعب •

فما هو السبب الذى يقدمونه لتبرير غياب التعاون ؟ غياب الاتفاق على المعنى الحقيقى للنظم الادارية فى الدولة ؟ هذه مسألة لا يمكن حلها الآن فى واقع الأمر اذ لا يمكن أن تحل الا بعد المرحلة التالية الا وهى تكوين دولة فلسطينية حرة ومتحدة • ويرتهن الحل الى حد كبير بطريقة تنفيذ المرحلة السابق الاشارة اليها •

والمهم الآن هو معرفة لمن تقدم المطالب السياسية والتى تأتى أهميتها حتى قبل المطالب الاقتصادية التى يحلو للحزب الشيوعى التحدث عنها • لن يكون لنشاط الشيوعيين الفلسطينيين معنى الا عندما يعبر نضالهم عن اتحاد متين بين اليهود والعرب داخل حزب واحد وعندما يكون شعار هذا النضال والكفاح هو : ضد الامبريالية الانجليزية أو غيرها • وعندما يوحدون قواهم فعلا وليس بالكلمات وحدها فى خضم النضال اليومى بدلا من تحييد بعضهم البعض أو خصام بعضهم البعض •

ولذلك يجب أن ينسحب الحزب الشيوعى من الهستادروت اذا ما رفضت اللجنة المركزية للهستادروت قطع علاقاتها صراحة بالصهيونية ( أو على الأقل بالالتزام بالنضال من أجل برنامج بلتيمور ) كما يتعين على الحزب الشيوعى النضال بعد ذلك للاندماج فى عصبة التحرر الوطنى ( العربية ) مع اختيار اسم جديد لها وعندئذ فقط سوف تكون هناك قوة تقدمية حقيقية فى البلاد يستمع اليها الشعب اليهودى الفلسطينى وتضمن له بطريقة فعالة احترام حقوقه وتسهل له إنفصاله عن الايديولوجية الصهيونية التى لم تنجح حتى الآن فى حل أى من مشاكله الحيوية بطريقة مرضية والتى سيتضح عجزها أكثر فأكثر مع مضى الوقت • ان الايديولوجيين الصهيونيين يؤيدون صراحة الألاعيب الرجعية فى الشرق الأوسط ويهاجمون الاتحاد السوفيتى باستمرار ويتدخلون فى الشؤون الداخلية للدول المستقلة ويوجهون هجمات متواصلة على الشعب العربى الفلسطينى ، وهذا وحده كاف لادانتهم والهجوم عليهم •

ولهذه الأسباب نفسها يتعين أيضا النضال من أجل عزل السياسيين العرب ذوى الميول الفاشية والذين يتلقون مساعدات سافرة أو شبه سافرة من السلطات الانجليزية ، لكن خطوة البدء لذلك كله هى أولا وقبل كل شئ توحيد صفوف الحركة التقدمية •

يجب ادانة الانقسام ، حتى ولو قام على أساس قومي ، ذلك أن أى انقسام هو بالضرورة غير شرعي لانه يحيط كيان الحزب الشيوعي الفلسطيني ذاته بالشكوك ، بل انه يحيط كيان فلسطين كلها بالشكوك .. أى أن أى انقسام يتعارض تماما مع الهدف المحدد وهو تجميع كل القوى الراغبة فى الانفلات من قبضة الامبريالية .

لقد زاد الصراع الطبقي حدة فى فلسطين كنتيجة للظروف الجديدة الناجمة عن الحرب اذ يتزايد حجم التراكم الرأسمالى وتصبح ظروف الحياة العمالية غير محتملة وطرأت تغيرات على الاحزاب العمالية الصهيونية أدت الى نشوء حركات وتجمعات جنينية ولعله من المهم أن نشير هنا الى أن مؤتمر الهستادروت الذى عقد عام ١٩٤٤ قد وافق على توصية لصالح برنامج بلتيمور بأغلبية صوتين فحسب ( ٢٤ - ٢٢ ) . وبعد ذلك شكلت المجموعة الثانية التى قادت المعارضة داخل الماباى ( حزب العمل فى فلسطين وهو المماثل لحزب العمال البريطانى ) حزبا منفصلا هو Tenua Leachdoth Haavoda (حركة الاتحاد العمالى) ومن بين قادة هذا الحزب تابنكين وزسلبنج اللذين كان لهما نفس نفوذ بن‌جوريون فى الماباى ويعكس هذا الانفصال التغيرات التى طرأت على جماهير الماباى التى شعرت بخيبة الامل والتى يتحتم ايجاد طريقة أخرى للسيطرة عليها . ولا شك أن هذا الحزب الجديد لم يغير ايديولوجيته ولكنه اتبع سياسة نقابية صرفة وتكتيكا أكثر مرونة تجاه المشاكل الدولية وتجاه العرب . ويحاول زعماء هذا الحزب أن يكونوا بمثابة جسر بين Hashomer Hetzair Poaleezion من ناحية والماباى من ناحية أخرى وأن يوحدوا الحركة « الصهيونية الاشتراكية » دون تحديد للبرنامج أو للايديولوجية بل تأكيد وحدة التنظيم فحسب فهم مع وضد « أبعاد العمال العرب » Kivouche Avoda مع وضد بلتيمور ... الخ أنهم يتخبطون فى التناقضات .

وبالاضافة الى هذه المجموعة هناك مجموعة Hashomer Hatzair ورابطة الاشتراكيين وكلاهما ازداد نموا أثر الحرب بعد زوال أوهام الجماهير ، ولهذين الحزبين سياسة أكثر تقدمية فى مجال السياسة العامة الا فيما يتعلق بالمشكلة اليهودية . فهما مثلا يتبعان موقفا سلبيا تجاه يهود الاتحاد السوفياتى ورغم تعاطفهما مع الاتحاد السوفياتى ومع الاشتراكية العلمية ( الى درجة أنهما قدما لسفير الاتحاد السوفياتى فى مصر الذى كان يزور القدس بعض الكتب النظرية كهدية ) الا أنهما قد اتبعا موقفا عدائيا ازاء الشيوعيين اليهود فى كل الدول بما فى ذلك فلسطين ، ولم يحددوا موقفهم من

الحلول الديمقراطية للمشاكل القومية والدولية ، ويدعون فى المجال النقابى أنهم يساريون فى حين أنهم يقفون فى أغلب الأحيان الى جانب اليمين ( مقدمين كسبب لذلك حجة غريبة وهى أنهم حزب معارضة « مسؤول » ... ) فمثلا أبدوا الهستدروت فى تخفيض ١٨٪ من نسبة غلاء المعيشة . وصوتوا فى المجلس القومى Vaad Leoumi لصالح قرار الماباى بشأن التعليم ( لا اخاء بين الشعوب ) . وأحيانا يدعون التعاطف مع الاحزاب الشيوعية جميعا باستثناء الحزب الشيوعى الفلسطينى ويؤيدون مبادىء Kivouche Avoda وهى المبادىء العنصرية التى تقضى بطرد العمال العرب من المؤسسات التى يملكها اليهود ) يؤيدون « النظام القائم على وجود قوميتين » مع أغلبية يهودية بطبيعة الحال ويناضلون ضد بلتيمور .

ويتحدث حزب Poalezion Smol ( العامل اليهودي اليسارى ) بلغة ثورية واشتراكية ولكنه يعارض فى الواقع الصيغة الديمقراطية للدولة ويمكن وصف نظريته بأنها خيالية .

وهو يؤيد قيام « دولة عبرية اشتراكية » فى بلد لها طابع قومى مزدوج أى أن موقفه يشبه تماما موقف Hashomer Hatzair

أما حزب Aliya Hadasha وهو حزب المثقفين والتجار الالمان الاصل فهو يطالب تجميد الموقف الراهن ويرغب فى الاتفاق مع العرب ويؤيد « الهدوء والنظام » حتى يتيسر له تسويق البضائع وهناك أخيرا جماعة الرابطة الشعبية الديمقراطية وجماعات الدكتور مانيس ( الذى ينادى بوحدة الاراضى الفلسطينية والضفة الشرقية لنهر الاردن وسوريا لا على أساس تاريخى حتمى فحسب بل لان ذلك سيعود بالنفع على اليهود ) وتخوض هذه الجماعة وتدعى Ahouz غمار المعركة الى جانب كل الجماعات السابقة ضد السياسة الرسمية للصهيونية ولهذا فانها كثيرا ما يطلق على هذه الجماعات جميعا اسم « المجموعة المناهضة لبلتيمور » .

أما المجموعة المؤيدة لبلتيمور فتضم : الماباى وادارة الهستادروت Haoved Hatzioni وجميعهم شوفينيون ويخدمون الامبريالية . هذا عن الحركة العمالية وهناك بالطبع أحزاب أخرى عديدة فى الطبقة البرجوازية .

أما فى القطاع العربى وبالاضافة الى عصبة التحرر الوطنى ( العربية ) توجد خمسة أحزاب رسمية وجميعها رجعية وتدافع كل منها عن مصالح احدى العائلات الكبرى ونجد على رأس هذه الاحزاب حزب العرب .

وقد تألف فى الاونة الاخيرة حزب يدعى « حزب الشعب » يشترك فيه أحد المحامين التقدميين من حيفا ولهذا الحزب روابط قوية فى الريف وله برنامج ذو صيغة اصلاحية اجتماعية بالنسبة للقطاع العربى ٠ وهو من مؤيدى التمييز بين اليهود والصهاينة والتعاون الوثيق مع اليهود ٠

والحقيقة أن ثمة تطورا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا قد تحقق فى فلسطين بعد الحرب ٠ فعند نشوبها كان ٣٫٥٠٠ عامل عربى يعملون فى قطاع الصناعة بأجور منخفضة للغاية وكان التجار العرب مجرد باعة متجولين أو من أصحاب الحوانيت الصغيرة ٠٠ وكانت هذه الازمة نفسها تسود فى القطاع اليهودى فلم يكن هناك غير ١٨ ألف عامل وكانت الاضرابات تتوالى وكان العمال يهاجرون الى الريف حيث يعملون تحت أى شرط ٠ وكانت الدكتاتورية الصهيونية فى أوجها ٠ أما الآن فقد تحسن الوضع لوجود زيادة فى الطلب على العمال كنتيجة للحرب وتطورت الثقافة غير أن هذا الازدهار قد أخذ يتضاءل فى هذه الايام ولا يزال بؤس الفلاحين العرب قائما رغم ظهور طبقة من المزارعين الميسورى الحال وقد تم تداول ٦٠ ألف دونم من الارض بين العرب ، ومن الملاحظ أيضا زيادة حجم الزراعة اليهودية ٠ ففى نهاية ١٩٤٤ كان هناك ٤٥ ألف مزارع يهودى أى ٨٪ من مجموع السكان اليهود ٠ وحدث تركيز شديد فى مجال زراعة الموالح فى الاوساط اليهودية والعربية على حد سواء ٠ وقدمت الحكومة لها نوعا من المساعدة ٠ وفى الصناعات التى كانت تستخدم عام ١٩٣٦ عددا يصل الى ١٨ ألف عامل يهودى و ٣٥٠٠ عامل عربى ارتفع العدد الى ٤٦ ألف و ٩ آلاف على التوالى أما العملاء الاساسيون فهم الجيش والمستهلكين المحليين ( التصدير يوازى ٢٠٪ من اجمالى الانتاج ) وهناك اتجاه نحو الصناعة بدأ يظهر فى رأس المال العربى ٠ واذ كانت الامبراطورية البريطانية تقدم عام ١٩٣٦ ٢٥٪ من واردات فلسطين فقد هبط نصيبها الى ١٩٪ عام ١٩٣٨ الا أننا نجد عام ١٩٤٢ انها قدمت ٦٥٪ من وارداتها ٠ أما الصادرات فقد نال الشرق الاوسط ١٢٪ منها عام ١٩٣٨ ووصلت هذه النسبة اليوم الى ٤٦٪ ، وتستخدم اليوم ٥٠ مؤسسة عددا من العمال يصل الى ١٥ ألف عامل ونجد انه بالرغم من انخفاض التجارة الخارجية فان ميزان المبادلات التجارية قد تحسن كما طرأ أثناء الحرب تحسن صناعى واجتماعى ٠

---

ان وجود أكثر من ٧٠ ألف مستخدم يهودى اليوم لم يخلق ويعزز جو المعارضة داخل الهستادروت ويدفع الرأسماليين الى الاتحاد ضد العمال ٠ وهناك بين العمال العرب التسعة آلاف العاملين فى مجال الصناعة يعمل ٣٥٠٠ للجيش و ٤٥٠٠ للحكومة بينما يعمل أكثر من ألف فى المؤسسات الكبرى الأخرى ٠

( وهناك أيضا ٢٥ ألف يعملون فى حيفا لا سيما فى الميناء و ٨ آلاف فى السكك الحديدية ٠٠٠ الخ ) ونرى مثلا أن هناك ١٨ ألف منضمون الى نقابات تقدمية وأنه وقعت أخيرا أكبر مظاهرة من نوعها فى فلسطين اذ تظاهر أكثر من ١٣٠٠ عامل يهودى وعربى يعملون فى ورشة بريطانية وقاموا باضراب بسبب حل لجانهم النقابية ولان ظروف عملهم سيئة للغاية ولقد مرت المظاهرات بكل أنحاء تل أبيب ويافا ٠٠ ومن المؤكد أن هذا دليل على بداية عصر جديد قد يفتح أمام فلسطين أبوابا واسعة من التطور بعد أن تتخلى بعض طبقات الشعب عن تعصبها ويتحقق اندماج القوى التقدمية فى البلاد ٠

ولا شك أن الحكومة التى تمنح المرتبات الضئيلة وتفرض ميزانية منافية لصالح الشعب والتى تقوم اليوم بدور صاحب العمل الاول فى البلاد سوف تنعزل ويستحيل عليها ممارسة مثل هذه السياسة ولكن لا يمكن أن يتحقق ذلك فى ظل الظروف السياسية السائدة الآن ، اذ أننا على وشك الدخول فى أزمة بسبب توقف الطلبات التى كانت مستمرة ابان الحرب وتطبيق سياسة الأجور كما يتضح من التصريحات التالية والتى تعكس قلق البورجوازية اليهودية فى فلسطين ازاء امكاناتها الاقتصادية اذا استمرت المنافسة الامبريالية كما حدث فى الماضى ٠

ونعنى بهذا التصريح التحليلي الذى أدلى به نوفوميسكى مدير « فلسطين روتاش ليمتد » الى صحيفة ها آرتس فى أغسطس عام ١٩٤٥ وتوقع فيه وقوع أزمة عنيفة تزلزل أرجاء البلاد والسبب على حد قوله الدخل الزائد للعمال وارتفاع أسعار المواد الاولية الذى يؤدى الى ارتفاع سعر التكلفة بدرجة تجعل المنتجات غير قادرة على الصمود أمام المنافسة الاجنبية وتدفع العامل الى اهمال عمله نظرا لارتفاع دخله ٠ ثم اتبع هذا التحليل بسلسلة من المطالب الموجهة للحكومة والتى يمكن تصور مضمونها بسهولة ٠ وليست هذه هى البادرة الاولى اذ يقول الدكتور شموراك من ادارة الاعلام ١٩٤٥/٢/٧ « يتضح لنا حاليا موقف معنوى غريب يمر به يهود فلسطين اذ يؤمن الجميع بقرب وقوع أزمة وانتشار البطالة واننا لا نملك القوة الكافية للتصدى لها وقال أيضا كان عدد السكان اليهود قبل الحرب يصل الى ٤٧٥ ألف نسمة وكنا حوالى ١٨٣ ألف شخص نعمل فى مجال الاقتصاد العام أى بنسبة ٣٨٪ من اجمالى عدد السكان ولكن بعد الحرب كم سيزيد عدد الذين سيضطرون للبحث عن وظيفة أو سبل العيش ٠ اننا نقدر عدد هؤلاء بحوالى ٦٠ ألف شخص » ٠

وأعرب الدكتور كانتنا روفيتش فى مجلة الاقتصاد والمالية المصرية الصادرة فى ١٩٤٥/٧/٢٠ عن اعتقاده بأن فلسطين مع انتهاء الحرب قد

تطورت أجهزتها وزاد عدد العاملين فيها ، وقال و « تقترب فلسطين الآن كما هو الحال بالنسبة للصور العامة التى تبرز خلال اقتصاديات الحـرب فى كل دول الشرق الاوسط من فترة انتقالية ، ولا شك أن العديد من عوامل الرفاهية ستتوقف • ولكن هناك مشكلة اضافية ينبغى حلها فى فلسطين الا وهى مشكلة المستقبل السياسى الذى يبدو غير مؤكد » •

ولا شك أن فلسطين مثلها مثل كل بلدان الشرق الاوسط سوف تشهد فترة من الرفاهية اذا ما اختفت الامبريالية والمنافسات الناجمة عنها الا أن الشخصية الرئيسية المعنية ـ بهذا الامر ألا وهى الشعب الفلسطينى لم تتمكن بعد من أن تجعل صوتها مسموعا ولا شك أن أقرب الاحتمالات هى تطبيق نظام حكم « الوصاية » على فلسطين ، ولهذا الاجراء مزايا عديدة اذ أنه يحبط بذلك كل المطـامح الصهيونية كمـا أن الدولة سوف تمر بعـد ذلك بتطور مادى مؤكد وتتمرس على الحرية وتدرج مصالحها الحقيقية •

وهناك فى الواقع مؤشرات تؤكد أن جزءا من البورجوازية أخذ فى الانفصال عن السياسة الحالية ونعنى بها هذه الطبقة من البورجوازية التى تريد ظروفا اقتصادية وسياسية مستقرة حتى تمارس التجارة بالطريقة التى تحلو لهـا سواء فى الداخل مع العرب الذين يمثلون سوقا هامة وسهلة الارضاء ـ اذا ما كان الجو ملائما ـ أو فى الخارج مع دول الشرق الاوسط وحتى مع دول البلقان • بيد أن هذا يفترض حصول فلسطين على الاستقلال الذاتى وتمتعها بنظـام للتجارة الدولية مطابق لمشروعات طهران •

ولا شك أن مشكلة المعتقلين السابقين فى معسكرات ألمانيا النـازية ستجد حلها النهائى اذا ما أبدت الدول التى أظهرت من قبل اهتماما بمصيرهم السياسى اهتماما مماثلا بمصيرهم المـادى ووافقت على ايوائهم • ولا شك أن انكلترا التى لها مصلحة مؤكدة فى ذلك والتى عرضت الجنسية البريطانية على الرجعيين البولنديين سوف تقترح هذه الصيغة وتتمسك بها • ان الرأى العام العالمى وخاصة فى الشرق الاوسط والاتحاد السوفياتى ودول أوروبا المحررة بل وفى انجلترا يزداد معارضة للحل الصهيونى • أما الولايات المتحدة ـ التى أعرب روزفلت أخيرا عن التزاماتها الرسمية تجاه المصالح العربيـة ـ فربما تخلفت هى الاخرى عن تأييد الصهيونية التى تقلل من مكانتها فى الشرق الاوسط وذلك فى مقابل حصولها على بعض الضمانات الاقتصادية • بل لقد بدأ ذلك يظهر فى موقفها الحالى كما تؤكده البرقية التالية الخاصة بالمحادثات التى تجرى فى لبنان حيث تتفاوض لجنة لبنانية أميركية على اقامة معـامل لتكرير البترول فى طرابلس « بينما يـرى بعض أعضـاء اللجنـة أن

هذا الاتفاق يدعم روابط الصداقة مع الولايات المتحدة ، يعتقد آخرون انه يفرض تنازلات عديدة على الدولة · وهناك مجموعة ثالثة تتمنى اخضاع الاتفاق لشروط وضمانات بشأن موقف الولايات المتحدة تجاه فلسطين · وقد انفضت اللجنة دون التوصل الى قرار » ( وكالة الانباء الفرنسية ـ البروجرية ايجيبسيان ـ ٢٤/١٠/١٩٤٥ ) ·

**الهستادروت :**

لا يمكن عند دراسة المسألة الفلسطينية الا أن نعطى أهمية كبيرة للهستادروت وللتعاونيات التى ضللت الكثيرين حول الاوضاع الاجتماعية الحقيقية فى فلسطين ·

كيف نشأ الهستادروت ، وهو الاتحاد العام للعمال اليهود فى فلسطين ؟ نظرا للصعوبات التى كان يلقاها الصهيونيون فى اجتذاب عمال أوروبا من اليهود قبل موجة العداء للسامية التى انتشرت فى المانيا ، ادعوا أنهم « اشتراكيون » وشكلوا اتحادا عاما للعمال قام بنشاط مزعج · وتمكنوا ، بما تلقوه من مساعدة موضوعية من الفاشية ، من تهجير كثيرين من اليهود الى فلسطين ، ثم تجنيدهم فى تلك المنظمة النقابية « ايمما » وقد أعطت هذه المنظمة للعمال شعورا بالامان ازاء الاحداث الاليمة التى كانت تجرى فى فلسطين ·

كما انها لم تمكنهم من التجمع فى نقابة واحدة مع العرب وجعلتهم فى حالة من الاعتماد التام على أصحاب الاعمال اليهود الذين كانوا قد دسوا عملاء لهم فى الهستادروت كثيرا ما تولوا المناصب القيادية فيه · وتم فى هذا الوقت وبأموال العمال اقامة الحد الادنى من الخدمات الاجتماعية التى بدونها لا يمكن أن يكون هناك طبقة عمالية منتجة · وقد حل الهستادروت بذلك محل التشريعات العمالية التى لم تكن موجودة فى فلسطين واستغلها بنفس الطريقة التى استغلتها الحكومات فى دول أخرى ـ مثل الولايات المتحدة وانكلترا ـ ولكن ببراعة أكبر وبشكل مفروض على كل أفراد الشعب ·

ان القوة العددية الحالية للهستادروت تفسرها حقيقة أن الهستادروت لم يتعرض لاى ازعاج لا من جانب الحكومة ولا من جانب رجال الاعمال طالما أنه كان يخدم مصالحهم · وفيما يلى ما قاله كتيب باللغة الانجليزية يهدف الى اعطاء شعبية للهستادروت بين الرأى العام العالمى : « أن الهستادروت ليس مجرد اتحاد للنقابات · وواجبه لا يقتصر على تحسين أوضاع أعضائه أو تنظيم

العمال ۰۰۰ بل كذلك خلق العامل اليهودى وتدريبه على العمل فى ظروف معيشته الجديدة وتثبيت جذوره فى بلده ۰ ان وظيفة الهستادروت ليست فقط تحسين ظروف حياة العمال بل زيادة امكانيات امتصاص مهاجرين جدد ۰۰۰ وليس فقط الدفاع عن مصالح العامل فى المؤسسات الخاصة بل كذلك اقامة مؤسسات تعاونية وتنظيم الشباب واعدادهم للحياة » ۰۰۰ ان نفس هذه العبارات يمكن العثور عليها فى الكتابات الفاشية عندما تعطى تبريرها لعدم تحسين ظروف حياة الطبقات العمالية ۰

ان الهستادروت يضم اليوم بالاضافة الى العمال اليهود ـ مجموعة من صغار البرجوازيين ذوى المهن الحرة والعاملين فى الوكالة اليهودية ۰۰ بل انه يضم كذلك عددا من صغار الرأسماليين ! ان الشركات التجارية العديدة التى يملكها الهستادروت تؤكد انه مؤسسة رأسمالية تتخفى وراء لافتة عمالية ۰ ولما كان معظم العمال يشتركون فيه فان ذلك يدل ببساطة على ضعف النضج السياسى للطبقة العاملة اليهودية التى تسمح باغتصاب المدخرات الشخصية لتجميع بعض فروع الاقتصاد التى لا يستفيد منها ـ كما سنرى ـ سوى البنوك ۰ وهذا يؤكد أيضا انه فى مواجهة السكان العرب الذين يعيشون جميعا فى فقر فان السكان اليهود يعتبرون متميزين ( ما دام فى استطاعتهم أن يساهموا بمبالغ كثيرة « تصل الى ۷ ليرات فلسطينية للعائلة الواحدة » فى أموال الهستادروت ( ۰۰۰ ـ ) * « ان نظام التعاونيات يخلق مشكلة عويصة فى السياسة الاقتصادية العامة للهستادروت ۰ فان بعض التعاونيات ـ التى تسير فيها الامور كما يجب ـ لم يعد لها شئ من الهيكل الجماعى للعمال ۰۰۰ بل أصبحت أقرب الى شركات صغار الرأسماليين » ( الاقتصاد العمالى اليهودى فى فلسطين ـ ص ۱۰۹ ) ۰

( ۰۰۰ ) * ان الهستادروت يشترك مع الرأسماليين الفلسطينيين فى الانتاج ۰۰ وغالبا ما يساعد ذلك بعض المؤسسات التى تعانى من العجز على الانتعاش كذلك فان الهستادروت يقوم بتشغيل ٤۰ ألف عامل فى ظروف أقل ملاءمة بكثير من العمال المنضمين الى الهستادروت والذين يعملون فى أماكن أخرى ۰

ان ما يكشف عن حقيقة الهستادروت هو حتمية الانضمام اليه بشكل يكاد يكون تاما ۰۰۰ الا فيما يتعلق بالحرفيين ؟ أن هناك اليوم ۷۳٪ من العمال والموظفين أعضاء فى الهستادروت ان ما يثير الاهتمام هو أنه كان هناك ـ فى عام ۱۹۳٦ ـ ۷٦٪ من العمال والموظفين أعضاء فى الهستادروت وبالتالى فان

---

* ( كلمات غير واضحة فى الوثيقة الاصلية ) ۰

ما يجرى فى فلسطين هو العكس تماما لما يدور عادة ٠٠ أى أن هناك انخفاضا فى نسبة العمال الذين يثقون فى الهستادروت ولكن التقييم الشامل للهستادروت لا يمكن أن يتحقق الا اذا عرفنا الاتجاه الفاشى الذى أملاه عليه زعماؤه ٠ ان هذا الاتجاه يوضح التصميم على تنفيذ السياسة الصهيونية التوسعية بطرد العرب الى الفيافى الصحراوية اذا أمكن ذلك ، ومن ١٩٢١ بدأ الهسادروت يدرب عصاباته من العمال ( وهى شبيهة بالكوكلوكس كلان فى أميركا ) على ابعاد العمال العرب من مجال الصناعة اليهودية والمزارع ومراكز العمل ٠٠٠ وبلغ نشاط هذه العصابات ذروته فيما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٦ ٠

بل ان ارهاب هذا الهستادروت للعمال اليهود أنفسهم قد وصل الى حد أن قليلين منهم هم الذين يجرؤون على مواجهة ما يتهددهم من طرد وعلى خوض الكفاح التقدمى حقا من أجل تحرير الطبقة العمالية ، لان مثل هؤلاء « المتمردين » لا يمكنهم أن يجدوا عملا فى أى مكان آخر عندما يفقدون رضاء زعماء الهستادروت عنهم ٠

كذلك فان فشل البروليتاريا العربية ـ حتى نشوب الحرب ـ فى تنظيم نفسها وتجميع صفوفها يعود كذلك الى الهستادروت الذى قام بالتنظيم القسرى للعرب الذين أمكنهم العمل فى قطاعه ، كما فعل الـ Quislings اليونانيون أثناء الحرب بالبروليتاريا اليونانية مثلا ٠ هذا يساعد الهستادروت من ناحية أخرى على أن يثبت أن الطبقة العاملة العربية تقبل الصهيونية وان الاعتراض على « الصهيونية الاشتراكية » يجىء من قبل « الافندية والباشوات » ٠ ولكن الهستادروت لم ينجح فى أن يخفى عن العالم ما يتعرض له الآلاف من عماله العرب من فظائع وما يخضعون له من مناورة مسرحية ، وقد استطاع الهستادروت بالكاد أن ينقذ ماء وجهه عندما أبعد تماما كل الشهود اليهود الذين أدركوا الامر على حقيقته ٠

**التعاونيات :**

ان نفس الافكار المسبقة بالنسبة للهستادروت يمكن أن نجدها كذلك فيما يتعلق بالتعاونيات ٠ ومع ذلك فان للتعاونيات فى فلسطين معنى رجعيا لا يخفى على أحد ٠

اننا نعلم ان دور التعاونيات فى المجتمع الرأسمالى يقوم على أساس سد الطريق أمام الآثار التخريبية للرأسمالية على مستوى حياة العمال ٠٠

كما انها تعبير عن التعقيد المتزايد للتوزيع فى المجتمع الحديث ٠٠ وعلامة على نضج الرأسمالية فى الدولة التى تتطور فيها هذه التعاونيات ٠ ولكن لم يسبق أن كان هدفها أو وسيلتها قلب الرأسمالية التى تتلاءم مع هذه المؤسسات بل تقتضى وجودها فى مرحلتها المتطورة ٠

وكما هو الحال بالنسبة للهستادروت فان التعاونيات فى فلسطين موجودة فى كل مكان لتنشيط الحياة الرأسمالية بالبلاد ، وللقيام بمحاولات سافرة باستخدام أموال العمال من أجل زيادة أرباح البنوك ٠

ان « هاماشبير هامركلبى » هى جمعية تعاونية للشراء ، وهى أكبر مؤسسة من نوعها فى فلسطين ٠٠ وتبلغ أرباحها مليونين و ١٠٠ ألف ليرة ورأسمالها ٣٠٠ ألف ليرة فلسطينية ٠٠ ولها استثمارات فى الريف ٠٠ بل تمتلك طاحونة ٠ ان القيمة الصافية المستحقة للبنوك والتى لم يتردد الحديث أبدا عن سدادها تبلغ ١٥٧ ألفا و ٥٠٠ ليرة فلسطينية ٠٠ « ان هاماشبير تمتلك مبلغ ٩ آلاف و ٦٧٥ ليرة فلسطينية على شكل سندات على « بنك العمال » الذى تعتبر من أخلص عملائه ٠ ولها كذلك علاقات عمل مع البنك الانجليزى الفلسطينى وغيره من البنوك الكبرى » ( الاقتصاد العمالى اليهودى فى فلسطين ٠ مونستير ـ ص ٧٦ ) ٠٠

وجاء فى موضع آخر يدور فيه الحديث عن حصص الارباح ٠٠

« ان هذه الحصص ـ من الناحية النظرية تبلغ الان قيمة كبيرة لان تزايد رأس المال بالنسبة الى الاحتياطى يتم بنسبة ١ : ٥ ـ ومع ذلك فان الاعضاء لا يستطيعون الاستفادة من ذلك بطريقة مباشرة لانه لم يتم توزيع هذه الحصص ، فان الربح قد وضع جانبا بطريقة حكيمة !! ٠٠ فليس من أهداف أى جمعية تعاونية أن تدفع أرباحا كبيرة » ٠ ولذلك فان الكعكة كلها تكون من نصيب البنوك ! ان تحقيق الربح للاعضاء لا يمكن أن يكون هدف أى جمعية تعاونية ٠

وقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية الريفية الاستهلاكية فى عام ١٩٤٢ اثنين وتسعين جمعية ٠ وحتى عام ١٩٤١ لم تكن أغلبها تعمل بشكل مرض حتى ولو ظاهريا وذلك نظرا لصعوبة ايجاد مديرين أكفاء وملائمين كما ان امكانيات الاعضاء المحدودة لم تكن لتحد فقط من تقدم العمل وانما كانت تتطلب سرعة تقديم القروض المجزية خلافا لمبادىء مثل تلك الجمعيات التعاونية ٠

وجدير بالذكر هنا أن اشراف وضغط اتحاد العمال الاسرائيلى قد أتاحا الفرصة أمام هذه التعاونيات للتوغل فى الريف والمدن وخاصة فى المنشآت

الزراعية حيث يمكن فرض احتكار جزئي أو كلى • وأغلبية سكان المدن بما فى ذلك العمال يبتاعون من صغار تجار التجزئة الذين يعملون عددا كبيرا من الساعات مستخدمين كافة أفراد العائلة مانحين اياهم كل الثقة وخافضين مستواهم المعيشى الى أقصى حد •

يتوصل هؤلاء التجار الى البيع بسعر أكثر انخفاضا من السعر الذى تبيع به الجمعيات التعاونية ( المرجع السابق ص ٧٩ ) ويتبين لنا من هذا أن هذا ان الجمعيات التعاونية فى فلسطين قد حددت مهمتها ، فهى رأسمالية بصفة أساسية وتعمل على ابعاد صغار المنتجين وصغار التجار فمهمتها أدت الى تحقيق نوع من الاحتكار يمكنها من الاحتفاظ بالاسعار عالية •

ولنر الآن ما يمثله بنك العمال الشهير وقد ورد أيضا موضوعه فى كتاب « العمل الاقتصادى اليهودى فى فلسطين » ( المرجع السابق ) •

ابان الحرب العالمية الاولى حصل أ• روبين A. Rupin ولصالح المنظمة الصهيونية على تحويلات هائلة من رؤوس الاموال الاميركية فمنح مبلغ ثمانية عشر ألف ليرة فلسطينية • تحت اشرافه لانشاء هذا البنك عام ١٩٢٠

وبدأ انشاء البنك تدريجيا • ثم قامت المنظمة الصهيونية بمنح قرض تحول بشكل طبيعى الى أسهم ذات امتيازات خاصة •

وفى عام ١٩٤٣ وردت رؤوس أموال جديدة من أميركا على وجه الخصوص أوجدت سندات ذات فوائد قيمتها ٢٧٦٠٠٠ ليرة فلسطينية •

ويرجع الفضل فى ايجاد هذه السندات الى بعض الاميركيين الذين عطفوا على العامل الفلسطينى •

الا أن هذه الموارد الجديدة لم تكن فى شكل مساهمات حسنة النية والدليل على ذلك السحب المنتظم للخصومات م نالارباح التى أمكن تحقيقها •

فالاسهم العادية متداولة بين مختلف الايدى أما الثمانية وثلاثين ألف ليرة فلسطينية ذات الامتيازات فهى ملك للبنك الانجلو ــ فلسطينى منذ أن سحب الـ Kereu Khayesad الجزء الكبير من مشاركته بهدف اتاحة الفرصة أمام البنك الانجلو ــ فلسطينى لمساعدة الشركة التى سبقته وهى « الشركة الاستعمارية اليهودية » •

وتجدر الاشارة فى ختام قصة بنك العمال الى أنه اذا كانت نسبة الفوائد التى تمنح بها القروض قد بلغت اليوم ٦٪ فذلك يرجع الى أن المال الذى تقدمه كقرض هو عبارة عن قرض مقدم لها من البنك الانجلو ـ فلسطينى بنسبة ٥٪ كما كشفت دراسة أوراق الميزانية لهذا البنك •

وهناك ثمة شكل آخر مبتكر للجمعيات التعاونية الانتاجية والاستهلاكية ألا وهو المزارع الجماعية فى فلسطين ولكى يتعين لنا أن نفهم ما يعنيه هذا الاصطلاح يجدر بنا أن نضعه فى موضعه من نظام الزراعة اليهودية

فالمنشآت الزراعية اليهودية فى فلسطين ذات أنماط مختلفة فهناك المزارع التى تستخدم الايدى العاملة المأجورة وهى المزارع ذات المساحات الشاسعة من الاراضى المزروعة وبها أكبر عدد من العاملين ( ٣٠٠ر٦٨ وعائلاتهم ) ثم تأتى المزارع الجماعية أو الكيبوتزيم والمزارع العائلية وعادة ما تضم معا الشكلين الأخيرين من أشكال المزارع نظرا لانهما من حيث المبدأ يتشابهان فى انهما لا يستخدمان الايدى العاملة المأجورة •

والواقع ان هناك عددا معينا من العمال الاجراء يستخدمون فى الاعمال الاضافية وفى بعض الاحيان يستخدم بعض العرب فى حالة نقص المستخدمين الاكفاء •

| | المساحة بالدونم | سكان | عدد المزارع |
|---|---|---|---|
| مزارع رأسمالية | ٤٥٤ ، ٦١٣ | ٦٨ ، ٣٠٠ | ٤٦ |
| عائلية | ١٤٧ ، ٩٧٢ | ١٢ ، ٥٨٤ | ٥٥ |
| كيبوتزيم | ٢٤٧ ، ٤٣٣ | ٢٧ ، ٩٦٧ | ٨٦ |
| المجموع | ٨٤١ ، ٠٠٨ | ١٠٨ ، ٨٥١ | ١٨٧ |

ويرجع سبب ملكية اليهود لمساحة الـ ٠٠٨ر٨٤٠ دونم من الأراضى الى أن هذه الاراضى لا يمتلكها الـ KKL

أما المزارع العائلية التى يطلق عليها اسم موشاف أوفديم

فهى عبارة عن جمعيات تعاونية للانتاج ( تبيع المعدات والسماد ٠٠ الخ ) •

كما أنها جمعيات تعاونية للبيع والشراء وليست جمعيات تعاونية استهلاكية والعمل بها يمضى أكثر بطأ وسعر التكلفة يرتفع بعض الشىء

عنه فى الكيوتزيم نظرا لعدم امكان التوسع فى تقسيم العمل بها ، وخاصة أن تكاليف الانتاج مرتفعة فتكاليف معيشة العاملين فى الكيبوتز ليست أعلى بكثير من تكاليف الانفاق على الاصطبلات أو حظائر الدجاج ، وقد قام بنكى ( اميكا ومورتجيج بنك وأجريكا لتشرل وركرز بلانتيشن كوربريشن )

الأميركيين بدراسة مشروع الكيبوتزات وأرسلت خبراءها الى فلسطين فلم يثق هؤلاء فى الكيبوتزيم ولم يجدوا أن ثمة مبرر أو حافز لتواجد العمل غير المدفوع الاجر فى هذه المنشآت ٠

لكن هذه المزارع التى تقوم على أساس الزراعة الرأسمالية كان من حقها أن تتلقى قروضا من الحكومة نظرا لانها تستخدم نظام الزراعة الواحدة ٠

وتعتبر الكيبوتزيم الشكل الامثل والذى لاقى كثيرا من التشجيع من قبل الوكالة اليهودية نظرا لكونها الوحيدة التى استطاعت أن تخلق قاعدة لامتصاص المهاجرين وهى عبارة عن حقول عمل شاسعة ، انتاجيتها مرتفعة وذات تأثير مرض على السوق كما أن تكاليف الانتاج بها منخفضة نظرا لان أجر العمل ليس محددا ، بالاضافة الى ذلك فان الوكالة اليهودية تفرض مراقبة صارمة على العاملين سواء من الناحية الجسمانية أو العقائدية فهم بهذا يسيرون على منوال واحد من الاحترام والطاعة للتعليمات الصادرة اليهم ٠ ولو كان الخبراء الاميركيون المرسلون من قبل البنك قد استطاعوا التنبؤ بالذى حدث ، ولو كانوا أيضا استطاعوا التنبؤ باستمرار أوروبا ونهاية المهاجرين لما ترددوا فى الموافقة عليها ٠

ويتلقى الكيبوتز الارض كقرض من Kereu Kayerneth ويدفع له الكيبوتز عائدا من القيمة الاجمالية تبلغ نسبتها ٣٪ ولاصلاح هذه الارض يتلقى الكيبوتز قرضا طويل الامد من Kereu Nayesedhqui وهى خاصية من خصائص هذا الاخير اذ أن هذا القرض غالبا ما يكون أقل من الحد الأدنى الضرورى لبدء العمل على قاعدة انتاجية ٠

ويكون لزاما بالتالى على الكيبوتزات اللجوء الى رأسمال البنوك مع تنازلها عن حريتها فى العمل الى الوكالة اليهودية التى تجنى فائدة ما من وراء الكيبوتز من حيث أن الكيبوتز لديه امكانية التأثير فى السياسة

الداخلية بشكل قوى وذلك عن طريق اشرافهـا على الزراعة والسكان من أهل الريف ٠

وقـد أوضحت دراسة أخيرة أن الاحتياجات التكميلية للكيبوتز من ناحية رؤوس الاموال يمدها بهـا البنك الانجلو ـ فلسطينى وقـد اتضح أن دفـع الفوائد وسداد الديون يمتص كل موارد الكيبوتزات ٠

وفى حالة عدم استطاعة الكيبوتزات الوفـاء بتعهداتها لا يتوانى الدائنون عن تقـديم كافـة التنازلات الضرورية كى يستمر الاستغلال بانتظام ٠

**قيمة الانتـاج بالليرة الفلسطينية**

**وقيمة المصروفات فى المزارع الجماعية**

| عام | ١٩٣٧ | ١٩٣٨ | ١٩٣٩ | ١٩٤٠ | ١٩٤١ |
|---|---|---|---|---|---|
| رأس المـال | ١ر٠٠٤ر٨٩٠ | ١ر٠١٦ر٧٧٩ | ١ر٢٤٣ر٦٤٨ | ١ر٥٤٩ر٠٠٠ | ٢ر٢٥٧ر٠٤٠ |
| المصروفات مع السـداد | ١ر٠١٨ر٠١٤ | ١ر٠٤٩ر١٣٥ | ١ر٢٢٥ر٣٦٠ | ١ر٤٩٠ر٩٢٢ | ٢ر٠٦٨ر٢٣٤ |

ويتضح وفقـا لهذه الارقـام أن رأس المـال المستثمر فى هذه المنشآت يسترد كل أربعـة أعوام ٠ وبهـذا فان القروض اذا لم تزد فانهـا على الاقل لا تفقـد قيمتهـا أبدا بالنسبة للدخل والموشاف أوفـديم

**ديون المنشآت الزراعية التعـاونية**

**بالليرة الفلسطينية**

| السنة | الديون |
|---|---|
| ١٩٣٣ | ٦٢٧ر٠٧٥ |
| ١٩٣٤ | ٧٧٨ر٠٩٨ |
| ١٩٣٥ | ١٠٥٦ر٨١٢ |
| ١٩٣٦ | ١٣٢٤ر٠٩٠ |
| ١٩٣٧ | ١٦١١ر٥٦١ |
| ١٩٣٨ | ١٨٤٩ر٨٩٣ |
| ١٩٣٩ | ٢١٩٢ر٨٣٩ |
| ١٩٤٠ | ٢٥٤٤ر٥٠١ |

| | |
|---|---|
| ١٩٤١ | ٢٨٥٠ر٥٠٥ |
| ١٩٤٢ | ٣٥٣٠ر٩٤٠ |

وبالنسبة لهذا الجدول يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن عدد المنشآت قد زاد كما زاد العدد المتاح لكل كيبوتزيم وموشاف ٠

وفى حالة رغبة أحد الكيبوتزات فى التوسع أو تحسين مكانته فانه يتوجه الى Keren Hameohad للحصول على قروض بفائدة تصل نسبتها الى ٦٪ للمبالغ الصغيرة ويتم السداد خلال ثلاث أو أربع سنوات ٠

أما كيبوتزيم حزب شومار هازائير فلهم Keren خاص بهم ٠ كما توجد مؤسسات لتقديم القروض نشاطها محدود فى مناطق معينة وتقع مباشرة تحت اشراف البنك الانجلو ـ فلسطينى ، لكنها لا تقدم سوى قروض قصيرة الامد ، والجدول الآتى ذو دلالة ، فهو يثبت أنه حتى فى فترات النهوض وبعد فترة طويلة من التواجد فان المزارع لا تسدد ديونها وانما تستمر فى الاقتراض ٠

**رؤوس الاموال المستثمرة بالليرة الفلسطينية**

| سنة | الاستثمارات المبدئية | الديون المؤجلة |
|---|---|---|
| ١٩٣٩ | ١٩٥١ر٨١٢ | ١٥٧ر٥٠٤ |
| ١٩٤٠ | ٢٢٢٥ر٣٥٣ | ١٦٥ر٥٤٧ |
| ١٩٤١ | ٢٥٢٣ر٥٩٤ | ١٨٧ر٠٧٨ |
| ١٩٤٢ | ٢٩١٥ر٠٨٤ | ٢٨١ر٤٢٦ |

ولنأخذ كمثال على ذلك اثنتين من أشهر الكيبوتزات فى فلسطين وهما جفاد وعين جارود ٠

قد زادت ديون كل منهما كما يوضح الجدول الاتى خلال السنوات من ١٩٤٠ الى ١٩٤٢ ٠

| الكيبوتز | الديون عام ١٩٤٠ ( بالليرة الفلسطينية ) | الديون عام ١٩٤١ ( بالليرة الفلسطينية ) | الديون عام ١٩٤٢ ( بالليرة الفلسطينية ) |
|---|---|---|---|

| | | | |
|---|---|---|---|
| جفـــاد | ٣٩ر٤١٧ | ٤١ر٠٣٩ | ٤٦ر٦٢١ |
| عين جارود | ١٤٤ر٥٨٧ | ١٤٤ر٣٤٣ | ١٣٩ر١٥٤ |

ومن جهـة أخرى فقـد اضطر هذان الكيبوتزان في عام ١٩٣٩ الى دفع فوائد على ديونهما تبلغ قيمتها ٦٥ ألف ليرة فلسطينية وفقـا للتوزيع التالى :

٣٧٪ الى KKL والوكالة اليهودية ٠

٣٦٪ الى البنوك أو الدائنين الاخـرين الذين يطبقـون نفس النسـبة المعتـادة المتراوحة ما بين ٨ الى ١١٪ ٠

٣٠٪ الى البنوك أو الدائنين الذين يستبيحون لانفسهم الحصول على فوائد قـد تتعـدى ١٨٪ ٠

## جدول مختصر عن دائنى المنشآت

## الزراعية التعاونية اليهودية فى فلسطين

| | | |
|---|---|---|
| مؤسسات مركزية صهيونية | ١٣٠٢ر٦٠٧ | ليرة فلسطينية |
| حسابات مختلفة | ٨٦٥ر١٧٧ | ليرة فلسطينية |
| اتحاد العمال الاسرائيلى وشركاته | ٥٣٧ر٤٥٠ | ليرة فلسطينية |
| بنوك معروفـة | ٥٣٥ر٩٩١ | ليرة فلسطينية |
| مؤسسات عامة | ١٨٤ر٤١٠ | ليرة فلسطينية |
| حكومة فلسطين | ١٠٥ر٣٠٥ | ليرة فلسطينية |

والجدول السابق خاص بأرقـام عام ١٩٤٢ وقـد صنف حسب نظـام الوكـالة اليهودية ولقـد كان من الافضل لمعرفة درجة الاستغلال جمع كـل ماله علاقـة بتكـاليف الانتاج وذلك لخصم المصاريف الاخرى ٠

ولهذا السبب وعلى الرغم من أن الكيبوتزات تعـد مزارع ذات انتاجية مرتفعـة الا أنهـا لاتستطيع رفع مستوى المعيشة لأفرادها أو على الاقـل تسـديد ديونهـا ٠

ولنستعرض الان أحوال المعيشة فى الكيبوتزات ، فحتى قيام الحرب ٠ اتفق الجميع الصهيونيون وأعداؤهم على السواء ، اتفقـوا على أن أحـوال الكيبوتزات تدعو للرثاء ٠

ذلك أن هذه الكيبوتزات التى تملك موارد كبيرة بالنسبة للاخريات تفتقد وسائل المعيشة المريحة الى درجة أن قاعة طعام فى كفار غيلادى ليست أفضل بأى حال من الاحوال من الاصطبلات • والحمامات ودورات المياه عامة بالنسبة لكل سكان الكيبوتز مهما كانت مساكنهم بعيدة مما يضطرهم الى الانتقال لمكانها بشكل غير مريح وغير مقبول •

والى وقت قريب كان سوء التغذية يسود الكيبوتزات ولا تزال هذه الكيبوتزات تعانى من نقص المواد الغذائية نقصا شديدا بسبب عدم كفاءة المسؤولين عن اعداد الطعام •

وفى بشمار أميك وفى مناطق أخرى يعانى أكثر من ٥٠٪ من أعضاء الكيبوتز من أمراض قرحة المعدة •

أما فيما يتعلق بظروف العمل فهى الظروف التى يمكن أن تسود فى أى مزرعة والعمل غالبا ما يكون شاقا أو خطرا ، لكنه فى أحيان أخرى يكون عملا بسيطا لا يتعدى الرد على مكالمات التليفون أو مسك دفتر الحسابات أو التجسس على القادمين الجدد أو العمل فى مجال التثقيف الصهيونى •

والحد الادنى لساعات عمل الكبار هو تسع ساعات وقد يبلغ أربع عشرة ساعة أو أكثر عندما يستلزم الامر •

وفى هذه الحالة يقوم المتطوعون من Härchare بالمساهمة فى العمل الاضافى •

ومأذا عن الامكانيات الثقافية ؟

ان أجمل قاعات الاطلاع تبقى خالية ، والواقع أن المبانى الثقافية لا يشغلها الا بعض عابرى السبيل أو بعض الاشخاص الذين يمارسون عملا بسيطا أو بعض الذين فى دور النقاهة •

وهؤلاء لا يرتادون الاماكن الثقافية الا لتصفح جريدة دون التعمق فيها أما المناقشات فلا تقام فى الصيف مطلقا ونادرا ما تتم فى الشتاء • وأغلبها غير مهم على الاطلاق ويحضرها قلة من الاشخاص وفى أغلب الاوقات تكون نوعيات الحاضرين ممن تأخروا فى تناول وجبة الطعام ( فالمؤتمرات تعقد فى قاعة الطعام ) وكثيرا ما يغلبهم النعاس خلال الجلسة •

الا أنه تجـدر الاشارة الى أن سكان كيبوتز آرسى شومر هازائير يهتمون بالحفـاظ على المظـاهر فيكلف الشباب بالاعداد للحفلات والاعيحاد من وقت لآخر ٠

وفى مساء الجمعة يبدأ الغنـاء والرقص حتى يكلون ويصيبهم التعب وذلك كمحاولة للخروج من الرقـابة التى تفرض على الشباب المعتاد على نمط مختلف تماما من الحياة والذى يجـد نفسه فجـأة معزولا ومحاصرا وسط آلاف الدونامات من الاراضى ٠

أليس ذلك شبيها بما حدث عنـدما ينطلق الفـلاح المصرى مغنيـا عسـاه ينسى هو الاخر همومه ؟

ويتبين لنـا من ملاحظـاتنا فى الكيبوتز أن دور الحضانة هى التى تحظى بأكبر اهتمام ، ذلك أن الصهيونية تواجه مشكلة زيادة النسـل وتحسين صحة الاطفـال حتى يمكنهم مواصلة عمل آبائهم فالاباء وحتى هؤلاء غير الراغبين فى مهنة الزراعة من سكان الكيبوتز يتعلقون بأطفـالهم وبحسن معاملتهم ٠ ومن ثم لا يتركون الكيبوتز ٠ وهذا عامل مهم بالنسبة للوكـالة اليهودية ذلك أن تكاليف الانفـاق على مثل هذا الفـلاح أو المزارع أقل من الفـلاح الذى يجلب من الخارج فالتشبث بالارض عامل من العوامل التى تتكون مع التقـدم فى السن ، ثم هنـاك أيضا التعليم الموجه الذى يجعل من هؤلاء الشباب غير قادرين على التحرك خارج الكيبوتز وكل من شاهد هذا النمط من الأشخاص يستطيع أن يجزم بذلك ٠

ولنر الان الكيبوتز من وجهة نظر اقتصادى صهيونى فاننـا نجـده يقـول :

« لا يوجـد فى الكيبوتزات مفهوم خاص للاستهلاك ٠ فالسلطة فى الكيبوتز لهـا حق مراقبة استهلاك أعضائها فى حدود أوسع ممـا تستطيع أن تفعله الجمعيـات التعاونية موشاف ٠

وغالبـا ما تسىء السلطة استخدام هذا الحق وبطريقـة غير انسانية وقاسية الى أقصى حـد ٠

والخـلاف مع الموشاف لا يتركز فقط على نوعية الغذاء وانما أيضـا على المساكن وهى مساكن متواضعة كمظهر بعض شباب موشاف أنفسهم ٠

( راجـع : (Munsner: Jewish Labour Ecoiomy.

والتفاصيل الآتية لهـا دلالتهـا :

فقـد نجحت بعض الكيبوتزات فى ايجـاد توازن فى ميزانيـة حساباتها بفضل الحزب وعنـدما أرادت لجنتهـا الادارية استثمار كمية أكبر من المال فى المبانى والاستهلاك عارضت الوكـالة اليهودية فى ذلك بحجـة أنه من الضرورى التوفير والاقتصاد وزيـادة الانتـاج وكان الهدف الحقيقى فى الواقع هو اجبـار الكيبوتزات على ايداع أموالهـا فى البنوك مما يتيح للبنـوك استعادة أموالها التى فقـدتهـا بانتقاص قيمتها ابان الحرب •

وهنـاك سبب آخر هو محـاولة منع أعضاء الكيبوتز من التعـود على العيش فى رفـاهية ويسر ، الامر الذى يرونه ضـارا بالنسبة لمشروعات الوكالة اليهودية المقبلة •

وفيما يتعلق بالشركات الصناعية الصغيرة فى الكيبوتزات لنر ما قاله مانستير : « ليس هنـاك ما يقـال ضـد اتجـاه الرأى العـام طالمـا أن هذه الشركات التعـاونية لا تدخل فى منافسة مع الشركات القائمة بالفعـل فى المـدن » •

فهى محتملة طالمـا أنهـا لا تسبب أضرارا أو خطـورة على وجـود أصحاب الشركات والعمال فى المـدن •

ربما كانت هنـاك خطورة اذا كانت بعض المؤسسات القومية تمنح المـال لمثل هذه المؤسسات مع رفضها منحه لشركـات خاصـة » ( العمـل الاقتصادى اليهودى فى فلسطين صفحة ٥٩ ) ولكن ما الذى استفاده رواد الكيبوتز من عملهم الشاق والمجهود المتواصل ؟ فى أفضل أنواع الكيبوتزات تجـد أن لهم مجرد الحق فى تناول الطعام عنـد الاحساس بالجـوع •

كما أن الكيبوتزينك ( فلاح الكيبوتز ) يتلقى مبلغـا ضئيلا ( يتراوح ما بين ٥٠ الى ٢٠٠ قرش بالقيمة الحـالية ) فى مقـابل خمسة الى عشرة أيام اجازة سنوية ويحـدث هذا فى أكبر وأغنى الكيبوتزات وحقوقه الضئيلة لا تتزايـد على الاطـلاق حتى ولو عمل لمـدة ثلاثين عاما وحتى لو كان قـد ساهم عنـد مجيئه الى الكيبوتز بآلاف الجنيهـات •

ولنر ما يتقاضاه عضو الكيبوتز ( الكيبوتزينك ) من أجر : تصل تكاليف الرعـاية السنوية لاسرة تشمل الاب والام وابن حديث السن الى ٢٥٠ ليرة

فلسطينية وفقا للتقييم الذى وضعه سكرتير الكيبوتز كفار ماكابى عام ١٩٤٥ فتتكلف رعاية كل عامل ١٠٠ ليرة فلسطينية ٠

ووفقا لاحصائيات اتحاد العمال الاسرائيلى يكون متوسط أجر العامل فى نفس الفترة ١١٥٠ قرشا يوميا أى حوالى ٤١٤ ليرة فلسطينية سنويا ٠

ولنفترض أن العامل يتعطل عن العمل حوالى ثلث السنة ، وان مصاريف اعاشته قد تكلفه ضعف ما يتكلفه الكيبوتز ( وهو شئ يستحيل حدوثه لاننا اذا استثنينا ثمن الطعام فان العامل العادى يجب أن يكون أكثر تقطيرا فى انفاقه من أى عضو فى الكيبوتز ) ويستطيع على الرغم من ذلك تغطية نفقاته ( العناية والرعاية يكفلهما له اتحاد العمال الاسرائيلى ) وسيعيش أحسن حالا مما لو كان يعيش فى الكيبوتز بما أنه حر فى اختيار ما يروق له ٠ وذلك أمر مستحيل حدوثه فى الكيبوتز ٠

والحساب يمكن أن يتم بطريقة أخرى ٠ ولنأخذ مثالا على ذلك كيبوتز جفاد وهى من أجمل وأغنى الكيبوتزات فقد بلغ ايرادها السنوى ( فى عام ١٩٤٤ ) ١١٣ر٨١٢ ليرة فلسطينية ٠

وكانت مصروفاتها بحيث تركت لها فائضا صافيا يبلغ ٤ر٠٨٠ وهى حالة استثنائية نظرا لظروف الحرب ٠

دفع هذا الكيبوتز خلال نفس السنة الى دائنيه على اختلاف أنواعهم المبالغ التالية :

| | |
|---|---|
| كيرين حايسود | ١٤ر٠٩٢ |
| الوكالة اليهودية | ٩١٥ر٠٠٠٠ |
| بنوك خاصة | ٦ر٠٠٠ |
| نير | ٣ر٥٧٤ |
| بنك هو بواليم | ٣٢٢ر٠٠٠ |
| البنك المركزى للحركة التعاونية | ٦ر٥١٠ |
| بنك مزارع ايميك اسرائيل | ٥ر٦٠٠ |
| المجموع | ٣٩ر٥٦٩ ل٠ف |

وهكذا يتضح ـ انعدام استقلالية الكيبوتز الذى هو مجرد تابع تماما للوكالة اليهودية وتتضح ظروف المعيشة التى يعانى منها أعضاؤه ٠

والحقيقة أن أصحاب النظريات فى الكيبوتز يفاخرون أن الجيل الجديد الناشىء فى الكيبوتزات سيكون أقل ثقافة من الجيل الحالى ٠

وقد وضعت هذه النظرية موضع التنفيذ بطريقة منهجية فى المدارس الثانوية ولنأخذ على سبيل المثال ـ لتوضيح ذلك ـ ميشمار أميك حيث لم يتم تدريس أية مادة بطريقة فعالة تحت شعار انتهاج الاسلوب الثورى فى التعليم ٠

كما لم يكن هناك متابعة للواجبات المدرسية ولا امتحانات نقل فالطالب ينتقل بطريقة تلقائية الى الفصل الدراسى الأعلى ٠

ونحن واثقون من أنه لا يوجد عدد كاف من المهتمين بالشئون الثقافية ٠

واذا كان عدد المهتمين بالثقافة لا يتعدى واحدا أو اثنين من المتعصبين أو من الموهوبين فانه عدد كاف للتوغل والهيمنة ونيل الشهرة فى كل مكان ٠

ونستطيع أن نتساءل أيضا ألا يوجد بين الاعضاء فكر اشتراكى تقدمى ؟

لا يوجد شىء من هذا القبيل ٠ اذا كنا نعنى بهذا الفكر محاولة تفهم القوانين التى تحكم حركة المجتمع أو القوى المحركة فيه أو على أقل تقدير الاحساس بروح الزمالة الصادقة ٠

اننا لا نجد الا محتالين ولصوصا ٠

وقد يحدث فى بعض الاحيان أن المتبقى من كيس الاسمنت لا يقيد فى الدفاتر لتهيئة الفرصة للسارق لاعداد وليمة فى المدينة ٠

ويحدث أن تكدس علب السجائر ثم تهرب بطريقة سرية بالسعر الذى تباع به فى المدينة ٠

وفى كثير من الاحيان نجد أن المستوى البدائى الذى يعيش فيه سكان الكيبوتز ( وهى ظاهرة تشاهدها فى السجن مثلا ) يدفع الرجل نحو الحيوانية فهو قد يضطر الى أن يغتصب لنفسه وبأى وسيلة كانت وبأى حجة بعض مواد الغذاء من مطعم الاطفال ٠

ومما يؤكد أيضا عدم ملكية المجتمع لوسائل الانتاج بشكل حقيقى هو وجود أوليجاركية نشأت عرضا وهى تتكون من العناصر الاكثر مهارة وهم يقومون بأسهل المهام ويقيمون صداقات وثيقة مع سكان المدن ؟ ومهما بدت هذه الامتيازات تافهة الا أنها لا تنتهى أبدا ، وانما تنمو وتتضاعف باستمرار فامتياز يعقبه امتياز آخر ، وهى نفس القصة التى تتكرر دوما منذ عصر الشيوعية البدائية • ثم تصل هذه العناصر الى الامتياز الأقصى حين تمكن عن طريق الوكالة اليهودية من الحصول على تكليف بالقيام بمهام سياسية •

وتفضل الوكالة اليهودية الاحتفاظ بمنصب وكيلها فى الخارج الى الأعضاء المتمركزين فى الكيبوتزات •

فهى تثق فيه فزوجته وأبناؤه فى الكيبوتز • وهو يتلقى جزءا من أجره من الكيبوتز وليس هناك امكانية للمعيشة خارج الكيبوتز اذا رفض هذه المهمة • فهو موغل فى هذه العقيدة البورجوازية التى يدين لها بتحسين مستقبله •

وبالنسبة للوكالة اليهودية فهو يعتبر رجل جدير بالثقة ويذهب الى البلد التى تحدد له ليقوم باختيار ذوى الاعصاب المرهقة فيوغر صدورهم بتوجس وشكوك فى المستقبل • وقد يعترض البعض على هذا الحديث قائلا : انها حالات خاصة فالكيبوتز فى مجموعه لا يقصد به مثل هذا النشاط ، وهو على العكس يعتبر مثالا للتقدم والتضامن فى العمل والحياة •

وسأجيب على ذلك بمثال قد يجده البعض عاميا لكونه مألوفا للغاية •

يوجد بالقرب من جيفاد — هذا الكيبوتز الغنى الذى سبق لنا الاشارة اليه — كيبوتز صغير اسمه حمادية لا يزال يناضل من أجل البقاء ، حتى أنه لا يملك حجرة غسيل • ويحقق كيبوتز جيفاد ربحا صافيا يصل الى ٤٠٨٤ ليرة فلسطينية ويمكن بتكاليف صغيرة أن يتولى غسيل كيبوتز حمادية • ولكنه رفض رغم أنهم عرضوا عليه تسديد التكاليف ، ومن ثم يضطر كيبوتز حمادية الى ارسال غسيله الى مغسلة فى حيفا •

ومن ثم نجد أن الكيبوتز فى الواقع ليس الا معسكر عمل يستخدم الأيدى العاملة بأقل سعر ممكن ولا تصل فيه التقنية المستخدمة الى المستوى الذى يطبق فى المزارع الكبرى فى الولايات المتحدة ، أما المستوى

الثقافى فهو منخفض على عكس ما يحدث فى مزارع الاتحاد السوفياتى الجماعية ٠

وقد أدرك ذلك كله من كانوا يريدون الاقامة فى الكيبوتز ثم غيروا رأيهم بعد أن عرفوا حقيقة الامر ٠ فمثلا نجد أن متوسط الاقامة فى كيبوتز عين هيرود الكبير يصل الى ٤ سنوات فاذا كان هناك من يعيشون فيه ٢٠ و ٢٥ عاما الا أن هناك ـ كثيرون يهربون منه بعد بضعة أشهر ٠

ولا شك فى أن المجتمع القائم على المصالح النفعية وعلى استغلال الانسان للانسان ، وعدم مكافأة الفرد طبقا للعمل الذى يؤديه انما يشجع الاستغلال والكسل ويضر بالانتاجية ٠ وهذا لا يخلق روحا اشتراكية لاتبدو الا لدى صفوة تخوض النضال الطبقى ٠ ولا تصبح هذه الروح عامة الا عندما ينتقل المجتمع كله الى مرحلة الاقتصاد الاشتراكى وهى عندئذ تعكس هذا الاقتصاد ولذلك فلا يمكن للعمال أن يحصلوا على أجور عادلة الا فى ظل هذا المجتمع وعندئذ سوف يهتمون بعملهم فى المجال الاجتماعى ويؤمنون ٠ ولا يمكن أن يتم ذلك أبدا فى ظل مجتمع رأسمالى حيث يعملون ان لم يكن من أجل الكسب المباشر فخوفا من الموت جوعا ٠

ان طلاب الكيبوتزات لا يدرسون الاحياء أو الطبيعة أو علم الفلك أو الفنون أو الجغرافيا ، كما أنهم لا يتلقون أى تأهيل سياسى ٠ فى حين نجد أن كل الافكار البورجوازية المسبقة تنتشر وتزدهر فى هذه الكيبوتزات حيث لا توجد منافسة ولا صراع لاثبات الكفاءات ٠

ويمكن القول بأنه اذا كان الكيبوتز مملوكا لاحد كبار ملاك الاراضى فان ذلك لا يغير شيئا ما فى حياة الكبوتز ٠

أما الاسطورة التى تقول أن أراضى الوكالة اليهودية ملك « للدولة » فهى خاطئة تماما ٠ فانها لن تصبح كذلك الا اذا أصبحت فلسطين دولة يهودية ، ولكن ألن تكون الوكالة اليهودية فى خدمة المصالح الرأسمالية ؟

وأود أيضا أن أشير الى انتقادات حاسمة للممارسة السياسية الصهيونية فيما يتعلق بالكيبوتز فى عديد من الكتب مثل ( كتاب الصهيونية كما تمارس ) ٠

في الختــام فان هذا الشكل من الانتاج اذا ما قورن بأنظمة الزراعة فى بلدان الشرق الاوسط الاخرى فانه ليس أكثر من نظــام يرسى قواعد تمــايز البورجوازية الزراعية والبروليتاريا الزراعية ٠

وقبــل أن نختم يجب أن نحـــذر ـ فى النهـــاية ـ من أنه وأيا كانت وجهــة نظر البعض فى منجزات الكيبوتزآت كمؤسسات زراعية ، قد يرى فيهــا هذا البعض نوعا من العناصر الايجابية ، فان الكيبوتز لا يصلح مطلقا كأداة للحكم على الصهيونية ذاتها ، والا كنــا كمن يصدر حكما ايجابيــا لصالح النظــام الفاشى مستخدما كشواهد اهتمامه بدقــة مواعيد القطــارات أو بتجفيف المستنقعات أو برصف كثير من الطرق الواسعة ٠

القــاهرة فى ١٩٤٥/١٠/٢٢

# وثائق

لمن

أيم درمان

صدرت مجلة « أم درمان » ـ « مجلة الكفاح المشترك » كلسان حال للقسم السودانى بالحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م ) وتولى رئاسة تحريرها « عبده ذهب » الذى استطاع أن يبلور على صفحاتها موقفا ماركسيا متميزا حول قضية العلاقة مع الشعب السودانى ٠

لكن « أم درمان » ـ وفى حالات قليلة جدا كانت تناقش مشاكل أخرى غير تلك المتعلقة بالسودان ومشاكله وعلاقاته بمصر ٠ وفى هذه الحالات القليلة كان كوادر ( ح٠م ) يتولون عرض وجهة نظر قيادة التنظيم ٠

ومن هنا فان المقال التالى يمكن اعتباره ممثلا لوجهة نظر قيادة ( ح٠م ) التى انتدبت لكتابته واحدا من قيادتها المركزية ٠

ونحن نورد هذا المقال كنموذج للمواقف التى اتخذتها منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى تجاه القضية الفلسطينية ٠

## الصهيونية وعالم
## مـا بعـد الحـرب

بقلم سعد المهدى *

تواجه الصهيونية اليوم أزمة حادة تهدد كيانها ومستقبلها • وهى فى نضالها المستميت للخروج من هذه الازمة تقع فى ورطة سياسية أثر أخــرى وتفضح نفسها بنفسها •

وليس أدل على هذه الازمة من تلك التهديدات المتكررة التى ترسلها جزافا لمن يقف فى طريقها أو يعوق تحقيق أغراضها الاستثمارية المجرمة فى فلسطين • هذه المؤتمرات المتتابعة التى يدعو اليها زعماؤها كلما شعروا ببوار بضاعتهم الكاسدة الفاشلة لعلهم يستطيعون الابقاء على حماس تلك البقية من الجماهير اليهودية المخدوعة بما يصدرون من قرارات يمعنون بها فى التغرير بتلك الجماهير •

لقد اعتمدت الصهيونية فى مرحلة نهوض الفاشية والنازية على الاضطهاد اللاحق باليهود لتبرير وجودها كحركة اجتماعية ترمى الى انقاذ اليهود من آلامهم وتأمين حياتهم بانشاء وطن قومى لهم ، وفى خلال الحرب برزت دعوتها الى بناء هذا الوطن المزعوم برغبتها فى تخليص اليهود من الفناء المحقق فى أوروبا •

واليوم وبعد أن اندحرت النازية والفاشية عسكريا واضمحلت العقلية العنصرية التى ترعرعت فى احضانها وأصبح المستقبل فى يد القوات التقدمية التى تبغى اقامة عالم تعيش فيه جميع الشعوب حرة مستقلة ، عاملة على ربط علاقاتها ببعضها على أساس التفاهم والصداقة المبنيين على احترام الحقوق ، والتعاون على القضاء قضاء تاما على بقايا الفاشية وأذنابها المقنعين •

فى مثل هذا العالم لا يمكن أن تعيش الصهيونية لانه باستتباب النظام العالمى على الاسس المذكورة ستزول الاسباب التى ساعدتها على النمو خلال

---

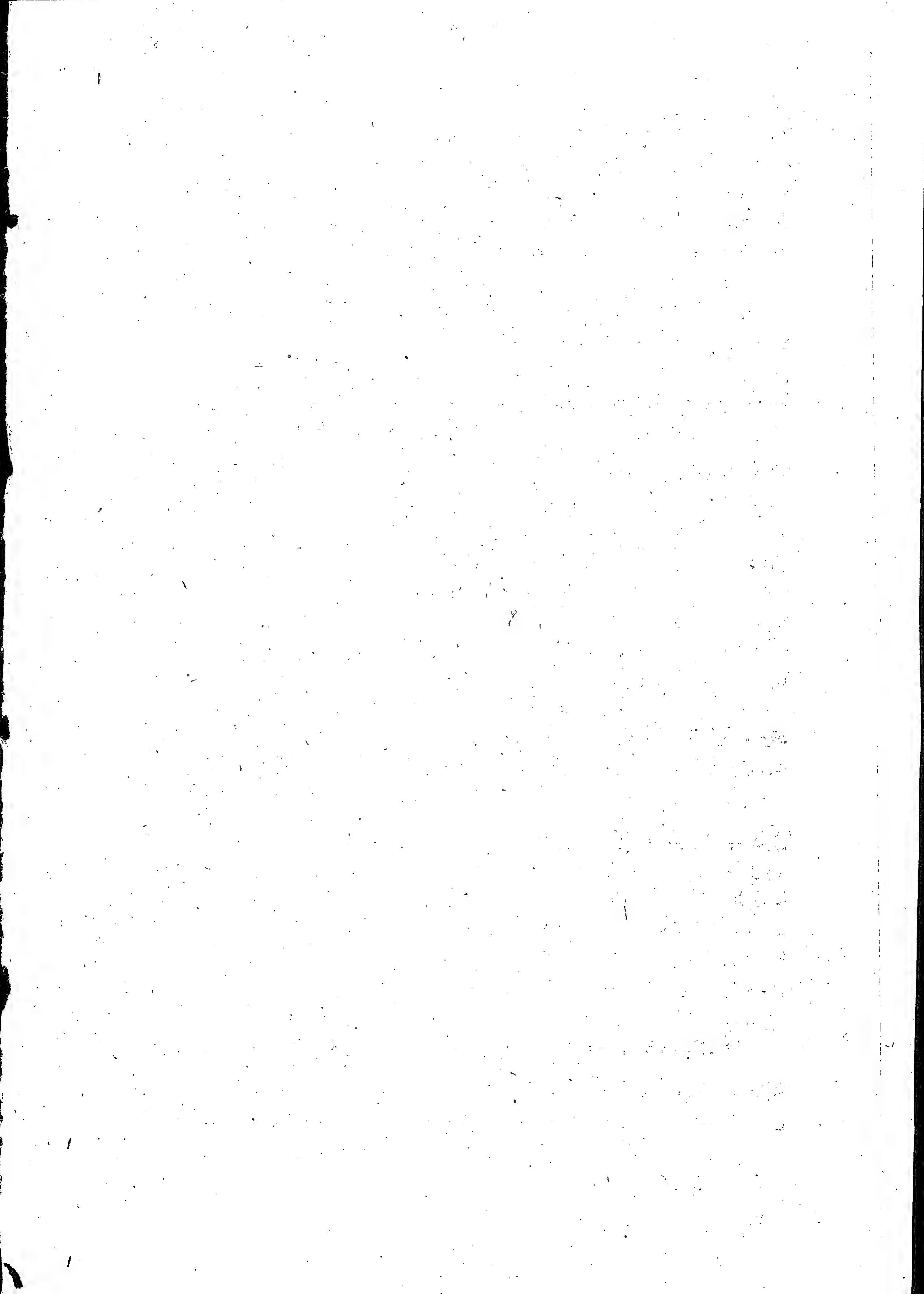
* أم درمان ٦ أكتوبر ١٩٤٥ •

أعوام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ، والتى أدت الى انقياد بعض أقسام الاقليات اليهودية التى كانت تعيش متساوية فى الحقوق فى البلدان الاوروبية الديمقراطية ـ الى الدعاية الصهيونية الفاسدة ، أى أن ظهور النظام النازى فى أوروبا وما تبع هذا النظام من ضروب الاضطهاد الوحشى للاقليات وخاصة الاقلية اليهودية كان العامل الاساسى لازدياد النشاط الصهيونى بين الجماهير اليهودية ، واظهار الحركة الصهيونية على أنها الطريق الوحيد لانقاذ هذه الجماهير من وضعيتها الذليلة ، ووقف الزعماء الصهيونيون آنئذ موقف القادة المنقذين • وقد استغلوا شقاء الشعب اليهودى تحت وطأة الاستبداد النازى استغلالا كبيرا حيث سعت سعيا لا مثيل له لتوجيه أنظار الاقليات القومية اليهودية فى أوروبا والعالم أجمع الى الحركة الصهيونية وما ترمى اليه من بناء وطن قومى على أنه المنقذ الوحيد للمسألة الصهيونية •

ولكن الزعماء الصهيونيين يدركون اليوم ان الاسباب التى الجأت هذه الاعداد الكبيرة من اليهود للهجرة قد زالت الآن باندحار الفاشية ، وأصبحت مسألة تكنيسها عن وجه الارض مرتبطة بانتصار قوى شعوب العالم الحرة فى صراعها ضد الرجعية العالمية الملاذ الاخير لبقايا الفاشية ـ هذا الانتصار سيخلق الضمان لحرية اليهود وغير اليهود فى أوربا والعالم على أساس العدل والمساواة والاخاء ، وقد الغيت فعلا تلك القوانين الظالمة التى نشأت مع تسرب النازية الى جميع الدول الاوربية وسيطرتها عليها ، ففى بلغاريا صدر قانون ـ منذ تولى الجبهة الوطنية المتحدة الحكم ـ يقضى بالغاء جميع القوانين الاستثنائية الصادرة قبلا ضد اليهود ، وهى تقضى باعادة الاموال والاملاك والمتاع اليهودى الذى صودر من قبل بموجب تلك القوانين الاستثنائية ، وقد تسلم اليهود فعلا أموالهم وأملاكهم وتعويضات كاملة عن المفقود منها والغيت الضرائب الاستثنائية التى فرضت عليهم •

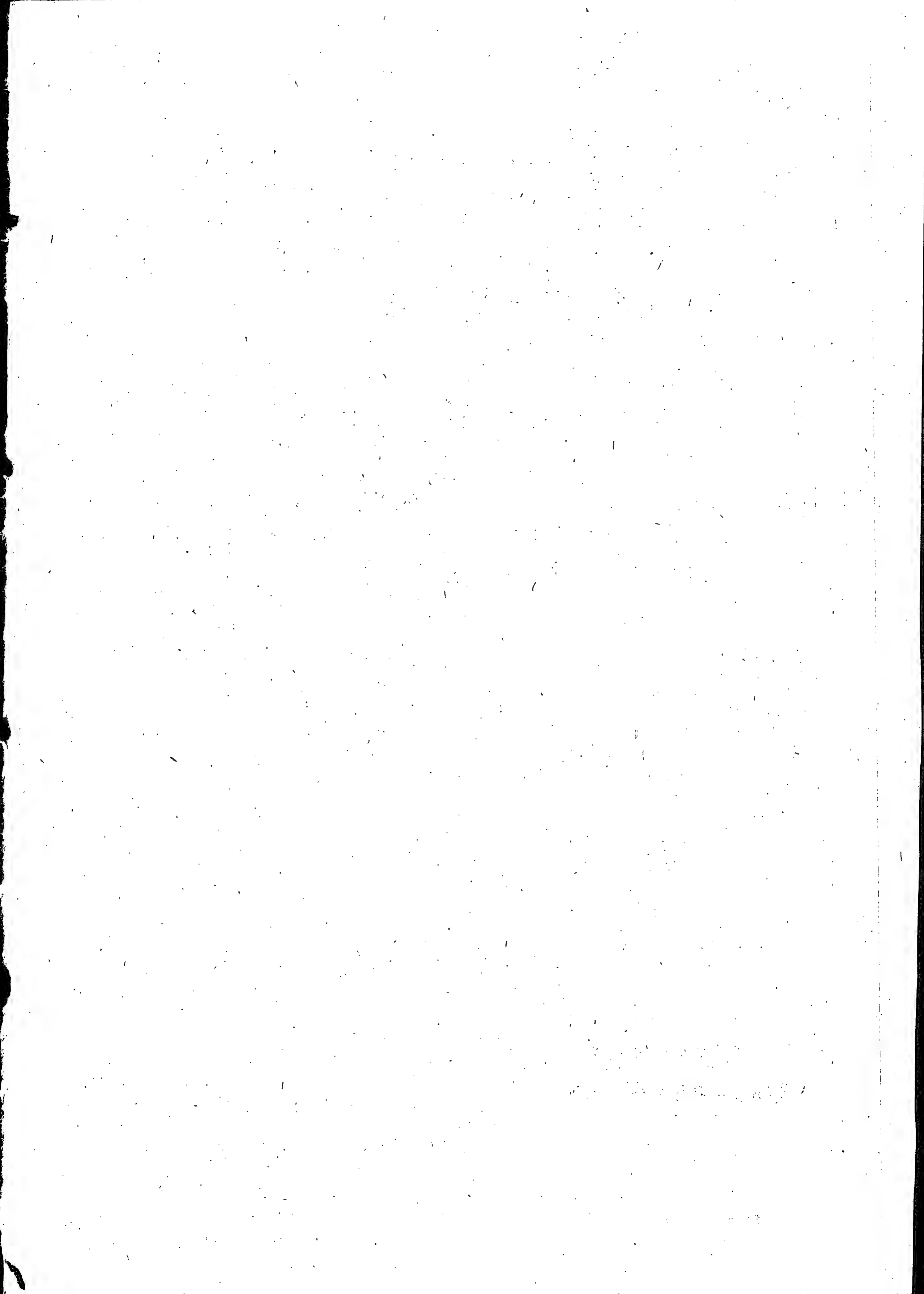
وفى برقية ليهود رومانيا موجهة الى يهود فلسطين المهاجرين ـ دليل آخر لما تنتظره الشعوب عامة ومن ضمنها اليهود فى أوربا ـ يشرح فيها زعيم الجمعية الصهيونية حالة اليهود هناك بقوله « عدنا الى الحرية ، بلغوا الوكالة والشعب اليهودى ، ان اليهود فى رومانيا سالمون أصحاء واننا استأنفنا الجهود وصدرت صحفنا من جديد » ، وقياسا على ذلك الحالة فى جميع دول أوربا المحررة التى انتصرت فيها قوات الحرية على قوات الظلم والطغيان والتى يحاول اذنابهم من الرجعيين اليوم محاولتهم البائسة الاخيرة لوقف هذا التيار الشعبى الجارف العامل على توطيد أركان الديمقراطية الصحيحة فى هذه البلاد •

من هذا يتضح ان العوامل التى ساعدت الصهيونية على النمو فى حقبة من الزمن قد زالت تماما ، وان الجماهير اليهودية لتأبى أن تكون أداة طيعة فى يد الصهيونية بعد القضاء على الفاشية وتوفر أسباب الديمقراطية •



# وثائق

الرابطة الاسرائيلية
لمكافحة الصهيونية



اتخذ كفاح « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( حدتو ) الى جانب شعب فلسطين محاور عديدة كان أهمها فضح الصهيونية كحركة سياسية رجعية عنصرية عميلة للاستعمار ، والعمل على عزلها عن جماهير الطائفة اليهودية فى مصر والتى كانت تمثل فى الاربعينيات ثقلا عدديا واقتصاديا هاما . كذلك فان ( حدتو ) قد وقفت فى وجه محاولات جر الجماهير المصرية الى موقف عنصرى ضد الطائفة اليهودية وتمثل ذلك فى اصرارها على ضرورة التمييز بين الصهيونية كحركة سياسية وبين اليهودية كدين ..

وتأكيدا لهذين الموقفين قامت ( حدتو ) بتكوين « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » والتى نعرض هنا وثائقها ..

وقد أثار تشكيل هذه الرابطة اهتمام السفارة البريطانية التى أبرقت الى وزير الخارجية بيفن أكثر من مرة بمعلومات تفصيلية عن هذه الرابطة وعن نشاطها .

وثمة برقية تقول « بالاشارة الى برقيتى رقم ٦٠٨ المؤرخة فى ١١ يوليو ١٩٤٧ ، لى الشرف أن أبلغكم أن ممثل جهاز الامن قد أحضر لى نسخة من كتيب لهذه الرابطة جرى توزيعه بين الجالية اليهودية وعلى البعثات الدبلوماسية العربية بالقاهرة » .

وبعد أن تستعرض البرقية موجزا لما ورد فى هذا الكتيب تقول « ان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، هى شيوعية بالاساس » .

ونظرا لاهمية الامر فان نسخا من الكتيب قد أرسلت الى « القيادة العامة بفلسطين ، والى مكتب الشرق الأوسط ـ والى مركز المخابرات العامة ، القسم السياسى ( قسم الشرق الاوسط ) ، والى جهاز مخابرات الشرق الأوسط »(١) .

والحقيقة أن مجرد تكوين هذه الرابطة قد أثار ذعر العناصر الصهيونية التى ركزت كل جهدها لحل هذه الرابطة ولاستعداء السلطة عليها وقد نجحت بالفعل فى استصدار قرار من وزير الداخلية بحل الرابطة .

ان وثائق هذه الرابطة لا توضح فقط حقيقة مواقف وشعارات « حدتو » ضد الصهيونية ، وانما توضح أيضا ان هذا التنظيم قد أخذ مسألة الكفاح ضد الصهيونية مأخذ الجد ، ولم يكتف بالشعارات أو المواقف وانما خاض معركة النضال السياسى والجماهيرى ضدها ..

ان « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » ليست مجرد تنظيم طائفى قام ثم حل ، لكنها تعبير عميق عن مدى صدق واخلاص قادة هذا التنظيم للمواقف التى أعلنوها تجاه القضية الفلسطينية .

---

1) F.O. 371 — 61759 — No. 882 — 112/13/47 — Cairo 25 the oct 1947

ضد الصهيونية ... فى

صالح اليهود ... فى

صالح مصر *

١ .

نشأت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة اليهودية ، هذه المشكلة القديمة الأليمة . ومؤسسو الرابطة لا يجهلون المصاعب والعقبات المختلفة التى ستعترض بدون شك طريقهم وهم ما ضون فى كفاحهم من أجل الطائفة الاسرائيلية المصرية بل من أجل يهود العالم أجمع .

أنهم يعلمون جيدا الوسائل الخطيرة والماكرة التى يلجأ اليها الساسة الصهيونيون كما يلجأ اليها أولئك الذين يستعملون الصهيونية كأداة لخدمة سياستهم الاستعمارية فى الشرق الاوسط وهم لا يقللون من مدى تغلغل الاوهام والاحلام الخطيرة التى تبثها الدعاية الصهيونية فى أذهان اليهود . ومؤسسوا الرابطة المميزون منذ بدء كفاحهم ضد الصهيونية فى مصر .. بين الضحايا المخدوعين الذين ضللتهم الدعاية الصهيونية ، وبين تلك الجماعة من الساسة والمأجورين الذين يجعلون من المشكلة اليهودية وسيلة يستغلونها لتحقيق أغراضهم ومطامعهم الانانية .

ان كفاحنا ضد الصيهونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية .

## أ - المشكلة اليهودية ونواحيها المختلفة

يشهد رماد ستة ملايين من اليهود ، ممن ذهبوا لتوحش الفاشيين ابان سيطرة النازيين على أوربا ، بوجود مشكلة يهودية وليس العداء لليهودية - كما يدعى العنصريون - ظاهرة يرجع سببها الى صفات خاصة باليهود .

---

* بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية . القاهرة يونيو ١٩٤٧ . مطبعة الشبكشى بالازهر بمصر .

ولا كما يدعى الصهيونيون الى صفات خاصة بغير اليهود • انها ظاهرة - شأنها شأن الازمات الاقتصادية والحروب متولدة من أعماق هيكلنا الاجتماعى وهى دليل مثلهما على عدم توازن وخلل فى مجتمعنا • فلان هناك عيوبا ومظالم فى مجتمعنا ، ولان هناك أناسا مضطهدين ومستغلين نرى المسؤولين عن هذا الاستغلال والاضطهاد يحاولون - وكثيرا للاسف ما ينجحون - فى تحويل كفاح ضحاياهم الذى يزداد خطرا عليهم ، نحو الذين خصصهم التاريخ للقيام بدور كبش الفداء ألا وهم اليهود ، فالعداء لليهودية - وهو السلاح المفضل لدى الرجعية الفاشية - ليس موجها ضد اليهود فحسب بل هو موجه أيضا ضد الجماهير اليهودية ، التى يرمى الفاشيون لتحويل كفاحها ، أى ابقائها فى أغلال العبودية •

فالمشكلة اليهودية لا تهم فقط اليهود الذين يحملهم أعداؤهم جميع عيوب مجتمعنا ، بل تهم أيضا الجماهير الشعبية ضحية هذه العيوب • ولهذا نجد الحركات الديمقراطية فى جميع أنحاء العالم تحارب العداء لليهودية باعتباره سلاحا فى يد أعداء التقدم والحرية •

وهذا التضامن فى المصالح وهذا التحالف الواقعى بين الجماهير اليهودية والقوى الديمقراطية العالمية • هو خير ضمان لحل هذه المشكلة القديمة حلا نهائيا حاسما •

فنحن على عكس الصهيونيين الذين يعتبرون العداء لليهودية ظاهرة أبدية لا يمكن تجنبها نثق ثقة تامة بالانسانية ونثق بقوى التقدم ونتفاءل بالمستقبل الدانى اننا نؤمن بقرب انشاء عالم لا يكون فيه البؤس والحرب والعداء لليهودية وكل فظائع الحاضر المخجلة سوى ذكرى أليمة لماض بغيض •

ان المشكلة اليهودية قد تفرعت اليوم فأصبحت ذات ثلاثة جوانب متمايزة الواحدة عن الاخرى :

توجد أولا مشكلة الاقليات اليهودية التى تعيش فى أغلب أنحاء العالم وهذه هى الناحية الرئيسية للمشكلة اليهودية اذ تمس مباشرة الاغلبية الساحقة من اليهود •

وهناك ثانيا ، مشكلة يهود فلسطين ويريد الصهيونيون اظهارها على أنها المشكلة اليهودية بأسرها •

وتوجد أخيرا ، مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات المشردين فى أوربا الغربية •

هذه هى النواحى الحالية للمشكلة اليهودية التاريخية •

## ب - مشكلة الاقليات اليهودية

شاء التاريخ أن يعيش اليهود متفرقين منذ قرون فى جميع القارات وفى معظم أنحاء العالم وأن يكونوا فيها أقليات تعيش جنبا الى جنب مع أغلبية السكان تشاركهم أعمالهم وآلامهم وآمالهم ولكن - وهنا تبدأ المشكلة اليهودية - تنتهز العناصر المعادية للديمقراطية فى المجتمع وجود عدد من اليهود بين المسؤولين عن بؤس الجماهير لاثارة الشعب ضد الاقلية اليهودية بأجمعها ، فتشيع الارتباك بين صفوف الجماهير الشعبية وتحول كفاحها التحريرى الوطنى الاجتماعى الى كفاح عقيم ضد « الجنس اليهودى » ٠

ويدعى الصهيونيون أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو جمع اليهود فى فلسطين وانشاء دولة يهودية على غرار الدول الاخرى ٠ ونحن نعلن اننا لا نعترض من ناحية المبدأ على فكرة تكوين قومية يهودية فى جهة ما من العالم ، ولكننا نراه أمرا خياليا ومستحيلا من الوجهة العلمية فى ظروف العالم الحاضرة أن تتكون قومية تضم جميع اليهود أو أغلبيتهم أو حتى قسما هاما منهم ، كما اننا ننكر أن تكون فلسطين هى البلد الذى سيتوقع أن يتجمع فيه عدد من اليهود يسمح بحل المشكلة اليهودية ٠

وما نعيبه على الصهيونيين هو أنهم يريدون جذب اليهود الى فلسطين بالرغم من معارضة سكانها من العرب وبمساعدة القوات الاستعمارية الظالمة ٠

فالصهيونية بدلا من أن تحل المشكلة اليهودية تؤدى بالعكس الى تعقيدها وزيادتها حدة ، فلا يوجد بلد على سطح الارض يعيش فيه اليهود وسط عداء أغلبية السكان وفى ظل نظام استعمارى ظالم كفلسطين ٠

والصهيونية تساعد الآن على قلب العالم العربى المشهور بصداقته التقليدية نحو اليهود الى أرض خصبة للحركات المعادية لهم ٠ وليس أدل على فشل الصهيونية فى حل القضية اليهودية من أنه قد ذبح ستة ملايين من اليهود بعد نصف قرن من نشاط صهيونى عالمى وبعد ربع قرن من نشاط صهيونى فى فلسطين ٠ ان الصهيونية التى ولدت فى الاحياء اليهودية القديمة كأمل عاطفى ، ليست اليوم الا أداة بين أيدى القوى الاستعمارية العالمية التى تريد استخدام اليهود لتأكيد سيطرتها على الشرق الاوسط ٠

انا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم فى آخر الأمر مصالح أجنبية وضارة بهم ٠

«ونحن نعلن أن الطريق الوحيد الذى يجب على اليهود أن يسلكوه هو الاشتراك الصريح المخلص فى الحياة القومية للبلد الذى يعيشون فيه • اننا لا نطالب اندماج اليهود الكامل ـ أى ذوبانهم ـ فى الاغلبية المحيطة بهم ، اذ دلت التجارب على أن ذلك ليس ممكنا فى كل مكان ولكننا نؤكد أن اشتراك اليهود الفعلى فى الحركة هو الوسيلة الوحيدة لعرقلة نشاط أعدائهم ولتقريب اليوم الذى توضع فيه عداوة اليهود الى الابد فى متحف التاريخ

لا يتقدم العداء لليهودية الا حيث تتراجع الديمقراطية • فالفاشية هى العدو الرئيسى لليهود وعلى هذا فمن الواجب علينا أن نكافح بكل قوتنا للقضاء على جميع بقايا الفاشية ، وعلى جميع المحاولات التى تبذل لاحيائها من جديد ، اننا نتهم الصهيونيين بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوهم الاول ـ ألا وهو الفاشية ، بل أكثر من هذا نتهم الساسة الصهيونيين بالتعاون المتزايد مع عناصر مشهورة بنزعاتها الفاشية وفى ذلك خيانة لا تغتفر للقضية اليهودية ، هذه القضية التى لا يمكن فصلها عن قضية الشعوب العامة •

ان سلام الاقليات اليهودية لن يكفل الا بالتحالف مع القوى الديمقراطية ، التى بتحقيقها للحرية والرفاهية لكافة الشعب ستحقق بهذا الحرية والرفاهية لليهود •

## ج ـ المشكلة الفلسطينية

ليس معنى معارضتنا للصهيونية التى تدعى امكان حل المشكلة اليهودية بجمع اليهود فى فلسطين ، اننا لا نهتم بالمشكلة الفلسطينية المتصلة بمصير يهود فلسطين الذين بلغ عددهم الآن ثلث سكان تلك البلاد • لا تمنعنا معارضتنا للصهيونية عن التشهير بجميع المحاولات التى ترمى الى طرد السكان اليهود من فلسطين أو عدم الاعتراف لهم بكامل حقوق المواطنين ونحن فخورون بما حققه اخواننا فى فلسطين فى الميدان التعاونى والمادى بل أننا نريد المحافظة على هذه الاعمال وضمان نموها وبهذا فاننا نفضح الصهيونية ونكافحها •

ان الصهيونية تجعل بقاء اليهود فى فلسطين فى خطر فهى بتعاونها الخطر مع القوى الاستعمارية التى تسيطر على فلسطين أو تحاول أن تسيطر عليها ، وبالتفرقة المصطنعة التى تساعد على ايجادها بين الجماهير اليهودية والعربية ، تعمل على جعل اليهود آلة طيعة فى أيدى الاستعمار وتضعهم فى وجه الحركة التحريرية العربية ، وتفصلهم عن حلفائهم الطبيعيين ، القوى الديمقراطية العالمية •

ولكن وعي الجماهير اليهودية فى فلسطين يزداد باستمرار ، كما يزداد احساسها بخطر السياسة الصهيونية الاجرامية • ان النظام البوليسى الاستبدادى الذى يكبل اليوم فلسطين التى حولت الى قلعة عسكرية يبين بوضوح الاغراض الانانية للاستعمار الذى لا يعتبر فلسطين الا كقاعدة للسيطرة على الشرق الاوسط وللدفاع عن مصالح احتكارات البترول • ان المشكلة الفلسطينية هى أساسا مشكلة تحرير فلسطين من الاضطهاد والاستعمار والطريق الوحيد الذى يجب أن يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم ، لتحرير فلسطين من نير الاستعمار • ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هى الوحيدة التى تستطيع أن تضمن للسكان اليهود حياة رغدة حرة ومثمرة •

أما عن الاشكال الدستورية التى ستتخذها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى أن هذه المسألة يجب أن تترك للفلسطينيين أنفسهم عربا ويهودا ليحلوها كيفما شاءوا •

ويعارض الساسة الصهيونيون فى فزع أمر استقلال فلسطين فالمشكلة الفلسطينية فى نظرهم ليست سوى مشكلة الهجرة اليهودية وهذه النظرة لا تخدم سوى الاستعمار لانها تستر سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية ولانها تتيح له ان يلعب دور « الحكم » باشعال نار الخلاف بين العرب واليهود •

اننا نرفض تأييد سياسية للهجرة تعارضها اغلبية سكان فلسطين وتؤدى عمليا الى نتائج تتعارض مع الاغراض الانسانية المزعومة اننا لسنا فى حاجة الى هجرة تؤدى باخواننا اليهود الى ان يعيشوا فى جو حرب اهلية فى فلسطين ، ان لم تؤد بهم الى معسكرات قبرص المشؤومة وراء الاسلاك الشائكة • ولكننا واثقون ان فلسطين الحرة المستقلة ستشترك عن طيب خاطر مع الدول الديمقراطية الاخرى فى ايواء اليهود المشردين •

انا نتهم الارهاب اليهودى فى فلسطين بأنه حركة فاشية موجهة أساسا ضد الجماهير اليهودية ولا تخدم فى الواقع سوى المستعمرين الذين وجدوا فى الحركات الارهابية تحت ستار المحافظة على الامن حجة قانونية فى الظاهر لتحويل فلسطين الى معسكر مسلح فى خدمة مشروعاتهم العدوانية، وتبريرا أدبيا فى الظاهر لاخضاع السكان الى نظام اضطهاد واستبداد دائم •

اننا نحمل الصهيونيين مسؤولية الافكار والوسائل الفاشية بين اليهود • اذ ليست الحركات الارهابية سوى نتيجة منطقية للسياسة الصهيونية المغامرة :

ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحريرية العربية فى سبيل فلسطين حرة مستقلة ديمقراطية هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية فى فلسطين ٠

د ـ مشكلة المشردين

اننا واثقون ان كل انسان جدير بانسانيته مهما كان دينه ومهما كانت جنسيته ، لا يمكن الا أن يشعر باشمئزاز رهيب أمام الجرائم الفظيعة التى ارتكبها المجرمون الفاشيون فى معسكرات الموت كما أنه ولا بد يحيى ذكرى هؤلاء البؤساء الذين ذهبوا ضحية البربرية الهتلرية ، ولكن مئات الالاف ممن نجوا من هذه المعسكرات لا يزالون الى الان ـ بعد أكثر من سنتين من انتهاء الحرب ـ مسجونين فى معسكرات المهاجرين فى أوربا الغربية ٠

اننا نعيب على الصهيونيين عدم اهتمامهم بهؤلاء اليهود المشردين الا فى حدود مصالحهم الضيقة الانانية ، اذ يرفض الصهيونيين التفكير فى أى حل لهؤلاء التعساء سوى الذهاب الى فلسطين ، وبذلك يطيلون عذابهم ليتمكنوا من استغلاله فى حدود مصالح السياسة الصهيونية ٠

اننا نعتبر مشكلة اخواننا فى معسكرات المشردين كمشكلة انسانية تهم الضمير العالمى ٠ ولذلك نوجه نداءنا الى جميع أحرار العالم ليجدوا حلا لهذه المشكلة الاليمة ٠

ونحن نرى أنه من الواجب ضمان امكانية الرجوع فى الحال لليهود المشردين فى معسكرات ألمانيا والنمسا الى البلاد التى طردتهم منها الفاشية، ويزيد هذا الحل اليوم سهولة أن أغلبية المشردين كانوا يعيشون فى بلاد شرق أوربا المحررة التى تعاقب الان بعقوبات صارمة قد تذهب الى حد الاعدام ـ جريمة العداء لليهود ٠ أما الذين يريدون لاسباب نفسانية بدء حياة جديدة بعيداً عن ذكريات الماضى المحزنة فاننا نرى أنه من واجب جميع البلاد ولا سيما الواسعة منها استقبال هؤلاء المشردين ومساعدتهم على التوطن فيها ٠

ه ـ الطائفة اليهودية فى مصر

عاشت الطائفة اليهودية المصرية العريقة فى القدم منذ قرون طويلة جنبا الى جنب فى مودة واخاء مع بقية سكان مصر ٠ ويكفى أن نذكر أسماء فيلون الاسكندرى وسعد بن يوسف الفيومى وموسى بن ميمون كدليل على حرية الفكر اليهودى فى مصر ٠

ولكن منذ بضع سنوات وجد يهود مصر أنفسهم تحت ضغط وتأثير دعاية مركزة صهيونية واسعة النطاق تحاول أن تبث فيهم أفكارا عنصرية شوفينية تحول كل اهتمامهم ونشاطهم نحو تكوين ما يسمونه دولة يهودية فى فلسطين • ان الازمة الاقتصادية التى تسير الان أخذت تمس اليهود بازدياد ، اذ أن أغلبيتهم ينتمون الى الطبقات المتوسطة فصاحب الحرفة اليهودية والتاجر الصغير والمستخدم الذين يقاسون شظف العيش كثيرا ما يقعون فريسة للدعاية الصهيونية التى تجعلهم يحلمون بالهرب من حياتهم الصعبة ليعيشوا فى فلسطين « كفلاحين للارض فى الهواء الطلق وبدون أن يهتموا بقوت الغد » ويضاف الى أكاذيب الدعاية الصهيونية ضغط بعض أصحاب الاعمال الصهيونيين أو المحبذين للصهيونية •

اننا نعادى فى صراحة وسائل الدعاية الصهيونية فى مصر التى ترمى الى عزل الطائفة اليهودية عن الشعب المصرى عزلا خطيرا • واننا لمصممون بكل قوتنا على مكافحة عملاء الصهيونية فى مصر ، الذين يخونون المصالح الحقيقية لليهود المصريين لخدمة مصالح متعارضة كل التعارض مع مصالح اليهود ومصالح الشعب المصرى بأجمعه • اننا نراه واجبا مقدسا على يهود مصر أن يعلنوا حربا لا هوادة فيها ولا رحمة على الافكار الصهيونية وعلى من يقومون بالدعاية لها • يجب أن نخلص الشباب اليهودى فى مصر من سموم الصهيونية •

ونحن نعلن أن السبيل الوحيد ليهود مصر هو الانضمام الى الحركة الوطنية المصرية والتضامن التام معها فى سبيل تحقيق جميع أهدافها • اذ لا تختلف مصالح الجماهير اليهودية بتاتا عن مصالح الشعب المصرى العامة • ولا يمكن أن يعيش يهود مصر متساوين مساواة أخوية مع مجموع السكان الا اذا كانت مصر مستقلة حرة ديمقراطية •

والرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية تعلم أنها بكفاحها ضد النفوذ الصهيونى الضار انما تخدم مصالح الطائفة اليهودية كما أنها تخدم مصالح الوطن المصرى •

**و ـ أغراض الرابطة**

ان أغراض الرابطة تتفق وخطتها السليمة لحل المشكلة اليهودية فى نواحيها المختلفة فلان الصهيونية ترمى الى زج يهود العالم كله فى مأزق حرج أو لانها تعرض للخطر مصير يهود فلسطين ، كما أنها تستغل لأغراض انانية ما يعانيه المهاجرون من بؤس ، ولانها تحاول أخيرا عزل الطائفة اليهودية المصرية عزلا خطيرا عن مجموع الشعب المصرى ، لهذا تعتبر الرابطة أن الصهيونية هى أخطر حركة ظهرت فى تاريخ اليهود أن الصهيونية عقبة فى طريق حل المشكلة اليهودية •

والكفاح ضد الصهيونية واجب مقدس على كل يهودى ويهودية ، خاصة وأن تقدم القوات الديمقراطية فى العالم يفتح أمامنا امكانيات حل قريب للمشكلة اليهودية العتيقة ٠

وفى الوقت الذى تكافح فيه الرابطة ضد الصهيونية تناضل من أجل جميع العناصر الايجابية التى تسهل من حل المشكلة اليهودية ٠ وأغراض الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية هى :

١ ـ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب ٠

٢ ـ الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصرى فى الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية ٠

٣ ـ العمل على التقريب بين اليهود والعرب فى فلسطين ٠

٤ ـ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين ٠

وقد اقتصرت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية على قبول اليهود دون غيرهم كأعضاء عاملين فيها ، لانها تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل أساسا بين الجماهير اليهودية ، وبمناهضتها للصهيونية تخدم المصالح الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية وبالرغم من استقلالها عن جميع الاحزاب السياسية ، فالرابطة تعلن استعدادها للتعاون مع جميع الذين يؤيدونها باخلاص فى كفاحها لتحقيق أغراضها ٠ وبمقدار نجاح الرابطة فى كفاحها ضد الصهيونية وبمقدار نجاحها فى جذب الجماهير اليهودية نحو الحركة الوطنية الشعبية المصرية ، تعلم الرابطة أنها فى خدمة مصر ومصلحتها وهى فخورة بذلك والرابطة واثقة فى عدالة دعواها ، واثقة من نتيجة الكفاح الذى تخوضه وواثقة من تأييد الرأى العام الديمقراطى لها ـ تشن نضالها ضد الصهيونية أداة الاستعمار وعدوة اليهود تحت شعار :

ضد الصهيونية ! ٠٠ فى صالح اليهود ! ٠٠ فى صالح مصر ! ٠٠

**الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية**

**القاهرة يونيو ١٩٤٧**

## الاسرائيليون الوطنيون يؤلفون رابطة لمكافحة الصهيونية *

تألفت أخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، ورأت ادارة « الجماهير » أن المسألة مهمة فأوفدتنا لمقابلة سكرتير الرابطة الاستاذ عزرا هرارى ..

وتلقانا الاستاذ بترحيب كبير اتبعه بفنجان من القهوة وسيجارة وابتدأنا نسأله وهو يجيبنا بعربية واضحة .

سألناه : ما أهداف هذه الرابطة ؟

– ان أهداف الرابطة هى مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر .

– ولكن لماذا تكونت فى هذه الايام بالذات ؟

– لان الدعاية الصهيونية المسممة نشطت فى مصر أخيرا نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو فى بلد كمصر عاش فيه اليهود أجيالا متعاقبة على أحسن ما يكون من الوئام مع زملائهم المصريين .

– ومن هم زعماء الصهيونية فى مصر ؟

– ان زعماء الصهيونية فى مصر معظمهم من كبار الاثرياء وأصحاب الأعمال ، وهم يستخدمون سلطانهم وأموالهم للضغط على موظفيهم الاسرائيليين وتهديدهم بالطرد ، ان لم يصبحوا صهيونيين مثلهم ولذا أصبح من واجب الاسرائيليين الديمقراطيين أن ينذروا الجماهير اليهودية بخطر الصهيونية ، وأن يجمعوا اليهود فى حركة قوية مضادة للصهيونية .

---

* الجماهير ٥ مايو ١٩٤٧ .

- ولكن .. هل الصهيونية خطر على اليهود أنفسهم ؟

- بالطبع ! فالصهيونية أداة استعمارية ، تريد جذب جماهير اليهود اليها لتحقيق أغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية فى فلسطين تساعد على تثبيت أقدامه فى الشرق الاوسط .

هذا ما تراه الصهيونية القذرة أما نحن فنرى أن الحل الوحيد والطبيعى لمشكلة يهود أى بلد ، هو كفاح أولئك اليهود الى جانب جماهير ذلك البلد فى سبيل الحرية والاستقلال والديمقراطية ... فما رأينا بلدا ديمقراطيا يضطهد فيه اليهود ، هذا هو الحل الطبيعى والمنطقى أما الصهيونية خادمة الاستعمار فتريد أن تربط اليهود بعجلة الاستعمار وأن تجعلهم عبيدا لتنفيذ مأربه الحقير خلال سياسة فرق تسد التى يتبعها فى فلسطين ، وخلال سياسة انشاء دولة يهودية صهيونية فى فلسطين ، وخلال سياسة انشاء دولة يهودية صهيونية فى فلسطين تصبح رأس الرمح الاستعمارى ضد شعوب البلاد العربية .

ولعلك تسألنى ولماذا يؤيد أغنياء اليهود هذا المذهب الاعتدائى ( الصهيونية ) والجواب على هذا بسيط ، فهم يريدون منطقة تتركز فيها جهودهم وينمون فيها صناعاتهم وأموالهم ويستغلون العمال والفلاحين العرب بل واليهود أنفسهم أبشع استغلال .

فعدنا نسأله :

- وهل تتوقعون تأييدا كبيرا من الجماهير الاسرائيلية ؟

- لابد لنا من الاعتراف بأن هذا يحتاج الى جهاد طويل .. فالصهيونية فى مصر مؤيدة - مع الاسف الشديد - من قوات البوليس المصرى نفسه ! وهى أيضا مدعمة بالاموال الطائلة والجاه العريض ! ولكننا واثقون بالقضية التى ندافع عنها ، لانها قضية عادلة لصالح مصر الوطنى ولصالح اليهود أنفسهم ونحن واثقون أيضا بأننا سنسحق الصهيونية ثقتنا بأن الشعب المصرى سيسحق حتما الاستعمار وأعوانه !!

## نداء الى يهود مصر *

جاءنا من الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية صورة خطاب وزعت منه آلاف النسخ على يهود مصر وهذا هو الخطاب :

أيها الاخوان :

يدعى الصهيونيون أنهم يستطيعون حل المشكلة اليهودية وانهم يدافعون عن مصالح طائفتنا وهذا كذب وافتراء ..!

كشفت الحوادث التى وقعت أخيرا فى القاهرة القناع عن حقيقة وجوههم وأثبتت خيانتهم للاخوة اليهودية وأنهم أخطر أعداء طائفتنا .

استأجر الصهيونيون مجرمين محترفين للاعتداء على أعضاء نادى المكابى بالظاهر ولم يكن لهؤلاء الاعضاء ذنب سوى رفضهم السير وراء الدعاية الصهيونية ! ..

استنجد الصهيونيون بقوات البوليس ضد اخوانهم الذين لم يرتكبوا جريمة سوى ابداء رغبتهم فى مشاركة الشعب المصرى الكريم حياته وكفاحه !

اصابة عشرات من اخواننا بجروح مختلفة والقبض على عشرات آخرين وايداعهم فى ظلمات السجون . هذه هى أعمال الصهيونيين ... !

أيتها الأمهات !

نريد أن نحمى أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلابة التى ترمى الى ارسال أولادكن ليعيشوا فى فلسطين وسط عداء أغلبية السكان وفى نظام كله استبداد واضطهاد .

أيها اليهود ! أيتها اليهوديات ! تحاول الصهيونية الجر بنا فى مغامرة خطيرة ! ...

---

* الجماهير ٢٦ مايو ١٩٤٧ .

تساهم الصهيونية فى جعل فلسطين بلاداً لا يمكن العيش فيها !

تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى !

الصهيونية عدوة اليهود !

فلتسقط الصهيونية !

ولتحيا أخوة العرب واليهود

وليحيا الشعب المصرى !

ان هذا النداء من رابطة اسرائيلية لتكذيب صريح لادعاءات الرجعية أن اليهود كلهم صهيونيون فهناك يهود ديمقراطيون أعداء الداء للصهيونية والاستعمار • ان الرابطة لتكشف لليهود فى صراحة أن مصالحهم متفقة مع مصالح الشعب المصرى ـ الشعب الذى يكافح من أجل الاستقلال والديمقراطية ـ فلن يكفل لليهود سلاما واطمئنانا الا تخلص البلاد العربية من الاستعمار •

## فضيحة نقراشية جديدة
## النقراشى يحل الرابطة
## الاسرائيلية لمكافحة
## الصهيونية *

نشرت الجماهير منذ أسابيع ، نبأ تكوين « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » التى قام بتكوينها بعض شباب الجالية اليهودية فى مصر .

ولقد كان هدف هذه الرابطة - كما أوضحته فى بيان أصدرته ووزعت منه الالاف من النسخ - هو - فضح - الصهيونية ودعايتها الخداعة التى تهدف الى جعل اليهود أداة فى يد الاستعمار لخدمة أهدافه الاستعمارية الجشعة فى فلسطين والشرق الاوسط ومصر .

كان هدف هذه الرابطة هو محاربة أكاذيب الصهيونية التى تسمم عقول الجماهير اليهودية وتعزلهم عن التكاتف مع الشعب المصرى والاشتراك معه فى نضاله الوطنى المجيد ضد الاستعمار لنيل الاستقلال والحرية والديمقراطية

وما كادت هذه الرابطة تنظم صفوفها وتعمل على مقاومة أكاذيب الدعاية الصهيونية بين جماهير الجالية اليهودية ، حتى فاجأتها الحكومة النقراشية هذه الحكومة التى تدعى أنها حاملة لواء العروبة والوطنية ، وقامت بحل هذه الرابطة بحجة ( لا تضحكوا ) .. نعم بحجة المحافظة على الامن العام !

اذن فمكافحة الصهيونية مخلة بالامن العام يا دولة الباشا !!

أما ترك النوادى والهيئات والاتحادات الصهيونية بأكاذيبها ودعايتها السامة تنتشر وتزدهر - وتنشر ما هى معروفة به من ارهاب ، أما هذا فهو عين المحافظة على الامن والنظام اذن !!

---

* الجماهير ٢٣ يونيو ١٩٤٧ .

ان الحكومة النقراشية بهذا التصرف المخزى انما تساعد سياسة كبار رجال المال المناصرين للصهيونية فى مصر ٠

ان ترك الصهيونية ترتع وتمرح ، وتثبت دعوتها المجرمة بين اليهود فى مصر ، مضعفة بذلة لحركة مصر الوطنية وعاملة على تقوية الاستعمار ٠ فى الوقت الذى تحل فيه رابطة لمكافحة الصهيونية كهذه ، أن هذا منطق مقلوب ، ولكنا لا نستغربه من حكومة النقراشى !

ليعلم دولة النقراشى باشا وحكومته ، أن صوت اليهود الاحرار المعادين للصهيونية والمتعاونين مع الشعب المصرى فى كفاحه ضد الاستعمار من أجل حريته واستقلاله ، ان هذا الصوت لن يخفت أو يضعف ـ بل سيبدو أقوى مما كان حتى تتحقق رسالتهم المقدسة للقضاء على الصهيونية وسيدها الاستعمار وأذنابه ، والاشتراك فى كفاح الشعب المصرى من أجل الحياة فى وطن سعيد متحرر من القيود والاستغلال ٠

## النقراشي يدافع عن الصهيونية *

جاءنا التلغراف التالي :

على اثر النشاط الصهيوني الاثيم تكونت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية وأخطر سكرتيرها المحافظ بذلك واليوم ردت وزارة الشؤون الاجتماعية بعدم الموافقة على تكوين الرابطة لاسباب تتعلق بالامن العام وبما أن هدف الرابطة وطني وهو مكافحة الصهيونية المجرمة التي تسيء الى سمعة الطائفة الاسرائيلية وتضر بمصالح الشعب المصري فان الرابطة تبلغ دولتكم شديد احتجاجها على هذا القرار راجية سحبه لعدم تشجيع نشاط الصهيونية الأثيم في مصر .

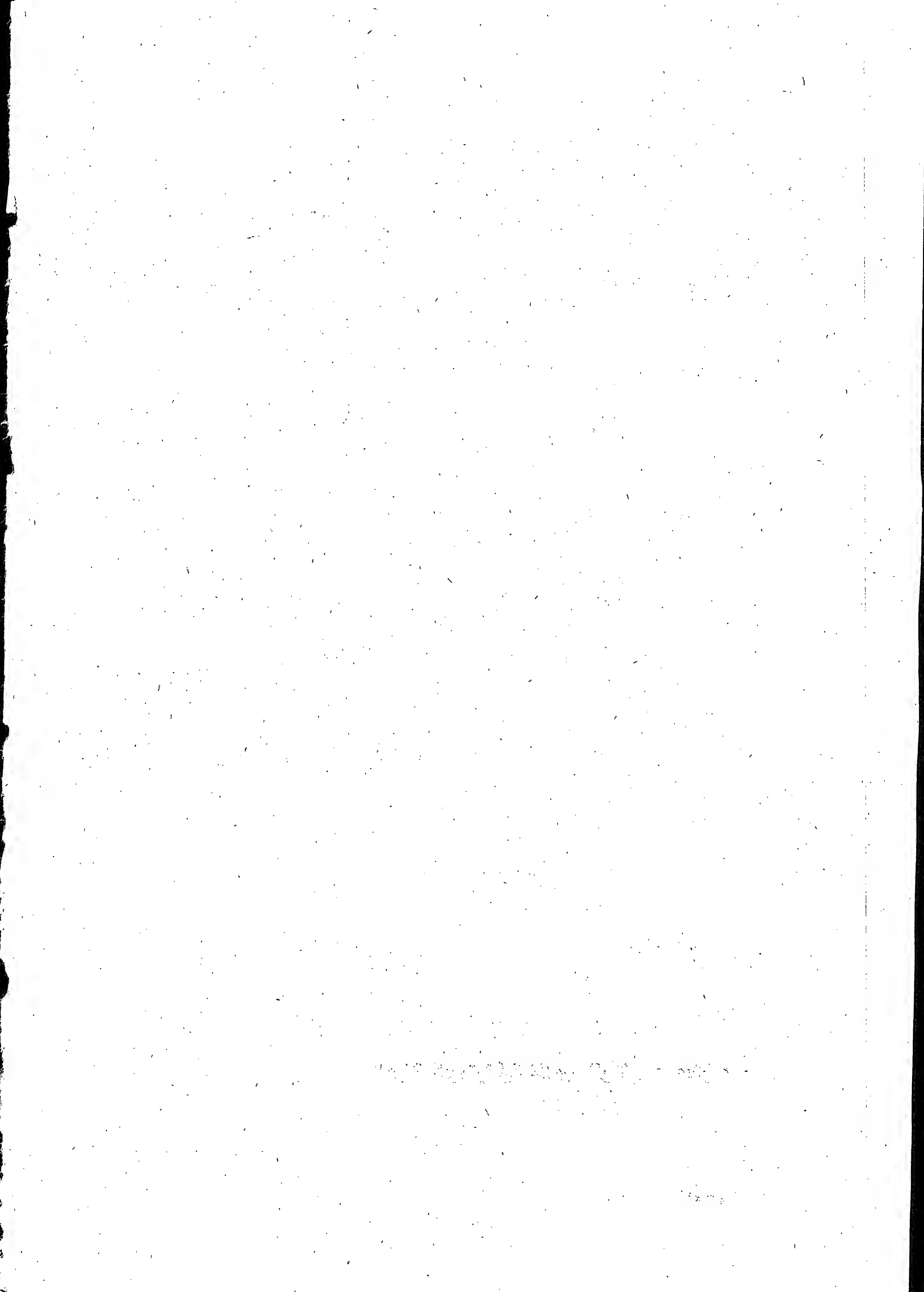
**الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية**

---

* الجماهير ٢٣ يونيو ١٩٤٧ .

# وثائق

**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني ( حدتو ) .**



## بيـان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى *

**أيهـا المواطنون :**

ان السياسة الامبريالية التى تنتهجها الحكومة البريطانية تجاه فلسطين قـد أثبتت فشلها ، بالرغم من اعلان حالة الطوارىء وفرض القوانين العسكرية وذلك بفضل نهوض حركة التحرر فى البلدان العربية وبفضل المقاومة الشعبية المطـالبة بالحرية والاستقلال ٠

لقـد جذبت الامبريالية البريطانية مسألة النزاع الفلسطينى الى حلبة صراع مستمر وذلك كى تخفى فشلها السياسى ولكى تجـد حجة لتكوين لجنة تحقيق دولية لتقرير مصير فلسطين ، ولقـد أظهر التقرير الذى قدمته هذه اللجنة مؤيـدا لقرار التقسيم حقيقـة المؤامرة الامبريالية الملتوية ٠

فلجنة التحقيق لم تهتم باسترداد أرض العرب واليهود من يد الانجليز بل تعمدت ابقـاء احتلال بريطـانيا لفلسطين وجعلهـا منطقـة نفوذ عسكرى لها ، وبذلك تتمكن الامبريالية البريطانية من توجيه أسلحتها نحو تفتيت قوى حركة التحرر الوطنى ولخنق أية مقـاومة عربية على امتداد الشرق الأوسط كله ٠

ان بث الفرقـة وسط سكان فلسطين هو الهدف الرئيسى للاحتلال ، فهذه التفرقـة تدعم الامبريالية فى الشرق الاوسط كله ، وهى أيضا تخلـق الفرصة والامكانية لاتحـاد الصهاينة مع الامبريالية الانجلو ـ أمريكية ٠

ان القضية الفلسطينية هى قضية شعب متعطش للحرية والديمقراطية ، تلك الحرية التى أكدها ودافع عنهـا مندوب يوغسلافيا فى لجنة التحقيق الدوليـة عنـدما طالب بأن يتخلص الشعب الفلسطينى من نير الاحتلال وأن يمكن من العيش حرا ومستقلا ٠

---

*لم نعثر على الاصل العربى لهذا البيان لكننا عثرنا على ترجمته الفرنسية مودعة فى أرشيف الخارجية الفرنسية فأعدنا ترجمته الى اللغة العربية ( المؤلف )٠

كما دافع عن ذات الاهداف الرفيق جروميكو المندوب السوفييتى فى مجلس الامن الدولى وطالب بتكوين حكومة عربية ـ يهودية مشتركة لفلسطين·

اننا نعرب عن قناعتنا وأملنا بأن تسفر الايام المقبلة عن ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية يكفل الحقوق العربية فى كل الشرق الاوسط ويكفل تحرير فلسطين وكل الدول العربية المحتلة ··

**يا شعوب العالم أجمع :**

لقد حان الوقت كى تتوحد كل الصفوف ، لتنهض فى حرب لا هوادة فيها ضد القوى الامبريالية وفضح خططها الاجرامية التى تستهدف تفريق صفوفنا ·

علينا أن نواصل هذه المعركة حتى نحقق حريتنا ·

علينا أن نمد أيدينا لمساندة حركات التحرر ، وأن نوحد قوانا مع كل القوى الديمقراطية التى تقف الى جوارنا وتساندنا فى مجلس الامن الدولى ·

وأخيرا لا تنسوا أبدا اننا فى معركة واحدة تضم كل القوى الديمقراطية والمناضلة من أجل تحرير كل الشعوب التى تخضع لنير الاستعمار ·

عاش كفاح الشعوب العربية من أجل الحرية ·

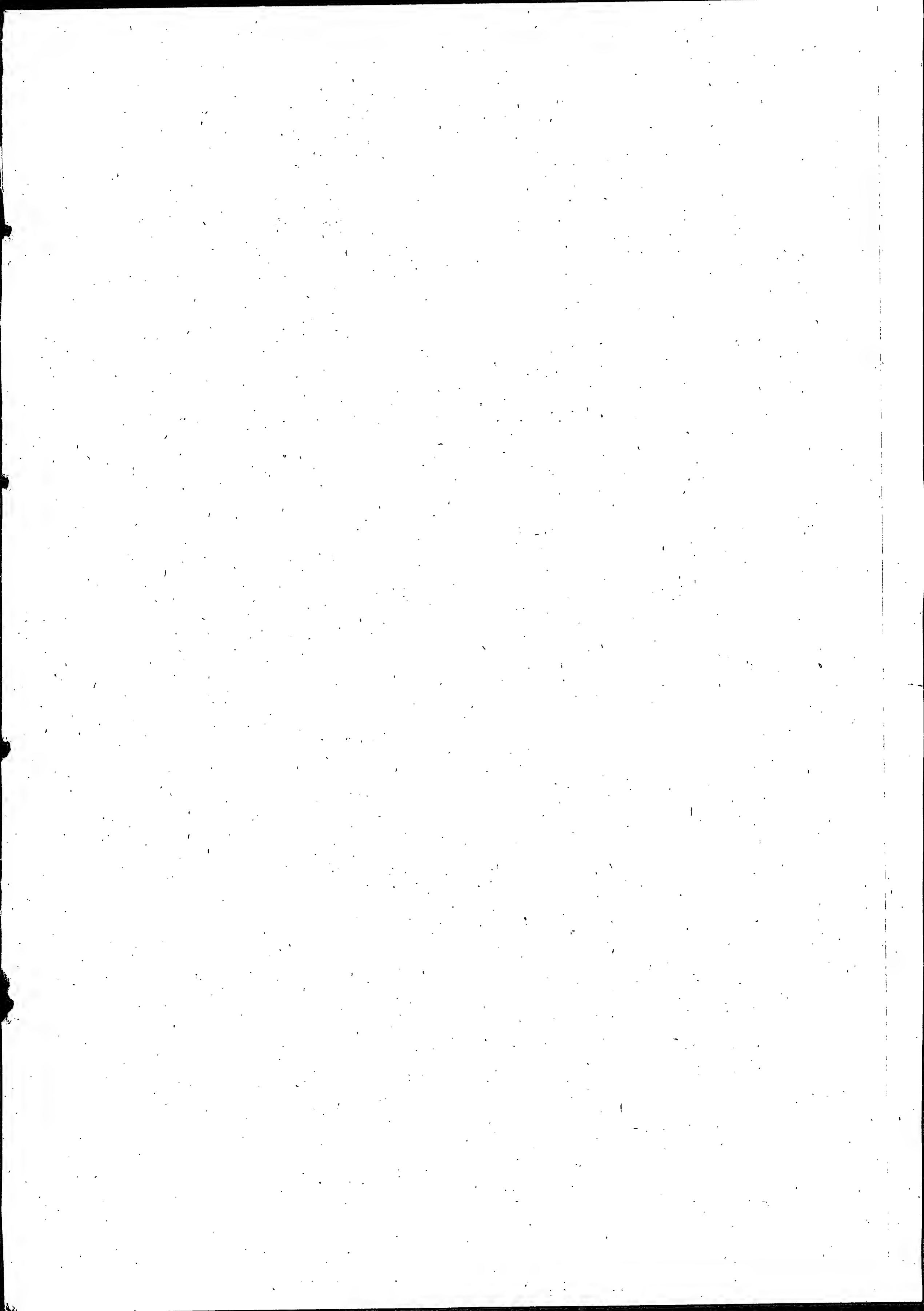
عاش الكفاح الفلسطينى المشترك ضد الامبريالية والصهيونية ·

تسقط الامبريالية الانجلو ـ أمريكية ·

تسقط الصهيونية عدوة الشعوب العربية ·

# وثائق

الجماهير



صدر العدد الاول من « الجماهير » فى ٧ أبريل ١٩٤٦ كلسان حال انظمة « شرارة » ( أيسكرا ) وكان يشرف على تحريرها مكتب تابع مباشرة للمسؤول السياسى للمنظمة ، وفى يونيو – يوليو ١٩٤٦ تمت الوحدة بين ح٠م وأيسكرا وتكونت « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( حدتو ) وأصبحت « الجماهير » ناطقا باسم المنظمة الجديدة ، وتكون للاشراف عليها مكتب رباعى اثنان من كل تنظيم ٠٠ ثم أصبح هذا المكتب – بعد فترة – تابعا مباشرة للجنة المركزية لحدتو ٠

ومن هنا تنبع أهمية ما نشرته « الجماهير » حول القضية الفلسطينية باعتبارها وثائق تعبر – دوما – عن وجهة نظر اللجنة المركزية لحدتو ، أكبر المنظمات الشيوعية المصرية وأكثرها ثقلا وجماهيرية ٠

كذلك تستمد هذه الوثائق أهميتها من امتدادها لتشمل واحدة من أخطر المراحل فى القضية الفلسطينية وهى مرحلة ٤٦ – ١٩٤٨ ٠

واذا كانت « الجماهير » منبرا علنيا لحدتو فانها قد استطاعت فى بعض الاحيان أن تعيد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات التى تصدرها قيادة التنظيم سرا ٠٠ ومن بينها وثائق هامة تتعلق بالقضية الفلسطينية ٠

وأخيرا فان هذه الوثائق هى وحدها الوثائق المتاحة حول الموقف المباشر والشامل لليسار المصرى فى فترة صدور قرار التقسيم والاعداد لقيام دولة اسرائيل والاعداد لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ ٠

## فلسطين تحت نير الاحكام العرفية وقضيتها أمام هيئة الأمم ⁕

### عرض ·· وعارضون

ستعرض قضية فلسطين خلال الاسبوع القادم على الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ·· يعرضها الاستعمار البريطانى متضامنا مع الاستعمار الاميركى على أساس اتفاق تقول الانباء أنه عقد بين وزيرى خارجية بريطانيا وأميركا ··

وكم طالب الشعب الفلسطينى حكام العرب بعرض قضيته على مجلس الأمن ··· فلم يتخذ هؤلاء الحكام خطوة واحدة فى هذا الاتجاه !!!

### فى هيئة الأمم

ولكن ·· ما الذى دفع الاستعمار البريطانى الى اتخاذ قراره بعرض القضية على هيئة الامم ؟ · يجيب على هذا كاتب انجليزى فيقول « من الواضح أن كل ما يرمى اليه المستر بيفن من وراء عرض القضية هو افساح المجال أمامه لتنفيذ مؤامراته ومشروعاته فى فلسطين ولابقاء مائة ألف جندى بريطانى فيها لتبقى الحالة هناك ، مضطربة لا تعرف الاستقرار ·

كما اتخذ الاستعمار البريطانى هذا القرار أيضا للضغط على الاستعمار الاميركى كى يشترك فى المسؤوليات والالتزامات المادية والعسكرية لاحتلال فلسطين ، حتى لا يحمل الاستعمار البريطانى عبء الاحتلال وحده ، فى الوقت الذى يستغل فيه الاستعمار الاميركى رؤوس أمواله فى فلسطين !

وقد ظهر هذا الضغط واضحا فى تصريحات تشرشل وتهديده للاميركيين « بالغاء الانتداب » ·

### لماذا هيئة الامم ؟

وقد وفق الاستعماران فى اختيار هيئة الامم ( بدلا من مجلس الامن ) حيث توجد الكثير من الدول التابعة لهما والتى لا شك ستمنحها تأييدها !

وحيث لا يستطيع الاتحاد السوفياتى استخدام حقه فى الاعتراض « الفيتو » لتحطيم ما يبيتونه لفلسطين من نيات سوداء !

---

⁕ الجماهير ٢١ أبريل ١٩٤٧ ·

## بريطانيا تهدد !

وتحاول بريطانيا الآن باتفاقها مع أميركا أن تعرض القضية على هيئة الامم بحيث ينتهى بها الامر الى تشكيل لجنة تحقيق !! وليدور الخلاف بعد هذا حول مسألة واحدة · من له حق الاشتراك فى هذه اللجنة ومن له حق التنحى عنها ؟ !!

ورغم هذه المؤامرات السافرة الا أن بريطانيا تخشى أن يتخذ قرار ضدها · ولهذا نراها تقطع خط الرجعة مقدما فيصرح السير كادوجان « ان بريطانيا ليست ملزمة بتنفيذ القرارات التى قد تتخذها هيئة الامم المتحدة فى مسألة فلسطين !! » ·

ففيم عرض القضية اذن ؟!

## الجامعة العربية

ولم تتخذ الجامعة العربية الى الآن خطوة ايجابية واحدة نحو حل قضية فلسطين على أساس الجلاء التام للجنود البريطانيين ، بل انها قبلت الدخول فى مفاوضات مع الاستعمار فساعدته على المماطلة والتسويف وبقاء سيطرته أطول مدة ممكنة ، كما حولت الانظار عن العدو الاساسى الا وهو الاستعمار الى مشاكل فرعية كشراء الاراضى والمقاطعة الاقتصادية !!

وقد بلغ الامر برياض الصلح أن لا يرى أى فارق « فى عرض القضية بطلب منا أو من غيرنا لان الهدف هو عرضها » حتى لو انتهى الامر الى مجرد لجنة تحقيق !!

## والآن ·

ان الصراع ضد الاستعمار هو صراعنا · صراع الجماهير التى تعانى الكثير من استغلال المستعمرين والمتهادنين ·

فنحن لا نريد لجان تحقيق ولا نريد استعمارا أميركيا أو استعمار بريطانيا ·

ولا نريد الا شيئا واحدا · هو جلاء الجيوش البريطانية فورا · والغاء الانتداب وتأليف دولة فلسطينية حرة مستقلة ديمقراطية ·

## الاسرايليــــون الديموقراطيــون يقــــاومون الصـــــهيونية بالرغـم من تعــاون البــوليس مع زعمــاء الصـــهيونيين *

فى شارع فاروق نادى يهودى يدعى بالمكابى يقوم فيه بعض الاسرائيليين بنشاط رياضى وثقـافى - بعيدين عن الامور السياسية •

وكان النادى يسيطر عليه اسرائيليون معروفون بعـدائهم للصهيونية واخلاصهم للقضية المصرية ••

ولم يرتح الصهيونيون لهذا الامر فكيف يفلت هذا النادى من بين أيديهم !! ولذا اجتمعوا بليل ، يدبرون ويتآمرون تحت زعامة كليمان شيكوريل •• الذى جمع فى اليوم السابق لعقد الجمعية العمومية لهذا النادى عشرات من الشبان الصهيونيين وبعض مستخدمى محله المعروف •

ودبروا المؤامرة لطرد الاسرائيليين الديمقراطيين •• وقال لهم زعيمهم •• لا تخشوا شيئا •• فالبوليس المصرى يلبى أقل اشارة من أصبعى !!! وقد اتفقنا معه على كل شىء !

وفى اليوم المحدد لعقد الجمعية العمومية حشـد شيكوريل جموعه ، واستطاع بعد تزوير فى قائمة أعضاء النادى ، ووسائل وطرق مخالفة لقانون الجمعيات أن يعين مجلس ادارة صهيونى ولكن الاسرائيليين الديموقراطيين أبوا أن يحنوا رؤوسهم لهذه المناورة السافرة •• وكونوا لجنة معــادية للصهيونية أعلنت اخلاصها لمصر ولقضية استقلالها وحريتها •• كما أعلنت باسم اليهود المخلصين لمصر عزمها الاكيد على محـاربة الصهيونية فى كل مكان ••

واجتمعت الجمعيات الصهيونية فى مصر ، واعتمدت ميزانية مقدارها عشرة آلاف من الجنيهات لحرب اليهود الديمقراطيين •

وليس عجيبا أن يكون شيكوريل زعيم الصهيونية فى مصر ، فهو من أصحاب الملايين ·· وهو مشهور بالقسوة البـالغة على موظفيـه من اليهود أنفسهم حيث يعملون لقاء أجور تافهة ويعيشون فى جو من الارهاب ، ملؤه الجزاءات والاستقطاعات ·

ليس عجيبا هذا ·· وانما العجيب حقا · أن نرى ضابطا من ضباط بوليس الاقسام يواجه شابا يهوديا ديموقراطيا بقوله « انه لا حق لأحد أن يتكلم باسم النادى سوى الخواجة شيكوريل » !!

ولـم يكتف شيكوريل بمناصرة البـوليس له ، وانما استأجر بعض البلطجية ووضعهم على باب النادى ليمنع دخول اليهود الديموقراطيين !!

ولكن الشباب اليهودى الديموقراطى ·· أبى الا أن يستمر فى النضال ـ واقتحم نادى المكابى فى شبه مظاهرة سرعان ما تعالت فيها هتافات ـ لتسقط الصـهيونية أداة الاسـتعمار ·· لتحـيا مصر ديموقراطية ·· ليسـقط الاسـتعمار ·

وقد كشف مندوب « الجماهير » عن حقائق خطيرة ·· وهى أن من بين قوة البوليس السرى شابا صهيونيا متطرفا ·· ويدعى حانتشويل وهو أداة فى يد الصهيونية ؟ ؟

ان ظهور حـركة ديموقراطية بين يهود مصر ·· وأن مقـاومة اليهود الديموقراطيين للصهيونية أداة الاستعمار ، لحركة مباركة حقا ، جـديرة بعطف كل وطنى يبغى القضاء على الاستعمار ··

ان مجلة « الجماهير » باسـم الملايين من المصريين الكادحين لتعـلن تضامنها مع كفاح اليهود الديموقراطيين ·· فهو كفاح من أجل استقلال مصر وحريتها ·

## الاستعمار يريد تكبيل فلسطين بالأغلال ونحن نكافح من أجل فلسطين ديموقراطية *

قد انكشفت المؤامرة الانجلو سكسونية بخصوص فلسطين فى أول جلسات اللجنة العامة لهيئة الامم المتحدة عندما عارض المندوبان الانجليزى والاميركى طلب الدول العربية بادراج اقتراح باستقلال فلسطين فى جدول الاعمال وأصرا على الاكتفاء بتأليف لجنة تحقيق تذهب الى فلسطين للتحقيق فى أسباب الاضطراب هناك ولتقدم تقريرا الى الجمعية العمومية فى دورتها العادية فى شهر سبتمبر القادم !!

ومن المضحك حقا أن يحاول المستعمرون خداع العالم بنفس الوسائل العتيقة التى استعملوها عشرات السنين للتسويف وتأجيل الحل الطبيعى للقضية الفلسطينية ، فقد أرسلت الحكومة البريطانية الى فلسطين فى العشرين سنة الماضية عشر لجان تحقيق قضت كل منها الشهور الطوال فى ( التحقيق ) عن أسباب الاضطراب فى فلسطين ولم تقترح واحدة منها أن تستقل فلسطين ، بل كانت كل اقتراحاتها تهدف الى تثبيت أقدام الاستعمار فى فلسطين والشرق الاوسط بأجمعه .

وقد تألفت لجنة انجلو أميركية فى السنة الماضية واستمرت فى التحقيق شهورا طويلة ثم قدمت تقريرها الاستعمارى المشؤوم فماذا تريدون أكثر من ذلك أيها المستعمرون ؟

كفى خداعا وتسويفا انكم مكشوفون فى نواياكم نحو فلسطين والشرق الاوسط بأجمعه .

ان قضية فلسطين واضحة لا تحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير ..

---

* الجماهير ٥ مايو ١٩٤٧ .

ان الشعب الفلسطيني يريد استقلاله وحريته ـ يريد ديمقراطية ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود ـ يريد أن يتقدم فى طريق الحضارة لا تعوقه أغلالكم وبطشكم ، وهو يعرف أنه لن ينال كل هذه الحقوق الا بعد أن يخرج آخرجندى بريطانى من بلاده !

وقد وصل الامر بالمندوب البريطانى ـ سير الكسندر كادوجان ـ الى درجة أنه صرح بأن بريطانيا مستعدة لقبول أية توصيات تقررها هيئة الامم المتحدة ولكنها لا تستطيع ضمان تنفيذ هذه التوصيات ، وقد سبب هـذا التصريح ضجة فى اللجنـة العامة واحتج عليـه المندوب الهندى والمصرى والسوفيايتي ٠

وهكذا تدعو بريطانيا ٥٥ دولة الى الاجتماع لا لمناقشـة اسـتقلال فلسطين ورفاهية شعبها ، ولا البحث عن حل للمشكلة ، بل لتؤلف لجنـة ( تحقيق ) لن تكون قراراتها نافـذة الا اذا رأت انجلتـرا فيهـا مصلحتها الخاصـة ٠

ولكن هذه المؤامرات الاستعمارية لن تخدع الشعب الفلسطينى فالدول الديموقراطية تؤيد قضيته وستساعده على تحقيق رفاهيته ٠

والاستعماريون يريدون الاحتفاظ بفلسطين التى هى قلب منطقة النفوذ البريطانى لتكون القاعدة العسكرية والسياسية الرئيسية للاستعمار الانجلو أميركى لاستغلال الشعوب العربية وأساسا للكتلة المعادية للاتحاد السوفياتى وقاعدة للهجوم على الدول الديمقراطية الفتية ٠

كذلك تقع فلسطين فى منطقة توجد فيها معظم آبار بترول الشرق الاوسط الذى يستغله الاستعماريون لحسابهم الخاص ٠

ومن البديهى أن يحاول الانجلو سكسونيون أن يفرضوا ارادتهم على شعوب الشرق الاوسط ٠ فها هى جريدة اليوركشاير بوست الانجليزية تقول انه ليس ثمة طريقة للاتفاق بين العرب واليهود ولذلك يجب أن تفرض بريطانيا سياستها على العرب واليهود بالقوة أى أن يستمر احتلال فلسطين !

ومن الواضح أن الاستعماريون مصممون على البقاء فى فلسطين وأنهـم قد وضعوا المسرحية الخاصة بعرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة فوجدوا أن تأليف لجنة ( تحقيق ) هى أحسن وسيلة لكسب الوقت والتسويف ٠

ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيوني أداة الاستعمار من جانب والرجعيـة العربية ذنب الاستعمار من جانب آخـر ٠

ان قضـيـة فلسطين تتلخص فى كلمتين كفـاح من أجـل الجـلاء والديمقراطية ٠

**ان أصدقاء فلسطين**
**فى هيئة الأمم**
**هم أصدقاء مصر**
**وأن أعداءها هم**
**أعداء شعوب العالم ***

**تهادن مع الاعداء**

كشف الاستعمار الانجلو الامريكى عن وجهه القبيح فوقف موقف العداء الصريح من قضية فلسطين ، وتبعه فى هذا ذيوله واتباعه من المستعمرات وشبه المستعمرات ومناطق النفوذ .. فرفضوا أن يكون استقلال فلسطين المهمة الرئيسية للجنة التحقيق معللين هذا بعذر رخيص هو انهم لا يريدون أن يفرضوا على اللجنة حلا من الحلول .. ثم لا يلبثون أن يفرضوا عليها « أن تراعى المصالح الدينية لكل من الاسلام واليهودية والمسيحية » .. والمراعاة المزعومة للمصالح الدينية فى ظل الاستعمار فى سياسة « فرق تسد » يناصر يوما هذا ويتحمس يوما لذاك . وهو الرابح على كل حال .

ثم يرفض الاستعمار الامريكى منح جواز مرور لأحد أعضاء الهيئة العربية العليا ، وهو الدكتور بديرى بحجة انه « شيوعى » حتى لا يكشف موقف الاستعمار .

ويقوم الاستعمار بكل هذا فلا تتحرك الوفود العربية ساكنا ولا تقوم صحافتها بحملة على المستعمرين . وانما تمضى فى التشكيك فى موقف الاتحاد السوفياتى . فاذا دافع عن استقلال فلسطين قالوا أنه يريد جلاء الجنود البريطانية لتحويل فلسطين الى بلد سوفياتية ! واذا ما تحمس فى الدفاع عن استقلال فلسطين قالوا أنه يريد التحبب الى الشعوب العربية لتنقلب الى شيوعية .

هذا فى الوقت الذى تمتلىء الصحف المأجورة بشائعات كاذبة تدعى أن هناك اتفاقا سريا عقد فى موسكو بين بيفن وستالين ، أكد فيه ستالين عدم التعرض لمصالح بريطانيا فى الشرق الاوسط !

---

* الجماهير ١٩ مايو ١٩٤٧ .

وبلغ الامر بفارس الخورى مندوب سوريا فى هيئة الامم ٠٠ أن يبعث برسالة الى وزارة الخارجية السورية يقول فيها : « وقد أثار موقف الوفود السوفياتية والسلافية أسفنا وخيب أمل الوفود العربية » ٠

وتشاء المصادفات العجيبة أن يرسل الخورى رسالته هذه فى نفس اليوم الذى هب فيه الاتحاد السوفياتى مؤيدا من دول شرق أوربا الديمقراطية : تشكوسلوفاكيا وبولندا ويوغوسلافيا ـ يقود النضال فى عزم وتصميم كى تكون مهمة لجنة التحقيق الرئيسية ٠٠ استقلال فلسطين دون ابطاء ٠

هذا الاقتراح السليم والحل الوحيد لمشكلة فلسطين لم يصدر من الوفود العربية وانما صدر من الاتحاد السوفياتى الذى تهاجمه هذه الوفود ٠

هذا الهجوم الذى يشكك فى قيمة هيئة الامم المتحدة ويظهرها كأداة فى يد المستعمرين ويشوه موقف القوى الديمقراطية وعلى رأسها الاتحـــاد السوفياتى ٠٠ هذه القوى التى لعبت دورا رائعا فى مناصرة استقلال فلسطين والدفاع عن حريتها ان سياسة الرجعية العربية هى نفس السياسة التى يتبعها الاســـتعمار ٠

**امتنـــاع ٠٠**

ولا تكتفى الوفود العربية بهذا التخبط الذى يؤذى القضية ايذاء بالغا ، وانما تمضى فى الاضرار بالقضية ، فيمتنعون عن التصويت لاقتراح الاتحاد السوفياتى بأن تكون الدول الخمسة من بين أعضاء لجنة التحقيق ٠ أو تظن الوفود العربية أن لجنة التحقيق الحالية أحرص على استقلال فلسطين من لجنة يشترك فيها الاتحاد السوفياتى ، أهم راضون عن لجنة تحقيق مركبة معظمها ـ تحت ستار الحياد ـ لتأتمر بأوامر المستعمرين ؟؟

**ما هو السر ؟؟**

فما هو السر فى هـذا العـداء الواضح للدول الديمقراطية المدافعـة عن استقلال فلسطين ٠٠ وهذا التهادن السافر مع المستعمرين ؟ السر بسيط ٠٠ هو أن الفئات الحاكمة فى البلاد العربية تخشى الشـعوب ٠ وترى فى زيادة الحرية والديمقراطية تهديدا لمصالحها ٠ أى مصالح كبار رجال الاموال وكبار ملاك الارض ٠

والشـعوب التى تهب ضد المستعمر لا يؤمن شرها ـ فى عرف هـذه الفئات ـ فهى لن ترضى أن تتخلص من استعمار أجنبى لتستمر مستعبدة لمستغل داخلى ٠٠ وتحس هذه الفئات بهذا الخطر على مصالحها فتفضل أن يبقى الاستعمار ، وترحب ببقاء الاحتلال ، كى تبقى فى الحكم على حساب الشعوب وحريتها واستقلالها ٠

وتزداد الشعوب العربية غضبا على المستعمرين ، ومطالبة بالديمقراطية والاستقلال ـ فلا يجد هؤلاء الحكام ـ حتى لا يفتضح أمرهم وحتى لا تنفضح نواياهم الحقيقية ـ سوى المداورة والمناورة والتظاهر بين الحين والحين بالوطنية الزائفة فيحاولون توجيه كفاح الشعوب وجهة خاطئة ، ويحاولون فى فلسطين أن يثيروا الشعب العربى على اليهود دون الاستعمار ـ ويحاولون تحويل الانظار الى مشكلة فرعية كمشكلة الهجرة • فيصورون له أن الهجرة هى أصل الداء ، كى ينسى أن المستعمر هو أصل البلاء •

بل يذهبون أبعد من هذا فيحاولون ارضاء المستعمر ويحرصون على عدم اغضابه كى يبقيهم فى كراسى الحكم ، وكى يلقى اليهم بين الحين والآخر ببعض الفتات •

هذا هو السر ، وانه ليفسر لنا موقف حكام العرب من استقلال فلسطين ، وسعيهم المتواصل للاتفاق مع الاستعمار فى مؤتمرات لندن وبلودان ، وهذا يفسر لنا السر فى تلكؤهم فى عرض القضية على الهيئات الدولية تاركين السبق فى هذا للمستعمرين •

**عظات وعبر**

ان فى قضية فلسطين فى هيئة الامم لدروس بالغات •• فلقد وضح بشكل سافر من هم الاعداء ؟؟ لقد اتضح لنا ان الدول الديمقراطية حقا وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى •• هى أبطال الدفاع عن الشعوب وحريتها واستقلالها رغم كل الاباطيل التى تمتلىء بها صحف المستعمرين •• وقد وضح لنا أن الكتلة الانجلو ساكسونية وذيولها أعداء الداء لحرية الشعوب فلن ننتظر منها انصافا مهما ادعت وتظاهرت واستخدمت من تعبيرات والفاظ •

والدرس الثانى الذى تعلمناه هو انه لا يكفى أن تعرض قضايا الشعوب فى المحيط الدولى •• انما المهم •• هو من يكون العارضون •

ان المتهاونين مع الاستعمار الحريصين على ارضائه لكفيلون باضعاف أية قضية يعرضونها •

والدرس الثالث الذى وضح لنا هو أن فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية ، رجعية صهيونية عدوانية ورجعية عربية والاثنتين متحالفتين مع الاستعمار •

وكلا الرجعيتين حريصتان على ابقاء الاستعمار • فالصهيونية تستنجد به مطالبة اياه بفتح أبواب الهجرة • والرجعية العربية تستجديه أن يقفل ابواب

فلسطين وكلتاها تخونان قضية فلسطين وتصرفان أنظار الجماهير الفلسطينية عن الحل الصحيح وهو الاستقلال ·

والدرس الرابع هو أن الصهيونية لا يمكن أن تعيش دون مستعمرين · فلم يذهب مندوب الوكالة اليهودية الصهيونية الى هيئة الامم ليطالب باستقلال فلسطين ، وانما ليناشد المستعمرين أن تفتح أبواب فلسطين للمشردين ، وليناشد سلطات الانتداب أن تعين الصهيونية على اقامة ما يسميه بالوطن القومى لليهود ، حتى تستمر فى تضليل الجماهير اليهودية والتأثير فيها موهمة اياها بأن وطنا قوميا فى ظل الاستعمار يحل مشكلة اليهود ·

فمن العبث الصارخ بعد اليوم أن تحاول الرجعية العربية أن توجه أنظار العرب الى مكافحة الصهيونية وحدها مغفلة أمر المحرك الاصلى ·· الاستعمار الانكليزى الاميركى ·

والدرس الخامس هو أن مشكلة فلسطين ليست مشكلة الهجرة كما يحاول الاستعمار وأذنابه أن يصورها للشعوب ، فعندما يتظاهر الاستعمار البريطانى بأنه يعمل لصالح العرب بتحديده الهجرة ، فانه لا يخدم العرب وانما يضللهم حتى يرضوا عن بقائه فى فلسطين ، وعندما يتظاهر الاستعمار الاميركى بأنه يحابى اليهود فيطالب بفتح أبواب فلسطين لهم ، فانه لا يخدم اليهود وانما يخدم مصالح الاحتكاريين الاميركيين ·

فكل حل يفرضه الاستعمار ·· سواء بمنع الهجرة أو تحديدها أو التوسع فيها ·· انما هو حل استعمارى لا يخدم العرب ولا اليهود وانما يخدم المستعمرين ··

### استقلال وديمقراطية

ان المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة عرب ويهود يتناحران من أجل العيش فى فلسطين ، انما هى مشكلة جماهير عربية ويهودية مستعبدة مستعمرة ·· ومستعمر يضطهدها ويستغلها ويكبتها مستعينا برجعية يهودية ·· هى الصهيونية ورجعية عربية مرتمية فى أحضان المستعمرين ·

ان حل مشكلة فلسطين يتلخص فى شىء واحد ·· هو جلاء الجنود البريطانية عن فلسطين ·· هو قيام فلسطين الحرة الديمقراطية التى تستطيع فى ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها ·· وأن تعيش فى سلام ووئام لصالح الملايين لا لصالح حفنة من الاحتكاريين ·

ولن يتاح لفلسطين الاستقلال التام الا اذا اتحدت الجماهير العربية واليهودية وتخلصت من نفوذ وتأثير الرجعيين من صهيونيين وعرب ووحدت كفاحها فى ضربة قوية جارفة ضد المستعمرين ·

## القاموس السياسى
## الصهيونية *

ما هى الصهيونية ؟

هى الحركة التى ترمى الى تكوين دولة يهودية فى فلسطين على اعتبار أنها الوطن الاساسى لهم ٠

كيف نشأت الصهيونية ؟

نشأت الحركة الصهيونية الحديثة فى أواخر القرن التاسع عشر ، عندما ارتفع وعى الجماهير وسخطها على النظام الرأسمالى الاستعمارى ، فنهضت وثارت للتخلص منه ٠ هنا لم ير الرأسماليون الاحتكاريون حلا لهذا الخطر الا بتحويل أنظار الشعوب الثائرة وصرف كفاحها وتحويله ضد عدو وهمى يستعملونه ككبش فداء ٠ فكانت المذابح والاضطهادات ضد اليهود والاقليات الاخرى التى انتشرت فى كافة البلدان الاوربية ٠

واستخدم استعماريو العالم ، الرأسماليين اليهود فى بث سموم النظرية الصهيونية العنصرية بينهم ، وتضليلهم بانهم شعب لا يمكنه الاندماج فى وسط الشعوب الاخرى وأن حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم انما يكون بتكوين دولة يهودية فى فلسطين !

ما علاقة الصهيونية بالاستعمار ؟

ذكرنا أن الرأسماليين اليهود هم الذين بثوا الدعوة الصهيونية وحتى تأخذ هذه الدعوة الشكل العملى أصدرت بريطانيا وعد بلفور المشؤوم وحبذت علنا فكرة انشاء هذا الوطن اليهودى ٠ ففيم تفيد الصهيونية الاستعمار !

١ ـ خلق أقلية يهودية بفلسطين واقعة تحت نفوذ الصهيونية ومرتمية فى أحضان الاستعمار ؟

---

* الجماهير ٢ يونيو ١٩٤٧ ٠

٢ ـ تثير الدعاية الاستعمارية وصحافتها العربية المأجورة غضب الجماهير العربية على اليهود ، كما أنها تثير الجماهير اليهودية على العرب وبذلك يعطى الاستعمار لنفسه الذريعة لبقائه مدعيا انه تارة يحمى اليهود وأخرى يحمى العرب ، والحقيقة انه يجد فى فلسطين نقطة استراتيجية يستغلها فى القضاء على الحركات التحريرية العربية وكقلعة استعمارية ضد الشعوب ·

٣ ـ وتهىء الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الاموال الانكليزية والاميركية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ، ونهب الثروات الطبيعية فى البلاد العربية ولا سيما البترول والمعادن ·

٤ ـ تعمل الصهيونية على عزل جماهير اليهود عن الاشتراك مع الشعوب فى بناء أوطانهم بتحويل أنظارهم الى فلسطين ·

**ما هو الحل ؟**

مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ مشكلة اليهود المعذبين فى مختلف البلاد : هؤلاء عليهم أن يشتركوا فى الكفاح مع شعوبهم من أجل تحقيق الديمقراطية التى تكفل لهم حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ·

٢ ـ مشكلة اليهود المشردين بقبرص ومعسكرات المانيا والنمسا وبعض دول أوربا : هؤلاء يجب أن تكفل لهم السبل للعودة الى أوطانهم الاصلية ، أما الذين يرفضون العودة نتيجة لخوفهم مما وقع عليهم من الاضطهادات ، فعلى هيئة الامم المتحدة أن تحل مشكلتهم على نطاق عالمى ، ويجب أن يوضح أن فلسطين لا يمكن أن تحل القضية اليهودية ، وان كل محاولة لاظهار فلسطين كالحل لمشكلة اليهود انما هو تعقيد لكلا المشكلتين ·

٣ ـ مشكلة فلسطين : ان حلها ينحصر فى الكفاح المشترك بين جماهير اليهود والعرب معا للتخلص من الاستعمار الانكلو أميركى وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة ··

## مقاطعة لجنة التحقيق في فلسطين خدمة للاستعمار والصهيونية *

أذاعت اللجنة العربية العليا قرارها بمقاطعة لجنة التحقيق التى أوفدتها هيئة الامم المتحدة الي فلسطين ، فكان هذا القرار عجيبا حقا من اللجنة العليا ، الهيئة العربية التى أبدت استعدادها الدائم للتعاون مع لجان التحقيق الاستعمارية التى طالما أوفدها المستعمرون مرة بعد مرة لتعبث بأهل فلسطين ولتضليل الرأى العام العالمى · ولن ينسى أحد مهزلة لجنة التحقيق الانكلو الاميركية التى زارت البلاد العربية منذ عهد غير بعيد ·

أما الآن وقد تكونت لجنة تحقيق من هيئة الامم المتحدة تشترك فيها لا أميركا وبريطانيا بل دول أخرى منها يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، وهما دولتان لا يمكن الادعاء بأنهما خاضعتان للنفوذ الانكلو أميركى ، ففى هذا الوقت نرى اللجنة العربية تقاطعها ·

لقد بذل الاستعمار قصارى جهده لابعاد مشكلة فلسطين عن النطاق الدولي ، ولما رفعت مشكلة فلسطين أمام هيئة الامم المتحدة ، وتكونت لجنة تحقيق يشترك فيها ممثلون أحرار وان كان بعض أعضائها كممثل استراليا يمثل السياسة الاستعمارية ، لم تنتهز اللجنة العربية العليا الفرصة للخروج من نطاق العلاقات الثنائية الضيقة بين أهل فلسطين والاستعمار بل آثرت أن تضيع على أهل فلسطين هذه الفرصة وتتركها لعملاء الصهيونية ليذيعوا أكاذيبهم دون أن ترفع صوتها لتفنيدها ·

ان في موقف الهيئة العربية العليا بمقاطعتها لجنة التحقيق تشكيك صريح فى هيئة الامم الامر الذى يؤدي الى تجريد الشعوب العربية من سلاح قوي في كفاحها ضد الاستعمار وهو نقل قضاياها الى المجال الدولى وفضح الاستعمار على نطاق عالمى ·

فاللجنة العربية العليا لم تخدم فى موقفها الاخير سوى مصالح الاستعمار والصهيونية وهى لا تمثل اليوم مصالح أهل فلسطين بقدر ما تمثل مصالح الرجعيين من كبار الملاك ومن أثروا منهم ببيع الاراضى الى الصهيونيين ·

---

* الجماهير ١٦ يونيو ١٩٤٧ ·

# الانجليز يفـرقون بين العـرب واليـهود فى فلسطين *

ان الاستعمار هو الاستعمار فى كل مكان ! فالانكليز الذين ينكرون على مصر حقها فى الحرية والاستقلال هم الانكليز الذين يناورون فى فلسطين كى يبرروا أمام أعين لجنة التحقيق الدولية وجود جيوشهم فى القطر الشقيق ..

ادعت انكلترا أمام هيئة الامم المتحدة انها مضطرة الى الاحتفاظ فى هذه المنطقة بجيش يزيد عدده على ١٥٠ ، ٠٠٠ جندى والى انفاق الملايين عليه للمحافظة على الامن وللسهر على أرواح سكان فلسطين من العرب واليهود !..
ولاثبات ذلك ها هى اليوم تعطى للعالم مثلا جديدا لسياستها الاستعمارية التقليدية « فرق تسد » .

اذ توالت حوادث الاعتداءات والاخذ بالثأر فى فلسطين وتفاقمت الحال لدرجة أن ظن الناس ان البلاد قد أشرفت على حرب أهلية : حواجز تقـام فى الشوارع ... وأفراد مسلحون من فرق « النجادة العربية » و « الهجانا » الصهيونية ساهرون ليلا ونهارا على أطراف المدن ... والدبابات الانكليزية فى شوارع يافا وتل أبيب ...

فمن المسؤول عن هذا التوتر الشديد فى فلسطين ؟؟

تذكرنا هذه الحال بالحوادث الدامية التى وقعت قبل الحرب عندما كان الجنود الانكليز يتنكرون فى زى العرب لمهاجمة الدور اليهودية أو فى زى اليهود لمهاجمة القرى العربية اشعالا لنار الحرب الاهلية .
انها نفس اللعبة الاستعمارية تتكرر اليوم ! ..

لقد أصبح من الواجب العاجل فى الوقت الذى تستعد فيه لجنة التحقيق الدولية لوضع تقريرها ورفعه الى هيئة الامم المتحدة أن يتضامن سكان فلسطين تضامنا قويا فى مناهضتهم للاستعمار والتمسك بندائهم « جلاء المستعمر واقامة حكومة ديمقراطية مستقلة » .

---

* الجماهير ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ .

# أجلوا عن فلسطين *

نشرت لجنة التحقيق الدولية تقريرها عن فلسطين وهو يتضمن ١١ توصية ومشروعين لتقسيم البلاد بين العرب واليهود .

وأول ما يؤخذ على هذا التقرير دراسة مشكلة فلسطين على أنها مشكلة تسوية علاقات العرب باليهود مع انها أصلا كفاح سكان هذه البلاد ضد مستعمريهم ومستغليهم .. وقد أغفلت اللجنة الدولية المطلب الاساسى للعرب واليهود معا الا وهو جلاء الجيوش الاستعمارية .. وليس بغريب أن تتخذ هذه القرارات دول صغيرة هى كانت دائما ذيلا للدول الاستعمارية الكبرى .

لقد سمع أعضاء اللجنة بيانات وافية ولمسوا أدلة فاضحة تدل على فشل السياسة الاستعمارية وعلى مدى الضرر الذى نتج عن النظام الارهابى البوليسى المعروض الان على فلسطين ولكنهم بدلا من أن يأتوا بتوصية واضحة عن انهاء الانتداب البريطانى فى الحال ، وجلاء الجيوش الاستعمارية بدون ابطاء اكتفوا بتوصية ناقصة هى وجوب انهاء الانتداب البريطانى عندما تسمح الظروف بذلك ، وبعد فترة انتقال أما عن الجلاء فلم تر اللجنة الموافقة على اقتراح مندوب يوغوسلافيا الذى طالب بخروج الجيوش الانكليزية واعلان استقلال فلسطين .

ولكن بالرغم من ذلك كله لا تعتبر هذه التوصية الدولية عديمة الفائدة .. إذ أنها دليل جديد على فشل الاستعمار البريطانى فى ادارة فلسطين ادارة تكفل أمن ورفاهية سكانها .. ومما لا شك فيه ان الذين سيقومون بالدفاع عن حقوق شعوب الشرق أمام الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة سيتمسكون بهذه التوصية لكى يطالبوا بانهاء الانتداب فى الحال .

* * *

ويظهر بين مشروعى اللجنة فرق واضح حاولت الصحف التقليل من أهميته أو ستره على الاطلاق ، فالمشروع الاول الذى وافقت عليه أغلبية أعضاء اللجنة يرمى الى تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية

---

* الجماهير ٦ سبتمبر ١٩٤٧ .

منفصلة تماما عن الاولى والى قبول ١٥٠ ألف مهاجر فى الدولة اليهودية فى عامين بدون استشارة العرب وأخيرا الى فصل القدس عن الدولة العربية ووضعها تحت وصاية دولية ٠

أما المشروع الثانى الذى أيده مندوب يوغسلافيا فيرمى الى انشاء دولة اتحادية يكون لحكومتها الحق فى البت فى جميع المسائل المهمة ٠ ويكون لجميع الفلسطينيين جنسية واحدة مع ضمان المساواة التامة للاقليات ـ أما بالنسبة للهجرة فتقديرها متروك للجنة مكونة من ثلاثة من العرب و ٣ من اليهود و ٣ تعينهم هيئة الامم المتحدة على أن تراعى فى حكمها قدرة البلاد الاقتصادية ٠

***

ومما يلفت النظر أيضا نوع الانتقادات التى وجهت الى تقرير اللجنة الدولية ٠٠ فلم يهاجم أحد من الذين تكلموا باسم عرب فلسطين القوة الرئيسية التى حركت اللجنة وحملتها على وضع تقريرها الا وهى مناورات الاستعمار الانكلو أميركى ٠٠٠ أسهبت اللجنة العربية العليا فى اظهار « عدم عدالة » التقرير وأغفلت ترديد المطلب الاساسى للعرب الا وهو جلاء الجيوش الاستعمارية فى الحال عن فلسطين ٠٠٠ بل ان مدير المكتب العربى فى نيويورك قد تطرف الى حد انكار صفة الوطنية الفلسطينية على جميع الذين دخلوا البلاد منذ سنة ١٩١٩ وفى ذلك اثارة لبعض اليهود واضعافا لثقة الفئات الداعية الى امكان الوصول الى اتفاق مع العرب ٠

***

ستعرض القضية الفلسطينية قريبا على الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة وسيحاول الاستعمار ايجاد حل لها ليركز أقدامه فى الشرق ٠٠٠ أما الشعوب العربية فان عليها أن تدافع عن حريتها بالمطالبة بجلاء الجيوش الاستعمارية عن فلسطين واقامة حكومة ديمقراطية فيها تنظر فى كيفية حل المشاكل المعلقة بين العرب واليهود ٠

## حكومتنا وقضية فلسطين *

بقلم د . ع

دائمـا ..

عندما تجد الرجعية نفسها فى مأزق ، وعندما يشتد عليها ضغط الشعب وتزداد مطالبته وتمسكه بحقوقه .. عندئذ تتلفت الرجعية حولها تبحث عن منفذ لها ومخرج ينقذها ولو مؤقتا فنجد هذا المخرج فى الطريقة المعتادة وهى شغل أذهان الشعب بمسائل أخرى تنسيه مؤقتا مشاكله الرئيسية .

والشعب يزداد ضغطه عليها .. فها هى الحكومة تفشل فى منع انتشار واشتداد الكوليرا ، وها هى أزمة الخبز الذى تعيش عليه الملايين تبدأ ، وها هو الدرويش بك يفضح فى تقرير رسمى له ممالاة الحكومة للاستعمار ويوضح كيف ستؤدى سياسة الحكومة المالية والاقتصادية الى كارثة اقتصادية على البلاد ، وها هو موقف الحكومة من القضية الوطنية قد بدأ ينكشف ، وسياسة تجاهل الاستعمار قد بدأت تنفضح ، وأخذ حاكم السودان العام يكيل الصفعات للحكومة .

موقف حرج ، فما السبيل لينسى الشعب مشاكله ، وقضيته الوطنية ، ويسافر النقراشى باشا الى بيروت ليحضر اجتماع الجامعة العربية ويعود لتمتلئ صحف الحكومة بالعناوين الضخمة ، وبالبنط العريض « عودة الى الحروب الصليبية » ، « اعلان الحرب المقدسة لانقاذ فلسطين » .

عاد النقراشى باشا من بيروت ، عاد ليشغل أذهان الشعب ، ولتمتلئ الصحف بالتحضير لحرب دينية ، حرب صليبية بين العرب واليهود ، لا حرب تحريرية ضد الاستعمار .

وقرأ الشعب عن سفر جيشنا الى العريش فتساءل عجبا ، أذهب جيشنا المصرى الى العريش دون أن يمر على فايد وقنال السويس ؟ ألم ير فى طريقه

---

* الجماهير ١٩٤٧/١٠/١٩ ( الافتتاحية ) .

جنودا بريطانية تحتل أراضينا المقدسة ؟ وعندما اقتربت الجيوش المصرية من فلسطين تساءل الناس هل أعلن النقراشى الحرب على الاستعمار ؟ هل استعد الجيش المصرى لطرد المستعمر من فلسطين ؟ ولكن ما ان وصل الجيش الى حدود فلسطين حتى أعلن أنه لن يدخل الا بعد جلاء البريطانيين ! لقد عبىء الجيش المصرى وأعلنت الحرب ولكن لا على المستعمر الذى يحتل مصر وفلسطين وشرق الاردن ، لم تعلن الحكومة الكفاح المسلح والحرب المقدسة - كما طالب الشعب ونادى يوم عودة النقراشى من أميركا - ضد « الاصدقاء البريطانيين » ! بل تعلن الحكومة المصرية الحرب ضد اليهود وتعلن أن جيشنا لن يدخل فلسطين الا بعد جلاء الاستعمار عنها .

وبذلك تشترك الحكومة المصرية فى تنفيذ خطط الاستعمار ، وتمهد له الطريق لاثارة حرب دينية فى فلسطين ، والتفريق العنصرى بين سكانها حتى يجد المبرر للبقاء فى فلسطين !

وها هى آثار هذه الخطة تظهر فيصرح كريتش جونس المندوب البريطانى فى هيئة الامم أن الجلاء عن فلسطين يتوقف على ايجاد تسوية بين العرب واليهود .

وهكذا تستغل الحكومة المصرية مشكلة فلسطين لتحويل أنظار الشعب عن قضيته الوطنية وتشغل أذهانه عن الداء الحقيقى ، وأن الداء هنا فى مصر وهناك فى فلسطين وشرق الاردن والعراق ما هو الا الاستعمار الذى يثير الفتن والدسائس ليثبت أقدامه وليمضى فى استغلاله للشعوب العربية .

ان أجل خدمة تقدمها الحكومة المصرية للاستعمار وللمستعمرين هى صرف أنظارنا عنه .. عن العدو الحقيقى لنا وللشعوب العربية جميعها وتوجيه اهتمامنا الى حرب دينية لا يفيد منها سوى الغاصب ، سوى الاستعمار الانجلو أميركى .

اننا نريد أن يعبأ جيشنا ، وأن تستعد قواتنا المسلحة ، اننا نريد أن يجند الشعب كله فى جيش واحد .. جيش يهب ليطرد الاستعمار من مصر والسودان ، ويشترك مع الشعوب العربية جميعها فى جبهة موحدة تقف صفا واحدا ضد العدو الاول .

ان تحرير وادى النيل ، وتوجيه ضربة قاصمة للاستعمار البريطانى فى مصر ، خير مساعدة نقدمها لفلسطين وللشعوب العربية ، فتحرير مصر خطوة هامة وأساسية نحو تحرير الشرق من الاستعمار .

## استقلال وديموقراطية
## أو استعمار وعبودية *
بقلم د ٠ ع

تنظر هيئة الامم المتحدة الآن فى مشكلة فلسطين ، تلك المشكلة التى ظلت ردحا طويلا من الزمن ولا زالت تشغل أذهان العالم أجمع ٠٠

ومن العجيب حقا انك لا تستطيع أن تستخلص من صحفنا المصرية حقيقة واحدة غير مشوهة فالحلول التى عرضت كثيرة ، وتعليقات المراسلين البريطانيين والاميركيين الاستعماريين أكثر ٠

وأنت اذا تتبعت هذه الحلول ، وهذه العلاقات خرجت والمشكلة فى رأسك قد زادت تعقيدا عن ذى قبل ، وأحسست أنك غارق فى بحر من الآراء والحلول لا تدرى أيها يخدم القضية وأيها موجه ضدها ٠

ولكن تتبع معى قليلا مناقشات هيئة الامم لتصل الى حقيقة المناورات والمؤامرات التى تجرى بداخلها ٠

### اتجاهان لا ثالث لهما !

اذا دققت النظر فى كافة الحلول التى عرضت فى هيئة الامم لوجدت أن هناك اتجاهين لا ثالث لهما ٠ فاما استقلال وديمقراطية ٠٠ واما استعباد وعبودية ٠

فكل وطنى لا ينظر الى أى حل لمشكلة فلسطين الا من زاوية واحدة فقط ٠٠ هى زاوية حرية واستقلال فلسطين ٠ ومن الغريب أنه اذا تأملنا فى كافة الحلول التى قدمتها انكلترا أو أميركا والدول العربية مهما اختلفت أشكالها وأساليبها لوجدنا أنها ترمى فى جوهرها الى بقاء الاوضاع الحالية بفلسطين ، لا تؤدى الا الى بقاء السيطرة الاستعمارية ٠

---

* الجماهير ١٩/١٠/١٩٤٧ ٠

## موقف انكلترا

قد يبدو عجيبا حقا موقف انكلترا من مشكلة فلسطين ، فهي تهدد بالجلاء وتظهر أمام العالم بأنها متمسكة به ، والجامعة العربية تؤكد طبعا ان هذا صدق ولكن أيمكن لانكلترا الاستعمارية أن تتخلى عن قواعدها بكل سهولة ؟ وخاصة فى فلسطين التى تعتبر منطقة استراتيجية هامة بالشرق الاوسط ومن خلالها تمر أنابيب البترول .

ولكن تأمل معى كلمة المستر كريتشى جونز المندوب البريطانى التى تبدأ بأن تقول أن انكلترا لا ترغب فى التخلى عن انتدابها عن فلسطين فحسب ، ولكن ستجلو عنها كذلك فى أقرب مدة ممكنة ، ولكن بعد ذلك يضيف شروط هذا الجلاء فيقول ، ان قرار بريطانيا مرهون بشرطين الاول انه فى حالة ايجاد تسوية بين العرب واليهود فانها ـ أى بريطانيا ـ على استعداد لان يستمر انتدابها على فلسطين حتى الموعد المحدد لاعلان استقلالها .

ومعنى هذا الكلام ان الجلاء معلق على ايجاد تسوية بين العرب واليهود ، وهذا طبعا شرط يصعب تحقيقه طالما تهدد الجامعة العربية بالحرب ـ بعد جلاء البريطانيين ـ وطالما ينادى زعماء الصهيونيين كذلك بالحرب ضد العرب .

ومعنى هذا ابقاء الحالة الراهنة بفلسطين تحت ستار عدم ايجاد تسوية بين العرب واليهود .

## الحل الاميركى

بدأ هرشل جونسون المندوب الاميركى خطابه فى هيئة الامم المتحدة بادعائه بأنه كان من نتيجة الحرب العالمية الاولى تحرير منطقة الشرق الادنى ومنها فلسطين ، وظفر بعض أقطارها بالاستقلال ، وان أميركا مغتبطة اذ ترى أغلب هذه الدول أعضاء فى هيئة الامم المتحدة ! وأيد مندوب أميركا « مشروع التقسيم والسماح بالهجرة » .

ولكنه فى نفس الوقت تجاهل مسألة الغاء الانتداب ومسألة استقلال فلسطين . ويحاول حصر المشكلة كلها فى شكل الحكم دون التعرض بتاتا لفشل الانتداب البريطانى ودون اشارة الى أمانى سكان فلسطين الى الحرية والاستقلال .

## الاقتراح العربي

أما الدول العربية ، تلك الدول التى تحاول الظهور بمظهر المدافع عن حرب فلسطين ومصالحهم ، فيتقدم مندوبو سوريا والعراق بمشروع جديد « يطالبون فيه بوضع فلسطين تحت وصاية دولية » •

ويعنى هذا الاقتراح بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية • الاحتفاظ بالحالة الراهنة بفلسطين ، فالوصاية الدولية تعنى بقاء المستعمر البريطانى ومن ورائه الاستعمار الاميركى محتفظا بسيطرته الغاشمة وتحكمه العسكرى واستقلاله الاقتصادى تحت ستار قانونى زائف •• هو الوصاية •

ان هذا الاقتراح لينكر على سكان فلسطين حكم أنفسهم بأنفسهم ، هذا الحق الذى لم تجرؤ دولة واحدة على انكاره • إن هذا الاقتراح لهو بحق خيانة كبرى ترتكب فى حق سكان فلسطين الذين يكافحون من أجل حريتهم واستقلالهم •• ومن المهازل أن يصدر هذا الاقتراح عن الدول التى تزعم أنها تدافع عن عرب فلسطين •

ويجب أن نذكر هنا كيف تناسى العرب اقتراحهم الذى قدموه فى الدورة الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة والخاص باعلان استقلال فلسطين ، تناسوا هذا الاقتراح الان ، وفى الدورة التى تبحث الحلول العملية لحل مشكلة فلسطين •

## اتجاه آخر

مما سبق يظهر لنا كيف أن كلا الحلين الاميركى والعربى لن يؤديا الا الى بقاء الحالة الراهنة فى فلسطين •

ولكن ظهر فى المجلس اتجاه جديد ، اتجاه قوى للدفاع عن استقلال فلسطين وديمقراطيتها ، اتجاه يخدم بحق قضية حرية فلسطين الشقيقة ، هذا الاتجاه يظهر جليا فى اقتراح الاتحاد السوفياتى •

## حل الاتحاد السوفياتى :

فى ١٤ فبراير ١٩٤٧ ، وقف الرفيق غروميكو فى الدورة الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة ، يدافع عن استقلال فلسطين ، ووقف يقول : « •• كل هذا

أدى بالوفد السوفياتى الى نتيجة هامة هى أنه لا يمكن حماية مصالح الشعوب العربية واليهودية الا بتكوين دولة عربية مستقلة من العرب واليهود ، تكفل لكل من الجانبين حقوقا متساوية » •

ثم وقف الرفيق غروميكو فى ١٤ مايو يعلن بقوة أن الحل واضح صريح وهو الغاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين الشىء الذى تجاهلته بريطانيا وأميركا ، بل وتجاهلته الدول العربية نفسها •

هذا هو جوهر الفرق بين الحلول الاميركية والعربية وغيرها ، وبين الحل السوفياتى ، الحلول الاولى تتجاهل مسألة استقلال فلسطين ، والحل السوفياتى يؤكد ضرورة الغاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين فى أقرب فرصة •

وها هو الرفيق ساربكين يقف فى هيئة الامم ويعلن بقوة فشل الانتداب البريطانى وطالب بانهاء الانتداب البريطانى فى أسرع وقت ممكن واعلان استقلال فلسطين فى أسرع وقت •

ولكن قد يتساءل القارىء ٠٠ ان الاتحاد السوفياتى قد أيد بقوة استقلال فلسطين فلماذا أيد مشروع التقسيم ؟

## تقسيم فلسطين

حاولت الرجعية العالمية والصحف المصرية أن تشوه موقف الاتحاد السوفياتى فلم تشر غالبيتها الى الفرق الواضح بين حلى أميركا والاتحاد السوفياتى ، ولم تشر الى طلب الاتحاد السوفياتى باعلان استقلال فلسطين فى أقرب فرصة ، وراحت تشوه موقفه وتعلن أنه وقف موقفا « معاديا » للعرب وأيد مشروع التقسيم •

ولكن تعال بنا ٠٠ الى أقوال جروميكو نفسه فى يوم ١٤ مايو ١٩٤٧ فقد قال يومئذ « ان انشاء دولة عربية يهودية موحدة يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية يمكن اعتباره من الحلول الممكنة للمشكلة الفلسطينية لصلحة الشعبين ولجميع سكان فلسطين ولامن وسلام الشرق الاوسط • واذا ظهر أن هذا الحل غير عملى بسبب سوء علاقات العرب واليهود فلا بد من تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين عربية ويهودية ٠٠ وأنا أكرر بأن هذا

الحل لا يجب الأخذ به الا اذا ثبت أن العلاقات بين العرب واليهود تبلغ من السوء الحد الذى يمنع التعاون السلمى بينهما ، والذى لا يرجى معه أى اصلاح » .

هذا هو موقف الاتحاد السوفياتى منذ ١٤ مايو ، ويدل بكل وضوح أنه يؤيد الدولة الموحدة فى فلسطين .. وأنه لا يقبل تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين الا تحت شرط واحد هو عدم امكان تعاون العرب واليهود . وقد كان هذا انذار لزعماء العرب واليهود للتفاهم وتحسين العلاقات حتى لا يؤدى سوء العلاقات بينهم الى تقسيم فلسطين .

ومنذ ذلك التاريخ وزعماء الجامعة وزعماء الصهيونيين يعملون على اثارة الفتنة والتفرقة ، وعدم التعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية كما يعملون على عدم وحدتها حتى لا توجه ضربتها للاستعمار فى فلسطين .

وها نحن نرى أنه فى الوقت الذى تجتمع فيه هيئة الامم المتحدة لتناقش مشكلة فلسطين يجتمع فى نفس الوقت مجلس الجامعة العربية ليعلن حربا على اليهود وليحاول تجميع العرب فى جبهة لا ضد المستعمر ، بل ضد اليهود .

وبذلك ساعدت الجامعة العربية ، كما ساعد زعماء الصهيونيين الذين أعلنوا كذلك استعدادهم لمحاربة العرب ، ساعد هؤلاء على ازدياد سوء العلاقات بين العرب واليهود ، مما أدى الى استحالة التعاون بينهم فى المرحلة الحالية .. والى اضطرار الاتحاد السوفياتى أن يختار حل التقسيم لينقذ فلسطين من البقاء فى وضعها الراهن ، تحت سيطرة الاستعمار البريطانى .

ان الحل الذى قدمه الاتحاد السوفياتى هو انقاذ فلسطين الشقيقة فنحن أمام أحد أمرين : أما أن نقبل تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين ، أى اعلان استقلال فلسطين وتحررها من السيطرة الاستعمارية ، أى أن تقبل الوضع الحالى ومعناه بقاء فلسطين تحت سيطرة الاستعماريين البريطانيين والأميركيين .

### التحرر من الاستعمار

ان الجماهير العربية ، والجماهير اليهودية أمامها هدف واحد ، هدف أساسى هو تحرير فلسطين من نير الاستعمار وتحطيم كافة مؤامراته ومناوراته

.. ولتحقيق ما يصبون اليه من حرية وديمقراطية ، عليهم أن يوحدوا صفوفهم ، لا لاثارة حرب دينية بينهم ، بل لتوجيه الضربة القاصمة للاستعمار فى هذه المرحلة التى ضعف فيها موقعه وأحرج مركزه .

كما يجب أن يكافحا كشعبين ضد سياسة زعمائهما التى ترمى الى التفرقة العنصرية بينهم ، والتى أدت الى هذا الموقف ، والى استحالة تكوين دولة موحدة مستقلة فى فلسطين فى هذه المرحلة ، ولكن حتى اذا تم تقسيم فلسطين فعلى الجماهير العربية والجماهير اليهودية أن تكافح جنبا الى جنب لايجاد الجو الصالح ، وخلق التفاهم بينهما لتكوين دولة موحدة ، مستقلة ، وديمقراطية فى تمثيلها ، وتكفل فيها الحقوق المتساوية للشعبين .

ان مشكلة فلسطين هى مشكلة تحرر وديمقراطية ، أو استمرار للاستعمار والعبودية .

عاشت فلسطين حرة ، ديمقراطية ، مستقلة .

وليسقط الاستعمار وأعوانه .

## هل تثار حرب دينية فى الشرق بدلا من حرب تحريرية ضد الاستعمار ؟ *

بقلم امام خليل **

يجتمع حاليا فى ربوع لبنان مجلس الجامعة العربية ، والغرض من هذا الاجتماع على حد قول المشتركين فيه هو دراسة المشاكل الهامة التى تواجهها الدول العربية ، فكم كانت دهشتنا فى مصر بعد أن رأينا النقراشى باشا يسافر شخصيا لحضور هذا الاجتماع أن نسمع وزير المواصلات يقول : « ليست قضية مصر مدرجة بجدول أعمال مجلس الجامعة ، ولا أدى أن كانت ستثار أم لا ! أما بالنسبة لقضية فلسطين فاننا نرى بوادر تدل على اتجاهات خطيرة غير سليمة »

* *

### استعمار متداعى :

ان موقف الاستعمار فى الشرق الاوسط لا يحسد عليه ، فمصر تضغط عليه لطرده من أراضيها وشعوب سوريا ولبنان ترفض بشدة الخضوع لعملائه الأردنيين ، وفى العراق يلجأ الى أساليب فاشية للاحتفاظ بالحكم ٠

### هند جديدة :

ازاء هذه القوة الشعبية النامية يلجأ الاستعمار الى سياسة سبق أن نجحت فى الهند نجاحا كبيرا ٠٠ وهى تفرقة صفوف الجماهير الكادحة الثائرة وتحويل كفاحها عنه باثارة اضطرابات دموية ، بل حروب دينية أهلية ٠٠

---

* الجماهير ١٢/١٠/١٩٤٧ ٠

** امام خليل ، أسم مستعار ٠

## نذر خطيرة :

انها لنذر خطيرة حقا ·· فالاستعمار يعمل على تحويل الشرق الى ساحة قتال دامية ، وها هى خطب تلقى فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الجامعة العربية تدل على أن حكام العرب يسيرون فى الطريق الذى يريدهم الاستعمار السير فيه ··

فقد تكلم جميل مردم بك عن « المعارك الدامية المقبلة » وطالب الشيخ عيسى بطرد اليهود من فلسطين كما طرد الصليبيون من قبل ·· ثم يقف الامين العام للجامعة العربية فيعلن فى سياسة غاية فى الخطورة ··

## حرب عنصرية

قال عبد الرحمن عزام باشا « لقد فهمنا أن الارهاب اليهودى سيجعل من الضرورى يوما الرد على القوة ، فمن الحقائق المؤسفة أن الدول العربية أخذت تشعر بأن القوة أصبحت ضرورية لرد الظلم عن فلسطين » ·

هذه هى السياسة التى يرى الامين العام السير عليها ·· اثارة حرب عنصرية طائفية دامية تنهك قوى الجماهير العربية واليهودية معا · فهل هذا هو حقا طريق انقاذ فلسطين وتحريرها ؟

## وحدة فى حرب ضد الاستعمار :

ان الجماهير الكادحة فى فلسطين سواء أكانت مسلمة أم يهودية أم مسيحية ، بل ان الجماهير الكادحة فى العالم كله اليوم ليست على استعداد للقيام بحركة دينة تفرق صفوفها وتحطم وحدتها وتنسيها عدوها الاساسى ألا وهو الاستعمار ، والذى لن يتأتى الخلاص منه باثارة حرب دينية بين العرب واليهود فى فلسطين ، أو بين المسلمين والمسيحيين فى لبنان ، **بل بتوحيد صفوف كل الوطنيين المعادين للاستعمار أيا كان دينهم فى جبهة تضم شعوب البلاد العربية للنضال والكفاح ضد قوى المستعمر** ··

أما الإهتمام الشديد فى مجلس الجامعة العربية باثارة حرب دينية فى فلسطين ، وتجاهله التام لتكتيل شعوب العراق وسوريا ولبنان ومصر وشرق الأردن وفلسطين فى جبهة تقوم بتحرير الشرق تحريرا تاما من كافة آثار الاستعمار فجريمة وأى جريمة ·

## نحن وفلسطين *
بقلم د٠ع

**ليشهد التاريخ ، ولتشهد الشعوب العربية ، اننا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربقة الاستعمار ، ومن أجل حياة سعيدة ، حرة ، ديمقراطية ٠**

يكافح الديمقراطيون فى كل مكان ضد قوى الاستعمار والطغيان ، وهم لا يجدون منفذا ، ينفذون منه الى الاستقلال والحرية الا ودخلوه وحاولوه٠

ونحن المصريين لا نعالج مشاكل شعوب المستعمرات الاخرى الا من زاوية واحدة ، زاوية الاستقلال والديمقراطية ، هذا هو موقفنا دائما ، وهذا هو موقفنا من قضية شقيقتنا فلسطين ٠

لقد أيدنا ، ونؤيد ، وسنؤيد دائما ، قيام دولة موحدة عربية يهودية بفلسطين ولكن على شرط ، وشرط واحد ، هو أن تتحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ، وأن تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية الحقيقية ٠

ونسجل أن هذا هو موقفنا الاخير ٠

ولذلك كنا نهاجم دائما الفاشيين وأذناب الاستعمار ، الذين نفذوا تعليمات المستعمر بدقة ، والتى هدفها جعل التعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية مستحيلا فى المرحلة الحالية ٠

وأخيرا عوضت قضية فلسطين على هيئة الامم ، وطلب الى الدول أن تجد حلا للمشكلة حلا يرضى العرب واليهود ٠

وبعد أن أثبتت جميع التقارير أن الانتداب البريطانى قد فشل ، كان المستعمر يعد العدة ، ويمهد الجو لبقائه وتثبيت مراكزه ، فبدأ بالايعاء الى

---

* الجماهير ٢٣/١١/١٩٤٧

الرجعية العربية والرجعية اليهودية لاثارة ما أسموه ـ بالحرب الدينية ـ ولخلق جو يؤدى الى استحالة التعاون بين العرب واليهود ٠

وهنا لعبت الدول الديمقراطية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى دور المحطم لمناورات الاستعمار ٠

فوقف جروميكو يقول : اننا أمام أمرين ، اما استقلال فلسطين ، واما ابقاء حالة الانتداب البريطانى ٠

ولكن كيف يتم تحقيق هذا الاستقلال ، وزعماء العرب وزعماء اليهود رفضوا التعاون ورفضوا اقتراح جروميكو الذى تقدم به منذ ١٤ مايو الماضى والذى يرمى الى انشاء دولة موحدة ثنائية مستقلة ؟

هناك لم يكن بد أمام الديمقراطيين ومحبى الشعوب ، وأعداء الاستعمار الا أن يقبلوا حل التقسيم كأساس لاعلان استقلال فلسطين ، وقد اعترف جروميكو نفسه بأنه حل ردىء ، ولكنه الحل الوحيد الذى يؤدى الى انهاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين ٠

عندئذ شعر الاستعمار البريطانى بالخطر يقترب ، وبنهايته فى فلسطين توشك أن تحل ، فماذا يفعل ؟ ليوعز الى الفاشيين والمضللين أذناب الاستعمار ، كى يهاجموا المشروع ويزيدوا من حدة الخلاف بين العرب واليهود ٠

ويخرج أحمد حسين بالمقالات تلو المقالات كلها تردد كلام المستعمر نفسه ولنقارن كلام أحمد حسين بكلام الجاسوس الانجليزى فى الشرق الجنرال سبيرز الذى يقول : « ان العرب مستعدون للتضحية بكل شىء فى سبيل وحدة فلسطين » ٠

وتردد الجامعة العربية نفس هذا القول ٠

ويعرج أحمد حسين ليقول : « أن ما يطرب له كل أوروبى وأميركى أن تنتزع فلسطين من يد العرب والمسلمين لتعطى الى اليهود » ٠

كلا أيها الفاشى ٠٠ اننا لا نريد انتزاع فلسطين من يد العرب والمسلمين لنعطيها لليهود ، اننا نريد انتزاعها من يد الاستعمار لنعطيها للعرب واليهود دولة مستقلة ديمقراطية ، ويجب أن يعلم أحمد حسين وأمثاله اننا لا نوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين وكأساس لاستقلال فلسطين ، وأمامنا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل للتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما فى دولة واحدة مستقلة ديمقراطية ٠

## حـول القضيـة الفلسطينيـة *

## بقـلم بـدوى **

تستميت الرجعية العربية الآن للاحتفاظ بفلسطين مستعمرة بريطانية .. ويدل على هذا موقفهم المشابه تماما لموقف الاستعمار البريطانى ، ذلك الموقف الذى يعطى الرجعية العربية فرصة الظهور بمظهر المدافع عن وحدة فلسطين ، والواقع أن موقف الرجعية العربية المعادى لليهود هو الذى أدى الى حل التقسيم كالحل الوحيد للوصول الى استقلال فلسطين فالاتحاد السوفياتى والدول الديمقراطية قد أبدت قيام دولة موحدة ثنائية مستقلة فى فلسطين وتركت هذه المسألة للعرب واليهود ليصلوا الى اتفاق بشأنها ، فان كانت الرجعية العربية ترمى الى وحدة فلسطين لرسمت سياسة تعاون مع اليهود ، الا أن تتبع الطريق الذى سلكته والذى يؤدى الى حرب أهلية لا يفيد منها سوى المستعمر .

**خطاب هيكل باشا :**

وقد وضح فى خطاب هيكل باشا الاتجاه العنصرى المعادى لليهود ، بل اننا نقرأ بين سطور هذا الخطاب تهديدا واضحا لليهود المصريين ، فقد قال « اننا لا نتبع سياسة مقاومة الظلم بالظلم ، ولكن كثيرا ما تطغى جحافل الشعب الهائج على قوات النظام وسيكون من الصعب فيما بعد اخماد الكراهية لليهود » .

ومعنى هذا الكلام أن الشعب المصرى سيقوم من تلقاء نفسه بالهياج ضد يهود مصر .. وهذا ما نستبعده كل الاستبعاد ، فالشعب المصرى شعب ناضج يدرك من هم أعداؤه ، ويعرف أن أعداؤه ليسوا يهود مصر ، بل أن عدوه الاول هو المستعمر وأذنابه .

ولكن خطاب هيكل باشا بمثابة تمهيد للرجعية المصرية لتحويل أنظار الشعب المصرى عن قضيته الوطنية ، والزج به فى حرب دينية لا حرب تحريرية ضد الاستعمار .

---

* الجماهير ٣٠/١١/١٩٤٧ .

** بدوى . اسم مستعار .

كما أن خطاب هيكل باشا تمهيد للرجعية المصرية للقيام بحملة ضد الشيوعيين تحت ستار أنهم يأتمرون بأوامر اليهود ، بل انه تمهيد للقيام بحملة ضد اليهود الاحرار أنفسهم ٠

**انـــذار**

اننا ننذر الشعب المصرى بأن يتنبه للمؤامرة التى تحيكها الرجعية العربية ضده ، وضد حقوقه وحرياته ، وضد قضيته الوطنية ٠

ولتعلم الرجعية أن الشعب المصرى بكافة قواته يرنو الى اليوم الذى يجند فيه للحرب ضد المستعمر وتطهير البلاد من آثاره ٠

**السلاح ... السلاح**
**فلتكون كتائب وطنية**
**مسلحة ضد الاستعمار** *
**بقلم محمود النبوى**

الشعب المصرى شعب ثائر .. شعب أبى وفى شديد الحساسية ، ظن كثيرون من الانهزاميين والمترددين ان وباء الكوليرا قد حد من روحه المعنوية ، وظن البعض الآخر من الفاشيين والمضللين انه يسهل خداعه وتحويل كفاحه عن الاستعمار .

ولكن ها هى المظاهرات تعم أنحاء القطر ، وها هى الالوف من الشباب خرجت وهى على أتم استعداد لتبذل دماءها للكفاح المسلح ضد الاستعمار ..

وقد حاولت الرجعية واذنابها من الفاشيين والمضللين أن تحول هذا الكفاح الى كفاح عنصرى ضد اليهود ، بل حاول أحمد حسين أن يحول هذا الكفاح الى كفاح دينى ضد المسيحيين تحت زعم أن الاستعمار البريطانى انما يستعمرنا لانه مسيحى متعصب ضد الاسلام ، فيكتب فى آخر عدد من مجلة مصر الفتاة يقول « انا نلقى انجلترا ، ونلقى أميركا ، ونلقى روسيا معا ، لانهم جميعا خصمنا شنوا علينا حربا صليبية باسم الاستعمار تارة ، وباسم المدنية تارة ، وهم فى كل ذلك مسيحيون متعصبون ، يريدون القضاء على الاسلام والمسلمين » .

ومن الطبيعى ألا يحاول أحمد حسين أن يبين لنا لماذا يستعمر البريطانيون بلادا لا تمت للاسلام بصلة .. !

بل خرجت علينا هيئة كبار العلماء لتفتى .. لا بوجوب حشد القوى ضد المستعمر بل لتفتى بحشد القوى لاثارة دينية !

حاول كل هؤلاء تحويل كفاحنا الوطنى الى كفاح عنصرى دينى ، وحاولوا بكل الوسائل اقناع الشعب المصرى أن عدونا وعدو الشرق ، ليس الانجليز ، وليس الاستعمار الانجلو ـ أميركى ، بل أن العدو الاساسى لنا هم اليهود ، فتخرج الصحف المأجورة ، ويخطب زعماء الجامعة العربية وعلى رأسهم

---

* الجماهير ١٩٤٧/١٢/٧ . ( الافتتاحية ) .

عزام باشا ، دون أن يذكروا كلمة واحدة ضد الاستعمار البريطانى • لقد حاولوا تحويل كفاح الشعب من أجل حقوقه وحرياته •• من أجل الديمقراطية ورفع مستوى معيشته ، بل أرادوا تحويل كفاحه عن العهد الحاضر •

ولكن الشعب المصرى الرازح تحت نير الاستعمار ، يعلم حق العلم أن العدو الاساسى للشرق هو الاستعمار ، وأن جميع المشاكل التى خلقت فى الشرق هى من صنع الاستعمار ، فهو الذى خلق بسياسته « فرق تسد » مشكلة فلسطين ، ومشكلة الهند ، ومشكلة الاكراد ، ومشكلة الدروز ، ومشكلة السودان ، ومشكلة العقبة وعمان •• الخ من كافة المشاكل التى لا نزال تعانى منها حتى الآن •

يعلم الشعب هذا ، ويعلم أن العهد الحاضر مسؤول عن الحالة التى وصل اليها وعن الكبت الواقع عليه ، فخرجت مظاهراته وهتافاته الاساسية موجهة ضد الاستعمار ، ولتحرير وادى النيل فنسمع هتافات « أين الجلاء يانقراشى » و « ليسقط الاستعمار » ، « تسقط انجلترا » ، بل هتف الشعب « تسقط الحكومة النقراشية » فأمرت الحكومة باطلاق النيران على المتظاهرين •

والشعب المصرى يعلم أيضا ، أن تحرير فلسطين ، بل تحرير الشرق العربى • يتطلب كخطوة أساسية وضرورية تحرير وادى النيل ، فوادى النيل الحر المستقل يمكن أن يعبىء القوى ويجند الملايين ويشترك اشتراكا أساسيا فى حرب يخوضها الى جانب الشعوب العربية لتحرير الشرق من نير الظلم والاستغلال والاستعمار ، لذلك هتف الشعب باخلاص وحرارة « اعطونا السلاح لتحرير الوادى » وتحرير فلسطين بل وتحرير الشرق •

فلتعبىء الشعوب العربية قواها ، ولتتكالف اليوم وتقف صفا واحدا ، صفا قويا ، تجند فيه الملايين ، ولتتكون كتائب الوطنيين المسلحة فى كل مدينة من مدن الشرق المستعمر بل وفى كل قرية ، ولنعلنها حربا شعواء على المستعمر الغاشم ، ولنطهر الشرق من آثاره وشروره •

ولنوجه نحن المصريين ضربتنا الى الخط الاول للاستعمار فى فايد وقناة السويس والسودان ، فلن يمكننا تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو ، وقوات الاستعمار تصوب نحونا نارها وقذائفها •

وليكن هدفنا الاول : أن نحرر وادى النيل ، لنتمكن من تحرير الشرق كله •

## بيان من الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) *
## حول قرار زعماء الجامعة العربية

### أيها المواطنون

اجتمع رؤساء الحكومات العربية خلال الاسبوعين الاخيرين وأذاعوا على العالم انهم على وشك اتخاذ قرارات عملية خطيرة تهتز لها أركان المعمورة . وتم الاجتماع فى ظروف حاسمة بالنسبة لمستقبل الشرق العربى ، فالقضية المصرية راكدة بين ملفات مجلس الامن والاستعمار سائر فى خطته لفصل السودان وادماجه فى الامبراطورية البريطانية ، ولا زال العراق وشرق الاردن يرزحان تحت وطأة قوات الاحتلال وتدخل الاستعمار الاميركى فى شؤون المملكة العربية السعودية يزداد يوما بعد يوم ويهدد استقلال سوريا ولبنان . الاستعمار البريطانى يعمل جاهدا على التخلص من قرار الامم المتحدة الذى يقضى بالغاء الانتداب والجلاء عن فلسطين .

تطلعت الشعوب العربية المستعبدة المكافحة من أجل حريتها وسيادتها الوطنية لعل فى قرارات رؤساء حكوماتها ما يساعدها على الخلاص من نير الاستعمار والاستبداد وأخيرا صدر البيان .. فاذا به يتجاهل وجود الاستعمار فى شرقنا العربى تجاهلا تاما . واذا به يزمجر ويغلى دون أن يذكر كلمة واحدة عن قضايا شعوبنا الوطنية المشروعة ودون أى توجيه لكفاحها ضد عدوها اللدود ، الاستعمار ، وحصر البيان نفسه فى الحديث عن اليهود ، وما يدبره رؤساء الحكومات العربية ضدهم .

---

* صدر هذا البيان فى الاسبوع الثانى من ديسمبر ١٩٤٧ . ووزع على نطاق واسع ، ثم أعيد نشره فى « الجماهير » عدد ٢١ ديسمبر ١٩٤٧ .

أيها المواطنون

ان سياسة الاستعمار التى سار عليها رؤساء الحكومات العربية هى المسؤول الاساسى عن تقسيم فلسطين • فلقد كان ولا يزال الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من الالفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية • ولكن زعماء الجامعة العربية الحاليين وزعماء الصهيونية الخونة •• فى الوقت الذى كانت فيه هيئة الامم المتحدة تدرس القضية الفلسطينية ملئوا العالم صياح باعدادهم للحرب بين العرب واليهود الامر الذى أدى بالقوات الديمقراطية فى هيئة الامم بالموافقة على التقسيم باعتباره الحل العملى الوحيد فى الظروف الحاضرة والذى يحقق الغاء الانتداب البريطانى وجلاء القوات الاستعمارية عن الاراضى المقدسة •

واليوم وقد اتخذت هيئة الامم قرارها بانشاء دولتين مستقلتين على أساس الغاء الانتداب وجلاء القوات الاجنبية عن فلسطين فان الطريق الوحيد لتوحيد الدولتين الجديدتين يكمن فى المساهمة الجدية فى طرد الاستعمار مصدر التقسيم والانقسام ، وايجاد جو من الثقة والالفة بين العرب واليهود والكفاح ضد محاولات التفرقة العنصرية الاستعمارية •

ولكن رؤساء الحكومات العربية بدلا من أن يتخذوا مثل هذا الموقف كى يخلقوا الظروف المناسبة لتقدم الجماهير العربية واليهودية نحو الوحدة أصدروا بيانهم العنصرى الاخير مهددين فيه بالحروب والفتن الدينية ضد اليهود فى الشرق العربى بأسره •

وهكذا فان رؤساء الجامعة العربية لا زالوا مستمرين فى سياسة الاستعمار التى أدت الى انقسام فلسطين وتقسيمها والتى من شأنها أن تزيد من الفرقة والانقسام بين سكان فلسطين وتقضى بذلك على كل اتجاه نحو الوحدة وتعطى الفرصة للاستعمار لابقاء قواته وسيطرته على الاراضى المقدسة •

أيها المواطنون

ان الاستعمار والرجعية العربية فى ازمة • فقد استقلت سوريا ولبنان وها هى فلسطين على وشك الاستقلال • وفى مصر حدد الشعب مطالبه بالجلاء عن مصر والسودان دون تحالف أو محالفة ، ونادى ولا يزال ينادى بالكفاح المسلح ضد الاستعمار •وفى كافة البلدان العربية تقف الحركة الوطنية

حجر عثرة فى سبيل المشروعات الاستعمارية . وتعانى النظم الحاضرة أزمة اقتصادية اجتماعية ، ويزداد كفاح الجماهير يوما بعد يوم من أجل مستوى معيشتها ومن أجل حياة انسانية سعيدة .

وقد أخذت الحكومات العربية الحاضرة والعهود التى تمثلها تنكشف أمام الجماهير وتنفضح سياستها الموالية للاستعمار والمعادية للديمقراطية ، وأخذت حركة المعارضة تشتد وتتسع .

أمام هذه الازمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية يرى الاستعمار والرجعية الا مخرج لهما منها سوى اشعال حرب العنصرية فى الشرق العربى ، تلهى الشعوب عن أهدافها الوطنية ومطالبها الاقتصادية والاجتماعية وتحول أنظارها عن العهود الحاضرة المعادية للديموقراطية ، وقد وجدوا فى فلسطين نقطة البدء لتحقيق هذه السياسة الاجرامية .

فى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم البيان الذى أصدره رؤساء الحكومات العربية ، انه يرمى الى وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا الوطنية المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار ، انه يرمى الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح ، انه يرمى الى تحويل أنظار المعارضة الوطنية الديمقراطية عن العهود الرجعية الحاكمة فى الشرق العربى وعن مؤامراتها لتكتيله فى كتلة استراتيجية خاضعة للاستعمار .

أيها المواطنون

احذروا ، واستيقظوا ، فالمؤامرة خطيرة واسعة ، وأعوان الاستعمار الذين كادوا أن يكبلوا وطننا بمشروع صدقى بيفن هم أنفسهم الذين يساهمون مع نورى السعيد ( صدقى العراق ) وزعماء شرق الاردن ( أصدقاء بريطانيا الاوائل ) فى تنفيذ هذه الخطة الآثمة .

ان الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لتتجه الى كافة الوطنيين الديمقراطيين فى الشرق العربى للنضال ضد هذه المؤامرة الاستعمارية والكفاح من أجل وحدة الشعوب العربية ، واعلان الحرب الوطنية المقدسة ضد الاستعمار ، وتدعو كافة الوطنيين والمخلصين لقضايا الشعوب العربية الى توحيد صفوفهم بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية والسياسية فى جبهة وطنية متماسكة والاستعداد للكفاح المسلح لتحرير وادى النيل من براثن الاستعمار ، فوادى

النيل الحر الديمقراطي خير ضمان لاستقلال الشرق العربي بأسره وكفاحنا من أجل وادي النيل هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين والشرق من الاستعمار والخونة .

- عاشت فلسطين حرة مستقلة .
- عاشت وحدة الشعوب العربية .
- لتسقط مؤامرة الحرب الدينية .
- عاشت الحرب الوطنية ضد الاستعمار .
- عاش وادي النيل حرا ديمقراطيا .
- وليسقط الاستعمار وأذنابه .

## الجامعة العربية تؤيد تقسيم فلسطين على شرط ابقاء الاستعمار فيها *

بقلم د. ع

لقد علمنا أن السبب الذى من أجله حضر نورى السعيد باشا الى القاهرة وحضوره جلسات مجلس الجامعة العربية ، هو محاولة اقناع زعماء الجامعة بالموافقة على مشروع موريسون كأساس لحل مشكلة فلسطين ، وقد علمنا أن الجامعة العربية قد وافقت على عرض الموضوع على مجلس الامن على أساس هذا المشروع ..

فما هو سر هذه المؤامرة الخطيرة .. ؟

منذ أن قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين على أساس جلاء القوات البريطانية واعلان استقلال الدولتين ( العربية واليهودية ) ، والجامعة العربية تقوم بدعايتها الواسعة على رفضها لهذا المشروع وتمسكها « بوحدة فلسطين » .

وقد كتبت « الجماهير » منذ اللحظة التى قرر فيها مشروع التقسيم أن الجامعة العربية ليست « ضد التقسيم » بل انها تؤيد التقسيم اذا أدى الى بقاء الجنود البريطانيين فى فلسطين .

فسياسة الجامعة العربية ومحاولتها اثارة حرب دينية بين العرب واليهود تدل بكل وضوح على عدم اخلاصها لوحدة فلسطين ، فقد بينا فى اعداد سابقة أن سياسة اثارة الحرب الدينية والعنصرية لن تؤدى الا الى اقناع الرأى العام العالمى بضرورة التقسيم ، وانها تهدف أولا وقبل كل شىء الى اثارة الاضطرابات فى فلسطين فتعرقل بذلك انسحاب الاستعمار البريطانى وتؤخر استقلال فلسطين .

---

* الجماهير ١٩٤٧/١٢/٢٨ .

## مؤامرة جديدة

وها هى مؤامرة جديدة تطبخ فى محاولة الجامعة العربية لاثارة قضية فلسطين أمام مجلس الامن ( عن طريق احدى الدول العربية والمرجح انها سوريا ) وانتهاز فرصة مناقشة المجلس لقرار هيئة الامم المتحدة الخاص بها ، لمحاولة حل القضية على أساس « مشروع موريسون » الذى وضعته الحكومة البريطانية كحل للقضية الفلسطينية ٠

## « ما هو مشروع موريسون » ؟

طبقا لهذا المشروع ، تتكون منطقة عربية تشغل ٣٨٪ من مساحة فلسطين ومنطقة يهودية تشغل ١٧٪ ، والباقى بما فيه القدس يبقى تحت ادارة بريطانية مباشرة ٠

وليس معنى هذا المشروع تكوين دولة عربية مستقلة أو دولة يهودية مستقلة ، بل تتكون حكومة مركزية لفلسطين تعينها بريطانيا ، أى ابقاء السلطات الحقيقية فى أيدى الحكومة البريطانية المركزية ، ومعنى ذلك اعطاء سلطات جديدة للمندوب السامى البريطانى ، فضلا عن اشرافه على المناطق التى ستبقى تحت السيطرة المباشرة للبريطانيين سوف يعطيه من السلطات ما يسمح له بالتدخل فى كافة أعمال المناطق المستقلة استقلالا ذاتيا شكليا ، عربية كانت أم يهودية ٠

ويشير المشروع الى أن الجيش والبوليس والمحاكم والشؤون الخارجية والضرائب ووسائل المواصلات كل هذه المرافق ستبقى بين أيدى الحكومة المركزية البريطانية ٠ وهذا هو « مشروع موريسون » الذى لا يغير فى الوضع فى فلسطين من ناحية السيطرة البريطانية والحكم الاستعمارى ، ويمكن أن يضيف متاعب جديدة ومناوشات حادة بين العرب واليهود عندما يحدد الاستعماريون حدود المنطقتين العربية واليهودية ٠

ولكن بالرغم من ذلك ، وبالرغم من **ابرام هذا المشروع** الذى يرمى الى ابقاء فلسطين مستعمرة بريطانية يستغل الاستعمار مواردها وسكانها وينهب خيراتها ويحولها الى قاعدة حربية له يرسل منها جيوشه وعتاده لتحطيم الحركات الوطنية فى الشرق ، بالرغم من كل هذا يصلنا أن الجامعة العربية توافق عليه كأساس لحل مشكلة فلسطين

**الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ولكن ! !**

ومعنى هذا أن الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ، فموافقتها على « مشروع موريسون » أكبر دليل على تأييدها للتقسيم ..

ولكن الجامعة العربية ضد انسحاب الجنود البريطانيين ، أى ضد استقلال فلسطين فمشروع موريسون الذى ننوى أخذه كأساس لحل القضية ، أساسه بقاء السيطرة - البريطانية على فلسطين واخضاع سكانها للاستبداد والاستغلال .

**أوقفوا المؤامرة .**

ان على الشعوب العربية التى تكافح للتحرر من نير الاستعمار ، أن توقف هذه المؤامرة فهذه الشعوب التواقة للحرية والاستقلال ترفض بقوة وعنف مشروعا لا يؤدى الى حرية فلسطين واستقلالها .

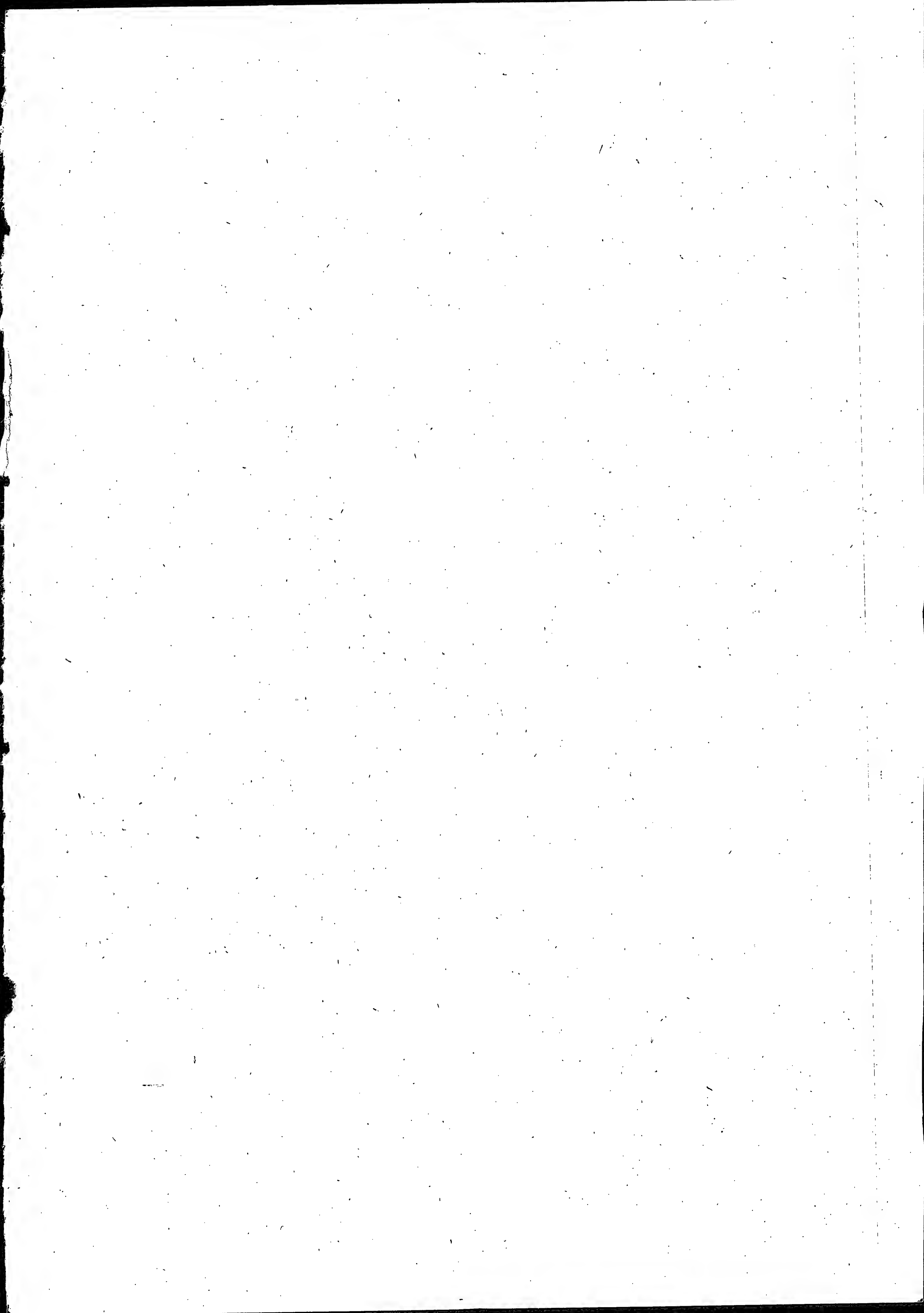
وعلى هذه الشعوب أن تقف جبهة واحدة وصفا واحدا لتحطيم مشاريع الاستعمار ومؤامراته وتطهير فلسطين من أعوانه وأذنابه وتحقيق الديمقراطية والاستقلال لكافة الشعوب العربية .

حلمى

# وثائق

يوسف

يوسف حلمى
مجموعة روما



لم يكن يوسف حلمى شيوعيا ، لكنه كان واحدا من العناصر الوطنية الثورية التى ذاقت معنى الوحدة الوطنية ومعنى اقامة تحالف وثيق مع كل القوى الوطنية والثورية فى مصر • ومد له الشيوعيون أيديهم فتلقفها كجزء من التحالف العام الذى أقيم بين « حدتو » وبين بعض قيادات الاحزاب الوطنية ومنها « الحزب الوطنى » الذى كان يوسف حلمى واحدا من قادته •

ومع انبعاث حركة السلام العالمية كان يوسف حلمى واحدا من طلائعها المبكرة ، وكان السكرتير العام للجنة الوطنية المصرية لأنصار السلام •

ومع اشتداد حملات الارهاب فى عام ١٩٥٤ اعتقل يوسف حلمى ثم أفرج عنه ثم هرب من مصر • وفى فرنسا أقام •

وهناك كانت « مجموعة روما » وهى مكونة من هنرى كوربيل « ومجموعة من الشيوعيين المصريين ذوى الاصل الاجنبى الذين أبعدوا عن مصر بعد اخلاء المعتقلات عام ١٩٥٠ • وهناك اعتبروا أنفسهم « خلية » تابعة لحدتو • وأطلقوا على أنفسهم اسم حركى هو « مجموعة روما » ( وكان هذا الاسم سببا فى أخطاء عديدة وقع فيها الكثيرون عندما أكدوا أن مقر هذه المجموعة كان فى روما ومن هؤلاء والتر لاكور فى كتابه :
Communism and Nationalism in the Middle-east.

وبطبيعة الحال كان من المفترض أن نشاط هذه المجموعة يسير تقريبا فى نفس الخط السياسى لحدتو ••

وبعد الوحدة التى تمت بين ( حدتو ) وعدد من المنظمات الصغيرة والتى أسفرت عن تأسيس الحزب الموحد ونتيجة لتواجد قيادة موحدة جديدة بدأ وضع هذه المجموعة يهتز لكنها واصلت نشاطها وأصدرت عديدا من النشرات وركزت جهودها فى الاساس دفاعا عن المعتقلين والمسجونين من الشيوعيين المصريين ••

وكانت هذه المجموعة تصدر نشرة بالفرنسية والعربية بعنوان « كفاح شعوب الشرق الاوسط » ، كانت تجعل منها منبرا للدفاع عن المضطهدين فى كل المنطقة وخاصة الشيوعيين المصريين ·

وقد ظلت هذه المجموعة فى العمل حتى صدر قرار بحلها بعد اتحاد الحزب الشيوعى المصرى الموحد مع مجموعة الحزب المصرى ( الراية ) وتكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد · وقد كان صدور العدد الذى نعرضه الآن من مجلة « كفاح شعوب الشرق الاوسط » عن مجموعة روما ، وما تضمنه من آراء حول القضية الفلسطينية أحد الاسباب التى تمسك بها البعض ـ فيما بعد ـ طلبا لحل مجموعة روما ·

* * *

وفى باريس التقى يوسف حلمى بهذه المجموعة · ومن خلالها قام بنشاط كبير ·· نعرض منه هذه الوثائق ·

## فقرات من خطاب يوسف حلمى السكرتير العام للجنة الوطنية المصرية لانصار السلام فى الجمعية العالمية لقوات السلم بهلسنكى *

« .. وعندما نتكلم عن سياسة مصر الخارجية فلا يمكننا أن نتجاهل مشكلة اسرائيل وهى مشكلة تهدد بصفة دائمة ومتعمدة أمن شعوب المنظمة بما فيها شعب اسرائيل ، وكانت تبدو فى بعض الاوقات مستعصية عن الحل .

ولكننا نعتقد أن الوقت قد جاء لكى تبذل جهود شعبية مضاعفة لوضع حد لحالة التوتر وسفك الدماء .

ان القرار الذى قدمه مؤتمر باندونغ خاصا بهذه المشكلة يعطى مبادرة هامة للمدافعين عن السلام فى البلاد العربية وفى اسرائيل لحلها ، لانه يدعو الى الحل السلمى .

ان أهمية هذا القرار تأتى أيضا فى أنه مقدم من مصر بعد موافقة الدول العربية ، وهو أول موقف رسمى من هذا القبيل ينبغى أن يقابل من اسرائيل الرسمية ومن اسرائيل الشعبية بخطوة مماثلة .

---

* « كفاح شعوب الشرق الاوسط » نشرة بالرونيو كانت تصدر باللغة العربية فى باريس تحت شعار « فى سبيل التحرر الوطنى والديمقراطية والسلام » نشرة دورية يصدرها الحزب الشيوعى المصرى الموحد ـ ومن الصعب الزعم بأن هذه النشرة كانت تعبر فى كل موضوعاتها عن رأى قيادة الحزب ، ولكنها كانت فى أغلب الاحيان تعبر عن رأى مجموعته المقيمة فى باريس والتى كتب يوسف حلمى كل ما سيلى من وثائق متأثرا بآرائها .

والنشرة مشار على غلافها الى انها « عدد خاص من أجل السلام فى الشرق الاوسط » العدد التاسع ـ نوفمبر ١٩٥٥ .

وقد أشرت فيما سبق الى حديث أدلى به البكباشى جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية الى مجلة « نيوزيك » الاميركية ، وهو عن مشكلة فلسطين ، وقد نشر فى جريدة « الجمهورية » شبه الرسمية فى القاهرة فى ٢٣ مايو • وأرى أن أتلو عليكم بعض الفقرات المعبرة من ذلك الحديث الخطير • فقد قال : « أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك تحسن ( أى فى العلاقات بين العرب واسرائيل ) • اذا أظهرت اسرائيل رغبة فى قيام **سلام عادل • اننا لا نطالب بأن يكون السلام على أساس شروطنا** • ولكننا نتمسك بأن تظهر اسرائيل رغبة طيبة واخلاصا لقبول قرارات الامم المتحدة » •

ولما سأله مراسل الجريدة الاميركية عن الشروط التى يراها تؤدى الى السلام بين العرب واسرائيل قال :

« ان الشرط الاول هو أن تبدى اسرائيل رغبة صادقة شريفة فى اقرار السلام والتعايش السلمى » •

وقال ردا على سؤال آخر :

« ليست لدينا أية مقاصد عدوانية ضد اسرائيل أو ضد أية أمة أخرى • **واننى كجندى أود أن أقول اننى شاهدت كثيرا من ويلات الحرب بحيث أصبحت أشعر بالرغبة الخالصة فى السلام** » •

ان هذه التصريحات الخطيرة من رئيس حكومة مصر تشكل اتجاها جديدا فى السياسة العربية خصوصا اذا وضعت تحت ضوء الخطط المصرية البارزة فى خلال هذا العام •

اننا بلا شك ضد كل صلح يكون غرضه الوحيد تكبيل بلاد الشرق الاوسط كلها بحلف عسكرى مرتبط بحلف الاطلسى ، ولكننا نريد السلام العادل بين الشعوب العربية وشعب اسرائيل • وهى أول مرة يعلن فيها العرب رغبتهم فى التعايش السلمى مع اسرائيل • وبأنهم انما يطلبون سلاما عادلا ، ولا يضعون شروطا مسبقة ، وانما سلاما على أساس قرارات هيئة الامم •

نعم ، ان الوقت قد حان لكى يأخذ المدافعون عن السلام فى البلاد العربية وفى اسرائيل زمام المبادرة من أجل اقرار سلام شعوبى لا سلام أميركى ، من أجل احباط خطط المستعمرين ودعاة الحرب ، من أجل ازالة التوتر فى هذه المنطقة الذى هو جزء من التوتر العالمى •

ان حالة التوتر القائمة بين العرب واسرائيل تزداد حدة كلما نزلت البلاد العربية على ارادة السادة الاميركان ، وهى تخف حدتها كلما أخذت مصر موقفا استقلاليا أو سلاميا ٠

ولكن هل يمكن أن يتحقق السلام الحقيقى بين العرب واسرائيل دون أن تتدخل ارادة الشعوب لتفرض سلامها هى ولتراقب تحقيق هذا السلام ؟

لا يمكن أن نتجاهل مطلقا أن حكومة اسرائيل الحالية وبعض الحكومات العربية أيضا انما هى أدوات منفذة لارادة السادة الاميركان والانكليز ، فاذا لم تعبأ ارادة شعوب هذه المنطقة تعبئة كاملة لفرض السلام الذى تريده لا السلام الذى يريده الاستعماريون فسنجد انفسنا اما أمام صلح يستهدف تكوين حلف عسكرى جديد ، واما لا سلام على الاطلاق ٠

ومن هنا فانه على الشعوب أن تتحرك ٠٠٠ على أنصار السلام فى اسرائيل وفى البلاد العربية ان يبادروا ويتحركوا ويتجمعوا وينسقوا جهودهم وكفاحهم لفرض السلام الذى تريده شعوبنا العربية وشعب اسرائيل ٠
ان السلام بين العرب واسرائيل ضرورى ليس فقط من أجل السلام العالمى ، بل من أجل استقلال بلادنا ٠

لم لا يعقد مؤتمر بين المدافعين عن السلم فى الشعوب العربية واسرائيل لوضع أسس مبدئية للسلام العادل وللتعايش السلمى ؟

أيها الاصدقاء الاعزاء ، انها لطويلة ومجيدة تلك المرحلة التى مرت عليها حركة السلام العالمية ٠ والانتصارات التى أحرزت هى فخر الانسانية وستكون جزءا من تركتها الثمينة ولكن الهدف لم يتحقق بعد ٠ ان عالما من الازدهار والموسيقى والكتب والحب ، عالما لا تفوح منه رائحة البارود وليس فيه مدافع ولا فقر ولا كره ، ان عالما كهذا قد أخذ يلوح فى الافق ولكنه لايزال بعيدا ٠ فان كنا نرغب حقا فى العيش فى عالم كهذا ان كنا حقا نريد أن نتمتع بثمار نضالنا المر المذاق من أجل السلام ، فان ذلك يتطلب منا الاستمرار فى النضال بعناد وبحماس دون كلل أو وهن ٠

وهذا ما أعذكم به باسم الشعب المصرى ٠

## خطاب من يوسف حلمى
## المحامى الى البكباشى
## جمال عبد الناصر*

السيد البكباشى جمال عبد الناصر – رئيس مجلس الوزراء –

بالقاهرة

لك منى التحية بقدر ما أنت مخلص لقضية الاستقلال الوطنى والسلام العالمى ، الذين أثبتت الاحداث انهما كل لا يتجزأ ، كما لعلك الان توافقنى ٠

ان مشكلة اسرائيل قد عادت الى الوجود هذه الايام أكثر حدة وعنفا ، وهى تشغلنى كما تشغلك وتشغل شعبنا بل وتشغل الرأى العام العالمى أيضا ٠ ولذلك رأيت أن أكتب لك فيها هذه السطور السريعة قبل أن تتفاقم الامور وتستعصى على العلاج ٠

يخأل الى انك لكى تسلك سياسة صحيحة تجاه مشكلة اسرائيل ينبغى أن تعيد النظر فى مفهومك عن هذه المشكلة ٠

وأحب أن أضع تحت التفاتك النقاط الاتية :

(١) عندما برزت هذه المسألة الى عالم الوجود أدركت حكومة الاتحاد السوفياتى أية لعبة قذرة يدبرها الاستعمار الغربى لشعوب هذه المنطقة ، فنادى بحق وجود دولتين ديمقراطيتين مستقلتين آحداهما تضم أغلبية الشعب العربى والثانية تضم أغلبية الشعب اليهودى ٠ وكان ذلك الحل تطبيقا لسياستهم المنطقية الناجحة بالنسبة للقوميات فى داخل

---

* كان هذا الخطاب والوثيقة التى تليه والمعنونة « بيان الى شعب اسرائيل » مثارا لحملة عاتية نظمها عبد الناصر ضد يوسف حلمى انتهت بابعاده من الحياة السياسية ٠٠ وقد نشر الخطاب فى نشرة « كفاح شعوب الشرق الأوسط » – المرجع السابق ص ٧ ٠

بلادهم نفسها ، وتطبيقا للدستور السوفياتى الذى يعطى كل شعب من شعوب السوفيات حق الانفصال فى دولة مستقلة ٠

وهنا صاح الاستعمار - ويا للعجب - يندد بالمقترحات الروسية ويتهم روسيا بالصهيونية وبخيانة مصالح العرب وتعصبها لليهود ٠٠

(٢) عندما أيد فريق من الشيوعيين ( الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ) مقترحات الاتحاد السوفياتى وعندما حذروا شعبنا والشعوب العربية من الحرب القذرة التى يدبرها الاستعمار بالاشتراك مع الملك الخائن وعصابته كاشفين عن أن أحد أغراض هذه الحرب هو تنويم الحركة الوطنية وتحويل الطاقة الثورية للشعب لافراغها فى فضاء سيناء وبطاح فلسطين ، فتكوا بهم وقالوا عنهم خونة يتلقون تعليماتهم من موسكو وتستأجرهم الصهيونية ٠

(٣) وعندما صوتت أغلبية الامم المتحدة لمشروع التقسيم - الذى نطالب به الان على لسان باندونج - أبدع النفاق الاستعمارى أيما ابداع وهو يصوت للمشروع ويوعز فى الوقت نفسه الى الحكومات العربية وقتذاك برفضه ٠

(٤) ولعب الاستعمار - كما تعلم طبعا - بحرب فلسطين أمهر تلاعب وحركها كما وجهها يوما هنا وهناك ، ولما انتهى دور الحرب القذرة أوقفها فى اللحظة التى يريد ، وبالشروط التى تحقق له خطط المستقبل ٠

(٥) وهكذا ضاعت الدولة العربية الديمقراطية المستقلة ، وقامت الدولة الاسرائيلية ولكن دون أن تكون مستقلة ودون أن تكون دمقراطية ، لكى تظل حكومتها التابعة للاستعمار الانجلو - أميركى شاويش الاستعمار فى المنطقة ورأس الحربة المسددة الى حركات التحرر الوطنى فى البلاد العربية ، وخاصة فى مصر ٠

(٦) وظلت أبواق الاستعمار وعملائه تبث فى رأينا العام مشاعر الكراهية والتعصب وسوء الظن ضد اسرائيل وتفعل فى اسرائيل مثل ذلك ضدنا ، لابقاء حالة التوتر القائمة ولاستخدامها فى صالح مآربها السافلة وأطماعها فى السيطرة على بلادنا واستغلال شعوبنا ، بحيث منعت كل تفكير فى امكان تحقيق سلام عادل وحل هذه القضية بالطرق السلمية ٠

(٧) حتى كان مؤتمر باندونغ الظافر الذى تبنى بالاجماع القرار السديد الذى قدمه الوفد المصرى بحل المشكلة حلا سلميا على أساس قرارات الامم المتحدة ، وكان هذا القرار مع غيره لطمة أصابت قلب الاستعمار فى الصميم ،

لطمة بما زال يتلوى منهـا حتى الان كما نراه ونسمعه فى هذيان سياسيين كبـار وصحف تنطق بأسمائهم ٠

(٨) غير أن الامر الغريب غاية الغرابة أنه لم تحصل حتى اليوم خطوة ايجابية لوضع هذا القرار موضع التنفيذ ، فبديهى أنه ليس يكفى اصدار قرار لكى ينفذ نفسه ، فهو لن ينفذ الا اذا كافحنا من أجل تنفيذه كفاح الابطـال ، فالاستعمار سوف يضع كل عراقيـل ممكنة فى طريق أى حـل سلمى لان اقرار السلام بين الدول العربية واسرائيل سوف يحطم رأس الحربة المصوبة الى ظهورنا والى قلب سياسة الاستقلال الوطنى والسلم العالمى التى نتمسك بهـا الآن حكوماتنا وعلى رأسها حكومتا مصر وسوريا ٠

(٩) ألم يعـد واضحا وضوح الشمس لكل بصير انهم سلحوا غدرا ومن وراء ظهوركم جيش اسرائيل تسليحا ضخما ليدبروا به المجـازر هنا وهنـاك على الحدود ، ملوحين لكم بعـد كل مجزرة بقبول حلف الشرق الاوسط العسكرى وطالبين منكم الركوع تحت أقـدام النفوذ الانجلو ـ أميركى ؟

(١٠) هنـا تتقـدم الحكومة التشـيكوسلوفاكية وحكومة الاتحـاد السوفياتى لاحبـاط مؤامرات الغرب ، لرفع الضغط عنـا ، لافساد خطط الغدر والخيـانة ، لتحطيم سياسة التدخل الاجنبى فى شؤوننـا ، لكفـالة استقلال أدمنـا ، لاقـامة التوازن الذى يدعم السلم ويجعل المغـامرون يفكرون طويلا قبـل الاقدام على المغامرة ، فتعرضـان تزويـد الجيش المصرى بالاسـلحة الجبـارة ضمن صفقـة تجـارية عادية لا تصحبها شروط سياسية ٠

(١١) لصفقة الاسلحة هذه ـ فى رأيى ـ أهمية أعظم جدا من الاغراض السابقة ، ان أهميتها العظمى هى فى أنهـا رفعت كثيرا من قـدر مصر فى أعين جميع الشعوب المحبة للسلام لا لان مصر أصبحت قوية عزيزة الجانب ، ولكن لانها أكدت ثقـة العـالم أجمع فى النوايا السلمية لحكومتها ، فما كانت تشيكوسلوفاكيا ـ احدى دول معسكر السلام ـ لتزود أحد بالاسلحة بغيـة الكسب المـادى ، أو بغرض ترويج بضاعة فاسدة ومدافع لا تنطلق من الخلف ، ولكنهـا قـدمت الاسلحة المشهورة بدقتها وهى ( آخذة بعين الاعتبار ) سياسة الاستقلال الوطنى والسلم العـالمى للحكومة المصرية ، وهى واثقـة من **أنهـا لن تستعمل فى العدوان وانما فى الدفـاع عن استقلال البلاد ٠**

* * *

(١٢) ولكن ماذا بعد ذلك ؟ هل هذا يكفى ؟ ان جمعية الاستعمار لن تخلو من الحيل والمكائد ، فلماذا لا تقطع رأس الافعى وتنتهى ؟

أما كيف نقطعها ۰۰۰۰ فتلك هى المسألة كما يقول هاملت ۰

سيقول بعضهم ، وهم موجودون فى معسكرك وحولك وفيمن يدعون انهم رجالك ۰۰۰ سيقول هؤلاء الحمقى أو الجواسيس ان شئت ، أو ان شئت فعملاء الاستعمار ــ نلقى باسرائيل الى البحر ۰

ولا شك فى أنك تعى فى أن أقل ما يستحقه قائل مثل هذا الهذر أن يموت ضربا بالنعال لا بشىء آخر ۰ ان اسرائيل قد وجدت ، وستوجد وسيستحيل القاؤها فى البحر ۰

واذن ؟

لا حل الا تنفيذ قرار باندونغ : ــ الحل السلمى لمشكلة فلسطين على أساس قرارات الامم المتحدة ۰

وهنا يقتضينى الموقف بعض الايضاح ۰

ينبغى أن نفرق تفريقا دقيقا بين حكومة اسرائيل والعناصر الاستفزازية فيها ، وبين جموع الشعب الذى يتوطن فى هذه الدولة ، والذى يحمل وحده أعباء الحرب ومهالكها ، والذى يسقط رغما عنه فريسة للدعاية المسمومة المسلطة عليه ليل نهار ۰

ان كل فرد فى هذا الشعب وكل فرد فى أى شعب آخر ، لا يريد أن يموت ولا أن يقتل أحد ــ كل واحد يريد أن يبقى فى دفء بيته وعطف أمه وحب زوجته وضحكات أطفاله ۰

ولكنه عندما يتسمم بفكرة ملحة تتكرر على مسمعه كل يوم كما يحدث الان ــ بأن مصر تتسلح لكى تهدم بيته وسعادته وتفتك بأطفاله وتقضى على وطنه فسوف يسهل على دعاة الحرب أن يسوقوه الى المجزرة كما تساق الاغنام ۰

فلتعرف هذه الحقيقة ، ولتكن فى فهمنا عندما نقول أن الحل الوحيد هو تنفيذ قرار باندونغ ۰

والآن كيف السبيل الى التنفيذ ؟

أرأيت الى الاتحاد السوفياتى كيف يرفع شعارات السلام الى أعلى مكان فى سياسته الداخلية والخارجية ؟.

أرأيت كيف أن هذه الدولة الجبارة المؤيدة بالقارة الصينية وبدول الديمقراطيات الشعبية وبعطف ومشاركة جميع شعوب العالم المتعلقة بالسلام، لا ترى فى رفع هذه الشعارات مظهر ضعف أو خوف ، وانما دليل قوة وحيوية وثقة بالنفس وايمان بالقضية والانسانية وبالمستقبل ؟

أرأيت كيف يهربون منها لتلاحقهم ؟ وكيف يبتعدون عنها فتقترب منهم ؟ وكيف يرفضون مشروعاتها السلمية فتتقدم لهم بغيرها ثم بغيرها ؟

أرأيت كيف تنتصر سياسة السلام هذه وكيف تتراجع سياسة الحرب ؟

لماذا لا تفعلون مثل ذلك ؟ لماذا ترفضون دعوة بن جوريون ؟ بل لماذا تتركون له المبادرة ولا تبدأون أنتم حتى لا تدعوا له مجال الدعاية فى العالم بأنه يطلب السلام وتطلبون الحرب ؟

لماذا لا تخاطبون شعب اسرائيل بكل اللغات شارحين له قضية السلام الحقيقية ، وحقوق عرب فلسطين وقرارات الامم المتحدة وقرار باندونغ ؟

لماذا لا تقولون له لقد انقضى عهد الحكومات الملكية الخاضعة للاستعمار والتى كان من مصلحتها المشتركة مع الاستعمار ابقاء حالة التوتر واشاعة الكراهية والبغض والحذر بين العرب واليهود ، وبأن البلاد العربية دخلت فى طور استقلالى جديد لا ينكر حقوق الشعب الاسرائيلى وانما يريد أيضا حقوق الشعب العربى ، ومصالح الشعبين لا تتناقض . وأخيرا فان الحل العملى الوحيد هو أن تطلبوا عقد مؤتمر دولى مثل مؤتمر جنيف الذى حقق السلام فى الهند الصينية على أن يضم هذا المؤتمر الدول العربية واسرائيل ودولا من مؤتمر باندونغ فضلا عن الدول الاربع الكبرى ؟

هل أنت فريسة مركب النقص الذى يقول أصحابه أن الدعوة الى السلم تضعف معنوية الشعب وتصيب روحه بالخور وتثبت فيه الذعر ؟

هل أصابت هذه السياسة معنوية الشعب السوفياتى أو الصينى بالخور ؟ •• أم أن هذه الشعوب العظيمة تقف فى شجاعة الابطال للدفاع عن هذه السياسة وافتدائها بأعز ما تملك ؟

ان تصريحاتك الى مجلة « نيوزويك الامريكية » والتى نشرتها « الجمهورية » فى ٢٣ مايو الماضى تصريحات جيدة فى مجموعها وتعبر عن الرغبة الصادقة فى السلم • ولكنك عندما تقتصر على القول بأنك « كجندى شاهدت كثيرا من ويلات الحرب بحيث أصبحت أشعر بالرغبة المخلصة فى السلام » • فهذا هو نوع الكلام الذى قد يبث الذعر ويضعف معنوية الشعب ، فليست المسألة مسألة ويلات الحرب فحسب ، بل أنها ضرورة السلم وأهميته ورخاؤه ومباهجه وحقنا فيه وكفالته لاستقلالنا ورفاهتنا وتقدمنا ، فهكذا يستوعب الشعب أيديولوجية السلم فيحبه ويدافع عنه ، ويكره الحرب ولكن لا ينخلع قلبه منها ••

بمجموع هذه السياسة أو ما يشابهها تنتج لك حتما النتائج الاتية :

(١) تنال عطف شعوب العالم كلها وتأييدها وتقديرها •

(٢) تقوى مناعة الشعب اليهودى ضد الحرب وتفسد الدعاية المسلطة عليه •

(٣) تعضد عزم الشعب المصرى وترفع معنوياته وتثبت فيه روح الدفاع عن أمن البلاد وسلامتها •

أما بعد فلتعلم ، فوق ذلك كله ، ان أنصار السلم الابطال فى اسرائيل يقومون ككل أنصار السلام الشرفاء فى العالم بدور جبار من أجل نفس القضية ، قضية السلام ، وضد مكائد الاستعمار واستفزازات الحكومة الاسرائيلية ، ومن أجل الدفاع عنك وعن سياستك الجديدة ، ولافهام الشعب الاسرائيلى أن صفقة الاسلحة غير موجهة ضده وغير ذلك مما تستطيع أن تستنبطه من صحيفة تصدر فى اسرائيل باللغة العربية أرسلها اليك فى غلاف آخر •

فلتخرجوا أيها الناس من هذه السياسة الانوقعية التى حبسنا فيها الاستعمار وأصحاب المصالح من شركائه ، فلتطالبوا بعقد مؤتمر على نطاق دولى لتنفيذ قرار باندونج عن فلسطين لاقرار السلام مع اسرائيل وهو المؤتمر الذى نوهت به فيما قبل • فلتبدأوا الاستعداد للاعتراف بحقوق الشعب

الاسرائيلى فى دولته التى لن يفيدنا الموقف السلبى منها الا أن تبقى حكومتها سلاحا فى يد الاستعمار ، فلتطلبوا تغيير لجان الهدنة الصورية بلجان حقيقية على غرار لجان الهدنة فى كوريا وفى الهند الصينية •

فلتفعلوا شيئا ما لوضع قرار باندونغ موضع التنفيذ •

لقد أصدرت اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام قرارا يتضمن الابتهاج باتفاق التسليح فمنعتم ـ ويا للعار ـ نشره فى الصحف • وما زلتم تنأون بجانبكم وتضعرون خدكم لحركة السلم التى هى أشرف حركة وطنية وانسانية ، وما زلتم تمنعون جمع التوقيعات على نداء فيينا لتحريم الاسلحة الذرية ، وما زال الذين أعلنوا ودافعوا عن سياسة الاستقلال الوطنى والسلم العالمى يملاون السجون والمعتقلات •

فلماذا ، لماذا أيها الرجل ؟ ••

• ان هذا كله يعبر عن الفزع من الاستعمار ومحاولة استرضائه وتليين جانبه ؟ •• ولكن يا لسذاجة هذا التفكير •• أتحسبون الاستعمار يسكت عن أية سياسة استقلالية أو سلبية تنتهجونها فى مقابل كبت حركة السلم وقمع أنصار السلام ؟

ان الاستعمار يرحب قطعا بهذه الرغبة ، فقط لانها تضعفكم وتجعلكم أكثر اعتمادا عليه وتمكن له من مقتلكم ، فقط لانها تدل على ضعف ثقتكم بجبروت القوى الشعبية وقدرتها على حماية سياسة الاستقلال والسلم ، فقط لانكم تحبسون هذه القوى حتى يتمكن من تدبير مكائده مطلق الايدى فاما أن يرغمكم ارغاما ـ ويا للخزى وقتها ـ على التنكر لهذه السياسة واما أن يطوح بكم وهو أقوى منكم بكثير •

وأخيرا فانى أرسل اليك بصورة من النداء الذى وجهته من أوربا الى شعب اسرائيل لينشر هناك فى الصحف ومجلات أنصار السلام • وأنا واثق أنه سيثير انطلاقا فى كفاح أنصار السلام الاسرائيليين ـ ولكن أتحسب هذا يكفى ؟

اللهم لقد بلغت اللهم فاشهد ••••

## بيـــان الى شعب اسرائيل *

فى الظروف الراهنة والاوضاع المستجدة - وأهمها تسابق مصر - تدبر على الحدود بين مصر واسرائيل أعمال استفزازية يصل بعضها الى حد انجازر ، وفى نفس الوقت تركز على الشعب الاسرائيلى كل أبواق الدعاية الممكنة لافهامه بضرورة شن حرب تسمى بالحرب « الوقـائية » قبـل أن تتمكن مصر والبلاد العربية من استكمال تسليحها للقضاء عليه والقائه فى البحـر ..

ان الموقف يبلغ حدا من الخطورة يهـدد باشعال حرب مدمرة قـد تتعدى هذه المرة ميادين القتال الى المدن والعـامر من الجهات لتحيلها خرابا وتفتك بالالوف والالوف من المدنيين ، وهذا ما دفعنى الى أن أتوجه بالكـلام الى شعب اسرائيل قبل كل شىء .

وأحب أن تعلموا أولا صفة هذا الذى يخاطبكم .

انى مواطن مصرى وطنى - كافحت فى صفوف الحركة الوطنية المصرية منذ كنت طفـلا ، واعتصرت من تجـارب الكفـاح الوطنى فى بلادى وفى غيرها مما جعلنى أؤمن بأن استقرار السلم العـالمى هو سـبيل الشـعوب والامم المضطهـدة الى التحـرر والتطور والرخاء ، وكان لى شرف الاشتراك فى تأسيس اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام وقيادتها منذ ١٩٥٠ ، وأصدرت مجلتى « الكاتب » فى خـدمة حـركة السـلام . وفى وقت كانت أجهــزة الدعاية الاستعمارية فى مصر وفى اسرائيل مركزة على اشاعة الكراهية وسوء الظن بين العرب واسرائيل ، كتبت أكثر من مرة أعلن للرأى العام فى بلادى أن شعب اسرائيل لا يقـل رغبـة فى السلام وكرهـا للحرب عن الشعب المصرى أو أى شعب آخر ، بل أن جملة الظروف التى تجمعت فى تاريخ الشعب الاسرائيلى تجعله أشـد تعلقـا بالسلام ومقتـا للحرب ، ودللت بالعدد الهائل من التوقيعـات على نداء السلام الذى جمع فى اسرائيل وبلغ نسبة تزيد على

---

* « كفاح شعوب الشرق الاوسط » المرجع السابق ص ١١ .

ثلث السكان ، وقلت أن اثارة العداء والكراهية انما هى أساليب استعمارية لتحويل الحركة الوطنية وصرفهـا عن مكـافحة عدوها اللدود الكـامن فى أحشاء البـلاد ٠

وعلى حد ما أعلم ، فقـد نشرت بعض صحف حزب « المبام » فقرات من مقـالاتى وقـد نشرت بعض صحفكم أخيرا ما نشره كتاب مجلس السـلم العـالمى عن اجتماع هلسنكى فى يونيو المـاضى ، وفيه من تقريرى النصوص الخاصة بمشكلة فلسطين ، ومنهـا رأيتم انى ناديت بسلام عادل بين بلادنا وبلادكم واننى دعوت الى مؤتمر شعوبى يضع أسس هذا السلام لتتبنـاها الشعوب وتفرضها فرضـا على الحكومات ٠

وأخيرا فأنا الآن لا أعيش فى بلادى وانما فى المنفى لانى خاصمت حكومة جمال عبد الناصر وكافحت ضـد سياستها الداخلية والخارجية « القديمة » باصرار ، واعتقلت فى عهـدها ثلاث مرات وأخيرا كنت - وما زلت - مطلوبا لمحاكمة أمام المحاكم العسكرية ٠ فاضطررت للاختفـاء وتابعت فى الاختفاء كفـاحى حتى تمكنت من الخروج من البـلاد ٠

أنى أحكى لكم هذا التاريخ وهو جد متواضع ، لتثقوا من أنى برىء من كل نزعة شوفينية وانى كما رفعت فى المـاضى شعارات السلام بايمان فانى أرفعهـا اليوم بنفس الايمان وبحرارة أعظم ، وانى لا أحاول الدفـاع عن الحكومة المصرية التى تطلب اليوم رأسى أو على الاقل حريتى ٠

انى أقـول للشعب الاسرائيلى بأعلى صوت وبيقين تام - أن الحكومة المصرية الحـاضرة لا تريد الحـرب مع اسرائيل ولا تستعد لهـا وليسـت لهـا أية مصلحة فيهـا ٠

انى أقـول لشعب اسرائيل ان صفقة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ليست ، ولا يمكن أن تكون ، موجهة ضد اسرائيل ٠

ان من الاسباب العميقـة للانقـلاب العسكرى الذى قام البكبـاشى جمال عبـد الناصر ورفاقه هو الحرب « القـذرة » التى دبرها الملك الخـائن وعصابته مع الاستعمار فى ١٩٤٨ ودفع فيها الجيش أفدح ثمن ٠

ان تطورا هاما فى سياسة البلاد العربية تجاه اسرائيل قد برز الى الوجود بعـد مؤتمر باندونغ الذى دعا الى حـل مشـكلة فلسـطين بالطـرق السلمية ٠

انى أنادى شعب اسرائيل ألا يصغى الى الدعايات الاستعمارية المسمومة التى تنادى بشن الحرب الوقائية ٠

فلنرجع قليلا الى الوراء ٠

كانت الحركة الوطنية المصرية للتحرر من الاحتلال البريطانى تحتدم وتتطور بسرعة بعد الحرب العالمية الثانية ٠ وكان الشعب المصرى مصرا على الغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء الجيوش البريطانية بلا قيد ولا شرط ٠ وحاول الانكليز أن يفرضوا على البلاد عن طريق حكومات الاقلية معاهدة جديدة قبل الجلاء ولكن كفاح الشعب أحبط محاولاتهم كلها فدبروا بالاشتراك مع عملائهم ووكلائهم ضمن ما دبروا حرب فلسطين لتنشغل بها شعوب هذه البلاد ، والشعب المصرى على الخصوص ، عن حركاتها الوطنية التى تطالب بالتحرر الكامل من سيطرة الاستعمار ٠

ألم يكن عجيبا أن يخرج جيش من بلاده الى خارج حدوده ليحارب من لم يمسه بسوء تاركا وراءه جيوشا أجنبية تحتل صميم بلاده وتحمى مصالح الاستغلاليين الاجانب ؟ ٠٠

لقد كانت المؤامرة بارعة دبرت بكل اتقان ٠

وهنا يقتضينى التاريخ أن أذكر فضلا لاصحابه ٠ فان الديمقراطيين المصريين الذين برزوا بعد الحرب العالمية الى الوجود على رأس الكفاح الوطنى ، نادوا بلا خوف ولا تردد بحق دولة اسرائيل الديمقراطية المستقلة فى الوجود الى جانب دولة فلسطين العربية الديمقراطية المستقلة ، كما نادوا بأن تلك حرب قذرة مقصود بها تحويل الحركة الوطنية عن طريقها واعلان الاحكام العرفية لقمعها - ويومها بطش الملك الخائن وبوليسه السياسى ، ومن ورائه الجاسوسية الاجنبية بهؤلاء الديمقراطيين وزجوا بالالوف الوطنيين فى السجون والمعتقلات ٠ وبعد قليل لحقهم الوف آخرون من الاخوان المسلمين أنفسهم الذين انخدعوا بدعاية الحرب وألقوا بكتائبهم فى ميدانها ٠

هذا هو ما يفهمه الشعب المصرى اليوم من حرب فلسطين وهو نفسه ما فهمه الضباط الذين قاموا بالانقلاب العسكرى وعزلوا الملك وأنهوا حكم أسرة محمد على وأعلنوا الجمهورية ٠

ولا أريد أن أتعقب الحوادث خطوة خطوة ، وانما أنتهى الى السياسة الخارجية الجديدة التى انتهجتها حكومة عبد الناصر فى خلال هذا العام ، وهى تتوج بلا شك بمقاومتها الجدية لحلف أنقرة ـ بغداد الذى هو شكل جديد من أشكال التحايل الاستعمارى لفرض حلف الشرق الاوسط العسكرى الذى يعلم الشعب الاسرائيلى أنه بجانب صفته التحضيرية للحرب العالمية فانه يؤكد ويعمق النفوذ الاستعمارى الاستغلالى فى هذه المنطقة ، ولقيت هذه المقاومة عطف وتشجيع العالم الديمقراطى والشعوب المحبة للسلم ٠

حتى كان مؤتمر باندونغ الظافر الذى مثل فيه أكثر من نصف الجنس البشرى ، وكان من بين قراراته القرار الخاص بمشكلة فلسطين التى أعلن المؤتمر وجوب حلها بالطرق السلمية على أساس قرارات الامم المتحدة ٠

والذى قدم مشروع هذا القرار الى المؤتمر هو جمال عبد الناصر باسم الوفد المصرى وبعد موافقة الدول العربية ، الامر الذى يضاعف من أهمية القرار لانها أول مرة نسمع فيها بصفة رسمية تعبير الحكومات العربية عن ارادتها فى الوصول الى حل سلمى لهذه المشكلة ٠

هى خطوة جبارة الى الامام ، وهى تعبير صادق انبثق من ارادة الشعوب المشتركة فى المؤتمر وبالذات من ارادة الشعوب العربية ، وكلها تستهدف السلام لجميع الامم والاستقلال لجميع الشعوب ٠

وبعد العودة من باندونغ أدلى جمال عبد الناصر بحديث الى مجلة « نيوزويك » الامريكية ونشرته جريدة « الجمهورية » شبه الحكومية فى ٢٣ مايو الماضى ٠ وقد نشرت بعض صحفكم نصوصا منه مما جاء فى تقريرى الى جمعية هلسنكى ، هذه النصوص الدالة على الاخلاص لقضية السلم وعلى الرغبة فى التعايش السلمى مع اسرائيل ٠

وعلى ضوء السياسة العامة للحكومة المصرية فى الشهور الاخيرة وهى سياسة استقلال وطنى وسلم عالمى لا شك فيها ، لا يمكن أن تفسر هذه هذه التصريحات ولا يمكن تأويل خطتها ازاء اسرائيل الا بأنها تعبر أصدق تعبير عن النفور من الحرب ٠

لقد أصبح واضحا كل الوضوح فى نظر العالم كله أن جيش اسرائيل يعمل اليوم للضغط على مصر والبلاد العربية لكى تخضع لمطالب الاستعمار وفى مقدمتها الحلف العسكرى للشرق الاوسط تحت النفوذ الاستعمارى ، ذلك الحلف الذى تقاومه مصر وسوريا والعربية السعودية مقاومة حازمة فى مصلحة شعوب الشرق الاوسط وشعوب العالم أجمع ٠

ان المذابح التى تقع على الحدود ليست مصادفة أو وليدة سوء الحظ ، بل هى أعمال مدبرة لتشديد الضغط الاجنبى الاستعمارى على مصر ، وهى تحدث فى الغالب بعد مرور « مندوب الهدنة » ( ! ) أو كلما فشلت أساليب الضغط الاخرى ٠

لذلك كان تسليح مصر ضروريا لايقاف هذا الضغط أو على الاقل لاضعاف أثره واقامة توازن يحمل شرط السلام فى هذه المنطقة ويحمل المغامرين على التفكير طويلا قبل الشروع فى مغامرة ٠

ولكن الاستعماريين والاستفزازيين ودعاة الحرب فى اسرائيل يشنون اليوم حملة دعاية هائلة لايهام الشعب الاسرائيلى بأن هذه الاسلحة موجهة ضد اسرائيل ، فلابد اذن من اشعال حرب وقائية (!) ٠

نفس الدعوة المترجمة التى طالما رددتها أبواق كثيرة لاطلاق الحرب العالمية الثالثة ٠

ان شعب اسرائيل يعلم أن هناك مشكلة فعلا ، وان هذه المشكلة ينبغى أن تحل ٠ ولكنها لن تحل أبدا عن طريق الحرب ، وبالعكس فان الحرب سوف تزيد الاوضاع سوءا ، وستبعد امكانيات الحل السلمى لاماد بعيدة ، وستجر وراءها ما لا يمكن تصويره من الخراب والدمار والدموع والاحزان ، وستهدد السلام العالمى نفسه بأخطار جدية ٠

لقد كان محتما أن تخسر مصر والبلاد العربية الحرب الماضية لان الشعوب سيقت سوقا اليها معصوبة الاعين دون أن تكون لها بواعث وطنية شريفة تحض عليها ٠ أما هذه المرة فان أى حرب جائرة تعلن ضدها فسوف تقابل بانتفاض أربعين مليونا يدافعون عن استقلال بلادهم يحوطهم عطف مئات الملايين من العالم التى تعرف مقدما ، منذ اليوم ، أى أصابع استعمارية قذرة تدبر هذه الحرب ٠

اننا لنريد السلام ، وانكم لتريدونه ياشعب اسرائيل ، فارفعوا فى وجه دعاة الحرب شعارات السلام ، وارفعوا عاليا كما نرفع شعار مؤتمر باندونغ الذى تتبناه شعوب العالم لا شعوب آسيا وافريقيا فحسب ولنكافح معا من أجل وضعه موضع التنفيذ ، وأول خطوات التنفيذ فيما أرى هو المناداة بمؤتمر دولى يجمع الدول العربية ودول اسرائيل ودولا أخرى من الشرق والغرب لايجاد تسوية سلمية للمشكلة تعترف للشعب الاسرائيلى بحقه فى دولته المستقلة الديمقراطية وللشعب العربى بالحق نفسه ليعيش هذان الشعبان مع باقى شعوب المنطقة فى أمن وصداقة ورخاء وسلام ٠

**يوسف حلمى**

**القضـــية الاسرائيلية**
**( كفاح الشعب ــ لسان حال اللجنة**
**المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد**
**عدد ديسمبر ١٩٥٥ ) ✻**

تغيرت سمات القضية الاسرائيلية تغيرا جـذريا منـذ أن انشئت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ٠ فلم تعد المكونـات الاساسية لهذه القضية هي ضرورة البحث عن مأوى لآلاف اليهود المضطهدين فى « الجيتو » فى عـدد من الـدول ، أو لهؤلاء الذين نجوا من مذابح النـازية البربرية أو حتى تطـلع الجماعات الصهيونية بدافع من الشعور الدينى أو القومى الى العودة الى أرض الميعاد ٠ لم تعد المشكلة مشكلة دولة أو تجمع قومى يبحث لنفسه عن مكان تحت الشمس باسم الدين ، أو بالدقة تحت ستار من الدين ٠

لم يعد الامر كذلك ، ذلك ان كل هذه العوامل قد اختفت الآن ، لتحل محلها المحاولات الواضحة التى تقوم بها الامبريالية الاميركية ــ تحت ستار من هذه الادعاءات التى كانت موجودة فى المـاضى ــ لتجعل من اسرائيل رأس حربة لسياستها العدوانية تجاه الشرق الاوسط ، وهى سياسة موجهة ضد

---

✻ أعيد نشر هذا المقال فى النشرة التى كانت تصدر فى باريس باسم
Nouvelles d'Egypte — Bullttin d'Information Publié par lt Parti Communiste Egyptien Unifié — Juin 1956.

وهى نشرة مطبوعة بالرونيو وكانت تصدر عن « مجموعة روما » التى كانت حتى ذلك الحين تعمل ــ الى حد كبير ــ تحت لواء الحزب الشيوعى المصرى **الموحـد** ٠

والذى يعنينا هنا هو أن هذه الوثيقة كانت عند صدورها فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٥٥ تعبر عن الحزب الشيوعى المصرى الموحد الذى تأسس من اتحاد « حدتو » مع عدد من المنظمات الصغيرة والذى ظلت « حدتو » تلعب فيه دورا أساسيا ٠ واضعين فى الاعتبار أن ترجمتها من العربية الى الفرنسـية ثم اعادة ترجمتها مرة ثانية الى العربية تتيح الفرصة لبعض الاختلاف عن النص الاصلى ، لكن ذلك لا يفقـد الوثيقة قيمتها التاريخية ٠

مصر وسوريا ولبنان والاردن والسعودية ، وتستهدف تحويل اسرائيل الى مخلب قط تستعمله لفرض نفوذها وسيطرتها على اقتصاديات وسياسة الدول العربيـــة •

ومن الواضح الآن تماما ان الخيوط التى تحرك تلك الدمية الخشبية « اسرائيل » تمتد لتصل الى سوق الاوراق المـالية الاميركية فى « وول ستريت » ، وهى تحرك هذه الدمية لتهدد بها مصر وسوريا والاردن •

**اعتماد اسرائيل على المساعدات الاقتصادية الاميركية :**

يمكن القول بأنه بدون المساعدات الاميركية لكانت اسرائيل قد أعلنت منذ أمد طويل افلاسها :

( أ ) فالواردات الاسرائيلية تزيد عن خمسة أضعاف الصـادرات ، والمساعدات الاميركية هى التى تغطى هذا العجز ، كذلك فان « الهبـات والتبرعات ، وغالبيتها قادم من أميركا تشكل ثلاثة أرباع ميزانية اسرائيل • وقد صرح وزير التجارة الاميركى بأن الولايات المتحدة قد منحت اسرائيل حـوالى مليار دولار فى الفتـرة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ فى صــورة قروض أو تبرعات ، وفى اعتقادنا أن اسرائيل قد تلقت من أميركا مليارا آخـر منـذ ١٩٥٢ حتى الآن •

(ب) تستورد اسرائيل ثلثى احتياجاتها من المنتجـات الغـذائية من أميركا ، ويزداد احتياج اسرائيل الى هذه المنتجات بصورة مستمرة ، اذ بينما نجد أن عدد سكانها قد زاد أكثر من الضعفين فان الانتاج الزراعى لم يـزد بنفس القـدر •

وقد علقت صـحيفة فرنسية قائلة أنـه طالمـا أن « معـاداة أميركا » ليست واردة فى قاموس السـياسة الاسرائيلية فان وزيـر ماليــة اسرائيل لا يقيم فى القدس ولا فى تل أبيب وانما فى نيويورك •

**ما هو هدف هذه المساعدات الاميركية ؟**

كما تقول مجلة « روز اليوسف » فى مقال افتتاحى لها « يأمل الرأسماليون الامريكيون فى تحـويل اسرائيل الى قاعدة أساسية للصناعات الثقيلة والخفيفة فى الشرق الاوسط ، وبحيث تصبح أهم عميل لهم فى مجال التجارة والصناعة والمنتجات الزراعية وهـذا هو سر تدفق رؤوس الأمـوال الامـيركية على اسرائيل •

## لكن لماذا اختارت أميركا اسرائيل للقيام بهذا الدور ؟

ان الدعم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الذى يقدم لاسرائيل انما يستهدف أن يجعل منها الدولة الوحيدة القادرة على القيام بدور « رأس الحربة » لصالح الامبريالية الاميركية فى الشرق الاوسط ٠

( أ ) فنحن نجد أن رؤوس الاموال المستثمرة فى اسرائيل هى فى غالبيتها العظمى أموال أميركية يديرها كبار الرأسماليين من اليهود الاميركيين ، الامر الذى يمكن أميركا من الاشراف اشرافا تاما على هذه الصناعات منذ نشأتها ، خاصة وأن إسرائيل فى حاجة ملحة دائما الى رؤوس أموال جديدة واسرائيل وحدها التى تهيىء لرؤوس الاموال الاميركية مثل هذا الوضع ، ذلك أن أغلب رؤوس الاموال المستثمرة فى الدول العربية ترتبط بالامبريالية البريطانية ، هذا بالاضافة الى أن جزءا منها ، استثمارات وطنية ، وبذلك فهى لا تخضع - ولو ظاهريا - للاشراف الامبريالى ٠

(ب) اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الاوسط التى تعتمد اعتمادا تاما على المساعدات الاقتصادية الاميركية ، بينما الدول العربية لديها من الثروات القومية ، والتقاليد الوطنية فى مناهضة الامبريالية ، ما قد يقف بها موقف « استغناء » عن المساعدات الاميركية المشروطة ، خصوصا مع زيادة فرص التبادل التجارى مع دول الكتلة الشرقية ومن ثم فان الامبريالية لا يمكنها أن تعتبر أن البلدان العربية قواعد مضمونة وثابتة لمساندة سياستها العدوانية ٠

(ج) أيدت الولايات المتحدة قبل انشاء دولة اسرائيل منظمتى «أرجون» و « شترن » الارهابيتين فى حملاتهما ضد بريطانيا وضد العرب وقامت بتزويد هاتين المنظمتين بالسلاح والذخيرة والاموال ، ومن هنا ينبع الالتزام هاتين المنظمتين تجاه الولايات المتحدة ، وبعد قيام الدولة الإسرائيلية شكلت هذه المنظمات أحزابا سياسية ومنها حزب « حيروت » بزعامة مناحم بيجن وهو الحزب الثانى فى اسرائيل ، وقد نجح هذا الحزب فى ممارسة نفوذ كبير جدا فى صفوف الجيش الاسرائيلى ، وأصبح هو والجيش أداة طيعة فى يد الامبريالية الاميركية ٠

( د ) لكن أغلب الاحزاب الاسرائيلية تخضع النفوذ الاميركى ، وذلك بوقوعها تحت ضغط مزدوج فهناك من جانب حزب « حيروت » وهناك من جانب آخر الاحتياجات الاقتصادية الملحة ٠ بل أننا نرى أن الاحزاب

التى خضعت فيما مضى للنفوذ البريطانى ، لم تنج - هى أيضا - من هذا النفوذ الجديد ، الى درجة أن الحزب الاول فى اسرائيل ، وهو حزب الماباى الذى يرأسه « بن غوريون » ، والذى يمارس نفوذا كبيرا على الهستادروت ( والذى يضم فى صفوفه ٩٠٪ من الشعب الاسرائيلى ، ويمتلك أكبر الاحتكارات الصناعية الاسرائيلية - الاميركية مثل « سوليل بونيه » ) يخضع هو أيضا للنفوذ الاميركى ..

وتوضح هذه العوامل مجتمعة مدى ومستقبل السيطرة الاميركية الكاملة على اسرائيل وعلى جيشها واقتصادها وأحزابها السياسية .

**لكن .. ما هو الطريق الذى تسوق اليه الامبريالية الاميركية اسرائيل ؟**

أ ) أن السياسة الاميركية تتلخص اليوم فى دفع عملائها الى خوض مغامرات سياسية ، ومن ثم فان هؤلاء العملاء - فى اسرائيل - لا يجدون سبيلا كى ينفذوا تعليمات أميركا سوى اثارة النزعات الدينية والقومية .

ويصرح العميل الاول للامبريالية الاميركية قائلا « لقد كانت اسرائيل تكره الحرب ، ولكنه لا يمكن لاسرائيل أن تحيا أو أن تزدهر بغير الحرب ، ان هدفنا هو غزو جبال لبنان التى تنبع منها أنهارنا ، والسيطرة على شبه جزيرة سيناء وعلى الاردن » . ويصرح موشى ديان رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلى بدوره قائلا « أن الاعداء يحيطون بنا ، وهم على امتداد ٤٠٠ ميل هى كل حدودنا وبامكاننا اذا ما نظرنا من مبنى البرلمان الاسرائيلى فى القدس أن نرى على بعد مئات الامتار طلائع الجيش الاردنى أما طرق ، وخطوط السكة الحديد الاسرائيلية فهى بدورها ليست بمنأى عن الهجمات الغربية » .

وللاسف فان عملاء الامبريالية ينجحون بفضل هذه التصريحات الديماغوجية فى تضليل الشعب الاسرائيلى .

ب ) تدفع الولايات المتحدة اسرائيل الى رفض أى حل سلمى يحمى ويحافظ على مصالح الشعوب العربية والشعب الاسرائيلى ، وجدير بالذكر أن التسوية الوحيدة التى يمكن أن تقبلها الولايات المتحدة هى تلك التسوية التى تحمى مصالحها فى المنطقة ويفسر ذلك تصريح « بن غوريون » الذى قال فيه « اننا لا يمكن أن نفكر - مجرد تفكير - فى عودة لاجىء واحد فان فى ذلك نهاية دولتنا ، ولا يمكننا فى نفس الوقت الموافقة على توطين

اللاجئين العرب فى منطقة النقب » • ومن الواضح أنه ليس من مصلحة الشعب الاسرائيلى أن يستمر أكثر من مليون لاجئ عربى مقيمين بالقرب من حدوده ، بينما تتزايد فى صفوفهم الكراهية والحقد ضد الشعب الاسرائيلى لانه يرفض أية تسوية سليمة تضع فى اعتبارها مصالح كل دول الشرق الأوسط •

ج) تشجع السياسة الامريكية الهجرة اليهودية الى اسرائيل وذلك بالرغم من الازمة الاقتصادية الحادة فى اسرائيل ، ففى الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ وصل عدد المهاجرين الى ٦٠٠ ألف ، ثم تضاعف الى ثلاثة أمثاله فى ١٩٥٥ • وتدفع السياسة الامريكية مئات الالاف من يهود اليمن والمغرب الى الهجرة لاسرائيل وهى تحاول فى نفس الوقت جذب يهود دول شرق أوربا الى هذا التيار ، وهو أمر يتناقض فى واقع الامر مع المصالح الحقيقية لدولة اسرائيل ، غير أن الامبريالية الامريكية تزيد بهذه الهجرة من تبعية اسرائيل الاقتصادية لامريكا وتزيد من عدد الجيش الاسرائيلى الذى تسيطر عليه سيطرة تامة •

د ) تهدف السياسة الامريكية الى تحويل اسرائيل الى ثكنة عسكرية ضخمة ، وتهدف الى اقناع اليهود بأن ثمة خطرا يهدد كيانهم ، ومن ثم يتعين على كل اسرائيلى ( من سن ١٤ الى سن ٥٠ عاما بالنسبة للرجال ومن سن ١٤ الى سن ٣٥ عاما بالنسبة للنساء ) أن يخضع لتدريب عسكرى مدته ٣٧ يوما كل عام ، كما يخضع الجميع رجالا ونساء للتجنيد الاجبارى متى وصلوا الى سن الثامنة عشر وذلك لمدة عامين •

ولا يمكن لأحد أن يدعى أن هذه الهستيريا العسكرية ، والالحاح المستمر على خلق شعور بعدم الامان يتمشيان مع مصالح الشعب الاسرائيلى فان هذه الحالة ، قد نشأت وهى تستمر مستترة بستار من الدين لتخدم فقط مصالح الامبريالية لامريكية ولتمكنها من استمرار استغلالها للشعب الاسرائيلى ذاته •

هذه هى السمات الاساسية لما يسمى « بالصهيونية » وهى ليست مجرد شعورا عنصرى فحسب ، بل هى أيضا وبصفة أساسية اختراع صنعه الامبرياليون البريطانيون ، ثم ورثه عنهم الامبرياليون الامريكيون وحولوه الى أداة تخدم سياستهم •

**موقفنـــا :**

نحن نعتقد بأن كل ما تقوم به الاوساط الاسرائيلية الحاكمة من اعتداءات ومواقف عدوانية انما يتم بايحاء من الاميركيين الذين يمدون اسرائيل بالسلاح والمعدات والمؤونة ورؤوس الاموال ٠

ومن الواضح أنه اذا ما نجحت إسرائيل فى التخلص من نفوذ الامبريالية الاميركية وحلفائها وآذا نجحت الدول العربية فى اقامة حكومات تمثل شعوبها فانه سيصبح من السهل التوصل الى حل سلمى يضع فى اعتباره مصالح شعوب هذه المنطقة ٠ وسيصبح من السهل القضاء على العنصرية التى تغذيها الامبريالية وبدء عصر جديد من التعاون السلمى بين العرب واسرائيل ٠

ومن الجلى أيضا أن موقفنا من الاعمال العدوانية الاسرائيلية لا يمكن الا أن يصبح نداء للنضال ضد الامبريالية الاميركية أساسا والتى تسير السياسة الاسرائيلية فى واقع الامر ٠

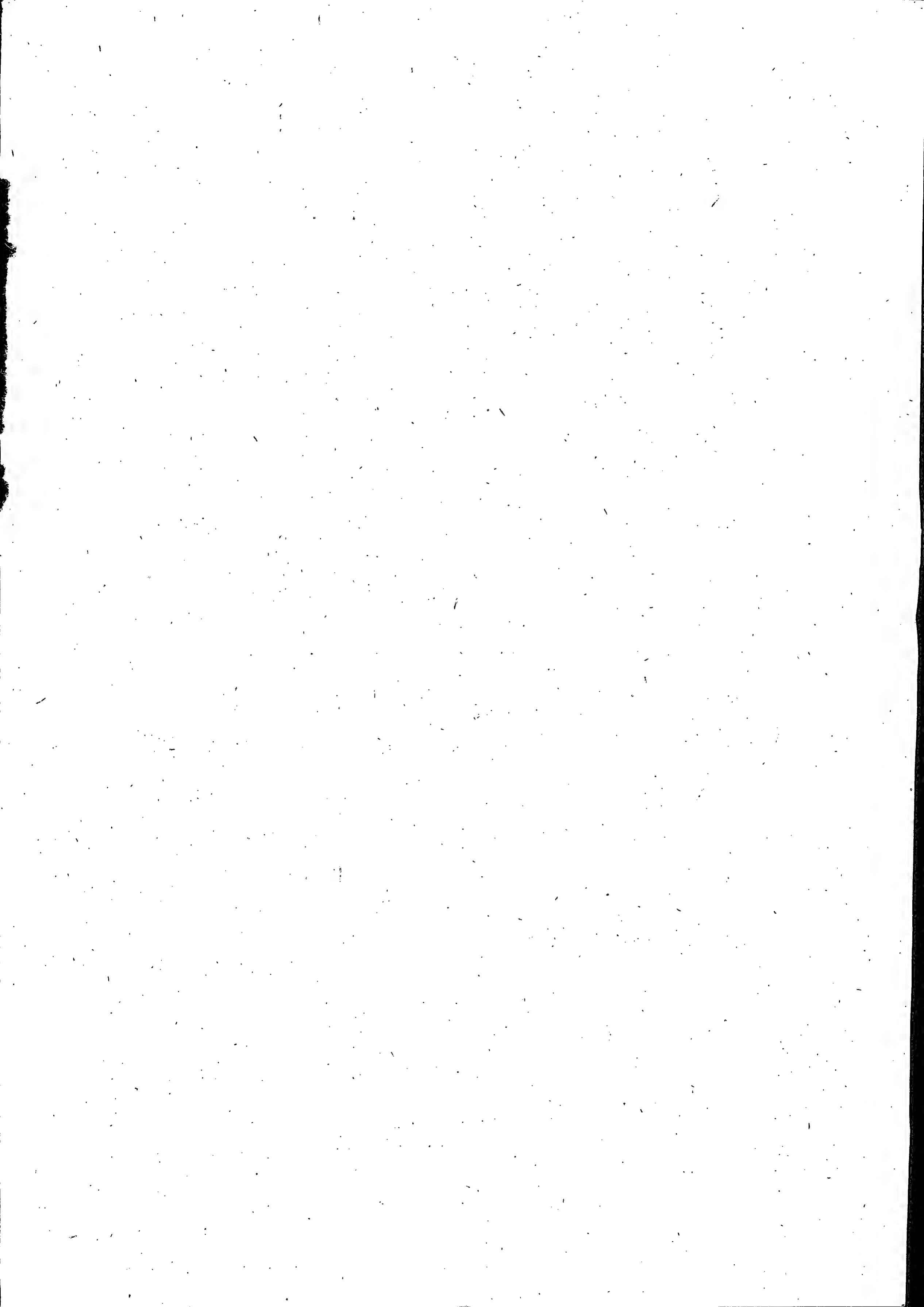
ومن الممكن وضع حد لحالة التوتر القائمة بين اسرائيل والدول العربية على أساس من النقاط التالية :

أ ) تطبيق قرار الامم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ والذى لا يرضى الأميركيين اليوم لانه لا يحقق لهم أهدافهم الحالية فى الشرق الاوسط ٠

٢ ) عودة اللاجئين العرب الذين اضطروا الى مغادرة فلسطين ابان الحرب مع تعويضهم عن الخسائر التى لحقت بهم أو عن الارض التى أنتزعت منهم ٠

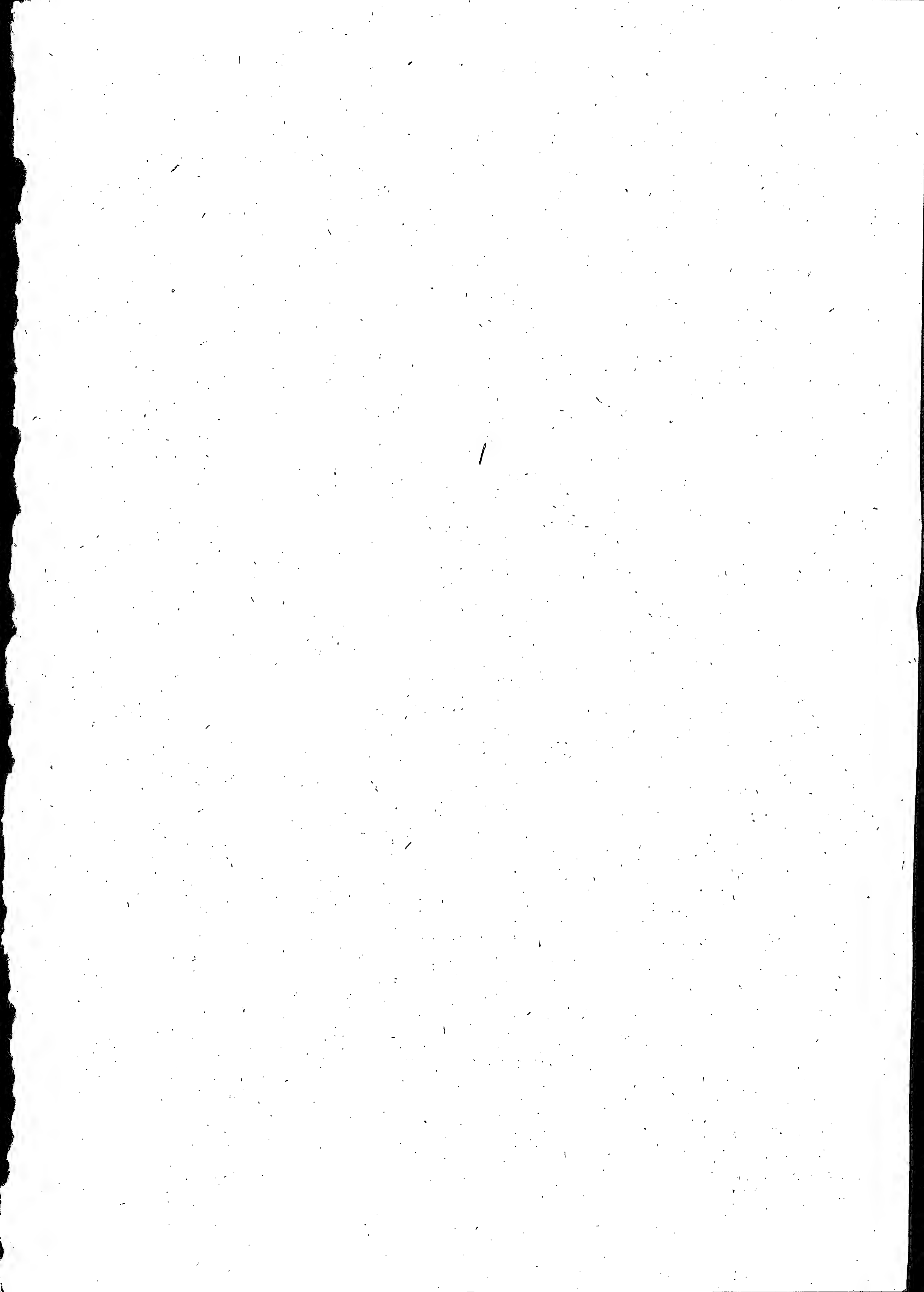
٣ ) تشكيل حكومة ديمقراطية عربية فلسطينية فى فلسطين ينتخبها الشعب الفلسطينى فى انتخابات حرة ٠

عاشت فلسطين العربية ، مستقلة وديمقراطية ٠



حـــاضر

محـــاضر نقـــاش



## محضر مناقشة مع
## هنرى كورييل*
## ( أجريت المناقشة فى باريس فى ١٩٧٣/٤/٢ )

س : ما هى حقيقة وتطورات موقفكم تجاه القضية الفلسطينية ؟

ج : كان موقفنا منذ البداية واضحا جدا فمنذ أيام ح٠م ثم بعدها فى « حدتو » كنا ندين الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من معسكر الاعداء ٠ وقد ركزنا جهودا كبيرة فى عزل الصهيونيين عن المجتمع اليهودى فى مصر ، وقاومنا فى نفس الوقت الدعاوى العنصرية التى حاولت صرف الكفاح ، من كفاح سياسى ضد الاستعمار وضد الصهيونية كحركة استعمارية ، الى كفاح عنصرى ضد اليهود ، وكنا نعتقد أن العنصرية التى كان الاخوان المسلمون دعامتها كانت خير معين للصهيونية لانها كانت تدفع بالانسان اليهودى العادى الذى عاش طوال حياته فى مصر الى أحضان الصهيونية ومن هنا فاننا كما قاومنا « الصهيونية » كحركة رجعية ، قاومنا ايضا دعاوى الاخوان المسلمين العنصرية باعتبارها خطرا يؤدى الى انتشار الفكر الصهيونى وسط اليهود المصريين ٠

وكنا قد أسسنا « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وتعرضت هذه الرابطة الى هجوم مزدوج من الصهيونية ومن الحكومة المصرية التى كانت تتستر على الصهيونية ٠

وفى ٢٧ نوفمبر جاء قرار التقسيم ، وأذكر أن تطورات الاحداث كانت سريعة ومتلاحقة ولست أعتقد أننا فهمنا قرار التقسيم أو مبرراته

---

* هنرى كورييل أحد مؤسسى تنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م ) وظل بعد الوحدة مع تنظيم « ايسكرا » ( شرارة ) الشخصية الاولى – لفترة من الوقت – فى تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) ٠ وهذه الصفحات جزء من المناقشة الشاملة الثالثة التى أجراها المؤلف معه حول تاريخ وتطور الحركة الشيوعية فى مصر ٠ ونكتفى هنا بايراد ما جرى من نقاش حول القضية الفلسطينية ٠

ـ فى بداية الأمر ـ فهما كاملا ، لكن مجموع الحركة الثورية العالمية كان يسير فى اتجاه تأييد هذا القرار ، وترددنا فى البداية ، ثم قررنا أن نؤيد «التقسيم» •• وبدأت ضدنا حملة ارهاب عنيفة ، فقد ألقيت قنبلة على بيتى وقنبلة أخرى على مقر مجلة « الجماهير » وبدأ التحضير للحرب على قدم وساق •

**س :** وماذا بعد أن قامت الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وتحمس الجماهير الشعبية لها ، ألم تشعروا بعزلة « التنظيم » عن الجماهير بسبب هذا الموقف ؟

**ج :** لمدة قصيرة انجرفت الجماهير الشعبية فى تيار الحرب • والحقيقة أننا وقفنا وحدنا لفترة ، فمثلا فى كثير من القضايا الوطنية المتعلقة بالنضال ضد الاحتلال الانجليزى لم تكن هناك فروق واضحة بيننا وبين حزب الوفد • أما فى قضية فلسطين فقد كان الفرق واضحا وبارزا بيننا وبين كل القوى السياسية فى البلاد •

ومنذ الاسابيع السابقة للحرب بدأنا نشعر بأصبع الاستعمار الانجليزى ، فانجلترا انسحبت بشكل غير منظم أو منتظم من فلسطين ، ودون تنفيذ مسؤولياتها كدولة انتداب بتسليم المسؤوليات لسلطة ما ، ولم تعترف بقرار التقسيم •

ومن هنا بدأنا نقول أن ثمة معسكرين فى البلدان العربية معسكر الشعوب العربية ، وفى مجابهته معسكر فاروق ـ نورى السعيد ـ الملك عبدالله وسادتهم من الانجليز ، والمعسكر الاخير كان متحمسا جدا للحرب والذى جعلنا نتشبث بموقفنا هو أن الاستعمار الانجليزى وعملاؤه كانوا أكثر القوى حماسة للحرب ، أليس فى ذلك وحده ما يكفى لان يجعلنا نرتاب فى أهداف هذه الحرب ؟

وجاءت حرب ١٥ مايو فاذا بنتيجتها الاولى هى المعتقلات والارهاب لكل القوى الوطنية ، وأقول ليس للشيوعيين الذين أيدوا قرار التقسيم وحدهم وانما لكل وطنى أو عدو للاستعمار وهنا بدأت تتضح أهداف الرجعية العربية من الحرب •

وأنت تسأل ألم يؤد هذا الموقف الى عزلتنا ؟ وأقول لا •• فى البداية كنا وحدنا ثم عندما بدأت القوى السياسية الوطنية والمناهضة للاستعمار

نلمح آثار هذه الحرب وكيف انها استخدمت أساسا كمبرر لارهاب كل القوى الوطنية ولوضع قادتها فى المعتقلات والسجون بدأ الكثيرون يؤمنون بصحة شعاراتنا ..

وأود أن أسألك أنا سؤالا ، هل تعرف لماذا كانت « حدتو » هى التنظيم الوحيد المؤهل لان يقيم علاقة وثيقة ومنذ البداية مع تنظيم الضباط الاحرار ؟ الجواب فى رأيى هو أن « حدتو » كانت التنظيم الوحيد الذى أثبتت الايام صحة موقفه من قضية فلسطين . وقد كان الضباط هم أول من شعر بذلك ، لانهم كانوا أكثر من تأثر بحرب فلسطين ..

ورويدا رويدا بدأت القوى السياسية المختلفة تقتنع اننا كنا الوحيدين الذين قلنا رأيا صحيحا ابان حرب فلسطين .

صحيح اننا عزلنا لفترة من الوقت ، ولكن لم يمض سوى وقت قصير جدا حتى أصبحنا قوة سياسية فعالة ، ففى ١٩٥٠ كانت « حدتو » فى أوج قوتها وجماهيريتها ، كنا نحرك جموعا هائلة تحت شعاراتنا ، ولم يكن هذا من قبيل المصادفة .

ومن ثم فقد بدأت محاولات مرسومة لحرف الانظار عن الفهم الحقيقى لحرب فلسطين وبواعثها ونتائجها ومن ثم فقد أثيرت قضية « الاسلحة الفاسدة » ..

أعود فأكرر اننا كسبنا جماهيريا وسياسيا وتاريخيا من قبولنا لقرار التقسيم لاننا كنا القوة السياسية الوحيدة التى قالت الحقيقة وجابهت الجميع برأى صحيح .

وأسألك الآن هل تتخيل خريطة العالم الاوسط لو أن العرب قبلوا — فى ذلك الحين — قرار التقسيم ؟ لا شك أن الموقف كان سيتغير كثيرا ، ولا شك فى ان اسرائيل كانت ستصبح أضعف كثيرا وأقل تأثيرا .

واذا عدنا الى موقف الاعداء ، نرى أن الصهيونيين قبلوا قرار التقسيم على مضض وعندما رفضه العرب ابتهجوا ووجدوا الفرصة السانحة للتخلص من هذا القرار .

ولكن يجب أن تعلم اننا عندما قبلنا قرار التقسيم قبلناه على أساس انه الحل الوحيد المتاح وليس على أساس أنه أفضل الحلول . وأؤكد أن عدم قبول قرار التقسيم قد جر على العرب كثيرا من الكوارث . واننا كنا الوحيدين الذين تلمسنا الطريق للموقف الصحيح وبهذا فان من حقنا أن نشعر بالفخر بموقفنا هذا .

**محضـــــر نقـــــاش مـــع**
**شحاتة هــارون سيلفيرة**
**( أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٤/٢/٢٥ )**

**س :** كشاب يهودى فى الاربعينات كيف تعاملت مع الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر • وكيف تطورت مواقفك حتى أصبحت شيوعيا ؟ •

**ج :** أنا من أسرة متدينة وقد قام جدى ببناء معبد عرف باسمه وهو معبد زكى كرايم * بالسكاكينى لكننى دخلت مدرسة الفرير وهكذا عشت فى جو مسيحى كاثوليكى وأحس أبى بذلك فأحضر لى حاخام ليدرســنى الديانة اليهودية فى المنزل وظللت طوال الفترة من سن التاسعة حتى الثالثة عشرة أحفظ التوراة على يد هذا الحاخام • لكن أبى كان مصمما على ضرورة أن أتعلم اللغة العربية فأحضر لى شيخا معمما ليدرسنى فى المنزل قواعد اللغة • ولك أن تتصور حالة طفل يدرس فى المدرسة على يد مسيحيين كاثوليك وفى المنزل على يد حاخام وشيخ مسلم • لكن أول اتصال لى بالشريعة الاسلامية كان خلال دراستى فى كلية الحقوق • ويمكننى أن أقول أن الاديان الثلاثة قد أثرت بشكل أو بآخر فى تكوينى الفكرى •

وكان أول اشتغال لى بالسياسة عندما اشــتركت فى تنظيم اضراب فى مدرسة الفرير عام ١٩٣٥ وكان هذا حدثا بالفعل اذ لم يحدث أن أضربت مثل هذه المدارس •

وفى كلية الحقوق بدأت احتك بالتيارات السياسية وأعجبت لفتـــرة بحزب مصر الفتاة وكان زميلى فى دفعتى عبد الرحمن الشرقاوى على علاقة بهذا الحزب وطلبت منه برنامجهم للاطــلاع عليـــه • لكننى ظللت دوما أميل الى الوفـــد •

---

* يسمى معبد باعاد اسحق • وتقول الوثائق انه بنى عام ١٩٢٥ وأن مؤسسه هو زكى كرايم • ( راجع اليهود والحركة الصهيونية فى مصر • كتاب الهلال • المرجع السابق ص ٣٢ •

وكانت أول مرة أسمع فيها عن الشيوعية عندما قدمنا للتحقيق أمام مجلس تأديبى فى كلية الحقوق أنا ومحمد عوده وسأله الاستاذ المحقق هل أنت وفدى فأجاب : لا أنا شيوعى • وكان هذا فى عام ١٩٤٢ •

وبعدها تعرفت بضابط انجليزى اسمه « زاميت ـ هينز » حدثنى كثيرا عن الاشتراكية والشيوعية • لكننى ظللت بعيدا عن الوضوح فى هذه المسائل • وقد حاولت الانضمام الى نادى المكابى ولم أستطع الاستمرار فيه أكثر من شهرين ، وحضرت عدة اجتماعات « لعصبة مكافحة معاداة السامية » وذات مرة ـ ولست أذكر التاريخ ـ دعيت الى اجتماع لشباب من اليهود فى منزل بميدان سوارس ( ميدان محمد فريد حاليا ) وحضر الاجتماع شخص يدعى ستراسلسكى ※ وكانت الحجرة مظلمة والكلام خافت والجو تآمرى صرف ، وترك الاجتماع فى نفسى أثرا سيئا ولم أستمر معهم فقد أحسست أنهم جماعة متعصبة متطرفة •

وعندما تخرجت من كلية الحقوق بدأت فى الاشتغال بالمحاماة وتعرفت بأحد زملاء والدى فى العمل ( وكان يعمل موظفا بمحلات شيكوريل ) وهو دافيد ناحوم وحدثنى عن الشيوعية •• وعرفنى بهنرى كورييل وبدأت العمل فى صفوف ج•م•

ونظرا لاجادتى اللغة العربية ومصريتى الكاملة فقد عملت فى الاقسام المصرية وليس فى الاقسام الاجنبية وربما كان السبب أيضا أن معظم جيلنا من الشبان الاجانب واليهود كانوا يدرسون فى مدارس الليسية أما أنا فقد درست فى مدرسة الفرير ولهذا لم أكن على معرفة بهم •

---

※ هو البير ستراسلسكى • مولود بالقاهرة عام ١٩٠٢ • اشتغل بالصحافة • انضم الى « حزب التصحيحيين » وكان أحد قادته البارزين • سافر الى باريس لفترة ثم عاد الى مصر عام ١٩٢٩ ليؤسس فيها فرعا لحزب التصحيحيين حيث أصبح رئيسا له فى مصر • وقد أصدر الحزب مجلة أسبوعية بالقاهرة اسمها « الصوت اليهودى » وانضم الى الحركة الصهيونية العالمية وأرسل مندوبا الى مؤتمر زيورخ عام ١٩٣١ • وفى عام ١٩٣٣ كون ستراسلسكى فى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد فروعا لتنظيم جديد اسمه « المنظمة الصهيونية الجديدة » وهى منظمة تعارض اعتماد وايزمان على وعود بريطانيا وتطالب بالاعتماد على طاقات اليهود أنفسهم • وفى ٢٨ مايو ١٩٤٥ ومع تصاعد النشاط الصهيونى فى مصر صدر قرار بطرد ستراسلسكى من مصر • وخاصة بعد أن ثبتت علاقته بحادثة قتل اللورد موين •

**س** : ما هو تفسيرك لتواجـد تيـار يسارى وسط الطـائفة اليهودية فى مصر ٠٠ ؟

**ج** : يقول لينين وهو يتناول المشكلة الوطنية ٠٠ انه فى ظل الدول التى تتوافر فيها حيـاة ديمقراطية فان الاقلية اليهودية عادة ما تكون فى مقـدمة المدافعين عن الديمقراطية ، بينما فى ظل ظروف الكبت والدعاوى العنصرية فان هذه الاقلية تتمسك بالتعصب والعنصرية ٠

ولهذا فان الصهيونية كحركة ظهرت أساسا بعناصرها القيادية وقواعدها فى دول أوربا الشرقية وروسيا القيصرية وذلك بسبب الاضطهاد العنصرى ضدهم ٠

ومع سيادة مناخ ديمقراطى عام فى اطار الاقليات الاجنبية بمصر اعتقد ان هذه القاعدة قد وجدت تطبيقا صحيحا لها ٠

كذلك تلاحظ أن معظم الاقليات كانت تدرس فى مدارس أجنبية ومن ثم فقد أتيحت أمامها فرصة أكبر للتعرف على مجريات الامور فى أوربا وأن تكون فى تكوينها العام أكثر استنارة ٠

وأيضا فان أغلبهم درس فى مدارس الليسيه وكـانت فى اتجاهاتها متقدمة بالنسبة للمناخ السائد ٠ وهنـرى كوربيل وعدد من أبنـاء جيله درسـوا فى فرنسا وتواجدوا فيها فى فترة تكوين الجبهة الشعبية ٠

وهناك رد فعل الاضطهاد النازى لليهود الذى دفعهم الى تبنى قضايا الديمقراطية عموما ٠٠

وأخيرا هناك معارك ستالينجراد التى أوضحت أن نهاية هتلر ستأتى على يـد النظـام السوفياتى وكان لا بد لذلك أن يؤثر فى قضية اليهود ٠

**س** : ما تفسيرك لبروز كثير من القيادات اليهودية فى الحـــــركة الشيوعية المصرية ؟

**ج** : لا أقول قيادات ٠٠ وانما أقول بدايات ٠٠ فنظرا للاسباب التى ذكرتها فيما سبق تقدم عدد من الشباب اليهود نحو الفكرة الشيوعية ، لكن ذلك سرعان ما ذاب فى طوفان تقدم المصريين بأعداد كبيرة نحو هذه الفكرة ، ومن ثم فقد أصبح هؤلاء اليهود الاجانب أقلية ضئيلة جدا ، وبسرعة شديدة زاد عدد الشباب المصرى المتدفق حيوية ووطنية ٠

وأذكر أنه فى عام ١٩٤٦ حضر الى مصر الصحفى الفرنسى الشيوعى « روجيه فايان » والتقى بعدد كبير من الشباب المصرى الشيوعى وكنت أصحبه لاقوم بالترجمة له وقد أدهشه وأدهشنى أن معظمهم بدأوا حياتهم السياسية فى أحزاب وطنية متطرفة وانهم شبان دافقوا الحماس والوطنية وكانت الماركسية التى حملها لهم هؤلاء الاجانب هى الضوء الذى أنار أمامهم طريق الكفاح ٠ ويكفى هؤلاء الاجانب انهم قد استطاعوا وعلى الفور أن ينقلوا أفكارهم الجديدة الى أخلص الشباب المصرى وأكثره حماسا ووطنية ٠

**س** : ننتقل الى موضوع آخر ٠٠ ما هو رأيك فى طبيعة تكوين الحركة الصهيونية فى مصر ؟

**جـ** : لقد حاولت أن أدرس هذا الموضوع وتجمعت لدى بعض أوراق ووثائق الطائفة اليهودية فى مصر ٠٠ ويمكننى أن أقول ما يلى :

* انه دائما وأبدا كان هناك يهود بمصر ، أحيانا ينخفض عددهم جدا ليصل الى مجرد مائة شخص لكنهم كانوا موجودين دوما فى مصر ٠

* ان الحركة الصهيونية قد بدأت فى مصر أساسا مع تدفق الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية وروسيا القيصرية ٠ وعلى أثر هذه الهجرة الكبيرة وفى فترة الحرب العالمية الاولى تكونت فى مصر « فرقة راكبى البغال الصهيونيين » لمساعدة الحلفاء فى الحرب ٠ وكانت هذه الفرقة أحد ركائز النشاط الصهيونى وأحد أشكال تحالفه مع الانجليز وقد تركت أبعادا هامة على تاريخ العلاقة بين الصهيونية والاستعمار البريطانى ٠٠

وعموما كانت الصهيونية فى مصر غاية فى النشاط وكان يسندها أثرياء الطائفة اليهودية وكانوا أيضا يشكلون فئة لا بأس بها من الطبقة الثرية فى مصر ٠

وعموما كان النشاط الصهيونى يستند فى مصر الى مساعدة وحماية الرأسماليين اليهود وكانوا ذوى نفوذ كبير ٠

**س** : ما رأيك فى دور ليون كاسترو ٠٠ ؟

**جـ** : يجب لكى نفهم مواقف رجال مثل ليون كاسترو أن نفرق بين الحماس لفكرة الوطن القومى لليهود ( وفقا لوعد بلفور ) وبين فكرة قيام

دولة اسرائيل وأحيانا قد يبدو الاثنان شيئا واحدا ولكن هناك فروق دقيقة يجب التنبه لها .

فالوطن القومى يعنى أن انجلترا وقد لبست ثياب المنقذ لليهود من الاضطهاد العنصرى قد فتحت أمامهم أبواب الهجرة الى مكان آمن وهذا شىء يغرى اليهود أن يوافقوا عليه من منطلق انسانى ، ولكن أن يتحول هذا الموطن الى دولة اسرائيلية فهذا شىء آخر .

وأنا لا أعرف ليون كاسترو شخصيا ولم أدرس دوره ولكنى أتصور - وقد أكون مخطئا - انه من هذه الفئة التى أيدت هجرة اليهود الى موطن آمن بدافع انسانى .. ومن خلال هذا المنطلق انزلقوا رويدا رويدا ليصبحوا صهيونيين .

ويجب ن ندرك أن الصهيونية لها أسلوب خاص وذكى فى جذب اليهود اليها ، فهى لا تطلب منهم أن يكونوا صهاينة ، فقط تسعى كى تستدر عطفهم على اليهود المعذبين ، وتلعب الصهيونية على هذا الوتر وهو حساس عند كثير من اليهود وبعد ذلك تجذبهم رويدا رويدا الى حبائلها . ولعل هذا هو سر تأييد غالبية اليهود للحركة الصهيونية حتى بعد عدوانها السافر فى عام ١٩٦٧ .

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أنه مع تصاعد اضطهاد النازى لليهود وتكون الحركات اليهودية المناهضة للنازية والفاشية والمدافعة عن الديمقراطية أمكن للصهيونية أن توقع فى حبائلها الكثير من اليهود الذين بدأوا حياتهم السياسية كمجرد معادين للنازية .

**س** : ما هو فى تفسيرك سبب تغاضى الحكومات المصرية والطبقة البرجوازية عموما فى فترة ما قبل ١٩٤٨ - عن النشاط الصهيونى ؟

**ج** : هناك عديد من الاسباب أهمها أولا أن قضية فلسطين لم تكن بالنسبة للبرجوازية المصرية شيئا هاما ، وثانيا أن أجهزة الأمن المصرية كانت فى أيدى الانجليز . ويمكننى أن أقول أن الانجليز كانوا لا يقاومون النشاط الصهيونى فى مصر . بل انهم تحالفوا معه فى كثير من الاحيان وخاصة قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية . حيث قام فى هذه الفترة حلف غير معلن بين الصهيونية والاستعمار الانجليزى كانت مصر مسرحا هاما له .

وعلى سبيل المثال فان يوم ١١ نوفمبر وهو يوم الهدنة فى الحـــــرب العالمية الاولى كان يحتفل به فى مصر على نطاق واسع وكانت فرق الجيش البريطانى تقيم استعراضات فى شوارع القاهرة وتشترك معها فرق الكشافة التابعة لمختلف الجاليات الاجنبية فى مصر ومنها فرق كشافة المكابى وكذلك فرقة Trem Peldor ( اليمينيين الصهيونيين ) ٠

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أن القوى التقدمية المصرية والاحزاب المصرية الوطنية لم تتنبه لخطر الصهيونية ربما لعدم نمو الادراك العــربى لديها وربما لعدم ادراك مخاطرها الحقيقية ، ولم يتصد لمقاومة الصهيونية فى بداية الامر سوى الاخوان المسلمين الذين فعلوا ذلك من منطلقات عنصرية وشوفينية كان لها أثر واحد هو زيادة التفاف اليهود حول الحركة الصهيونية ٠٠ ولكن ابتداء من عام ١٩٤٥ بدأت القوى التقدمية المصرية تدرك مخــــاطر الصهيونية وبدأت فى التصدى لها وبشراسة ويجدر القول هنا أن البوليس المصرى والرجعية المصرية كانت تناصر الصهيونيين وتساعدهم ضد مناوئة القوى التقدمية المصرية لهم ٠

واذا أردت أمثلة فان لدى عشرات من الامثلة فهل تتصور مثلا انه فى معتقلات عام ١٩٤٨ كان اليهود الصهيونيين يعــاملون معــاملة أفضل من الشيوعيين ٠٠ وهل تتصور أنه بعد فتح المعتقلات فى عام ١٩٥٠ حرصت سلطات الامن على ترحيل اليهود والاجانب الشيوعيين خارج مصر ولم تفعل نفس الشيء مع العناصر الصهيونية ٠

واذا أردت معلومات أخرى فان لدى معلومات شبه مؤكدة تقول ان الحركة الصهيونية فى مصر قد عقدت صفقات مع كثير من الساسة المصريين ومنهم النقراشى باشا بهدف ضمان معاملة المعتقلين الصهيونيين معاملة جيدة وأحيانا بهدف غض النظر عن النشاط الصهيونى فى مصر ٠

**س** : يقول البعض أن موافقة حدتو على قرار التقسيم قد أضعفت جماهيريتها فما رأيك فى ذلك ؟

**ج** : لا أعتقد ٠ فقد وافقنا على قرار التقسيم كالحل الوحيد المتاح ٠٠ وليس على أساس انه أحسن الحلول ٠ كذلك فان شعاراتنا الاساسية كانت شعارات وطنية ٠٠ لنحارب الاستعمار ونطرده من مصر أولا ٠٠

وعلى أية حال لا أعتقد أن الموافقة على قرار التقسيم قد أســـاءت الى موقف حدتو كتنظيم سياسى جماهيرى ٠ وان كان البعض لا يزال يكيل لنا التهم بسبب هذا الموقف حتى الآن ٠

**محضر نقـاش مع**

**ألبير آريبيـه**

**الجلسة الأولى**

**( أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٤/٣/٢٩ )**

**س :** ما هى معلوماتك عن موقف الشيوعيين من الحركـة الصهيونية ونشاطها فى مصر ؟

**جـ :** كان هنـاك وقف مبدئى ٠٠ ضـد الصهيونية باعتبارها حركـة عنصرية ، وعندما نشط الشيوعيون فى صفوف الجالية اليهودية بمصر وكان تعدادها كبيرا فى الاربعينيات ( ما بين ٧٠ ألف و ١٠٠ ألف نسمة ) اصطدموا على الفور بالتشكيلات الصهيونية ٠

والحقيقـة أنه كان هنـاك أسباب عديدة لهذا الصدام فهناك التناقض المذهبى بين الشيوعيةكنظرة أممية وبين الصهيونية كحركة عنصرية ، وهنـاك التناقض السياسى بين الصهيونية كحليف للاستعمار ، والشـيوعية كحـركة توجه هجومها فى الاساس ـ فى بلد شبه مستعمر كمصر ـ ضد الاسـتعمار وعملائه ، وهنـاك أيضا التنـاقض فى النشـاط العمـالى فالصـهاينة كانوا يعملون وسط شباب الجـالية اليهودية لاقناعهم بالهجرة من مصر الى فلسطين فى حين كان الشيوعيون يدعون كل الجاليـات الاجنبية الى اتخـاذ موقف صديق من الشعب المصرى والنضـال الى جانبـه ضـد الاسـتعمار وعمـلاء الاستعمار ٠٠

وهكذا بدا التناقض حادا منذ البداية واستمر حادا حتى آخر لحظة ٠٠

**س :** هل يمكن القـول بأن المنظمات الشيوعية كانت تنهج نهجـا واحـدا فى هذا الصدد ؟

**جـ :** باختلافات ضئيلة فى التقديرات ، يمكن القـول بأن الجميع كانوا يناهضون الصهيونية لكن الحقيقـة هى أن منظمة ايسكرا ( شرارة ) كانت أكثر المنظمات نشاطا فى هذا الصدد ، لسبب بسـيط وهو أنهـا كانت أكثـر

المنظمات الشيوعية نشاطا داخل الاجانب والاقليات عموما باستثناء الاقلية النوبية • والسبب فى ذلك هو الظروف التاريخية لتأسيس « ايسكرا » التى بدأت أساسا كتجمع لعدد من المثقفين اليساريين اليهود ، والذين انتشروا فى الاساس فى بداية الامر وسط محيطهم وهو الجالية اليهودية ، وعندما قام التنظيم تكون فيه قسم مستقل للاجانب عمل أساسا وسط الجاليات الأجنبية •

ويمكننى القول بأن الهدف الاساسى لهذا النشاط كان تطبيق شعار « ايسكرا » المستهدف الى تحويل الجاليات الاجنبية من احتياطى للاستعمار الى قوى مساندة للحركة الوطنية •

ومن هنا كان نشاطهم وسط اليهود يتركز أساسا فى حثهم على الانخراط فى صفوف مقاومة الاستعمار والبقاء الى جانب الشعب المصرى فى معركته •

وهنا برز الاصطدام بينهم وبين الحركة الصهيونية •

**س :** متى بدأ هذا الاصطدام يتخذ أشكالا بارزة وحادة ؟

**ج :** يمكننى القول بأن هذه المعركة لم تتواجد فى المناخ السياسى المصرى بشكل عام قبل ١٩٤٥ • فقد كانت الصهيونية تمارس نشاطها علنا ، وفى ظل مباركة أو سكوت السلطات ، وكان زعماء الوكالة اليهودية يترددون على مصر بانتظام ، موسى شاريت وبن جوريون كانوا يزورو مصر كثيرا وبحرية تامة • ولم يكن ذلك فقط بسبب نفوذ سلطات الاحتلال ، ولا بسبب التحالف بين الوكالة اليهودية والانجليز فى المعركة ضد الهتلرية ، ولا بسبب انشاء الفيلق اليهودى التابع للجيش الثامن البريطانى ، وانما أيضا لان البرجوازية المصرية والطبقات الحاكمة المصرية عموما لم تكن تعتبر الحركة الصهيونية خطرا عليها ، ولم تكن مهتمة لا بفلسطين ولا بالفكرة العربية أصلا •

وفى هذه الاثناء لم ترتفع ضد الصهيونية سوى أصوات ضئيلة وغير محسوسة وكان بعضها يقوم على أساس عنصرى مما ترك أثرا سلبيا •

وهكذا فان الطبقات الحاكمة فى مصر قد تغاضت عن النشاط الصهيونى وسمحت له بالنشاط ، وكان هناك اتحاد صهيونى علنى فى

مصر ، يعلن بصراحة انتماءه للمنظمة الصهيونية العالمية ، وكان له مقر بشارع عماد الدين فوق محلات باتا لم يغلق الا عام ١٩٤٨ ، ويمكن القول أن نشاطه ظل محتدما حتى نهايات عام ١٩٤٧ ٠

ثم ان البرجوازية المصرية كان لها علاقات تجارية قوية مع اليهود فى فلسطين ومع اليهود الرأسماليين فى مصر ٠

وحتى بنك مصر كانت له صلة وثيقة جدا مع الرأسماليين اليهود فى مصر ، فبنك مصر كان مثلا يمتلك جزءا من أسهم محلات شملا وبقية الأسهم كانت مملوكة لأوفاديا سالم ( صاحب شركة التسليفات التجارية ) ، وكانت علاقة أوفاديا سالم وثيقة جدا بكبار مساهمى بنك مصر الى درجة أنه اتفق مع أحمد عبد المقصود باشا على أن الذى يموت منهما أولا يتولى الآخر الاشراف على تركته وعلى ادارتها ٠ وفى اتحاد الصناعات المصرى كان اليهود يمثلون قوة أساسية وكان سكرتير اتحاد الصناعات هو المالى المشهور الدكتور ليفى ، والذى كان أيضا أحد المهيمنين على الجمعية المصرية للتشريع والاقتصاد ٠ واذا عرفنا أن الصهيونية تركزت فى مصر فى صفوف كبار الأغنياء اليهود لامكن معرفة مدى العلاقة بين البرجوازية المصرية وبين النشاط الصهيونى ٠٠

وحتى عندما قتل الصهيونيون اللورد موين لم تستطع البرجوازية المصرية اخفاء عطفها على القتلة ولدى معلومات شبه مؤكدة أنه كان هناك اتجاه لتبرئة القتلة لولا تدخل الانجليز مطالبين بضرورة الحكم بالاعدام عليهم ، كذلك كانت هناك قضية محمود العيسوى قاتل أحمد ماهر باشا ، وكانوا يريدون اعدامه ومن ثم اضطروا الى اصدار حكم بالاعدام على قتلة لورد موين ٠

ثم أتى عام ١٩٤٥ ، وفجأة بدأت البرجوازية المصرية تصرخ بشعارات ـ مجرد شعارات ـ حماسية دفاعا عن عروبة فلسطين ، وأؤكد هنا أنه برغم هذه الشعارات فان البرجوازية المصرية لم تكسر تحالفها مع الرأسماليين اليهود نواة وأساس النشاط الصهيونى فى مصر ، سواء فى المجال الاقتصادى أو المجال السياسى ٠

واستمر النشاط الصهيونى محتدما ، بل تزايد بدرجة كبيرة فى نهايات ١٩٤٥ وبدايات ١٩٤٦ ، وبدأ الصهيونيون فى جمع أموال كثيرة من

يهود مصر وبدأت عمليات واسعة لحث الشباب على الهجرة الى الكيبوتزات، وقبل ذلك لم يكن هناك اهتمام بتهجير الشباب اليهود الى فلسطين ، وكان موقف الجالية اليهودية فى مصر هو موقف الجاليات التى لا تعانى من مشاكل ولهذا لم تتحمس للهجرة .

وأود هنا أن أشير الى أن الحركة ذات الطابع العنصرى والتى بدأت بمظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ - فى ذكرى وعد بلفور ، والتى قام بها الاخوان المسلمون والتى قيل أن المخابرات الانجليزية كانت خلفها قد بدأت هى أيضا فى تسهيل مهمة الصهيونيين باقناع الشبان اليهود بالهجرة فقد كانت هذه الحركة أول حركة معادية لليهود فى مصر .

وبدأ الصهيونيون أمثال وايزمان ( شركة شل بوتاجاز ) وزوج ابنته أميلى نجار ( أحد سفراء اسرائيل الان ) يمارسون نشاطا واسعا .

وبدت الاحزاب الصهيونية مثل المابای ، هاشومير هاتسعير ( المابام فيما بعد ) فى النشاط الجاد وسط الشبان اليهود بمصر .

وسيطر المابای على المكابى ، وكان هناك فرعان للمكابى ، مكابى الظاهر وكان أساسا ذو نشاط رياضى وكان يضم يهود الظاهر وهم فى الغالب من فقراء اليهود أو صغار الموظفين فى المحلات التجارية ، أما الفرع الآخر فكان مكابى « سنترال » ( المركزى ) ومقره كان بشارع عبد الخالق ثروت ويمارس أساسا نشاطا ثقافيا وكشفيا ..

وكان هناك مسؤولون للدعاية يأتون خصيصا من فلسطين أذكر منهم رفائيل ركاناتى ( كان مندوب دعاية من المابای وكان يأتى لتنظيم عملية الهجرة ) وآخرين مثل أورى واكيبه ( يلاحظ أنهما أسماء مستعارة ) وسيطر الصهيونيون على المكابى وبدأت المحاضرات فى مكابى سنترال تأخذ طابعا صهيونيا ، وتكونت مدارس كادر صهيونية ، ودرست كتابات هرتزل وبنسكر ، وألقيت محاضرات عن الحركة الصهيونية والكيبوتزات والانجازات الصهيونية فى فلسطين وذلك كله بهدف اقناع شباب اليهود بالهجرة وكانت الهجرة تتجه أساسا الى كيبوتز « كفار جيلادى » ( بجوار بحيرة طبرية ) وكيبوتز « جفات » ( بجوار حيفا ) ، وكانوا ينظمون فى الصيف رحلات للاقامة مجانا فى الكيبوتزات للتعرف على الحياة الصهيونية . كان هذا عن نشاط المابای . أما هاشومير هاتسعير ( المابای فيما بعد ) فقد ركزوا نشاطهم فى ناد فى مصر الجديدة اسمه هيفرى هاتسعير وكانوا

أيضا ينظمون دعايات صهيونية ومحاضرات ودراسات لكتابات بورخوف ( الأب الروحى للمابای ) وكانوا يجندون الشبان ويرسلونهم الى الكيبوتزات الخاصة بهم • وكانوا يسيرون فى شوارع القاهرة ويرددون الاناشيد الصهيونية باللغة العبرية •

•• وأود هنا أن أشير الى شيئين أولهما أنه برغم هذا النشاط العارم فان الصهيونيين لم ينجحوا الا فى تهجير أعداد ضئيلة جدا واستمر اليهود المصريين على رفضهم للهجرة •• وحتى عندما هاجر يهود مصر أو طردوا بعد عام ١٩٤٨ رفضت غالبيتهم العظمى الذهاب لاسرائيل وليس لدى أرقام دقيقة لكننى مثلا أعرف أن ٠٠٠ر٤٠ من يهود مصر يقيمون الآن فى فرنسا ، وكثيرين آخرين ذهبوا الى بلدان أوربا الغربية الاخرى أو الى أمريكا اللاتينية •

أما الشىء الاخر فهو أن البرجوازية المصرية لم تتخذ أى اجراء ولو شكلى للحد من هذا النشاط ، بل أننى أؤكد أن البرجوازية المصرية كانت تعرقل نشاط الشيوعيين اليهود ضد الصهيونية وتقاومه وتمنعه وتساعد الصهيونيين على منعه ••

ولعل السبب واضح فالبوليس السياسى والبرجوازية المصرية كانت تفضل أن يتحول الشاب اليهودى الى الصهيونية ( وذلك لا يشكل خطرا مباشرا عليها ) على أن يتحول الى الشيوعية فيسهم فى الصراع الطبقى ضدها ••

س : نعود الان الى نشاطكم كمنظمة « ايسكرا » ضد الصهيونية ؟

ج : قلت أنه قبل ١٩٤٥ كانت القضية غير مطروحة وكان النشاط الصهيونى غير ذى بال ولكن بعد ١٩٤٥ وبعد تزايد النشاط الصهيونى بدأ الصدام ، ويمكن القول أن هذه القضية طرحت بشكل حاد فى جدول أعمال ايسكرا فى ١٩٤٥ وفى البداية قررنا مقاومة نفوذ الصهيونيين فى المكابى سنترال وأرسلت ايسكرا عددا من أعضائها للانضمام اليه وكان المسؤول عن ذلك ادوار ماتالون وانضم معه مجموعة من التقدميين مثل هانسى بنكسفيات وأنا وآخرين •

**( تابع محضر النقاش مع**
**ألبير آرييــه**
**الجلسة الثانية**
**( أجريت المناقشة بالاسكندرية فى ١٩٧٤/٤/٦**

**س :** وقفت بنــا فى الجلسة الاولى عنـد قرار « ايسكرا » بالعمل على مقـاومة النشاط الصهيونى وملاحقته فى أندية المكابى ·· فما هى تطـورات ونتائج هذا القرار ؟

**ج :** كانت الصهيونية مسيطرة فعليـا على « المكابى سنترال » وان كانت لا تعلن ذلك بل على العكس كان الصهيونيون يؤكـدون أن المكـــابى ليست منظمة صهيونية ولا حتى سياسية ·· أما نحن فقـد بدأ نشـاطنا بحضور ندواتهم ومحاضراتهم وكنا نوجه لهم أسئلة محرجة وان كنا أيضا لا نعلن اننـا شيوعيون ، وانما كنـا نتظـاهر فى أسئلتنا بأننـا نريـد أن نفهم حقيقـة الموقف وأبعـاده ، وخلال ذلك كنـا نجذب الى صفنا الشبان المخلصين ونزودهم على انفراد بالكتب المـاركسية ، ثم نضمهم الى أنديـة يسيطر عليهـا اليسار ، والحقيقـة أننـا لم نستمر كثيرا فى « المكـــابى سنترال » لاننـا كشفنا وبدأوا فى مطاردتنا ، وأحكم الصهيونيون قبضتهم على المكـابى أما نحن فقـد كسبنا بعض الشبان وخرجنـا · ولعله من اللفت للنظر أو أول شخص كسبنـاه من « المكـابى سنتـرال » كان يهودى قـادم من فلسطين للدراسة فى الجامعة الامريكية واسمه هاروفوف وضممناه الى ايسكرا حتى أنهى دراسته ·

**س :** قلت فى حديثك أنكم كنتم تضمون الشباب الى الاندية التى يسيطر عليهـا اليسار فما هى هذه الاندية ؟

**ج :** كان لايسكرا نشاط جماهيرى فى عدد من الاندية اليهودية ومنهـا مكابى الظـاهر ، وكان نشاطنا هناك قويا ، وكـان محوره « يوسف حزان » وهو شخص جماهيرى استطاع أن يصل الى قيـادة النادى فأصبح عضـو مجلس ادارته ·· ورغم أنه كان من المفروض أن نشاط النادى كان رياضيا

وكشفيا الا أن يوسف حزان استطاع أن ينشىء قسما للنشاط الثقافى ، وكانت الدعايات والمحاضرات الشيوعية تقدم فى علانية فى هذا النادى الى حد كبير وأمكن تجنيد عناصر كثيرة فى هذا النادى فى عام ٤٦ ـ ١٩٤٧ مع ملاحظة أن حى الظاهر كان يضم فقراء اليهود ٠

وكان هناك كذلك رابطة خريجى مدارس الليسيه وكنا نسيطر عليها أيضا ٠

والحقيقة أنه كانت هناك محاولات عديدة للعمل وسط اليهود وكسبهم ومن بينها مثلا أننا حاولنا تأسيس رابطة لخريجى مدرسة ابراهام بطيش بمصر الجديدة ، وتمت المحاولة تحت اشرافنا وبمجهودنا وبطبيعة الحال كنا سنسيطر على الرابطة لكن الصهيونيين تدخلوا وألغيت الانتخابات بتوجيه منهم ٠

**س** : نعود الى نفوذكم فى مكابى الظاهر وكيف تطور ؟ والى أين انتهى ؟

**ج** : مع بروز النشاط اليسارى فى « مكابى الظاهر » بدأت المصادمات بين التقدميين عموما والرجعيين ثم تبلورت فيما بعد لتصبح مصادمات بين اليسار والصهيونية ، وأجريت انتخابات لمجلس ادارة النادى ، وأصدرت القيادة ( وأعتقد أن هليل شوارتز كان المسؤول المركزى عن هذا النشاط ) تعليمات بضرورة النزول بثقلنا فى الانتخابات والحصول على أكبر قدر من المقاعد ، وأعتقد أنا الآن أن هذا التكتيك كان خاطئا لانه استفز قوى كثيرة ، وعلى أية حال أجريت الانتخابات وحصل الشيوعيون على أغلبية ساحقة ، فلجأت العناصر الصهيونية الى كليمان شيكوريل وكان رئيس المكابى ، وهو رجعى وصهيونى ، واستخدم شيكوريل نفوذه لدى السلطة وكان وثيق الصلة بها ، وتدخل فى الامر بناء على طلب من شيكوريل كمال رياض أحد قادة البوليس السياسى ، فألغيت الانتخابات وأغلق النادى ، وقام الشيوعيون بمظاهرة لاقتحام النادى وفتحه بالقوة فتصدى لهم البوليس ، وبعد ذلك قدم الصهيونيون قوائم بأسماء كل اليساريين والتقدميين الذين اشتركوا فى معركة « مكابى الظاهر » للبوليس ، وكانت هذه القوائم هى أول من اعتقل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ٠ والحقيقة أن هذه القوائم التى أعدها الصهيونيون عن معركة مكابى الظاهر قد وصلت الى جهات أخرى منها المخابرات الاميركية ، ودليلى على ذلك أن بعض الذين ضمت أسماؤهم الى هذه القوائم قد استقر فى فرنسا بعد أن طرد

من مصر وقام بنشاط تجارى واسع ، وطلبوا تأشيرات دخول للولايات المتحدة ، لكن السفارة الامريكية فى باريس رفضت منحهم هذه الفيزات على أساس أنهم أعضاء فى منظمة هدامة ، وقام هؤلاء الاشخاص بالبحث فى أسباب ذلك فاتضح أن ملفاتهم تتضمن تفاصيل دقيقة عن معركة نادى مكابى الظاهر بكل تفاصيلها ، وان كل الذين اشتركوا فى هذه المعركة قد ضمت أسماؤهم الى قوائم الممنوعين من دخول الولايات المتحدة .

س : كيف تطورت الصراعات بين اليسار والصهيونيين فى الطائفة اليهودية بمصر ؟

ج : أود أولا أن أقرر أن الصهيونيين فى هذه المعركة كانوا فى مركز أقوى منا ، فهم كبار الاغنياء ، وفى مراكز مرموقة من المجتمع ، وعلى علاقات وثيقة جدا بالسلطة ، بينما نحن مطاردون من السلطة وفى أى معرك تبيننا وبين الصهيونيين كانت السلطة تنحاز تماما للصهيونيين ليس فقط لانهم وثيقوا الصلة بها ، وانما أيضا لان أى كادر شيوعى كان يمثل خطرا حقيقيا .

وبعد تأسيس « حدتو » بدأت معارك لتأسيس نقابات وروابط فى المؤسسات التى يمتلكها الرأسماليون اليهود ، والتى كان معظم عمالها من اليهود مثل شيكوريل وشملا وغيرهما ، وهكذا اتخذ الصراع طابعا طبقيا .. العمال ضد الرأسماليين وكان هذا أخشى ما يخشاه أغنياء اليهود والصهيونيين .

س : فى صفوف المنظمة ، هل كنتم تنظمون دراسات حول طبيعة الصهيونية ، وحول قضية فلسطين ، وما هى طبيعة هذه الدراسات واتجاهاتها وباختصار أريد أن أعرف شيئا عن الاتجاه الفكرى والمحتوى النظرى لموقف ح.م وايسكرا ثم حدتو من هذه القضية ؟

ج : كانت هناك دراسات جادة ، وأذكر أننا كنا فى البداية نعتمد على دراسة كتاب ريناب Rennap وهو شيوعى انجليزى والكتاب بعنوان « معاداة السامية والمشكلة اليهودية »(*) وله مقدمة بقلم الرفيق وليم جالاشر سكرتير الحزب الشيوعى الانجليزى ، ويمكن القول أن هذا الكتاب كان ــ فى بداية الامر ــ محور تفكيرنا النظرى .

ويمكن تلخيص القضايا الاساسية التى وردت فى هذا الكتاب فيما يلى :

---

(*) Anti-Semitism and the Jewish question (Lawrence and Wisharé — Editors)

* أنه لا توجد أمة يهودية .

* ان العداء لليهود هو أحد مظاهر الصراع الطبقى شأنه شأن كل العداء للاقليات .

* ان هذه الظاهرة التى ظهرت فى كنف المجتمع الطبقى سوف تنتهى حتما بزوال المجتمع الطبقى ذاته . وقيام النظام الاشتراكى .

* تحليل للصهيونية كحركة رجعية تخدم الاستعمار . **وانها** ارتبطت منذ البداية بقيصر روسيا وقيصر ألمانيا والسلطان عبد الحميد وبنك روتشيلد ، وكان هدفها هو ابعاد اليهود عن مجريات الصراع الطبقى فى البلدان التى يقيمون فيها وارسالهم الى فلسطين لتكوين رأس جسر ثابت للاستعمار البريطانى .

ويمكن القول بأن الكتاب كان ابرازا لوجهات نظر الحزب الشيوعى البريطانى وينتهى الكتاب بالمطالبة بانهاء الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين وتكوين دولة واحدة تضم كل سكان فلسطين .

وبهذه المناسبة أود أن أذكر أنه كانت هناك صلة وثيقة بين المنظمات الشيوعية المصرية وبين الحزب الشيوعى الانجليزى فى بعض الانشطة ، وأذكر أنه قد تقرر فى اجتماع الاحزاب الشيوعية لدول الكومنولث البريطانى ضرورة مقاومة النشاط الصهيونى وتكوين منظمات جماهيرية للكفاح ضد الصهيونية ، وأن يكون الشيوعيون على رأس هذه المنظمات .

**س** : نصل الان الى تأسيس الرابطة الاسرائيلية للكفاح ضد الصهيونية .. كيف تأسست ؟ وفى أية ظروف ؟

**ج** : مع تصاعد الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، وتصاعد النشاط الصهيونى كان لابد من تنظيم المواجهة مع الصهيونية ، كذلك بدأت العناصر الرجعية فى مصر مثل « الاخوان المسلمين » و « مصر الفتاة » بنشاطات ذات

طابع عنصرى وشوفينى ، وحدثت مظاهرات وعمليات تخريب موجهة ضد اليهود بشكل عام .. ومن ثم كان من الضرورى ابراز الفرق بين اليهود وبين الصهيونية ، وأعتقد أن تاريخ تأسيسها كان بالضبط فى ابريل ١٩٤٧ ، وقد وقع بيانها الاساسى خمسة أشخاص وهم : مارسيل اسرائيل ـ عزرا هرارى ـ ادوارد ماتلون ـ روبير ستون ـ ماذر بنكسفلت . وكانوا جميعا أعضاء فى منظمة « الطليعة المتحدة » التى تكونت من اتحاد « ايسكرا » مع « تحرير الشعب » .

وأصدرت هذه الرابطة بيانا نشرته الصحف اليسارية ونشرته أيضا الجريدة الوفدية « صوت الامة » وأصدرت أيضا كتيبا بأهداف الرابطة ومنشورا .

وجرى توزيع هذه المواد جميعا على نطاق واسع عن طريق أعضاء التنظيم :

وأذكر اننى كلفت بأن أوزع البيان على موظفى البنك البلجيكى وبنك باركليز والبنك الاهلى .

**س** : هل كنتم توزعون بيانات هذه الرابطة على اليهود أم على المصريين عموما ؟

**ج** : كنا نوزعها فى الاماكن التى يتركز فيها اليهود أساسا فمثلا معظم موظفى البنوك كانوا من اليهود ، وكذلك موظفى محلات شملا وشيكوريل وبنزايون وعدس ... الخ .

**س** : قال مارسيل اسرائيل فى تقرير خطى كتبه بناء على طلبى عن نشاطه فى هذه الفترة انه هو الذى كتب بيان الرابطة ، فما هى معلوماتك عن ذلك ؟

**ج** : هذا صحيح .

**س** : أريد أن أعرف ما هى ردود فعل تأسيس الرابطة وتوزيع بياناتها ؟

**ج** : حدث ما يشبه الجنون فى صفوف الصهيونيين ، والحقيقة ان الجرائد الوطنية والتقدمية قد أبرزت أخبار الرابطة وبياناتها وقلت لك أن

الصحيفة اليومية لحزب الوفد وهى « صوت الامة » أبرزت البيان على صفحاتها ..

وثمة رد فعل آخر جاء من جامعة الدول العربية ، فقد استدعى أمينها العام المساعد سكرتير الرابطة عزرا هرارى وأجرى معه مناقشة مطولة ، وأبلغه ترحيبه بهذه الخطوة .

أما السلطات المصرية فقد كان رد الفعل لديها هو انها قبضت على كل الذين وقعوا بيان الرابطة فى أول مايو ١٩٤٧ . ( وكانت السلطات المصرية قد اعتادت فى هذه الفترة القبض على العناصر اليسارية البارزة لمدة يوم أو يومين كاجراء تحفظى فى ليلة أول مايو ) . واذا كانت لى ملاحظة عامة على نشاط الرابطة هو انها قد حصرت نشاطها فى صفوف اليسار اليهودى ولم تنفتح على جماهير الطائفة اليهودية ، وكان هذا على أية حال عيب عام فى نشاطات « ايسكرا » الجماهيرية ويتلخص فى الخلط بين العمل الحزبى والعمل الجماهيرى .

س : كيف تطور موقف تنظيم « حدتو » من تأييد قيام دولة واحدة ديمقراطية ، الى قبول قرار التقسيم ؟

ج : أود أولا أن أقرر أن موقف الشيوعيين كان موقفا مبدئيا تحكمه عدة مبادىء أساسية :

* الكفاح ضد الصهيونية .

* الدعوة لتعزيز الكفاح المشترك بين العمال العرب واليهود ضد العدو المشترك وهو الاستعمار البريطانى .

* الدعوة لتكوين دولة ديمقراطية موحدة « مزدوجة القومية » على أرض فلسطين .

وعندما نوقشت القضية الفلسطينية فى الجمعية العمومية للامم المتحدة وقدم اقتراح التقسيم وأيده الاتحاد السوفياتى باعتباره أحسن الحلول السيئة أو بالدقة الحل الوحيد المتاح اجتمع المكتب السياسى لحدتو وناقش الامر ووافق على قرار التقسيم ، وكانت موافقته بالاجماع .

وأصدر المكتب السياسى منشورا وزع على نطاق واسع يحدد فيه موقفه ويطرح الاسس النظرية له . وقد بنى هذا البيان على المنطلقات الآتية :

* التأكيد بأن قرار التقسيم هو أفضل الحلول السيئة ، ولم يكن هناك أى تخطئ للموقف السابق وهو الدولة الموحدة المزدوجة الجنسية وانما أبرز بوضوح أن الصهيونية والرجعية العربية والاستعمار أسهموا معا فى توتير الجو وفى افشال محاولات تأسيس دولة مستقلة موحدة مزدوجة القومية وأنه نتيجة لتطورات عديدة أصبح قيام مثل هذه الدولة غير ممكن فى ذلك الحين ، وأن السبيل المتاح كان التقسيم .

* ان النقطة الهامة فى كل كفاح « حدتو » كانت مقاومة الاستعمار ومن ثم فقد كان التوصل الى قرار التقسيم فى ذلك الحين هو السبيل لتصفية الاستعمار البريطانى فى فلسطين .

* أشار البيان كذلك الى موقف الاتحاد السوفياتى باعتباره جزءا من مكونات الموقف العام .

**س :** ألم يحدث الموقف بلبلة فى صفوف التنظيم ؟ وهل تردد ولو تحت السطح أقوال ضده أو ضد من اتخذ هذا القرار ؟

**ج :** فى حدود علمى لا ، وما أعلمه أن التنظيم تقبل هذا الموقف بارتياح وأود هنا أن أشير إلى أن اللجنة المركزية لحدتو والتى كان عددها وقت صدور القرار ١٦ عضوا لم يكن بها سوى ثلاثة فقط من اليهود هما هنرى كورييل وهليل شوارتز وايمى ستون ، كذلك يجب ن نضع فى الاعتبار أن الحكومات الرجعية عميلة الاستعمار أى حكومات فاروق ونورى السعيد والملك عبد الله هى التى كانت متحمسة للحرب وهؤلاء جميعا كانوا معروفين تماما بولائهم للاستعمار وانهم عملاء له . ومن هنا فقد كان من السهل جدا اتخاذ الموقف المغاير لموقفهم ..

وكان الشعار الذى رفعناه فى وجه هجمات الرجعية وعنصرية الاخوان المسلمين هو التذكير بعمالة هذه الانظمة للاستعمار وهو التذكير بخطر التآمر الاستعمارى ، وكنا نصيح فى المظاهرات « الجلاء عن مصر » .. « الجلاء عن القدس » .. ونذكر أيضا أن حرب فلسطين قد اتخذت من جانب الحكومات الرجعية ذريعة لاعلان الاحكام العرفية وفتح المعتقلات أمام كل القوى الوطنية والتقدمية .

س : هل أخذت أى منظمة شيوعية موقفا مناهضا لقرار التقسيم أو مغايرا لموقف حدتو ؟

ج : فيما أتذكر أن جماعة « الفجر الجديد » ( طليعة العمال ) كانت ضد قرار التقسيم وفى المعتقل نقد بعض قادة هذا التنظيم أنفسهم وأدانوا وقوفهم ضد قرار التقسيم .

س : هل لديك معلومات أخرى ؟

ج : لدى اضافة ختامية ، وهى أن هؤلاء الذين خاضوا معركة الكفاح ضد النشاط الصهيونى قد ظلوا مخلصين لموقفهم هذا وظلوا على ولاء لمصر برغم تعرضهم للاعتقال وبرغم طردهم من مصر ، وقد رفضوا بعد طردهم الذهاب لاسرائيل وحتى بعد أن استقروا لسنوات طويلة فى بلاد أخرى فانهم لا ينسون مصر وفى كل المناسبات يقفون الى جانب قضية الشعب المصرى ، فعلوا ذلك خلال عدوان ١٩٥٦ وخلال عدوان ١٩٦٧ وبعده وفى حرب أكتوبر كذلك أود أن أذكر أن الحملة الارهابية فى ١٩٤٨ كانت مركزة بالنسبة لليهود على العناصر الشيوعية والمناهضة للصهيونية وأن الصهيونيين الذين اعتقلوا فى هايكستب كانوا يعاملون معاملة ممتازة بينما عومل الآخرون معاملة سيئة .. وكان أوفاديا سالم الصهيونى يخرج يوميا تقريبا من المعتقل بحجة العلاج لكنه كان يزور منزله ، وكان تليفون قائد المعتقل تحت تصرفه يدير منه عملياته التجارية ونشاطه الاقتصادى .

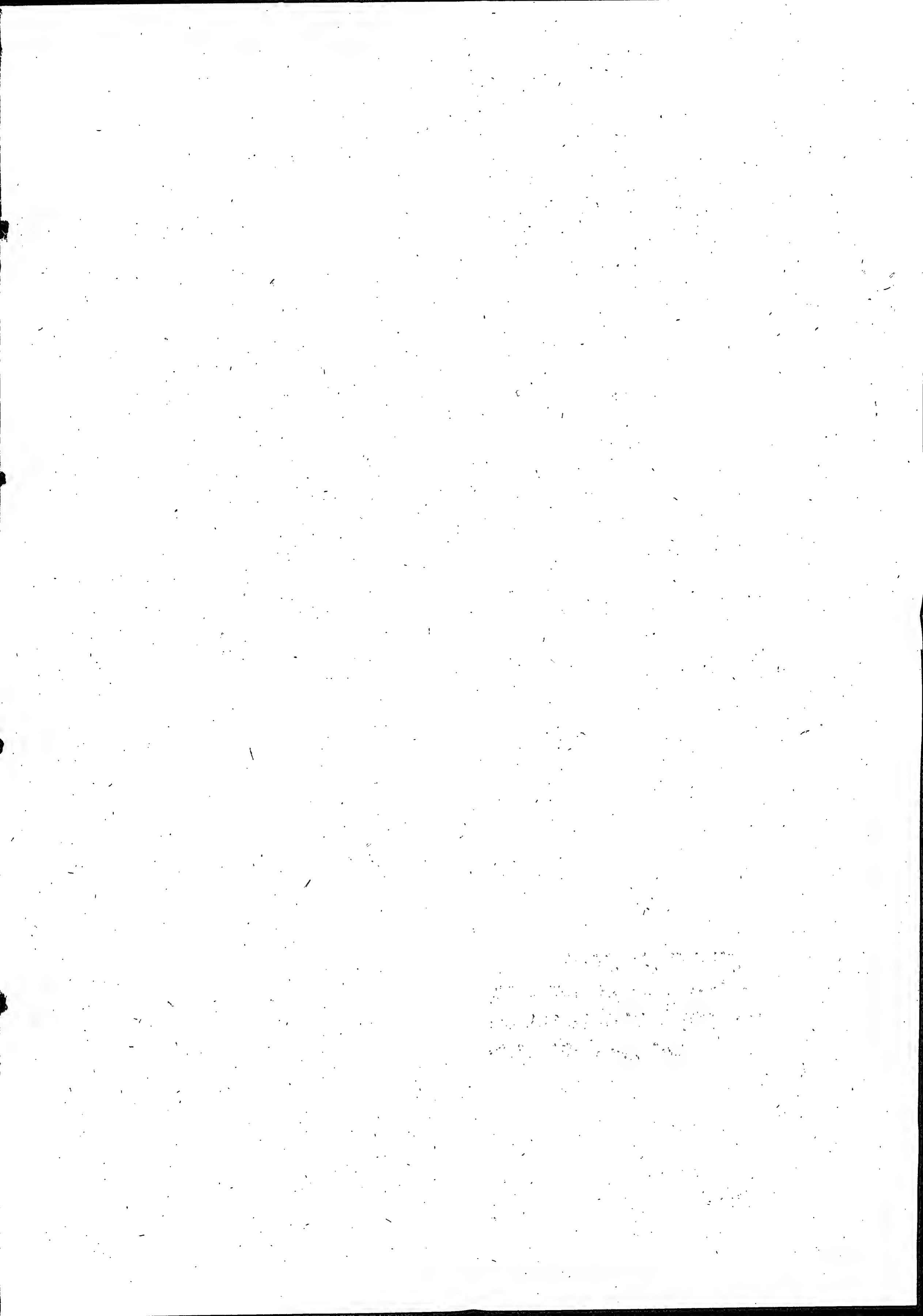
وبعد انهاء المعتقلات كان نصيب الشيوعيين اليهود الطرد من مصر بينما أفرج عن عديد من الصهيونيين دون أن يطردوا ومنهم أوفاديا سالم الذى استمر يزاول نشاطه الاقتصادى والتجارى حتى مات وذلك بالرغم من أنه كان يمتلك شركة فى مصر وبنكا فى اسرائيل ، ولم تمس ثروته الا باجراءات التأميم فى عام ١٩٦١ . أما ابنه البير سالم فقد ظل يزاول نشاطه المعتاد حتى قبض عليه مؤخرا فى قضية التهريب التى سميت بقضية « اخوان غبور » ثم أفرج عنه بكفالة لكنه غادر البلاد .

ولعل هذا يكفى لتوضيح كيف كانت البرجوازية المصرية تتناسى دوما الصهيونيين بينما تركز جهودها ضد المعادين الحقيقيين للصهيونية .

تعليق على الوثائق :

كان موقفهم صحيحا ..
وصادقا وشجاعا ، ولكن ..!

بقلم خالد محيى الدين



ان الهدف الذى تتوخى كتب « الوثائق » ، أو « مجموعات الوثائق التاريخية » تحقيقه هو أن تضع أمام القارىء المعاصر « الحقائق المتكاملة » وأن تقدمها له محتفظة بثوبها التاريخى ، وبكل رنين الحقيقة المختزن فى داخلها ، وذلك بهدف دعوته الى أن يعيد تقييم « الموضوع » الذى تعالجه أو تتعلق به هذه الوثائق ٠

فالتاريخ المعاصر ، يتعرض فى بعض منعطفاته « لمسلمات » غرسها فى أعماقه مؤرخون ذوو اتجاه معين أو ذوو غرض معين ، مستفيدين من « لصق » بعض « جزئيات » الحقيقة جنبا الى جنب ، مخترعين بذلك صورة غير صحيحة على الاطلاق ٠

ومع مرور الزمن ، تتحول هذه « الصورة غير الصحيحة » الى مسلمات ، ولان الحقائق الكاملة غير متوفرة ، ولان الكثير من وثائقها قد طواه النسيان ، فانه لا يبقى فى مكتبة الحدث التاريخى ، وفى متناول القارىء العادى أو حتى الباحث غير المتعمق سوى « أنصاف الحقائق » أو « المسلمات » المصطنعة من جزئيات الحقائق ٠٠

ومن هنا تبرز الضرورة الملحة ، لاعادة تقييم هذه المسلمات ، ولطرح الموضوع برمته من جديد كسبيل لاستنتاج « الحقيقة الكاملة » وصياغة ذكرة جديدة أكثر صحة وأكثر موضوعية ٠٠

وبهذا نخدم « الحقيقة » ونخدم « التاريخ » ونقدم أسلوبا أكثر علمية لفهمه ودراسته ، وهو الاسلوب الذى يعتمد على « الحقائق المتكاملة » وعلى النظر « للحدث » من مختلف الزوايا كسبيل لرؤيته رؤية صحيحة ٠

وينطبق كل ما سبق أكثر ما ينطبق على موضوع هذه الوثائق « اليسار المصرى وموقفه من القضية الفلسطينية » ٠

فقد انتهز الكثيرون من الساسة والمؤرخين والكتاب غيبة « المعرفة » المتكاملة ، ولم يلتفتوا الى « الوثائق » التى تحتوى وتختزن هذه المعرفة المتكاملة ، بل وربما تجاهلوها عن عمد ، وأخذوا ينسجون من مخيلاتهم « أنصاف حقائق » وربما « أشياء لا تحتوى على أى جزء من أجزاء الحقيقة ، ثم يصوغونها فى صورة « الخبر » أو « الواقعة » ثم يصممون على ترديد مرة أخرى وثالثة حتى تصبح « مسلمات » ٠

ولان ذلك ضد الحقيقة ، ولانه برسم التاريخ وفقا لرغبات الكاتب وليس وفقا لحقيقة الحدث ، ولانه – فوق هذا وذاك – يتعلق بقضية من أخطر قضايا تاريخنا المعاصر ، هى القضية الفلسطينية ، فان الجهد الذى بذله الدكتور رفعت السعيد فى تجميع هذه الوثائق وتحقيقها هو جهد ضرورى ومثمر ٠

وتنبع ضرورته – ليس فقط من كونه دحض لاخطاء وقع فيها كثير من الساسة والكتاب والمؤرخين – ربما بحسن نية وربما بغير ذلك – ووضع الامور فى نصابها الصحيح ، أقول ان ضرورته ، لا تنبع فقط من كونه تصحيح للوقائع وانما ايضا لأنه يسهم فى تقديم المفهوم الصحيح لدراسة الوقائع ومنهج تفكير اليسار المصرى تجاه واحدة من أخطر القضايا القومية الهامة ٠

وتبدو أهمية نشر هذه « الوثائق » اليوم أكثر من أى وقت مضى ، لانها تأتى فى وقتها تماما فهى تأتى فى مرحلة تعود فيها كل القوى العربية لتدارس المواقف والاتجاهات والمنطلقات المختلفة حول القضية الفلسطينية ٠

نعود الآن الى الوثائق ٠٠٠

وهى مجموعة كبيرة من التقارير والدراسات والمقالات والمستندات ومحاضر النقاش تغطى فترة تمتد من ١٩٤٥ وحتى ١٩٥٦ ٠ وتقدم وبالمستندات صورة متكاملة لموقف مختلف القوى اليسارية فى مصر من القضية الفلسطينية ٠

ولقد مضى الآن قرابة ربع القرن على كثير من هذه الوثائق ، وزال ما أحاط بالاحداث التى لابستها الكثير من النزعات الحماسية والعاطفية ، كذلك فان تجارب هذا الربع قرن ومآسيه ، ونجاحاته ، ونضالاته ، قد أكسبت الجماهير العربية مزيدا من الخبرة والمراس ، ومن هنا فاننا نعتقد أن الموقف قد حان لاعادة تسليط الضوء من جديد على هذه « الوثائق » ٠ ليس فقط بهدف انصاف أصحابها وانصاف الحقيقة ذاتها ، وانما – وهذا هو الاساس – حتى نستفيد من خبراتها ، وكى نخضعها لتقييم موضوعى يمكننا من استخلاص خبرات مفيدة لحركة التحرر الوطنى العربية عموما ولليسار العربى والمصرى خصوصا ٠

و« الوثائق » التى بين أيدينا كانت تعبيرا عن وجهة نظر الفصائل الطليعية والاساسية فى اليسار المصرى ، وأعنى بها الماركسيين المصريين ،

الذين تعرضت مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية ، بل وتعرضوا هم أنفسهم ، لاضطهاد غير محدود ونكل بهم وبأفكارهم أشد التنكيل ٠ ويكفى أن أول معتقلات واسعة عرفتها مصر الحديثة وضمت الآلوف من القوى الوطنية والتقدمية ، قد أقيمت فى مصر بحجة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبحجة موقف هذه القوى من « حرب فلسطين » ومن « قضية فلسطين » ٠٠ ومن هنا فان دراسة هذه « الوثائق » سوف تعيننا أيضا على فهم كثير من حقائق التاريخ العربى والمصرى المعاصرين ، وسوف تفتح أعيننا على صراعات القوى السياسية والطبقية المختلفة ، وحقائق هذه الصراعات ٠٠٠ وأيضا سوف تقودنا الى فهم الكثير مما يحدث اليوم ٠٠

وباستقراء هذه الوثائق يمكننى أن أستخلص المنطلقات الاساسية لحركة اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية فيما يلى :

* اعتبار أن الصهيونية حركة عنصرية رجعية ، معادية للاشتراكية وانها جزء لا يتجزأ من المعسكر المعادى ، معسكر الاستعمار والامبريالية ٠
* اعتبار أن الرجعية العربية هى أيضا عدو يتعين مقاومته ، والتنبيه لدعواه العنصرية باعتبارها حرف لكفاح الشعوب العربية ، وفضح تآمر الرجعية العربية والصهيونية معا خدمة لصالح الاستعمار ٠

* التركيز الاول والاساسى موجه ضد الاستعمار ، وبالتحديد من أجل انهاء الاحتلال البريطانى سواء فى مصر أو فلسطين باعتباره الخطوة رقم واحد فى أى تحرك ، والتركيز المستمر على دور الاستعمار فى الحكم فى تحركات الرجعية العربية ودفعها لخيانة مصالح شعوبها وأوطانها ، والتأكيد بأن نقطة البدء فى أى تقدم هى الخلاص من الاحتلال والسيطرة الانجليزية على مصر وفلسطين معا ٠

* التفرقة الواضحة بين اليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية عنصرية ورجعية ، والوعى الكامل بخطر الدعاوى العنصرية ليس فقط بسبب طبيعتها غير الانسانية وغير الاخلاقية ، وانما أيضا لانها تقود يهود مصر الى براثن التعصب والصهيونية ، وتشجعهم على قبول دعاوى الهجرة الى فلسطين ٠

* الكفاح فى صفوف اليهود ، بهدف عزل النشاط الصهيونى ، وحث اليهود على المشاركة فى الحركة الديمقراطية فى أوطانهم كسبيل لضمان حياة مستقرة وديمقراطية ، وذلك كبديل لدعاوى الهجرة الى فلسطين التى كانت تروجها الصهيونية بينهم ٠

* فضح ما يمكن تسميته بالتواطؤ الرجعى مع النشاط الصهيونى فى مصر ، والذى اتخذ أشكالا عديدة تكشف « الوثائق » عنها ومنها « اغماض العين » المتعمد عن نشاط صهيونى عارم كان يتخذ من مصر مسرحا له ، الهجرة الى فلسطين ، ومن أشكال هذا التواطؤ أيضا الحرب العنيفة التى شنتها الرجعية على الكفاح الشيوعى ضد الصهيونية ، ومنها أيضا تلك العلاقات والتداخلات الاقتصادية ، التى كان لابد لها وأن تترك أثرها على المواقف السياسية ٠

* وفيما يتعلق « بالحل » الذى اقترحوه أو الذى وافقوا عليه للمشكلة الفلسطينية ، فقد ظل لامد طويل هو العمل لاجلاء القوات الانجليزية عن فلسطين ، وقيام دولة موحدة يسهم فيها العرب واليهود جنبا الى جنب ، وكانوا يرون ـ أيضا ـ أن الاحتلال الانجليزى يشعل نيران التعصب ويستخدم الرجعية العربية ، والصهيونية ، كأداة لذلك ، بهدف ابقاء سيطرته على فلسطين ، وافشال أية محاولة لاستقلالها وقيام دولة موحدة على أرضها ٠٠

* كذلك توضح هذه الوثائق ، أن اليسار المصرى ، قد أدرك خطر الاستعمار الاميركى ومنذ بدايات زحفه ، وأدرك التناقض بينه وبين الاستعمار الانجليزى ، وأدرك وعى الحركة الصهيونية بذلك ولعبها عليه ٠ وتابع بذكاء تغير مجرى التحالفات الصهيونية ، وكيف استعدت كى تنقل ثقل تحالفاتها الى الاستعمار الاميركى الجديد ٠٠ وأدرك اليسار المصرى ومنذ وقت مبكر ، كيف ارتبطت المصالح الاقتصادية الاميركية فى المنطقة بمحاولات الصهيونية للتحالف مع هذه المصالح وتقديم العون والمساعدة والحماية لها ٠٠

* ثم تأتى بذلك الى قضية أساسية وهى موقف اليسار المصرى من قرار التقسيم ٠

وقد قلنا فى البداية أن اليسار المصرى كان يدعو الى جلاء القوات الانجليزية من فلسطين وقيام دولة ديمقراطية موحدة للعرب واليهود ٠٠ وكان يدرك ـ برؤية بعيدة النظر ـ ان التصادمات العنصرية التى شجع الاستعمار على قيامها ، والتى انخرطت فيها بل وقادتها كل من الصهيونية والرجعية العربية ، لن يؤدى الا الى نتيجة واحدة هى استحالة قيام هذه الدولة الواحدة ٠٠

هذا بينما كانت الجامعة العربية تقبل مشروعا للتقسيم هو مشروع موريسون كل ما يميزه عن مشروع التقسيم الذى أقرته الامم المتحدة أنه يحتفظ لبريطانيا باليد العليا فى فلسطين ويبقى لها حق السيطرة على مساحات واسعة منها بما يكفله لها ذلك من سيطرة تامة على فلسطين كلها بادارتها العربية والاسرائيلية ٠

ثم جاء بعد ذلك مشروع التقسيم الذى نحن بصدد الحديث عنه وتقييم موقف اليسار المصرى تجاهه ٠

وتبدأ قصة المشروع عندما قررت الجمعية العامة للامم المتحدة تشكيل لجنة تحقيق خاصة مؤلفة من ممثلين عن استراليا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وجواتيمالا والهند وهولندا وايران وبيرو والسويد وأورجواى ٠ وسافرت اللجنة الى فلسطين وغيرها من البلدان ووضعت تقريرا قدمته الى الأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٤٧ ٠

وقد تضمن تقرير اللجنة توصيات عامة وافق عليها جميع أعضاء اللجنة وتتلخص فى ضرورة انهاء الانتداب على فلسطين ، ومنحها الاستقلال على أن تتقدمه مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة فى أثنائها مسؤولة أمام منظمة الامم المتحدة مع المحافظة على حرمة الأماكن المقدسة وعلى أن يبنى دستور الدولة أو الدولتين الجديدتين على أساس ديمقراطى تمثيلى يضمن حقوق الانسان الاساسية والمحافظة على حقوق الاقليات وأن على الدولتين تسوية الخلافات بالطرق السلمية والامتناع عن التهديد أو استعمال القوة فى العلاقات الدولية بأى شكل لا يتفق ومبادىء الأمم المتحدة ٠ والمحافظة على وحدة فلسطين الاقتصادية ٠٠ (١)

ثم انقسمت اللجنة بعد اتفاقها على هذه التوصيات الى أغلبية وأقلية ٠٠

أما مشروع الاكثرية ٠٠ فيقضى بأن تقسم فلسطين الى دولتين : الدولة العربية وتتألف من الجليل الغربى ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلى الممتد من أسدود فى الجنوب الى الحدود المصرية ، وفى هذا تدخل منطقة الخليل وجبل القدس وغور الاردن ٠ أما الدولة اليهودية فتتألف من الجليل

---

(١) جامعة الدول العربية ـ الامانة العامة ـ ادارة شؤون فلسطين ـ مذكرة عن مراحل تطور قضية فلسطين ـ عام ١٩٦٠ ٠ ص ٢ ٠

الشرقى ومرج بن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلى ومنطقة بئر سبع التى تضم النقب ٠

وتصبح الدولتان مستقلتين بعد مرحلة انتقال تبدأ من أول سبتمبر ١٩٤٧ ٠ ويقوم بينهما اتحاد اقتصادى يهدف الى استثمار المرافق العامة كالسكك الحديدية ومياه الرى والطرق ضمن نطاق المصلحة العامة المشتركة والى وحدة الرسوم الجمركية والعملة ، والى تهيئة الاسواق العالمية لصادرات فلسطين كلها ٠٠٠

أما أقلية اللجنة ، المؤلفة من ممثلى الهند وايران ويوغوسلافيا فقد اقترحت أن تقوم فى فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا ذاتيا وتتألف منهما دولة فيدرالية مستقلة عاصمتها القدس وينتخب مجلس تأسيسى لوضع الدستور ، وتتناول السلطة المركزية قضايا الدفاع الوطنى والشؤون الخارجية والمصالح الاقتصادية المشتركة وينتخب رئيس الدولة من قبل مجلس الاتحاد(٢) ٠

ثم أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وهو يستند الى مشروع الاغلبية ٠٠

وقد قابلت الدول العربية مشروعى اللجنة ( أغلبية وأقلية ) وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة بالرفض التام والقاطع ، دون أن تقدم أى بديل أو أى حل يتفق مع توازنات القوى العالمية والمحلية ، واكتفت برفع شعار « فلسطين عربية مستقلة موحدة » (٣) دون أن تضع فى اعتبارها حشد القوى اللازمة للاحتفاظ بعروبة فلسطين ٠

واذا ما حاولنا أن نتفهم موقف اليسار المصرى من قرار التقسيم وجب علينا أن نضع فى الاعتبار عدة نقاط :

* ان الحكومات العربية التى رفضت قرار التقسيم كانت كلها حكومات مرتبطة بالاستعمار بصورة أو بأخرى ، وكان رفضها ـ بالضرورة ـ مشوبا بشبهة التواطؤ مع الاستعمار الانجليزى ، الذى كانت مصلحته واضحة فى افشال أى مشروع يقضى بانسحابه من المنطقة ٠

---

(٢) المرجع السابق ٠ ص ٣ ٠

(٣) من قرارات اللجنة السياسية للجامعة العربية فى اجتماعها المنعقد فى القاهرة فى ٨ ـ ١٢ ـ ١٩٤٧ المرجع السابق ص ٤ ٠

* ان الجيوش التى تحركت للحرب فى فلسطين كانت فى نهاية الامر تحت ضغط أو حتى تحت سيطرة من قوات احتلال بريطانية فى الاردن والعراق ومصر ... وفى مصر كان وجود الانجليز فى الخط المباشر والحاكم لمؤخرة الجيش المصرى المتجه الى فلسطين كفيلا بذاته لاثارة مخاوف بل وسخرية أى وطنى .

* ان القيادات الفلسطينية كانت من الضعف والتخلف بحيث أنها توهمت فى بداية الاربعينيات أن المانيا الهتلرية بحكم عدائها لليهود يمكنها أن تكون حليفا جيدا ، فوضعوا أنفسهم فى موضع الشبهة والرفض من الرأى العام العالمى ومن الرأى العام الوطنى والتقدمى فى البلدان العربية وفى فلسطين ذاتها .

ولعل المصدر الحقيقى لذلك الخطأ هو الوضع الطبقى لهذه القيادة التى كان يمنعها من الاعتماد على حركة الشعب الفلسطينى ونضاله ويفرض عليها أن تقاوم أى فكر تقدمى أو ثورى .

* وبعد ذلك وفى أعوام ما بعد الحرب عجزت القيادة الفلسطينية عن أن تكون قيادة فعلية لحركة الشعب الفلسطينى . ثم انها وفى عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ أساءت تقدير الموقف المحلى والدولى الامر الذى قادها الى وضع الشعب الفلسطينى بين اختيارين هما اما بقاء فلسطين عربية فقط ، واما عدم وجود فلسطين أصلا . واذا جاز لنا أن نتفق أو نختلف مع رفض التقسيم فان الموقف الذى يستعصى على الفهم السليم هو لماذا رفضت القيادات الفلسطينية قيام دولة فلسطينية وفقا لقرار التقسيم ولم يكن ذلك ليمنع استمرارها فى ادانة القرار ذاته .

* ان أحدا من الحكام العرب آنذاك لم يأخذ الحرب مأخذ الجد ، حتى أن رئيس وزراء مصر قد صرح فى الجلسة السرية للبرلمان بأن المسألة لن تعدو أن تكون نزهة حربية (٤) .

وفى نفس الوقت فان الانظمة الرجعية العربية انتهزت فرصة الحرب لتضرب الحركات الوطنية وتفتح أمام مختلف فصائلها السجون والمعتقلات .

---

(٤) د. اسماعيل صبرى عبد الله ـ فى مواجهة اسرائيل ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف ـ يوليو ١٩٦٩ ص ٩

* ثم كانت المأساة بأن ركزت بعض الانظمة العربية التى استولت جيوشها على بعض أراضى فلسطين جهودها على استمرار احتوائها لهذه الأرض الفلسطينية ٠

* ويجب أن أشير أيضا الى أنه فى الوقت الذى بذل فيه اليسار جهده لاستيعاب العناصر الفضلى من الطائفة اليهودية ، فان الرجعية العربية بذلت جهدها لضرب هذا المخطط وللتعاون مع العناصر الصهيونية ، كل هذا انتهى فى خاتمة المطاف الى الاشتراك فى مخطط حث أو دفع اليهود الى الهجرة ، ومن ثم قدموا لاسرائيل ألوفا من الوافدين فى الوقت الذى كانوا يتباكون فيه على هجرة اليهود من أوروبا ٠

* وفوق ذلك كله فان هؤلاء الذين راهنوا على الموقف الانجليزى كانوا مخطئين أيضا فى حساباتهم ، اذ نسوا أن انجلترا خرجت من الحرب العالمية الثانية مثخنة بالجراح ، وانها كانت عاجزة عن مجابهة الضغوط الاميركية سواء السياسية أو الاقتصادية ٠

هذا عن الاطار العام لموقف الرجعية العربية فماذا عن موقف اليسار ؟

لا شك فى أن موقف اليسار المصرى بتأييد قرار التقسيم كان موقفا سياسيا اتخذ بناء على عديد من الحسابات فى مقدمتها حساب توازنات القوى فى فلسطين وفى المنطقة العربية وفى العالم ٠ وأيضا كل الملاحظات السابقة ، وبالاضافة الى ذلك ـ وليس بمعزل عنه تأثر موقف اليسار المصرى أيضا بموافقة الاتحاد السوفياتى على قرار التقسيم ٠

والحقيقة أن اليسار المصرى قد أيد فى بداية الامر فكرة الدولة الموحدة المستقلة والوثائق المتضمنة فى هذا الكتاب تشير كلها الى اصرار الشيوعيين المصريين على فكرة قيام فلسطين موحدة ، مستقلة ، ديمقراطية ، والى تحذيراتهم المتكررة من أن المواقف العنصرية التى تسهم الصهيونية والرجعية العربية فى اثارتها لن تؤدى الا الى تفجير الموقف بحيث يصبح قيام الدولة الموحدة أمرا غير ممكن ، ومن هنا فقد كانت تحذيرات اليسار المصرى وادانته للاتجاهات الشوفينية موقفا سياسيا بعيد النظر ومدركا لحقيقة المخاطر التى تترتب على هذه الاتجاهات ، وذلك بالاضافة الى كونه موقفا مبدئيا أيضا ٠

وباختصار ان اليسار المصرى وبعد أن أصبحت الدولة الموحدة القائمة على أساس ديمقراطى وعلى أساس الاستقلال ، غير متاحة ، بسبب عوامل عديدة ـ بذل جهده فى تلافيها ـ وكانت فى مجملها من صنع نفس القوى

التى تظاهرت بالتمسك بالدولة الواحدة • لم يجد مناصا من قبول التقسيم ، ليس باعتباره حلا جيدا ، وانما باعتباره « الحل الوحيد المتاح » مؤكدا أنه حل « سىء » لكن توازنات القوى لا تحتمل حلا أفضل منه ، مركزا فى نفس الوقت الى أن توازنات القوى هذه قد اختلت ( ضد مصلحة العرب ) بسبب من تآمر أو تساهل الحكومات الرجعية العربية ومطامعها الخاصة وموالاتها لانجلترا ، وتركيزها على كبح جماح الحركة الوطنية فى بلادها ••

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أن اليسار المصرى كان يقبل التقسيم كسبيل لاستقلال فلسطين ، وان قضية تحرير فلسطين من نير الاحتلال البريطانى كانت فى كثير من الاحيان ، العنصر الحاسم لدى كثيرين من مفكرى اليسار •

وأيضا فان اليسار المصرى وهو يقبل مشروع التقسيم ، ويؤكد فى نفس الوقت أنه حل سىء ، لكنه المتاح الوحيد ، كان يدعو الى كفاح طويل من أجل اعادة توحيد فلسطين من جديد على أساس ديمقراطى ••

ولا بد لى من أن أقرر أن هذا الموقف من جانب اليسار المصرى كان ـ فى أغلب جوانبه صحيحا ، وكان أيضا موقفا شجاعا ، بل ونادر الشجاعة ، ذلك أن الشيوعيين المصريين قد تمسكوا به فى وجه تيار قوى جارف مشحون بالعواطف القومية والدينية التى رفضت قرار التقسيم •• ويمكننى أيضا أن أقول باطمئنان أن الأيام قد أثبتت أن موقف اليسار المصرى هذا كان أكثر المواقف تعقلا ، وموضوعية ، والتقاء مع حقائق الوضع وتوازنات القوى •

وبهذا يمكننا أن نقرر أن الشيوعيين المصريين قد اتخذوا موقفا سليما بشكل عام ، ووضعوا أهدافا عامة سليمة أيضا •

ولكننى ، أجد أنه يتعين على أن أبدى بعض الملاحظات العاجلة على هذا الموقف •

* ألاحظ أن اليسار المصرى اكتفى بقبول قرار التقسيم ، ورفض فكرة التدخل العربى المسلح ، لكنه كان يتعين عليه أن يدعو الى تسليح الجماهير الشعبية فى فلسطين كى تتمكن من أن تثبت فى أرضها ، وأن تواجه الارهاب الصهيونى المسلح ، لقد غاب عن اليسار المصرى ادراك أن مواجهة المؤامرة الصهيونية لابتلاع فلسطين كلها لم يكن يتطلب فقط استنكار موقف الرجعية العربية الذى ربما يكون فى نظر البعض تواطئا مع المخطط الصهيونى ، وانما كان يتطلب أولا ـ وقبل أى شىء آخر ـ حشد القوى الشعبية العربية وتسليحها ووضعها فى موضع يمكنها من أن تصبح سيدة مصيرها •

ولست أزعم أن هذه كانت مهمة اليسار المصرى وحده ، ولكننى أعتقد أنها قد غابت من فكره المعروض فى هذه الوثائق ، وانه كان من المفيد تواجدها حتى يستكمل الموقف الصحيح اتساقه وموضوعيته ٠

* ألاحظ أيضا أن اليسار المصرى لم يتنبه بما فيه الكفاية لخطر الصهيونية ومطامعها المستقبلة ٠

صحيح أن الوثائق تقدم أدلة دامغة على أن اليسار المصرى كان أكثر القوى السياسية المصرية هجوما على الصهيونية وادانة لها ، بل أنه قد تعرض بسبب ذلك لهجمات البوليس المصرى والرجعية المصرية عليه وصحيح أن « الوثائق » تعكس فهما نظريا وسياسيا واضحا وصحيحا تماما للصهيونية كحركة عنصرية استعمارية ٠

كل هذا صحيح ، لكننى أعتقد أن اليسار المصرى لم يضع فى اعتباره أن مطامع الصهيونية ليست واقفة عند حدود ما منحه قرار التقسيم لدولة اسرائيل ولا حتى عند حدود فلسطين ذاتها ٠ ولست أشك فى أنه لو أن اليسار المصرى قد تفهم الامر على هذا النحو ، لكان قد أكد على أهمية وضع مخطط لمجابهة هذه المشاريع التوسعية ٠ لكن الانصاف يدعونى الى أن أؤكد أبعاد الخط الصهيونى لم تكن واضحة أيضا فى أذهان الكثيرين غير اليسار المصرى ، وان أحدا لا يمكنه أن يزعم أنه قد تنبه الى هذا الخطر فى حجمه الحقيقى وفى الوقت المناسب ٠

وأجدنى أعود بذلك مرة أخرى الى شعار تسليح الجماهير العربية الفلسطينية ٠

* ملاحظة ثالثة : هى أن اليسار المصرى قد اتخذ موقفا صحيحا تماما سواء من الناحية النظرية أو السياسية من قضية دعوة جماهير العرب واليهود للكفاح معا ضد الصهيونية والرجعية العربية ٠ أقول ـ بدون تحفظ ـ ان هذا موقف صحيح ، لكنه انساق فى التطبيق اليومى بعيدا عن حقائق الامر الواقع ، ولم يستطع أن يدرك مدى عمق النفوذ الصهيونى على جماهير اليهود بفلسطين وأن مجرد قبول الانسان اليهودى للهجرة من وطن يستقر فيه آمنا ، الى أرض فلسطين هو بذاته موقف يحمل فى طياته بذرة الافكار العنصرية والصهيونية ٠

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أن الصهيونية كانت فى ذلك الحين فى أوج تألقها وانتصارها ـ فى نظر الكثيرين من أتباعها وأصدقائها على الاقل ـ وانها قد حققت ، نتيجة لنفوذها وحسن تنظيمها وربما أيضا نتيجة للاخطاء العربية عامة والفلسطينية خاصة ، انتصارات كبيرة كان

بامكانها أن تطمس - ولو الى حين - كثيرا من معالم المواقف والصراعات الطبقية بينها وبين البروليتاريا اليهودية ومن ثم فقد أمكنها أن تطمس احتمالات قيام تحالف جاد ومثمر بين البروليتاريا العربية والبروليتاريا اليهودية فى فلسطين ويجب أن نضع فى الاعتبار ان أى تحالف من هذا النوع كان قيامه يتطلب من بين شروط عديدة أخرى ضرورة أن تكون القوى الشعبية العربية فى فلسطين قوية ومنظمة وفعالة بصورة كافية لوضع مثل هذا التحالف على بساط البحث •

أقصد أن التحالف من موقع الضعف فى كثير من الاحيان أمر غير ممكن •

وأقصد أيضا أن تواجد قوة عربية فعالة ومؤثرة وقادرة على احباط المخططات الصهيونية ، أو حتى الايحاء بالقدرة على احباطها ، كان يمكنه أن يؤثر على مواقف قوى يهودية عديدة ، وجدت أن الصهونية تلعب فى الميدان وحيدة دون منافس جدى •• الامر الذى أدى الى نمو اتجاهات شوفينية غير محدودة لدى قوى يهودية عديدة ، ومن هنا فاننى أقول أن الاكتفاء بشعار براق مثل « وحدة البروليتاريا العربية والبروليتاريا اليهودية » كان برغم صحته التامة نظريا وسياسيا بعيدا عن تصورات الامر الواقع •

* كذلك فاننى أتساءل - مجرد تساؤل - اذا كان رفض التدخل العربى فى فلسطين قد تم على أساس تصورات - أغلبها صحيح - مثل أن القائمين بالتدخل رجعيون ، وموالون للاستعمار ، وأنهم استخدموا الحرب تكئة لضرب القوى الوطنية والتقدمية فى بلادهم ، أقول اننى أتساءل برغم صحة كل ما سبق ، ألم يؤد هذا التدخل - فى ظل انهيار الموقف العربى فى داخل فلسطين - الى حماية الضفة الغربية وغزة والحمة من التوسع الصهيونى والاحتفاظ بعروبتها ؟

* أود كذلك أن أشير الى أن اليسار المصرى قد نظر الى قضية تخليص فلسطين من الانتداب البريطانى ، نظرة كلاسيكية ، وركز عليها تركيزا شديدا ، دون مراعاة وجود خطر توسعى آخر ، لقد تصوروا أن جلاء الانجليز يحل المشكلة ، غير واضعين فى اعتبارهم المخططات الصهيونية البعيدة المدى ، ولا المخططات الاستعمارية الاميركية التى كانت ترسم للسيطرة على المنطقة كلها من خلال قيام دولة اسرائيل الموالية لها تماما والتى تستخدم من جانبها كنقطة ارتكاز وهجوم على حركة التحرر الوطنى العربية •

ولقد كان ضروريا التركيز على استقلال فلسطين ، ولكن لا بد وأن يرتبط ذلك بالحذر الشديد من هيمنة الصهيونية ـ ومن ثم أميركا على المواقع التى أخلتها بريطانيا وان كان الانصاف يدعونا الى التذكير بأن اليسار المصرى قد أكد ضرورة الاهتمام بمساندة ودعم الدولة العربية الفلسطينية لحمايتها من خطر الوقوع فى قبضة الاستعمار ٠

وباختصار وبرغم كل الملاحظات السابقة ـ التى أعتقد أنها بالضرورة ملاحظات جانبية ـ فاننى أقول باطمئنان الى أن موقف اليسار المصرى كان أكثر صحة وأكثر شجاعة من مواقف القوى السياسية الاخرى٠ وأن الايام أكدت ولا تزال تؤكد صحة هذا الموقف واتساقه مع المصالح العربية والآمال العربية ٠

أما الحكام العرب فقد ظلوا عند موقفهم رافضين أى حديث جاد أو موضوعى مكتفين بشعار « فلسطين عربية موحدة » وظل الامر كذلك حتى اتخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر موقفه الشجاع فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ والذى أعلن فيه قبوله بقرار التقسيم الصادر من الامم المتحدة عام ١٩٤٧ والتقى معه فى هذا الموقف كل الزعماء العرب الذين حضروا مؤتمر باندونج وصوتوا على قراراته ٠

فكان ذلك اعترافا ضمنيا بصحة موقف اليسار المصرى وسلامته ٠ وتمضى السنون ، وتتواكب أحداث أخرى ، ليس هنا مجال سردها لكنها تشترك جميعها فى التأكيد على أن موقف اليسار المصرى كان فى مجمله صحيحا وشجاعا وحكيما ٠

ولست أريد أن أختتم تعليقى هذا دون أن أذكر عبارة لفتت نظرى أكثر من غيرها فى هذه الوثائق ، وهى عبارة وردت فى مجلة الجماهير فى العدد الصادر فى ٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ أى بعد أن أيد اليسار قرار التقسيم ٠٠ والعبارة تقول « لقد أيدنا ، ونؤيد ، وسنؤيد دائما ، قيام دولة موحدة عربية يهودية بفلسطين ، لكن على شرط ، وشرط واحد ، هو أن تتحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ، وأن تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية الحقيقية ٠ ونسجل أن هذا موقفنا الاخير » ٠

# المراجع

## مراجع عربية


* ابراهيم دسوقى أباظة باشا ( مقدمة كتاب ) من قضايانا الغدر ، نعلم من هنـا !
* أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧ سلسلة كتاب الهلال ٠
* د٠ اسماعيل صبرى عبد الله ـ فى مواجهـة اسرائيل ـ سلسلة اقرأ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ٠
* أنور الجندى ـ عبد العزيز جاويش ـ سلسلة أعلام العرب ٠
* القضية الفلسطينية ـ دار الابحـاث العلمية ٠
* بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ـ مطبعة الشبكشى بالازهر ـ يونيو سنة ١٩٤٧ ٠
* د٠ جمال حمدان ـ شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان ـ سلسلة كتاب الهـلال ـ ١٩٦٧ ٠
* د٠ رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ـ دار الطليعـة ـ بيروت ـ ١٩٧٢ ٠
* د٠ رفعت السعيد ـ تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ـ المجلد الاول ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٤٠ ـ دار الامل ـ القـاهرة ـ ١٩٨٧
* شبلى شميل ـ مجموعة الأعمال الكـاملة ـ مطبعة المقتطف ـ ١٩١٠ ٠
* على فهمى كامل ـ سيرة مصطفى كامل ٠
* د٠ على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية ـ يهود البلاد العربية ـ منظمـة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ٠
* مائير فلنر ـ خمسون عاما من نضال حزبنا الشيوعى ٠

* د. ماهر الشريف ـ الشيوعية والمسألة القومية العربية فى فلسطين .

* محمد صبيح ـ مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية .

* مذكرة عن مراحل تطور قضية فلسطين ـ جامعة الدول العربية ـ الامانة العامة ـ ادارة شئون فلسطين ـ ١٩٦٠

* والتر لاكور ـ الاتحاد السوفياتى والشرق الاوسط ـ ترجمة المكتب التجارى ـ بيروت .

* ولى الدين يكن ـ المعلوم والمجهول ـ الجزء الثانى .

## مراجع أجنبية

— Clot Bey — Apercu general sur l'Fgypte, Paris, 1840 Vol,1

— Gabriel Baer — A History of Land ownership in Modern Egypt, 1800 1950, London — 1962.

— Ivar Spector — The Soviet Union and the Muslim World — 1917-1958.

— J.A. Ahmed — The Intellectual Origines of Egyptian Nationalism — Oxford, 1960.

— Murry Harris — Egypt Under Egyptians — London . 1925.

— P. N. Holt — Political and Social Change in Modern Egypt — Oxford. 1968.

— Walter Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East.

## وثائق ودراسات غير منشورة

* الرفيق سبانو ـ تقرير مرفوع منه خلال فترة اقامته بمصر الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى .

* كامل عسلى ـ الاتجاهات التقدمية فى الفكر العربى الحديث ـ رسالة دكتوراة غير منشورة .

* محمود الاطرش ـ مخطوط بعنوان « دور الاممية الثالثة فى تطور الوعى الوطنى والاجتماعى لدى الطبقة العاملة والشعوب العربية » .

* وثائق وزارة الخارجية البريطانية . مكتب السجلات العامة . ( مودعة بالمتحف البريطانى بلندن ) .

* وثائق وزارة الخارجية الامريكية .

* وثائق وزارة الخارجية الفرنسية .

* كفاح شعوب الشرق الاوسط . نشرة دورية يصدرها الحزب الشيوعى المصرى الموحد .

— Nouvelles d'Egypte — Bulletin d'Information Publièa Paris le Parti Communiste Egyptien Unifié — Juin 1956.

— Statuts de la Fèdèration Sioniste d'Egypte

## صحف ودوريات

* الاهرام — عام ١٩٧٤
* الاخاء الوطنى ( عراقية ) — عام ١٩٣٤
* أم درمان — ( المجموعة الكاملة )
* البـــلاغ — عام ١٩٢٤
* الجمـــاهير — ( المجموعة الكاملة )
* الحساب — عام ١٩٢٥
* الضـــمير — عام ٤٥ ـ ١٩٤٦
* الفجر الجديد — ( المجموعة الكاملة )
* صوت الامـة — عام ٤٦ ـ ١٩٤٧
* حيفـا ( فلسطين ) — عام ١٩٢٥

— International Press Correspondence — English Edition 1925-1933

# الفهـــرس

صـــدر للمؤلف

- الاساس الاجتماعى للثورة العرابية ٠
- تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ٠
- كتابات فى التاريخ ٠
- صفحات من تاريخ مصر ٠

## * فى سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى

- نقولا حـداد
- عصام الدين حفنى ناصف
- ثلاثة لبنانيين فى القاهرة

## * فى سلسلة قادة العمل السياسى فى مصر

- محمد فريد ، الموقف والمـأساة
- سعد زغلول - بين اليمين واليسار
- مصطفي النحاس - السياسي والزعيم والمناضل ٠
- حسن البنا ، متى وكيف ولمـاذا ؟
- أحمد حسين ، كلمات ومواقف ٠
- تأملات فى الناصرية ٠
- أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية ٠

## * فى سلسلة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية :

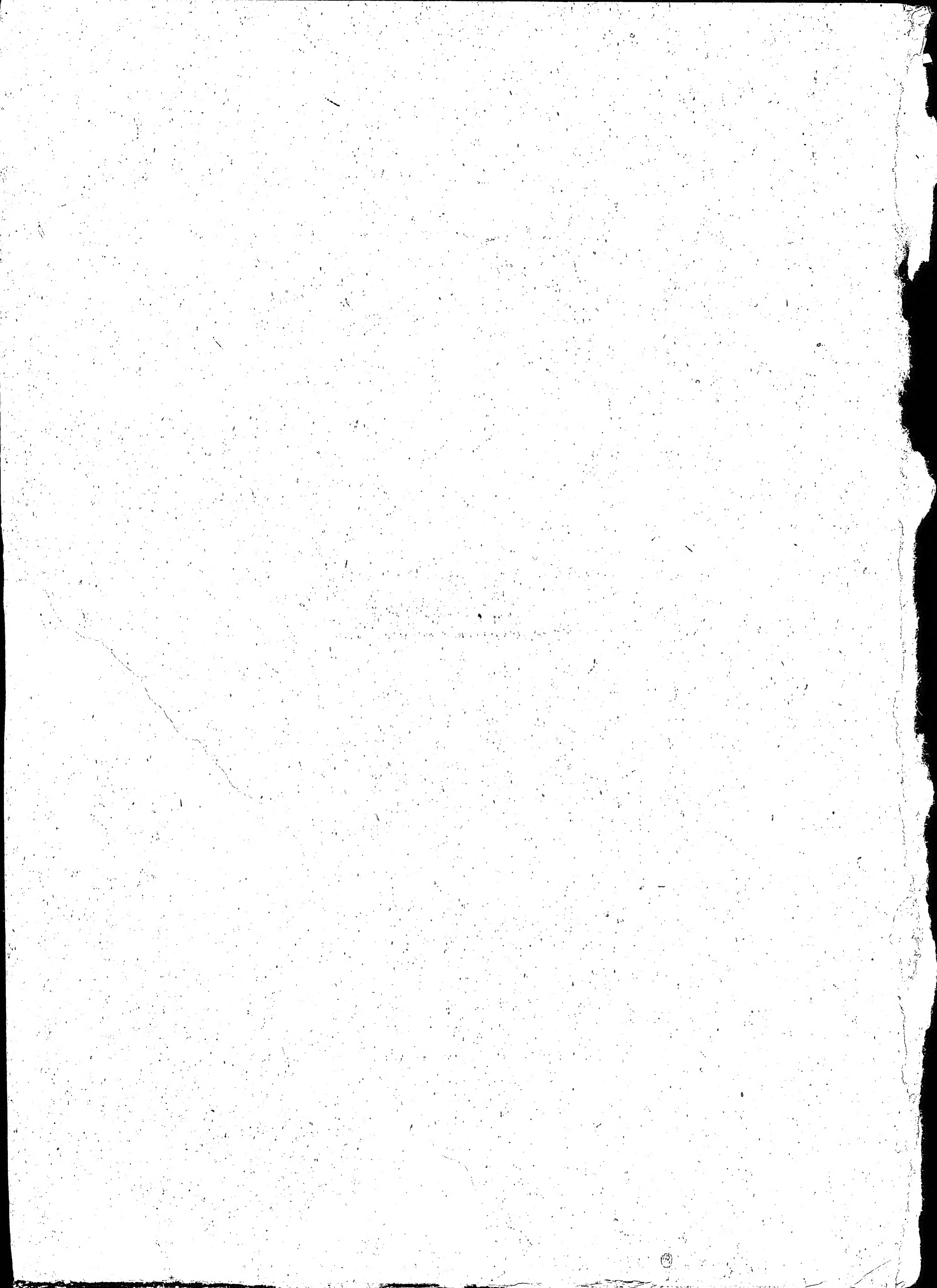
| | |
|---|---|
| - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر | ١٩٠٠ - ١٩٢٥ |
| - اليسار المصرى | ١٩٢٥ - ١٩٤٠ |
| - تاريخ المنظمات اليسارية المصرية | ١٩٤٠ - ١٩٥٠ |
| - منظمات اليسار المصرى | ١٩٥٠ - ١٩٥٧ |
| - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية | ١٩٥٧ - ١٩٦٥ |
| - الصحافة اليسارية فى مصر حـ١ | ١٩٢٥ - ١٩٤٨ |
| - الصحافة اليسارية فى مصر حـ٢ | ١٩٥٠ - ١٩٥٢ |
| - اليسار المصرى والقضية الفلسطينية | |

## * روايـــات :

- السكن فى الادوار العليـا ٠
- البصـــقة ٠

رقم الايداع ٢٩٤٦/١٩٨٨

شركة الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع
(موافيتلي سابقاً)
١٩ ش محمد رياض - عابدين
تليفون ٣٩٠٤٠٩٦




الثمن 25 قرشاً
شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
١٩ شارع محمد ريحان - أرض شريف - عابدين - القاهرة تليفون ٣٩٠٤٠٩٦